

صفحات من تاريخ مصر

٤٥

النيل

في موارد أعالي النيل

تأليف

جناب السروليم جارسن

مستشار نظارة الأشغال العمومية



مكتبة مدبولي

هذه السلسلة تضم :

- ١ - فتح العرب لمصر
- ٢ - تاريخ مصر إلى الفتح العثماني
- ٣ - الجيش المصري البري والبحري في عهد محمد علي
- ٤ - تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي
- ٥ - تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل
- ٦ - تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر
- ٧ - ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا
- ٨ - تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل باشا (مجلد أول)
- ٩ - تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل باشا (مجلد ثاني)
- ١٠ - فتوح مصر وأخبارها
- ١١ - تاريخ مصر الحديث مع فزلكة في تاريخ مصر القديم
- ١٢ - قوانين الدواوين
- ١٣ - تاريخ مصر من محمد علي إلى العصر الحديث

- ١٤ - الحكم المصري في الشام
- ١٥ - تاريخ الخديوي محمد باشا توفيق
- ١٦ - آثار الزعيم سعد زغلول
- ١٧ - مذكراتي
- ١٨ - الجيش المصري في الحرب الروسية المعروفة بحرب القرم
- ١٩ - وادي النطرون ورهبانه وأديرته ومختصر البطارقة
- ٢٠ - الجمعية الأثرية المصرية في صحراء العرب والأديرة الشرقية
- ٢١ - الرحلة الأولى للبحث عن ينابيع البحر الأبيض (النيل الأبيض)
- ٢٢ - السلطان قلاوون (تاريخه - أحوال مصر في عهده - منشآته المعمارية)
- ٢٣ - صفوة العصر
- ٢٤ - المماليك في مصر
- ٢٥ - تاريخ دولة المماليك في مصر
- ٢٦ - سلاطين بني عثمان
- ٢٧ - محمود فهمي النقراشي
- ٢٨ - دور القصر في الحياة السياسية
- ٢٩ - مذكرات اللورد كيللرن
- ٣٠ - عادات المصريين

- ٣١ - خنقاوات الصوفية ج ١
- ٣٢ - خنقاوات الصوفية ج ٢
- ٣٣ - تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الملوك والسلاطين
- ٣٤ - تاريخ عمرو بن العاص
- ٣٥ - دور القبائل العربية في صعيد مصر
- ٣٦ - علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب
- ٣٧ - عبد الرحمن الجبرتي ٥ أجزاء
- ٣٨ - مصر في العصر العثماني في القرن ١٦
- ٣٩ - خطط المقرئ ٣ أجزاء (محققة منقحة في ٢٧٥٠ صفحة)
- ٤٠ - صفحات من تاريخ مصر (صليب باشا سامي)
- ٤١ - صفحات من تاريخ مصر (سيد مرعي)

المسلم

بالي النيل

MADBOULI BOOKSHOP

6 Talat Harb SQ. Tel.: 5756421

مكتبة مدبولي

٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة - ت : ٥٧٥٦٤٢١

الدليل

في موارد أعالي النيل

الكتاب : الدليل فى موارد أعالى النيل

الكاتب : جناب السر وليم جارستن

الطبعة : الأولى عام ١٩٠٣م

الثانية عام ٢٠٠٠م - مكتبة مذبولى

الناشر : مكتبة مذبولى ٦ ميدان طلعت حرب . القاهرة

تليفون ٥٧٥٦٤٢١ فاكس ٥٧٥٢٨٥٤

رقم الإيداع : ١٩٩٩/١٣٩٧٣

الترقيم الدولى : 977-208-286-1

صفحات من تاريخ مصر

٤٥

النيل

في موارد أعالي النيل

تأليف

جناب السروليم جارسن

مستشار نظارة الأشغال العمومية

الناشر

مكتبة مدبولي

٢٠٠٠

فهرست الكتاب

الصفحة	
١	تمهيد
	القسم الاول — تعريفات وصفية
٧	الفصل الاول — قول عام في اتساع البحيرة
١٤	» الثاني — بحيرة فكتوريا
٦٣	» الثالث — البلاد الواقعة فيما بين بحيرتي فكتوريا والبرت ادورد ومنها
	قسما بدو وانكولي
٨١	الفصل الرابع — بحيرة البرت ادورد
١١٤	» الخامس — جملة القول في ارض ما بين بحيرتي البرت ادورد والبرت
	في اقليمي طورو وأنورو
١٣٩	الفصل السادس — نهر سملكي
١٥٦	» السابع — نيل فكتوريا
١٦٧	» الثامن — بحيرة البرت
٢٠١	» التاسع — النيل الاعلى المعروف ببحر الجبل
٢٧١	» العاشر — صفة البحر الابيض
٢٩١	» الحادي عشر — بطيحة نو وبحر الغزال
٣٣٠	» الثاني عشر — البحر الأزرق
	القسم الثاني — تصرفات الانهار وممكنات المشاريع
٣٣٩	الفصل الثالث عشر — تصرفات الانهار
٣٩٦	» الرابع عشر — التدابير الاخرى لتعديل ايراد النيل
٤٤١	الخاتمة

— ب —

— الملحقات —

الصفحة	
٤٥٠	الملحق الاول
٤٥٣	نبذة في تعلية حبس اصوان
٤٥٨	مشروع وادي الريان
٤٦٧	مشروع فرع رشيد
٤٧٨	ردف الملحق الاول
٤٨٣	الملحق الثاني — اقامة مصلحة ري في السودان
٤٨٦	الملحق الثالث — اختلاف المناسيب ببخيرة فكتوريا
٥٢١	الملحق الثالث (١) شلالات رييون
٥٢٤	الملحق الرابع — حسابات التصريف وانحدار المياه
٥٤٣	الملحق الخامس — تصرفات النيل الاعلى والفروع الممدة
٥٤٨	الملحق السادس — ارضاد بحر الجبل في مايو سنة ١٩٠٤
٥٦٥	التقسيم الثالث — مقال المستر ديبوي في بحيرة تسانا وانهار السودان الشرقي
٥٩٥	مذكرة خصوصية في بحيرة تسانا وامكان استخدامها خزاناً للمياه
٦١٠	مبحث خاص في نهر العطبرة
٦١٩	مبحث في نهر قاش
٦٢٩	مبحث في اراضي الحصا بجوانب بربر
٦٣٤	مقياس العطبرة

جدول الرسوم الشمسية

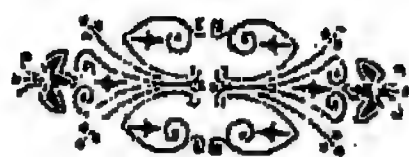
عدد	صفحة	
١	٢٢	بورتفلورنس على بحيرة فكتوريا — وخليج كافيرندو
٢	٣٤	جزيرة بوجايا في بحيرة فكتوريا — وزوارق اغندية فيها
٣	٣٤	خليج نابوليون في بحيرة فكتوريا — ومحلة جنجا الملكية في قسم بوزوجا
٤	٣٦	جنادل ريون ومخرج البحر الابيض — ومنظر البحر الابيض عند الجنادل دُبراً
٥	٣٦	منظر تلك الجنادل
٦	٥٠	نهر كاجيرا
٧	٦٤	شكل جراثيم (كواثر) النمل في قسم بدو ومعبر في اجمة
٨	٧٠	نهر رويزي في قسم انكولي — ومحلة امبارا فيه
٩	٧٤	جبال التخوم الشرقية لمفجرة وادي الالبرتين بقسم انكولي
«	«	« « « « « « «
١٠	٧٨	بحيرة فوّهة كوغتو بالقرب من العقبة الشرقية لوادي مفجرة الالبرتين
«	«	« « « « « « «
١١	٨٢	مصب نهر دويرو في بحيرة البرت ادورد عند كازنجا — ومنظر النهر من البحيرة شمالاً
١٢	٨٦	خليج قطوي على بحيرة البرت ادورد من محلة قطوي
١٣	٩٢	نهر نيماشا الفاصل بين مستعمرة اغندا ومقاطعة الكنفو الحرة — ومنشأ نهر سملكي من بحيرة البرت ادورد في الكنفو
١٤	١١٦	بحيرة فوّهة بركان ملحة شرقي جبال رونزوري بقسم طورو
١٥	١٢٢	نهر رويمي في مسيره من جبال رونزوري الى البحيرة بقسم طورو — وحصن بُرتل فيه
١٦	١٢٦	بحيرة فوّهة بجوار حصن بُرتل بقسم طورو — وجبال رونزوري فيه
١٧	١٣٨	نهر سملكي من خلفه بمقاطعة الكنفو الحرة ومنظر النهر

عدد	صفحة	
١٨	١٤٨	نهر سملكي في قطعة منه واقعة الى الشمال عن جبال روزوري تكون عن مصبه في بحيرة البرت على نحو ٤٨ كيلومتراً
١٩	١٥٩	شلالات مركيصن في نيل فكتوريا من الامام — وفاجاو من خلف
٢٠	١٦٨	بحيرة البرت ضفتها الغربية — وضفتها الشرقية
٢١	١٨٢	مصب نيل فكتوريا في بحيرة البرت من ماجنغو جنوباً
٢٢	١٨٨	شلال نهر وكي الاعلى والاسفل
٢٣	٢١٦	بحر الجبل من الجنوب عن دوفيله — والمحلة البلجية قبالتها
٢٤	٢٢٠	جنادل فولاً في اقبالة الجرية وادبارتها
٢٥	٢٢٦	جنادل بحر الجبل عند سبكا — ومقترن نهر أسوا به
٢٦	٢٣٤	جنادل جوجي في مسيل بحر الجبل
٢٧	٢٤٢	مبدأ شلالات بدّين في بحر الجبل — وهضبة رجاف
٢٨	٢٤٦	كندكرو ولادو على بحر الجبل
٢٩	٢٥٠	كيرو ومنجلاً على بحر الجبل
٣٠	٢٥٦	ضفة بحر الجبل عند بور — وقصب البردي
٣١	٢٦٨	حلة النوير و بطيحة نو
٣٢	٢٧٨	التوفيقية وكدك على البحر الابيض
٣٣	٢٨٦	جبل احمد اغا والجليلين على البحر الابيض
٣٤	٢٩٦	بحر الغزال ومصب نهر رُحل فيه
٣٥	٣٠٨	اختناق بحر الغزال بالاعشاب سنة ١٩٠٣ — وبحر الزراف
٣٦	٣١٨	نهر سباط من حلة دليب — ومنظره من دُبر
الرسوم التي تضمنتها مقالة المستر ديوي في بحيرة تسانا وانهار السودان الشرقي		
٣٧	٥٦٨	البحر الازرق عند صوبا على عشرين كيلومتراً جنوبي الخرطوم — ونهر رَحَد عند شريف يعقوب وخور أروب بجوار القلابات
٣٨	٥٨٠	جزيرات في مخرج بحيرة تسانا و بلدة كورتسا وآثار كنيسة سديقر
٣٩	٥٨٢	نهر اباي والضفير الشمالي الشرقي لبحيرة تسانا ونهر ربّ ونهر اباي على سبعة كيلومترات عن البحيرة

عدد	صفحة	
٤٠	٥٨٤	جنادل مخاضة أباي . ومنظرها على عشرة كيلومترات عن البحيرة وقنطرة عجم دلدي على ثلاثين كيلومتراً عن البحيرة
٤١	٥٨٤	منظر نهر أباي من القنطرة قبلاً ودُبُرّاً وجندله الأول لدى خروجه من البحيرة
٤٢	٥٨٦	منظر الخليج الجنوبي الشرقي من زيجي على بحيرة تسانا . ومنظر الساحل الغربي للبحيرة من سديثر . ومنظر آخر لذلك الساحل
٤٣	٥٩٠	نهر غنداواها على ثمانين كيلومتراً عن مخرجه ونهر العطبرة على مقربة من القلابات ومنظره عند واد ابو سلمان
٤٤	٥٩٠	المضيق الرمي لنهر العطبرة عند مقترنه بنهر سلام وملتقاه بنهر سبتيت او بالبحر الأبيض
٤٥	٥٩٢	المضيق الحجري لنهر العطبرة على مقربة من مجتمعه بنهر سلام . ومنظر النهر عند الفاشر دُبُرّاً وجامود صخر في جبل عربات عند جوز رجب
٤٦	٥٩٤	جبل كسلة من المديرية . ونهر قاش عند سكة بربر

جدول الرسوم والقطاعات

- الرسم العاشر — بحيرة تسانا (على مقياس واحد على ثلاثمائة ألف ١/٣٠٠٠٠)
 الرسم الحادي عشر — مخرج بحيرة تسانا (على مقياس واحد على ثلاثين ألفاً ١/٣٠٠٠)
 الرسم الثاني عشر (أ) — قطاع نهر اباي وقطاعات نهر العطبرة
 الرسم الثاني عشر (ب) — قطاع نهري العطبرة ورحد
 الرسم الثالث عشر — قطاع طولي لنهر العطبرة
 اللوح السادس — خطة الطريق
 اللوح السابع — بحر الجبل (وله ثلاث صحائف)



تمهيد

وضعت كتابي هذا وجلّ قصدي ان اسرد فيه ماجريات رحاتي الاخيرة في منطقة البحيرات في اواسط القارة الافريقية غير اني رأيت ان اضممته ايضاً ما استوعبته في خمس من السنين متواليات من الحقائق والقضايا الاولى فيما يختص ببحر الجبل مشيراً فيه الى ما تحرّيته من المعلومات النافعة في المشاريع التي توضع في مستقبل السنين لتعديل شؤون النيل الابيض وألحقته بنبذة لجناب المستر ديبوي احد مفتشي الري في الديار المصرية أورد فيها حادثات رحلته في انحاء بحيرة تسانا وانهار السودان الشرقي^(١) . قلت ومذ رَقَمْتُ تقريري الاخير^(٢) الى يومنا قد اتسع العلم كثيراً بمقدار ما ينصرف في النيلين الازرق والابيض من المياه في مدار السنة . طالع في هذا الكتاب فصل « تصرف النيل »^(٣) تبين حقائق لم تتضمنها الكتب الاخرى المطبوعة في هذا الشأن . فلقد زوّدتنا مراقبة ماء النهرين في نحو عامين معرفة ما كان ينصرف منه في

(١) وردت هذه البحيرة في الكتاب باسم بحيرة تسانا وليس « تانا » كما قاله بعضهم ولما كانت الاراء متضاربة في ذلك رأيت ان اطلب الى السير جُون هارنُثَن سفير الدولة الانجليزية في امبراطورية الحبشة ايقافي على الحقيقة فلي جنابه طلبي واوعز الى وكيله المستر كلارك فبعث اليّ بكتاب من مدينة أديس أبابا في ٢٩ اغسطس سنة ١٩٠٣ يقول فيه « ان اصل الكلمة في متن اللغة الامهارية « تسانا » وهي واقعة في مقطعين « تسا » و « نا » ولو ان كثيرين من الاحباش يقولون « سانا »

(٢) انظر الكتاب الازرق الثاني الذي اصدرته نظارة الخارجية الانجليزية عن البلاد المصرية في عام ١٩٠١

(٣) كلمة اطلقها القوم على مقدار ما يجتاز من ماء النيل او ماء احدى الترع عند نقطة مفروضة في مدة معينة فأجريت في هذه الترجمة على عيالاتها وهم يقولون في جمعها « تصرفات » (المعرب)

كل شهر من شهور تلك المدة وكذا ابلغتنا الاسبار^(١) التي بوشرت في عامي ١٩٠٢ و ١٩٠٣ امام المساك^(٢) وخلفه مقدار ما يطلقه بحر الجبل من الماء إبان فيضيه^(٣). وهذه المراقبات او الأرصاد احدثت تعديلاً اكبر في المشاريع التي عرضت في عام ١٩٠١ لاصلاح أعالي النيل . اذاً ليس هذا الكتاب بمنزلة رحلة ادونها فان البلاد التي جُتُّها قد وصفها كثيرون غيري أبين مني وهم من اكابر الكتاب كالمستر جراي جنُّن مثلاً فان كتابه «مستعمرة أغندا» لم يترك شاردة في هذا المعنى الا اوعاهاوا أثبتها. فما كتابي الا كتاب فني دَوَّنت فيه أنباء عن حوض النيل نسَّقتُها تنسيقاً ملائماً اقصد بذلك التسهيل لاستيعاب المسائل والحقائق المختصة بمياه النيل على اني قد ادَّت بي الضرورة في مواضع الى ان آتي على وصف البلاد التي جُزَّتْها ولكنني عند اسهابي الكلام على نهر من الانهار المديدة كان يتعذَّر عليَّ ان اتحاشى التكرار والاعادة راغباً في ألاَّ أغفل نبأ قد يكون منه في مستقبل الايام فائدة وجدوى ولو اني بذلك قد تجاوزت وافرطت . ولما كانت بغيتي الكلام على غدير النيل أي حوضه كاملاً غير مجزوء بقدر ما استطيع الى ذلك سبيلاً فقد جمعت اقوال الرواد والمكتشفين في المنطقة التي لم يتيسر لي الأخذ اليها وضممتها الى اقوالي مشيراً الى المؤلفات التي اقتبست منها تلك الاقوال ولهذا الغرض عينه نقلت ايضاً من تقريري السابق ما قلته في المساكات المعروفة عند أناسي النيل الاعلى « بالسد »

(١) جمع سبر مصدر سبر النهر اذا جسَّه وامتحنه ليتعرَّف غوره (المعرَّب)

(٢) المساك مكان من النهر تتراصف اليه حطامة الاغصان ورُفَاض الحطب والعشب وغيرها فتحبس مائه وتغرق سيره ويعرف بالسد (المعرَّب)

(٣) تولى هذه الاسبار الشهيرة المهندسون برُنْ وهيوم و بدزل ووُدْ وهم من ادارة عموم المساحة واما اسبار اطلاق المساكات وانتزاعها فتولاها المستر كريج وهو مهندس في تلك الادارة ايضاً

وما دونته في موارد النيل الايض مع شيء من التنقيح والتعديل بحسب ما اتصل بي من الانباء الحديثة . ولم اذكر تعهدي مستعمرة افريقيا الشرقية والوادي الكبير لاني لم ألبث في تلك الارزاء ذات الشأن الا زمناً يسيراً وكانت وجهتي الرئيسة مراحل النيل ومناطق حائر مائه^(١)

هذا وليعلم اني لم اتمكن من تسطير هذا الكتاب الا في اوقات الفراغ من عملي بنظارة الاشغال العمومية ولذلك انا التمس المَعذرة عن كل تقصير واغفال فيه . اقول ولقد بوشرت الارصاد المتوالية بالهيسومتر^(٢) في قطعة كبيرة من وادي النيل ولكن نتيجتها جاءت قليلة الاهمية^(٣) فان ميزانيات الارتفاعات من بحيرة فكتوريا الى الخرطوم مجهولة لم يسبق لها مقاس قط وليس في الشقة^(٤) من قاعدة يركن اليها في هذا الشأن الا الارصاد البرومترية والهيسومترية . ثم ان ارتفاع بلدة كندُ كرو قد بحث فيه الاستاذ هنر الالماني^(٥) فقرر ان ضغط الهواء عند تلك البلدة يزداد في بعض الاشهر من السنة في حين انه عند الخرطوم ينتقص وبالعكس . واما في شهري يونيو ولوليو فانه يكون متعادلاً في الموقعين مع ان بينهما مدى قدره احدى عشرة درجة واحدهما احط من الآخر بقدر ثمانين متراً ولذلك كانت ارصاد

(١) الحائر اسم فاعل من حار الماء اذا دار في مسيله واجتمع (المعرب)

(٢) آلة تُعرّف بها الارتفاعات (المعرب)

(٣) قد استعنت في الفصول التي وصفت البلاد والمواقع فيها بالارتفاعات الجغرافية الواردة في احداث الخرائط لكنني لم اورد القطاع الطولي لذلك البحر كما كان في عزمي ان افعل في بادئ الامر

(٤) يُراد بالشقة هنا الناحية والارض التي يشقها المسافر (المعرب)

(٥) راجع مقالة «هواء الخرطوم وكندُ كرو» في الجريدة الالمانية المعروفة بتيئلنجن

الارتفاعات بواسطة الأنيرويد^(١) والهيسومتر لا تعد إلا تقريبية^(٢)
ولقد درنا سائرين من فم نهر سيماسكي عند بحيرة البرت فكتوريا وتبعنا
ريف النيل حتى بلغنا كندكرو وكان خط سيرنا متواصلاً إلا في قطعة منه
تقع بين بحيرة البرت ورأس شلال نيمولي فهذه قد جانبناها معتمدين على
الخريطة التي وضعها القائمون دلمي راد كلف
هذا والذي اوجبه على نفسي في ختام هذا التمهيد الاعتراف بما ابداه
المأمورون الذين لاقيتهم في رحلتي هذه الطويلة من المؤانسة والمروءة والنجدة
وانا أثني الشاء الطيب على جناب السر تشارلس أليط وكيل مستعمرة شرقي
افريقيا والقائم مقام هيزسدر وكيل اقليم اغندا والسر جرج ويتهوس رئيس
مهندسي السكة الحديد الاغندية فلولا ما هياؤه لي من العُدَد واوجدوه
من التسهيل لكانت اسفاري اشد وطأة ومراساً بكثير مما كانت وربما
كان يتعذر عليّ اتمامها في الزمن المفروض . وقد لاقى رجال ركي ايضاً من
هؤلاء ومن مأموري الاقسام كل اكرام وحفاوة وكرم فساعدوهم المساعدة
التي لا يشوبها ملل على غير ما مأرب - قلت وما من مرة قصدت فيها
بلاد السودان الا وكان السير رذ جينلد وشيخ باشا حاكمها العام لي مسعفاً
ناصرآ بالآلاء الحبية الخالصة وانا اشكر له ما امدني به في رحلتي الاخيرة فانه
قد تكرم فجعل تحت أمرتي باخرة تتوقع وصولي الى كندكرو فتحملني
راجعة الى الخرطوم

(١) آلة يُتعرّف بها ضغط الهواء الجوي (المعرب)

(٢) يوجد اليوم في كل من محلي مُنجلاً (وعرضها الشمالي اثنتا عشرة درجة
وخمس دقائق) وكُدك بارومتر زئبقي اذا ات عليه سنتان او ثلاث سنين وأخذت
ارصاده يُعلم منها مقدار الضغط في تلك الانحاء باكثر ضبط وربما يكون المساحون بالموازين
الالكحولية في اثناء تلك المدة قد انجزوا مساحاتهم على ضفاف النيل الابيض وبحر الجبل

هذا وانا اشكر ايضا لمن رافقوني في حلتي وترحالي فانهم يسروا لي
مستصعبات مأموريتي وسهّلوا لها في وجهي . ثم ان اثنين من رجال الركب
قد خارت عافيتهما احدهما من مصلحة المساحة وهو المسترد دَوْصُن والآخر
من مصلحة الصحة وهو الدكتور بَتَش فاضطرتني الحال ان اخلف احدهما
في عَنَّتِي والآخر في هُوِيما . وفي عامة رحلتي قد صحبني وآزرنى من قَبَل
سعادة السردار جناب الكبتن مَرَكَم فأولاني بذلك معروفاً كبيراً فانه أخذ
على نفسه ادارة موكب الرحلة وشؤون الميرة وهي بالحق خدمة جليلة لا يعرف
قدرها الا من خَبُر الاسفار في فيافي افريقيا واطّلع أمر الجمال في تلك
الانحاء فجنابه لم يألُ جهد المستطيع في تفريج كُرْبتي وأنا أعزو نجاح
مأموريتي اكثره الى العمل الشاق الذي تولّاه هو فيها — وقد لاقاني جناب
الكبتن لَيْتْز مدير عموم المساحة عند كندكر وفصحته في رجوعي الى القاهرة
وهو ساعدني مساعدة كلية في الابحاث المختصة بالنيل الأعلى فكان
رقيب اعمال الخرائط والقطاعات ومراجعة حسابات التصرف والحسابات
الرياضية لا بل تولّى هو بنفسه تصحيح مساحات بحر الجبل شمالي كندكر و
وهي المساحات التي طُبعت في عام ١٩٠١ وقد استخرج على وجه مخصوص
مناسيب بحيرة فكتوريا الى اليوم وارصاده في هذا الشأن ملحقه بهذا الكتاب
في مذكرة له هي غاية في الاهمية والإفادة . وزد على ذلك ما تكلفه في جمع
المعلومات المدونة فيما يختص بغدير النيل . ثم ان المستر جَرِيح خالف المستر
دَوْصُن رافقني من هُوِيما الى الخرطوم وساعدني مثل هذه المساعدة في
اسفاري وفي تجهيز جداول التصرف وقد أدرجت حساباته في هذا الكتاب
ولقد استوجبت اعمال الخرائط في الاشهر الاخيرة تكثير العمال في قلم المساحة
لهذا الغرض

هذا ولقد علّق المستر بارِسْفَرْد مفتش عموم الري في الهند اهمية

كبرى على الفرض المقصود من رحلتي وكثيراً ما تباحثنا في مسألة نهر النيل
بجميع اطرافها وتفاصيلها فكان المشروع الذي اشرت فيه باحداث مجرى آخر
للنيل شمالي البرّ بإشارته في حديث كان لي معه في هذا الصدد
ولا اراني الا شاكراً ايضاً للمستتر هزرت صموئيل من رجال الشرطة
العسكرية والمستتر بتشر من عمال الادارة الملكية في اقليم أغندا والميجر لفلين
من جنديته فانهم آذنوا لي بطبع الصور الشمسية الواردة في هذا الكتاب
باسمائهم^(١) سطرته في القاهرة



(١) ان البحيرات والنيل الاعلى قد أخذت عنها صورها انا بنفسي واما
الانهار التي الى شمالي كندكرو فقد اخذ عنها صورها المستر كرتني احد موظفي مصلحة
المساحة . وليعلم اني بعد أن كتبت هذا الكتاب قد عاودت الرحلة الى اقاصي النيل
وخبّرها تراه في ملحقه السادس

الفصل الأول

« تعريقات وصفية »

الفصل الأول

قول عام في اتساع البحيرة

إذا تبيّننا إفريقيا الوسطى من الخريطة رأينا في اديمها فجرتين مشهورتين^(١) تأخذان من الشمال الى الجنوب في مسافات شاسعة وبطن فرجتيهما ارض واسعة الارحاء اختلفت الآراء في ماهية طبقاتها وتعددت التصانيف العلمية في هذا الباب واصحابها من نخبة العلماء المتضلعين في علم الجولوجياء^(٢) وعلى ذلك لم اتعرض الى وصف ما طرأ على تلك الاصقاع من التغيرات لا مسهباً ولا موجزاً اذ رأيت ذلك ليس بذى جدوى غير انه لما كانت موارد النيل لها علاقة وثيقة بهاتين المفجرتين كان لا بدّ لي في وصف مجاري النيل من ذكر تكوينيهما وتركيبهما واصالهما متلمساً لي بذلك عذراً فاقول

تبتدي هاتان المفجرتان كلتاهما في نقطة واحدة من بحيرة نيساً ثم تنشعبان عند طرفها الشمالي الواقع في خمس عشرة درجة وعشر دقائق من العرض الجنوبي ومن ثم تكون وجهتهما سمت الشمال وتكادان في مضجعهما تتحاذيان وبينهما زهاء ست درجات من الطول وتذهب المفجرة الشرقية على محاذاة هاجرة شرقي جرينيج على ست وثلاثين درجة الى ان تقضي الى

(١) المفجرة بالتعميم ارض تطمئن وينفجر فيها اودية وبالتخصيص فجوة ما بين جبلين وهي الفجة والوادي والغور (المغرب)

(٢) وردت اسماء هؤلاء المصنفين جميعاً في كتاب للعلامة جريجوري طبع في مدينة لندن في عام ١٨٩٦ وهو احدث المصنفات في هذا الموضوع

بحيرة رُودُلف فتغيب فيها وهي على الدرجة الرابعة من العرض الشمالي اوهي
تُلاحف الانجاد^(١) الحبشية الجنوبية الى ان تلحق بغور مثلها يُعرف اليوم
بالبحر الاحمر واما المفجرة الغربية فموضعها بين هاجرتي تسع وعشرين
وثلاثين درجة شرقاً لكنها ليست بقدر الشرقية اعتدالاً واستقامةً ولعلها
تتقطع بجوار كندكرو والعرض الشمالي اربع درجات وثلاثون دقيقة وفي كلتا
المفجرتين بطائح وبحيرات في الشرقية بحيرة منجارا وبحيرة نظرون
وبحيرة نوسا وبحيرة المنطيطي وبحيرة تاكورو وبحيرة هانثن وبحيرة بارنجو
وبحيرة رودلف . وفي الغربية (وهي المعروفة اليوم بوادي ألبرت) بحيرة
طنجنينكا وبحيرة كيثو وبحيرة ألبرت إذورد وبحيرة ألبرت وعلى مجراها
الشمالي وادي النيل الاعلى ممتداً في مئين من الكيلومترات

قلت وليس في انحدار هاتين المفجرتين ووجهتهما انتظام ولا اعتدال
وكثيراً ما تصادف في كليتهما نواتي، ونواهد^(٢) تفرق بين مياههما فتجري
في مجريين منفرجين . ويقع ارتفاع الشرقية معظمه في نقطة تكون على مقربة
من بحيرة نوسا غير ان الجُرُف هناك غير هار^(٣) على عكس ما في المفجرة
الغربية فان الفارق ظاهر بين أمان بين بحيرة كيثو وبحيرة ادورد ألبرت
سلسلة من جبال نارية تعترض الوادي فتقسم مجموع البحيرات بمنطقتين
متخالفتين . ومعالم هاتين المفجرتين بالنظر الى سماء تلك الامصار مما
يستوقف الأبصار فما يجتازانها في درجات كثيرة من العرض فتكون سعتيها
متراوحة بين ثلاثين وسبعين كيلومتراً تقوم على جانبيهما هضاب^(٤) متواصلة

(١) جمع نجد وهو الارض المرتفعة المشرقة

(٢) صخور بارزة قائمة في الغور (المغرب)

(٣) يراد بالجُرُف الهارئ حَرَف صخر هار (المغرب)

(٤) جمع هضبة وهي اسم يطلق على ما دون المرتفع من الجبال (المغرب)

وهي حُزُون^(١) وعرة هاوية يبلغ ارتفاع بعض المواقع فيها سبعمائة متر عن
فضاء غور الوادي وبجانب هذه الهضاب كثير من الفُؤّهات^(٢) المنفردة التي
نُحِتَتْ براكينها من قَبْلُ كفُؤّهات كليمنجارو وكينيا وجون وانجُونْت .
ولا ريب في ان مجاميع الصخور البركانية التي لَفَظَتْها الارض حديثاً في هاذين
الواديين لها شديد العلاقة بِخَطَرَات الارض الكبرى وارتجاجاتها التي احدثت
تلك الفُؤّهات

هذا وينزع الجولوجيون الى أن الارض الواقعة بين هذين الغورين والاغوار
الآخرى الشرقية والغربية كانت في العصور الخوالي جميعها مرتفعاتٍ وعَلَايَاتٍ
آخِذَةً في كل جهة من اديم الارض ويبلغ ارتفاعها أَشَدَّهُ في نحو اثنتين
وثلاثين درجة من هاجرة شرقي جرينج . ولقد حدث في الارض مِيدَةٌ
واضطراب اخرجت به نواتي كان منها انقلابٌ في طَبَقِ تلك المنطقة فتبدلت
بذلك معالم طبيعتها وخصالها تبديلاً اكبر . قال الجيولوجي خريجوري في كتابه
المعروف « بوادي المفجرة الكبرى » انه بعد ان قذفت البراكين بحممها
المفرشة اليوم في بساط واسع من الارض استراحت الطبيعة من عملها بَرْهَةً
من الدهر فأخذت الارض اثناء ذلك في الانحطاط على التدرج على جانبي
بعض النتوءات شرقاً وغرباً وظَلَّت بينهما ظهور ناهضة وما انفكت الارض
تتخفض رويداً حتى بانت على جانبي تلك الفوارق شقوق وصدوع
متوازية وما زالت قممها تتزحلّ متهايلةً حتى اصبحت اوديةً للمفاجر . وعلى
اثر هذه الحادثات عادت البراكين فقامت قيامتها وتراكت حممها ورمت
بمقدوفاتها صُبْرًا على جوانب تلك الفوارق فعاقت تلك الحادثات انصراف
المياه عن الارض فاحتبسَت في الاغوار والمنخفضات فكانت بحيراتٍ وبطائحٍ

(١) جمع حَزْن وهو خلاف السهل وما غلُظ من الارض (المعرب)

(٢) جَمْع فُؤْهَة وهي من جبل النار فُؤْهَة (المعرب)

حاسبة . وقد كان في اثناء هذه التغيرات زمن تُمطر السماء فيه مطراً غزيراً
اغزرو منه في يومنا بدليل ما تراه من المشالج في جبلي كينيا ورُونزُوري
قادى ذلك الى تعاضم تلك البحيرات فبلغ منسوب مياهها في تلك الا عصر
مبلغاً لا يبلغه في هذه الايام . ثم ان هبوط العلايات الكبرى الوسطية الواقعة
بين الشقوق حدث عنه غور عظيم يبلغ مسطحه من الكيلومترات آلفاً .
وكانت مياه المرتفعات تتفجر منحدرة اليها حتى تكون منها على ممر الزمن
مُجمَّع من الماء يُعرف اليوم ببحيرة فكتوريا . وعلى كَرِّ الايام طفحت مياه
البحيرات الاخرى فاندلقت على ما انحطَّ من جوانبها . فكانت من ذلك
أنهارٌ جارية تلبَّعت في جريها ميول الارض وهبطاتها . اما بحيرة فكتوريا
فاخذ طفوحها في طرفها الشمالي فكان منه نيل فكتوريا . واما مياه بحيرة البرت
ادورد فسال منها نهر سيمليكي ذهب مياهه حتى اجتمعت ببحر فكتوريا
وانسكبت في بحيرة البرت . ومن ثمَّ تضامَّت تلك الامواه مترامية بعضها
الى بعض فتألف من مجموعها مجرى فردٌ يقال له بحر الجبل ويعرف بعد
سيره في سمت الشمال بالنيل الابيض

ولا خفاء ان الظواهر البركانية قد انقضت وانكفت من اعصر خلَّت غير
ان انقضاءها غير باتٍ وليس بالمكيث فلربما عادت جبال النار في مستقبل
الازمان الى الهياج والثوران فيحسُّ بهما ولو في قسم واحد من تلك المنطقة
شأن البراكين شمالي بحيرة كيقو فانها ما دامت الى اليوم في هياج وفوران .
وسماء الارض هناك دالة على ان قشرتها لم تبلغ الى الآن حد التوازن والاعتدال .
يؤيد ذلك تصاعد الدخان في جوار بحيرتي نيغاشا وبروثم الفوارات السخنة
في الطرف الجنوبي لبحيرة البرت ادورد ثم العيون الحارة المستديرة بجبال
رُونزُوري وما هو منها على مقربةٍ من بحيرة البرت ايضاً وفي اعالي وادي
النيل . ثم ان ارتجاجات الارض واهتزازاتها في تلك الامصار لها في نفوس

الاهلين أثر سي فيهم ذكرى بها يذكرون بان ارضهم واقعة في منطقة الزلازل . اذا لاغروا ان عادت البراكين يوماً الى الثوران وألقت بمقدوفاتها فآلفتها بعضها فوق بعض . عندئذ يقع انقلاب آخر في سحناء تلك البلاد وكيانها . غير ان ما تقدم تخرجه من وجوه هذه المسألة ما خرج عن حد التخمين والظن ولكني أوجب الإشارة في هذا الصدد الى تغيرات اخرى يصح ان تندرج في عداد الأكيدة الحدوث لانها مسندة الى سنن طبيعية ثابتة . نعم قد لا تكون حادثاتها سريعة الوقوع فلا يكاد الحس يدركها في قرن من الزمن ولكنها راسخة مستديمة لا صاد لها ولا مانع حتى يقع لها الأمر المقدور الذي لا بد من وقوعه . اريد بتلك الحادثات امرين الواحد تأكل الجبال وتحايتها والآخر نخر الماء في بواطن النهر . ولا خفاء ان هذين الامرين دائماً الحدوث في الارض لكن في الانحاء التي نحن في صددنا على الخصوص قد يكون لها في مستقبل الايام اثر اكبر على موارد النيل . تلك حقيقة بيّنة حرة بالذكر . والبلاد الاقرب تأثراً ولها العلاقة الكلية بتلك الموارد انما هي بلاد المفجرة الغربية وفيها بحيرة البرت ادوارد وبحيرة البرت ونهر سملكي هذا ومما لا خلاف فيه ان بحيرة البرت كانت فيما مضى تغمر ارضاً مساحتها افسح بكثير مما تغمره اليوم فان معالم مناسيبها الدالة على منازل مياهها في الزمن الغابر ظاهرة بالرواسب الابليزية التي نضبت عنها تلك المياه وخلفتها على مرتفعات الارض التي في جوارها . وزد على ذلك ان هيئة الاخوار والخلجان والرؤوس القديمة وكذا المناسيب المتتالية ظاهرة كلها لمراى العين في جوانب حوض البحيرة كأنها خطّطت في رسم يعين مستدير ذلك الحوض . وبعض هذا الانحسار بالنسبة الى البعض الآخر حادث من عهد ليس بعيد ولربما كان حدوثه أسرع مما تخيله القوم . والله يعلم ما سبب الهبوط الاكبر الحادث باديء بدء . لكن الامر الذي لا ريب فيه هو ان المفجرة في الشمال عن البحيرة كانت

مرةً مسدودةً بحاجزٍ يقطع بطنها من جانبهِ الواحد الى الآخر وهو يصد المياه عن السير فكانت تتحوش من ورائه متكاثرة . ومن ثم انفك ذلك الحاجز وكيفية انفكاكه غير معلومة . ومهما يكن سببه فانه قد أدى الى انتقاص مياه البحيرة وتقلصها فقلت بذلك فساحة الارض التي كانت هي تغمرها قلةً تذكر واختط مخرجها في الارض اخذوداً نشأ عنه نهر يقال له نهر سملكي يسير بانحدارها حتى يفضي الى بحيرة البرت فهو اذاً يصل منطقتي البحيرتين الواحدة بالآخرى . وكانت مياه ذلك النهر تجرّف ارض مجراه وحفافيه حتى بلغت المناسيب فيه ما بلغته في ايامنا ويؤيد ذلك ما تبيناه من القطاعات العرضية في انحاء هذا النهر القصية . وكلما تزايد التجريف على هذه الصورة كانت مياه البحيرة يزداد انبعاشها منها فتنتقص . ولما كانت مياه النهر لا تزال الى اليوم تعمل في ارضه فتسحوها^(١) فلا مشاحة في ان يكون منسوب البحيرة مقيماً على الانحطاط وليس على ما نرى من عائق يعوق هذا الانحطاط سوى ما في منتصف مجرى النهر من الصخور الناتئة المعترضة فهذه تتراعى عليها المياه في جنادل وشلالات فتكون تلك الصخور بمثابة قنطرة تعديل تخفف التجريف في باطن النهر . على ان هذه الصخور لا بد يوماً من زوالها حيال انخفاض قاع النهر انخفاضاً تدريجياً مستديماً بشدة الانحدار وفعل المياه فتى زالت تزول معها ولا ريب بحيرة البرت ادورد

اما بحيرة البرت فالحادثات فيها على خلاف ما تقدم ولكن لا مردّ لوقوعها وفعلها اكد ذلك ان مثال جبل روتزوري والفواغل الجوية فيه تؤدي الى تحات جوانبه على الدوام وتفتتها وكل ما ينساب منها من الرُفّاض^(٢) تجترفه

(١) من سحا الطين يسحوه اذا قشره وجرفه (المعرب)

(٢) رُفّاض الشيء قشارته وما تحضم منه فتفرّق (المعرب)

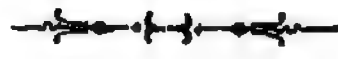
السيول الى اخاديد^(١) ومضايق ذاهبة به الى نهر سملكي وهو يرمي بها الى بحيرة البرت ومعهها مقادير الطين التي تجلبها مياهه من انحاء العليا . وهذا وانحدار النهر عند الطرف الجنوبي لبحيرة البرت يقل فتخف بذلك جريته فتصبح مياهه وليس لها قوة دافعة تستاق تلك المواد فتستقر جميعها في بطاح البلاد المجاورة . وعليه فقد كوَّنت رواسب الاجراف^(٢) في الاطراف الجنوبية من بحيرة البرت سهلاً بسيطاً من الارض يتداخل شيئاً فشيئاً بمياه هذه البحيرة فيرفع منسوب قاعها ولا تزال هذه الرواسب تعمل هذا العمل على التوالي . ومثل ذلك يعمل به بحر فكتوريا في الطرف الشمالي للبحيرة فهو يلقي باليزه واجرافه في البحيرة فتضيق . وكذا تحمل السيول الكثيرة الآتية من الاكام والهضاب المجاورة شرقاً وغرباً شيئاً كثيراً من الاجراف فتلقيه فيها وتكون تلك الاجراف مدعاة الى ارتفاع قاعها . وفي النهاية تغيب بحيرة البرت وبحيرة البرت ادوارد ولا يكون لهما اثر سوى نهر تنصرف اليه المياه من آكام كيثو ووادي المفجرة وهو يذهب مبحراً حتى يصب في بحر فكتوريا عند مصبه اليوم في بحيرة البرت . ولا يبعد ان يقع في هذه الانحاء ما وقع في انحاء اعالي النيل . وعند غياب البحيرتين وزوالهما تقوم في الارض مناقع اشبه بمناقع منطقة السدود والمساقات يتبدد فيها النهر مستبحراً في عدة مجار . وطبيعي^٣ ان تكون التغيرات الحاصلة في بحيرة البرت حاصلة ايضاً في بحيرة فكتوريا والانهار الرامية اليها من صعيد الارض^(٣) ونجدها تحمل مياهها شيئاً كثيراً من المواد التي يكون من شأنها على التماذي ارتكام البحيرة وانقاص فساحتها . على انه اذا اعتبرنا تلك الفساحة ومقدار ما يدخل البحيرة من مياه الانهار المنسكبة فيها رأينا ان تأثير تلك

(١) جمع اخادود وهو الحفرة المستطيلة في الارض (المعرب)

(٢) اجراف جمع جرف وجرف وهي ما تجرفه السيول واكلته من الارض (المعرب)

(٣) الصعيد ما ارتفع من الارض واشرف (المعرب)

الانقلابات والتغيرات يكون في البطء والمهل غايتهما فان لم يندك الحرف القائم عند جنادل ريبون او يخفض فلهذه التغيرات والانقلابات لا تحدث نقصاً ظاهراً في مياهها الا بانقضاء الدهر الطويل . اذاً يحتمل انه عند زوال بحيرة البرت والبرت ادورد بأزمان بعيدة المدى تبقى بحيرة فكتوريا مستجمعاً اكبر لمياه النيل الابيض ويذبوعاً صحيحاً له



الفصل الثاني

في بحيرة فكتوريا

هذه البحيرة اوسع البطائح والمناقع المذبة في العالم القديم تقع بين عشرين دقيقة من العرض الشمالي وثلاث درجات من العرض الجنوبي وهاجرتي ٤٠ و ٣١ و ٣٥ شرقي جرينيتج . ارتفاعها عن متوسط منسوب البحر الرومي عند منباسا بقدر ١١٢٩ متراً يَحترقها خط الاستواء عند طرفها الشمالي وتكتنف جانبيها من الجهة الشمالية ارض الشقة الانجليزية الالمانية كأن تشطرها بشرطين متساويين وذلك عند الدرجة الواحدة من العرض الجنوبي . اما شكلها فشبه مربع يتخلل شواطئها الشمالية الجنوبية اخوار وخلجان بييدة الغور تكون بها مزرسة مفرضة واما جانبها الغربي فأقوم وأعدل لانه يكاف المهوة^(١) الكبرى الواقعة عند مصب نهر كاجيرا ذاهبة في مهب الغرب من مهب الشرق . والبحيرة نادرة بكثرة مجاميع جزرها غالبها لا يبعد كثيراً عن البر^(٢) واضخم هذه المجاميع ثلاثة مجموع بوفوما شمالاً

(١) فجوة ما بين الجبلين (المعرب)

(٢) ان واسط هذه البحيرة لا تزال حتى الآن غامضة ولذلك ليس بالمستبعد

ان يكون في بطونها مجاميع جزر اخرى غير ما ذكرنا

ومجموع سسي في الشمال الغربي والمجموع الذي بجوار جزيرة أوكروي الى الطرف الجنوبي الشرقي من البحيرة . ومنها ايضاً المجموع الصغير المعروف عندهم بمجموع كومه الى الجنوب الشرقي ايضاً . واضخم جزر البحيرة جزيرة أوكروي في ارض الشقة الالمانية تقرب ان تكون شبه جزيرة متصلة بالبر في مستطيل من الارض قليل السعة يسيل فيه مجريان يعرفان عندهم بالرُجيشي^(١) . والسواد الاعظم من هذه الجزائر مأهول غالب اهله طوائف الصيادين وفي كثير منها اراض زراعية واسعة الاقطار . ويرتفع من جزر سسي جيد البن^(٢) واكثر هذه الجزر شريف المنظر ولا سيما مجموعي بوثوما وسسي وفي غالبها جبال قد يكون ارتفاع بعضها خمسمائة او ستمائة متر عن سطح البحيرة . وفي جميعها غابات كثيفة ملتفة النبات وطبقات ارضها كلها حجرية يشوب تربتها الحديد من تحتها طبقة من الحجر الصواني البلوري^(٣)

ثم ان اغوار البحيرة لا يعلم عنها شيء ، يذكر الا اغوار نصفها الشمالي فانه مسبور معلوم . واعمق غور علم على ما جاء في احدث الخرائط يبلغ ثلاثة وسبعين متراً وذلك بالقرب من جزر اللؤلؤي على الساحل الشمالي^(٤) . اقول ان الاعماق في منطقة من البحيرة تبعد عن البر بقدر خمسة عشر الى عشرين كيلومتراً تختلف كثيراً فان ما كشفتهُ المسابير يشير الى ان تلك الاعماق تتباين أدراكها^(٥) فتكون بين خمسة وعشرين متراً^(٦) ومياه

(١) طالع كتاب اوغندا والسودان المطبوع في لندن سنة ١٨٨٢ للقس ولسن

(٢) ان اهالي جزر سسي قد ذاقوا العذاب الاليم من داء النُوام الذي يفتك

بهم فتكاً ذريعاً منذ اعوام (٣) قال العالم استولمان ان هذه الجزر هي ضلع

من جسم الطبقات الحجرية الصوانية التي تكونت منها المرتفعات في القديم

(٤) ترى ذلك في خريطة القومندان هويتهوس التي طبعتها نظارة البحرية

(٥) جمع درك وهو اقصى الغور أي القاع (المعرب)

(٦) ترى ذلك ايضاً في تلك الخريطة

الخلجان والأخوار ضحلة قريبة الغور ولا يعلم شيء إلى الآن عن أعماق
أواسط البحيرة . أما مشتملات أرضها فهي بين رمل خشن الجيئات
وطينة سوداء دقيقة الذرات تضرب إلى السنجابية . ولكنها كثيرة
الشباب حجريتها وكثير منها ما يكاد يلحق بسطح الماء ولذلك كان في
الملاحاة فيها شيء من الخطر . أما ماء البحيرة فقراح شفاف شديد الحلاوة
على خلاف البحيرات الواقعة في وادي المفجرتين فان بين هذه وتلك
تبايناً أكبر فلون مائها سموي أزرق معجب في إبان الصحو الشامسة ولكنه
متى غامت السماء فهو أغبر قائم وربما كانت أسود . هذا والبحيرة عرضة
للعواصف والزوابع تشور فيها شديدة الوطأة فتحدث أمواجاً تتلاطم فتعلو
علواً هائلاً ولما سلمت الزوارق من الخطر إذا هي سارت فيها متباعدة عن الجزر
فان هذه الجزر مرفأ لها أمين عند اشتداد العاصفة^(١) . وفي البحيرة فوارات
تظهر أحياناً^(٢) . - وتبلغ مساحة هذه البحيرة ثمانية وستين ألف كيلو متر
مربع (ذلك ما يعادل مساحة البلاد الاسكوتلاندية) وأقصى طولها
اربعمائة كيلو متر ومعظم سميتها ثلاثمائة وعشرون كيلومتراً ويقع إليها عدة انهار
ولكنها ليس لها الا مخرج واحد ينفجر منه نهر فكتوريا يسير على جنادل ريبون
في خليج نابوليون على الضفة الشمالية . أما الجداول الرئيسة الجارية إليها من
الشمال فجدول سيو و جدول أنزويا و جدول لوقص (ويقال له أيضاً جدول يالآ)
وليس إلى غربي جدول سيو من انهار تجري إلى البحيرة عند طرفها الشمالي

(١) في ربيع سنة ١٩٠٣ أنشئت سفينة محمولة ٦٠٠ طن وانزلت في الماء من
بُرتُولورنس واليوم تنشأ سفينة أخرى والغرض منهما استكشاف ما بقي من هذه
البحيرة إلى اليوم خفياً غامضاً . ولا ريب في ان جرهما موافق لهذا الغرض حتى لا يكون
عليهما خطر البتة اذا عبرتا البحيرة في إبان العواصف فيتيسر بهما بلوغ المرمى

(٢) راجع كتاب اوغندا والسودان للقس ولسن

لان المسایل^(١) هناك في جنب الشاطئ والانهار في تلك الانحاء تنشأ على بعض الكيلومترات عن البحيرة فتسير بعيدة عنها طالبة سمت الشمال وتفضي الى النيل . واما الجداول الجارية اليها من مهب الشرق في الاراضي البريطانية فهي جدول نياندو و جدول تويانو و جدول صندو . ويقع اليها من صوب الغرب شمالي التخوم الانجليزية الالمانية نهر كاتجا ونهر الرويزي وعند متصل هذه التخوم بالساحل يسيل اليها نهر كاجيرا وهو اكبر مستورد لها . وسأذكر فيما بعد صفة هذه الجداول والانهار بقدر ما اتصل بي خبرها لان كثيراً منها لا يعلم عنه الآن الا ما ليس بشاف ولا بكاف بخلاف المجاري الذاهبة اليها في تخوم الشقة الالمانية فان المعلومات عنها كثيرة^(٢) وقد نشرت الحكومة الالمانية عن تلك البلاد خريطة وافية مصححة لحد يومنا هذا يتبين منها ان الانهار الرئيسة الواقعة في الجهة الشرقية هي ما رادباش (أومارا) ورؤانا ومبالستي وتنسكب فيها مياه العلايات الشرقية . واما الانهار الصابة من الجنوب فهي متووما وسويويا وموامي ووامي ولكنجاتي ورؤيجا . يقال ان بعض هذه الانهار كبير وان نهر المارادباش هو ثاني نهر كاجيرا حجماً واهمية . وهذا وانهار الشقة الانجليزية تختلف عن انهار الشقة الالمانية بان الانجليزية ماؤها جار^(٣) والالمانية (خصوصاً في البقعة الجنوبية الشرقية منها) بعضها سيول غزيرة تفيض في زمن الامطار ثم يدركها الجفاف في حصة من السنة اما الخليجان فاضخما خليج كافرندو وخليج بركلي وخليج نابوليون وخليج مركيسن في الاقطار الشمالية وخليج امين باشا وخليج سميث

(١) جمع مسيل وهو مجرى الماء - (المعرب)

(٢) طالع كتاب انباء المستعمرات الالمانية في ستة عشر مجلداً طبعت الحكومة

الالمانية . راجع ايضاً تأليف فيشر وبومن واستولسن وفن جوزن

(٣) اي تابع دائم الجري (المعرب)

وخليج اسبيك في الانحاء الجنوبية وغيرها عدد لا يحصى من الجؤنث والابخوار ماؤها ابدآ ضحلّ كأنه مخاضة وارضها كثيرة الطين وضافها في الغالب تستدير بها الآجام الواسعة وهي غاصة بالبرديّ وشاخ القصب تفوصها فرس البحر والتمساح ويسبح بها طير الماء ويكون في اجوافها جماعات السمك ضرّوباً واصنافاً يصطاده الاهلون بالقرب من الشاطئ وسواحل البحيرة تتخالف شكلاً وهيئةً فهي مرتفعة لاسيما في الضفير الشمالي^(١) فتكون هناك هضاباً مستديرة يتفاوت ارتفاعها من بين مائة متر الى مائة وخمسين متراً عن سطح الماء وهي أنوف متلاحقة من الصخر تترامى الى الشاطئ . واما الوادي القائم الى ما وراء هذه الهضاب فذو غابات ملتفة الشجر ثم هي في الطرف الشمالي الشرقي منها منبسطة جرداء ليس فيها الا ما قل من النجم^(٢) وبعض الشجيرات فيكون منها بسيط من الارض واسع الاطراف يلحق بآكام نشدي . وفي الجهة الغربية تكون منقادة الى الجنوب على سَنَنِ حتى تبلغ نهر كاتنجا ومن تلك النقطة حتى مندغم نهر كاجيرا بالبحيرة تتناقص مناسيب الارض فتري على جوانب الماء بسائط رملية والساحل هناك مشهور بمهواة بعيدة المرمى تمر في محاذة البحيرة من الطرف الشمالي الغربي على مسافة بعض الكيلومترات عنها حتى تعجى الى فم نهر كاتنجا شمالاً . وبالقرب من نهر كاجيرا تترادّ هذه الهضاب فتتحول عن الماء وهناك مناقع رحيبة مغطاة بالعنبرج والبرديّ تمر في بعض المسافة عن الشاطئ صوب البر . والى جنوبي النهر هناك تعود الارض فتقوم فيها رواب يكون ارتفاع بعضها ثلاثمائة متر عن سطح الماء وفيها وهاد تتصل بالبحيرة ويبلغ غور الوهدة الواحدة منها مائة متر وفي الطرف الجنوبي الغربي آكام جرداء حجرية التربة وجروف تمتدّ شعباً في الماء ويكون ساحلها

(١) ضفير البحيرة شطها (المعرب)

(٢) النجم الثبت القصير الساق (المعرب)

الجنوبي أكثر سواحلها الأخرى جبلاً ويوجد على الجانب الجنوبي الشرقي جبال ماجيتا وماجو ترتفع قممها عن سطح البحيرة بقدر سبعمائة متر وسواحلها الشمالي صخور ناهدة يكون منها عقبات وحروف متوالية تتصل بسلسلة جبال لمبوا على تخوم خليج كافيروندو . ثم ان جانبها الشرقي ماء ضفته بلصق البر بعيد الغور في الأكثر اما الجانب الغربي (ولا سيما ما بين نهري كاتنجا وكاجيرا) فالمياه فيه ضحلة الى مدى بعيد فيها^(١) ويجتاب البحيرة تياراً أو دُردور من حد نهر كاجيرا الى جنادل ريبون والباعث على قيام هذا التيار شيثان شدة جرية الماء في ذلك النهر وهبوب الرياح الدورية ولكن لا يعلم مقدار ما لكل من هذين الأمرين من الفواعل في حدوث هذا التيار . وتبلغ مساحة حائر البحيرة نحواً من مائتين واربعين الفاً من الكيلومترات المربعة من ضمنها مساحة البحيرة نفسها وشكل هذا الحائر غير نظيم لا يسهل تخطيطه ولا سيما في الشمال والشمال الغربي . قلت في ما تقدم ان الجرف الذي تنزل عنه مياه الرصف في الجهة الشمالية ما بين نهر سيو والنيل واقع في الساحل نفسه وان النقييل اي مياه السيل التي تجري الى الشمال مصدره الآكام التي تحيط بذلك الساحل . وانت ترى غربي مخرج النيل حراً يذهب في وجهة شمالية غربية حتى يفضي الى تلال لحف الروتوزوري ومن ثم يسير جنوباً حتى سلسلة جبال الرومبارا التي هي حرف النقييل الشمالي لنهر كاجيرا فهذه المنطقة ترمي بمياهها الى نهري كاتنجا ورؤيزي . واما مسيل نهر كاجيرا فعظمه يذهب جنوباً وغرباً حتى يلاحف الآكام المحيطة ببحيرة طنجنیکا . ثم الى الجنوب تعود تلك المنطقة فتضيق ولكنها في الجهة الشرقية تنفرج فساحتها الى مدى بعيد

(١) ان ما قيل هنا عن الساحل الواقع جنوبي الشقة الانجليزية الالمانية غالبه

مأخوذ من كتاب القس ولسن المعروف باوغندا والسودان سنة ١٨٨٢

عن تلك البحيرة فتكون في هذه المسافة اشبه بعلاية حجرتها . واما الفوارق^(١) في الشمال الشرقي فآكام لُمبُوا وجرف مَوْ واسفل عنه شمالاً علاية ناندي واعلم ان ارساد متوسط الامطار السنوية في عامة هذه المنطقة ناقصة نقصاً بيناً ولذلك يتعذر تعيين مقدار ما يقع الى البحيرة من المياه في مدار السنة الاعلى التقريب ونحن في ذلك نستند الى المعلومات القليلة التي لدينا في هذا الشأن . ومن الواضح ان بقعة مثل هذه واسعة الاقطار مساحتها تناهز ضعف مساحة البلاد الاسكوتلاندية لا بد من ان يكون اقليمها اي هواؤها وجمهور مياه الامطار فيها على اختلاف كبير باختلاف الاماكن والمواقع . يؤيد ذلك ما تراه من الامطار المفرطة بجوار نهري روتزوري وتندي وعلايات مَوْ . واما الانحاء الجنوبية الغربية فامطارها طفيفة والى شرقي البحيرة يمس من الارض مديد غير ممطور . اقول ومراقب الحادثات الحوية معدودة متباعدة بعضها عن بعض ولم يُبدَأ بقييد ارساد الحادثات المذكورة في كثير منها الا من عهد قريب اذاً ليس في الامكان تعيين جرّم ما يأتي البحيرة من المياه سنوياً فيزيدها تعاضماً ونماءً الا متى رُصدت امطار النصف الجنوبي للبحيرة وامطار النصف الشمالي ايضاً ودونت ارسادهما في عدة سنين متوالية . فكل ما يُعَيَّن في ايامنا من الارصاد على غير هذه الصورة لا نصيب له من الصحة . وليس في الامكان ايضاً تعيين مساحة مضاجع المياه المترامية صوب البحيرة بالضبط الا متى وضعت لتلك النقطة خرائط واستتب العلم بالمناسيب . فعامة ما يقال اليوم في هذا الشأن لا يعوّل عليه

هذا ولقد تمكنا من ارساد الامطار في اماكن معدودة . ولكن القيود الواردة فيها تلك الارصاد غير مستكملة وقل منها ما اشتمل على ارساد سنة

(١) يراد بالفوارق الجبال التي تفرق ما بين الوهاد وتكون في اقطار اعالي النيل مساقط الغيث الذي يترامى ماؤه في منحدرات جوانبها منسكبة الى تلك الوهاد (المعرّب)

واحدة بكمالها . واكبر نسيق جاء في تلك القيود ما ورد عن عتبي وناتيتي في الطرف الشمالي الغربي للبحيرة فقد تعلمنا بها متوسط الامطار في اربعة عشر عاماً وكان ذلك المتوسط ألفاً ومائتين وسبعة وستين مليمتراً . ولقد بلغ المتوسط في قسم كيسومو على خليج كفيرندو ألفاً ومائتين واثنين واربعين مليمتراً في خمس سنين وفي مومياس من ذلك القسم ألفاً وثمانمائة واثنين وثلاثين مليمتراً في ست سنين وذلك في العلايات . اقول وقد اقيمت مقاييس للامطار عند مساكاً وأمبارارا في قسم انكولي وكذلك في حصن برتل على مقربة من جبال روتزوري ولكن ارسادها لا تشمل الى الآن سنة كاملة اما في الشقة الالمانية فتؤخذ الارصاد عند بوكوبا على جانب البحيرة الغربي وقبالة موانزا على الجانب الجنوبي وفي طابوره وهي محلة تقع في خمس درجات وثلاث دقائق من العرض الجنوبي ارتفاعها عن سطح البحر الملح ألف ومائتان وثلاثون متراً الى جنوبي بحيرة فكتوريا على مسافة مائتين وثمانين متراً عنها^(١) . ويتبين من ارساد هذه الثلاث المحلات ان الامطار كانت اغزرها واكثرها في قسم بوكوبا المتقدم ذكره فان المتوسط بلغ فيه الفين ومائة وواحداً وثمانين مليمتراً في اربع سنين واما قسم طابوره فلم يكن متوسطه في اربع سنين سوى سبعمائة واربعة وثلاثين مليمتراً . ولقد دلّ مقياس موانزا على ان ما وقع من الامطار هناك بلغ ألفاً وثلثمائة وخمسة وسبعين مليمتراً في سنة ١٩٨٤ - ١٨٩٥ ولكنه في سنة ١٩٠٢ بلغ الفين وثمانمائة مليمتراً . على ان هذه القيود ما هي الا تفت متفرقة لا سبيل الى اقامة مقابلة بينها لان سذيتها متغايرة لكنها يستخلص منها ان ما وقع من المطر في ساحلي البحيرة الغربي والجنوبي اكثر مقداراً منه في الساحل الشمالي واقل من هذا

(١) وتؤخذ الارصاد ايضاً عند شيراتي شرقي البحيرة ولكن تلك الارصاد

لم يطبع بعد منها شيء

ما وقع في الجنوب الاقصى وليس للجانب الشرقي من ارضاد الامطار ولكن يستفاد من الجداول المتقدم ذكرها انه وان كانت الامطار تقع في كامل السنة متخالفة بين قلة وكثرة فأشدها يقع في مدينتي الاولى مارس وابريل ومايو والثانية ستمبر واكتوبر ونوفمبر . واكثر شهور السنة جفافاً شهرا يونيو ويوليو . ويتبين من تلك الجداول ايضاً ما في انسكاب الامطار بين خفة وشدة من الاختلاف باختلاف المكان ففي مؤنزا بلغت مياه المطر في سنة ١٩٠٢ الفين وثمانمائة مليمتر ولم تكن في طابوره (وبعدها عن مؤنزا مائتان وثمانون كيلومتراً فقط) سوى ثلاثمائة وثلاثة وخمسين مليمتر^(١) في ذلك العام

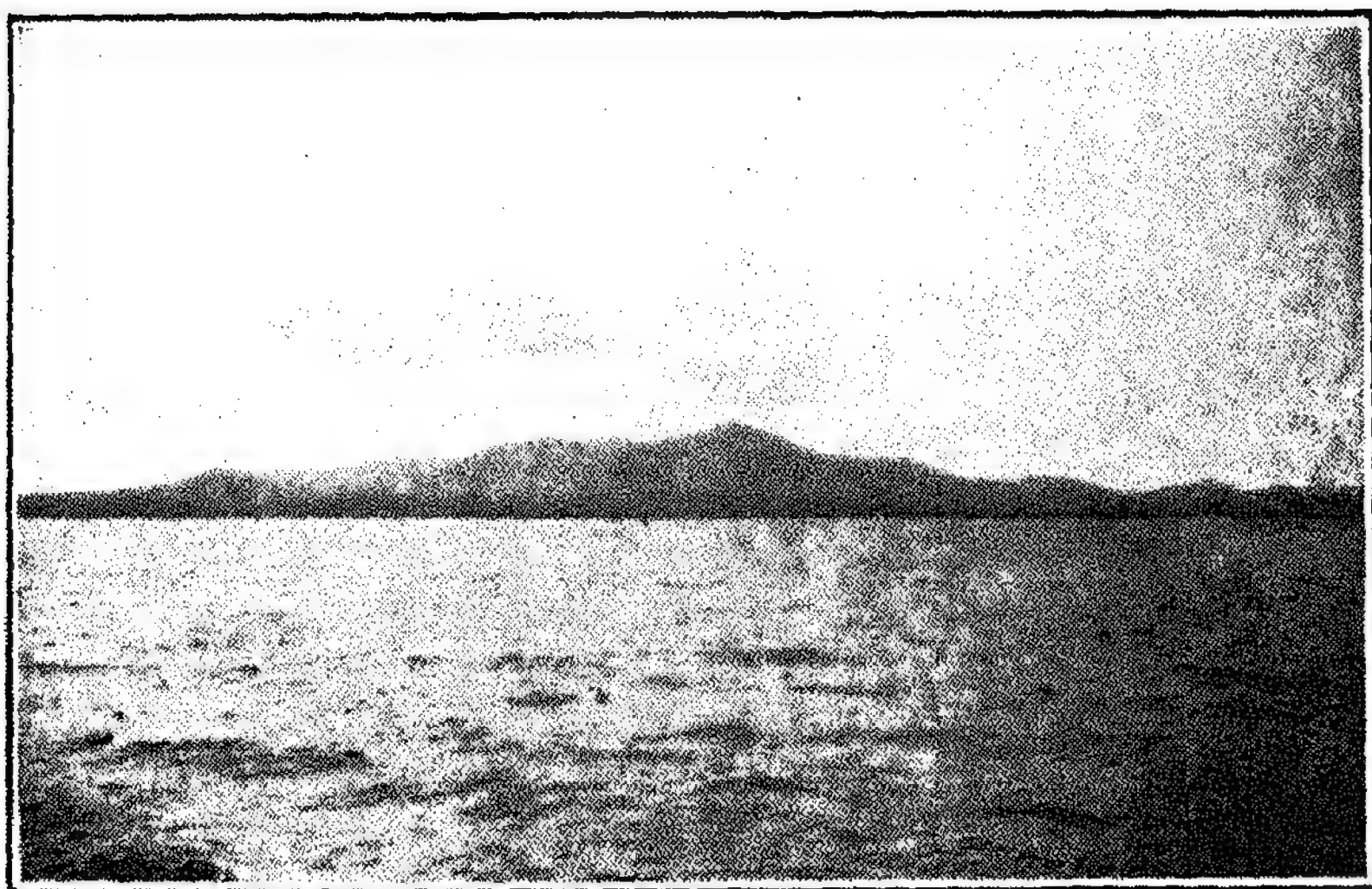
والذي يتلمس العلم بما لصعيد الارض المحيطة ببجيرة فكتوريا من الطبقات يرى أن تركيبها الجيولوجي انما هو من المرو (او الصوان) والكوارتس والحجر اللوحي غائصة في قشرة حمراء طفالية طباشيرية وذلك في الاجزاء العليا منها واما في النجود والوهاد فيشوبها الصلصال السمين وتكون تلك المنطقة جميعها ولا سيما ما جاور البحيرة نشزاً من الارض طبقة حديدية حجرية وعند تفتتها ينكشف عنها لون احمر بديع خاص بتلك البلاد^(٢) . هذا وسأتكلم في ما يأتي باكثر ايضاح على الجوانب الشمالية والغربية للبحيرة مستخلصاً ذلك من مذكرات ومفكرات جمعتها في رحلتي السابقة فاقول . ان على الجانب الشمالي الغربي لمستودع البحيرة منحدر مؤ يبالغ ارتفاعه الفين وسبعمائة واربعين متراً عن سطح البحر الملح ويبعد زهاء مائة وخمسين

(١) تقع ازمة الجفاف في شهري يناير وفبراير وكذلك في شهري يونيو ويوليو واما اغسطس فامطاره مختلفة جداً وفي ديسمبر يكون المطر في الغالب غزيراً ويتساءل اصحاب الشأن هل يجي الخريف متقدماً او متأخراً

(٢) انظر كتاب استلمان المعروف بكتاب « مع ابن باشا في قلب افريقيا »



بورتفلورانس علی بحیرة فکتوریا



خليج كاثيرونڈو علی بحیرة فکتوریا

كيلومتراً من ضفتيه ومن هناك تميل الأرض بانحدار سريع ويكون الانحدار فيما بين حرف العلايه وموباروني بقدر ١٣٥٠ متراً ومسافة ما بين المكانين اربعة وتسعون كيلومتراً فقط والأرض هناك حجرية أكثرها عاقل من الشجر وفيها اودية واسعة عميقة وفي موباروني على ارتفاع مائة وستين متراً عن سطح البحيرة الحالي يكون طبق الأرض في مخترقات سكة حديد اغندا مفترشاً بالحصى والدماليك^(١) التي خلفها السيل ومثل هذه المخلفات تشاهد ايضاً في أماكن أخرى حول البحيرة الى الجهة الشمالية وهي ترتفع ارتفاعاً يذكر عن ذلك المستوى. وإذا انحدرت صوب البحيرة تنبسط لديك البلاد تدريجاً حتى تصبح سطوحاً بين ارتفاع وهبوط غاصاً بالكلأ^(٢) يتخلله في مسافات منه جروف ذات غابات كثيرة الاخوار رقيقة الماء. وإلى الجهة الجنوبية هضاب ناندي وهي شماء أشبه بسور منيف جرداء وعرة تنشعب منها رؤس عديدة تصب الى الوادي التي تشرف هي عليه وكلما انحدرت نزولاً كشفت الاشجار والادغال وفي الخمسة والثلاثين كيلومتراً منها بسيط مرتفع من الأرض تكون النقائع في طائفة من تضاعيفه على كثرة سطحه يتحدو تحدرًا خفيفاً ليناً حتى يلحق ببورتفلورنس وهناك منتهى سكة حديد اغندا على بحيرة فيكتوريا

أما كيسومو فواقعة في خور^(٣) يقال له خور أوجوي في الطرف الشرقي لخليج كاثيرندو يكون عرضه بمقدار كيلومتر واحد ونصف أما بورتفلورنس ومحطة السكة الحديد وديوان عمالها وخدماتها فعامتها على الشاطئ الجنوبي وكيسومو واقعة قبالتها تَوًّا على الطرف الشمالي للخور وهي مركز الادارة المالكي.

(١) جمع دُمْلوك وهو الحجر الاملس المستدير (المعرب)

(٢) الكلأ يابس الحشيش (المعرب)

(٣) يُراد بالخور هنا الخليج أو دخلة من الماء في البر (المعرب)

وتعلو بورتفلورنس عن سطح البحيرة بقدر ثلاثة وخمسين متراً وكيسومو احط منها باثنين وثلاثين متراً وهي مشهورة بالحلى الاجمية فهي تعدُّ أوخم ما على شاطئ البحيرة من البلاد واقلمها موافقة للابدان على عكس بورتفلورنس فانها مرتفعة يُعتنى كثيراً بتطهيرها وتنظيفها وموقعها في غاية الملاءمة بالنظر الى الرياح الغالبة في تلك الانحاء وعلى ذلك قد قطع اولو الامر في نقل مكاتب الحكومة من كيسومو اليها . واقامة ما ينبغي اقامته من الاماكن جارٍ اليوم على قدم وساق وبقعتها موافقة لذلك وهي عبارة عن أنف أو رأس من الارض يمتد الى البحيرة فيغيب فيها واما تربتها فحديدية بسكولية وهي الطبقة الغالبة على خلقها في عامة شاطئ البحيرة والمادة نافعة في البناء بالحجر وهي عند اقتلاعها لينة هشة لكنها لا تلبث ان تتعقد بملاستها للهواء الجوي وبحجارتها تبني اليوم الاماكن المستحدثة جميعاً وهي العنصر الاعظم في تربة مفيض البحيرة^(١) . والعمل جارٍ ايضاً على غير بطء باقامة مباني المكاتب وتخطيط الشوارع فان تم لموالي سكة حديد الاوغندا ما يؤملونه لها من التقدم واتسع بها نطاق التجارة فلا مشاحة في ان بورتفلورنس تصبح فرضة من اشد الفرض اهمية اذ تكون حينئذٍ مطرح جميع الارزاق المرتفعة من اقطار سواحل البحيرة فتتخذ منها وتحمل الى فرضة منياسا على الاوقيانوس الهندي . اما كيسومو فهي المحلة الملكية ومركز قسم كفيروندو ابنتها قليلة تحيط بها الاشجار ناشئة في سهل قليل الشخوص غاص بالاعشاب ذاهباً في سمت الشمال حتى يلحق بآكام كورندو وهي حرف من جبال نثدي يمتد غرباً امداً بعيداً فيقع الى نقطة تكون عن ضفاف البحيرة ستة كيلومترات او سبعة والسهل غزير المرعى طيبة ودليل عمرانه وفرة بلاده . وترى في ذروة الآكام

(١) هذا تحليل تلك المادة على ما جاء عن جناب المستر لوكاش مدير المعمل

الكياوي بنظارة الاشغال العمومية بمدينة القاهرة

المذكورة سهلاً باسطاً يذهب في مهب الشمال مسافة شاسعة وهو في خلقته كتلة بركانية حممية يختلف سمكها بين ستة عشر وثلاثين متراً والمشهور ان ارضها غاية في وفرة الزروع والارض فيما وراءه تتصاعد راقية الى عناية نندي وهي مغطاة بمتلف الشجر يرتفق باخشابها لجودتها^(١) وفي كيسومو سوق عجيبة اذا قامت تراها خاصة بجمهور الكافيرندو^(٢) وهم باشون باسمون واخص ما يعرض فيها البطاطا وقديد السمك . وهم نساء ورجالا عراة الا ان المرأة تستر من قبل وزرة حواشيها خرز دقيق وتزدان من دُر بهنة محبوكة من مسد^(٣) اشبه شيء بذيل بقر الخيس ويلبس الرجال قليلاً من الخرز ولهم في كعوبهم خلاخيل وعلى معاصمهم دمالج من حديد وهم ينظمون شعورهم تنظيماً غريباً ويحلقونها بسن فرس الماء . وكلا الجنسين دأبهم التدخين وكلهم يستصحبون قصار اقصاب التدخين المعروفة واحدها « بالبحشة » وهم قبيلة جمة كثيرة الخلق ولقد فتك في من يقيمون منهم

التحليل الكيماوي المتقدم ذكره

مظاهر المادة	مواد التحليل	مقادير بالمائة
مظهرها حجر جيري اصفر يضرب الى السمرة وقد يكون اسود وفيه اثر من المواد البسكولية	سلكا ومواد غير قابلة الذوبان	٣٢ ٠ ٧٨
	اكسيد الحديد مع شيء من اكسيد الالومينيوم	٦٥ ٠ ٦٢
	المزيج	١٠ ٠ ٦٠
	المجموع	١٠٠ ٠ ٠٠

(١) يقول المستر هيلي جابي الاموال بمقاطعة كافييرندوان اشرف اشجار الخشابة في تلك البقعة شجرة الكوكالان او العرعر وشجرة البودوكر بس وثمرها مخروط اشبه باكواز الصنوبر وخشب العرعر احمر اللون وخشب البودوكر بس ابيضه وقد ينف قطر بعض شجرهما على متر

(٢) ان قوم الكافيرندو المقترشين ضفير البحيرة هم المعروفون بكافيرندو النيل واما المقيمون منهم بالمرتفعات فممتازون عنهم كثيراً وهم من نسل بنطو الاكبر

(٣) حبل من ليف (المعرب)

بجوار البحيرة من عهد قريب داء النّوام فتكاً لا يطاق وهم ينزعون بالخلقة الى المشاجرة والخصام لكنهم يرجعون الى مسالمة فهم سهلو المراس قريبو الاختضاع ويستعملون العزّامين والعزّافين والسحرة للاستمطار والاستشفاء ولهم ماشية على كثرة ويقولون انهم قوم الجالوي . والذي نراه ان ادارة المستر هبلي قد أدت بالقوم الى التعامل فيما بينهم وترويج المتاجر فهم اليوم يعلمون بما تساويه الروبية ويفضلون اخذ المسكوكات ثمناً لسلمهم على الخرز وهم ماهرون بصيد السمك . ويطفون على وجه الماء في تلك النقطة من البحيرة عدد غفير من الزوارق تختلف طولاً فيما بين ثمانية الى عشرة امتار وعرضها متر واحد فقط ولا يستعملون المسار في بناء مراكبهم فهم يشدون اخشابها بعضها الى بعض بحبال من مسد ويصنعون المراكب من خشب يعرف عندهم بخشب امولي ومقدم المركب غريب الشكل ينشأ من اسفله على موازاة القاعدة افقياً ذراعاً حادّ قويم هو عندهم أمّ الحروب تُدمر به مراكب العدو وعلى هذا الذراع ذراع السلم يمتد الى الامام ثم ينعطف الى فوق ويكاد يكون انعطافه عمودياً وكثيراً ما يكون مزداناً بالارياش او قرون الظباء ويحمل مركب الاتّجار او مركب الصيد من ستة عشر الى ثمانية عشر رجلاً يقعدون فيراقبون وجهة سيره . ثم هم يستخدمون مجاذيف قصيرة ضيقة الراحة . والمراكب في جزيرتي بوزوجا وبوثرما اكبر جسماً من هذه بكثير وربما بلغ طول الواحد منها ثلاثة وعشرين متراً وعدد رجالها نيفاً واربعين ويسبح التمساح في جوار خليج كاثيرندو وهو من دون غيره جريء مخوف يتقاضاهم ضريبة سنوية يكون لها في نفوسهم وقع عظيم^(١)

(١) قبل ربيع عام ١٩٠٣ كان اجتياز البحيرة بين بورتفلورنس والحلة الشمالية على بخارية صغيرة يقال لها وايم مكينون . وعند هياج المياه (الأمر الذي يكاد يكون مستديماً ليثاً في البحيرة) لا تروق الملاحة فيها لان اسباب الراحة قليلة جداً في السفينة

ثم اذا انت بارحت كيسومو مریداً ضفاف البحيرة الشمالية والتفت الى ورائك تبيئت منظرًا بديعاً . تذهب جبال لمبوا ملازمة لشاطئ الخليج الجنوبي وفي محيطك شرقاً على مسافة من ذلك الشاطئ ترى سلسلة جبال نندي اشبه بندقية جميلة المرأى ويبلغ طول هذا الخليج سبعين كيلو متراً ومعظم سعته اربعة وعشرين لكن متوسطه اقل من ذلك بكثير فانه لا يتجاوز تسعة او عشرة كيلو مترات فيما بين شطيه . والوجهة من كيسومو في الغالب جنوبية غربية حتى مجرى رُونجنا ومن ثم تنعطف في مصب الشمال الغربي . ويغشى طبق الماء طوائف البردي متناثرة على سطحه وغور تلك المياه قريب في عامة انحاء والذي تدينه بالمسابر والمجاس ان معظم عمقه قلما يتعدى خمسة عشر الى عشرين متراً . واذا كنت من بورتفلورنس على تسعة وعشرين كيلو متراً^(١) رأيت رابية مستديرة عشبية قائمة على منبسط من الارض يمتد بأزاء الشاطئ الشمالي وهذا البسيط عرق اجرد خلوص من الشجر ولكنه كثير القرى المعروفة عندهم بالبوما . والى ما وراءه وعلى مقربة منه هناك سلسلة آكام كُونْدُو المتقدم ذكرها . والارض على الطرف الشمالي للخليج غربية في منظرها وشكلها ارض متقطعة متكسرة تطبقها الأدغال وهي تسير على هذه الصورة حتى تفضي الى آكام لمبوا . وعند الكيلومتر السابع والثلاثين ترى فوهة بركان هُوْمَا الخامد ناشزة في الخليج ركاماً هائلة يصلها بالشاطئ مستطيل منخفض من الارض كثيرة الرمال وعند هذه النقطة تتضايق سعته فلا يزيد على تسعة كيلومترات . وبالقرب من تلك النقطة ترى في مهب الجنوب والجنوب الغربي مجموع رؤوس معروفة برؤوس عيسو على مسافة يسيرة

وهي مفرطة القلق والتمايل على وجه الماء

(١) علمت المسافات المذكورة في هذا الكتاب من سرعة البخارية وقد قيست بالمسافات الواردة في الخريطة التي وضعها الكومندور هويتشوس ونشرتها نظارة البحرية

من الشاطئ يكون أعلاها رأس رُوي له ارتفاع عن مستوى سطح البحيرة نحو من ستمائة متر وشكل الآكام المذكورة غير منتظم . وبعض تلك الرؤوس مخروط وبعضها مستدير القمة وجميعها في الأصل بركانية الخلقة وهذا الشطر من الشاطئ فضاء وعر والأرض في صوب الشمال منبسطة لكنها فوق مستوى الماء بكثير وفي امتدادها على سمته تعلوها الجُنب والأعشاب وإذا أوغلت سيرا وصرت على بعض الكيلومات عن تلك النقطة زادت الخوانق ضيقاً وينتهي حرف يُوأما في عناية منبسطة تعرف بعناية أمطاراً فتالج المجرى من الشاطئ الشمالي وبالتقرب من تلك النقطة صخرة من حجر البازلت نابتة في الماء تعرف بصخرة الحارس تنزلها طير الماء وسعة الخليج هناك لا تكاد تبلغ خمسة كيلومترات . وبعد اجتيازك عناية أمطارا بقليل ترى على الشاطئ الجنوبي سلسلة جبال كاساجنجا شامخة على غيرها من الجبال علواً وارتفاعاً ويكاد طرفها الشمالي يلحق بالماء والمشهور ان هذه الجبال (اي جبال كاساجنجا) اعلى الجبال المحيطة بالبحيرة . وأرفع قممها عند خليج كافرندو قمة جبي يبلغ ارتفاعها ثمانمائة متر ولكن قم غوازي في تلك الجهة يبلغ ارتفاعها ألفاً ومائتي متر عن مستوى البحيرة ومظاهر الجبال هناك مشهورة بفضاعتها ووحشتها وذروة الجبال مع سياق الرؤوس المسننة اشبه شيء في تحديدها بالمنشار عظيم الفجوات فهي شاهقة في الوسط كأنها مخروط رثيت المناكب وقبالة هذه الآكام ساحل مستو دغل يتصل بحرف الماء . ولك من مجموع ذلك كله منظر غاية في الغرابة والندرة . ثم اذا تجاوزت الجبال من بورتفلورنس فانت في مقابل خليج كافرندو وعلى جانبه الجنوبي جزيرة روزنجا وهي جزيرة كبيرة فيها كثير من الهضاب لا يزيد أعلاها على اربعمائة متر يفصلها عن البر الجنوبي خور متقارب الضفتين سمته في النقطة الشمالية نحو خمسة كيلومترات يحتفظ به على اليمين جرف غاص

بالغياض والاشجار وفي طبقات ارض الجزيرة حجر الجير متداخل سيف
طبقات اللحم والباقيات البركانية . والحجر كيانه ردي ولكنهُ صالح للبناء في
بورتفلورنس . والى الجنوب الغربي عن روزنجا جزيرة اخرى يفصلها عنها
خُور متداني الجانبين وتعرف بجزيرة مُفُونِجانو وهي اعلى منها مستوى واعر
وفيها اربعة او خمسة انوف صغار وكل هذه الجزُر أهلة بصيادي السمك
والقاصدُ يدخل الخليج من بورتفلورنس فيقطعه وهو منها على سبعين كيلومتراً
فيقع الى عين البحيرة . وهناك صخرتان أدت غرابة شكلهما الى تسميتها
بجزيرة العبارة وهناك يتغير لون الماء فهو عند كافرندو قذرٌ عكر ولكنهُ في
البحيرة نقي طاهر واذا قصدت ناحية جنجا فقبلتك مهب الشمال الغربي ولا
تبصر العين الى الجنوب ارضاً ولكن في الشمال حُرُوفاً ورُؤوساً وجزُيراتٍ
عديدة ولا يكاد البر يُرى في المسافة القصية . وعلى خمسين كيلومتراً من خليج
كافرندو في الوجهة المذكورة ايضاً هناك عدة جزُر معروفة عندهم بجزُر
لُولوي فيها اربع بقاع حجرية احداهن فسيحة والثلاث الأخر منحطة
الاديم وجميعهن كثيرة النبات والآجام كثيفتها وموقعهن يجعلهن مرفأً
أميناً تتقي فيه المراكب شر العواصف التي تقوم في البحيرة وهي على مسافة
خمسين اوستين كيلومتراً عن بورتفكتوربا الى الجنوب الشرقي . ولقد
سبرت مياه البحيرة في ما وراء هذه الجزُر فكان غورها معظمه ثلاثة وسبعين
متراً . واذا تخلفت عن جزائر لُولوي على سنن الاتجاه المتقدم ذكره تغيب
عنك الارض ما خلا بعض الجزُيرات القصية في الشمال ومياه البحيرة
اشبه شيءً بالبحار . والانواء اذا قامت فيها زادت شهباً من اوجه كثيرة فان
عصفت الريح هاجت المياه وماجت وتمازت علواً عظيماً فيكون السير فيها
شاقاً جداً على الملاح المجاذف ويتلو المرفأ المتقدم ذكره مرفأً آخر يقع في
جزيرة بوجايا على ثمانية واربعين كيلومتراً من جزر لُولوي الى الشمال الغربي

عنها، والجزيرة واسعة شاخصة روايبها صُعداً ورؤوسها مستديرة تميل نزولاً من أوساطها بانحدار خفيف حتى تتداني من الماء . والقنن القصوى علواً خلواً من الشجر ولكن تخفقها الحشائش والاعشاب على خلاف القنن المنحطة فانها كثيرة الشجر وهناك كثير من القرى متوارية في وهاد تلك الجزيرة والمتعارف انها آهلة بالخلق الكثير وآثار بناء الخندق الذي كان الجزائريون يستخدمونه في وقائعهم المستديمة مع اهل واجندا لا تزال الى اليوم ظاهرة للعيان والمنبسطات من الارض بجوار الشاطئ تزرع دخناً (ذرة) وبطاطا ويكثر في تلك الانحاء شجر الموز وعلى وجوه القوم امارات اليسر والبشر ولباسهم نظيف ولهم بذلك أشد الشبه بقوم الكافيرندو ومنحدرات هذه الجزيرة والجزر الاخرى التي في جوارها مكسوة جميعها طبقة حجرية رملية . واما اعالي الروابي فترتبتها ضعيفة غير خصيبة وعلى سطوحها طراً منبثقات من الحجر المتبلور والحجر الصواني وليس الشاطئ بأجبي ولكن في البر مستنقعات واسعة النطاق والى شمالي بوجايا توترى جزيرة بوقوما الكبرى ويفصل بين الجزيرتين لسان من الماء فرجة ما بين جنبيه تتمايز بين خمسة الى ستة كيلومترات . ولما كان هذا المضيق تكتنفه الارض كان ولا ريب مرفأً صالحاً للمراكب إبان العواصف

اما بحيرة بوقوما المتقدم ذكرها فاضخم الجزر في تلك البحيرة وهي مثلثة الشكل وتحوم مساحتها حوالي اربعمائة وخمسين كيلومتراً ومنظر شواطئها كثير الشبه بشواطئ بوجايا لكن ارض الجزيرة جبلية قيل يبلغ ارتفاع بعض جبالها عن سطح مياه البحيرة ستمائة وخمسين متراً وتزيد^(١) . وفي الجزيرة بقاع مستفيضة بالغابات والشهور عن اهالي بوقوما انهم أشد قبائل الجزر الاخرى بأساً واقتداراً فلقد حملوا على جماعة السر استانلي يوم همت بالنزول الى

(١) كتاب مستعمرة اوغندا للسر هنري جونسن مطبوع في لندن سنة ١٩٠٢

الجزيرة وردوهم مستظهرين . قيل كان للقوم فيما تقدم عمارة ضخمة من الزوارق وقد ظلوا جيلهم يواصلون شن الغارات على اهل اوغندا من البرواما هؤلاء فقد احبطوا واعياهم الاستظهار

اقول ومنظر هذه البقعة من البحيرة له نضارة رائعة سيمته السكون والهيبة فانك ترى البحيرة هادئة يطيف بها رواب ذات اشجار وغابات ومضارب الاهل مسقفة نظيفة وفيها كثير من غابات الموز وكلها جمعاء تمثل السكينة والبقاء في الخير فلا يُحِيلُ لرائد تلك الانحاء الا انه في البلاد الاوروبية لا في اجواف افريقيا

هذا والمضيق الذي تجري فيه المراكب فيما بين بوجايا الى جنجا تكاد تكون ذهبتة شمالية محضة وهو يسير غربي بوقوما فارزا اياها عن البروسمته ما بين خمسة وستة كيلومترات ويتخلل في سيره نسيقاً من الجزر ذاهباً من بينها بتعاريج وله في ذلك صور واشكال جميلة تدهش الابصار ويقرب من هذا المنظر منظر تلك الجزر مقروناً بمنظرة البر وعلى ضفاف الماء وضميرها صغار الآكام والقنن وفجوات الاودية الغاصة بالادغال والآجام ومن وراء تلك الآكام والقنن براح فسيح من الارض متعادي صعوداً وانخفاضاً متعاقبين وعلى خمسة وستين كيلومتراً شمالي بوجايا مدخل خليج نابوليون وهو خليج ضخم شكله غير نظيم وعلى جوانبه كثير من الأخوار كانها فرض احدها يقع شمالاً بغرب حتى يتصل بمساقط ريبون فمخرج النيل وآخر كبير الجرم يذهب شمالاً بشرق ويعرف بخور رستن تحبباً بذكرى الماجور رستن . وترى بين هذين الخورين قمم اوزرجا تشخص صعوداً الى حد مائة او مائة وعشرين متراً عن سطح مياه البحيرة . ويزدان الخليج بجزيئات شتى وعلى يمينك شرقاً حصن مشهور بحصن لوتيا وفيه قتل الماجور لويا صاحبه وصحبه اجمعون بيد الجنود السودانية ايام الثورة المهدوية وكان ذلك في عام ١٨٩٧

وعلى يسارك في البر حَرْفٍ مستعلٍ وعلى قَيْدٍ قصير منه إلى الشمال الغربي أكمة مسننة . ثم ان محلة جنجا على ميمنة الخليج المستطيل المؤدي إلى المساقط أو الجنادل والخليج نفسه في مسافة ثلاثة كيلومترات من مجراه يكون بين جروف قائمة مستوعرة وهو يضيق عرضاً كلما قرب من مخرج النيل . والمحلة قاعدة قسم بوزوجا وهي صغيرة وموقعها صالح قائمة على معاقل نابتة صموداً من الماء وفي هذه النقطة موردة (مأناة) صغرى لها مقياس ترصد به منازل مياه النيل غير ان المقياس فيه نقص وهو غليظ مصنوع بغير هندام ولا اتقان ورصد ارقام منازل مستصعب . ومهما يكن امره فموقعه افضل مواقع المقاييس المقامة على البحيرة فانه في اديم يكتنفه البر فيقيه شرّ العواصف والانواء ولما كان موقعه عند النقطة التي ينبع النيل منها كان معتمد القطر المصري على الارصاد المأخوذة عنه . اما مكاتب الحكومة ومخازنها ومستودعاتها فيشملها سور من اخشاب طويلة مفروزة في الارض متقاربة بعضها من بعض وشكل السور مربع قائم الزوايا . والقسم المذكور كثير الزرع وأهم ما يرتفع منه البطاطا والذرة الهندية والموز

والارض هناك سمينة الى الغاية تربتها دقيقة الحبيبات راسية فوق رأس الصخور الشفافة في جميع تلك الارض فاذا تطلعت البلاد من جنجا كان لك منها رأى انيق بهيج فالى جانب واحد ترى البحيرة وجزرها والى جانب آخر ترى العلايات الخصبية المشرفة شمالاً وشرقاً وارض القسم عامتها مستوية مكشوفة ولكنها تتحدرا انحداراً بيناً صوب الشمال وهناك منطقة الغياض الواسعة الاطراف والغابات الملتكة الشجر . يقال ان في بعض المحال من البلاد معدن الحديد على كثرة وحجر الطفال والنحاس وفي مواضع منها يشاهد حجر الجير قلت فيما سبق ان تقيل^(١) لوزوجا يميل الى الشمال متناثراً بعيداً عن

(١) السيل بجي من ارض ممطورة (المرب)

البحيرة . وأقول ان جميع الانهار التي تقطعها تتعالى الى حد الرابعة القائمة بازاء بحيرة فكتوريا وتسير الى النقيع الاكبر ومن ثم تذهب فتصب في النيل . واهل هذا القسم هم البازوجا يشاكلون اهل الواجندا هيثة وسحنة وهم طوال القامة سمر اللون وكثير منهم حسان الخلقة ماهرون في الملاحة خبيرون بها ويتقبعون قبعات من وبر مختلط اللون سواداً بياض^(١) . هذا وان تكن جنجا مرتفعة عن مستوى البحيرة فهي وخيمة الهواء كثيرة الادواء . ولقد نزل باهل بوزنجا داء النوام فكانوا اكثر القوم مصاباً به فقد فتك بهم فتكاً فظيماً وربما استثنى من هذه البلاد جزر سسي . قال المستر جرانت وكيل المندوب في تلك البلاد ان هذا الداء قد هلك به ما ينيف على اربعة عشر الفا من الانفس وفي بعض المواضع اغتال الداء خمسة وسبعين أو ثمانين بالمائة من هؤلاء البائسين . قالوا ان هذا الداء تفشى في زمن المجاعة التي انتابت اهالي وادي النيل الاعلى وقسم البحيرة في سنة ١٨٩٩

وعلى مقربة من جنجا الى الجهة الخلفية الشمالية ترى على وجه مياه البحيرة مجرى ظاهراً تكون ذهبتة صوب الشمال وتسمع لوقعه طنطنة ودويّاً واذا دُرت بجرف هناك مرتفع ترى في الماء الى جنوبي الشلال رداها^(٢) ناتئة منه ثم يضيق المجرى حتى تحاله قمماً او مدخنة قائمة حشو الجروف يبلغ ارتفاعها زهاء ستين او سبعين متراً عن سطح الماء وظاهر هذه الجروف مطبق بكثيف النبات وقمة مكسوة غابات وادغالا وحمرة لونها تقع على بقاع تلك الارض الغبراء لامعة براقية وهذه الجروف الحادة قائمة فوق الماء كأنها حُرّاس شديب . ثم تسيب مياه النهر الى الحجاب الحاجز كأنها في مسيرها بلور واذا بلغت الجندل تنقصف بثلاثة مجار يتخللها جروف

(١) لعله وبر القرد الكولابوسي

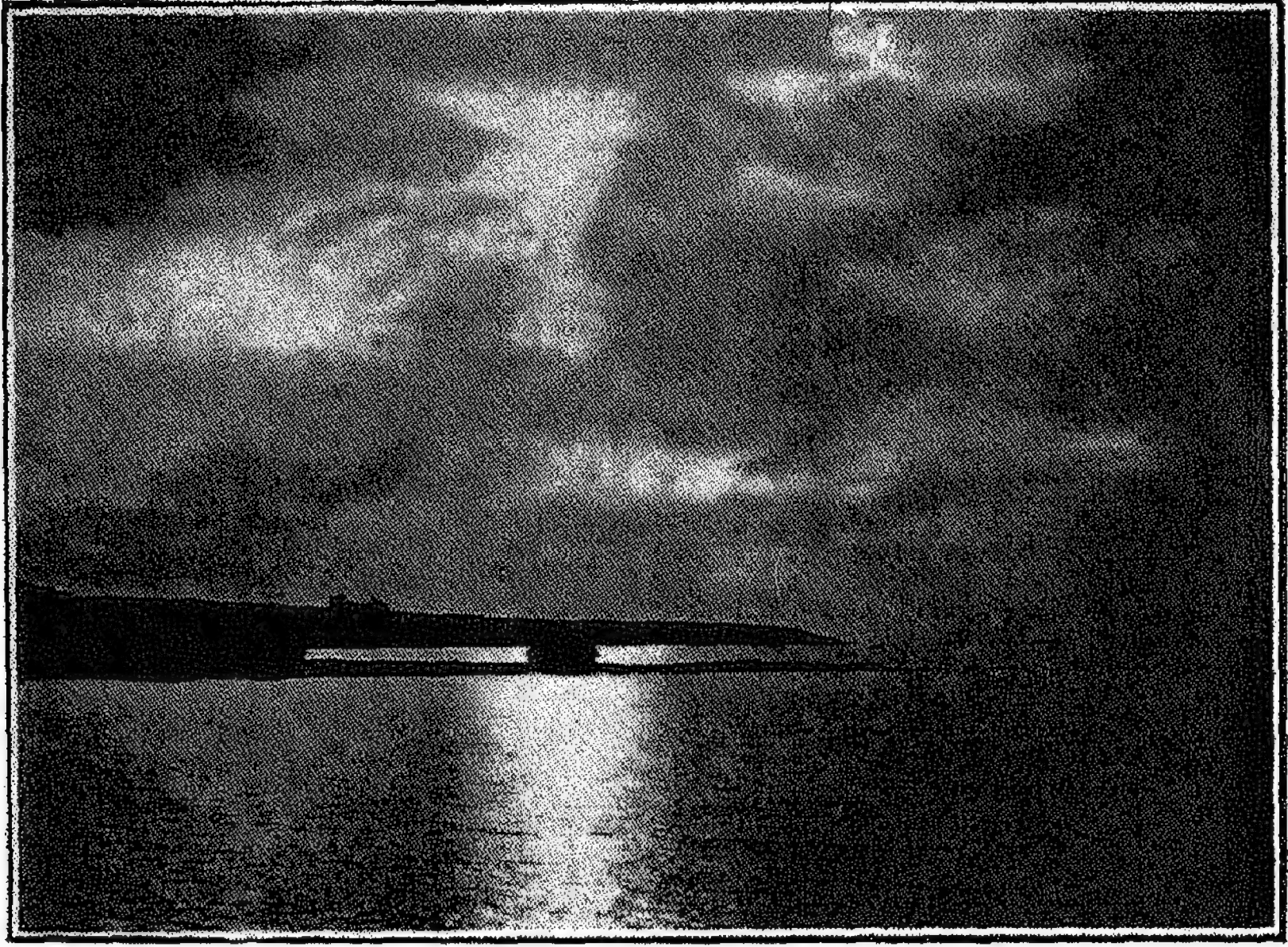
(٢) الرِداء جمع رَذْهة وهي الصخرة في الماء (المعرب)

فوارق وتهمر منسكبةً في الشلال فتثور في حضيضه جأشةً في زبدٍ كالهن المنفوش . والمنظر باجمعه فريد الملاحاة والبهاء وليكنه هائل الى الدرجة القصوى . اقول وهو أحسن ما يُشاهد في تلك المستعمرة من المناظر منظر لا يكاد يفوفه منظر في نقطة اخرى . وأبهى من هذا وذاك منظره تجتليها المين من اعالي الشلال : يسير النيل في مهب الشمال منساباً في مضيق عميق تكتنفه جُرُوف كثيرة الغابات على كلا الجانبين فتجوز مياهه من بينها مترامية على صخور الجنادل الدردورية فتتلاطم عندها مزبدة . اما لون مائه فازرق قائم يقرب من لون اللازورد ولكن حباتك الزبد ناصعة اللون الدالة على وجود الصخور في مسيله تجعل سطحه مخططاً الى ما لا نهاية وقد تعترض الجُرُور مجراه فتجعله عدة مجارٍ متفارزة تشملها الجروف المستعالية الغيلية . ومشاهد جنادل ريبون تنطبع في مخيلة رائيها فلا تمحي منها لانه فضلاً عما يوقعه منظر تلك البقعة في النفس من الخاطرات لِمَا أن فيها منابع النيل فان مرأى البلد نادر الجمال حتى لقد تندغم صورته في ذهن رائيهِ فلا تبرحه . هذا والرسم الملحق بهذه المجلة والقطاعات العرضية تهبي للبصيرة ماهية هذه المساقط ومجرى النهر عاليها وسافلها ^(١)

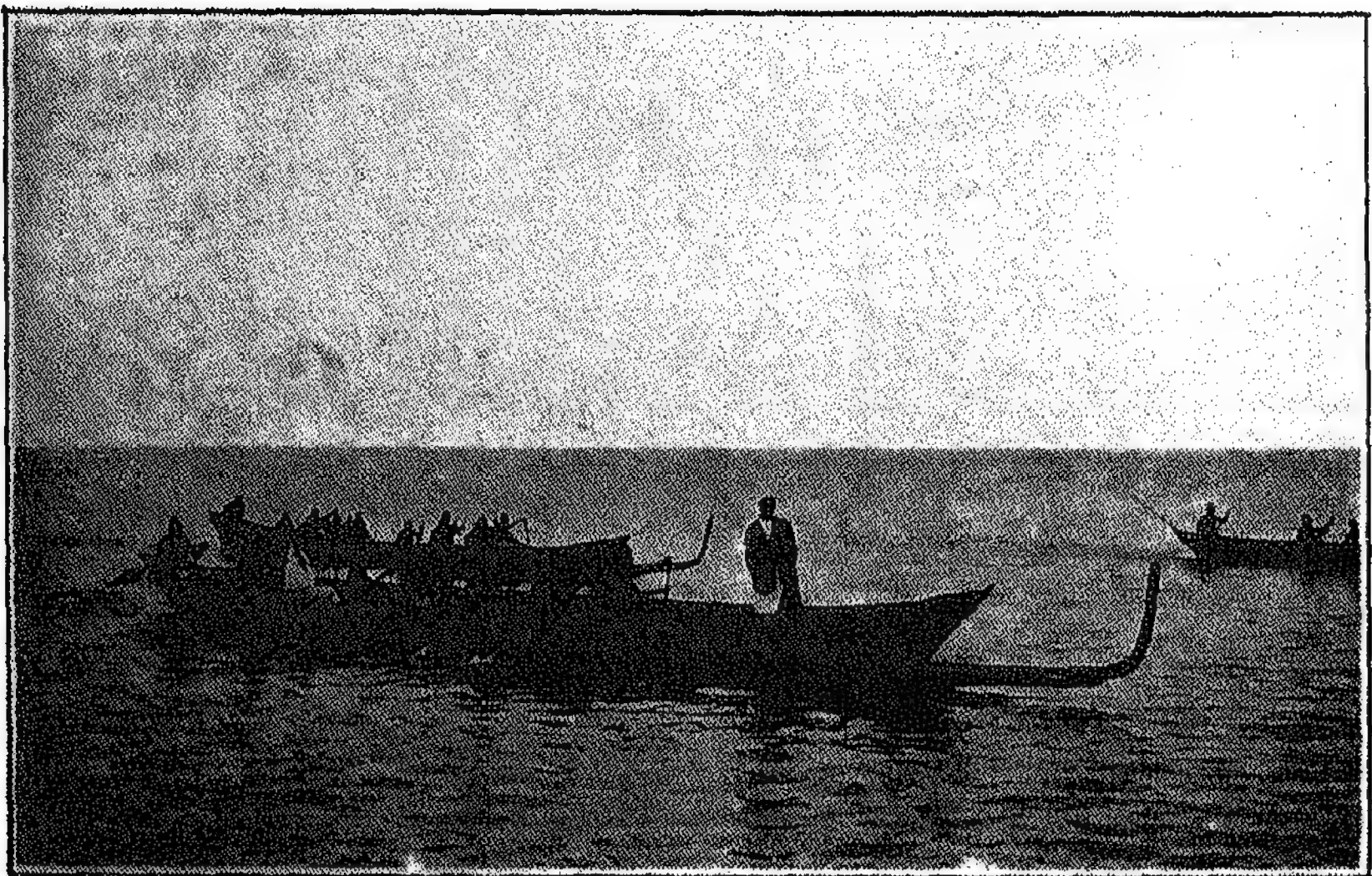
ثم ان عرض النهر في نقطة هي عن الجُرُوف الحجرية نهاء ثلاثمائة وسبعين متراً جنوباً يكون خمسمائة وخمسة عشر متراً ومعظم غوره ستة امتار ولا يجتاز الجُرُف المذكور حتى يتداني جانباه فتقل سعته وربما صارت الى ثلاثمائة وخمسة وخمسين متراً ثم يتسع بالتزايد حتى يبلغ ثلاثة عشر متراً وعندئذ يصير المجرى مجريين أشدهما واعمقهما يسير بازاء الضفة الشرقية ويقع بين هذين المجرين بطيخة سعة مفيضها سبعون متراً ماؤها يكاد يكون

(١) مساحة هذه البقعة باشرها جناب السر جورج هُوَيْهَوْس رأس مهندسي

اوغندا بناء على طلبنا



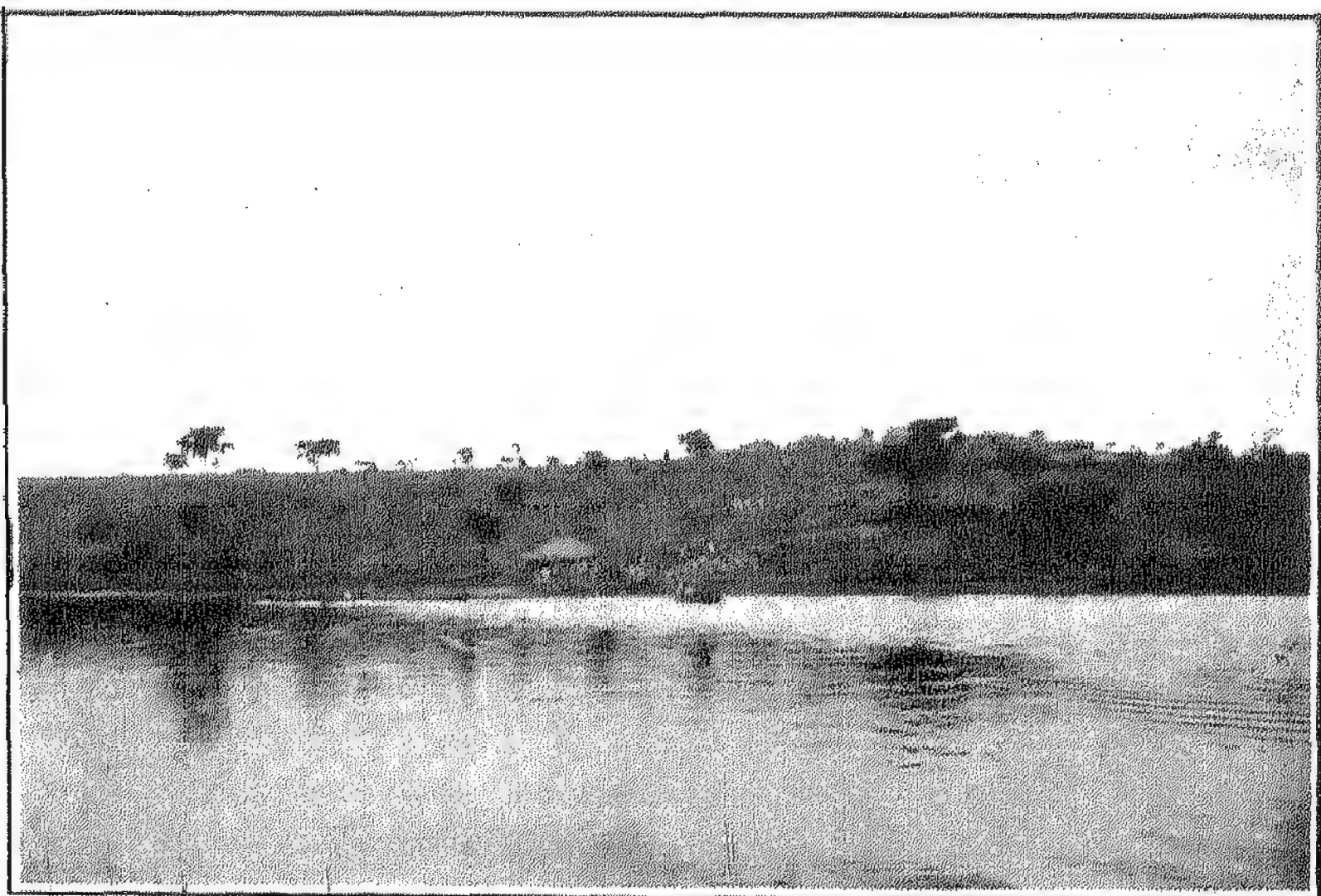
جزيرة بوجايا في بحيرة فكتوريا



زوارق أُعْثِدَّة في بحيرة فكتوريا



خليج نابوليون في بحيرة فكتوريا



مَلَّة جِنَا المَلِكِيَّة فِي قِسم بوشوْجا على بحيرة فكتوريا

آسنًا لا يتجاوز غورهُ متراً واحداً ونصفاً . وإلى الجنوب عن الشلال في شقة قدرها ستون متراً عنه قطعة من صخرٍ مستطيلة ضيقة بارزة في الفرع الشرقي تذهب بالمياه القهقري وتقطع المجرى وعلى ذلك تجتاز المياه معظمها من فوق الجنادل من الفوهة الغربية . وأما الجُرُف الحادث منه الجندل فله ثلاثة مخارج تنفذ منها المياه زالقة من فوقه اعظمها الغربي وعرضه سبعون متراً ولكن الفوهة الوسطية يكون عرضها اربعين متراً . والمخرج الشرقي اصغرها سعته سبعة عشر متراً فقط . وارتفاع مسقط الجندل خمسة امتار . وأما مقدار دَرَك المياه المتزوجة عن قته فيتعذر تعيينه . وبعد الجندل الى الشمال عنه تعدل المياه فوراً الى الجانب الشرقي منعطفة حول صخرة ناتئة ثم تتحول تَوّاً في سمت الغرب فتكون وُجهة مجراه في تلك النقطة شمالية في عامته ويكون متوسط سعة مسيله في مسافة من طوله مائتين وخمسين متراً . والانحدار هناك شديد والجنادل مقيمة فيه على قدر مد النظر ويؤخذ من الاقيسة التي عملت عن ايراد مياه النيل في الثاني والعشرين من يناير سنة ١٩٠٣ على مسافة اربعمائة متر جنوبي الجنادل وعلى مائة متر جنوبي الجُرُف الاول ان سعة النهر في تلك النقطة تكون اربعمائة وستة امتار وتسعين سنتيمتراً ونها غور المياه فيه تسعة امتار وعشرون سنتيمتراً لكنها قريبة الغور على الضفة الغربية منه . وبلغ معظم متوسط السرعة في اي قطاع من القطاعات خمسة وثلاثين سنتيمتراً في الثانية الواحدة واقله واحداً واربعين مليمتراً في الثانية وبلغ المتوسط الذي استخرج ثلاثة وعشرين سنتيمتراً وسبعة اعشار . وأما مقدار التصرف فخمسمائة وثمانية واربعين متراً مكعباً في الثانية الواحدة وكان مقياس جنجا رقة حينئذٍ قدمين وعقدتين أي تسعة وسبعين سنتيمتراً . هذا ولما كانت المراكب التي تستعمل في تلك النقطة من البحيرة قلّة جداً

(١) هذه الجروف الصخرية تبعد بقدر ثلاثمائة وسبعين متراً عن الشلالات

اذ هي قطعة واحدة من أرومة^(١) يتقبونها ويصوغونها قارباً كانت الحال توجب الاحتراس الكلي والتدبر عند مدّ القلّس^(٢) وشد القوارب . هذا وملاحو بازوجا ماهرون في حرقهم ولكن لو تأتى ان ينقسم الجبل في اثناء عملية المقاس في مجرى من النهر هدارٍ حملت مياهه القارب دافعةً اياه في مهواة الشلال . والنهر هناك يسبح في اجوافه جنود جرارة من التمساح

واما مسألة ما اذا كانت جنادل ريبون موقماً صالحاً لان يقام فيه حابس لموازنة المياه وتعديلها فوجز ما اقله فيها الآن ان ليس في اقامة حابس في النقطة المذكورة من الصعوبة الا ما قلّ فالصخر هناك صلد مادته ديوريتية مضمّنة الالتحام ولا تخال الا ملائمة لاقامة ذلك الحبس فاذا اريد اقامته حوّلت مياه النهر (وتحوّلها قليل الصعوبة) فتجوز من واحدة من الشعاب ريثما يتم البناء في الشعاب الاخرى فتي تمّ هذا الجزء تدار المياه على الحبس المصنوع فتمر خارجة من فتحاته ثم تسد تلك الشعبة . واما تخفيض الحرف ففيه صعوبة اكثر اذ ليس تدير التحويلة التي تقام هناك بالامر المستسهل وزد عليه ما يستوجب هذا العمل من نصف الصخور في بطن النهر حتى يتهيأ له مسيل ثابت . نقول ومع ذلك فان هذه العملية ليست العصوبة فيها مستحكمة حتى يمتنع مباعدها وزحزحتها

ولقد لازمنا في مسيرنا من جنجا الى عنّتي بوغاز بوفوما مسافة اربعين كيلومتراً كما فعلنا في سفرنا من بوجايا فهبطنا الى مضيق رزييري والبوغاز واسع يختلف عرضه من بين ستة الى ثمانية كيلومترات وهناك على يمينك براوغندا وعلى شمالك صف من الجزر يقيه شرطغيان الماء . والوجهة العامة سمت الجنوب الغربي وهذا المضيق آمن لاتهيج مياهه الا اذا هبت

(١) الأرومة اصل الشجرة وجزءها (المغرب)

(٢) القلّس حبل للسفينة ضخمة (المغرب)

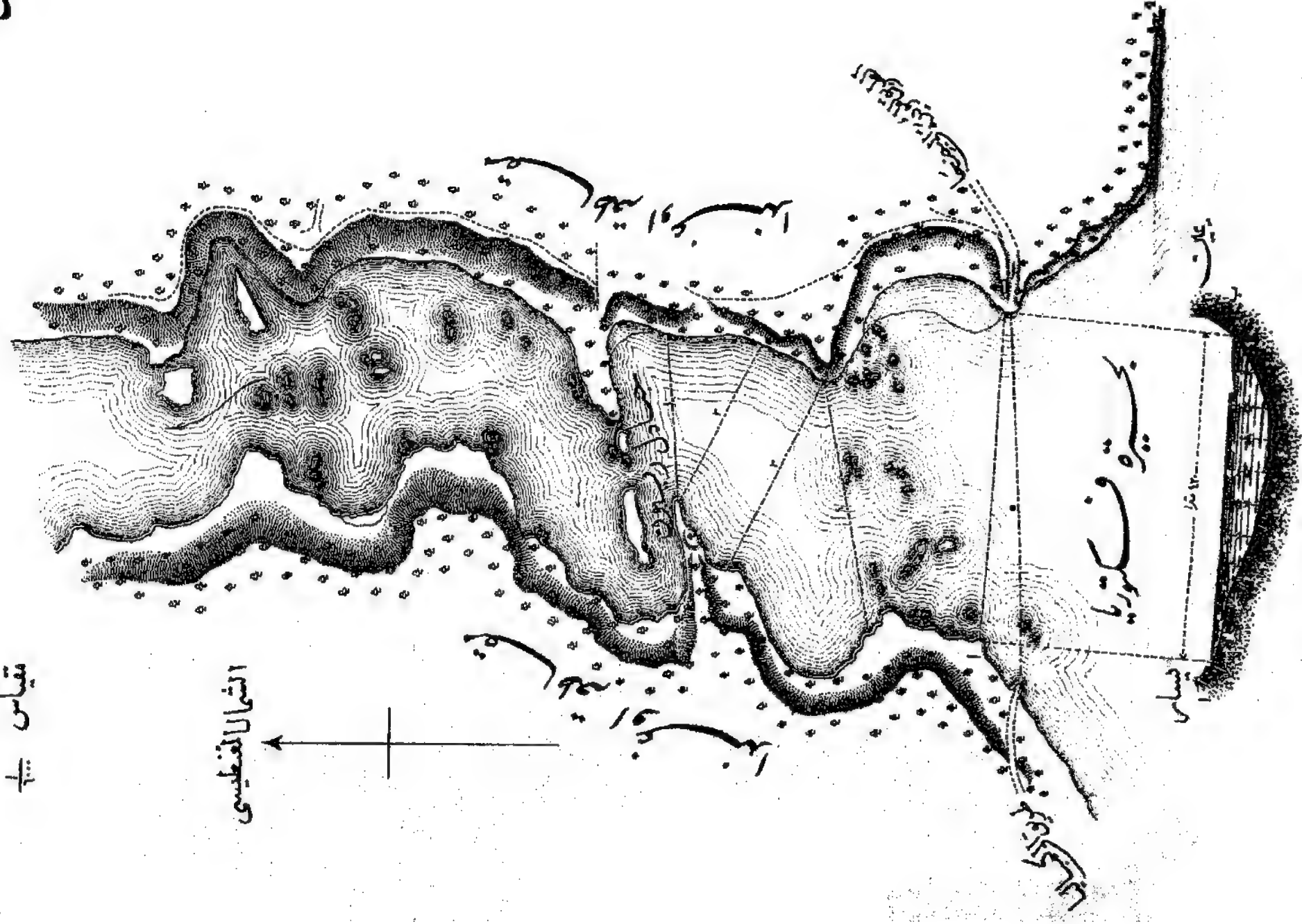
رسم جبال ريبون وقطاعها

مقياس $\frac{1}{100000}$

الشمال القطبي



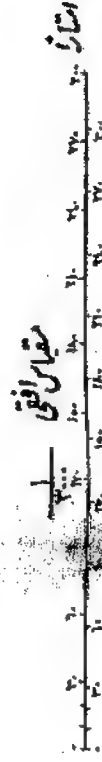
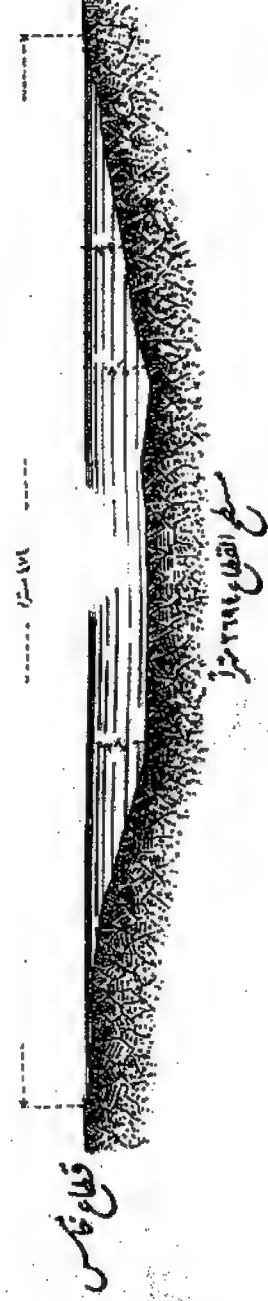
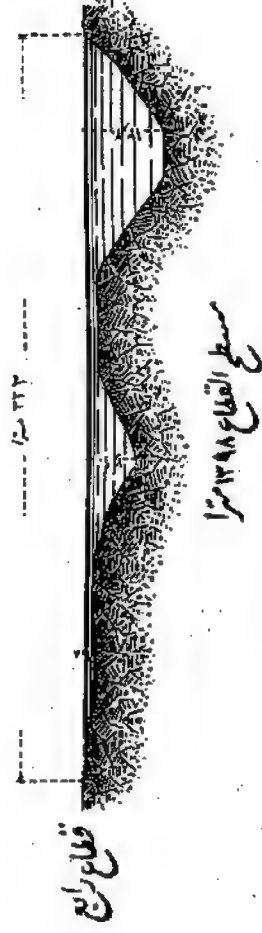
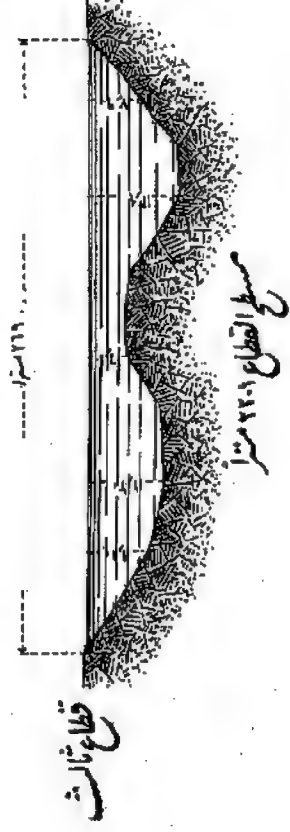
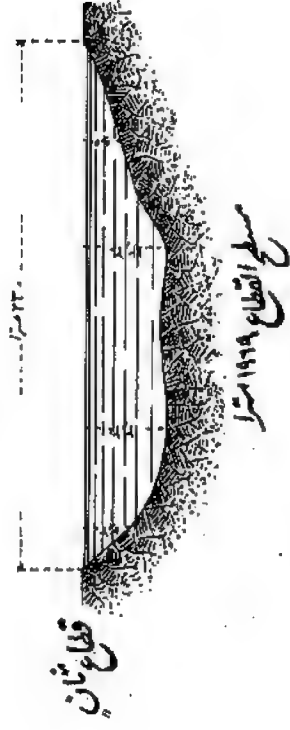
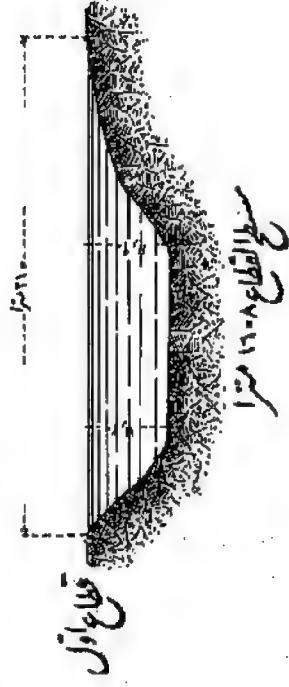
الرسم الأول (١)

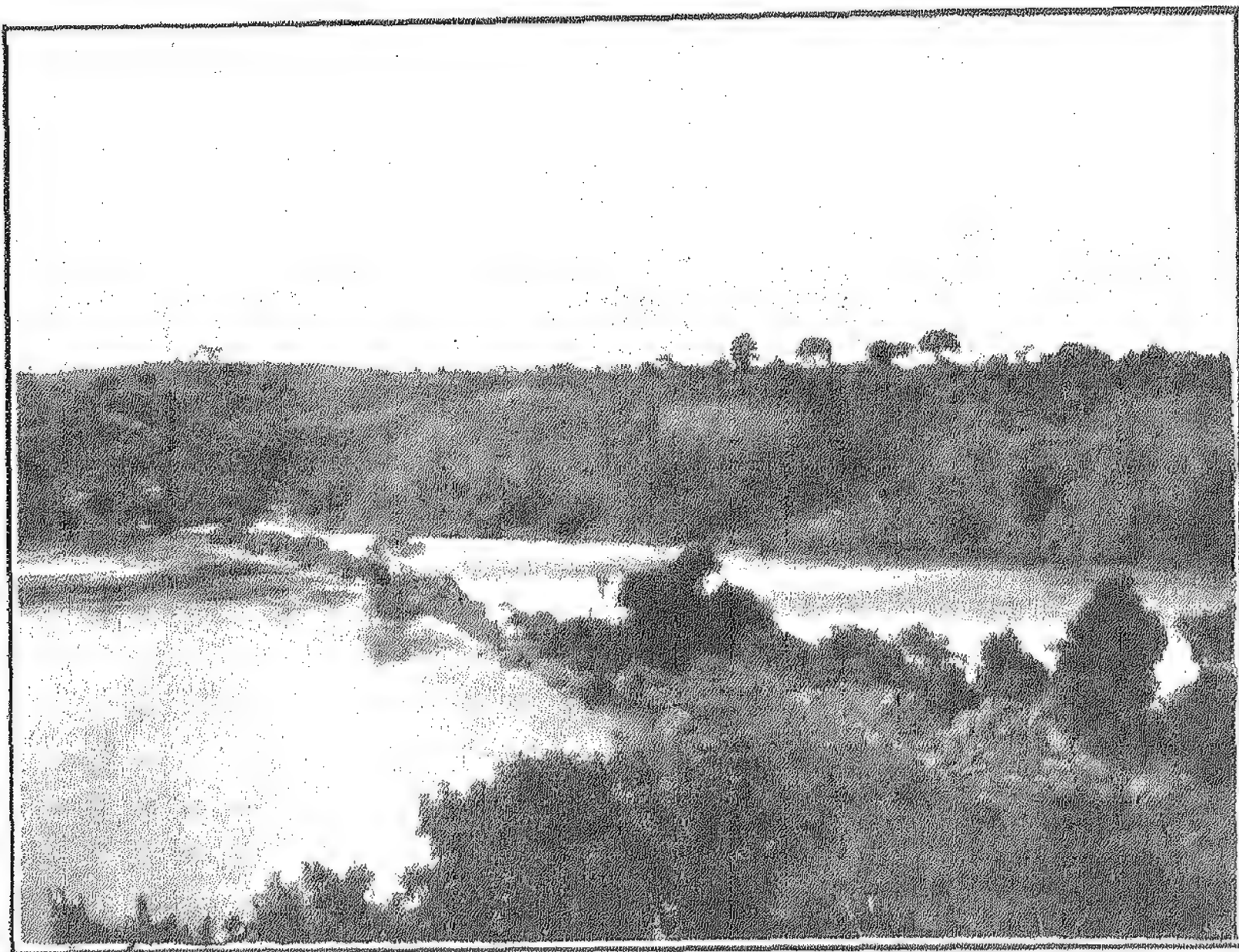


مقياس أفقي
أمتار
بركات

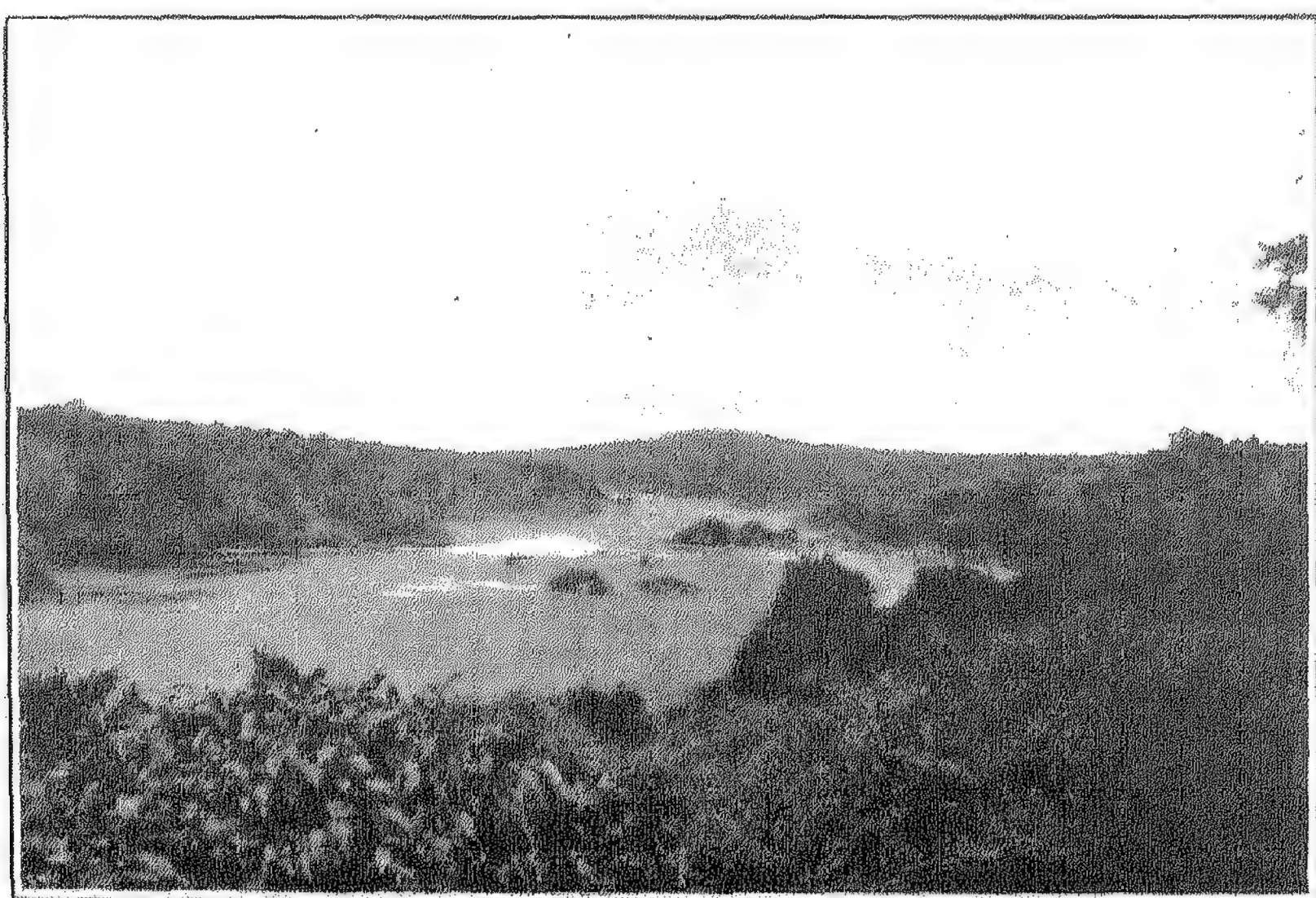
الرسم الأول (ب)

قطاعات عرضية للنيل في سنة ١٨٠٣ عند جبال ريون

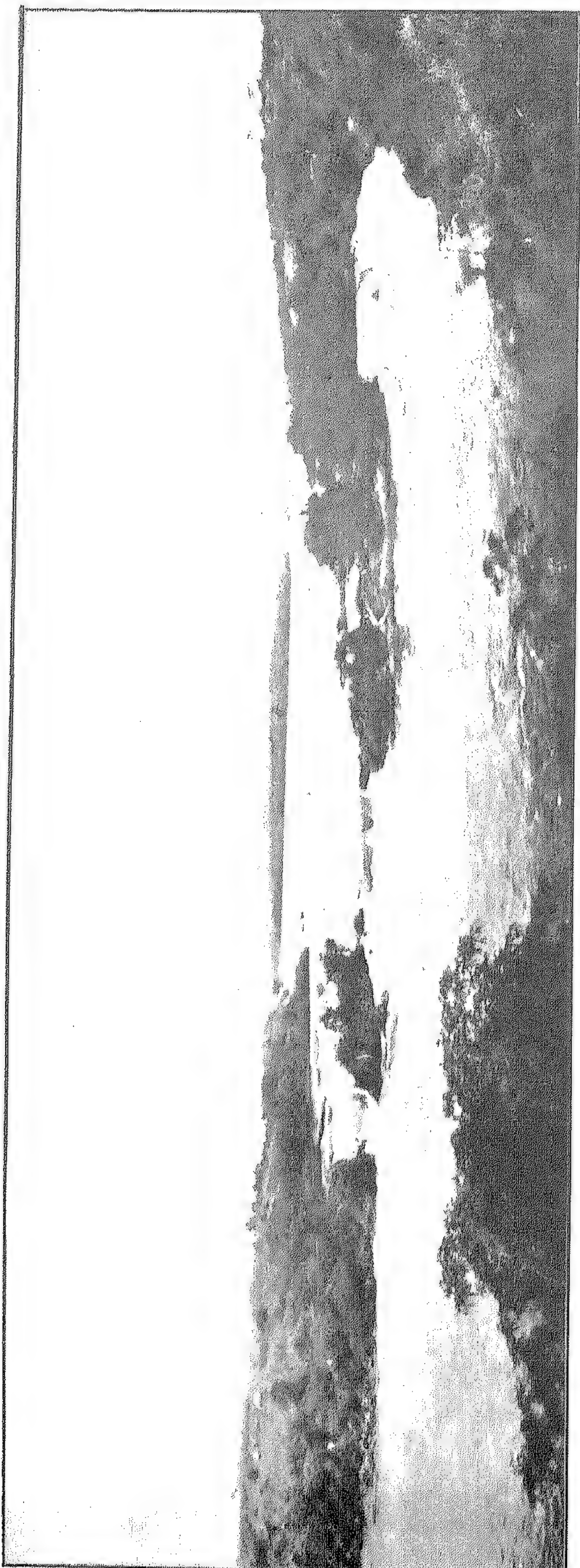




جَنَادِل رِيُون وَخُجج النيل الابيض على بحيرة فكتوريا



النيـل الابيض من خلفه عند جنادل ريون على بحيرة فكتوريا



جَنَادِل رِيُون (عن رسم شمسي للستر قَرْزَبَرَن صَوَيْل)

اليها نسائم شديدة من الجنوب الغربي . وهي الجزر على شمالك قطعة من الارخبيل البوقومي ولكنها من حيث الايرادات معدودة من ارخبيل سسي . ومنظر مضيق رزيري مملٌ مُضجراً . وهناك الخليج والعلاية يتتاليان على نمطٍ مُستقيم . والروابي منخفضة وأعالها مهدات قاحلة جرداء لا غرابة في شكلها ولا ما يستميل النظر الى رسمها . وما من رابية منها يتجاوز ارتفاعها مائة متر عن سطح البحيرة . وعامة ضفاف الخليجان والمسائل غابات وحرّجات . وهذه الارض الصلحاء تنشأ من شاطئ البحيرة في مستطيل يكون عرضه من بين سبعة الى ثمانية امتار والى ما وراء ذلك بقعة من الارض كثيرة الامل والزروع وليس في جوار البحيرة الا ما قلّ من المروت^(١) والآكام ولكن في الوادي داخل البرّ ما جلّ مستنقعات واسعة الاطراف واما مضيق رزيري فاذا صرت في خمسة وخمسين كيلواً متر منه تراه ينفرج مستعرضاً ويعرف هناك بمضيق دَمْبَا وذلك من حد جزيرة دَمْبَا الكبرى شرقاً . والآكام قبالة تلك النقطة تبرز من الماء شاخصة شخوصاً عمودياً والصخور قائمة بمنحدراتها وميولها تغشاها الاعشاب وليس على الشاطئ في تلك الجهة اسكلة او مَورِدات . والوجهة العامة بانحرافٍ على سمت الشرق ومن ثمّ يتبسّط البرّ والآكام تنصرف منكفةً عن البحيرة واغرب ما يُشاهد في تلك الاصقاع قُرى النمل وكهوفه فانها كبيرة ضخمة لاعدّها لها تفترش اديم تلك الآكام الى اعالها . وجزر دَمْبَا لها ساحل متطامن ولكن الآكام الداخلية تذهب علواً في السماء عظيماً واذا وقعت الى نقطة هي حيال مدخل مضيق مركيصن . ينقطع سياق الجزر الى يسار المضيق وترى قبالتك غمراً من الماء يتصل حده بالافق . وتبين معالم جزر سسي للعين الا في الجنوب الأقصى . والمضيق المذكور داخل في الارض مسافة اربعة وعشرين كيلومتراً

(١) المروت جمع مروت وهو الارض العاطلة من النبات (المعرب)

وعلى كلا جانبيه حتى انتهاء حضيض من الارض وهناك قنٌ وروابٌ تداني ساحله الشمالي وترى عند مخرجه جزيرتين صغيرتين جداً^(١) وإذا عبرت المهواة المعروفة بمهواة مركيصن تبيّنت بمراي العين الروابي المدورة الراسية عليها كورة عنتي . وهناك الشاطئ منحطٌ وفيه لفيف كثيف من النخيل المعروف بالرافيا . وفي تلك النقطة خورٌ أو مضيق آخر يقال له خور كيسوي يتباعد دخولاً في الارض نحواً من خمسة كيلومترات ويتلوها ماردة (مائة) عنتي على مسافة مائة وثلاثة كيلومترات من ناحية جنجاً . اما عنتي هذه فكانت تعرف من قبل بـبورتا ليس وهي اليوم مقر مندوب المستعمرة الاغندية ومركز الحكومة المحلية وموقع المحلة جيد ملائم وهي قائمة على رابية او بالحري رايتين يتكيف شكلهما في شبه جزيرة تحيط بها البحيرة من جوانب ثلاثة ومعظم ارتفاعها عن مستوى الماء يبلغ مائة وثلاثة عشر متراً ويصلهما بالبر الاصلي برزخ مطمئن من الارض عرضه نحو من خمسة كيلومترات وفي الجهة الشمالية الغربية عن رايتي المحطة مرتفعٌ أو حزنٌ آخر ارفع منهما هو موقع قلعة قديمة العهد شادها السرهري كوثيل وهي واضحة الاثار الى اليوم مشرفة على البحيرة وبرّ اغندا . والمنظر هناك يمثل بلاد الاغندا صحيح التمثيل وكيفما اجلت الطرف ترى على قدر مد البصر روابي منسطة القن او مدوّرتها ومفاجر اودية على التعاقب بين تلك القن والمفاجر . واعالي القن غاصّة بالدغل والعشب وميولها ملأى بشجر الموز متصل ببعضه بعض الى امد بعيد ووهاد الاودية كثيرة الشجر وفي جميعها آجام وما جل واسعة المساحة ينبت فيها غابات كثيفة من البردي

(١) ان مدينة كمبالا وتعرف بناحية منجوي مقام سلطان اغندا ومركز رسالة الكنيسة الانجليزية والرسالة الكاثوليكية وموقعها في برّ المضيق وتبعد عن ضفته الجنوبية نحواً من اثني عشر كيلومتراً

والقصب وليس في تلك الارض قيد ميلٍ مربع مبسوط الاديم سهلة وهي
آهلة بالخلق وقراها محتاطة بالزروع فهي في تلك الروابي اشبه ببقاع
نضيرة تربتها سمينة الى الغاية والبلاذ على الاطلاق من أخصب بلاد
المستعمرة واكثرها نماءً وتقدماً . ومحلة عنتي تخطيطها حسن ففيها الشوارع
الفسيحة المنظمة تكتنفها سطور الاشجار على الجانبين ودار قائد الجند وديوانه
موقعهما على قمة تشرف على البحيرة وكلاهما في ارض فسيحة تطل على منظر
بديع . واما منازل المأمورين الآخرين فمنبثة في حدرات الميول أحط
ما فيها يعلو عن سطح تلك البحيرة ثمانين متراً . وطنوف سطوحها صفائح من
حديد مغضن او هي مغماة بالقشيش ولكل منها موقع قائم بنفسه حوطة
سياج صائن ومنظر المحلة من وجه عام يشبه منظر معسكرات الجند في
الاقطار الهندية وفي عنتي ايضاً كنيسة وفندق وكثير من الحوانيت والمخازن
والمستودعات التجارية غالبها لتجار الهند والبارسي^(١) : ويقام اليوم هناك
مستشفى آخر في اعلى موقع عن سطح البحيرة^(٢) . ويجوار الحديقة العمومية
باحة للعبة الكرة (الكريكت) ورحاب يلعب فيها الطاب (لنج تنس) . وفي
النية جرّ الماء الى المحلة من عند مالين وهو لسان طويل من الارض داخل
في البحيرة الى الجهة الجنوبية عن تلك المحلة وفي مالين مباني الرسالة الفرنسية
وبين عنتي وكببالا طريق نظيم متسع مستقيم السيرة وتبلغ مسافة ما بين هذين
الموضعين زهاء ثلاثين كيلومتراً . وقد أقيم للمأثاة (الموردة) رصيف صغير
من حجر يصعد منه الى المحلة في سكة مدورة المطاوي تحترق غابة جميلة
زاهية . ومالم تمسسه يد من جوانب الائمة تراه مفروشا نباتاً طبيعياً كثيفاً .

(١) ان في عنتي قليلاً من تجار الالمان والاطليان

(٢) قد أقيم مستشفى مخصوص لمعالجة داء النوم ويلحق به معمل كيماوي
فيه يتولى الطبيب كستلا الابحاث فيما يختص بحويثوين ذلك الداء أي ميكروباته

واما بقعة المدينة فقد كُشف عنها ذلك النبات لكن قطع دابره يستلزم عملاً مستديماً فان الحرارة هناك رطبة ندية تثير النبات فيشب بسرعة غريبة وهناك كما في بورتفلورنس يستخدم الحجر الحديدي كثيراً . واما بهجة المنظر وبهاؤه من عنتي فحدث عنهما ولا حرج . فانك اذا اشرفت على البحيرة ترى في الجنوب والجنوب الغربي جزر سسي بشتات اشكالها تشق رؤوسها اديم الافق وأقرب من تلك الجزر في مهب الشرق ترى جزر دмба وكزني شاخصة في العلى وبينهما الى الجنوب الشرقي يم من الماء كأنه ينتشر في الانحاء كافة وعند رواق الجوّ وصفاء الهواء وسكون البحيرة ينعكس عن بلورية سطح الماء ظل القبة الزرقاء زاهرة بكامل افيائها فتمثل للرائي في تلك المرآة الباهرة كل حرف وجزيرة تمثيلاً دقيقاً صحيحاً وانت تنظر الى الاوراق الخضراء الغضة كأنك ترى في صورة . وتقع مناظرها من خلال الغابات المعجبة للعين او يسترقها النظر مستطلاً عليها من منافذ وسط نخيل الرافيا . وعنتي هذه بما هي عليه من جمال المنظر وحسن الموقع لها معائب ونواقص فان اقليمها أي هواءها حارّ رطب على الدوام ولا يكاد موقعها يصلح للاستشفاء وعباب مطرها اي معظمه في الربيع والخريف غير انه قلما يخلو يوم من مطر الا في ايام معدودة من السنة فاذا وقع علقيت في البيوت غشاوة من تراب ابيض وخرجت اسراب النمل الابيض فكانت على الناس نائبة كبرى . وهناك تكثر الزلازل والارض في الغالب عرضة للعواصف الناسفة وتحدث العاصفة على الغالب ليلاً فاذا تبيّنتها مرة واحدة ينطبع مرآها في مخيلتك وقلما يبرح حتمها . ومبدأ العاصفة على وجه عام نفخة ريح شديدة المهبوب تعبت باعالي الاشجار فتميل رؤوسها ذات اليمين وذات اليسار وتثير في هبوبها عثراً ورمالاً تتطاير في الفضاء كأنها محدثة في اديمه سداً هائلاً ويتلو ذلك رعود قاصفة دويها مقيم وقد تسمع لها قمقمة دাকে والبرق متقارب الوميض حتى يكاد ضياؤه يكون

متلاحقاً متواصلًا ولا تخالُهُ إلا شاقاً كبد السماء منتشراً في أنحاء
الجلد^(١) وفي غصون ذلك تقع الامطار وبلاً مداراً تراه كالجدار الغليظ فيكون
لمنظر هذا السيل الجارف والوميض اللامع فيه أثرٌ في النفس ساحرٌ
والمواصف هناك مخوفة جداً فقد تحترق الشرارة الكهر بائية سقف المنزل
المطوي بالقشيش فتاحق بأثائه فتحرقها ومن عهد قريب اصابته الصاعقة
ديواناً من دواوين العسكرية فدمرتة تدميراً

وحديقة النباتات في الجهة الشمالية الشرقية من المحلة وهي حريّة بأن
تشاهد وتبلغ مساحتها نحو مائتي فدان من الارض واقعة في منحدر الالكة
وتشرف على جون أو خليج صغير وكانت ارضها من قبل غابة وهي اليوم
تُكتشف وتُهيأ . وتربة الحديقة من ممات الاوراق وحُتات الصخر وهي
تربة غاية في الخصب والسمن والحديقة مخططة تخطيطاً حسناً وفيها طوائف
الشجر والنبات ومديرها المستر ماهون يعالج اليوم استنبات كثير من حاصلات
المنطقة الحارة كالكوكو والبن والشاي وشجر الصمغ الهندي (الكاوشوك)
على اختلاف انواعها والظاهر ان هذه الاصناف وكثيراً غيرها زراعتها نافعة
ومن مغروساتها صنوف الفاكهة على كثرة كالاناناس والمنجو والپوپو والشمر
المعروف (ببش فروت) واجناس الموز وانواع الورد الانجليزي والبقول وافرة
فيها نضرة لكن يتسلط عليها النمل الابيض فيؤذيها كثيراً ولا سيما منها
شجرة الكافور المعروف باليو كاليتوس . وفيها ايضاً مثل من جميع الاشجار
البرية النابتة في المستعمرة^(٢) ولما ينمو في عتبي شجرة البود وكربس وشجرة

(١) في شهر يناير سنة ١٩٠٣ قامت عاصفة في عتبي وعدت طلقات البرق
فكانت ستاً وعشرين في الدقيقة وذلك بعد زوال حدة العاصفة

(٢) ان غابات أغندا لها شبه اكبر بغابات الكنجو من حيث تعدد اصناف
الشجر والمتسلقات

الكوكلان مخروطي الثمر لانهما لا تعيشان ناضرين في بقعة يكون مستواها
عن سطح الارض فيما دون الف وسبعمئة متر . ومن أعم واجمل الاشجار
البرية في بلاد أغندا شجرة البنتادينيا افريكانا ويوجد منها مثل عديدة في
تلك المحلة وهي شجرة شبيهة المنظر وحيدة الساق مستقيمة ينشعب رأسها في
السحاب الى علو مفرط وعلى محيط قاعدتها زعانف نابتة منها والغريب في
هذه الشجرة ان أوراقها العليا مكتنفة بسحابة كثيفة من الزهر البني اللون .
وخشبها صالح للبناء . وهناك شجرة العطر المعروفة بباشيلوبوس كثيرة وخشبها
مشهور بجودته ويستخرج العطر من لحائها أي قشرها . ويلقى الرائد ايضاً
كثيراً من شجر الكناريوم والسابتوتا وخشب الاول جيد بخلاف الثاني .
وهناك ايضاً نخل الرافيا بغزارة وفي اختلاف اشكاله وضروبه وتعددتها
ما يروق للنظر وتستخرج المساد اي الالياف من صفار وكثيراً ما يشاهد
شجر الصمغ الهندي المتساق المعروف بشجر نندلفيا واصناف شجر التين
والجيز وفصائلها ويصنع من أليافها نسجة وهي كثيرة في بلاد أغندا ولوزوجا .
وأما نسج الاقشة من لحاء هذه الاشجار فبسيط يسليخ الواجنديون اللحاء
عن جذع الشجرة افلاذاً وقديداً وشظايا ضخمة يطرقونها طريقاً حتى تصير
غاية في اللين والظاهر ان سليخ القشر على هذه الصورة لا يضر ببدن الشجرة
ويباشرونه في ابان بزوغ الاوراق ورعرعتها واجود اللحاء ما جاء من قسم
أغندا واكثر الشجر المستخدم لذلك يربونه في الحدائق فسائل يفرسونها في
الارض ولما اتخذت الاشجار البرية . والشجرة حسنة المنظر ترتفع في السماء
بقدر عشرة امتار وهي وارفة الظل . ومن مستظرف الجمبة أي صفار الشجر
ودقها شجرة البن واختلاف صنوفها وألوانها بديع فترى لها نورا ابيض باهراً
واوراقاً قائمة الاخضرار وهي تفوق شجرة الهند وأغندا حجماً وما يفرس منها
في الاماكن الملائمة لغرسها في المستعمرة بته غاية في الجودة وبُنْ جزر سسي

مشهور بزكاء رائحته ومذاقه وغالبه يستوردهُ بيت من البيوتات التجارية في مدينة ميلان من اعمال بلاد الطليان^(١)

عَوْدٌ - أقول ومقياس البحيرة في عنتي مقام في الخور فيما تحت الحديقة النباتية لكن موقعه غير ملائم تمام الملائمة نعم ان له واقياً يقيه غائلة العواصف لكنه اذا ما انتفخ الماء ولو في أوقات الصحو والسكون يتدرج في الخور فيحدث اختلافاً في ارضاده على ان من المستصعب الوقوف على موقع آخر غير هذا الموقع في جوار المحلة . اما حجابهُ الوافي فحاشيته من نبات القصب والغاب والنبات المعروف بالعنبج . هذا والبلاد المحيطة بمحلة عنتي تربتها حديدية من حضيضها الى أوج آكامها ويغشاها أديم من الابلير الاحمر ومادة طباشيرية لا أثر في سطحه للصخور الصلدة . وفي المستنقعات هناك غَرِيلٌ اي طين عليك لعله غسالة أو قشاة الارض الحديدية

ثم اذا أنت غادرت عنتي ويممت بالقارب جنوباً فانت تسير بازاء الريف لصقاً وترى الى ما بعد التلة القائمة عليها المحلة بأمدٍ مديد منبطحات من الارض شاسعة الاطراف وما جل مستنقعاتٍ غاصة بالبردي والنبات المعروف بالعنبج وهناك ضفير البحيرة معوج مفلج واذا ابعدت عن المحلة اربعة وعشرين كيلومتراً في مهب الجنوب الغربي دخلت في خليج يعرف بخليج ساليسبري وهو خليج عريض ربما بلغت سعته خمسة عشر أو ثمانية عشر كيلومتراً يقع بين البر الغربي وجزر سسي والساحل يتخافض منحطاً شاملاً ما جل ومستنقعاتٍ وروابي تلك النقطة مستبعدة عن البحيرة والمناطق رحيبة واسعة وما البسيط هناك الا مغيضٌ لماء نهر كاتنجا يسير مستبحراً الى البحيرة على مسيرة خمسين كيلومتراً عن المحلة (محلة عنتي) الى الجنوب

(١) معظم ما اورده في ذلك استقطفته عن المستر ماهون مدير تلك الحديقة وقد أفرد لي أصيلاً من النهار اراني فيه ما في حديقته من المنابت والمستنقات

عنها وهو يدخلها بالقرب من جزيرة بُنْجَاكو والعرض الجنوبي اربع دقائق
وبعد مضيّك عن خليج كاتنجا ترى الضفير الغربي يتعالى ودليله تلالٌ
مسطحة القِنَّ يَتمايز علوّها عن سطح الماء من بين مائة متر الى مائة وعشرين
متراً وبين هذه التلال عِلايةٌ فسيحة وغابة ملتفة الشجر تمتد على موازاة البحيرة
متفارزة عنها كيلومترات قليلةً وذلك من كاتنجا الى فم نهر الرويزي والضفير
جنوبي كاتنجا معتدل الاستواء وهناك الخالجان قليلة وهي متضايقة السعة
والمنحدرات غالبها يتدلى الى الماء حتى لا ترى للبحيرة عندها ساحلاً الاّ ما
قلّ من البساط الشجيرة وجزر سسي تلاحف خليج سالسبري الشرقي وهي
اعظم مجاميع الجزر في البحيرة فيه اثنتان وستون جزيرة منها اثنتان واربعون
عامرة مأهولة^(١). واقرب الجزر في خليج سالوسبري لولبا وبوقو وكلتاها
من الجزر الصفري المنخفضة لكنهما حافظتان بالغابات وهما تتدرجان صُعداً
من الشاطئ كثير الجُؤن والخالجان كأنها سُروم وفلول. وفي جزيرة بوقو هذه
قنّة اي تلة طرفها جرُف وعرها أثر عجيب الخلق يملو عن سطح الماء بقدر
مائة وخمسين متراً وعرض الخليج في تلك النقطة لا يتجاوز عشرة أو احد
عشر كيلومتراً واكبر جزر سسي جزيرة بوجالا بعد جزيرة بوقوما وهي عن
عنتي على نحو ستين كيلومتراً ومساحتها تنيف على أكبر ما في جزائر الاملاك
الانجليزية ولا يكون ما بينها وبين البر الاّ سعة خمسة كيلومترات والفاصل
بينهما بוגاز يقال له بוגاز بوجوما. اما ساحل الجزيرة في طرفها الشمالي فطمئن
بسيط تعلوه الادغال الملتفة لكن الانحاء الوسطى منها والجنوبية ففيها رواب
ثلاثة حرُوفاً كالفقرات ربما بلغ ارتفاعها عن سطح الماء مائة متر ونيفاً وشكلها
مشوه غير نظيم وهي مستطيلة جداً ضيقة ملوأة كطاوي الحية يستغرق
حجمها ربع درجة من العرض الجغرافي والى الشرق والجنوب جزيرتان

(١) قاله المستر مارتن جابي الاموال في عنتي والجزر المذكورة في دائرة عهده

عديدة متفارزة

هذا واذا تتبعنا الشاطئ وغادرنا شرفة كثيرة الآجام وجزيرات لومبا على مسيرة ثمانين كيلو متراً من عنتي وقعنا الى محلة بوجاجو وهي مرحل القوافل الى مزاكا وهي قاعدة قسم بدو والساحل هناك مستعل فيه سطر من الجروف الهاوية يكون ارتفاعها عن سطح الماء بين اربعين وخمسين متراً وفي مقدمته ضفير مفرط الضيق ويمتنع النزول الى البر هناك الا بالزوارق ويكاد يتعذر في احايين العواصف لان الى الجنوب عن بوجاجو سماء وماء ولا بر تستجليه العين الا خطأ معتدلاً هو جزء من الضفاف الغربية وبالجملة اقول ان الارساء في تلك النقطة ايام الزوابع خطر جداً واذا تطلعت الى سطح البحيرة من محلة بوجاجو تراه بقمعاً من خليع نبات يستيا استراتيوتس هذا والاخوار البعيدة القاع مدغلة تسير بين الجروف نزولاً حتى تلحق بالماء وهناك عناية سطيحة متسعة متداخلة في البر الى خط الفجوة الكبرى وهو خط يسير والشط الغربي للبحيرة مسافة قصوى . وسأتي على وصف تلك الانحاء باكثر بياناً عند الكلام على الطريق المؤدي من بحيرة فكتوريا الى بحيرة البرت ادوارد . اما منسوب الساحل جنوبي بوجاجو فينخفض تدريجاً وعند خط ٥٥ من العرض الجنوبي أي على مقربة من مصب نهري روينزي وكاجيرا ما جل ومستنقعات فسيحة تذهب اخذة من الريف داخلة في البر مسافة قريبة

ولقد رأيت قبل البحث في مسألة ارتفاع منسوب البحيرة وهبوطه ان ايين بالايجاز الانهار الرئيسية التي ترمي الى بحيرة فكتوريا^(١) لعل في البيان

(١) ان رحلتي في عام ١٩٠٣ كانت قصيرة المدى لم تمكني من تعرف الانهار الا طائفة قليلة منها والذي سأذكره في هذا الشأن ان هو في الغالب الا خلاصة اقوال الرواد ومرسومات خرائطهم وانباء رجال الحكومة في الاقسام التي توجد تلك الانهار في

فائدةً وجدوى ولقد سبق لي ان ذكرت هذه الانهار على قلة ما لدي من المعلومات عن اكثرها فاقول ان الانهار الصابة من مهب الشمال اكبرها ثلاثة سيو ونوزونيا ولوكس^(١) واعظمها نوزونيا وهو أهم مستوردات البحيرة ويقع مخرجه في الاملاك الانكليزية من سفح جبال ناندي وتكون جريته في سمت الجنوب الغربي مسافة مائتين وخمسين كيلومتراً صاباً في البحيرة عند خليج بركلي جنوبي رؤوس الجبال المذكورة التي تتصل بالبحيرة على مقربة من بورتفكتوريا وتعرف هناك بروابي ساميا والمشهور ان مسيله صخري الخلقه عرضه ثمانون متراً تياره سريع حتى في اوان الجفاف وقليل ما هي مخاضاته التي يقطع هومنها ولا يخاص الا في ثلاثة اشهر من السنة هي ديسمبر ويناير وفبراير واما في الاشهر الاخرى فسيله جائش زخار^(٢) ثم نهر لوكس ويخرج من هضاب نندي ويصب في البحيرة على مقربة من نهر انزويا جنوباً وهو اصغر من انزويا قيل ان سعته من بين خمسة وعشرين وثلاثين متراً وعلى ثلاثة عشر كيلومتراً من مصبه يجتاز بحيرة قليلة^(٣) ثم نهر سيو ويفصل قسم كابيرندو عن قسم بوزوغا وتياره بطيء ينبت على ضفافه الغاب وتنصرف اليه مستنقعات الوجيد^(٤) الابليري التربة في تلك النقطة وله سعة قدرها ثلاثون متراً وهو بقدر ربع انزويا حجماً^(٥) واكبر نهر تلتقيه في ساحل البحيرة من

دائرتها . وقد أدرجتها في هذا الكتاب لان الكلام على البحيرة لا يكون تاماً الا اذا قرن بذكر الانهار المدة

(١) ويقال له ايضاً روكس وبالا

(٢) خلاصة اخبار عن مستعمرة الاغندا - نظارة الحربية في شهر سبتمبر سنة ١٩٠٢

(٣) كتاب رحلات السنيتين في اغندا وأنبيورو واعالي النيل للكولونل فندلور

مدرجة في الجريدة الجغرافية في ابريل سنة ١٨٩٧

(٤) الوجيد ما استوى من الارض (المعرب)

(٥) خلاصة اخبار عن مستعمرة الاغندا

الشمال الى مصب الجنوب نهر نياندوله فرع يعرف بنهر كيثوس يقطع السكة الحديدية الاغندية في نقطة لا تبعد كثيراً عن بورتفلورنس وجمهور مائه غزير حتى في ايام القبط والجفاف وتنسكب في نياندومياه الامطار المترامية من جرُوف مَوْ الغربية مارة في بلاد لمبوا ثم تنصرف الى البحيرة عند طرف خليج كاثيرندو الجنوبي والقسم منه يحترق أجة من البردي وترمي اليه مياه اراض واسعة وهو فاصل بين قسمي كاثيرندو ولمبوا^(٢) وفي الاراضي الانجليزية نهران آخران فقط في الجهة الشرقية وهما تويابو وسُنْدُو وينبع كلاهما من روابي لمبوا واكبرهما نهر سُنْدُو يجري مكشوف الضفاف في مسيل حجري الخلقة يختلف عرضه من بين سبعة امتار الى ثلاثة وثلاثين متراً باختلاف الفصول واذا جاءت الامطار طما ماؤه وازبد فتعذر اجتيازه^(٣)

اما الانهار في المستعمرة الالمانية فمعظمها نهر مارا دباش يصب في البحيرة من ضفتها الشرقية عند درجة واحدة من العرض الجنوبي وقال الرواد فيه انه اعظم ممدات بحيرة فيكتوريا غير نهر كاجيرا^(١) وفي الانحاء الجنوبية الشرقية والانحاء الجنوبية على استقامة عددٌ عديد من الانهار تذهب مياهها الى تلك البحيرة والمعروف الى اليوم ان ما من واحد من هذه الانهار مادته غزيرة وكثير منها ما ينضب غديره فترات معلومة من السنة ولما كانت مضاجع ثقيل البحيرة واقعة في الجهة الجنوبية ولا يكاد يبلغ عرضها درجة جغرافية في مواضع كثيرة منه اقل من ذلك كانت تلك الانهار قصيرة المسافة وقد يكون

(١) تقرر نظارة الخارجية للميجر جورج فبراير ١٩٠٢

(٢) انظر تقرير نظارة الخارجية للميجر جورج وللكبتن كارنجي فبراير سنة ١٩٠٢

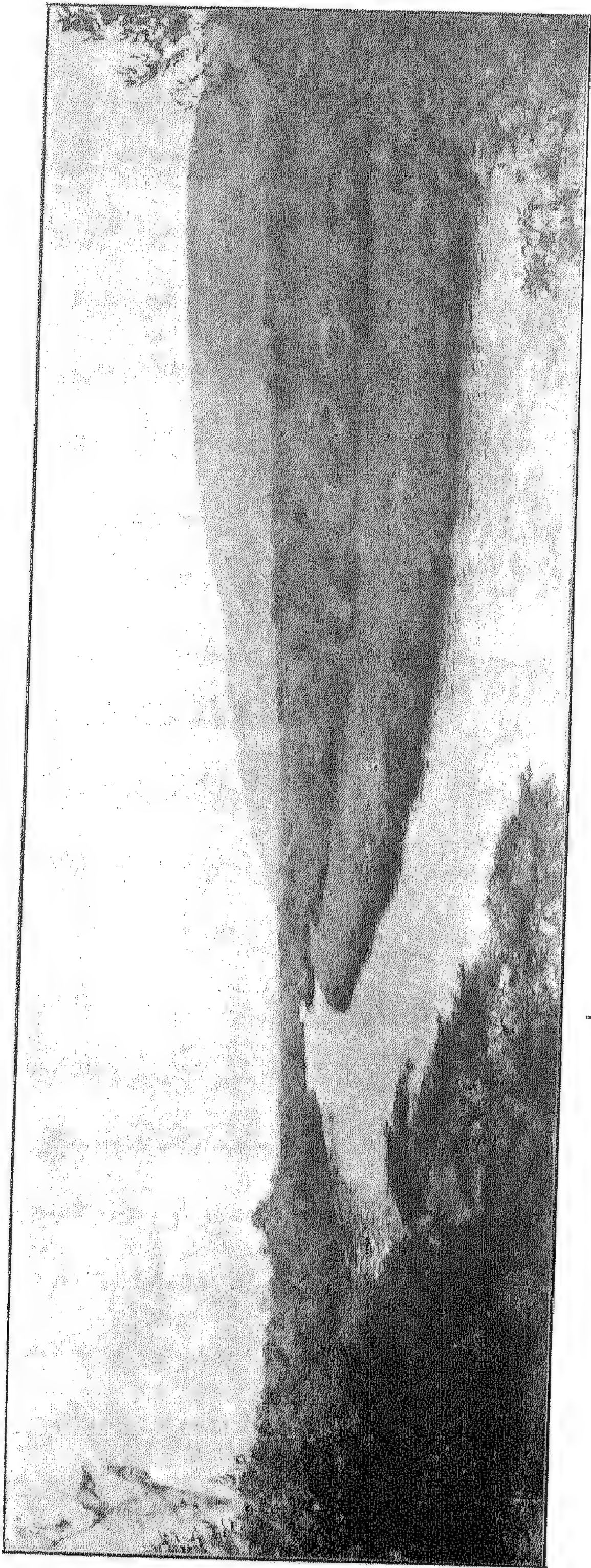
(٣) مصنف كولمان في فكتوريا بيانزا لندن سنة ١٩٠٢

حجم مياهها لا ضابط له بين قلة وكثرة . هذا ولا ينسكب فيها من الضفة الغربية سوى ثلاثة انهر وهي كاتنجا ورؤيزي وكاجيرا اثنان منها وهما كاتنجا ورؤيزي في حدود الشقة الانجليزية واما كاجوا فيبلغ البحيرة من نقطة تكون شمالي الشقة الانجليزية الالمانية يكون سائرهُ متراً في الشقة الالمانية ما خلا شيئاً منه . ثم ان نهر كاتنجا يخرج من العلاية التي تحيق ببحيرة دويرو شرقاً فيسير في سهل متعادٍ بين انخفاض ونشز حتى يتصل ببحيرة فكتوريا بالقرب من بونجاكو على نحو ثلاثين كيلومتراً عن عنتبي في الجنوب الغربي وهو يفصل قسم اغندا عن قسم بدو ومسافة طوله مائتان وخمسون كيلومتراً وذِهِبته في عامة سيره شرقية محضة قال فيه المكتشفون انه مجرى بطيء السيرة يجتاز معظمهُ في مستنقعات البردي^(١) وتكون سعته عند مصبه اربعماية متر ويدخل البحيرة في سبخة واسعة . ونهر رؤيزي ينشأ في العدو العليا من العلاية الغربية في قسم انكولي تتراعى اليه مياه النقييل من ارض واسعة الاقطار ومنشأه في نسيق من الاجام الواسعة تنصب اليه مياه كثير من الجبال القائمة على جانبي مسيله الاعلى ويبلغ طوله مائتين وثمانين كيلومتراً ويقع في بحيرة فيكتوريا بالقرب من نهر كاجيرا شمالاً ووجهة مجراه الغالبة مهب الشرق فيمر بمحلة امبارا قاعدة مقاطعة انكولي وهو نهر جارٍ مثل سائر الانهار التي تفضي الى تلك البحيرة الى الشمال عن التحم الانجليزي الالمانى وبالقرب من تلك المحلة نهر رؤيزي يجري في مضيق ماؤه غور مسافة اربعماية متر وعلى منكبيه رَوَابٍ وعرة يختلف ارتفاعها من بين خمسين الى ستين متراً وسعته ايام الغيض بقرب من سبعة عشر متراً ولقد سُبر غوره في السادس من شهر فبراير سنة ١٩٠٣ فكان خمسة وسبعين سنتيمتراً وكانت المياه حينئذٍ في اقصى انحطاطها وجريتها مع ذلك متراً واحداً واثنين وعشرين

سنتيمتراً في الثانية وكان تصرفه احد عشر متراً مكعباً في الثانية ويبلغ معظم ارتفاع مائه ايام طغيانه مترين فينسب في مفيض سعة مائة متر وقطاعه حينئذ سبعة وسبعون متراً وبما ان جريته في ذلك الحين لا تكون اقل من ثلاثة امتار في الثانية فتصرفه اذا مايتان وثلاثون متراً مكعباً في الثانية . ولما كان انحداره شديداً فلا غرو اذا بلغ تصرفه في جمام فيضه ثلاثمائة متر مكعب في الثانية . هذا ومسيل نهر رويزي سعة نحو من سبعة عشر متراً وغوره متران ونصف ويكاد يكون جرفاه عموديين عليه ومسيله كثير الصخور فهو يجري في تعاريج ومعاطف شتى وقلما تكون في اعاليه مسافة عشرين متراً منه مستوية المجرى . ماؤه كصافي الكهرباء لوناً فهو اشبه بلون الطرب^(١) لكنه شروب وهو مستورد رجال الحامية في أمبارارا . وعلى الف وخمسة مائة متر عن هذه المحلة تهبط مياهه في جنادل وبعد ذلك بثلاثة كيلومترات ترى شلالاً مسقطه ستة امتار ومفيض النهر ما خلا مجراه الفيضي غاص بالدغل مطوياً بالنخيل وطوائف البردي وكذا المهاوي والهضاب مغطاة بالاحراج وفي اواخر مسيله يجوز اجام بحيرتي ماجنجا وكاشيرا وهناك يقترن بنهيز مأتاه من مهب الشمال فيمتزج النهران وفي خروجهما من تلك الاجام يسيران معاً في مجرى واحد يرمي الى بحيرة فكتوريا على مقربة من مصب نهر كاجيرا فيها بعد مروره في نفس تلك الاجام اعلم وفقك الله ان اهم الممدات الرامية الى بحيرة فكتوريا هو ولا ريب نهر كاجيرا المتقدم ذكره بغير قياس واذا صح ان نهراً يمون بحيرة هائلة الاقطار مثل هذه لا بد ان يكون له شأن اكبر في ارتفاع سطحها وهبوطه يكون نهر كاجيرا اذاً اصل النيل ومصدره . غير اننا اذا نظرنا الى ما لمُشتمل البحيرة من المساحة واستدركنا مقدار ما يتبخّر من مائها بالحرارة تبين لنا

ان ذلك الشأن حذس وتخمين وان النهر ما هو الا واحد من الانهار الكبرى الصابة الى البحيرة ولا شأن له قط في مقدار مياه النيل الخارجة منها . نعم يؤكدون^(١) ان تياراً يتخطى البحيرة ويتجاوزها من نهر كاجيرا جنوباً الى شلالات رييون شمالاً ولكن قد يكون ذلك التيار غير ناشئ عن وفرة ما يدخلها من مياه ذلك النهر وان قيل خلاف ذلك فالقول بعيد عن الصحة لا يعول عليه ودليله ان ذلك التيار يُشاهد ايضاً في اوان غيض النهر والارجح انه ناشئ عن هبوب ريح الشمال على وجه الماء في طائفة كبرى من السنة . ولا يصح الحتم بكون نهر كاجيرا مصدر النيل واصله فاما مصدره الا البحيرة نفسها فهي حوض فسيح تتحلب اليه مجارٍ شتى ينصرف منها مقدار مفروض من المياه منسكبة في النهر الاعظم وعليه عمران السودان ومصر . اقول ان نهر كاجيراً قصده عدد عديد من الرواد والسيارين أشهرهم أسبيك^(٢) وأستلي^(٣) وأستلمان^(٤) وبومن^(٥) وأسكت اليط^(٦) ورمسي^(٧) وأثروثا^(٨) وفن جتزن^(٩) ثم جاء من ورائهم رجال الوكالة الانجليزية الالمانية فاستطلعوه وفذلكة ما قالوه فيه هي كما يأتي :

- (١) كتاب مستعمرة أغندا للسرجونستن - لندرا سنة ١٩٠٢
- (٢) فذلكة في اكتشاف ينابيع النيل - جريدة سنة ١٨٦٤
- (٣) كتاب « مجاهل افريقيا » والرحلة الى الديار المدلهمة
- (٤) المعية الامينية في الرحلة الهرسية الافريقية - برلين سنة ١٨٩٤
- (٥) كتاب دُرُخ مسيلند زور نللكله - برلين سنة ١٨٩٤
- (٦) كتاب رحلة طبعي في اواسط افريقيا - لندن سنة ١٨٩٤
- (٧) كتاب أبهندي لنجن دُرُدُتشن مُشتز جيبه سنة ١٨٩٧
- (٨) كتاب ميينه بريسن فن دُتش است افريكا برلين سنة ١٨٩٧
- (٩) كتاب دُرُخ أفر كا فن است نخ وست - برلين سنة ١٨٩٥



نقشه کارپینا (عن رسم شمسی للمهاجور الجین)

مزاج نهر كاجيرا من مياه ثلاثة انهار كبرى اولها نيافرنغو يخرج عند
١ و ٣٠ من العرض الجنوبي في المنحدر الشرقي لسلسلة الجبال البركانية القائمة
بين الانهار الصابة الى بحيرة كيقو والانهار الصابة في بحيرة البرت ادوارد ،
وثالثها نهر اكنيارو ورابعها نهر روفوقو ويخرج هذان النهران عند ٢ و ٥٥
من العرض الجنوبي من رواب حجرية هي حد المفجرة الغربية ويكون ينبوع
احدهما من الآخر جار الجنب ولا تبعد عيناها عن الطرف الشمالي لبحيرة
طنغنيجا ويكون الحرف الفارق هناك ضيقاً جداً وتفترق مياههما وبينهما
الارض سعتها ثمانية كيلومترات فينعطف احد النهرين في مهب الشرق ويصب
في بحيرة فكتوريا وينحرف الآخر صوب الغرب ويرمي الى بحيرة طنغنيجا .
ويجتمع نهر نيافرنغو (وهو على نحو مائتين وخمسين كيلومتراً من مخرجه)
بنهر اكنيارو وبعد نقطة مجعتهما بخمسين كيلومتراً ينجلب اليهما نهر روفوقو
ويكون من مجموعهما نهر كاجيرا المتقدم ذكره . هذا والظاهر ان نهر روفوقو
هو اكبر الانهار الثلاثة المذكورة لكن نهر نيافرنغو اطولها . اقول وقد
قصد الكونت فن جتسن هذا النهر في شهر مايو سنة ١٨٩٤ قال ان عرضه
يبلغ اربعين متراً وغوره من بين اربعة الى خمسة امتار ومستفرغ مائه اربعين
متراً مكعباً في الثانية . وقال الرحالة رمسي انه استقصى سعة النهر في
شهر مارس سنة ١٨٩٧ في نقطة اجتماعه بنهر اكنيارو فاذا بها ثلاثة واربعون
متراً وسبب غوره فوجده يقع بين متر واحد وخمسة وسبعين سنتيمتراً وبين
ثلاثة امتار وخمسة وسبعين سنتيمتراً تصرفه بين اربعين وخمسين متراً مكعباً في
الثانية . قيل ان النهر يقرب من نهر نيافرنغو ايراداً واما نهر روفوقو فقد استقصاه
الرحالة بو من في شهر سبتمبر سنة ١٨٩٢ عند مخاضة روانيلا فكانت سعته
هناك خمسة وثلاثين متراً وغوره ثلاثة امتار وتصرفه مائتين وخمسين متراً
مكعباً في الثانية الواحدة والنهر حينئذ في بدء فيضيه ولقد تبينه ايضاً الرحالة

رَمْسِي فِي مَآيُوسَنة ١٨٩٧ عِنْدَ نَقْطَةِ التَّقَائِهِ بِنَهْرِ نِيَا فَرَنْغُو فَرَأَى سَعْتَهُ هُنَاكَ
تِسْعَةَ وَعِشْرِينَ مِتْرًا وَغُورُهُ خَمْسَةُ أَمْتَارٍ وَنِصْفًا وَجَرِيَّتُهُ اثْنَيْنِ وَتِسْعِينَ
سَنْتِي مِتْرًا فِي الثَّانِيَةِ بِمَعْنَى أَن تَصْرَفُهُ يَكُونُ مِائَةً وَخَمْسِينَ مِتْرًا فِي الثَّانِيَةِ . وَعَنْ
الرَّحَالَةِ بَوْمَنْ أَنَّ لِهَذَا النِّهَرِ مُسْتَمْدِينَ جَدُولَ لُوفِيرِنْجَا وَجَدُولَ مُوَارِيزِي
وَكِلَاهُمَا مَصْدَرُهُ فِي الْجَنُوبِ مِنْ رَوَابِي كَنْجُونْسِي عَلَى أَطْرَافِ بَحِيرَةِ طَنِيفَنْجَا
وَالِي الشَّمَالِ عَنْ مَلْتَقَى النِّهَرَيْنِ هُنَاكَ تَبْصُرُ نَهْرَ كَاجِيرَا ذَاهِبًا فِي سَمْتِ الشَّمَالِ
بِأَزَاءِ الْفَجْوَةِ الْعَظْمَى مَسِيرَةَ مِائَةٍ وَسَبْعِينَ كِيلُومِتْرًا وَيَكُونُ انْحِدَارُهُ فِي تِلْكَ
الْمَسَافَةِ عِشْرِينَ مِتْرًا ثُمَّ يَسِيرُ أَمْدًا مَدِيدًا فِي نَسِيقٍ مِنَ الْأَجَامِ الْكُبْرَى تَنْتَهِي
إِلَى مُسْتَنْقَمَاتٍ بِحِيرَتِي إِبْكِيْمِي وَكَسَنْغِيْنِي . قَالُوا أَنَّ سَعْتَهُ تَخْتَلِفُ بَيْنَ
كِيلُومِتْرَيْنِ وَخَمْسَةِ كِيلُومِتْرَاتٍ وَفِي أَبَانَ فَيُضِئُهُ يَفْعَمُ الْوَادِي مَاءً فَيَغْمُرُهُ فَكَأَنَّ
الْبَحِيرَتَيْنِ وَالْمَنَاقِعَ حَوَاكِمَ تَحْكُمُ مَاءَهُ فَتَنْقُصُهَا نَقْصًا يَذْكُرُ وَعِنْدَ لَا تَوْمَا
(وَالْعَرْضُ الْجَنُوبِي هُنَاكَ ١ وَ ٢) يَنْثَنِي جَفَاةً إِلَى الشَّرْقِ فَيَسِيرُ فِي هَذِهِ
الْوَجْهَةِ مِائَةً وَثَلَاثِينَ كِيلُومِتْرًا ثُمَّ يَصُبُّ فِي بَحِيرَةِ فِكْتُورِيَا عِنْدَ ٥٥ مِنْ
الْعَرْضِ الْجَنُوبِي وَيَكُونُ بِجَانِبِ مَغِيضِهِ مِنْ جِهَةِ الْجَنُوبِ جِبَالٌ رُومَبَارَا .
قَالَ الرَّحَالَةُ لَنْجِفِلْدُ وَتَنْحَدِرُ مِيَاهُهُ هُنَاكَ عَنْ جَنَادِلٍ سَائِرَةٍ فِي وَادٍ تَكُونُ
سَعْتُهُ بَيْنَ خَمْسَةِ عَشْرٍ وَعِشْرِينَ كِيلُومِتْرًا تَنَظَرُهَا رَوَابٍ شَائِخَاتٍ حَتَّى بَلَدَةِ
كَنْتَنْجُولِي وَمِنْ ثَمَّ يَشُقُّ فِي سَهْلٍ أَبْلِيزِي التُّرْبَةَ وَآخِذُودَ مَسِيلِهِ بِعِيدِ الْغُورِ
لَهُ جُرْفٌ ارْتِفَاعُهُ بِقَدْرِ عِشْرِينَ مِتْرًا ثُمَّ تَرَى هَذَا الِارْتِفَاعَ يَتَنَاقَصُ كَمَا
تَدَانِيَتْ مِنَ الْبَحِيرَةِ . وَلَقَدْ تَجَسَّسْتُ اسْكُطُ إِلَيْطُ قِبَالَةَ لُومَا فَإِذَا سَعَةُ مَسِيلِهِ
سِتَّةٌ وَثَلَاثُونَ مِتْرًا وَنِصْفٌ وَجَرِيَّتُهُ مِتْرٌ وَآخِذٌ فِي الثَّانِيَةِ قَالَ إِلَيْطُ أَنَّهُ بِعِيدِ
الْغُورِ . أَقُولُ إِذَا افْتَرَضْنَا دَرَكَهُ (أَيُّ عَمْقِهِ) بِقَدْرِ ثَمَانِيَةِ أَمْتَارٍ يَكُونُ تَصْرَفُهُ
ثَلَاثِمِائَةَ مِتْرٍ مَكْعَبٌ فِي الثَّانِيَةِ . هَذَا وَسَمْتُهُ قِبَالَةَ كَنْتَنْجُولِي تَكُونُ فِيمَا بَيْنَ
مُسْتَيْنَ إِلَى سَبْعِينَ مِتْرًا وَالْغُورُ فِيمَا بَيْنَ تِسْعَةِ وَاحِدٍ عَشْرٍ مِتْرًا وَجَرِيَّتُهُ مِنْ بَيْنِ مِتْرٍ

ونصف الى مترين في الثانية بين فبراير وابريل^(١) وذلك يدل على ان أدنى تصرفه ستمائة متر مكعب في الثانية واقصاه الف وخسمائة . قال الكنت فن أشفينتس ان عرضه في شهر اكتوبر يختلف من بين ثمانين كيلومتراً الى مائة كيلومتر وغوره من بين عشرة امتار الى اثني عشر متراً وعبر عن جريته «بالسرعة^(٢)» ولم يفسح . فاذا كانت تلك السرعة متراً ونصفاً في الثانية فيكون التصرف الفاً وخسمائة متر في الثانية . ولقد تأتى للكولونل دلمي رد كلف وهو عضو في لجنة تحديد التخوم الانجليزية الالمانية ان يستقصي تصرف نهر كاجيرا في العشرة الكيلومترات الاخيرة من مسافته وكان ذلك لستة وعشرين خلت من شهر فبراير سنة ١٩٠٣ (وهو آخر استقصاء بوشر الى الآن) فكان اقله مائة وثلاثة واربعين متراً مكعباً في الثانية بحساب ان سعة قطاعه تكون مائة وخمسة امتار ومنتهى غوره سبعة امتار ومعظم جريته خمسمائة وستة وعشرون من الف من المتر في الثانية وقد عد ذلك احط تصرف للنهر . اذا يقال ان تصرفه يختلف من بين مائة واربعين متراً مكعباً في الثانية الى الف وخمسمائة متر ولولا انتقاص مائه في مسيره لداعي اجتيازه اجاماً وبحيرات لكان تصرفه اغزر من ذلك بكثير^(٣)

اقول ولا تحصل الفائدة المطلوبة من الكلام على بحيرة فكتوريا ما لم يكن مقروناً ببعض البيانات عن هبوط مياهها المتوالي الذي يقال انه وقع في العشرين او الثلاثين سنة الغابرة . ولا خفاء ان هذا المطلب هو من الاهمية

(١) قاله فتزر اخذاً عما كتبه اسبيك وجرانت واستنلي واستمن وفن تروطا

(٢) طالع كتاب « سفرة في مياه كاجيرا » طبع في الجريدة الاستعمارية

سنة ١٨٩٣

(٣) اخبرني ليونل دكل انه لما جاء روفوقو في سنة ١٩٠٠ كان النهر مستفيضاً

بالمساكات

يمكن لاسيا فيما يختص بالديار المصرية لان على مياه تلك البحيرة شربها وهي عماد ارتزاقها. أما ان تلك المياه قد توالى عليها الهبوط في عدة سنين متلاحقة فقضية ثابتة لا ريب فيها ولكن لا يُعلم علم اليقين أهذا الهبوط عارض لا يعتد به نشأ عن قلة مياه الامطار المترامية الى مفيض البحيرة ونزارتها أم هي مياهها تنحسر انحساراً بطيئاً متواصلاً على التوالي كما قد وقع ذلك لبحيرات اخرى من بحيرات اواسط افريقيا . وهذا عليه رجال القسم اجمع

واعلم انه لا توجد ارسادٌ صحيحة يتبين منها الفرق (اذا كان ثمت فرق) بين متوسط منسوب البحيرة الحالي ومتوسطه السابق الا ما تمّ لنا ان نستجليه من الارصاد بالمقاييس التي اقيمت من عهد قريب فنعلم منها يومياً مقدار زيادة المياه ونقصانها . وهاك مجمل ما جمعه من الأنباء في هذا الشأن أثناء رحاتي الى تلك البلاد في شهري يناير وفبراير من عام ١٩٠٣

اولاً - قال الأب أبريسون احد رجال البعثة الفرنسية الى عتبي انه منذ سبع او ثمان من السنين هبط منسوب البحيرة في خور كيسوبي بين عتبي وخور مزيصن شيئاً كثيراً حتى تقلص عرضها بقدر سبعة الى عشرة امتار في تلك المدة

ثانياً - قال المسيو برزداج وهو احد رجال نظارة الاشغال العمومية في مستعمرة أغندا ان الصخور الناتئة عند عتبي على مقربة من الشاطئ . كان رأسها الداخلى في البحيرة غاطساً مغموراً بالماء في عام ١٨٩٦ وفي عام ١٩٠٣ انحسر الماء عنه وبرز فوق سطحه فتخلف منه هنة بقدر ستة عشر سنتيمتراً ارتفاعاً

ثالثاً - وعن المسيو مارتن جابي الاموال الاميرية في عتبي (وهو خبير باطوار البحيرة منذ سنة ١٨٨٩) ان لكسومي اليوم عمرانا ومراعي كانت مواقعها يوم تبنيتها باديء بدء ماء غمراً . وفي اعتقاده ان الامطار قلت على منحدرات مفيض البحيرة فترى مواقع كانت فيما سبق مآجل ومستنقعات وهي اليوم

جفاف . وقد انحسرت المياه عند شلالات ريبون فكان من انحسارها أن قلت سمعتها بقدر عشرة امتار عما كانت من قبل وبما ان الارض في تلك النقطة تصعد من حد الماء صعوداً عمودياً فيكون الانتقاص راسياً ايضاً وهو بقدر متر ونصف . ثم قال ان بقعة سبالا في جزيرة سسي في الطرف الجنوبي الغربي منها هي اليوم يئس وكان من قبل ماءً يجتازه اهلون بالقوارب . الى أن قال وكان في البحيرة جزيرتان منعزلتان عنها فاصبحتا اليوم متصلتين بها ولا فاصل . وكان بين جزيرتي كاينجا ولولمبا برزخ تسير فيه المراكب فأصبحت الجزيرتان اليوم جزيرة واحدة

رابعاً - وعن المستر مكليستر وكيل مندوب الاقليم النيل في مقالة له ادرجت بين منشورات الحكومة عن الديار المصرية (عدد ٢) قال ان للآباء اليسوعيين في مواثنا جنوبي البحيرة سجلاً يدونون فيه الارصاد مأخوذة عن علامات يرسمونها على الصخر يتبين منها ان مياه البحيرة قد هبطت في الخمس والعشرين سنة الاخيرة هبوطاً قدره متران واربعون سنتيمتراً

هذا وأزيد على ما تقدم ما جاء به أستتلي وأستلمن وبؤمن وغيرهم ولكن آراءهم وأدلتهم في بعض الحوادث والامور متضاربة متباينة . ولا مشاحة في ان مياه البحيرة دائمة الهبوط والانحطاط منذ سبع سنين مضت غير اني اقول ان الامطار في تلك الفترة جاءت تحت المتوسط وكادت في النصف الشمالي من البحيرة في عام ١٨٩٩ تكون قاحطة . ولا يبرح دائرة الذهن عند البحث في هذه المسألة ان الرواد الاوربيين لم يتعرفوا هذه البحيرة الا من عهد ليس بالبعيد وهو زمن وجيز بالنسبة للزمن الذي تقتضيه الطبيعة لتغيير قسم كبير من الارض تغييراً كلياً . لكن من المؤكد الثابت ان بعض البحيرات انحسرت مياهها فانخفضت مناسيدها . أما انكماش مياه بحيرة البرت ادورد وانقباضها فقالوا ان بواعثه طبيعية وأما انحسار بحيرات المفاجر الشرقية

وانحطاط مناسيبها (اذا ثبت انحطاطها) فداعيها انخساف طفيف في ارض تلك المفاجر^(١) لكن جزر بحيرة فكتوريا لا يُتَحَلُّ له سَبَبٌ من هذين السنين . ويقال ان لانتقاص مياهها المتوالي سببين قلة السيول الدورية وانخفاض حرف الحاجز بالتآكل والتحات - اقول ولقد بحثنا في امر هذا التآكل بحثاً لمياً فلم نجد له اثراً فالصخر هناك صلد لا دلالة فيه على تآكله غير ما احده احتكاك المياه ومما لا ريب فيه ان حرف الحاجز المذكور سينتقص على مرور الزمن ولكن انتقاصه اليوم بطيء جداً حتى لا يُحْتَسَب شيئاً حيال الهبوط الهائل الذي وقع لياه البحيرة في السنين الاخيرة . اذا لا يصح جدلاً ان يكون الهبوط مقيماً مستديماً فانه سيبتل ولا ريب اذا سالت الامطار مدراراً على سالف طريقها فترتفع مياه البحيرة حينئذٍ راجعة الى منسوبها الاولى^(٢)

ومما أوجب ذكره قبيل مبارحة الكلام في هذا الباب ان الكبتن ليز مدير عموم مصلحة المساحة المصرية وهو من علماء الطبقات الارضية المشاهير قد عانى البحث في المسألة من حيث تكوين عالية البحيرة وما

(١) يقال ان بحيرات نيقاشا والمنظيطه وبرنجو قد تناقصت مياهها بخلاف بحيرة نكوروفان مياهها قد تزايدت

(٢) بعد كتابة ذلك خرج المسيو بُرداج من بلاد الاغندا في اوائل اكتوبر سنة ١٩٠٣ طالباً مدينة القاهرة فبلغها في التاسع عشر من ديسمبر وحدثني بما يؤيد ما اوردته قال ان البحيرة قد تعالت مياهها علواً بعيداً حتى اصبح النائي الواقع عن عنبي وورد ذكره في الملحق الثالث غاطساً في البحيرة والماء يعالوه بقدر متر وان المياه تماظمت عند رصيف عنبي فصارت الى خمسين سنتيمتراً عن سطحه وتقديره في الاصل ان يكون ذلك السطح اعلى جسام المياه العادي بمتر واحد وثمانين سنتيمتراً ثم قال ان جميع ما كان قد انكشف من بطن البحيرة بانحسارها في هذه السنين الاخيرة أصبح اليوم مغموراً بالمياه

جاءت به أرصاد المقاييس المقامة حديثاً من المناسيب المستغربة الغامضة^(١) والذي حير الباحثين في امر هذه المقاييس وضللهم انما هو التباين العجيب فيما بين مناسيب البحيرة المرصودة عند عنتي والمناسيب المستجلالة عند كُسومي وجنجا فبينما كانت المياه في مقياسي هاتين النقطتين تنخفض كانت بمقياس عنتي تواصل الارتفاع . قال الكبتن لينزان هذه المحلة غشيتها الزلزال في عامي ١٨٩٨ و ١٨٩٩ فانخفض به اديمها بعض الانخفاض وادى ذلك الى التباين المذكور لكن تخطر الارض بذلك الزلزال لم يكن ماساً بخايج نبوليون وجنجا ولا بخايج كفيرندو وكسومي . ثم في عام ١٩٠١ عالت المياه بمقياس عنتي فصارت أعلى منها بمقياس جنجا وكسومي بقدر ثلاثين سنتيمتراً ذلك يشير الى ان خوارق حدثت في عنتي انتجت هذا الانقلاب والتغير اما مقياسها ففي نقطة آمنة لا يدنو لها البحارون ولا الصيادون ويرقبه المسيو ماهون ناظر حداثق النبات راصداً مناسيبه بغاية الدقة . وقد أثبت الكومندور هو يتهوس في مذكرته ان المياه بمقياس كسومي لم تنقص قط في تلك الفترة ولكنها بمقياس عنتي كانت تتزايد . ومن المعلومات التي تناولها الكبتن لينزان المشار اليه نظرية هي ان الارض عند عنتي زلزات زلازل متقاطعة ساقطت الى المقاييس خلاً وتشويشاً فاصبحت عاطلة لا تصلح لرصد المنسوب في البحيرة لشدة اضطرابه بين صعود ونزول . قلت وتعبير هذه الحادثة معقول يستصعب ان يؤتى بأحسن منه في هذا الصدد فان مقياسي كُسومي وجنجا يتطابقان ولهما أرصاد يعول عليها في الزيادة والنقصان^(٢) . والخلاصة ان اقصى فورة مياه

(١) ترى مذكرة الكبتن لينزان مذكرة ذات فائدة جلي وهي ملحقة بهذا الكتاب وكذا مذكرة الكومندور هو يتهوس في هذا الشأن

(٢) ان سبب اختلاف المناسيب بين ارصاد جنجا وارصاد كُسومي في شهر ديسمبر سنة ١٩٠١ ظل في حيز الخفاء حتى تبين لأولى الشأن ان رجال الحكومة كانوا

البحيرة تتفاوت من بين قدم واحدة الى ثلاث اي من بين ثلاثين الى تسعين سنتيمتراً في السنة وان مياه البحيرة قد انحطت في السبع السنين الاخيرة بقدر ستة وسبعين سنتيمتراً عن متوسط المناسيب ولكن لا دليل على كون الانحطاط ثابتاً مكيناً فان المعلومات التي وعيناها وما اكتشفناه من امر الامطار في تلك الاصقاع يدل دلالة واضحة على ارتفاع في عام ١٨٧٨ عقبه هبوط متواصل من عام ١٨٨٠ الى عام ١٨٩٠ تلاه ارتفاع متواصل من عام ١٨٩٢ الى عام ١٨٩٥^(١) ومن ثم هبوط متواصل من عام ١٨٩٦ الى عام ١٩٠٢ . ومما لا ريب فيه ان المناسيب في تلك الفترات كانت تتعلق تماماً على مقدار الامطار بحسب ما اتصل بنا بناءً عنها

بقي علينا^(٢) ان نستبين وجه الارتباط والتقارن بين مبلغ المياه الداخلة الى البحيرة في كل سنة والمقدار الذي يستورده النيل عند شلالات ومساقط ريون والكمية التي تتطاير منها بالتبخر . قلت فيما سلف ان المعلومات الاساسية فيما يختص بجمهور المياه التي تقع في قربات البحيرة غير وافية وان تقرير تلك المياه في البلاد التي في منطقة مفيض البحيرة الواسعة الارزاء لا ضابط لها ولا حاكم وعلى ذلك يستحيل تقدير مبلغ المياه الدورية

قد خفضوا مقياس جنجا بقدر ثمانية وعشرين سنتيمتراً وسهوا عن ذكر ذلك اولم يدونوا الفرق في سجلات ارصادهم

(١) لا يعول على ارصاد عامي ١٨٩٣ و ١٨٩٤ فانها سقيمة

(٢) ان ابحات الكبتن لينز فيما يختص بمياه السيل ومناسيب البحيرة كشفت الستار عن اولية بديهية وهي ان متوسط ارتفاع المياه في البحيرة في سنة ما من السنين متعلق على مقدار الامطار التي تجي في شهري نوفمبر وديسمبر من السنة التي قبلها والغالب ان تبلغ المياه اقصى منزلتها في شهر يوليو وتدل ارصاد السيل على انه اذا السماء درت بالمطر الغزير على مواطن السيل في شهري نوفمبر وديسمبر من اية سنة فرما كان متوسط المنسوب في مدار السنة التي تليها مرتفعاً

الداخلة الى البحيرة تقديرًا صحيحًا نيرًا غير اننا مع ذلك يصح لنا ان نعالج تقديرًا يكون منه فائدة ونفع ولو كانت المعلومات قاصرة قليلة ولا يبعد ان يجي رقم التقدير احط من الرقم الصحيح . راجع ما قلته في صفح ٢٠ و ٢١ و ٢٢ من هذا الكتاب تر ان متوسط الامطار الدورية بقدر ما بلغته الابحاث والاستقصاءات الى الآن يتجاوز مترًا واحدًا وعشرين سنتيمترًا في الطرف الشمالي للبحيرة ومترين في الطرف الجنوبي منها وللساوك في حساب التقدير المذكور نجعل اقل متوسط الامطار مترًا واحدًا وخمسة وعشرين سنتيمترًا او خمسين عقدة في عامة منطقة البحيرة - فنقول

تبلغ منطقة مضاجع السيل مائة واثنين وسبعين الفًا من الكيلومترات المربعة ومساحة مفيض البحيرة نفسها ثمانية وستين الفًا ويجب ان يعتد بمقدار ما يتسرب من مياه السيل الى المهارب وهي الانهار والجداول ثم ان ارضًا واسعة المساحة من تلك المنطقة دغلة كثيرة الحرجات قيل ان في بعضها ولا سيما منها البقاع الجنوبية والجنوبية الشرقية شتات الشجر وقد اتفق القوم على تقدير ما يجري من مياه المطر الى الانهار والجداول والمصارف في الانحاء الشجراء الغاصة بالادغال بقدر خمسة وعشرين بالمائة من الامطار اي ربعها واكثر من الربع في الانحاء قليلة الشجر وعلى ذلك يصح القول بان متوسط ما يدخل البحيرة من الامطار الدورية يكون بقدر خمسة وعشرين بالمائة في الاقل من مقدار الامطار الدورية كافة وهاك التفصيل

متر مكعب	
منطقة مضاجع السيل ١٧٢٠٠٠ كيلومتر مربع $\times ١,٢٥ \times \frac{٢٥}{١٠٠}$	٥٣٧٥٠٠٠٠٠٠
سطح البحيرة ٦٨٠٠٠ كيلومتر مربع $\times ١,٢٥$	٨٥٠٠٠٠٠٠٠
الجملة	١٣٨٧٥٠٠٠٠٠٠

هذا فيما يختص بمستورد تلك البحيرة واما فيما يختص بمقدار ما يستدره النيل منها في سنة تكون مياهه فيها على قدر معتدل قال المستر كيريج ان متوسط ما

ينصرف من البحيرة عند شلالات ريبيون يبلغ خمسمائة وخمسة وسبعين مترًا مكعبًا في الثانية أعني تسعة وأربعين مليونًا وسبعمائة ألف متر مكعب في اليوم أي ثمانية عشر ألفًا ومائة وأربعين مليونًا في السنة أي ثلاثة بالمائة من المجموع المتقدم ذكره وهو كما لا يخفى طفيف بالنسبة إلى مقدار ما يدخلها من المياه . ولمعرفة ما يصير إليه فاضل ماء البحيرة وهو سبعة وثمانون بالمائة يجب تدبير ارضاء المقاييس المثبوتة الدالة على منازل سطح مائها بين صعود وانخفاض يومَ يومَ وبالبحت لم أر قط أحسن من مقياس كسومو أساساً للعمل لأن ارضاءه تكاد تكون مستكملة متواصلة وهي دقيقة إلى الغاية فأخذت عنه نسبيًا من ارضاء المناسب في ثماني سنين مبتدئًا من سنة ١٨٩٦ إلى سنة ١٩٠٣ حاذفًا منها سنتي ١٨٩٧ و١٨٩٨ لأنها غير متواصلة بسبب الثورة المهدوية . وتبين لي من تلك الارصاد ان متوسط المنسوب كان في مجمل تلك السنين ستة وستين سنتيمترًا وان الارتفاع كان معظمه في سنة ١٩٠١ اذ بلغ فيها تسعة وثمانين سنتيمترًا وهاك جدول ذلك

سنتيمترات	اقدام	عقد	السنة
٤٦	$\frac{1}{2}$ ٦	١	١٨٩٦
٧٩	$\frac{1}{4}$ ٧	٢	١٨٩٩
٦٩	٣	٢	١٩٠٠
٨٩	١١	٢	١٩٠١
٣٢	$\frac{1}{2}$ ٠	١	١٩٠٢
٨١	٨	٢	١٩٠٣
٦٦	٢	٢	المتوسط

ومن الواضح ان ضرب مقدار هذا الارتفاع بمساحة وجه البحيرة يكون محصله مقدار المياه المنسكبة في البحيرة امتارًا مكعبة في سنة واحدة مُنْقَطًا منه مبلغ التبخر ومقدار ما يستنزفه نهر النيل من تلك البحيرة ففي سنة الفيض المُقْبِل كفيض ١٩٠٢ بلغ ذلك المقدار واحدًا وعشرين ألفًا وسبعمائة

وستين مليوناً (٢١٧٦٠٠٠٠٠٠٠) وبلغ متوسط السنين الست المتقدم ذكرها ما خلا سنتي ١٨٩٧ و ١٨٩٨ اربعة واربعين الفاً وثمانمائة وثمانين مليوناً (٤٤٨٨٠٠٠٠٠٠٠) وفي سنة الفيض المكثر كفيض ١٩٠١ بلغت المسكبات ستين الفاً وخمسمائة وعشرين مليوناً (٦٠٥٢٠٠٠٠٠٠٠) هذا وقد اتخذت اساساً لعددي واحصائي متوسط مكعبات الست السنين المذكورة وقدره ٤٤٨٨٠ مليوناً من الامتار المكعبة والشيء معقول لان الاحصاءات كلها قاعدتها المتوسط عدداً . — اما عن مقدار ما يتبخر من مياه البحيرة فأقول . افرض (١) مقدار المياه المنسكبة في البحيرة في مدى حَوْل كامل أي ١٣٨٧٥٠ مليوناً و (ب) مقدار ما يفيض به النيل في حَوْل واحد وقدر ذلك ١٨١٤٠ مليوناً . و (ج) مقدار ازدياد البحيرة في حَوْل واحد ايضاً وقدره ٤٤٨٨٠ مليوناً بعد استئزال مبلغ التبخر والتصرف فيكون مبلغ التبخر في السنة هكذا

$$١ - (ب + ج) = ١٣٨٧٥٠ - (٤٤٨٨٠ + ١٨١٤٠) = ٧٥٧٣٠٠٠٠٠٠٠$$

متر مكعب بمعنى ان خمسة وخمسين بالمائة من متوسط ما يقع الى البحيرة في الحَوْل يتصاعد في الجو بخاراً^(١) او ان التبخر يقلل منسوب البحيرة بقدر متر واحد ومائة وثلاثة عشر مليوناً (١٣ ١٦٠) في الحَوْل أو ثلاثة مليمترات في اليوم والحق ان معدل التبخر اليومي يختلف مقداره في اثناء السنة اختلافاً كلياً ولا تبخر في فصل الشتاء متى طبق السحاب الجو وانهمرت الامطار وربما وقع اكثره في غضون اشهر القيظ والجفاف وهي خمسة يناير وفبراير ويونيو ويوليو وأغسطس وعلى ذلك فيكون التبخر فيها بقدر سبعة مليمترات في اليوم . واعلم ان ما آتيناها في ما تقدم من التقدير كمساحة مفيض الماء ومساحة البحيرة ومتوسط الامطار الدورية ومتوسط ما ينصرف الى الانهار والجداول ومتوسط تصرف النيل في السنة إن هي كلها الأتخمين . فكلما كبرت دائرة الامام بهذا الموضوع

(١) لم اعتد في تقديري بمقدار ما يغور من الماء في بطن الارض

استلزمت الارقام التي اوردتها تنقيحاً وتعديلاً كبيرين . ومع صحة ما قلته فان تخميني اسندته الى مفروضات وارجحيات فان سعة مضاجع السيل في الارض والبحيرة اخذتها عن احدث الخرائط الارضية ومقدار مياه الامطار اركنته الى ارساد قليلة صارت الي . واما متوسط ما تستورده المهارب من ماء المطر ففيه ريب لكن المقدار الذي اوردته هنا ما هو الا بالقياس على ما يفرضونه من وجه عام لامطار البلاد ذات الحراج والادغال . اما مقدار تصرف النيل في السنة فمحصى من قطاعات مأخوذة ومن ارساد ما للمياه من الجرية . وبناء على ما تقدم يتي ما اوردته من التقدير ثابتاً ريثما تشير المعلومات التي يكشفها الزمن الآتي الى وجوب التعديل المذكور بكمياته وكيفياته

وقبل الانصراف عن هذا البحث يحسن بي ان استطلع ما يكون من شأن البحيرة فيما لو اقيمت قناطر تعديل وموازنة في شلالات ريبون تحبس بها مياه النهر وتحكم لعل ذلك يحدث ازدياداً في منسوب البحيرة . فاقول ان متوسط تصرف النيل هناك يبلغ تسعة واربعين مليوناً وسبعمائة الف متر مكعب في اليوم فلو حبس هذا المقدار عن الانصراف من البحيرة لارتفع منسوبها بالنظر العلمي بقدر اثنين وسبعين جزءاً من مائة الف من سنتيمتر في اليوم (٠.٠٠٠٧٢) او (٠.٢٦٢٨) في السنة ومحصل ذلك انه يقتضي لرفع ذلك المنسوب بقدر متر ثلاث سنوات ومائتان وثلاثة وتسعون يوماً لا بل يستوجب ذلك مدى أبعد لان التقدير المذكور مبني على فرض ان مساحة سطح البحيرة لا تزيد بارتفاع المنسوب والحال انها تزيد زيادة محسوسة لان المياه تغمر حينئذ النقايع والمنخفضات من الارض في فسيح شاسع من البلاد وزيادتها على هذه الصورة يزيد التبخر زيادة نسبية لا ريب فيها . هذا وايراد النيل في عامة تلك الفترة معدوم

الفصل الثالث

في البلاد الواقعة فيما بين بحيرتي فكتوريا والبرت ادورد
ومنها قسما بدو وانكولي

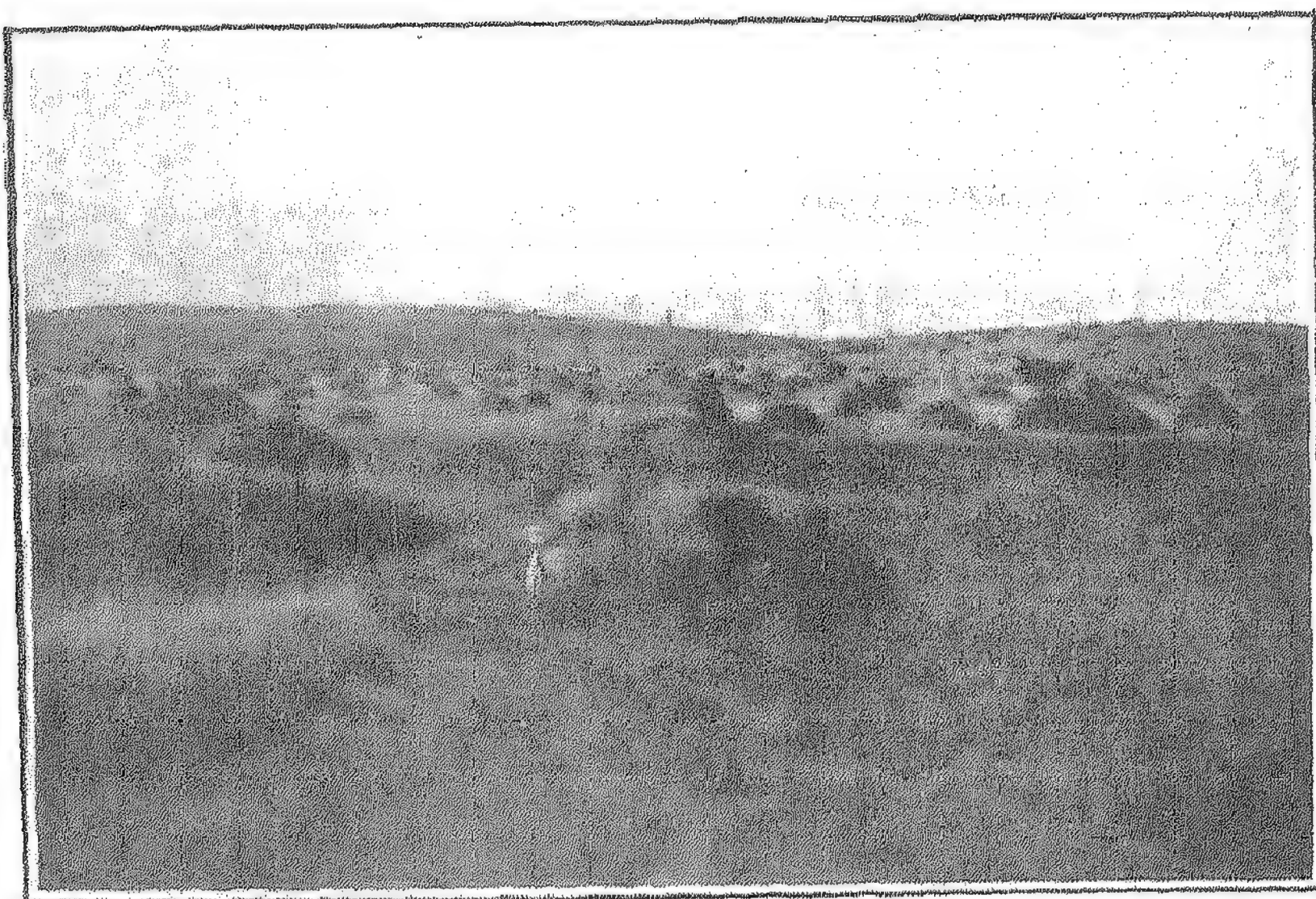
يبتدىء طريق القوافل بين هاتين البحيرتين من بلدة بوجاجو على الضفير
الغربي لبحيرة فكتوريا شاقاً في محلي مساكامركز بدو وأمبرارامركز انكولي
ويخرج عند بلدة كزنجا على الطرف الشمالي الشرقي لبحيرة البرت إدورد
ومسافة ذلك مائتان وثمانية وتسعون كيلو متراً^(١) أما مستوى العلاية عند
محلة بوجاجو (والعرض الشمالي هناك ٦٣) فاربعون متراً عن سطح الماء وهي
تأخذ من الشاطئ في صعود شاق . وفي تلك المحلة بقعة فيحاء معشبة
تكتنفها حرجة مستطيلة الشكل كالمنطقة يختلف عرضها من بين اربعة الى
خمسة كيلو مترات تبتدىء عند نهر كاتنجا شمالاً وتنتهي عند نهر رويزي
جنوباً مسافة تنيّف على مائة كيلو متر وتسير على محاذاة بحيرة فكتوريا وهي
غياض ملتفة الاشجار غاصة بالكلاء الكثيف ويتعرّش باشجارها نبات
ضخم تسترسل أوردته وتتدلّى من الاغصان مطاوي وليّات . وهناك
من النخيل كثيره ومن الازهار البرية زاهيها ووافرها ومثال ما في تلك البقعة
وفي الأغصان ايضاً من النباتات النضيرة شجيرة يقال لها أرثينا تؤمنشوزا ترى
مفترشها أو صوانها مزداناً بعددٍ عديدٍ من عناقيد الزهر الجلناري منبثة في

(١) قد انشئت طريق لعربات النقل ايضاً بين هاتين المحلتين ولها شعبة
تؤدي الى عنبي والطريق مهياة لذوات العجل في حدود الراية الهينة المسلك لكن
طريق القوافل مقربة وهي اخضر من هذه الطريق لكن في بعض المواقع منها تداريج
قائمة صعبة المرتقى وكلتا الطريقتين من عمل اهل البلاد اشتغلا فيهما مقابل اعفائهم من
دفع عوائد الخصاص والحكومة تعباً في تعهد امرها ولا سيما في قسم بدو

الارض . ولما كانت الشجرة قلما يخلو منها مكان كانت الوان تلك المناقيد تغشى وجه الارض فتبعث فيه بقعاً من لونها الزاهي والله ما يحدثه ذلك اللون من البهجة العاملة في النفس . والى غربي الحرجة المذكورة غمقة عرضها تسعة كيلومترات وزودها تمتد شمالاً وجنوباً على محاذاة خط البحيرة مسافة قدرها خمسة وستون او سبعون كيلو متراً تذل مياهها الى نهر رويزي وفي حوطها بحيرة نابوغابو وهي مفيض مستدير يبلغ طول قطره سبعة او ثمانية كيلومترات وفي الغمقة جنوباً اعشاب ملتفة تعلو علواً شامخاً لا تبلغه الاعشاب التي في شمالها وترى هناك غياضاً متفرقة من الشجر ونخيل الرافيا تحاطها حديقة غناء واذا جاوزت الغمقة غرباً ترى البر يعلو أكمات متناسقات سوداً مناظرها حجيرها اشبه بالصوان المعروف بالبازلت وهي المهواة الكبرى القائمة على ضفير بحيرة فكتوريا غرباً من كاجيرا الى كاتونجا ممتدة شمالاً جنوباً وهناك الارض مخصبة كثيرة الحصى تعلو عن سطح البحيرة بقدر مائة مترونيف . قالوا ان السيول قد خدّتها فاحدثت فيها كهوفاً واغواراً . واديم المركز باجمعه طبقة من حجر حديدي غضاري اشبه بالطبقة التي تقدم ذكرها في الكلام على بلاد الاغندا والكافيرندو^(١) وفيما وراء الاكمات المذكورة عناية براش عريضة يتوج سطحها بين نبوات وجوات تتبطنها المشاجر الملتفة . والبلاد هناك خصيبة منعمة آهلة بالخلق ولعشيرة البهيما^(٢) فيها انعام شتى ومواش لكنها معزولة منفردة واما بدو فليس فيها كور وقرى متجمعات فمنازل القوم فيها متفرقة منبثة في الأدغال والمروج ازواجاً وافراداً كل منها في جوار بقعته

(١) ليس في تلك المنطقة الا ما قل من ركاز الحديد فهو من هذه الحثية لا يقوم بنقعة استخراجها

(٢) هم اشراف مستعمرة الاغندا كثيرو المال والانعام وربما كانت الاسم مأخوذاً عن اللفظ العربي دلالة عن وفرة بهائمهم او مراسهم تربية المواشي



شكل كواير النمل في قسم بُدُو



مَجَارِ فِي أَجْمَةِ بِقِسم بُدُو

الخاصة به مزرعة موزاً او بطاطا وشكل المنزل مستدير يغطيه سقف متقن كثير
الشبه بكواردة النحل وجوانبه مكسوة نباتاً يقال له نبات الفيل طنوفها هابطة
تكاد تمس اديم الارض ويظل مدخله سياج من اعشاب وقد ازيحت من
قبله جماعة القصب البري في قيد بعيد منه واهل البلد سمر اللون حالكوه
ولكنهم لا يعدّون من هذه الوجهة صنفاً من صنوف الزنج وكثير منهم
وجوههم بيضية الشكل حسنة الخلق والسحنة وجميعهم يكتسبون الثياب وقد
دان بالنصرانية منهم زهاء ثلاثة ارباعهم واتخذ الكاثوليكية الباباوية مذهباً
وقليل منهم انجيليون أي من المذهب البروتستنتي وبعضهم من اهل الاسلام^(١)
والسواد الاعظم منهم رجالاً ونساءً يتطوّقون السلاسل ويعلقون بها الصلبان
والى غربي العالاية ترى نسيقاً من المرتفعات والمنخفضات على التعاقب كما في
اغندا وفي المنخفضات منها مأجل أو مستنقع مختلف السعة من بين بضع
مئات من الامتار الى ثلاثة أو اربعة كيلومترات غاص بالبردي والعنبج يتخللها
متسلقات الاعشاب تلتف بها وعلى وجه الماء بساط بديع الزرقة من الزنبق
الاسمنجوني والآكام المذكورة مكسوة عوسجاً وعليقاً وعلى منحدراتها شجر
الموز ويحتاز الغمقة او المستنقع على جسر يقيمونه لذلك فانهم يلقون على
سطح الماء بحزم من حطب متلاصقة ثم يرصفون فوقها سطراً من فروع
الشجر ويثبتون هذه وتلك بقوائم يفرزونها في ارض الغمقة تاركين للماء بينها
منفذاً ويفرشون تلك الفروع طيناً ورملاً فيصبح الجسر صالحاً للخطو وترى
في اعالي بعض الآكام المذكورة منبسطات صغيرة لا تكاد تبلغها حتى تلاقي
في جنبها انحداراً ولا خفاء ان الصعود والهبوط على هذه الصورة يجعلان
التطواف والجولان في بلاد اغندا مستصعبين ثقلين شاقين على الحمالين

(١) ويستثنى من هذه الاقوام عشيرة البهيا المتقدم ذكرها فقل منهم من
اتخذ الاسلام او النصرانية ديناً له

ناهكين للرواد والمسافرين وعلى مسيرة ثلاثين كيلومتراً عن ناحية بوجاجو محلة
مساكا وهناك قلعة صغيرة قائمة في منبسط سنام الالكة وهي تعلو بقدر ثلاثمائة
متر عن سطح بحيرة فكتوريا وفيها دوائر الحكومة ومساعد جابي الاموال
الاميرية ويحيط بها جسر من تراب وخندق بعيد الدرك ورجال الحامية
يقيمون تحت القلعة في عرض الالكة الغربي وهم رجال الشرطة وفرقة من جنود
أغندا ومن قنتها يشرف الرائي كيفما اجال الطرف على منظر بديع وامامه قمم
آكام مستديرة لا تحصى وفي فجاتها وبطونها تستجلى المناقع والمآجل
استجلاءً صحيحاً . هذا وبين مساكا وأمبارارا على مسافة عشرة كيلومترات
غرباً نسيق من الروابي والارض هناك تتصعد والروابي في تلك الانحاء ارفع
منها في الجهة الشرقية وكذلك الاودية والوهاد فجواتها أوسع وهناك تقل
الزراعة لابل تندر ويغلب على البلد منظر الوحشة . واعلم ان هذه الروابي هي
ثواني الروابي بعد انصرافك عن ضفير بحيرة فكتوريا . والارض عند كيويو
(وهي عن البحيرة على تسعة واربعين كيلومتراً) مرتفعة لكن اعالي الحروف
والآناف منبسطة سهيلات وبقيعات لا تكثر فيها المستنقعات وارضها لا
تخلو من تعريج وتدرج بين صعود قائم وهبوط وعري ولكنها من وجهة عامة
اشبه شيء يراح من الارض الصلدا جعد الاديم . قلما تجد فيه شجراً
وجل ما في الارض خانج ودغل وانجم وفي تلك الاقطار شجيرات الفربيون
متفرقات متناثرات في عرض الروابي . وعند بلدة إمبريزي بعيداً عن البحيرة
الى الغرب بقدر سبعة وستين كيلومتراً تعلو الآكام شامخات وعراً وجفاء
من الاودية والمهاوي والصخر فيها يتداني من سطحها لحاً ولا سيما منه
الكورتر (الحجر الصواني المتبلور) وحجر الطلق وتقوم منه على جوانب
الآكام كتل هائلة ناتئة على وجهه كالقروح . وفي حضيض الوهاد تنمو
الاعشاب وتعلو علواً عظيماً والغمقات هناك قد اتسعت عرضاً عما قبلها

وليس فيها من الشجر الا الفربيون المتقدم ذكره والسنت على انواعها وضروبهما^(١) وتكثر في تلك الانحاء الازهار البرية وهي جميلة عجيبه ومنها متفرقات لها شبه اكبر بالخطمي الأجمي لاسكل منها نور له لون على وحده من برتقالي ووردي وأصفر وارجواني وابيض ومن النبات الذي يعلو بقدر مترين ونصف نبات من الفصيلة الشوكية زهرة ارجواني غاية في البهاء والبهجة ونبات مشهور كثير الوجود هناك زهره احمر قان له ساق فيها نواتي متفرقة مكسوّة حسكاً بين الناتي الواحد والآخر نحو عشرين سنتيمتراً على التعاقب أقول وعلى ثلاثة وتسعين كيلومتراً من بحيرة فكتوريا وعلى مقربة من مارننجو شمالاً جبل هائل أجرد مسنم تسنم صلب الخنوص يبلغ ارتفاعه عن سطح البحر المالح زهاء الف واربعمئة قدم . والى الغرب أودية منفجرة الى مدى بعيد وعلى احقادها على الجانبين اكمام ورواب ترى طيفها عند بُعد بديع اللون مزدوجه بين ازرق وأحمر قان وعن قرب ترى هنوات السنت الابرزية وبين لونها المسجدي وخضرة اوراق الشجر وبهاء الاعشاب الغضة تباين جميل شائق . واودية تلك الروابي واخوارها ومضايقها تستفيض شجراً وفي تلك الاودية رزان ومستنقعات تسيل مياهها في سمت الجنوب مفرغة الى بحيرة كاشيرا والارض هناك خلأ عنها الاهلون وليس بها من الخلق الا النزر القليل . فاذا كنت من تلك البقعة على عشرة كيلومترات ترى الارض قد تبدل زياً وهندامها فالروابي منحطة والوهاد مستعرضة منفرشة مستنقعاتها تشقها جداول بقعة أجمية وكلها تجري في سمت الجنوب وتستفيض بطون الاودية نباتاً واعشاباً وسنطاً وفربيوناً وانتيلاً وقلما ترى في سلسلة الروابي على اي من الجانبين رابية اخرى ناتئة عنها وتتجاوزها شموخاً وارتفاعاً . وعند

(١) يسطو على السنت في تلك البلاد ضرب من النبات الطفيلي يستوقف ماءه ويضعفه وقد يتساق كثيراً من شجيراتنا فيغمي فروعها ويميتها

الكيلومتر المائة والعاشر نهر مأوه ساكن مستبحر هو الحد الفاصل بين مركزي بدو وأنكولي ودليله معالم قائمة على جانب الطريق وبعد ذلك بخمسة كيلومترات معسكر أنزنجي وموقعه في علالة خفيفة تكتنفها الآكام والهضاب من نواح ثلاث . وإلى الجنوب وادٍ واسع الانفراج وفي ابان الامطار يمتلئ بطنه ماء فيكون منه غدير عظيم واسع الاقطار اما في ابان القيظ والجفاف فالمياه عزيزة ولذلك كان الاهالي يرتحلون باغناتهم وأنعامهم مهاجرين الى بلد آخر طلباً للماء^(١) . وتكثر الفيلة في تلك الانحاء وهي تؤاذي في الاحراج اذى بليغاً فتقضم اشجارها قصاً وتقتلعها من جذورها فتبعثرها في الارض شذراً مذراً متلعبة بها تلاعب الصبية بالأكر لان الاوراق كثيراً ما تبقى ملازمة لاغصانها . واذا ابعدت مسافة اربعين كيلومتراً غرباً تصبح البلاد ولا طلاوة على مرآها ويصيب الرائد منه الملل والضجر فتري الارض انشازاً ومناقع متعاقبة تذهب بالصبر . وفي تلك الجروف شتات الاشجار وهناك جدول بطيء الجرية مسيله محبوس بالاعشاب تقوم على ضفتيه في الغالب آجام ذات أقصاب طينتها يشوبها ردغة سوداء ورمل خشن الحبيبات اذا اصابها المطر صارت لزجة سميكة . هذا وتنفرج كربة المسافر ويتنفس الصعداء عند ما يكون عن بحيرة فكتوريا على مائة وخمسين كيلومتراً فهناك ينقلب وجه الارض وتتغير المناظر فتكون الروابي شامخة تضاهي الجبال وليس في الروابي التي مرّ بك ذكرها بعد انصرافك عن البحيرة ما يساويها ارتفاعاً وهي خلو من الاشجار لكنها مكسوّة عشباً . واما الاودية فغاصة بالخيش ومن النكد على الرائد في تلك النقطة ظمأؤه الى الماء لانه عزيز جداً . ومن ثم في مسافة بعض الكيلومترات ترى شجيرات الموز منبثة في الحدرات السفلى للروابي وجبال رؤى مبارى تتجلي لك في

(١) يستورد اهل أنسنجي ماءهم من المناقع وهو اغبر اللون قائمه وطعمه بشيع كريحه المذاق

افق الجنوب الاقصى وهي الحد الشمالي لوادي نهر كاجيرا ثم يُصعد المسافر في جبل صعب المرتقى طويل المدى ويُحدّر في وادٍ آخر فيبلغ الهضبة التي عليها بلدة امبارارا وهي مركز قسم انكولي . بلدة مشيدة في مسطح قة الهضبة وارتفاعها عن سطح البحر الملح بقدر الف وستمائة متر على مسيرة مائة وثمانية وسبعين كيلومتراً من بحيرة فكتوريا وهي بلدة انيقة منظمة شوارعها مزدانة بسطور الشجر على الجنين ومنازل القوم جيدة البناء ملائمة للسكنى ولكل منزل منها كنف خاص يحيط به والبلدة غاية في الرونق والزهاء واكثر بلاد مستعمرة اغندا تمدنا وتقدماً بعد محلة عنتي المار ذكرها ، معسكرها ومخازن الذخيرة والمهمات العسكرية والقلعة جميعها مستعالية في قمة الهضبة وتحتها بقليل الدوائر الملكية وعلى الهضبة التي قبالتها دائرة الشرطة والمستشفى والسجن وغيرها من الدواوين . وفيها من رجال الانجليز وكيل جابي الاموال وطبيب وضابطان للجند واما المكتيبة المقيمة في امبارارا فؤلفة من فرقتين من عساكر الاغندا فيها مائة وثمانون سودانياً وسبعون اغندياً وهناك ايضاً مائة شرطي (بوليس)

ثم ان نهر رُويزي يسير في مختق عميق يكون عن المحلة نحواً من ثمانمائة متر جنوباً وحوله البلاد عراء لا شجر فيها فخطب الوقود واخشاب البناء عزيزة نادرة وقمة الراية في يوم صافي الجو يُشرف منها على بقاع بديعة غاية في البهاء وتُرى جبال رُو مبارا على مسافة ستة عشر او تسعة عشر كيلومتراً وهي تناطح الافق الجنوبي ومرساها شرقاً بغرب ويكون ارتفاع بعض قممها التي متر ونيفاً عن سطح البحر الملح ولسلسلتها طول يكون زهاء سبعين كيلومتراً والى ما وراءها في مهب الجنوب ينساب نهر كاجيرا وأخصر ما بينه وبين محلة امبارارا مسافة تبلغ خمسين كيلومتراً جنوباً . هذا واذا راق الجو وصفا الافق صفاء ليس بالعتاد ترى بالعين المجردة في الافق

القصى آكام الرonzوري متناسقة في جميع الانحاء الشيء الذي لايتأتى في الشتاء الا في هنية انقطاع الغيث وهدونه وذلك نادر . اقول وفي زمن القىظ تجف الاعشاب فيحرقونها ويتصاعد دخانها في الجو مكوناً فيه غمامة كثيفة تظل وجه الارض ^(١) والارض حول امبارارا على مدى بعيد كثيرة الزرع واخص ما يرتفع منها البطاطا والطربون يتناولها رجال الحامية وفيها جنان فسيحة من الموز . وعلى مسافة نحو كيلومتر وربع غربي المحلة ترى صرح سلطان انكولي قائماً على قمة اكمة وحدها والصرح عبارة عن خص مغمى بالحفافة وبجانبه صفار الخصاص لحرمة وحاشيته ويحيط بهذه الخصاص سياج رفيع من نبات الغاب . والاكمة موشاة كلها بنبات الموز . وفي ذروة تلك الاكمة ايضاً الكنيسة الانجليزية واما السلطان فمن الاصل البهيمائي اي من عشيرة البهيماء التي اسلفنا ذكرها وهو فتى له من العمر تسعة عشر حولاً عجيب الطول يبلغ ارتفاع قامته ست اقدام وست عقد حالك اللون لكنه حسن السحنة معتدل الخلق يتردى برداء ابيض ضافي الاردان فوقه سترة من جوخ صنع المغرب ويتقبع طاقية او كمة بيضاء ايضاً . واما المباني المختصة بكنيسة الانجليز فموقعها في بسيط الارض غربي الاكمة ومباني الكنيسة الكاثوليكية الرومانية في ذروة اكمة اخرى بجانبها . هذا وهواء امبارارا في اشهر الشتاء جيد صحيح والمشهور ان المحلة اصح بلاد المستعمرة هواءً واقلماً ^(٢) . ثم اذا خرج الرائد من امبارارا اخذاً الى بحيرة البرت ادورد وانحدر

-
- (١) ينشأ عن هذا الحريق اسخان الهواء الجوى واشباعه بالحرارة فيكون منه في السماء سحب كثيف وسديم يحجب السماء عن الارض من جميع الانحاء والاطراف
- (٢) ان اقصى درجة الحرارة هناك ٨١ بميزان فهرنهايت واحطها ٥٥ ويتبدى فصل الشتاء الاول في بداية شهر فبراير وينتهي في آخر مايو ويتبدى الفصل الثاني في منتصف شهر سبتمبر وينتهي في آخر نوفمبر



نهدر زويزی بقسم انگولی



محلة امبرارا بقسم انگولی

في صَبَب الرَبوة يُصادف في طريقه علاليةً أو صَرْحَةً رَحِيبةً^(١) يبلغ ارتفاعها عن سطح البحر الملح بقدر الف واربعمئة مترومتنها مكشوف وغالبه سهل بسيط ما خلا نقطاً منه تشخص فيها نواتي خفيفة تعلو سطحه. وفيه ما لا يحصى من قرى النمل تجاوز عشب الارض ارتفاعاً ومتوسط ارتفاعه هناك سبعون سنتيمتراً ومظهر التربة بركاني ولكن بعض البطائح طَفَّالٌ وكَذَّانٌ وعلى جانب الصَرْحَةِ الجنوبي سلسلة جبال رُومبارا ويشق في حضيضها نهر الرويزي . ويخترق السهل مجارٍ اجمية تنسكب مياهها كافة في ذلك النهر ومسايلها غاصة بالبردي والغاب تنساب من بينها تلك المياه على مهل وبعض تلك المجاري بعيد الغور لا سيما واحدٌ منها يبلغ عرض اربعين متراً وغوره عشرة امتار وفي الطرف الغربي للعلالية المذكورة هَضْبَةٌ مدورة القنة تتصاعد عن السهل فيبلغ ارتفاعها نيفاً ومائتي متروتنهي العلالية المذكورة غربي بحيرة فكتوريا على مسافة مائة وتسعين كيلومتراً عنها فترتفع الارض ارتفاعاً حاداً وهناك معسكر روسانا . ومن تلك النقطة تبصر العين على البعد القصي سلسلة الجبال الواقعة على الجانب الشرقي لبحيرة البرت ادورد . وفي الشمال القريب جبل شامخ يعرف بجبل شِنِينِي^(٢) . ثم تصادف في شُقَّة ما بين رُوساسا وقَنِيَا متبارا في مسافة مائتين وستة وثلاثين كيلومتراً كثيراً من صفار الجُرُوف تكون ضجعة اكثرها شمالاً بجنوب وهناك تختلف الارض اختلافاً بيناً فترى الاودية ضيقة عميقة والآكام

(١) تنقطع الزراعة على بعض الكيلومترات عن قصر السلطان من الجهة الغربية

(٢) وعلى مائتين وثلاثة كيلومترات تصادف في طريقك نهر كوجا وهو يخرج

من الروابي القائمة في مهب الغرب وعرض مسيله مائة وثلاثة امتار وغوره متران وكان في شهر فبراير سنة ١٩٠٣ متراً واحداً فقط ولا يكاد يرى له جرية لان نبات الغاب

ينحق مياهه . وهو يفضي الى نهر رويزي

عالية وعرة كأنها الجبال والارض في اسافلها كثيرة الزراعات واما اعاليها فقاحلة صلداء . واما محلة قنبا متبارا المذكورة فقائمة في علالة صغيرة تعلو عن سطح البحر المالح بقدر الف وسبعمائة متر ومنظر البلاد من تلك النقطة منظر معجب والى ما وراء ذلك شمالا جبل شينيني المتقدم ذكره جبل شاخ مربع الشكل منبسط القمة ارتفاعه زهاء الفين وخمسمائة متر جانب الشمال مهواة عميقة وهو أجرد اقارع بينه وبين الملاية المذكورة فجوة واد بطنه غابات وأدغال والى الجنوب الغربي فجوة اخرى فيها كثير من الجنبه وصغار الشجر منتشرة في اديمها مبعثرة وتنتهي الى هضبات عجيبة مخروطية الشكل وماء الشرب في تلك الانحاء اقل من القليل وهم يجابونه من اما كن بعيدة ^(١) . والى غرب قنبا متبارا منشأ جبال تتصل بالضفة الشرقية لوادي البحيرتين ^(٢) وسلوك هذه الشقة صعب جدا على الجمالين فان المقبات فيها طويلة المسافة وهي وعيرة صعبة المرتقى والحدرات أيضا ناهكة للقوى وليس فيها مستويات سهلة الا ما ندر فلا يعتمد الرائد ان يلحق بقمة الاكمة حتى ينحدر في عرض الجانب الآخر منها هابطا الى حضيض الفجوة فيقطع بطنها المتقارب الجانبين ويدخل فوراً بالتصعيد في اكمة اخرى ارفع منها وهكذا على التوالي . وهذه الجبال تتناول عامة البر الى حد وادي البرت ادورد ويكون مضجعا شمال جنوب . ففي الشمال تفضي الى آكام ناشئة في الملاية التي تحترق بلاد تورو وأنيورو وتفصل منطقة مغيض فكتوريا عن منطقة مغيض البرت . وفي الجنوب تخرج الى الجبال الواقعة الى الشمال عن

-
- (١) بعض العصفور في تلك الانحاء انيق ومنه ضرب لون رأسه وصدره وذيله كالقرمز النضير وجناحه اسودان ومنه نوع اسود الرأس والظهر يرتقالي الصدر
- (٢) يجتاز نهر كندكي على مسافة كيلومتر واحد عن قنبا متبارا وهو مجرى اجي يدور في سفح جبال شينيني ويصب في نهر رويزي وعرض مسيله اربعة وتسعون مترا وغوره متران ونصف يكثر فيه البردي

كيفو ويقع اقصى ارتفاعها (وذلك بين امبارارا وبحيرة البرت ادورد) على مايتين وتسعة وعشرين كيلومتراً عن بحيرة فكتوريا وهو الفا متر عن سطح البحر الملح^(١) والمناظر هناك مدهشة تضارع مناظر جبال الألب اوسفوح جبال حملايا وهي سطور من جبال متناسقة متراكبة بعضها فوق بعض في جميع تلك الانحاء يكون اعلاها في جهتي الغرب والشمال وعلى جوانبها اخوار كبيرة تنحدر الى اودية بعيدة الخضيض تحت في انحدارها تلك الجوانب وترى في ميولها العمليانات من المرو والبالزت وبعضها غريب في شكله . وفي الاودية بعض الزراعات ولكن اعاليها موات لا غابات فيها ولا ادغال اما هواؤها فصحيح ملائم والشمس هناك محرقة لكن الهواء رطب ندي والجوانب مكسوة بلفيف الاعشاب يغشاها جماعات الازهار البرية^(٢) ويطل الرائد في سيره احيانا على العلية التي من تحته واذا تطلعت الى الشرق عند الفجر ترى ظلال الآكام القرني والسهول وجبال رؤو مبارا النائية تترق متلائة في اديم الشفق الشمسي . منبعثة من خلال الضباب . والطريق المؤدية الى بحيرة البرت ادورد تحف بطنف تلك الجبال تصعيداً فتحديراً على التوالي وبعد اجتياز المنفذ يهبط المسافر في ميل شديد الانحدار مسافة طولها ثلاثمائة متر فيبلغ نهر كاينجي^(٣) . ومن ثم يزداد الميل انحداراً حتى لا يكون اقل من واحد الى واحد الا فيما ندر

(١) المشهور ان اعلى الجبال في تلك النقطة يبلغ ارتفاعه الفين وسبعائة متر عن سطح البحر الملح

(٢) بين هذه الازهار زهرة غريبة الشكل واللون لها شديد الشبه بزهر اللؤلؤ الكبير الحجم ويبلغ قطر بعضها خمس عقد

(٣) مصب هذا النهر من الشمال الى الجنوب وسعة مسيله تسعة واربعون متراً وغور مائه ثلاثة امتار فاذا كانت ايام الجفاف والقيظ صار غوره الى ستين سنتيمتراً وماؤه عندئذ كصافي الكهرباء وفي بطنه منابت القصب والبردي تعترض مجراه فتعوق سيره

ويكثر ان يكون ثلاثة ارباع الى واحد . والله ما يقاسي الحمّالون المساكين هناك من العناء في سلوك هذه الشُّقّة فانهم كثيراً ما تضطربهم الحال الى النزول زحفاً على مقعداتهم وعند الكيلومتر ٢٣٩ اجتزنا منطقة مطارح السيل وهناك رأينا الانهار فيما وراء تلك النقطة تجري من مصب الجنوب مفرغة في مهب الشمال بدلاً من سيرها من الشمال الى الجنوب^(١) ومن هناك هبطنا هبوطاً متتالياً مسافة كيلومترين فخرجنا الى نهر يقال له نهر وَلَجَا^(٢) والبلاد الى غربيه اسهل مراساً لان الطريق تسير بازاء نسيق من العلايات القائمة بين شعاب الجبال وليس فيها من عقبات الا واحدة فقط لامناس من اجتيازها وفي كثير من النفاف والفجوات التي تنساب فيها الانهار تكون هناك مواضع وعرة ممتنة صعبة المسلك ولكن الصَّبَب في كل حال اسهل منحدرًا مما في جوار المنفذ المتقدم وذكره . وفي جميع هذه النفاف حراج ملتفة الاشجار منها شجرة البِتُّودينا مشهورة لطولها في الهواء وسواندها اي حواشيتها وازهارها البنية اللون في اعاليها^(٣) . واذا تجاوزت عناية كيسارى

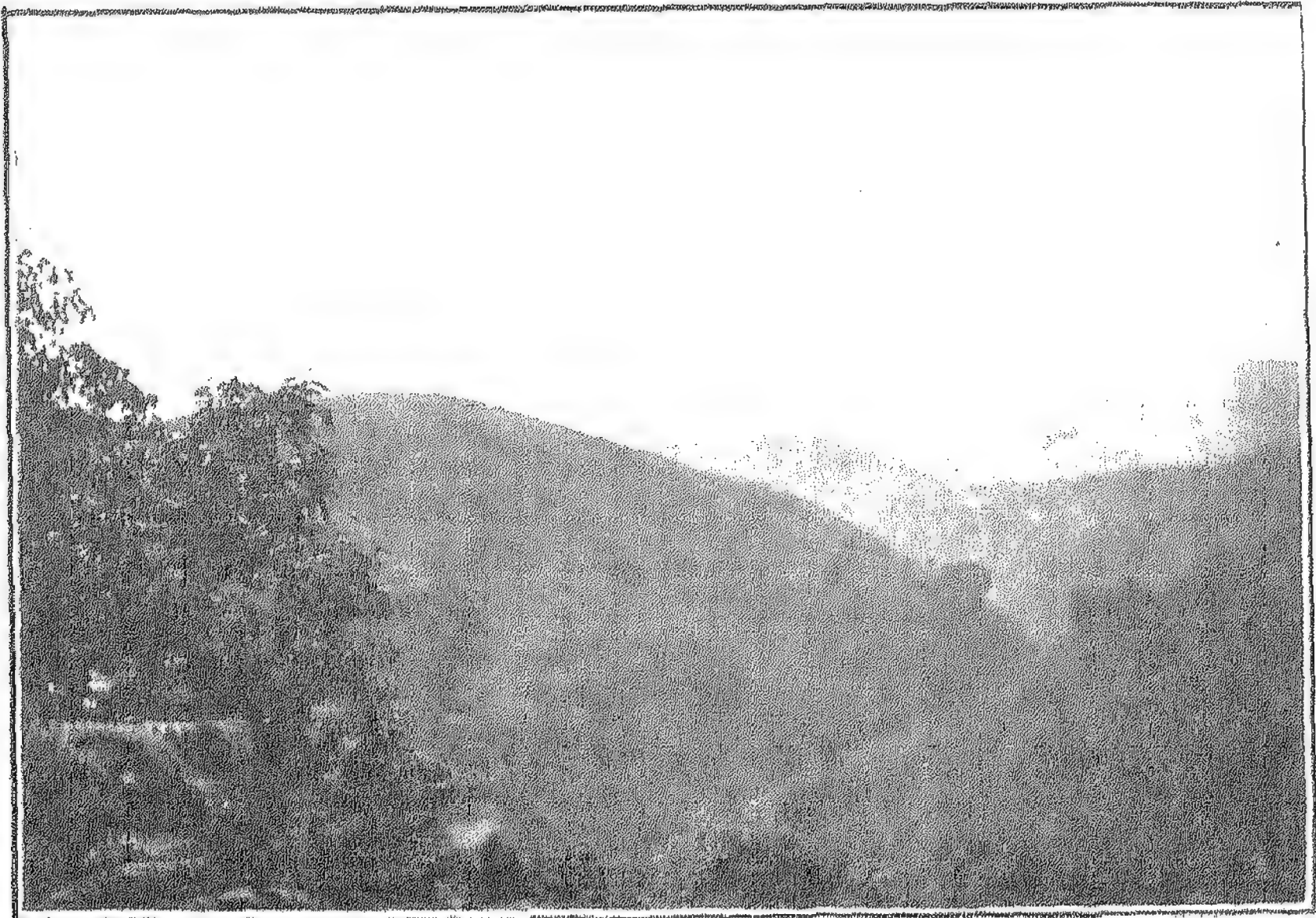
(١) والى شرق الكيلومتر ٢٣٩ تنصرف المياه الى نهر رويزي ومن غربي تلك النقطة تتطرق الى انهار اخرى فتجري معاً وتصب في نهر كاتنجا

(٢) هذا النهر سريع الجرية قراح سعتة اثنا عشر متراً وعمقه ثلاثون سنتيمتراً

(٣) قد اشرت في ما تقدم الى الازهار البرية التي في تلك البقعة وفي كل روضة وصحراء يزاد مرآها بهاء وبهجة وهي طويلة السوق تعلو فوق العشب ويبلغ ارتفاع بعضها متراً وخمسة وسبعين سنتيمتراً ومن المستغرب ما في الوانها من التضارب . قال جناب السر هنري جونسطن سي في مؤلفه الاخير « ومن المستغرب ايضاً ان ليس بين هذه الازهار ما يكون لونه ازرق » ومنها ما يتشكل بشكل زهر الاكونيت اي حشيشه خائق الذئب وتكون اكمامها بيضاء ولا يباض الزنبق وغيرها لونه كزهر الاولو النرجسي وغيرها يماثل بلونه الاقحوان ومنها كزهر عباد الشمس وفي تلك الارض جميعها ترى الزهر الابيض الذي ذكرته في ما تقدم ويكثر هناك البويقات الاسمنجونية التي يخرجها نبات الاريثرينا تومتوزا



جبال التخم الشرقية لمجرة وادي الالبرتين بقسم انكولى



جبال التخم الشرقية لمجرة وادي الالبرتين بقسم انكولى

تري عند الكيلومتر ٢٥٧ سلسلة جبال على مسافة ستة عشر او ثمانية عشر كيلومتراً من الطريق تمتد في عرض الفلاة شمالاً بشرق رؤسها منسوحة يكون لجانبها الغربي ميل وفيما بينها وبين الملاية المذكورة نسيق من الرشي والآكام تغشاها الاعشاب ومن قننها ما يكون مدوراً ومنها ما هو مخروط وفي الجهة الشمالية الغربية اكدتان مخروطتان كقالب السكر وقيلهما برُّ براح دغل متفارز الاديم متقاطعه موشى بالاشجار الغليظة منبثة فيه جماعات عديدة منها ويكسوه نبات السرخس طويل الساق . والطريق عند منعطفه الى الجهة الغربية يدور في ذلك البراح الدغل بصعود هين متدانياً من جبال كيباسي . هذا وبعض الشجر أنيق بديع ولا سيما ضرب منه ورقة اخضر قائم الى الدكنة يقارب ورق البونشيانا رجيا او المهور الذهبي وفي كل شعبة اشد اكداداً من شعب ذلك الورق ترى اوراقاً صافية اللون الى السنجابية تكاد تكون بيضاء وتخالها عن بعد قليل مغشاة صقيماً او ثلجاً . والحراج بعد تلك النقطة اكثر توالداً الى الجهة الغربية وتصير الطريق على مسافة ثلاثة كيلومترات عن جبال كيباسي

واذا اخذت من بحيرة فكتوريا الى مسافة مائتين وخمسين كيلومتراً تجيء الى منطقة الغابة الكبرى وهي غابة تمتد الى الجنوب مئات من الكيلومترات امتداداً متوالداً بغير انفصال محاذية لهضاب المهواة الكبرى التي هي الحد الشرقي لوادي البرت^(١) وتقطعها جبال سلسلة كيباسي عند طرفها الشمالي على مقربة من نقطة تقاطع الطريق المذكورة بحروف هذه الجبال . ومسافة طول الغابة المذكورة من الشمال الى الجنوب شاسعة مديدة ولكنها قليلة السعة من الشرق الى الغرب في اية نقطة منها . وقما تباع خمسة او ستة كيلومترات ولا تتجاوز ثلاثة كيلومترات عند طرفها الشمالي وهي ملتفة الشجر كثيفته ولها في

(١) ومن هناك جنوباً تقترب المنطقة من ضفير بحيرة البرت ادورد

نضارتها مشابهة كلية بغابة الكنجو القائمة في براح فسيح من الارض الى
القرب عند وادي نهر سملكي . وشجرها عالي الجزوع تُخَيَّل للرائي كأنها عمُد
ضخمة الجرم شاهقة الارتفاع قائمه في معبد فسيح الفراغ بعيد المجال . والذي
يزيد المشابهة المذكورة قرباً ما ينبت حَوْل الساق من الفروع وهي معظمها
في اسفل متفرعة عن بدن الشجرة إشعاعاً الى جميع الجهات ثم تتعاقب
متشابكة فيصير من ذلك حجاب كثيف يصد اشعة الشمس عن النفوذ الى
ما تحته الا فيما ندر . ويتسلق هذه الاشجار جميعها ما لا يُحصى من النبت
المتعرش وتتدلى منها كأنها العراجلين وضافائر الازهار المجدولة ويبلغ قطر ضلع
النبتة منه في الغالب اربع عقد او خمساً وهي كالشجر مغطاة بالطحالب
والأشنه وقد تبلغ النبتة المتسلقة من الشجرة مبلغاً فاحشاً فانها تحوك عليها
نسيجاً من خيوطها يحيق بها احاقه السوار بالمعصم فتموت ولا يبقى من
معالمها سوى ساقٍ جوفاء والنبت في دائره نامٍ نضر . وتُشاهد في تلك
الحراج والغابات اشجاراً هائلة ضخمة عظيمة المحيط وكثيرها معمر . ورأيت
بين الاشجار شجرة غضة حسنة المرآة تورق ورقاً وردي اللون الى الدكنة
واخرى اشبه شئ بشجرة كبيرة من شجر كستناء الخيل ودون هذه الاشجار
الرَّثَمَ (وهو صغار الشجر) كثير دغل ملتف بعضها على بعض وهو طويل
الساق ومنه القُرَّاص وضرب من ضروب النجم يضاهي ورقه ورق التبغ
وهو كثير في تلك البقاع واذا أوغلت في الغابة انحسر الضياء فتراك في ظلمة
مثل عتمة الليل فالفرق بين داخلها وضو خارجها شديد جداً . وفي مسيرك
ترى الشمس توصوص آوثة من خلال الاوراق المخيمة وأينما نفذت اشعها
صارت خضراء خضرة بهجة منتشرة في براح معلوم من تلك الناحية وترى
الأنحاء القربى قتاماً بالنسبة اليها . وهواء الغابة من الداخل رطب كثيف
ولا بد من ان يكون في ابان الامطار كارباً مُقْطِطاً في الدرجة القصوى

وقد خلت تلك الاقاصي من الطير والوحش . ويحترق الغابة جدول او جدولان تنقص مياهما عن صخور فتحدث جنادل متناسقة ماؤها صاف قراح^(١) . وعند الكيلومتر ٢٥٧ تحرف الطريق عن الغابة وبعد التصعيد في مرتفع منيع تكون في اكمة من آكام كيباسي^(٢) وهي شعبة من سلسلة جبال كيباسي تذهب شمالاً بغرب وتكاد تكون على موازاة تلك السلسلة وبينهما وادٍ بعيد الغور كأنه مدرج مستدير كان مرةً فوهة بركان هائل وتعرف آكام الطرف الغربي للفوهة بهضاب كيزنجا ومنها الاكمتان المخروطتان المتقدم ذكرهما ويبلغ قطر تلك الفوهة خمسة كيلومترات وواديها بطحاء عميقة بعيدة الدرك من حولها شعاب وعرة هوية على سطوحها آثار تدل على انخلاع اجزاء منها وانهارها الى الحضيض والمنظر هناك وحش غير مانوس فالارض تكتنفها الآكام كأنها في حوطها سدود حجرية . وفي اسافل الفوهة اعشاب كثيفة والشجر فيها قليل^(٣) والى الجهة الشمالية بحيرة صغيرة يقال لها بحيرة كوكوتو قطر محيطها يختلف من بين كيلومتر الى كيلومتر ونصف والماء يحف بسفح جبال كيسانجا التي تنحدر من مهواة عمودية يبلغ ارتفاعها مئات من الامتار وعلى ضفة البحيرة أنف وعير ناتئ من جبال كيباسي . ومن جهة الشمال ينحط حرف الفوهة فلا تكون اكثر من مائة متر عن سطح الماء وضفير البحيرة هناك ضيق لكنه غابة مشحونة اشجاراً وعلى شفير الماء

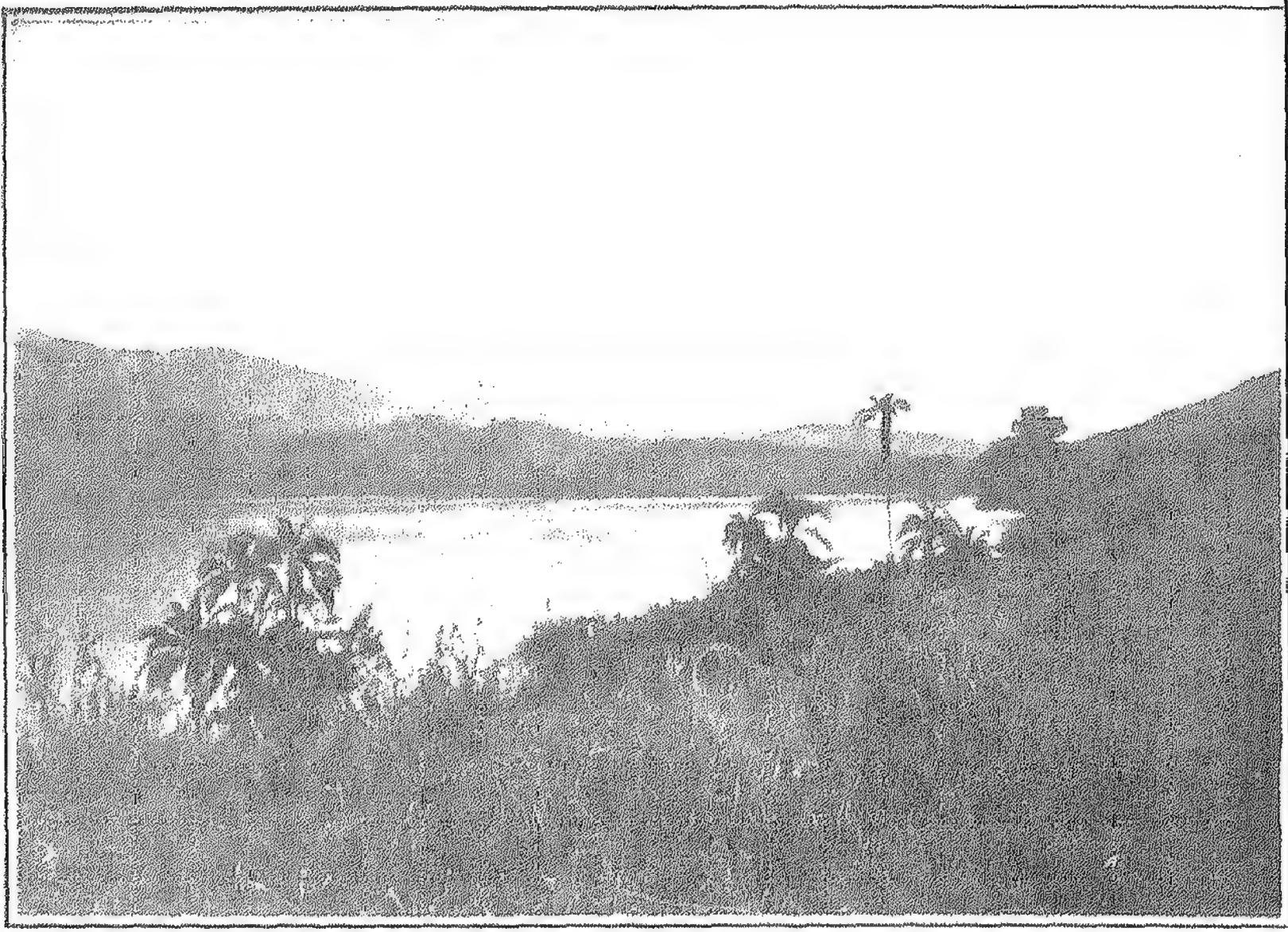
-
- (١) اكبر هذين الجدولين يعرف عند اهل تلك البلاد بمجدول نيليا ماما عرض مسيله اثنا عشر متراً لكن غور مائه في اوان القيط والجفاف يبلغ سنتيمترات قليلة فقط
- (٢) يبلغ هذا المرتفع مائة متر علواً يكاد يكون عمودياً قائماً كأنه مراق او معارج شاهدك كثرة ما يعترضه من الجذور الضخمة

(٣) يتمشق الشجر هناك نبات غريب من الفصيلة الطُفيلية ورقه كبير اشبه شئ بورق الكرب

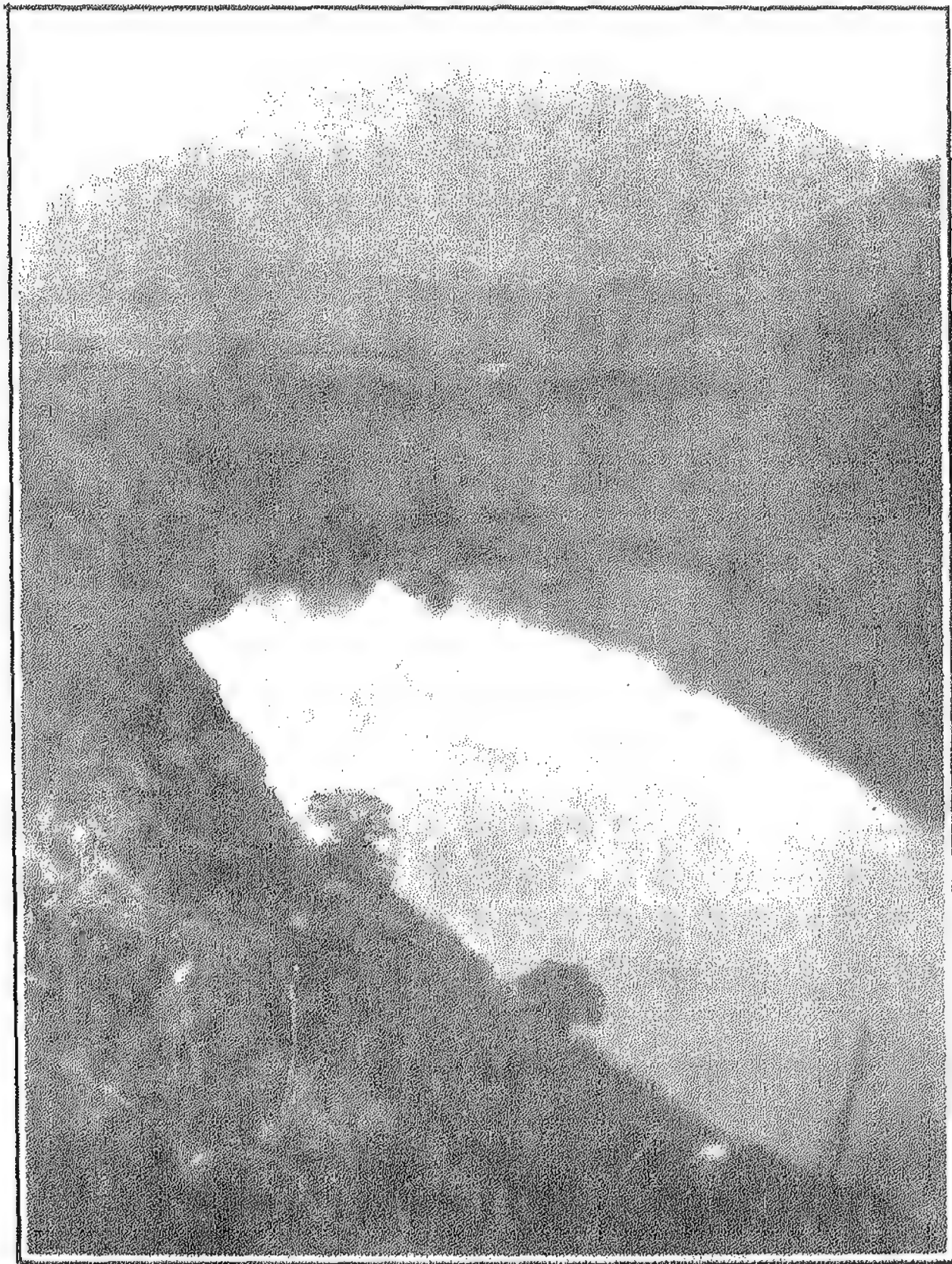
كثير من شجر النخيل وماء البحيرة ساكن صاف كالبلور تنعكس عن بلوريته صورة النخيل بسفهِ وصورة ما ورائها من الجبال كأن تتجلى كلها عن مرآة . وتنقطع سلسلة جبال كيباسي عند الكيلومتر المائتين والسابع والستين فتكون هناك جرفاً هاوياً خشناً ومن ثم وادٍ يمتد في عدة كيلومترات تكتنفه الروابي من كلا جانبيه وفي بطنه كثير من شجر الموز ومديد الاعشاب بقدر اربعة الى خمسة امتار ارتفاعاً والى ما وراء هذا الوادي فوهة اخرى فيها بحيرة ايضاً ولكنها اصغر من بحيرة كوكوتو المتقدم ذكرها ^(١) والفوهة شفتها سنٌ صخرى يكون ارتفاعه من بين اربعين الى خمسين متراً يستدير بها . والى غربي هذه البقعة ترى الفوهات والفجوات منتشرة هناك في عامة الانحاء وهي متحاذية بعضها الى جنب بعض يتعرج الطريق من بين ثناياها على حروفٍ شائخة ضيقة تكون سماتها أمتاراً معدودة هي المتن الفاصل بين فجوة واخرى من الفجوات الغربية . والفجوة في الغالب مستديرة وقد يكون جرفها متحدراً قتراها شبه بمخروط مقلوب رأساً على ذنب يكون تحديره عمودياً الى الحضيض ومستودع الفجوة في نهاية دركها بركة قرارها جاف وليس من هذه الفجوات الا اثنتان قد غرست جوانب صنبها موزاً اذا رقبته العين من علو مائتي متر كان لها منه منظر مدهش يخاله الراي حقلاً من نبات التوت الارضي ^(٢) والروابي في هذا المكان شكلها غير نظيم فهي جرداء كثيرة الشماط والوهاد والمنظر هناك فريد فان عامة وجه الفضاء على مدى مرأى العين منتشرة فيه هذه الفجوات المتسامية بعضهن بازاء بعض كأنها بيوت شهاد العسل . وعلى مسيرة مائتين وخمسة وسبعين كيلومتراً من لوجاجو عقبة تحتها مفجرة واسعة الارعاء تكون عن عليائها على خمسمائة

(١) وليس للبحيرة من الفوهة مخرج البتة

(٢) هو المعروف في الديار المصرية بالفراوله ويسميه الاتراك بالشليك (المعرب)



بحيرة فوهة كو غوتو بالقرب من العقبة الشرقية لوادي المفجرة الالبرتية بقسم انكولى



بحيرة فوهة بالقرب من العقبة الشرقية لوادي المفجرة الالبرتية بقسم انكولى

متر. ومن هناك على مد النظر شمالاً تستجلى العين جبال روينزوري وفي جانب العقبة كورة كخومبا يحيق بها شجر الموز الكثير وهناك منحدر المهواة الشرقية^(١). اما المسلك في ذلك المنحدر فشديد الوعور وهو يسير بتعاريج كثيرة تحديراً في عرض تلك العقبة وعلى مائة متر عن الحضيض هضبة او علالة نشأت عن انزلاق جانب الجبل في ماضي الادهار^(٢) وهناك المحلة المعروفة بمحلة أمكور وتوفيزا وفيما دون هذه المحلة مخرج نهير يقال له نهير كيمنورا وهو يذهب نزولاً في سمت الشمال الغربي حتى يصب في بحيرة دويرو. اما درجة الحرارة في المحلة المذكورة فأعلى منها في رؤوس العقبة بكثير وهو اؤها رطب^(٣) تتقبض منه النفس والتحدير في عرض تلك العلالة نزولاً الى الوادي مستسهل والارض هناك غمقة حافلة بالاعشاب المستطيلة وفيها جماعة كثيفة من قرى النمل. وعند الكيلومتر المائتين والثمانين يخرج الرائد الى نهير كيمنورا وهو نهير قريب الغور ماؤه رقارق وعرض مسيله ثلاثون متراً ووجهة سيلته مهب الشمال ودليل مسيله دغل ونخيل على جانبيه. ويليه الى ورائه سهل فسيح تربته ابلز يتخلله هبطات عديدة سعة بعضها ستمائة متر وغورها متران وهو محشوك بالنبت المشتبك والأدغال المنبثة في أديمه وعند الكيلومتر المائتين والسابع والثمانين مستطيل من الارض تظله حرجة تمتد بعض المسافة يتناثر طرفاها شمالاً وجنوباً. وعند مجيئك الى كازنجا ترى وجه البسيط يعلو ثم يهبط على التوالي فلا تخاله الا غصوناً تتبع دائرة المناسيب القديمة للبحيرة. واما الاخوار والرؤوس التي كانت على ضفيرها فأثرها تداريز

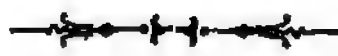
(١) ان طبقات هذه المهواة منهبط على زاوية ستين

(٢) في عامة هذه المهدة متخلفات بحيرة

(٣) بلغت درجة الحرارة في اليوم الثاني عشر من شهر فبراير سنة ١٩٠٢ الساعة

الرابعة بعد الظهر ثمانين بميزان فهرنهايت

في الصخر منضدة بعضها فوق بعض تشير الى ان منسوب البحيرة كان يتنازل تنازلاً بطيئاً^(١). وعامة تلك البقعة مكسوة رواسب مائية ومستصغر الصدف وفيها شجر الفربيون على قلة . واذا التفت شرقاً فهناك معالم جبال المهواة بعض قننها مرتفع شاخ والطريق من امبارارا مسلكها في تلك الجبال منحط أكثر من غيره من المسالك في مدى بعيد شمالاً وجنوباً وإلى ما وراء الكيلومتر المائتين والسادس والتسعين ترى الوادي خفيف التحدير والمرتقى غير شاق وهناك على القمة كورة كازنجا وهي عبارة عن مجموع من خصائص القصب متفرقة وهي (بعد مبارحة محلة عنتي) اقرب من غيرها شهباً بقرية . والخص مستدير الشكل يحقق به سياج من اغصان الفربيون والشوك والوشيع يكون ارتفاعه متراً او متراً وربعاً . هذا والكنيسة هناك عجيب البناء حيطانها شبكة من قدد الخشب مسقوفة بالحُفافة اي بمزيج التبن والطين . وعلى مسيرة مائتين وتسعة وتسعين كيلومتراً من بوجاجو الواقعة على بحيرة فكتوريا يكون الرائد على سواحل بحيرة البرت ادورد . والبحيرة في قسم اكبر من السنة محجوبة عن الابصار بغمام كثيف لا يتقشع عنها في ايام القيظ . واما اقليم كازنجا اي هواؤه فجاف منعش في شهر فبراير والحرارة هناك تتمايز درجاتها من بين ستين الى تسعين فهرنهايت



(١) عند الكيلومتر المائتين والستة والتسعين خط ظاهر يدل على موقع ضفة مياه البحيرة القديمة والانحسار هناك يبلغ زهاء خمسة وعشرين متراً والجبل يذهب شمالاً بجنوب مسافة عدة اميال دالاً دلالة واضحة على مواقع الخلجان والجُؤن في ما سبق

الفصل الرابع

في بحيرة البرت ادورد

اكتشف هذه البحيرة الرحالة استنلي في سنة ١٨٧٥ وقد رادها كثير غيره من السيارين واخص بالذكر منهم استلمن ومور وأسكط إليط وجروجن ولوجارد وجيبنز وجميعهم أدرجوا صفة الانحاء والمواقع التي رادوها وتبينوها. - أقول تقع هذه البحيرة بين خط ثمانى دقائق واربعين دقيقة من العرض الجنوبي وتدل احداث الخرائط على انها واقعة بين هاجرتي ٢٩ و ٣٢ و ٣٠ و ٦ شرقاً^(١) اما شكلها فمستطيل غير نظيم وفي طرفها الشمالي الشرقي بوغاز يصلها ببحيرة صغرى مسماة في بعض الخرائط ببحيرة رُويزينا لكنها يغلب عليها اسم دويرو^(٢). - وتبلغ مساحة هذه البحيرة اليوم زهاء الفين ومائة كيلومتر وفي طيها مساحة بحيرة دويرو. ومعظم طولها سبعون كيلومتراً ومعظم سعتها خمسون. اما بحيرة دويرو فطولها ثلاثون كيلومتراً لكنها متضايقة السعة فلا يتجاوز معظمها ستة عشر او سبعة عشر كيلومتراً اما البرزخ الواصل المتقدم ذكره فيبلغ طوله نحواً من اربعين كيلومتراً. ومنطقة حائر البحيرة شكلها على غير انتظام تكون مساحتها ثمانية عشر الف متر مكعب وفي طي تلك المساحة مساحة البحيرة نفسها. والذي قرره الباحثون ان ارتفاع مياهها عن مستوى سطح البحر المالح تسعمائة وخمسة وستون متراً وهاتان البحيرتان مثل بحيرتي كيقو وطنجنكا جنوباً وبحيرة البرت شمالاً

(١) تدل احداث المعلومات في هذا الشأن على ان الاطوال المعتمد عليها الى الآن هي مغلوطة فيها وان البحيرة والجزء الاعلى من وادي سمانكي وجبال رونزوري موقعها اقصى الى الغرب مما جعلوه وتوهموه

(٢) يطلق اهل البانويرو على البحيرة اسم بحيرة دويرو. واما رُويزينا فجبال الى غربيها تابعة لسلسله رونزوري

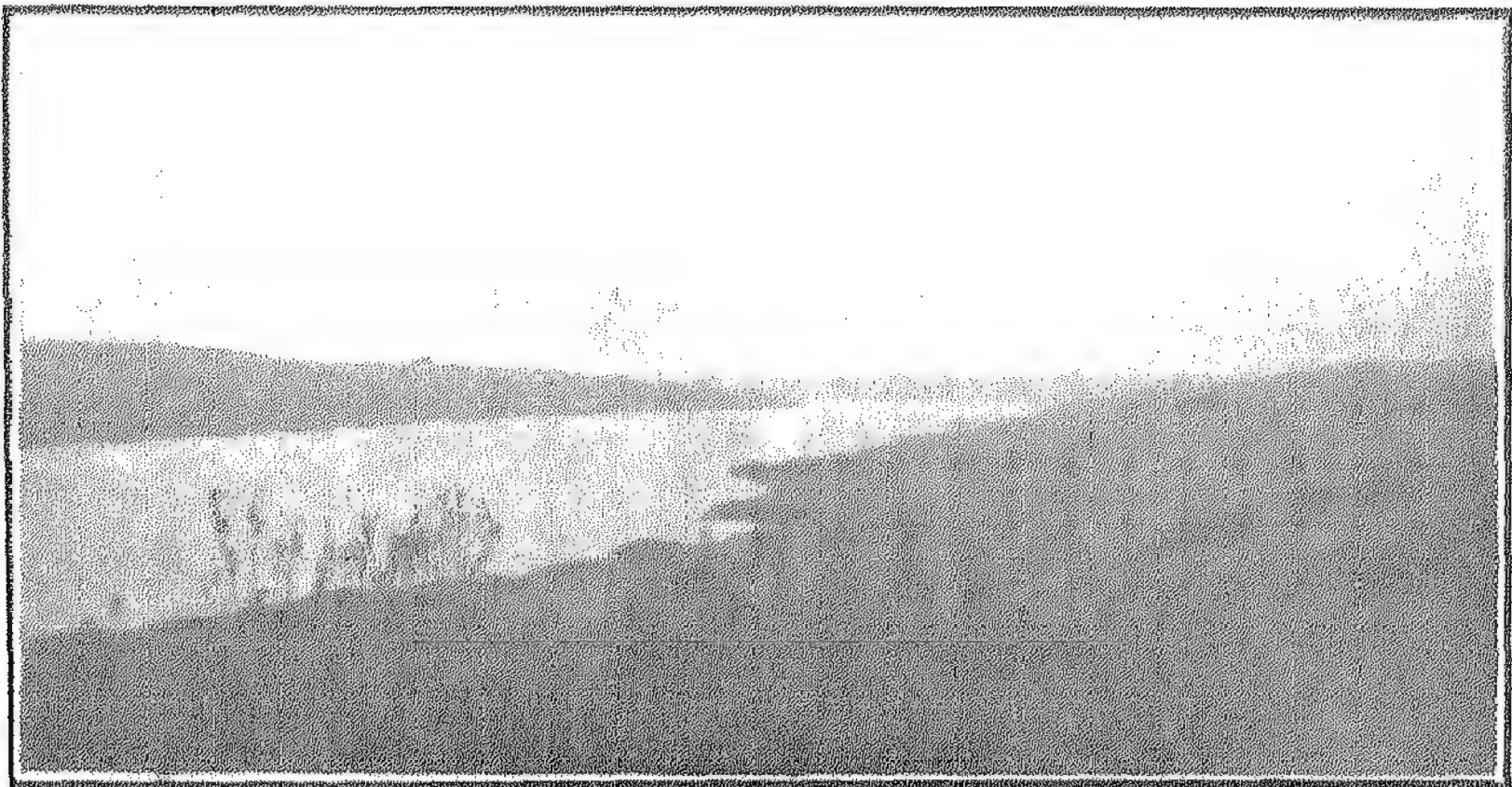
تكتنفها جبال المفجرة الكبرى الجنوبية التي تقعان هما فيها^(١) وهما حادثان عن انخساف الارض بين تلك الجبال ويشرف عليهما من علاليات ذات جروف هاوية يكون ارتفاعها عن سطح مياههما من ستمائة الى تسعمائة متر: والى شماليهما ترى طود روي زوري يناطح في شموخه القبة الزرقاء والبحيرتان تتلقيان عامة مياه صبيه من جانبي الجنوب والشرق . هذا واديم هذه البلاد بكامله من الحجر اللوحي المتبلور يخالطه في ارض المفجرة حجارة بركانية قد لفظتها البراكين وبعثرتها في عدة انحاء من تلك المنطقة كالحمم والبازلت الراسية الى الشمال عن بحيرة كيغو والى الجنوب عن بحيرة البرت ادورد . ثم ان حضيض المفجرة يتعالى تدريجاً حتى اذا صار الى درجة واحدة وثلاثين دقيقة من العرض الجنوبي صدته سلسلة جبال في بطنها براكين موكافري وكيرونجه كاميا جنجو وكاريزمي في قسم أفمبيورو بعضها اليوم ثائر وارتفاعه عن سطح البحر يكون زهاء خمسة آلاف متر. وفي المنحدرات الشمالية سائلات من الحمم البركانية تغشي تلك الجبال والطرف الاعلى من المفجرة ايضاً . وهذه الجبال تقوم كما قلنا في وجه تلك المفجرة عند تلك النقطة فتكون مضاجع السيل فيما بين مناطق البحيرات شماليها ومناطقها جنوبيها قال الرحالة مور^(٢) فيما يختص بتلك الجبال « والذي تبيّن أنه جلياً ان ثوران البراكين الذي حدث في المفجرة جنوبي بحيرة البرت ادورد من عهد ليس بالبعيد قد احدث رُكماً من الحمم اندفعت في تلك المفجرة فردمتها وذهبت بمعالها فتغير بذلك منسوب الارض في تلك البقعة تغيراً كلياً حتى انقطعت مياه منطقة بحيرة كيغو عن البحيرات الواقعة شماليها وانحبست ايضاً عن منطقة موارد النيل فانسابت الى بحيرة طنجنيكا » . انتهى . اقول وهذا الحادث

(١) راجع صفحتي ٩ و ١٠ من هذا الكتاب

(٢) طالع كتاب « جبال القمر » - لندرا سنة ١٩٠١



مصب نهر دويرو في بحيرة البرت ادورد عند كازنجا



نهر دويرو من بحيرة ادورد شمالاً

القريب قد ادّى ولا ريب الى انتقاص الموارد التي تقضي الى بحيرتي البرت
ادورد والبرت

قلت والارض على الطرف الجنوبي لبحيرة البرت ادورد منبسطة واسعة
الارعاء اديمها اي تربتها صلصالية ابليرية تلحق بالمنحدرات الشمالية لجبال كيقو
وهي صلداء عديمة الشجر يتخللها خروق عديدة تتضمن ملحاً وتقور فيها عيون
تتدفق بالمياه الحارّة وذلك في الطرف الجنوبي الشرقي^(١) واما البسائط فتحف
بالساحل الشرقي ذاهبة معه حتى تلحق بـكمر نجو في نحو منتصف الشقة
بين تخوم البحيرة الشمالية وتخومها الجنوبية والى شمالي هذه النقطة عالية
ناهضة تراحم الضفة مؤلفة من قنن متتالية منبسطة الرؤوس مدورتها يكون
متوسط ارتفاعها بين مائة متر ومائة وعشرين متراً . وهي تمر الى الانوف
الجنوبية لجبال روتزوري . وعلى بُعد من البحيرة بمجاراة ساحلها مستطيل
من الارض كثير الاشجار الملتفة وفي الارض الشمالية الشرقية كثير من الفوهات
البركانية ذات البحيرات . هذا والمهواة الشرقية في عدوتها الجنوبية تكاد تماس
ضفير البحيرة ولكنها في عدوتها الشمالية تفارقها متباعدة عنها وفي الطرف الشمالي
الشرقي قبالة كازنجا تكون سعة الوادي هناك نهاراً ثمانية عشر كيلومتراً وهو
يذهب في سمت الشمال مستعرضاً على هذه الصورة فيشمل في منفسحه بحيرة
دويرو وعلى مسيرة مائة واربعين كيلومتراً من طرف البحيرة الجنوبي تنعطف
الهضاب انعطافاً حاداً في سمت الغرب فتلتقي بروابي جبال روتزوري . والى
غربي بحيرة البرت ادورد سلسلة جبال تعرف عند اناسي تلك البلاد بجبال
واكنجو (في الكنفو الحرّة) وهي الحد الغربي للمفجرة تساير ضفير تلك
البحيرة فتحف بها . والبسائط في تلك الجهة صغيرة لكن المناقع قليلة والجبال

(١) طالع كتاب « الرحلة من رأس الرجا الصالح الى القاهرة » - لجرجن -

المذكورة تتصل بالبحيرة من طرفها الشمالي الغربي وتكون على مقربة من مخرج
نهر سملكي على ثماني دقائق وثلاثين ثانية من العرض الجنوبي . وإلى شمالي
البحيرة غربي ذلك النهر نجد من الأرض بسيط تربته ابلير سمين يتصاعد نحو
الشاطئ فيكون منه اطناف كاطناف الشاطئ الشرقي وليس بين تلك الاطناف
تباين الا في ان الشرقية تضافر البحيرة والشمالية متجافية عنها يحول بينها وبين
الضفة أجمة واسعة الحاشية . ويمتد هذا النجد شمالاً الى الانوف الجنوبية
القصى لجبال روينزوري ومن تلك الانوف سلسلة جبال ثانوية تتصل
بالبحيرة وتعرف بجبال كيوره وهي الحد الشرقي لاعالي وادي سملكي . ولا
ريب في ان هذه العلاية والعلاية الجنوبية جميعاً كانتا فيما مضى تغمرها مياه
البحيرة فان في مستدير صغيرها ومستدير بحيرة دويرودلائل واضحة على
ان البحيرة كانت افسح منها الآن وان مناسيبها كانت اعلى من مناسيب
اليوم بكثير وربما كان ذلك قبل الثوران البركاني الذي نشأ عنه انسداد المفجرة
شمالي بحيرة كيغو ولا بد من ان مياه البحيرة كانت مرّة تلاثم اسفل جروف
المهواة على كلا الجانبين وتحاضن ايضاً سفح روابي روينزوري وربما مرّت
الى الجنوب شاملة بحيرة كيغو ايضاً لكن ذلك حدس وتخمين . هذا
ويشاهد على الجانبين الشمالي والشرقي وربما على الجانب الغربي ايضاً
متخلفات بحيرة في علايات يكون بقدر مائة متر وزودها عن سطح الماء
وايما كنت ترى على الاطناف المجاورة كاطناف بحيرة خطوي الملحة مثلاً
(وهي احط من ذلك) آثار تلك الرواسب وكذا تراها على متن آكام
كيورا وانوف جبال الروينزوري وايضاً على العقبة الشرقية للمفجرة نفسها .
والحاصل ان في خلق تلك المنطقة جملة ما يدل دلالة واضحة على انها
كانت في القدم مقرى للماء وتكاد المرتفعات من الأرض في عامة تلك البقعة
تذهب حدوداً صوب البحيرة في نسيق من طبقات متوازيات تتخالف

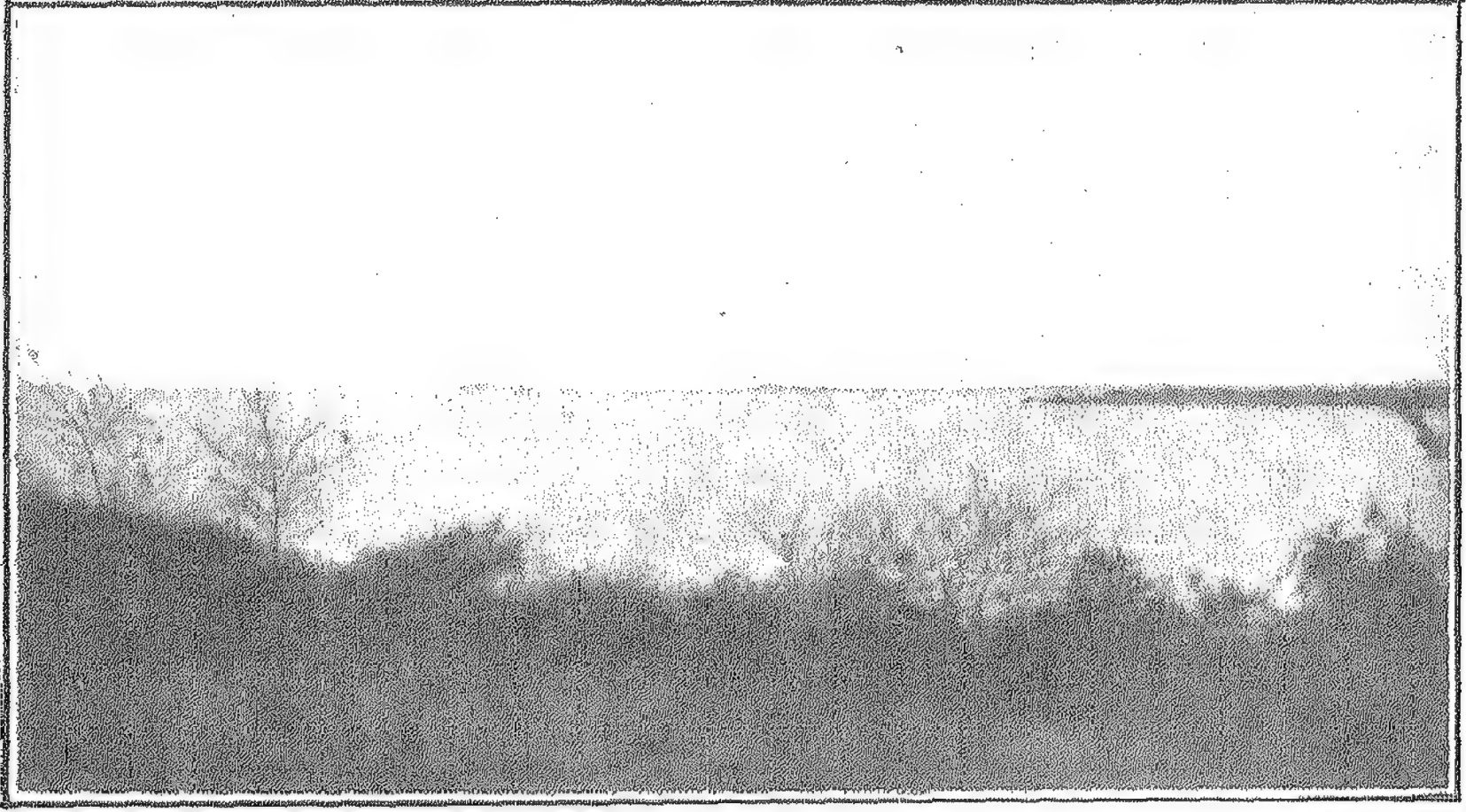
مناسيبها من علو الى سفلى وملاويها اي ثناياها كانت حينئذٍ خلجاناً وجوئاً وهي تشير الى ما كانت عليه مياه البحيرة في توالي الازمان من المنازل والمناسيب واما تعليل هذا الانقلاب الاكبر في تلك الانحاء فليس بالامر المستسهل قال المستر مور « ان قيام الجبال في بطن الوادي قد نشأ عنه امتناع جزء كبير من مياه الصَّبَب عن الانسكاب في البحيرة فانحسر بذلك ماؤها » . انتهى . اقول ان هذا التعليل ليس بالتعليل الشافي والذي اراه في حيز الاحتمال ان الوادي الواقع شمالي البحيرة قد تراكت في مضيق حاشتيه في العصر الخوالي أجراف منسكبة من متون جبال روينزوري فردمت مجراه ثم طغت مياه البحيرة رويداً على السد الحادث على هذه الصورة فجرّفت فيه تَجْرِيفاً متوالياً حتى نفذت منه الى الجانب الآخر فصار من ذلك نهر يقال له نهر السملكي . وما فتئت مياه هذا النهر تجرّف مائعات قاعه حتى انحطّ بذلك منسوبه انحطاطاً ادّى الى تحلُّب مياه البحيرة اليه بحكم الانحدار . وغلط الذين يقولون بان هذا الانحطاط اليوم قد بطل وزال الى التمام فان أهل تلك البلاد والذين هم على بينةٍ منها قد اجمعوا على ان الانحطاط لا يزال الى اليوم . ومهما يكن من الامر فان العوامل التي ادت بكيفو الى الارتفاع لا تزال هي اياها الى الآن ودليله البراكين الشائرة في الجبال المذكورة والينابيع الحارّة المحيطة بسفحها وزد عليه ان كافة تلك البقعة واقعة في منطقة الزلزال تكثُر فيها الزلازل وهي عنيفة في وادي هذه المفجرة

ويدخل البحيرة عدة انهارٍ وهي ليس لها الا مخرج واحد ينساب منه نهر سملكي^(١) . ثم ان مقدار ما يقع من الامطار غير معلوم الى التمام وربما كان في الاقل متراً ونصفاً في السنة وايام الامطار قسيمان قسم الامطار الغامرة وتقع في مارس وابريل ومايو وقسم الامطار الخفيفة تقع في اكتوبر ونوفمبر ودسمبر .

(١) سيأتي الكلام فيما بعد على هذه الانهار على وجه الاختصار

ومن خصوصيات هذه البحيرة انها في ايام الجفاف يظللها غمام كثيف حتى لا يتأتى للواقف على ضفيها ان يمد نظره الى ابد من امتار قلائل وقلما يتمكن الرائد الا في فصل الامطار من رؤية الجبال بديمة المنظر التي تكتنفها شمالاً وغرباً وربما اقام في جوارها اسبوعاً وهو لا يدري ان الى جنبه جبلاً ضخمة كتلك الجبال او ان على مقربة منه بحيرة كبرى كتلك البحيرة . وفي بعض الفترات ولا سيما في مغيب الشمس يخترق الضياء الغمام فينير وجه البحيرة وترى ماءها متلاًئلاً تلاًئلاً الذهب الابريز فيكون من ذلك كله أثر راسخ في النفس واذا ما الغمامة انقشعت فما ابداع ما هنالك من مرآى . والى الجنوب بركان ثائر يعرف بركان كاريسي ترى فوق رأسه في الفضاء سحابة من دخان والى الغرب سلسلة جبال الكنفو وهي في امتدادها اشبه شيء بالسور والى الشمال تستجلي العين قمم جبال روينزوري وهي قنن الثلج والى الشرق جرُوف المهواة الكبرى تسد الافق . وهذه المناظر فردة نادرة الوجود حتى لقد يقال بالاجمال ان عامة المراة حوّل البحيرة منظر تأس منه النفوس . وليس في حاشيتها ما عدا الطرف الجنوبي الغربي منها والطرف الشمالي الا ما قل من الخليجان وهي صغيرة اكبرها اثنان خليج خطوي وخليج وتشمبي . وليس في البحيرة سوى ثلاث جزر واقعة في خليج خطوي في الطرف الشمالي الشرقي^(١) . اما لون يمحها فاخضر صاف طعمه أجاج وسواحلها كسواحل بحيرة البرت تربتها مشربة ملحاً وهي فوق سطح الماء حاشيتها مستطيلة ضيق محشوك قصباً الا ما كان منها الى الشمال والجنوب فانه آجام منبسطة وما جل . وارض البحيرة ردغة طينها يضرب الى السنجابية وقل ما فيها او في شطوطها من الصخور وفي البحيرة ما لا يقدر من السمك وفي انحاء منها يكثر التمساح قيل

(١) ان في القسم المعروف من هذا الخليج ببخيرة دويرو عدة جزر اكبرها جزيرة شيكالير وجزيرة نو كافنجا



خليج قَطْوِي على بحيرة البرت ادورد



بحيرة البرت ادورد من خليج قَطْوِي جنوباً

ويكثر فرس الماء في الآجام الجنوبية ويسبح في البحيرة جماعات الطير المائي وفيها تيار يجتازها من الجنوب الى الشمال والقوم يقولون انه اذا سار زورق من مصب نهر أمتنجي في الطرف الجنوبي الشرقي قذف به التيار الى الطرف الشمالي منها فاوصله الى مخرج نهر سملكي في مدى يومين او ثلاثة ايام . اقول ولربما كانت القوة الدافعة للزورق الريح الدورية

ولا يُعلم الى اليوم مقدار غور البحيرة . يقول اهل تلك الاصقاع ان غورها اينما سبر ليس ببعيد فالماء في جانبها الشمالي ضحل رقارق على مرمى بعيد عن ضفتها وكذا الغور في جانبها الشمالي الشرقي طفيف لا يعتد به . وهي في إبان الامطار عرضة للانواء الشديدة حتى متى اعصفت الرياح يكون مسير الزوارق المنقورة (وهي الزوارق الفردة التي تجول فيها) خطراً جداً .
وقلما جسر الصيادون على التوغل في البحيرة بعيداً عن شاطئها واذا خرجوا من نقطة واحدة الى نقطة أخرى قصية اركنوا الى ملازمة الضفير بازاء الضفة وها انا اورد بياناً أوفى فيما يختص بالساحل الشمالي والبلاد المجاورة لبحيرة دوير وفاقول -- تقع كورة كازنجا (وهي محط القوافل على البحيرة آتية من محلة أَمبارارا في قسم انكولي) على الضفة الشرقية لنهر دويرو مسافة كيلومتر ونصف عن مصبه في تلك البحيرة . وعدد مساكن الكورة المذكورة خمسمائة والعمران في اقليمها قليل فاهلها يستقدمون مؤوتهم وميرتهم من كورة كشومبا الواقعة على المهواة الشرقية وبين الكورة وكورة خطوي تجارة الملح واهم ما يحترفونه صيد السمك وعند الكورة (كازنجا) معدية ومجاز الخليج بالزوارق وهي مجوفة في أرومة فردة من الشجر وعبره غاية في الصعوبة على القافلة لان الزوارق قليلة وهي قلقة يتعذر وسقها شيئاً كثيراً . والتمساح في تلك النقطة أقل القليل واما جدول دويرو عند كازنجا فسعته من ضفة الى اخرى اربعمائة وعشرون متراً ومتوسط غوره اربعة امتار وستة عشر سنتيمتراً

ومعظم عمقه في ابان الفيض خمسة امتار وربع واخطأ من عدده نهرأ لانه دون النهر حجماً فما هو اذاً الاوصلة بين البحيرتين وماؤه راكد ليس له جرية على الاطلاق وفي السحرتهب فيه ريج الشمال فتخال مائه يجري ببعض السرعة صوب البحيرة^(١) واذا تغير مهبها الامر الذي يغاب حدوثه قبل الظهيرة تنعكس وجهة جريته فتكون من بحيرة البرت صوب بحيرة دويرو. والامر الذي لا ريب فيه انه متى حلت ايام الجفاف وانحسرت مياه البحيرتين وقفت جريته. وعكس ذلك في ابان الامطار. اما بحيرة دويرو فانه تتحلب اليه مياه السيل من جبال رويزوري الشرقية فاذا ترامت اليها تلك المياه ومياه الجداول الاخرى الآتية من تلك الجبال يرتفع سطحها بالعجل ألا انها ذات مخرج واحد هو خليج قائم بين البحيرتين شعبة ضيقة كانها مختنق. وبديهي ان بحيرة دويرو هذه تعلو مياهها في هذه الفترة بالسرعة اكثر مما يحدث في بحيرة البرت ادورد وهي اوسع منها ولذا كان لا بد من ان تنصرف المياه من بحيرة دويرو الى بحيرة البرت ادورد ولا يبعد ان يكون مقدار تلك المياه كثيراً^(٢). هذا وعلى جانبي خليج دويرو هضاب يختلف ارتفاعها من بين ثمانين الى مائة متر لكنها ليست بهاوية ولا جرف بل تذهب صعوداً من حرف الماء حتى تتصل بالعلاتين الجانبيتين وساحل الخليج قليل الآجام والبقائع وعلى حفافيه الغاب والقصب^(٣). واما الساحل الشرقي لبحيرة البرت

(١) كانت ظواهر هذا الجدول خداعة حتى اتاني صباح الرابع عشر من فبراير سنة ١٩٠٣ تأهنا لاستعلام مقدار تصرفه ولكن الريح بعد الزوال تبدلت فانقلب المجرى وكان الماء يجري من البحيرة مندفعاً في ذلك الجدول

(٢) عندي ان ما أدنى بالسيارين الى اعتبار ذلك الخليج نهرأ هو انهم لم يشاهدوه الا في مثل ذلك الاوان

(٣) تكون الهضبات هناك متصاعدة بميل قدره اربعة او خمسة الى واحد. واما الهضبات الغربية فتحدرها اشد فانه اثنان او ثلاثة الى واحد

ادورد فتحف به في مدى بعيد جنوبي كازنجا هضاب^(١) شبيهة بتلك الهضاب
تخالف علوًا بين سبعين ومائة متر جوانبها وعرة مرداء لا نبات فيها سوى
شيء من الطحالب وشجر الفربيون^(٢) والمستطيل من الارض القائم بين
هذه الهضاب والبحيرة قليل السعة قلما تجاوز عرضه مائتين او ثلاثمائة متر
لكنه يتصعد متدرجًا ويدل تدرجه دلالة واضحة على منسوب البحيرة في
الغابر القريب^(٣) وعلى ارتفاع نحو سبعة امتار عن مستوى البحيرة الحالي
علامة تشير الى ان مياهها كانت في زمن ليس ببعيد تلاثم سفوح تلك
الهضاب^(٤) لا بل ان في متون هذه الهضاب كثيرًا من رواسب البحيرة
ذلك دليل على انها كانت مغمورة بالمياه يوم كانت مياه البحيرة تعم منفجر
الوادي كله والبحيرة تكتنفها المهواة الشرقية ويحف صعيد البر من هذه
الجهة بمياهها فيكون هناك نسيقًا من عليات متتاليات على وتيرة واحدة
توجب اللال والكرب^(٥) . وعلى حاشية الماء نبات القصب^(٥) وعند مصب

- (١) تمتاز هذه البعقة بكثرة هذا الشجر فانه قلما يخلو منه مكان هناك
- (٢) وهناك درجتان ارتفاع اولاهما عن سطح ماء البحيرة بقدر متر او مترين وارتفاع الثانية عن الاولى بقدر ثلاثة الى خمسة امتار
- (٣) قال الاستاذ استلمن ان في السهل الواقع غربي وتشعبي جنوباً (وارتفاعه عن سطح البحيرة الحالي بقدر ثمانية امتار) طبقة من الاصداف سمكها بقدر متر واحد ويعتقد اهل تلك البلدة ان السهل كان في ايام اجدادهم يماس اسافل تلك الاكام فأصبح اليوم جزءا من ضفير البحيرة — اقرأ الكتاب المعروف « بأمين باشا في اواسط افريقيا » — برلين سنة ١٨٩٤
- (٤) ان الوادي الذي الى شرق البحيرة الواقع بينها وبين العقبة الشرقية سبق لي وصفه في هذا الكتاب في الفصل الثالث « تحت البلاد الواقعة فيما بين بحيرتي فكتوريا والبرت ادورد »
- (٥) وفي الجنوب البعيد حرجة غضة كثيفة تراحم البحيرة متطالة اليها والفاصل بينهما منطقة مستطيلة من الارض الاجبية

نهر دويرو في البحيرة على جانبه الغربي مهواة اي طنف هائر طرفه الجنوبي
شجير يبرز منه سطح مستو عرضه مائة متر يمتد الى حد الماء وفي طرفه
الآخر جون يعرف بجون خطوي . هذا وكان منسوب البحيرة في فبراير سنة
١٩٠٣ غاية في الانحطاط ولا يبعد ان يكون اذ ذاك في اقصى انحطاطه لتسلط
الجفاف زمناً طويلاً قبل ذلك الشهر . والسياء الظاهرة في اديم الشط تدل
على ان نهاية فورتها لم تكن باكثر من متر واحد عن منسوبها في ذلك الحين
اما لون مايتها فأخضر صاف كما قلت في ما تقدم وقد يطفو على وجهه غشاء
ابيض كالزبد يذهب في عرض البحيرة من الشاطئ امداداً بعيداً يبلغ عدة
مئين من الامتار واما ماء نهر دويرو فأخضر زمردي غاية في الصفاء ولا
يفارقه لونه هذا كيفما عاجلته ولو القيته في اناء من الآنية لا يذهب عنه هذا
اللون وطعمه كطعم ماء البحيرة بشع يضرب الى الملوحة . اما زوارق البحيرة
فالواحد منها مصوغ من جزع واحد يحوفونه نقباً وحفراً ويكون متوسط
طوله خمسة عشر متراً وعرضه متراً واحداً وغوره خمسة وسبعين سنتيمتراً
والمجاذيف صغيرة جداً

ثم اذا جرت نهر دويرو فالارض بينه وبين البحيرة علانية ناهضة منبسطة
السطح عرضها زهاء متر واحد ونصف محشوة بدرق الاعشاب واشتات
الادغال وشجر القريون واذا اعتليت القنة تشرف منها على خليج خطوي
وهو خليج سعة ما بين ضفتيه اربعة كيلومترات وطوله ثمانية وفي عبابه ثلاث
جزر موسومة بالاشجار اثنتان منهن وهما رولمبا وكريسابا واقعتان على مقربة
من مصبه والثالثة تداني الشط الشمالي حتى تحالها بلصقه وهي جزء منه
على ان الفاصل بينها وبينه مجاز سعة تختلف بين مائة وستين ومائة وثمانين
متراً وليست هذه الجزر بنشاز شاهق حتى ان واحدة منها وهي جزيرة
كريسابا شكلها أشبه بشكل مرتفع انشكيت في خليج قرث . وتحت الجرف

الشرقي (وارتفاعه عن سطح الماء بقدر ثمانين متراً) بسائط منخفضة تذهب في مدى كيلومترين حتى تفضي الى شفير الخليج . واذا قرنت بين مرأى البحيرة وراكداً مائها وبين الجزيرات ذات الاشجار والحرجات وشجر الفريون القائم المنظر وزاهر الاعشاب الصفراء تبدى لك من ذلك منظر انيق يزيد رونقاً الآكام المنحطة المتقطعة الواقعة الى ما ورائها في الطرف الاقصى من الخليج . والى شرقي البحيرة علاية لها عشابة تذهب في الارض حتى تتجاوز نهر دويرو وهناك شجر الفريون ويجوز الحد في الكثرة ووجوده الى جنب بحيرة البرت ادورد هو ولا ريب من مميزات تلك الانحاء في المناظر الخلقية وهو فيها ناضر رطيب^(١) وهناك ايضاً اشجار اخرى ولكنها على قلة مع ان الادغال الشائكة بالغة حد الكثرة . وكلما اوغل الرائد شمالاً على ضفير خليج خطوي ضاقت البسائط المتقدم ذكرها وانسطحت حدرات المهادي . والاخوار تنحدر من علو الى ضفاف الماء . وعلى مسافة ثمانية كيلومترات من كازنجا ترى الطرف الشمالي للخليج . وهناك تفارق البسائط البحيرة في مدرجات بعضها فوق بعض ذاهبة في سمت الشمال يحيط بها هضبة تذهب الارض منها صعداً بالتدريج حتى تتصل بانوف جبال روينزوري . والظاهر ان البحيرة كانت في ما مضى اوسع منها اليوم في الجهة الشمالية بقدر خمسة كيلومترات فان الرواسب والاصداف تشاهد على رأس الهضبة في ارتفاع مائة متر عن سطح مياه البحيرة . واما نهر دويرو فينبه وبين البحيرة

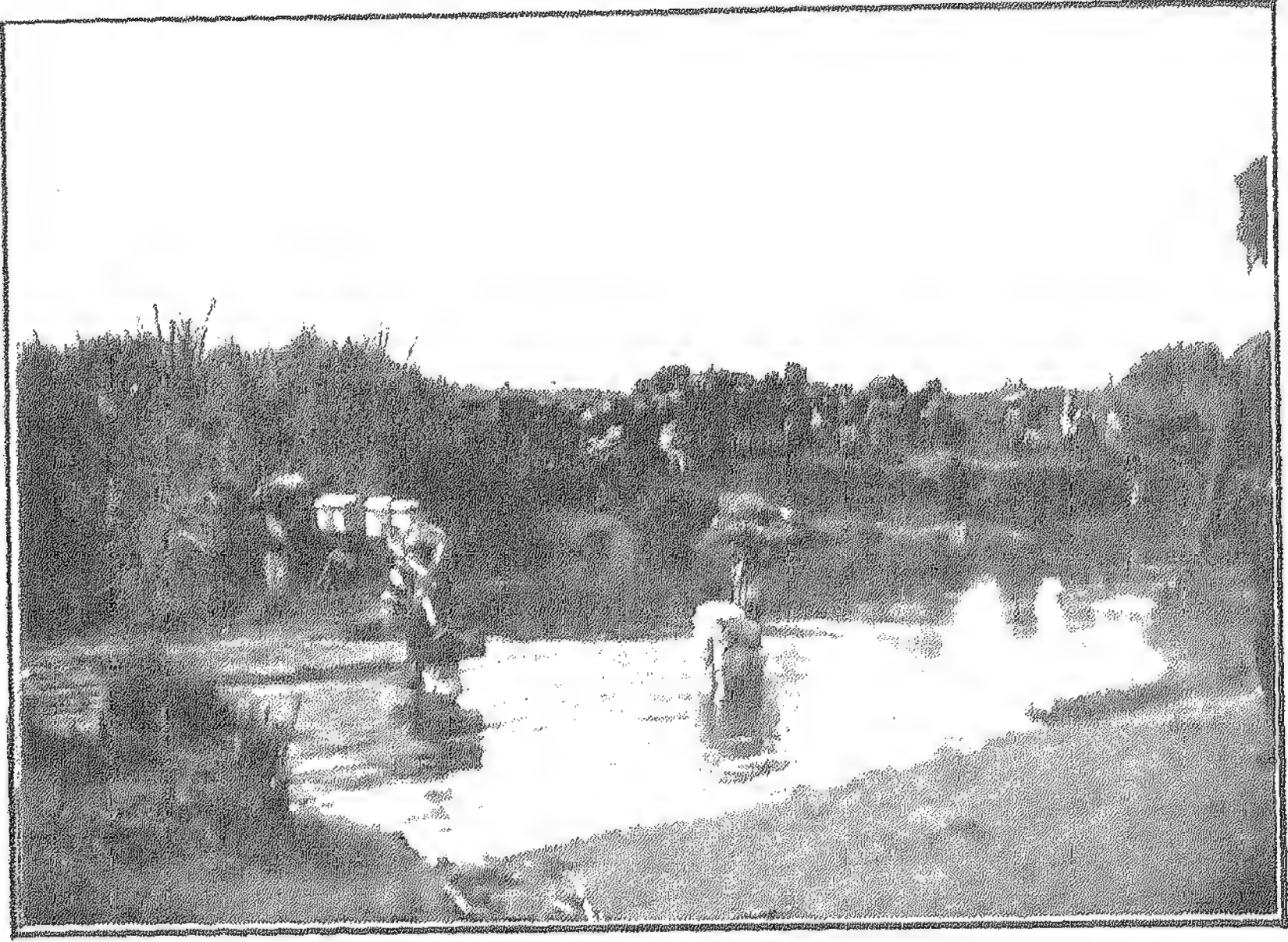
(١) بعض هذا الشجر نماؤه عجيب يخرج من الارض غلافاً يذهب في الجو عشرة امتار الى اثني عشر متراً على استقامة واحدة ثم تفتح قننه فينتشر على سمت الافق فيكون انتشاره اشبه شيء بشجر الشربين ويغلب ان يكون له قنة اخرى في منتصف الساق وعلى ذلك الساق آثار ما خلفته العصالج القديمة فيه من النقر والخروق

شرقاً سبعة أو ثمانية كيلومترات ويفصله عنها هضبة مستعالية^(١). وإذا ذهبت مغرباً وتبعمت الساحل البحري بازاء الهضبة المرتفعة عن سطح البحيرة بقدر ستين متراً ترى وانت على مسيرة عشرة كيلومترات من كازنجا تجويفاً مستديراً غريب المنظر تكتنفه أكمة وربما كان في سالف الدهر فوهة لبركان قاعها اليوم بحيرة وقطر ذلك التجويف كيلومتر وثلاثة أرباعه. والهضبة التي تحفُّ به يختلف ارتفاعها من بين خمسة وثلاثين الى مائة متر وفي ايام الجفاف تغيض مياه تلك البحيرة تاركة من بعدها طبقة ملحية رقيقة يستدير بها بسائط طينية مكسوة بالخبث يتخلله شيء قليل من هزيل شجر الفربيون وليس من شيء في تلك البقعة الموحشة ما يشتم منه رائحة الحياة الا ما تصادفه فيه من طوائف البجع. واما فوهة البركان فتدساب اليها مياه الرِّصَف المنحدرة من المرتفعات المجاورة ومعالِم الفيض في البحيرة تدلُّ على انفساح مياهها احياناً الى ما يساوي الثلث وليس للفوهة من منفذ ومستوى قاعها احط من مستوى قاع بحيرة البرت ادورد. والهضبة غريبها يكون ارتفاعها زهاء ثمانين متراً ومعدنها كلسي تعلوه رمال من متخلفات البحيرة ورواسب صدفية. ثم بعد مسيرك في متعادياتٍ من الارض بين منخفض ومنخفض الى ان تصير على مسيرة ثلاثة عشر كيلومتراً في دائرة شط الخليج عن كازنجا ترى محلة خطوي وهي بلدة عمارها اكباس^(٢) قائمة على رابية تشرف على البحيرة ومثل الحاكم منفرد عنها سقفه الحُفافة^(٣) مثبتة عليه. ولا أثر للعمران في جوار تلك البقعة ولكن اصحاب الكور والقرى يقتنون قطعاناً من الماشية

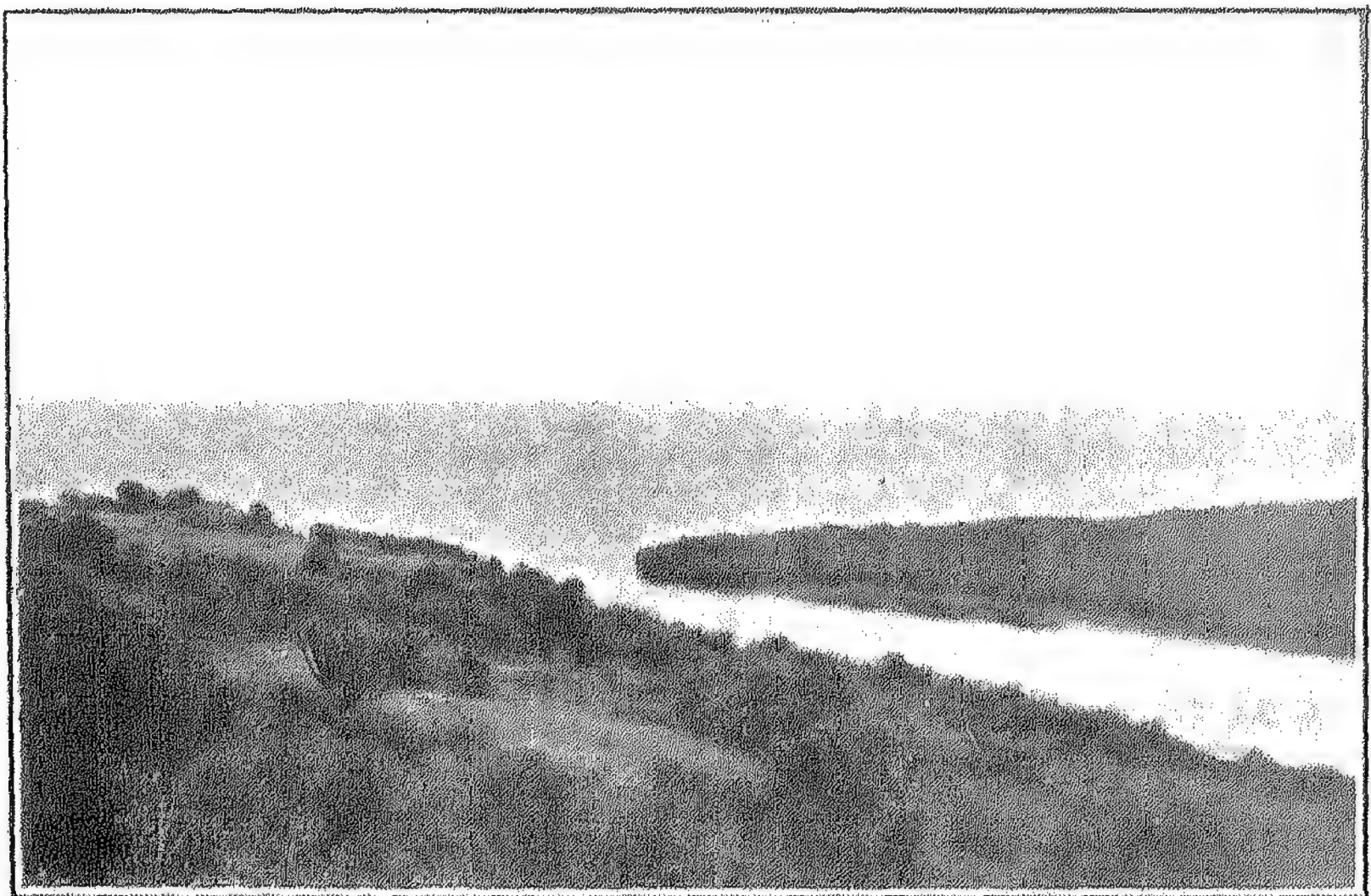
(١) البلاد التي بجوار خطوي مشهورة كلها بالوخامة (مالاريا) ورداءة الهواء بموضها بالغ الكثرة لكن هواءها في شهر فبراير غير مكروه نهارها حار لكن ليلاً قارس

(٢) جمع كبس وهو بيت من طين (المغرب)

(٣) بقية التبن والقشيش يابس (المغرب)



نهر نينغا شا وهو الحد الفاصل بين مستعمرة أنغندا ومقاطعة الكنفو الحرة



مخرج نهر سيملي من بحيرة ألبرت ادورد في مقاطعة الكنفو الحرة

ضائاً وَمَعَزاً . واذا واليت المسير مغرباً وكنت على اربعة عشر كيلومتراً من كازنجا فانت قبالة حصن جورج حيث الطول الجنوبي ثمانى دقائق وخمس عشرة ثانية وهو ضمن سور قليل السعة بناؤه حجر شكله قائم الزوايا وطي السور ايضاً عدد من الاكباس ويقم به اليوم نفر من الشرطة يبلغون الستة عدأ وهناك منشأ طريق حصن امبيتي على نهر سملكي . والى ما يلي حصن جورج المذكور منظر غريب هضبة محددة كالكين لا يتجاوز عرضها خمسين متراً تكاد جوانبها تكون راسية المهوي وتذهب على سمتها طولاً بقدر خمسمائة أو ستمائة متر فتصل النجود الغربية بالنجود الشرقية ^(١) .

واسفل الهضبة على جانبها الجنوبي بحيرة البرت ادورد وعلى جانبها الشمالي الى اليمين قاع مستدير في حضيضه بحيرة ملحة تعرف بحيرة خطوي ولا تكاد مسافة ما بين المائين تبلغ اكثر من ثمانمائة أو تسعمائة متر . وشتان ما هما فان ماء بحيرة البرت ادورد ازرق الى الخضرة واما ماء بحيرة خطوي فوردي ضارب الى الصفرة وهذه البحيرة تحيق بها جرؤف عوال حاشيتها حافلة بطوائف النخيل واذا صار ظليل هذه الروابي والاشجار اليها أحدث في سطح ماثها الوردي لوناً كلون القرمز فيكون من هذا الخليط اللوني منظر ليس كمثله منظر اما منسوب البحيرة الملحة فهو ولا ريب اخط من منسوب بحيرة البرت ادورد ولكن مقدار الفرق بين المنسوبين غير معلوم بالضبط ^(٢) . هذا وشكل

(١) النجود جمع نجد وهو ما ارتفع من الارض (المعرب)

(٢) قال الرحالة استنلي ان البحيرة الملحة بينها وبين قنة الهضبة زهاء خمسين متراً وبين بحيرة البرت ادورد زهاء سبعة وثلاثين مقاسة بالانرويد وعندي ان مقاس الارتفاعات الطفيفة بواسطة هذه الآلة لا يمكن من تعيين فرق المنسوب بالضبط . والذي اراه ان مقدار انحطاط البحيرة الملحة يكون سبعين او ثمانين متراً ومقدار انحطاط البرت ادورد بلغ خمسين او ستين متراً

البحيرة الملحة شبه دائرة لا ريب في انها كانت في غابر الدهر فوهة لجبل النار
قطرها زهاء كيلومترين ويكتنفها من جميع جوانبها هضاب وعرة ويؤخذ
من تلك البحيرة ما يتجوج اليه اسم تلك الانحاء فهي اي البحيرة مركز تجارة
الملح يقصدها التجار من الاقاصي . وبعد مبارحة الهضبة ومفارقة البحيرة
تكون مسافة طريق الرائد في خمسة كيلومترات من سيره مستوية سهلة الا
ان فيها بعض النوائى تجعل سهاها متعادياً وفي اديمها دغل كثير وتحف
بضفير بحيرة البرت ادورد جروف هاوية تشبه جروف الضفير الشرقي لخليج
خطوي التي تقدم ذكرها وهي بقدر ارتفاعها . وبين تلك الجروف والبحيرة
منبسطات من الارض كبيرة المتسع ينشأ في بعض انحاءها مناقع البردي
وعلى خمسة عشر كيلومتراً عن بلدة كازنجا ينساب نهر نيمغاشا ويقال له
ايضاً نيمغاشاني^(١) وهو اليوم في اعتبار اهل السياسة معلّم الحدود بين مستعمرة
الأغندا وبلاد الكنفو الحرة ينشأ من جبال روتزوري مجتازاً العلاية ذاهباً
في الغالب على سمت الجنوب ويصب في بحيرة البرت ادورد رامياً اليها من
الطرف الغربي لخليج خطوي وعلى جانبه الايسر محلة نياباباري تطل على
الطريق المؤدية من امبيني الى خطوي . وفي مجاورات تلك النقطة مزارع
كثيرة فيها الموز والذرة والبطاطا الحلوة واجتياز النهر هناك مستصعب لانه
في تلك النقطة بعيد الغور حتى في ايام الجفاف والفيض وجريته شديدة
وجرفاه هائزان وساحله لا يتخالفان مرأى الا في ان الساحل الآخر
اقل دغلاً وشجراً . وساحل البحيرة الى الغرب عن مندغم نيمغاشي يزداد
تضريساً بكثير من الخالجان والجوف عما في ساحلها الشرقي وصعيد
الارض يحف بجانبها وتتصعد اليه العلاية التي وراءه والجوف هناك والطنوف
متعاقبة يناسق بعضها بعضاً وكثير من تلك الطنوف شكلها مستدير وهي

(١) سأذكر هذا النهر عند الكلام على الانهار المنسبكة في بحيرة البرت ادورد

جروف وعرة رائعة المنظر مع ان ارتفاع اعلاها عن سطح الماء قد لا يتعدى ثمانين متراً واما الارض المنبسطة فمختلفة السعة ففي انحاء كثيرة منها تباع عدة كيلومترات عرضاً ولها على ضفير البحيرة اجمة مستطيلة عريضة غاصة بنبات البردي والقصب والى ما وراء ذلك ارض اعلى قليلاً من هذه فيها طائفة ملتفة من شجر السنط واما السهل الصلصالي الذي يتبسط شمالي البحيرة ماراً من علايات شطها الى آكام رونزيري ففي اماكن منه يكون كروضة فيها جماعات الشجر اللطيف وفي اماكن اخرى براح عقيم لا نبت فيه سوى شي من الاعشاب وشتات الادغال او الفربيون . وليس في تلك الاصقاع عمارة الا اكواخ الصيادين التي لا يقع للرائد ان يصادفها على الجرف المحيط بالبحيرة الا فيما ندر . واذا صرت على عشرين كيلومتراً من كازنجا هناك تتحرف الطريق المؤدية الى الحصن البلجيكي عند امبيني فتصبح وجهتها شمالية غربية ويضطر القاصد لمخرج نهر سملكي الى مغادرتها واجتياز عرض البر على سمت الغرب هياماً على وجهه في غير مسلك معلوم والعالية في تلك النقطة عبارة عن مفازة هي قاع بلقع مستوي الاديم لولا ما يتخلله من المنخفضات القليلة الغور وساحل البحيرة هناك مطمئن كثير الآجام والمناقع وفيما يلي تلك النقطة على بعض الكيلومترات عنها تكون الارض هناك نسيقاً عجيباً من منخفضات ومرتفعات تذهب شمالاً بجنوب وتكاد تكون متوازيات متحاذايات . والبر اشبه بفضاء من الارض مهيأة الحرث تكون سعة الثلثة فيها من اربعمائة الى ثمانماية متر وارتفاع حرفها بين ثلثة واخرى من بين مترين الى ثلاثة امتار واذا صارت هذه الاخاديد من البحيرة على خمسة كيلومترات او ستة هناك عالية تتجلب مياهها الى هذه الاخاديد مارّة في سمت الشمال . هذا الى مايلي ذلك بستة كيلومترات غرباً تنقطع الاخاديد ويتغير طبق الارض فتبين الطنوف المحيطة بالبحيرة غير انها لا تكون بارتفاعها الاول فهي لا تتجاوز

في تلك الأنحاء خمسين أو ستين متراً . وضفير البحيرة هناك نظم من
الخلجان والاختوار الاجمية حافلة بنبات البردي مطوقة بعقد من شجر السنط
والبلاد الى ما وراء الطنوف معتدلة الارتفاع وهي براح بسيط فيه اشحات
السنط مفرط الطول وقائم العلاية عن البحيرة يكون في العامة من بين
ثلاثين الى اربعين متراً وسطحها سوي كلة الا ما يتخلله على كثرة من الاغوار
الاجمية الفاصة بغاب القصب ومتوسط سعتها زهاء ستين او سبعين متراً
اقول وعلى واحد وثلاثين كيلومتراً من كازنجا هناك وادي نهر ديرا وادي
واسع المنفجر وهو بطحاء بعيدة الغوري يباغ اتساعها قريب كيلومترين يسير النهر
المذكور في وسطها بتعاريجه ومطاويه^(١) واجتيازها اشق من اجتياز نهر نيمغاشا
لان جريته حثيثة وجروفه شاهقة قائمة الانحدار والى ضفة الوادي الغربية
ارض متعادية يعلوها ملتك الادغال تذهب صعداً حتى تلحق بسفح جبال
كيورا وهي جبال تكون مسافة ما بينها وبين كازنجا نحواً من خمسة وثلاثين
كيلومتراً^(٢) وما هي الا تمة سلسلة روتزوري والمنقطع الفرد في مستوى
العلاية التي تسير في مهب الشمال صابة الى بحيرة البرت ادورد . والسلسلة
تذهب في الارض من شمال الى جنوب حتى تقضي الى شط البحيرة^(٣)
اما آكام كيور فهي الحد الشرقي لوادي نهر السملكي وهي اكام بديمة
الخائفة ذات قن وآناف جميلة المنظر يختلف ارتفاع بعضها بين الف وستائة

(١) سأذكر هذا النهر ايضاً في ما يأتي من طي هذا الكتاب

(٢) وردت هذه الجبال في الخرائط باسم جبال كيتوروا وهو اسم مجهول عند
أناسي تلك البلاد . يقول عمال المركز المقيمون بشمال تلك البقعة ان الجبال المذكورة
يطلق الاهلون عليها اسم جبال كاكوني

(٣) ان في الخرائط الموضوعة لهذه النقطة خطأ اذ يتبين منها ان هذه الجبال
تنتهي على مسافة من البحيرة شمالاً وهو خلاف الواقع

والف وثمانمائة متر عن سطح البحر الملح ومنحدرها الشرقي وعروى هوي بخلاف
المنحدر الغربي فهو اشد انسطاحاً وأكثر شجراً وفي مصدرها الشرقي (ما خلا ما
فيه من الاخاديد والاخوار العميقة) نوع من الشجر على قلة . والمنحدرات
فيه عشبية تتابع بينها مهاو متصوبة هي صخر اقرع يتصعد وعراً خشباً فوق
راس الجزء المنخفض من تلك السلسلة والى ما بعد السطر الاول من الآكام
سطر آخر يجوزه علواً وارتفاعاً وفي سفحه على موازاة وادي دبيرة حرف
منسطح الضهر يسير معه الى امد . ويكون علوه عن النهر زهاء سبعين متراً .
والجبال تذهب في الارض على سمت الجنوب حتى تفضي الى بحيرة البرت
ادورد فتكون الهضبة الاخيرة منها هناك قليلة الجرم مستديرة الشكل .
وضفير البحيرة في تلك النقطة مطمئن بسيط في بعضه منافع وفي عامته غياض
كثيفة ملتفة من شجر السنط . وبعض الاخوار على مصدرها الشرقي بعيدة
القاع انحدارها هائر هوي وهي تبدأ من عند قنة السلسلة وتصير الى حضيض
الوادي وكلها غابات وآجام وأحد هذه الاخوار قائم الجرف يكون ارتفاع
مسطحه مئات من الامتار وقد انهار جانب من الهضبة منزلقاً اليه وتبين
من قطاعه الطبقات الارضية على اختلاف طبيعتها . وفي تلك البقعة
رواسب مائية واصداف توجد في اماكن عليّة يكون ارتفاعها عن سطح
البحيرة الحالي حوالي مائة متر ذلك دليل قاطع على ان مياهها كانت مرة
أعلى جداً منها في ايامنا . هذا وفي تلك الهضاب كثير من المسالك
والشعاب افضلها وايسرها سلوكاً يقع الى الشمال وهناك الطريق المؤدية
من خطوى الى حصن اميني ومنها مجاز آخر في منتصف الجبل وهو
المجاز الذي سلكه الرحالة لوجرد في سنة ١٨٩١ ومجاز آخر وهو اشقم سلوكاً
وامنعها واقع في الطرف الجنوبي للسلسلة والتصعيد في نهض تلك الجبال
شاق لكثرة عقباتها المستوعرة وما للمسافر فيها مندوحة عن ارتقاء طنوف

متدرجة في سنام مستطيل على كلا جانبيه اخوار بعيدة القاع ويصادف في صعوده علايات صغيرة تحديق بها في الغالب قن حادة الرؤوس منها المستديرة والمثلثة والمفرّضة والمخرّوطة وأكثر هذه العلايات المنعزلة غياض كثيرة الشجر ترح في ظلالها جماعات الوعل تيسها قرناه يجوزان الحد طولاً وهما كثيراً الشعب منفسحاً الانتشار

واذا قطع الرائد مسافة ستة كيلومترات صُعداً يجيئ إلى قمة المنفذ وهي الشعب تعلو عن سطح البحيرة نحو ثلاثمائة وخمسين متراً وعلى كلا جانبيه قمم الروابي المجاورة يختلف ارتفاعها عن تلك القمة بين مائة ومائة وخمسين متراً وفيما يلي ذلك مبحراً تزداد الجبال شموخاً فتبلغ أعلى قممها ستمائة متر عن قرار الوادي ويكون منسوبها أي ارتفاعها عن سطح البحر الملح ألفاً وستمائة متر ومن ذروة الشعب القبلية تتجلى بحيرة البرت ادورد للعين عن بُعدٍ قصيٍّ في منظر باهٍ بديع ولا بدعٍ فانك تبصر الخللجان والمرتفعات الحافة بها الدالة على حد ساحلها الشمالي وكذا البقاع والمناقع والبسائط الكثيرة الغياض تراها منبسطة امام عينيك كأنها مرسومة في خريطة وانت تبصرها من خلال عدسيات مكبرة . واذا أوجلت طرفك الى الغرب يتبين لك وادي نهر سملكي وعلى طرفه الاقصى جبال الكنفو . هذا في التصعيد في قادمة آكام كيورا الشرقية واما التحدير في قادمتهما الغربية فيبتدي بشعب بين اكتين يبلغ اتساعه من جانب الى آخر ثمانمائة متر والطريق يحف بطنفٍ طويلٍ ذاهباً معه ومن تحته الى الشمال عنه وادٍ فسيح خفيف الانحدار مشحون بشتات شجر السنط وفيه نتوات قليلة من حجر الجرانيت قائمة في جرفه الاقصى ولا يعتّم المسافر بعد ان يسير خمسة كيلومترات من قمة ذلك المضيق نزولاً حتى يأتي على آخر الشقة فينتهي الى وادي سملكي^(١)

(١) سأصف هذا الوادي ببعض الاسهاب في فصل نهر سملكي . واعلم

هذا ومما أوجب ذكره بالايجاز في هذا المقام انما هو مضيق دويرو والبحيرة التي هي جزء من بحيرة البرت ادورد فأقول - يبلغ طول هذا المضيق من حد كازنجا زهاء اربعين كيلومتراً ومن النقطة التي يفارق عندها تلك البحيرة الى مسافة احد عشر كيلومتراً تقريباً يكون مسيله بتعاريج كثيرة بين جروف عليّة ومتوسط سعته خمسمائة متر ومن ثم ينفسح ويمر على محاذاة الوادي في سمت الشمال الغربي وعرضه يختلف بين كيلومترين و كيلومترين ونصف وعلى خمسة وعشرين كيلومتراً عن كازنجا على مقربة من كاتجولا يقع اليه نهر أو جدول يخرج من سفح المهواة الشرقية يقال له كيمبورا وعند نقطة تبطحه حتى يكون منه بحيرة دويرو بلدة ما ونجا على ضفته الشرقية وعلى مقربة من تلك البلدة يصب في هذه البحيرة نهر يعرف عندهم بجدول كاتايرا وعند مندمه تنشأ بطيحة كبرى تذهب بعيداً في الارض جنوباً بشرق وينفجر من الوادي الشرقي اربعة جداول ترمي الى البحيرة ايضاً^(١) اما شكل البحيرة في مسافة منها تبلغ عشرين كيلومتراً فربع مستطيل غير نظيم معظم سعته ستة عشر او سبعة عشر كيلومتراً ويمتد من طرفها الشمالي الغربي خليج مستطيل الشكل متوسط سعته يختلف من بين ستة الى سبعة كيلومترات عند نقطة امتداده ثم تقل سعته ويكون طوله من عشرة الى اثني عشر كيلومتراً وفي جانبها الغربي خليج كبير يعرف بخليج لونيكا وعلى مقربة من مدخل مضيق دويرو جزيرتان تعرف احدهما بجزيرة شيكاليرو والاخرى ببيرة نو كفنجا . وعلى عامة الضفير الغربي آجام ومناقع فيها نبات البردي وغابات القصب وما الخليج الشمالي المتقدم ذكره الا بطيحة هائلة

ان فرجة هذا الوادي تبلغ خمسة وعشرين كيلومتراً
(١) هذه الجداول هي كيتندا وكنتيا وبجاو وكيكومي

لا بحيرة^(١) ثم ان جروف المهواة الكبرى تتداني من الماء حتى تحف به ولكنها في شمالي نهر امباجو تتقاصى عن البحيرة فيكون الساحل هناك في جميع طرفه الشمالي محشوكاً بكثيف الاشجار نبتها خاص بالاصقاع الحارة يرح في اقطارها جماعات الفيل . وفي الشمال الاقصى يتعالى البر مستوعراً في صف من العلايات مكونة من طنوف جبال رونزوري واكامها^(٢) . هذا وينصرف الى بحيرة دويرو مياه كثير من الانهار كلها (ما خلا الجداول والنهيرات في الجهة الشمالية) تنشأ من الجبال المذكورة على ان بعضها يفيض بالرداء^(٣) . فاعيان الانهار من حد الطرف الجنوبي للبحيرة ثمانية وهي ما كوكيا وٲويسمبا ولو كوكو وسيبو وامبوكو وهيما وزويمى او انسجي وامبنجو وفرعة وهو مانوبو وجميع هذه الانهار تسيل من مقدم رونزوري الشرقي واما لو كوكو وسيبو وامبوكو ففيضها بالرداء^(٤) وسائر هذه الانهار ماعدانهرى رويمى وامبنجو تفرغ الى بحيرة دويرو قهبط اليها من جانبها الغربي وليس واحد منها بعيد الطول لان سلسلة جبال رونزوري ليست في نقطة واحدة منها قصبة التباعد عن البحيرة غرباً فانها بعد خروجها من مضائق الجبل لا تكون سعة الوادي الذي تسيل فيه راميةً اليها باكثر من ثمانية او عشرة كيلومترات . قلت ان عامة الانهار المتقدم ذكرها تسيل من قادمة رونزوري

(١) سآتي على وصف الساحل الشرقي باكثر بيان في فصل البلاد الواقعة

فيما بين بحيرتي البرت ادورد والبرت

(٢) وينشأ من شمالي هذه البحيرة اجمة تجتاز تورو فتفضي الى أنيورو

(٣) الرداء جمع ردهة وهي ماء ذوب الثلج (المغرب)

(٤) مياه الصبب المنسكبة من جبال رونزوري تفرغ جميعاً الى بحيرة البرت ذلك

لان الانهار الشرقية تتفجر الى بحيرة دويرو ثم تذهب الى بحيرة البرت ادورد . والبحيرة ليس لها الا مخرج واحد يكون منه خليج يقال له نهر سملكي تنجلب اليه في طريقه عامة

الانهار التي على جانب رونزوري الغربي وهو يرمي الى بحيرة البرت

الشرقي واما نهر ارويي وامبنجو المتقدم ذكرهما فيطمحان في جريهما مجالا بعيداً الى الشمال فيطوفان بالبحيرة من جانبها الشمالي ثم يدخلانها من جانبها الشرقي ويرويين النهرين آكام متناسقة لاحقة بجبال روتزوري وتكون في ناحية الجنوب جبلاً هو جبل لبابا المعروف بجبل ادون أرلند ويبلغ ارتفاعه عن سطح البحر الملح ألفاً وسبعمائة متر . وسيد هذه الانهار جميعها نهر امبنجو وهو اعظم ممدات بحيرة البرت ادورد ولو يستثنى نهر رتشورو في الجنوب . وهالك زبدة ما وصل الي علمه من امر هذه الانهار اولاً نهر ماكوكيا - يخرج هذا النهر من الجبال على نحو تسعة وعشرين كيلومتراً عن بلدة خطوي في مهب الشمال وهو في ايام الجفاف مجرى طفيف يكون عرضه ثلاثة امتار وغوره اربعين سنتيمتراً . وقد كان تصرفه في الثالث والعشرين من فبراير سنة ١٩٠٣ خمسة واربعين سنتيمتراً مكعباً ونصفاً في الثانية واما في ابان الفيض فهو عارض اكبر في سبيل الرواد وعند مفارقتـه الآكام ينساب في مضيق جميل له من بين جرفيه سعة مائة متر وغوره يختلف من بين عشرة امتار الى اثني عشر متراً شفيره هوي عمودي الانحدار وهو مقصبة قصبها رفيع متشابك وعلى طرفه الغربي قنة وعرة فارعة عن الآكام المجاورة . اما طول مسيل النهر فلا يكاد يبلغ عشرين كيلومتراً^(١) وهو يفرغ الى البحيرة فيغوصها من الطرف الشمالي الغربي خليج لونكا

ثانياً نهر تويسمبا - يشق هذا النهر في السهل الذي بين الجبال وبحيرة دويرو على واحد واربعين كيلومتراً من خطوي شمالاً وهناك يتبطن وادياً منفسحاً بين الآكام والسهل هناك متسعة كيلومتر ونصف وفيه عدد عديد من الاخوار التي خددتها السيول منتشرة في بطونها الدمايك وقد يبلغ الدملوك الواحد مبلغاً جسيماً وبعض هذه الاخايد فسيح الاقطار تكون

(١) راجع خريطة بحيرتي البرت والبرت ادورد للاستاذ اشتدن التي جمعها مكس موازل

سعته زهاء ثلاثين متراً ودَرَكَهُ مترين وربماً وعلى عامتها اثار فعل الماء ويتبين لك من تناثر الدماليك وانتشارها وتقاذفها ما لهذه المسایل من شدة الجرية في ابّان الفيض . ويكون مسيل النهر في ابان الفيض (الجفاف) لا تتجاوز سعته اربعة امتار وغوره ثلاثين سنتيمتراً . واما تصرفه (منطلقة) فكان في ٢٣ فبراير من سنة ١٩٠٣ ثلاثة وستين سنتيمتراً وستة اعشار السنتيمتر في الثانية ليس غير . ويكون متسع مسيله في الفيض مائة متر وغوره متراً وربماً وهو مشحون بالادغال من قصب واعشاب متراكبة . واما طوله فيبلغ نحواً من ثلاثة وثلاثين كيلومتراً^(١)

الثانهر لوكوكو - يشاهد هذا النهر على كيلومترات شمالاً عن نهر نويسمبافو قريب منه لكنه يخرج من الجبال في مضيق آخر . والنهر ماؤه من ذوب الثلج (الرده) . مسيله سعته عشرة امتار وعمقه اربعة امتار وثمانون سنتيمتراً وجروفه هويّة تكاد تكون عمودية وقد تليّنت سعة غديره بازاء منبثقة من الآكام وذلك في ٢٣ فبراير سنة ١٩٠٣ فاذا بها عشرة امتار وكان بعد غوره في ذلك اليوم خمسة وتسعين سنتيمتراً ومتوسط جريته ثلاثة وخمسين سنتيمتراً في الثانية والتصرف مترين وثمانين سنتيمتراً في الثانية . اما فورة فيضه اي جماها ومعظمها عند تلك النقطة فتر واحد وسبعون سنتيمتراً كما يتبين ذلك من العلامات المتخلفة على جرفيه ولا يبعد ان تكون تلك الفورة في الفيض الزاخر اُعلى من ذلك بكثير . هذا وعلى جانبي النهر بسائط من الارض سعتها تختلف بين ثمانين متراً عامتها مقصبة قصبتها متعالي الساق اما مجراه بعد مبارحته الجبل فذو تعاريج وتلافيف كثيرة وفي جروفه تأكل شديد . ماؤه صاف زلال أشبه بالردهة ومسيله بطّيح تكون جريته في سميت

(١) انظر خريطة بحيرتي البرت والبرت ادورد للاستاذ اُشتلمن التي جمعها

الجنوب الشرقي^(١)

رابعاً نهر سيبو - يكون هذا النهر عند خروجه من الالكة على خمسة كيلومترات عن نهر لوكوكو شمالاً او ثلاثة وخمسين كيلومتراً عن خطوي شمالاً وعند تلك النقطة تنفرج الروابي عن وادي دويرو فيكون منه وادي متسع الفجرة على جانبه الايمن ثلاث قنن مخروطة الشكل والنهر ينساب في هذه الفجرة وهو ينشأ في المثالج الشرقية لجبال روتزوري وكذا نهر لوكوكو عين جارية جريته مستديمة في عامة السنة كسائر الانهار التي تنشأ في تلك البقعة . واديه فسيح وربما تفجرت اليه سيول غامرة في ازمان الفيض بدليل ما تراه من اثار فعل المياه في عامة مسيله فالحجارة متناثرة متبعثرة في جميع اقطاره . اما مجرى النهر فزهيد جداً مستقره كثير الانخفاض سمته لا يتجاوز مترين وغوره متر وخمسة وسبعون سنتيمتراً وجروفه قائمة عمودية على جنب مائه وقد استقصى تصرفه اي منطلقه في الخامس والعشرين من شهر فبراير من سنة ١٩٠٣ فكان ثلاثة وخمسين سنتيمتراً في الثانية وكان عرضه يومئذ مترين وغوره تسعة واربعين سنتيمتراً ومتوسط جريته اي سرعته نصف متر في الثانية . اما طوله فعشرون كيلومتراً (كذا في خريطة استلمن)^(٢) وقيل يبلغ البحيرة يلتقي بنهر أمبوكو فيكون له ممداً . اقول والوادي بين هذين النهرين محشوك كله بغابات القصب المتجاوز الحد في طول ساقه يتخلله عدة مسايل جافة مغطاة ارضها بالحصى

(١) لقد اخطأ موازِل في خريطة اذ جعل طول النهر ستة عشر او سبعة عشر كيلومتراً والحال انه من كبار الانهار الصابة في بحيرة دويرو من الغرب ومأتاه من مثالج روتزوري اذاً يكون طوله اقله ثلاثين الى خمسة وثلاثين كيلومتراً

(٢) وفي ذلك ايضاً خطأ في الخريطة فان هذا النهر كنهر لوكوكو وأمبوكو يستنزف المثالج ولا بد من ان يكون طوله اكثر من ثلاثين كيلومتراً

وربما تمذر على القوافل اجتيازه في ابان الامطار فضلاً عن اجتياز النهرين المذكورين

خامساً نهر أمبوكو - يقع هذا النهر على ثمانية وخمسين كيلومتراً عن خطوي شمالاً وفي ممره من هضاب الجبل الى بطيحة دويرو يحتاز الوادي اما ماؤه فستنزف مشالج روتزوري الكبرى وهو اعظم الانهار التي ترمي الى بحيرة دويرو وعلى الجانب الغربي يسير معظمه في سمت الغرب ومسافة طوله اربعون كيلومتراً لان عينه في سلسلة من الجبال ارتفاعها عن سطح البحر الملح حوالي اربعة آلاف كيلومتر^(١). وعند منفجرة ينساب في صفف من جنادل طفيفة زالجة من فوق صخر ورضراض وماؤه زلال مفرط البرودة وتبلغ سعة مجراه في ازمان الفيض ثمانية امتار ويكون غوره متراً واحداً ونصفاً. شفيره صخر هوي عمودي المهوى شبر مجراه في الخامس والعشرين من فبراير سنة ١٩٠٣ فكان غوره ثلاثة وثمانين سنتيمتراً ومتوسط جريته متراً وستة عشر سنتيمتراً في الثانية ومن ذلك علم ان مقدار تصرفه كان يومئذ قريب سبعة امتار وخمسة سنتيمترات. ومياه فيضه تطم مياه غيضة بقدر مترين وخمسة وسبعين سنتيمتراً ويكون متسع مسيله ابان الطفيان مائة وعشرين متراً. هذا ومن المستصعبات تقدير تصرف النهر الا انه عند اقصى فيضه لا يقصر كثيراً عن ثلاثمائة متر في الثانية لكن فيضه قصير الفترة يأتيه دقائق متواترة حتى لقد يمتنع اجتيازه ستة او سبعة ايام متوالية ثم ينحسر

سادساً نهر هيا - يقع هذا النهر فيما بعد نهر أمبوكو الى الشمال وهو يرمي الى بحيرة دويرو من جانبها الغربي وهو عن خطوي على ثلاثة وستين كيلومتراً شمالاً. مسيله مطمئن بعيد القرار مضجعه بين جرفين هما غاية في الوعورة وتبلغ سمته مائة وثلاثين متراً ومسافة ما بين شفا جرفه الايمن

(الجنوبي) وقاع حوضه اربعة وعشرون متراً ومسافة الشفا الايسر (الشمالي) عن ذلك القاع ستة عشر متراً وكلا الجرفين هائر يكاد يكون عمودياً والنهر في مسيله شعبتان يمناهما وهي الكبرى تكون عن الجرف بقدر عشرة امتار ويسراهما يكون عن عدوة الوادي القصوى على واحد وثلاثين متراً . واليمنى سمعتها اربعة امتار وغور مائها ثلاثة امتار ونصف واليسرى سمعتها ثلاثة امتار وغورها متران ونصف واما سعة ما بين الشعبتين وبراخ ما بينهما والجرفين فمقصفة كثيفة متلازمة القصب المجاوز الحد طولاً يتخلل ادغالها قليل الاشجار . واما تصرف الشعبة اليسرى فكاد يكون معدوماً في السادس والعشرين من الشهر المذكور واما تصرف اليمنى فلم يجاوز اثنين وسبعين سنتيمتراً وثمانية اعشار السنتيمتر في الثانية^(١) وماء النهر صاف يمر على صخر ورضراض^(٢) . هذا وليس بالسهل تقرير مقدار الفيض في هذا النهر لكن أناسي تلك الاقطار يقولون ان الفيض لا يجاوز قط أعلى اديم الشعبتين وربما كان قولهم صحيحاً لان قيام الاشجار والادغال في البراح المذكور دليل على ان الوادي لا ينفجر اليه سيل دُفاق . وزد على ذلك ما لارض المجرى من عظيم الانحدار على انه يجوز ان يجعل معظم الفيض بين مترين وثلاثة امتار . أقول ويذهب النهر في سمت الشرق بالغاً من الطول (على ما في خريطة أستممن) خمسة وعشرين كيلومتراً . وليس مستدرته بمثلجة بل هو ينشأ من جبال روتزوري الصغرى وفي اعالي الهضاب رواسب جيوية لها كبير الشبه بالكنكور . وهو خاتمة الانهار الرامية الى بحيرة دويرو من جانبها الشرقي واوغلها على سمت الشمال وبينه وبين الممد الثاني للبحيرة اعني به نهر رويي شنخوب (أي انف) ذاهب

(١) كان غور الماء حينئذٍ ستين سنتيمتراً ومتوسط السرعة خمسة وعشرين سنتيمتراً في الثانية

(٢) الحصى أو صغارها (المغرب)

في وجهةٍ شرقيةٍ ويتقارب من الطرف الشمالي للبحيرة فيحوّل مياه الصَّبَّ الى الشمال حول رأس البحيرة ومن هناك تتحير تلك المياه متدفقة الى الوادي من جانبه الشرقي وهذا الشنخوب شامخ علواً لكنه ليس بمستعرض . ووجهة ما بين هذا النهر ونهر رومي لا تتعدى ستة كيلومترات

سابعاً نهر رومي - ويقال له ايضاً نهر اَلْسُنْجِي ينشأ من الجبال المحيطة بالعلاية العليا في الطرف الشمالي الشرقي من جبال رونزوري في ثمان وعشرين دقيقة من العرض الشمالي وتتضمن هذه العلاية حصن بُرتل ومنها تتبع عين تعرف بنهر اُمْبَنجُو ويقال لمجتمع تلك الجبال في النقطة المذكورة كَرِيْبَا وارتفاعها هناك عن سطح البحر الملح زهاء الفين واربعمئة متر^(١) أما مذهب النهر فيقرب من سمت الجنوب توجاً لكنه عند افضائه الى الشنخوب المذكور ينحرف صوب الشرق وتبقى جريته ملازمة لهذه الوجهة حتى يقارب منفجر وادي البحيرة وهناك ينقلب الى الجنوب ويلتقي به عند مصبه نهر آخر يقال له نهر دورا ويمر كلاهما معاً فيريان الى البحيرة من جانبها الشرقي في احدى عشرة دقيقة من العرض الشمالي^(٢) وأما طوله فيناهز خمسين كيلومتراً^(٣) وعلى مقربةٍ من آخر منعطفٍ له نحو الجنوب يمرُّ مخترقاً الهضبات في شعبٍ كثير التعاريج تبلغ سمته سبعين متراً جرفاه هائزان عمودياً المهوى يبلغ ارتفاعها خمسة وثلاثين متراً ويكون مجرى النهر هناك جنادل متتالية يترقق ماؤه في مساقط من صخر وصرار^(٤) احدثت فيها قوة الماء ثقباً وتجاويف عديدة

(١) راجع خريطة استلمن

(٢) ان نهر دورا ينشأ من الجبال التي ينشأ منها نهر رومي ولكن منشأه يكون الى الشمال عنه والعرض الشمالي هناك اربعون دقيقة جغرافية وله طول قدره سبعون كيلومتراً

(٣) راجع خريطة استلمن

(٤) اسم جنس للحصى الكبيرة (المعرب)

والخائق محشوك شجراً ملتفاً شاخ الارتفاع اوراق بعضها آية في جمال المنظر
 ويزيد مرأى تلك الاقطار غلظة الجروف المستعملة التي تكتنف الخائق
 من الجانبين أما الجانب الايسر فأعلى من الجانب الايمن بكثير يبلغ ارتفاعه
 عن الماء مائة متر وفي السلالة من ذلك الخائق يكون مسيله شديد الانحدار
 وله فيه جنادل ومساقط شتى وعند مندغم نهر دورا به يتفصح في آجام ومناقع
 متسعة الاقطار بعيدة الغور ولقد سبر النهر في السادس والعشرين من فبراير
 سنة ١٩٠٣ فكانت سعة مائة احد عشر متراً واقصى غوره تسعة امتار وتسعين
 سنتيمتراً ومتوسط جريته سبعة وسبعين سنتيمتراً ومقدار منطلقه اربعة امتار
 وثلاثين سنتيمتراً مكعبة في الثانية . ماؤه زلال بارد ولو ان مثالج روتزي
 لا ترمي بذائبها اليه . اما ممدّه الاكبر وهو نهر دورا فمؤلف من مجموع ثلاثة
 انهار تسيل من صلب الجبال وهي نهر يريا ونهر بلاريا وامسنجي ناشئة في
 بقعة يختلف بعدها عن خطوي بين ثلاثة وثمانين واثنين وتسعين كيلومتراً
 وامامها نهر امسنجي^(١) . والوادي الذي تنفجر هذه العيون اليه سمته تتراوح
 بين سبعين متراً ومائة متر وهو يه بين عشرين وخمسة وعشرين ومسايلها
 عامتها بطاح مستنقعات فيها غابات القصب الشاخ وبعض الشجر ومتوسط
 فيضها يبلغ مترين وخمسة وسبعين سنتيمتراً واما نهر امسنجي فلا ارى الا
 ان يكون عرضه في اقصى مدّه خمسة وثلاثين متراً

(١) سبرت هذه الانهار في الثامن والعشرين من شهر فبراير سنة ١٩٠٣
 وذلك عند مجازاتها اي معاديا فكانت مسيل نهر يريا ثلاثة امتار في مثلها وغور
 مائه تسعة واربعين سنتيمتراً ومتوسط جريته ثمانية وثلاثين سنتيمتراً في الثانية وكان نهر
 بلاريا جافاً ولكن مسيله بلغ مترين وخمسة وسبعين سنتيمتراً في مترين ونصف وكان
 نهر امسنجي سعة قاعه اربعة امتار في مترين ونصف وغور مائه ثلاثين سنتيمتراً
 فقط ولكن متوسط جريته بلغ واحداً وخمسين سنتيمتراً وبلغ مجموع التصرف في نهري
 امسنجي ويريا متراً مكعباً وتسعة واربعين سنتيمتراً واربعة اعشار السنتيمتر في الثانية

ثامناً نهر أمبنجو -- هو آخره الانهار الرامية الى بحيرة دويرو واوفرها مدداً لها وربما تجاوز مقدار ما ينطلق فيه من الماء مقدار ايّ من الانهار الصابة الى بحيرة البرت ادورد ولقد عدّه بعضهم بمثابة نهر سملكي حجاً لكن ذلك ليس من الصحة في شيء . نعم ان له احياناً يكثر فيها مدّه فيجاوز مقداره مقدار ما في نهر سملكي لكن ذلك قليل اللبث سريع الزوال ومتوسط تصرفه السنوي في غير نسبةٍ بمتوسط تصرف نهر سملكي . هذا والنهر ممدّان مصبه مهبط الجنوب ينبعث من جبال كريبيا الى الجنوب الغربي عن حصن بُرتل والآخر مأتاه من الشمال على مقربةٍ من بلدة أنسورورو أو حصن وافريري^(١) وعمدة هذين المدين الممدّ الصاب من الجنوب . اقول والنهر في مسيله الاعلى يتجه الى الشرق ماراً بازاء حصن بُرتل مركز قسم طُورُو^(٢) . وهناك على مدى قصير من تلك النقطة ينحلب اليه ممدّه الشمالي وفيما واره ذلك حتى مصبه يجري في وادٍ هويّ واسع الفجرة جناحاه هضبات عليّة وعلى نحو خمسين كيلومتراً من مخرجه ينحرف مقبلاً على سمتة ويلزم تلك الوجهة في مسافة قدرها اربعون كيلومتراً وهناك ينعطف منقلباً توالاً الى الغرب ويفضي الى بحيرة دويرو في نقطة لها من العرض الشمالي سبع دقائق فتكون

(١) للمدّ الجنوبي ممدات أخرى عديدة اعيانها ثلاثة جداول وهي ايفاشا ونكتيرا وملونة . أما جدول ايفاشا فسعة قاعه ثلاثة امتار وجرفاه صخر قائم ارتفاعه متر واحد ونصف ولقد سُبر غور المياه فيه في اول مارس سنة ١٩٠٣ فكان ستين سنتيمتراً ومقدار منطلقه تسعة وتسعين سنتيمتراً مكعباً في الثانية . وأما جدول نكتيرا فكان في ذلك الشهر في ظُور الجفاف وهو دون جدول ايفاشا المتقدم ذكره حجماً . وأما جدول ملونه فسعة قاعه ثلاثة امتار وهويّ جرفه متر واحد وكان منطلقه في اول مارس من تلك السنة ثلاثة وثلاثين سنتيمتراً مكعباً في الثانية

(٢) يكون حصن بُرتل عن بلدة خطوي شمالاً مائة واربعه عشر كيلومتراً

مسافته هناك من حد ينبوعه الى مرماء الى البحيرة مائة وعشرة كيلومترات^(١). هذا وينجلب اليه عدة انهار صغرى وتنصرف فيه مياه الأتي المتحلبة من فسيح الارض وفي مسافته الجنوبية يجتاز حرجات وغابات فيما بين جبال لوبابا والعلاية الشرقية وهي سنام مسقط الغيث الفاصل بين الانهار الصابة في بحيرة البرت ادورد والانهار الرامية الى بحيرة فكتوريا^(٢) اما مسيله الشمالي فانحدار ارضه اكثر من الكثير ومع ذلك فقطاع مجراه في ايام الجفاف ليس بكبير وهو ينساب عند حصن بُرتَل في مجرى مشحون بالدماليك سمته خمسة امتار وغوره متران وستون سنتيمتراً وجروفه عمودية عليه وجمهور فيضيه في تلك النقطة يفضل منسوب الماء بقدر ثلاثة امتار وثلاثين سنتيمتراً فيكون غوره اربعة امتار وعشرة سنتيمترات ولقد سُبر النهر في السادس من شهر مارس من سنة ١٩٠٣ فكان منطلقه اي تصرفه بقدر مترين واربعه وستين سنتيمتراً مكعباً في الثانية^(٣). اما سمته هناك في ابان الفيض فمائة واربعه عشر متراً ومساحة قطاعه حينئذ واحد وتسعون متراً مربعاً واذا فرضنا ان متوسط السرعة في عامة تلك المساحة متران في الثانية^(٤) كان المنطلق مائة واثنين وثمانين متراً مكعباً في الثانية. هذا وبما ان هذه الاسبار تختص بمسيله الأعلى وهو فيما بين حصن بُرتَل والبحيرة تنجلب اليه ممدات كثيرة بعضها وافر المقدار فلا غرو من ان يكون جرم فيضيه عند مصبه في البحيرة ثلاثة اضعاف الجرم المتقدم ذكره

(١) راجع ما ورد في خريطة أستمن

(٢) قال العلامة لوجرد ان هذا النهر عند اقترابه من بحيرة دويرو ينساب في خائق جانباه مهواة يكون غورها مائتين وخمسين متراً مستفيضه شجراً ملتفاً

(٣) وكانت سعة صفحة الماء حينئذ خمسة امتار وعمقه ثمانين سنتيمتراً ومتوسط

جريته ثمانية وثمانين سنتيمتراً في الثانية

(٤) ماؤه في البسايط رقيق ضحضاح ولذلك لا تكون السرعة شديدة

هذا وقبل ختام الكلام على بحيرة البرت ادورد لا بد لي من ان ابين صفة
الانهار الصابة اليها وذلك بالايجاز الممكن لان المعلومات عنها اقل من القليل
فاقول ^(١)

اورو - يدخل البحيرة من جانبها الجنوبي نهران كبيران وهما رتشورو
وروندو وهذا يلجها من خليج وتشبمي قال استلمن ان سعته تختلف بين
خمس وستة امتار وغوره متر واحد ومجراه شديد الاندفاع وهو كنهر رتشورو
يتلقى المياه المتصبية من الطرف الشمالي لجبال المفجرة الفاصلة بين منطقتي
انهار الابرتين وطنجنكا وعمدة الانهار الرامية الى بحيرة البرت ادورد (باعتبار
هذه البحيرة منفصلة عن بطيحة دويرو) نهر رتشورو ^(٢) ويعرف في مسافته
الجنوبية بنهر كيكو قيل انه نهر ضخم بعيد القاع لا يقطع خوضاً وهو يخرق
غابة ملتفة الشجر مبدأه في درجة واحدة وخمس وعشرين دقيقة من العرض
الجنوبي عبره الرحالة استلمن في مايو سنة ١٨٩١ وقال ان سعته تناهز ستين
متراً وغوره متر واحد وجريته شديدة ^(٣) ولا بد ان يكون في ابان فيضه نهراً
ضخماً فان الرحالة مورأقبل عليه في شتاء سنة ١٨٩٩ قال انه نهر عظيم ماؤه
كدر تشوب كدورته صفرة وتكون سعته بقدر سعة نهر التاميز عند وستمنستر
ويأخذ الى الشمال في درادير ومعاجل ^(٤) وفي اواخر سيره ينساح في السهول
الاجمية الواقعة قبلي البحيرة ثم يرمي الى تلك البحيرة عند اربع وعشرين دقيقة
من العرض الجنوبي

ثانياً - لا يدخل البحيرة من جانبها الغربي الا ما لا يذكر من الانهار

(١) لم نمر في رحلة ١٩٠٣ بانهار ممددة سوى نهري نيمغاشا وديرة

(٢) ان نهر أمبنجو أعظم من نهر رتشورو

(٣) راجع ماورد في الكتاب الالماني عنوانه «مع أمين باشا في أواسط أفريقيا» (برلين)

(٤) راجع الكتاب الانكليزي عنوانه «جبال القمر»

ويحف بضفيها مسامته جبال وكنجو في عامة طولها وليس مسيل في تلك البقعة الا ما افعمته مياه الامطار المنصبه اليه من مضاجع الغيث ومساقطه على الجانب الشرقي لتلك الجبال ولكن المسایل التي من هذا القبيل قصيرة المدى شديدة الانحدار لا يُعد مسيل واحد منها في مصاف الانهار

ثالثاً - لا يدخل البحيرة من جانبها الشرقي نهر له شيء من الاهمية فان جبال المهواة على ذلك الجانب تزاخم البحيرة فتكون على قيد قريب منها فالسهلة التي بينهما تختلف سمعتها بين خمسة وستة كيلومترات (الا في الطرف الشمالي الشرقي) اذاً تكون مسایل مياه الصبب وجداولها غير مديدة^(١) فلا تذكر في جانب الانهار

رابعاً - يرمي الى البحيرة من جانبها الجنوبي الشرقي نهر مونيجو ويقال له ايضاً امتنجي وهو نهر معتدل الحجم يجتاز الصحراء الجنوبية وفي سيره تتحلب اليه مياه الصبب الآتية من الروابي الشرقية . يروي أناسي تلك البقعة ان تياراً يخرق البحيرة من مصب ذلك النهر الى مخرج نهر سملكي فاذا بُعث قارب في ذلك المصب وأُطلق له السراح جرى جرية التيار تواء الى ذلك المخرج . هذا وقليل ما هي المعلومات الصحيحة عن هذا النهر قيل انه كان في غابر الازمان نهراً ضخماً لكن ماءه قليل جداً في ايام القيط (الجفاف) واما طولها فليس بالكثير فهو لا يتجاوز خمسة وثلاثين كيلومتراً

خامساً - يُفضي الى البحيرة من طرفها الشمالي نهران وهما نيمغاشا وديرة منشأهما جبال روتزوري الجنوبية وهما يجتازان الصحراء الصلصالية الكبرى الواقعة الى شمالي البحيرة ثم يصبان فيها عند نقطة تقع شرقي هضاب

(١) بين آستمن على خريطة في هذه البقعة ابتداء من الجنوب أربعة مجار وهي انتوارا وكسيّا ودومبونو ووشيجوي ولكن ليس منها ما يُنيف على سبعة أو ثمانية كيلومترات طولاً

كيبورا وعمدة النهرين نيمفاشا^(١) مخرجه حيث العرض الشمالي احدى عشرة دقيقة ومسافته زهاء خمسة وخمسين كيلومتراً واما نقطة مرماء في البحيرة فعلى نحو خمسة كيلومترات من خطوي في طرف العقبة الى الجانب الغربي لخليج خطوي وعند معبر الطريق المؤدية من خطوي الى امييني تكون سعته ثمانية امتار ومسيله بين جرفين وعرين قائمين يبلغ ارتفاعهما مترين وثمانين سنتيمتراً وهو يسير في تماريج ومنعطقات وعلى جانبيه منبسطات من الارض بيده السمة غاصّة بغابات القصب تغمرها مياه النهر في فيضيه بقدر نصف متر^(٢). جريته شديدة فهو في النقط العديدة منه لا يجتاز خوضاً. وفي مسيله رمال وهو يشق تلك الصحراء الصلصالية محدثاً فيها نخاريب . وسعة الوادي تختلف بين خمسة وستة كيلومترات وكله مركوم رواسب جيرية وهو كثير المارة بالزررع ومذهبه الى الجنوب او الجنوب الغربي . وفي مسافة من مسيله قبل مرماء في البحيرة يجتاز منافع كثيفة القصب ياوي الى اجوافها الفيلة وهي تعيش في شجر الموز الذي في جوارها . ماؤه صاف زلال تلج . ولقد سهرناه في اليوم السادس عشر من فبراير سنة ١٩٠٣ وذلك فوق المخاضة التي تجتازها الطريق الذاهبة من خطوي الى امييني فكانت سمة مائه هناك متراً واحداً واقصى غوره متراً ونصفاً ومتوسط سرعته خمسة وخمسين سنتيمتراً في الثانية ومنطلقه (تصرفه) اربعة امتار وتسعين سنتيمتراً في الثانية ومساحة قطاع فيضيه مائة وخمسة وعشرين متراً رباعاً وأقل منطلقه في معظم مدّه مائتان وخمسون متراً مكعباً في الثانية اما نهر ديرة فدون نهر نيمفاشا لكنه يكاد يسامته ويوازيه في مجراه وهو

(١) ويعرف أيضاً عند أمم تلك البلاد بنهر نيمفشاني

(٢) ان عرض سطح الماء اي منفسحه في ابان الفيض نحو مائتين واحد عشر متراً وغوره في منتصفه ثلاثة امتار وثلاثون سنتيمتراً

يشق الصحراء على عشرة كيلومترات غربي خطوي وتكون روابي كيبورا شفة واديه الغربية ومسافة جريته ليست بطويلة فهي لا تتجاوز ثلاثين كيلومتراً وبعضه يحفّ بالجبل فيسير في حضيضه وجرة الوادي يتخالف متوسط سعتها بين كيلومترين وثلاثة كيلومترات وفي اخريات جريه في نحو نصف طوله يستبحر الى منافع غاصة بملتف القصب المديد الساق . وفي ذلك الوادي يسير النهر بملاو متعاقبة ويكون مجراه رَخِفَ الأديم هَشَّةً شريداً دائم التغير والانتقال^(١) . وفي مواضع منه يكون قاعه طفالاً مسترخياً حتى يتعذر عبوره وفي غالب مجراه يكون ذلك القاع محصبةً وقليل ما هي المواقع التي يتيسر اجتيازه منها خوفاً وفيه عدد عديد من الغدران بعيدة الغور هي مجالات بقر الوحش واما جرفه فشديد الانحدار وفي بعض المواضع منه يكون ارتفاع ذلك الجرف عن سطح الماء زهاء ثلاثة امتار واما منفسح مائه ابان الفيض فتوسطه سبعة امتار وغوره عند المخاضة على سبعة او ثمانية كيلومترات عن مصبه خمسة وسبعون سنتيمتراً ولكن عامة غوره ابعد من ذلك بكثير وكلما تدانى من البحيرة زادت البطيحة اتساعاً وتعذر سلوكها^(٢) . هذا ولقد سبر النهر عند المخاضة في السابع عشر من فبراير سنة ١٩٠٣ فأنكشف منطاقه عن ثلاثة امتار وتسعة عشر سنتيمتراً مكعباً في الثانية^(٣) . ومن المستصعب تعيين الحد الذي تبلغه المياه في وادي

(١) في تلك الاصقاع يشاهد الرائد كثيراً من المجاري وقد ادركها الجفاف وهي المجاري التي سلكها النهر من قبل

(٢) كل رائد اجتاز هذا النهر أو حطّ رحاله في جواره لا تفارقه ذكراه لبعض هناك صغير الحجم اسود اللون شديد الأذى يلسع ليلاً ونهاراً وتخلّف لسعته في الجلد ألماً يبقى الى زمن

(٣) كانت سعته حينئذٍ سبعة امتار وغوره خمسة وسبعين سنتيمتراً ومتوسط سرعته ستين سنتيمتراً في الثانية

هذا النهر في ازمان الامطار على ان المعالم الموسومة على ضفتيه تدل على ان مياه السيل فيه ترتفع عن اقصى غيضة بقدر متر وخمسة وسبعين سنتيمتراً لكن لا ريب في ان تلك المياه تقعم الوادي فتتفصح عريضاً في اديم الآجام على كلا جانبيه ومع ذلك لا يكون جرم مائه قط كجرم ماء نهر نيمغاشا ولعله لا يتجاوز نصفه حتى في جمام فيضه

الفصل الخامس

جملة القول في ارض ما بين بحيرتي البرت ادورد والبرت في اقليبي طورو وأونيورو

أسهل الطرق وأكثرها سلوكاً بين تلك البحيرتين تذهب من الجنوب الى الشمال على سمتة ويمرّ قسم كبير منها بازاء الهضاب الشرقية لجبال روتزوري وهي جبال شواهي تكسو رؤوسها الثلوج وتتلأ فضاء وادي المفجرة وفي مدى سبعين كيلومتراً الى الشمال عن بحيرة البرت ادورد تنشط تلك المفجرة بشطرين مختلفين. وقبل ان ابدأ بتبيان الطريق المؤدية الى بحيرة البرت يروق لي ان اشير الى ما لهذه الجبال من الشأن في مبلغ استدرار النيل من المياه فأقول :

اعلم ان وادي نهر سملكي يقع الى الغرب عن جبال روتزوري ويتاخه في عدوته القصوى جبال واكنجو وهي هناك فواصل بين نهري النيل والكنغو والوادي وان كان في مواقع منه متقارب الجانبين فانه متواصل لا انقطاع فيه بين البطيحتين واما ما كان من المفجرة الى شرقي جبال روتزوري فبراح فسيح الاقطار أشبه بأنشطة كان في ما سلف خوراً او خليجاً من البطيحة الكبرى التي كانت تحيق بتلك الاقطار جميعاً وتحم ذلك البراح الاقصى سطر من الهضاب يشير الى المهواة الكبرى الشرقية. ولم يبق من ذلك اليم الواسع

الارحاء الذي كان يَفْشَى ذلك البراح سوى بحيرتي البرت ادورد ودويرو والمضيق الواصل بينهما . والى شمالي بحيرة دويرو تحرف تلك الهضاب على سمت الغرب ثم تندغم في العلاية الممتدة شرقاً من الطرف الشمالي لجبال روتزوري وبذلك يكون منقطعاً تمام الانقطاع . واما المفجرة فتستمر متجهةً الى الشمال على سمت وادي سملكي وهي في مدًى مديدٍ منها تضيق سعتها بتراحم جبال روتزوري فيها ولكن عند انقضاء ذلك التراحم تعود الى انفساحها عريضاً فيكون منها وادٍ واسعٌ وهو الوادي التي فيه بحيرة البرت وفي هذه المسافة من طولها يكون تخمها الشرقي عقبات العلاية التي ذكرناها فيستخلص من كل ذلك ان عامة مياه السيل المنصبة من منحدرات جبال روتزوري والمياه المتحلبة من المشالج يلزم حتماً ان تفضي الى البحيرتين الكبيرتين الجنوبية والشمالية فتكون اذاً من عوامل امداد النيل ومدّه فالمجري المنجلبة اليها من الحادورات الشرقية ترمي كلها الى بحيرة دويرو التي هي جزء من بحيرة البرت والمجري التي تتلقى مياه صبيبها من الحادورات الغربية وتترامى الى نهر سملكي تَوّاً وهو يرمي بها الى بحيرة البرت . وفيما يأتي خلاصة ما تبينته من كيان الاقطار الواقعة بحِفافِ المفجرة على محاذاة الطريق التي يتوخاها الرائد فيما لو طلب العبور من بحيرة البرت ادورد الى بحيرة البرت . اما التخم الفاصل بين قسمي انكلولي وطورو فعلى بعض الكيلومترات عن بلدة خطوي شمالاً على خليج خطوي في الطرف الشمالي الشرقي لبحيرة البرت ادورد^(١) . أقول اذا شرع الرائد في السير شمالاً يَرَى اديم الارض يذهب من البحيرة صُعداً بالتدريج في طبقتين منه لهما درج^(٢) متناضدة تدرجها واسع طينته جيرية عليها علامات واضحة تعين ارتفاعات شاطئ البحيرة في ازمان مختلفة

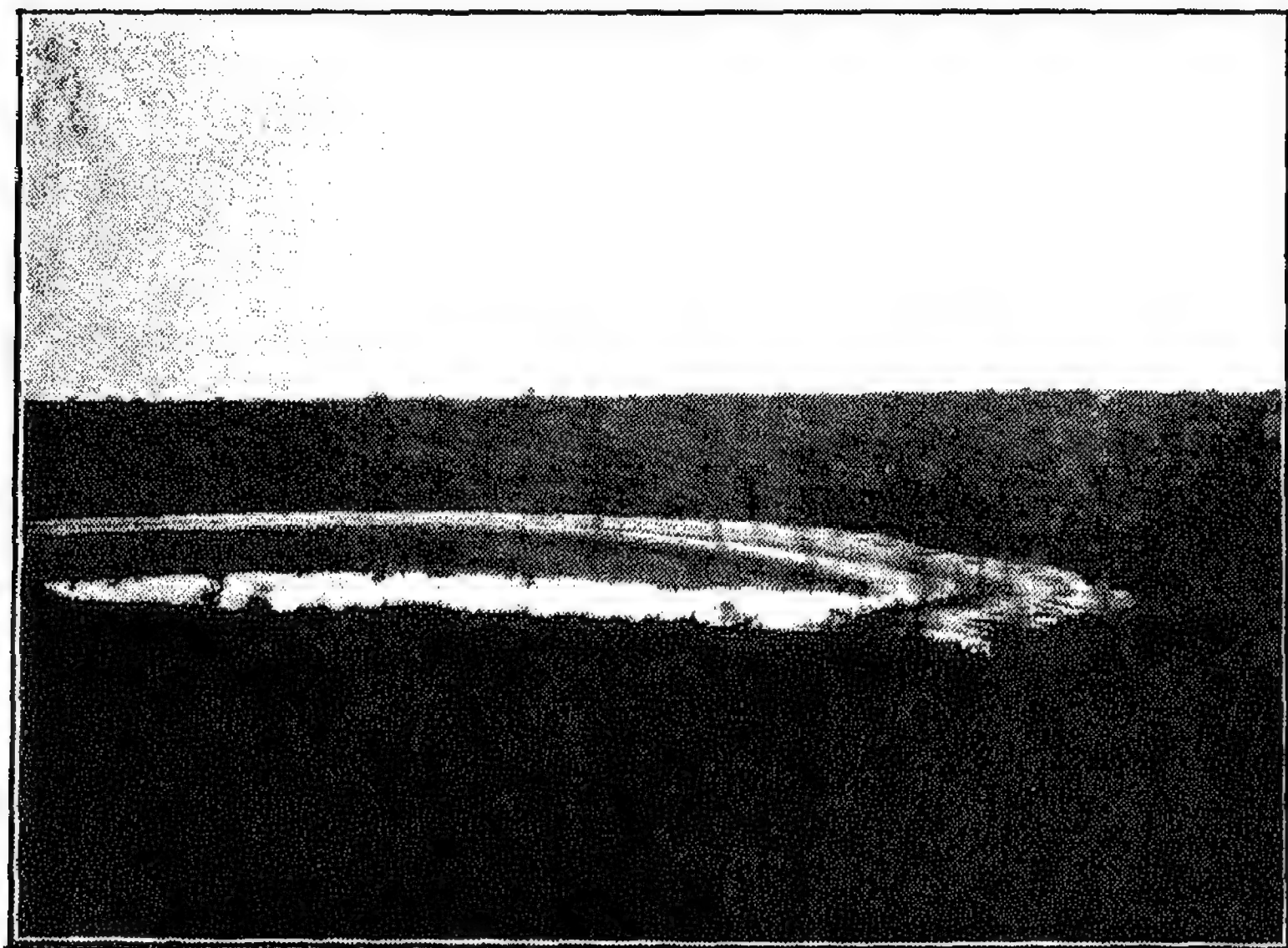
(١) راجع الفصل الرابع من هذا الكتاب « بحيرة البرت ادورد »

(٢) جمع درجة (المعرب)

الشيء الذي يدل على أن مياهها كانت في تلك الأزمان أعلى بكثير منها اليوم والدرجة العليا ارتفاعها عن سطح ماء البحيرة الحالي زهاء مائة متر والخليج الذي كانت تلك البحيرة تغمره يذهب في سمت الشمال مسافة ثلاثة كيلومترات عن خطوي ومن ثم تبقى الأرض على ارتفاعها وما هي بالحق هناك إلا امتداد طنوف روتزوري الجنوبية، وإلى الشرق يمر وادي دويرو مسامتة حتى يتصل بهضاب كيشومبا وهي على بعد سبعة عشر كيلومتراً عن تلك النقطة، والوادي غالبه مستوي القرار تلبت في بعض المواقع منه روابٍ وفتن تذهب في سمت الشمال والجنوب، وعلى ثمانية كيلومترات من خطوي شمالاً ينبو صعيد الأرض المتاخم الوادي فينشأ منه رصيف من الهضاب في حضيضهن يمر التدرج المذكور فيحدث عن ذلك أيضاً صفف من الطنوف تجوز شرقاً بغرب ثم تخط تحديراً صابة إلى وادي دويرو واعلم أن الطنوف المذكورة تذهب بالرائد في أرض متعادية صعوداً وهبوطاً تجعل المسير فيها شاقاً عنيفاً، وما بين كل مرتفعين حضيض يتضمن بقعاتٍ وآجاماً أديمها طفالٌ مسترخٍ أسود اللون إذا أصابه وابل الغيث أصبح السلوك فيه مستصعباً وأما إشراف الدّرج عن بطن الوادي فمائة وخمسون متراً ويترى فيه وفي الروابي المجاورة خروق كثيرة كانت فوهات جبال النار وتعرف الفوهة التي في الجنوب الأقصى بفوهة كيندروو وهي مستديرة الشكل قطرها ثمانمائة متر وقرار مهواتها مائة متر وهو مستفيض شجراً وإلى ما ورائها غرباً فوهة أخرى أبعد منها عمقاً والفارق بين الفوهتين حرف رابية قليلة السعة^(١)، وإلى ما وراء هذه الفوهة على جانبها الغربي جرف هائر قوامه صخر أجرد مهويّه يبلغ عدة مئين من الامتار وإلى الشمال عن هذا الجرف وجنوبيّه قنّانٌ قد انهارت منها فلذة^(٢)

(١) كثير من هذه الفوهات حياضها بحيرات وبعضها ما هو خلوة منها

(٢) القطعة من كل شيء (المعرب)



بحيرة فُوَهة بركان ملحّة شرقی زونزوری بقسم طورو

أحدثت فيها أثراً بعيد الغور ربما كان ناشئاً عن هبوط في جانب القنة .
وبعد ذلك بكيلومترين على سمت الشمال في المدرج المذكور وهذان كانتا في
القديم فوهتين بركانيتين ويقصيهما عن بعضهما حجاب قائم من الحجر الصلد
يكون شفيراً لثنيتهما أما شكلها فمخروط مقلوب قطره بين ستمائة وسبعمائة
متر وعمقه بين مائة ومائة وخمسين متراً جانبها شديداً التحدير وربما كان
التحدير في مواضع منها عمودياً وفي جوف أحدها بحيرة مائة هي محفل
الأوعال وصنوف الأطباء يشرف على عديد أسرابها من أعالي الجروف وهي
تعلق ما لبسه أديم شاطئها من الملح . ومنظر هذه البطيخة منظر رهيب
تستوحش عنه النفس

هذا وإلى شمالي البحيرة يتأدى المدرج بعض المسافة فيكون القطاع
العرضي العام علوية بسيطة تتخالف سمعتها بين ثمانمائة وألف متر وهي ترتفع
عن الوادي بقدر مائة ومائة وخمسين متراً وتنتهي في مهوى عمودي على مدرج
من تحتها . ومن ثم ينفسح الوادي في سمت الشرق حتى يفضي إلى العقبة
القصوى . وعند الكيلومتر الثامن عشر تطمس معالم المدرج الأعلى فيمر
الرائد بحيرة فوهة كيكيرنجو في المدرج الأدنى . تقع هذه البحيرة في
حضيض الروابي ويقرب أن يكون شكلها مستديراً ويبلغ قطرها ألفاً وثلاثمائة
متر ماؤها ينزع إلى الملوحة وهو غير شرّوب وهي مغاص لفرس الماء
وساحلها مائل حدوراً ولا يكون منسوبها في معظم فورتها بأكثر من متر
وليس في مجاوراتها شيء من غابات القصب ولكن منافع تطيف بها من كل
الجهات سمعتها زهاء أربعين متراً تدل على مبلغ ما تغمره المياه من البقاع وإلى
الشمال علوية قصيرة فسيحة مزدحمة بالأدغال تمتد من روابي الجبال إلى
بقائع دويرو وتكون هذه البطيخة في تلك النقطة على كيلومترين فقط عن
الجبال الغربية . ثم إن بحيرة كيكيرنجو مشهورة بكثرة أعاصيرها وزوابعها

وشدة عصفها فهي تقع اليها من الجبال المجاورة . وقبالة هذه البحيرة جبال تذهب علواً في السماء^(١) وهي تكون في سمت الافق مضرسة مقلجة يخالها الناظر اليها فقرات غول عجيب الخلق وجد قبل التاريخ^(٢)

عَوْدٌ - وتلزم الطريق سننها في الوجة الشمالية عدة كيلومترات من تلك البقعة مسaire للروابي والهضاب التي تتحدّر الى الوادي تارة في ميلٍ مديد وطوراً في مدرجات شبيهة بالمدرجات التي تقدم ذكرها . وعلى مراقي هذه المدرجات او اريافها ما لا يحصى من الرواسب المائية وذلك في مرتفعاتٍ يختلف ارتفاعها عن بطن الوادي بين ثمانين ومائة متر وعلى تسعة وعشرين كيلومتراً عن خطوي هناك نهر ما كوكيا وهو نهر ينساب في مضيق حسن المنظر على رأس طرفه الغربي رابية شاهقة^(٣) . والارض فيما وراء هذا النهر حزن تغشاها غابة ملتفة الاشجار كثيرتها تمتد في الوادي حتى تقضي الى ساحل بحيرة دويرو . وفيما بين الكيلومتر الواحد والاربعين والكيلومتر التاسع واربعين خور واسع تسيل اليه مياه نهرين وهما نُويزمبا ولو كوكو واقعة اليه من الهضاب^(٤) والنهران يبعد احدهما عن الآخر بقدر ستة كيلومترات وفي برّ ما بينهما عدد عديد من الاخوار والاخاديد جافة المسایل ارضها كثيرة الدماليك والصرار . ذلك يدل على ان تلك الارض تغمرها السيول في اياتها . وعلى بعض الكيلومترات عن نهر لو كوكو شمالاً خور آخر اكثر اتساعاً تشب على جانبه الايمن روابٍ مخروطة وهو منفجر نهر سيبو وهو نهر ماؤه أتي متحلّب من ذوب الثلج ومن تلك النقطة

(١) هذه الجبال هي طائفة من جبال رونزوري أطلق عليها بعضهم اسم رُويزمبا تسمية لها باسم بحيرة دويرو المسماة بهذا الاسم احياناً

(٢) قد أحصوا في هذه الجبال ثلاثة وثلاثين قنة

(٣) ذكر هذا النهر وسائر الانهار الخارجة من زواي جبال رونزوري في فصل

بحيرة البرت ادورد

(٤) يفيض هذا الخور بالزدهة اي ماء الثلج

على سمت الشمال يكون الوادي غاية في الاستواء تقوم عليه الروابي تَوًّا وهي
خلو من مدرجات أو طنوف ويلزم الوادي استواءه حتى يلحق بنهر أمبوكو
الخارج من الجبال عند الكيلومتر الثامن والخمسين شاقاً أديم البسيط حتى
يغوص في بحيرة دويرو وهو عمدة الانهار الصابة الى البحيرة من طرفها الغربي
ينبعث من مشالج روتزوري كما انبعث من قبله نهر اسيبو ولوكوكو ومنظر
الطبيعة في وادي امبوكو ليس اجمل منه منظرٌ وابدع . ومنه على مد النظر عند
الصفاء تبصر العين قن مشالج روتزوري ولها منها مرأى تهواه النفس . واذا
تباعدت عن النهر صوب الشمال رأيت المدرجات قد عاودت حضيض
التلول فلازمتها الى الكيلومتر الثالث والستين وهناك نهر هيا . والنهر
يجري في وادٍ عميق القرار فسيح الاقطار وهو كغيره من الانهار التي ذكرناها
يمر مشرقاً منظرة تجوز الحد خشونة وغلظة تحيق بها من الغرب والشمال
الغربي جبال شامخة رفيعة تنبت منها مسنّات طامحات في السماء والى جانبها
علاية يكون ارتفاعها مائة وخمسين متراً وزودها عن وادي دويرو والى شمالي
تلك البقعة تصير الجبال حادة التحدير ويُشاهد هناك سطر من الشعاب او
الطنوف بارزات منها منصبات الى البسيط الذي تحتها وبين كل طنف منها
وآخر منابت ادغال ملتفة كثيفة تكون في ايام الامطار آجاماً ونقائع تجعل
السير يومئذٍ مستصعباً . وبعد مبارحة خطوي بستة وستين كيلومتراً بلغنا
الطرف الشمالي لبحيرة دويرو وبعد ذلك بكيلومترات معدودة على سمت
الشمال جبل يذهب في الارض شمال جنوب قليل الارتفاع في مبداه لكنه
يتعالى شيئاً فشيئاً على التوالي تظمه الغابات والادغال المتلفة الشجر ويظل
يتزايد في تعاليه على هذه الصورة حتى يُسامت العلاية المتاخمة لفسيح
الارض الأنشوطي المتقدم ذكره من طرفه الشمالي . وفي هذه النقطة ينقطع
الوادي الشرقي فيكون البرعلاية تقوم في اماكن من بسيطها مجاميع روابٍ

متعازلاتٍ بعضهنَّ عن بعض^(١) . وعند الكيلومتر السابع والستين تذهب الطريقُ صُعداً الى هضاب الرونزوري فيكون سلوكها شاقاً بين تصعيدٍ وتصويبٍ وعند الكيلومتر التاسع والستين تقطع نهر رومي وهو في تلك النقطة يمر من مضيق سمته سبعون متراً فقط وسمكه اي ارتفاعه خمسة وثلاثون متراً وشفيره هائل يقرب من العمودي . اقول وكان اجتياز النهر على الحمالين مفرط الصعوبة^(٢) . ومن ثم تكون الطريق ممتدة في شعب بين هضاب تعلوها الادغال وهي اي الطريق تتعالى رويداً حتى تلحق بأعلى الهضبات البرانية واما قم تلك الهضبات فستديرة الشكل مرداء لاشجر فيها لكنها مغطاة بالعشب . والى الشرق هضبة فردة على شكل مخروط تعرف عند امم تلك الاقطار بهضبة كياتورا تجوز بقية الهضاب المجاورة لها ارتفاعاً . وعند الكيلومتر الرابع والثمانين مركز كيسايا العسكري يكون ارتفاع اديمه عن سطح البحر الملح بقدر الف وخمسمائة متر ومنه يشرف الراي على سائر الهضاب الصغرى فيراها ذاهبةً في الارض على سمت الشرق في شكل منحدراتٍ جهراء عاطلة من الشجر وليس فيها من المرتفعات والمنخفضات شيء يذكر أو يستوقف الابصار وفي سمت الغرب والشمال الغربي جبال روتزوري راسية كالطود المنيف والحجاز الحصين وفي عرضها اخوار مخددة في الارض تحديداً فسيحاً^(٣) والى شمالي كيسايا في التسمية الكيلومترات التي تلي تلك النقطة ثلاثة نهيرات او جداول^(٤) تسيل في وجهة

(١) فضاء الطرف الشمالي الشرقي لبحيرة دويرو مشاجر متواصلة بغير انقطاع

حق حرجة يؤدنجاً على المهواة المجاورة لبحيرة البرت

(٢) يفيض نهر رومي الى بحيرة دويرو من طرفها الشرقي

(٣) سمي المسيو موازل هذه الجبال في خريطته بجبال كيريبي وجعل ارتفاعها

عن سطح البحر الملح من اربعة الى خمسة آلاف متر

(٤) وهي ياريا وبلاريا وامسنجي

شرقية رامية الى نهر دورا الممد لنهر رومي . وبعد اجتياز نهر أمسنجي وهو
اوغل تلك النهرات في سمت الشمال ترى البلاد تغير نباتها في سلقته اي
طبيعته فيكون حينئذ رتماً^(١) كثيفاً تقوم من بينه شجرات متفارزة نابتة
في اديمه^(٢) بعد ان كنت ترى الروابي مغطاة بالاعشاب المديدة في مدى منها
بعيد . هذا وفيها بين الكيلومتر السابع والتسعين والكيلومتر المائة نهران
صغيران قطعناهما وهما إيفاشا وملوما لكل منهما وادي بعيد الغور ينساب ماؤه
فيه وبينهما جبل شامخ الارتفاع مفرط الوعورة^(٣)

اما سمة منفرج الوادي الواحد فرنما تمايزت من بين اربعمائة وخمسمائة
متر وهو يستفيض شجراً والصخور الفاصلة جرداء معطلة الا ما تراه فيها من
دغل وشوك والى الشمال نهر ملوما علية يصل منسوبها الى النى متر علواً
عن سطح البحر الملح والآكام هناك جرداء تكثر فيها نواتى صوانية
وبسلتية وهناك تعاود الارض انباتها فيكون الدخن في سفح تلك الآكام
على كثرة وشجر الموز على قلة واذا ما دائت العلاية في هذه النقطة منها
وهي موقع حصن . برتل تردد الاودية انفساحاً ومنحدراتها تبسيطاً والآكام
تفريقاً وبمزقة واعتزالاً واذا قطعت في مسيرك جدولين جدول نكتورا
وجداول نيمنهاوي وهما جدولان يمدان نهر أمبنجو على الكيلومتر المائة والعاشر
تصير في طريق واسع يشق في سيره بلدة كابارولي كرسي ملك طورو حتى
يلحق بالحصن وهو مركز ذلك القسم والطريق يوشك ان يكون مستقيماً

(١) دقيق النبت (المعرب)

(٢) لهذه الجبال شابة هي كونها خالية من الاشجار فهي من هذا القبيل
لا نسبة بينها وبين جبال حماليا . وقم الثلج فيها لا تقاس البتة بقمم تلك الجبال فهي
بالنسبة قليلة زهيدة

(٣) ينجلب هذان النهران في سيرهما الى نهر دورا

وهو يذهب في سمت الشمال ومتوسط سعتيه اثنا عشر متراً ويحفّ به سياجاً له من كلا جانبيه نبات القصب في شكل غريب يكون ارتفاعه ثلاثة أمتار^(١). والمزارع تنفسح في كلا شطّيه الى مدى بعيد. اما عماد الحاصلات في تلك البقاع فالحمص والدخن والبطاطا والتبغ وهي في قطر منها فسيح غاصة بشجر الموز وتقع في كلتا طرتيه خصاص واكواخ كثيرة المدد واذا صار الطريق على مقربة من الاكمة القائم عليه قصر الملك يجتاز بين دَوْح من شجر الكافور وهناك ذات اليسار كنيسة المرسلين اللاتين وهي بقعة لها سياج واسعة الاقطار معمورة بالابنية الانيقة وعلى رتاجها اي بابها العمومي صليب من خشب مستطيل والى ما بعد ذلك بقليل معمور كنيسة المرسلين الانجليز وفيه ايضاً مبانٍ يلوح انها على وضع ملائم واما قصر الملك فمقام في راس اكمة مستديرة يبلغ ارتفاعها زهاء ثمانين متراً على ميسرة الطريق^(٢) جوانبها مشحونة بشجر الموز مستديراً بذلك المعمور. وما تجاوزنا هذه الاكمة حتى رأينا الطريق يتحدّر بنا تحديراً شاقاً الى ان هبطنا وادي نهر أمّ بنج و ما عتّمنا بعد ان جزنا هذا النهر على معبرٍ من خشب^(٣) حتى انثنى الطريق بتصعيد عنيف الى قمة اكمة اخرى وهي موقع حصن بُرتل على مائة واربعة عشر كيلومتراً من خطوي والنقطة هناك صالحة لارتفاعها عن البر ووفرة مجاري الصرف^(٤). والبرّ في ظاهرها براح عراء غير دغل ولا أغين اذا يلزم تلك النقطة ان تكون

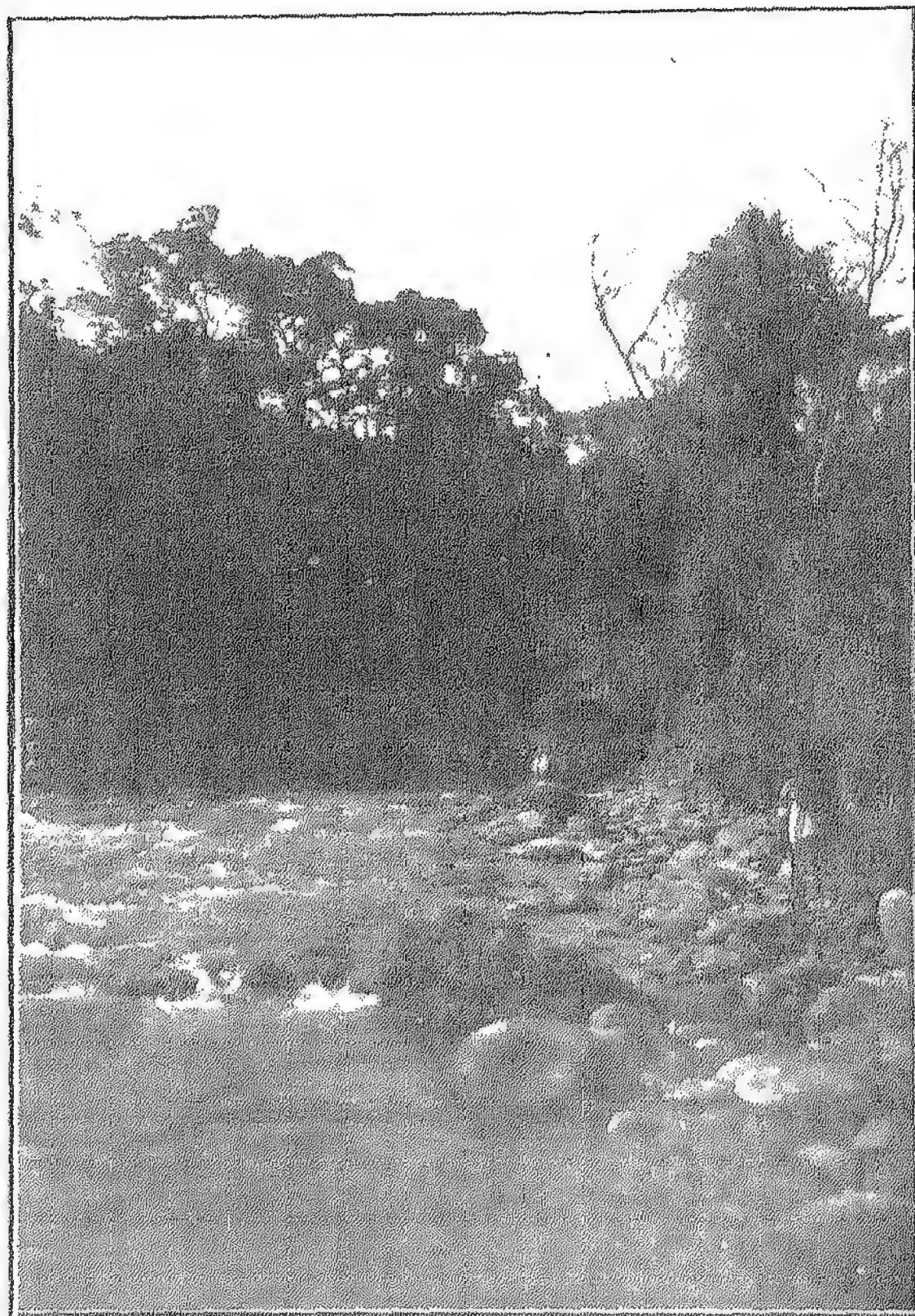
(١) هذا القصب بديع الخلق فانه يتلاف ويتشابك معاً خطوطاً منحرفة في ورا ب فكأنه موضوع للدلالة على حاشيتي الطريق فقط اذ لا سياجات عرضية في الاملاك المجاورة

(٢) ملك طورو باهياي اسمه كاساجما ويبلغ من العمر خمساً واربعين سنة

(٣) هذا النهر هو سيد الانهار الرامية الى بحيرة دويرو وهو يصب اليها من

طرفها الشرقي على مقربة من الجون الشمالي الشرقي

(٤) يرتفع حصن بُرتل عن سطح البحر الملح زهاء الف وخمسمائة متر



نهر رويي في ميره من جبال روتوري الى البحيرة بقسم طورو



حصن بزلن بمركز قسم طورو

موافقة للابدان لا وبيلة . ومحيط الحصن مستطيل يحق به خندق بعيد القاع به يقيم رجال الحكومة الانجليزية وفيه توجد المخازن ومكاتب الادارة . ونقطة الشرطة تقع الى غربي الحصن في منحدر الالكة . ويلى هذه النقطة السوق الاهلية . ثم ان في الحصن المذكور ثلاثة مامورين من رجال الانكليز اثنين منهما ملكيين وواحد صف ضابط والحامية هناك مائة وثمانون شرطياً وللقوم في تلك النقطة مستشفى لكن ليس لذلك المستشفى من طبيب يصف الدواء ولا مساعد يُرجع اليه في الاستشفاء فاذا عظم الداء وكان لا مندوحة من استدعاء الطبيب فلا دواء يستطب به قبل انقضاء خمسة او ستة ايام وربما كان الانتظار في ابان الامطار امرّ من ذلك بكثير^(١) وهواء الحصن معتدل حرارته لا تجوز الحد في الجو^(٢) ولكنه مُشرب رطوبة ولما كان موقع الحصن بجانب الجبال كانت العواصف الشديدة^(٣) لا تنفك عن تلك البقعة . ثم ان مشاهد جبال روتزوري من الحصن مشاهد تذهب في عرض الفضاء امداء بعيداً وبعض مشالها يحلو للعين منظره وذلك في ابان صفاء الجلد ولا سيما في الاصباح والايمساء واقرب عدوة من هذه الجبال اليه هي ما كانت على احد عشر كيلو متراً منه لكن يندرج بينهما هضبات متتاليات مخروطة تتضمن اجوافها فوهات ابراكين شتى خمدت نارها وبطل ثوارها واما منحدرات هذه الجبال الغربية فمستفيضة مشاجر ملتفة الشجر كثيفتها تبلغ فيها الى الف متر ارتفاعاً عن سطح البحر لكن المنحدرات الشرقية جرداء مرداء وفي اقطارها امم الباكُنجا وهم قوم من سكان الآكام والمرايبي يوجد منهم ايضاً على قلة في

(١) تكثر الحمى الالجية هناك في متهى فصل الامطار

(٢) بلغت الحرارة هناك في شهر مارس سنة ١٩٠٣ عند الظهيرة (الهجرة)

٧٤ درجة بالفهرنهايت و ٢٤ درجة بالسنتيجراد ولم تعد هذه المنزلة

(٣) اجف الجفاف يكون في شهري يناير وفبراير ولكن قلما يخلو يوم من وابل المطر

خطوي وكازنجا وعلى الجانب الغربي امم البومبا^(١) وإلى شمالي الحصن
 وشرقيه والشمال الغربي منه بسيط مرتفع من الارض يذهب في عنان السماء
 تنفجر فيه اودية وتنشر فيه ندب ونواهض تتخلل تواصله . — هذا وقبل تبين
 الطريق من حصن برتل الى بحيرة البرت على طريق أنيورو لا بأس من
 ان آتي بالايجاز على ذكر الاقطار الواقعة غربي المحلة والبلاد التي على الطرف
 الشمالي لجبال روتزوري لحد المنحدر الاكبر الى وادي سملكي^(٢) . والارض
 غربي الحصن مزارع كثيرة على مدى عدة كيلومترات عن المحلة ثم هي تنقطع
 ويتلوها سلسلة من روابٍ يفصلها بعضها عن بعض اودية غير متسمة المنفرج
 لكنها بعيدة الاغوار يكون مرتقاها ومنحدرها وعرين شاقين واديم الارض
 هناك تكسوه غشاوة ربما كانت حمماً طفحت من بركان وهي منضدة طبقات
 بعضها فوق بعض في شكل غريب يبلغ سمكها عدة سنتيمترات وربما شُبّهت
 في خلقتها بحجر الشيست^(٣) (ولعله الجص) . وعلى كثير من ظهور هذه الروابي
 ناتئات قليلة الارتفاع منها ما هو مخروط ومنها ما هو هرم يكاد يكون تام
 الهرمية . وفي بطونها عدد عديد من الفوهات البركانية . وعلى خمسة كيلومترات
 من الحصن فوهة في جوفها بحيرة محيطها آكام مستديرة الرأس طولها كيلومتر
 ونصف وسعتها سبعمائة متر والبر الى غربيها يتعالى حتى يلحق بشفير مهاوي
 العقبة التي هي الحد الشرقي لمفجرة الالبرتين وتشرف على وادي سملكي والبقعة
 حافية المشاهد شنيعتها لا شجر فيها البتة وهي ارض هامدة تنفجر في بعض
 المواقع منها اودية بعيدة القرار تذهب في الارض شرقاً وغرباً وعلى مسيرة
 ثمانية كيلومترات من الحصن مغرباً على سمتة بلغنا قمة تلك الروابي وهي

- (١) هم قوم يشبهون القرادة حكاك السرهري جُنُستين والمسترجوجن
- (٢) ما سيأتي من البيان في هذا الصدد ينطبق من جملة اوجه على طبيعة البلاد
 المحيطة بمهاوي ووهاد العقبة الشرقية في عامة وادي بحيرة البرت
- (٣) لعله حجر الطلق . واعلم ان عامة الطبقات الارضية في ذلك الصقع تحدُّرها حادة

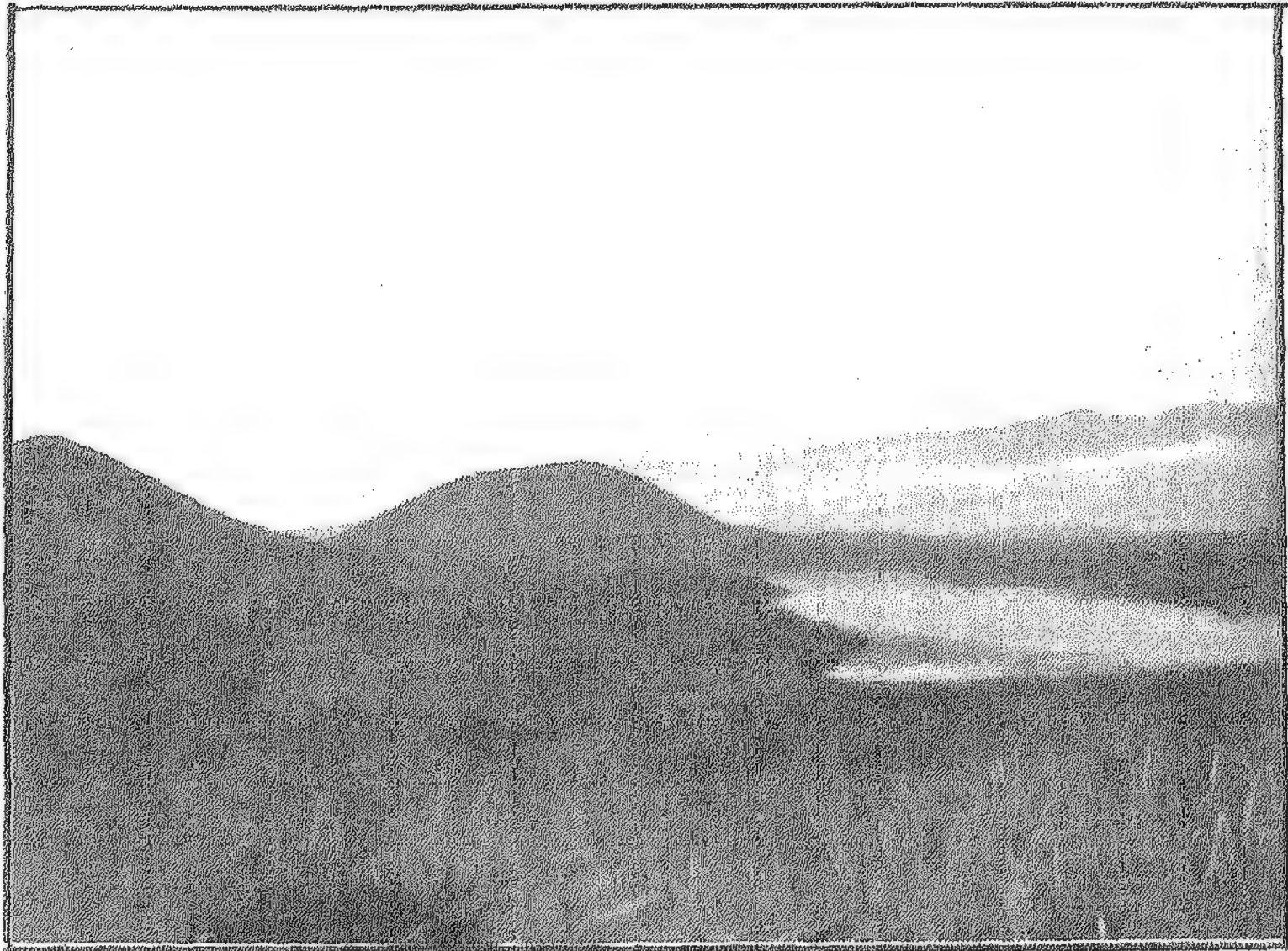
ترتفع عن سطح البحر قريب الف وخمسمائة وسبعين متراً تُشرف على ثنايا
جبال رنזורي الشمالية والوادي دُونها. ولهذا جميعاً مرأى بديع معجب للعين
ويُدرك البصر في الافق الاقصى أشباح جبال الكنفو وهي تخوم ذلك الوادي .
ثم أدركنا النظر صوب الشمال فبين لنا من سمتهِ بريق لُجيني يُخيل من خلاله
موقع بحيرة البرت

قلتُ ان التحدير في وادي سملكي شاق لوعورة الوادي وقد قلتُ على
الجمالين هناك مسالك الهبوط من العلاية وأسهل تلك المسالك مسلك يؤدي
من حصن بُرتل الى بلدة امبوجا (على تخوم الكنفو) وله على نهر سملكي
معدية عليها يجتازه الركبان . وللنزول الى الوادي ثلاثة مهابط أعسرهما مسلكاً
يكون ارتفاعه اربعمائة وخمسين متراً يسير بين اكتين مخروطتين منحدرًا في
عرض أنفٍ مستطيل وعري قائم على جانب مضيق بعيد الغور ينساب فيه
جدول ينهوى مأوّه على صخور شديدة الحدور فتكون من ذلك مساقط لا عدَّ
لها وشلالات . وعلى جانبي هذا المسلك توشك الروابي ان تكون عمودية .
وفي حضيض المهبط جرُف ناشئ عن هبوط الارض في دور الانهيار قد
تراكم فيه تلوّاً واكواماً فاندفعت في منفرج الوادي الى امدٍ بعيد

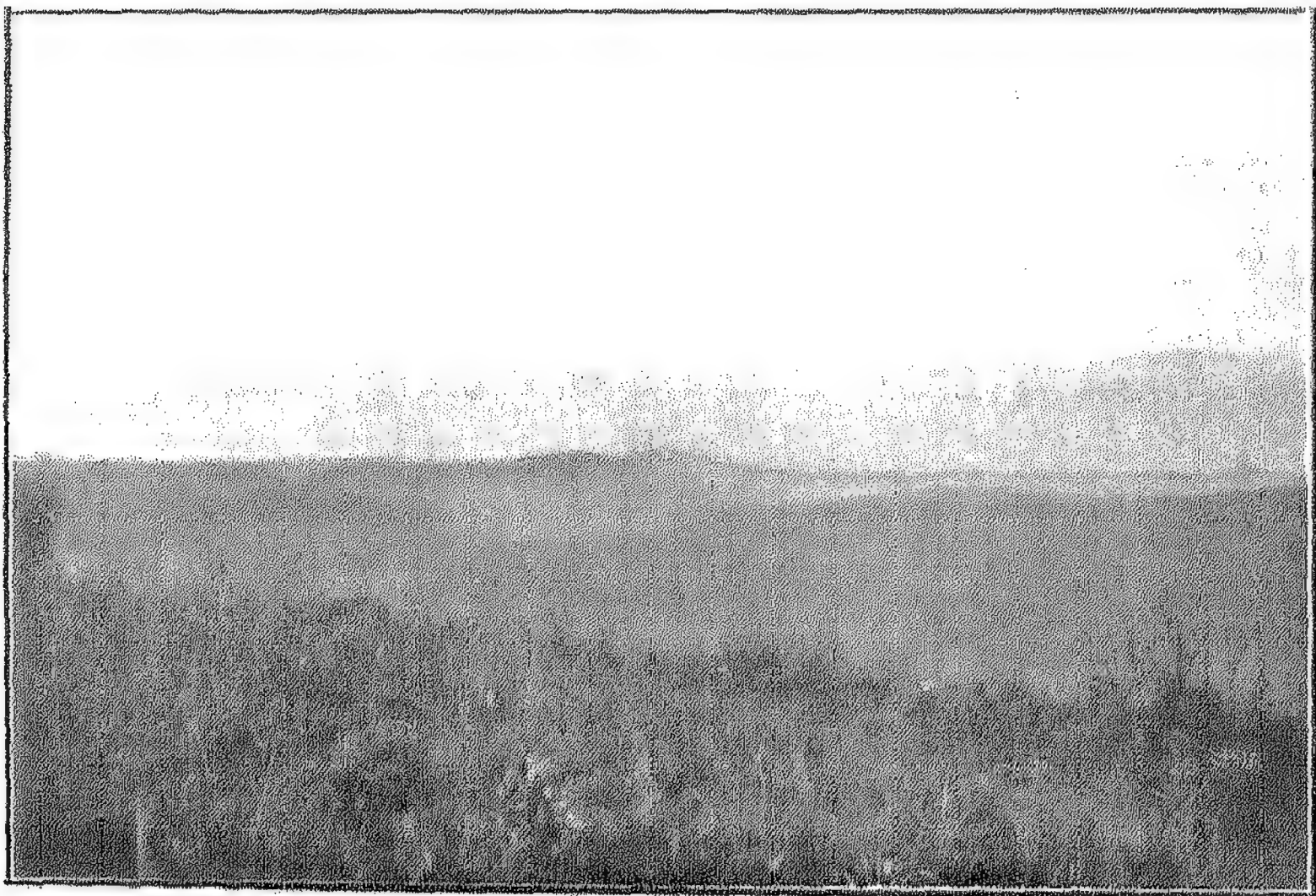
والحدور في تلك النقطة تكون مسافته زهاء مائة متر وهو صَبَبٌ تدريجي
والتحدير فيه مستسهل . وفي اسفل المنحدر علاية بسيطة غاصة بالكلاء المديد
وعلى ستة عشر كيلومتراً من الحصن نهر واشا وهو نهر يخرج من الطرة
الشمالية لجبال رنזורي وتجري مياهه في سمت الشمال الغربي حتى يقترب
بنهر نيزوجو الرامي الى نهر سملكي^(١) . ونهر واشا المذكور صغير يسيل في

(١) غير ثابت ان نهر واشا يقترب بنهر نيزوجو او هو يفيض الى بطاح
البحيرة وهي مرُوت الارض اي مناطق واسعة الاقطار حتى يتعذر الاجتياز في مواضع
كثيرة منها

وادي قريب الغور سعة النهر ثلاثة امتار ونصف ولقد سبرنا غوره في شهر مارس سنة ١٩٠٣ فكان حينئذ سبعين سنتيمتراً وسرعة جريته ثمانية وعشرين سنتيمتراً مربعاً في الثانية . وفي ابان فيضه وطفاح مائه يكون ارتفاع مداه مترين والملاية على جانبه الغربي اكثر نهوضاً وهي مكسوة احراجاً وغابات شجرها قريب الساق وعلى جنبها اودية غامضة وعلى واحد وعشرين كيلومتراً عن الحصن المذكور نهر نيتر وجو وهو يفضل نهر واشا بكثير . يسيل في وادي عميق فسيح الاقطار تكون سعته عند المجاز خمسمائة متر وعلاه تسمين متراً وهو مستفيض شجراً متفلاً وفي اديم هذه المفجرة ينساب النهر بتعاريجه ومطاويه ويكون سعة عقيقه في الصيف اثنين وعشرين متراً ولقد اختبر غوره في مارس من سنة ١٩٠٣ فلم يكن سوى سنتيمترات قليلة ومجره برك متواصلة ماؤها سلسبيل قاعه كثير الرمال . ثم ان المعالم الظاهرة على ضفتيه تشير الى ان مياهه ترتفع في ابان فيضه بقدر اربعة امتار فيكون بذلك عميق الجرية كبير الجرم . اما منشأه فمن الآفاق الشمالية لجال روتزوري ومذهبه في الغالب سمت الشمال . وعندما يصير الى الكيلومتر الثلاثين عن مخرجه يقترب نهر سملكي على مسافة خمسة واربعين كيلومتراً من مرمه في بحيرة البرت . وبُعيد هذا النهر تكون وجهة الطريق شمالية تقريباً وهو يذهب مع الملاية وهي في مستديم ارتفاعها ومستفيض شجرها . وتقطع في مسيره اخوار عديدة بعيدة القاع تصير الى وادي النهر جوانبها هائرة الانحدار والملاية في الواقع احط آناف الروتزوري المتحدرة شمالاً الى وادي البحيرة . ويندرج في فسات ماين تلك الاخوار نبوات ناشزة لا يتجاوز عرض النبوة الواحدة منها عشرين متراً واما متوسط سعة الخور فين اربعمائة وخمسمائة متراً وارتفاع الجروف بين خمسين وثمانين متراً وتري تلك الاخوار قد خددت ولا تزال تحدد في ارض الملاية من عند سفحها فتباعد بذلك عن الوادي ووجه الملاية



بحيرة فوهة بالقرب من حصن برتلن بقسم طورو



جبال روتزوری بقسم طورو

طبقة من الحمم البركانية والطفال وحصى الصوان وتحت تلك الطبقة طبقة الصخور البلورية^(١). ثم يجتاز الراحل فرعاً صغيراً من فروع نهر نيتروجو يقال له جدول كيكيا وهو جدول مسيله خور بعيد القاع وعرة المنحدر وهناك يلتوي الطريق التواءً حاداً في سمت الغرب هابطاً هبوطاً متوالياً الى مبدأ المنحدر الاخير الى وادي سملكي^(٢) وهذه الشقة من الطريق عقبة صعبة المراس ويكون فرق المنسوب بين رؤوس الهضاب وحضيض الوادي زهاء مائتين وخمسين متراً ويقع الطريق حينئذٍ في سنام من صخر قليل السعة قائم بين وادين بعيدي القرار ثم يتعرج بطيات وتلافيف مندرجة بين صخور مستعلية وتكون على جناحيه جروف هوية ومنظر الوادي هناك مديد جداً. واذا تطلعت الى الجنوب في حد المهواة تستجلي لك جبال رونزوري لوعورتها متسامية بعضها وراء بعض على قدر مد البصر وقبالة ذلك توافر على وادي سملكي ذاهباً في مهب الغرب على سمتة. ويعلم مجرى نهر سملكي من اقصاب معوجة الصقف ثابتة على ضفتيه وعلى جانب الوادي الشرقي بقاع من الآجام والمناقع متعاقبة فيه وترى خضرة تلك المناقع بازاء سمرة البسيط الذي الى جانبها وهو معشاب لوحتة الحرارة فسفت اديمه^(٣) وعلى مسافة من تلك النقطة جبال الكنفو وهي التخيم الفاصل وعلى سمت الشمال ترى المستنقعات الحافة بضفير بحيرة البرت الجنوبي وذلك من خلال الغمام الراسي فوقها. ثم يبقى التحدير في الشقة المتقدم ذكرها منصباً الى منحط الوادي. ومما تقدم تعلم ان مسقط العلاية التي عليها حصن برتل الى حضيض وادي سملكي

-
- (١) هذه العلاية (النقطة) الطويلة عبارة عن مدرج ذي اربع بسايط مختلفة التباعد بعضها عن بعض وهي تبدى من هضاب الرونزوي نزولاً الى وادي بحيرة البرت
- (٢) يبلغ طول الهبوط بين نهر واشا وهذا المنحدر سبعين متراً
- (٣) يعني بذلك غيرت لونه (المعرب)

يبلغ نحواً من ثمانمائة وسبعين متراً في مسافة ثلاثة وعشرين كيلومتراً^(١) .
هذا ولكي نأتي على وصف الاقطار الواقعة الى الشمال عن حصن بُرتل ينبغي
الشروع بالمسير من محلة ذلك الحصن فيكون عامة الطريق على مسامتة وادي
المفجرة والبلاد هناك تضاهي البلاد الواقعة في الجنوب عن المحلة المذكورة
بمعنى انها عالية تقوم فيها هضاب تحتها اودية في بطونها غدران جمّة مستنقعة
وهي تمرّ صوب الشمال والشرق الى امدٍ على قدر مدة البصر . وقلّ من هذا
الهضاب ما يكون كثير الارتفاع فعامتها نبوات مستديرة ناتئة والبر
يتعالى شيئاً فشيئاً من الشرق الى الغرب حتى يلحق بحرف العقبة والارض
في مدى من الحصن نباتها كثير ولكنه ازرع متفرق البقاع . وبعض الاودية
بعضها يستفيض اعشاباً مديدة يكون من بينها البردي الملتف يتخلل منابتها
ادغال وهذه الاقطار هي جزء من منطقة مطّارح نهر امبنجو ومحافل مائه
ومن ورائك جبال روتزوري جلية للعين ولها ستة اوسبعة رؤوس تكسوها
الثلوج وعلى مائة وخمسة وعشرين كيلومتراً من خطوي^(٢) يقع السائر الى اطراف
غابة بودنجا الكبرى ومن تلك المحلة على مائة وثلاثة وثلاثين كيلومتراً عنها
تري الفرع الشمالي الاقصى لنهر امبنجو المعروف ايضاً بنهر مانوبو^(٣) يجري

(١) المنحدر الاول وهو طولها يكون اربعمائة وخمسين متراً والثاني ماراً بازاء
شناخ الروتزوري يكون مائة وسبعين متراً والثالث وهو آخرها الى حد الوادي مائتين
 وخمسين متراً ويكون مجموع هذه المنحدرات ثمانمائة وسبعين متراً . ومتى اوغلت شمالاً
 وخرجت الى بحيرة البرت هناك يكون الارتفاع اقل فهو لا يتعدى ستمائة متر

(٢) ان الابعاد الكيلومترية قد اطّردت متابعه فيما يأتي من بحيرة البرت ادورد
حتى بحيرة البرت

(٣) هذا النهر متناقص كثيراً عن الفرع الجنوبي عند حصن بُرتل وهو يبدأ
بالقرب من بلدة انسورورو وهي حصن ويثر تري في جانب عين اميسي ووجهة

في وادي منفرجه خمسون متراً. ولما أبعدنا ستة كيلومترات اخرى اتينا الى هضاب السيل والى الشمال عن تلك الهضاب يندفع ماء النقييل من علو فيصب جميعه في نهر امسيبي الرامي الى بحيرة البرت وعند الكيلومتر المائة والثاني والاربعين هناك مبدأ غابة بودنجا وهي تكون في مسامته خط المفجرة الى مسافة عدة كيلومترات شمالاً والغابة من الطريق غربيه وهي محشوكة شجراً انيقاً صالحاً للبناء يضاهي الغابة الكبرى الى الغرب عن وادي سماكي وفرة ونضارة وتقارن غابة بودوما في كونها مراتب جماعات الفيلة تنحدر الى وادي البحيرة سائرة في مضائق الجروف ثم تصعد راجعة الى الغابة^(١).

أقول ولما كان الصيد محتكراً في عامة مقاطعة طوروكان رمي الافيال بالرصاص غير مباح البتة فصار من ذلك ان اناسي الاقطار الواقعة على سواحل بحيرة دويرو وامم الارض المجاورة لتلك الغابات قد هاجروا مواقعهم ومفترشاتهم اذ امتنع عليهم وقاية منابت الموز هناك من عيث الفيلة فيها^(٢) وبما ان الموز هو عماد اقواتهم قد جلب هذا الامر عليهم ضرراً اكبر ولذلك كان من المقرر الثابت ان تنتقص ايرادات ذلك الاقليم. والفيلة في عامة مستعمرة اوغندا محتفظ بها احتفاظاً كلياً حتى لا يخشى البتة ان يعتريها انتقاص يعتمد به فهي تجول سراحاً في اديم تلك الارض اسراباً كثيرة العدد فان اثر قوائمها اي اخفافها في كافة تلك الانحاء في حين ان يندر معاينتها. وطبيعة الارض

جريه في الغالب مهب الجنوب الشرقي وهو في مسيله الاعلى بطيحة واسعة الاقطار ماؤها عكر وقمرها ردة غليظة وقد استعلم مقدار منطلقه اي ايراده في اثنامن من شهر مارس سنة ١٩٠٣ فكان ٣٣٧ ر. في الثانية

(١) في عامة هذه الانحاء وفي الانحاء المجاورة لبحيرة البرت تعقر الفيلة ابدانها بالتراب الاحمر الحمي الموجود هناك فتصبح عجيبة المنظر اذ يكون لونها حينئذ اغبر كلون كميت الخيل

(٢) اعتمدت في ذلك على ما قاله عمال الانكليز الملكيون في ذلك الاقليم

فيما وراء ذلك بعشرين كيلومتراً أو نحوها لا تختلف في عامتها عما قبلها فالارض متعادية ذات كسور بين هبوط وصعود فهي اودية وجبال متعاقبات بالانتظام الدقيق وفي سمت الشرق القصي سطور من الهضاب وجبال كاجورارا تستطيل في الفضاء منفردة بنفسها ويكون ارتفاعها نحواً من خمسمائة متر وهي على ستة عشر او سبعة عشر كيلومتراً عن شرقي الشعاب الصخرية المحيطة بوادي البحيرة وفي مدى تلك الفترة جاوزنا اربعة جداول كلها ترمي الى نهر امسيسى^(١) عمدتها جدول أزوى عند الكيلومتر المائة والحادي والستين وهو يمر بالصوب الشمالي في وادي فجوته ثلاثمائة متر وسعة مسيله اليوم ستون متراً لا يتجاوزها . جروفه قائمة ارتفاع مسقطها متر واحد^(٢) مدته اي عالية مائه متران وخمسة وعشرون سنتيمتراً وفي اعتقادي ان جمهور مائه في ابان فيضه عظيم المقدار - هذا وعند الكيلومتر المائة والرابع والسبعين ادركنا نهر امسيسى^(٣) وهو نهر يفصل بين مقاطعة طورو وبلاد اوغندا وهو اعظم الانهار الرامية الى بحيرة البرت ما خلا نهر فيكتوريا . اما وادي مسيله فواسع بعيد القرار غاص بملتف الشجر وتكون الحروف اليمنى اي الشمالية في قيامها الى عالية ارتفاعها عن قاع النهر بقدر مائتي متر مدرجة بدرجتين وهي مستفيضة شجراً وأصل تكوينها هو انفجار احدي المهاي الكبرى التي تقطع العلاية من شرق الى غرب^(٤) . اما المرتفع الى الشمال عن

(١) هذه الجداول هي جدولاً يُمزاكا ونكتيويما وهما يمران على صخور و جدول يكويزي ثم جدول أزوى ومسيله آجام ومستنقعات

(٢) استقصى النهر في التاسع من شهر مارس سنة ١٩٠٣ فاذا سعت مائة وستة امتار وغوره خمسة وثلاثون سنتيمتراً وسرعة جريته ثمانون سنتيمتراً في الثانية ومنطقه في الثانية متر مكعب وثمانية وستون سنتيمتراً

(٣) قد ذكرنا هذا النهر في الكلام على بحيرة البرت

(٤) قد اشتهر وادي امسيسى بشدة عاصفاته الصاعقة تكاد تقع كل يوم

نهر امسيدي فيذهب في الارض مسافة بعيدة وهو محشوك ادغالا وتوجد
الزروع في مبداءه على قلة وبعد ذلك تنقلب طبيعة الارض فتصبح مشاهدها
موحشة الى حد الافراط فهي خراب يباب لا عمارة فيها ولا اهل ولكن الهضاب
تكون اعلى واسمى وذلك يذهب بشيء من غلظة تلك المشاهد . اما الاودية
فبعيدة الاغوار وفي عامتها منافع اديمها رذغة فسيحة طينتها حمأة منتنة
فيه سامق البردي وشجر القصب ويسيل في عرض هذه المناقع جداول
وانهار متطوحة فيها وجرائم النمل اي قراد في هذه الارض تختلف شكلاً
فيها عما في غيرها فهي اشبه بنبات الفطر عظيم الجرم سوقها قائمة عمودية وهي
مدورة متوسط قطر تدويرها يكون ثلاثة وخمسين سنتيمتراً ورؤسها مستديرة
ايضاً لكنها منفرشة منتشرة كالعرهون (وهو الفطر من الكمأة) وربما وجدت
هذه الرؤس لا تقاء زواعب السيول اما ارتفاعها فلا يكاد ينيف على متر واحد
ثم جاوزنا مجاليكا عند الكيلومتر المائة والثامن والتسعين فاذا بالارض
قد كثر شجرها وانبثت شيئاً من الموز والدخن والهضاب قد تعالت وتفتحت
عدة انهار صابة من الشرق مفرغة في سمت الغرب عمادها نهران امبني
وكامو بووها ينجلبان الى نهر انجوزي^(١) . ثم تباعدنا في طريقة من الاغوار
والانشازين هبوط وصعود فاستوينا الى مرتفع آخر عند الكيلومتر المائتين
والرابع عشر فوجدناه غاصاً بالحراج ومنه تحدّرنا في صبب بعيد المدى جائزين
في بشوا حتى لحقنا بنهر انجوزي^(٢) الفاصل بين مقاطعات اغندا ومقاطعات

وتتبع في مضيها مجرى النيل يتلوها في الغالب وابل المطر وربما صحبه البرد واما
وطأة ذلك على الركبان فزعجة الى الغاية لا يحيط بها وصف

- (١) نهر امبني معدوم الجرية في ايام الجفاف وتبلغ سعة واديه خمسين
متراً ويكون ارتفاعه سبعة عشر متراً ومقدار زيادة مداه مترين . اما نهر كامو بو فاصغر منه
(٢) بشوا بقعة في الغابة حرّها لافح كثيرة السديم والابخرة والبعوض يغشاها

أينور و وذلك عند الكيلومتر المائتين والثامن عشر وهو يقع في وادي فجوته
ثلاثة كيلومترات ارضه خشنة غليظة كثيرة الصخور والادغال والاعشاب^(١)
والنهر كبير يتعذر اجتيازه في ايام مده لا بل يستصعب عبوره في ايام
الجفاف والفيض ايضا لان تياره يجاوز الحد في شدة الجرية وعلى الجانب
الايمن من الوادي عند المجاز هضبتان غربيتهما قنة مخروطة الخلقة وتعرف
عند تلك الامم بهضبة كبرارا وشرقيتهما قنة مستوية بسيطة يقال لها عندهم
هضبة إيزنجيا وكلتا الهضبتين عن حضيض وادي انجوزي زهاء مائة
واربعين متراً ويلصقهما الواحدة بالآخرى جرف رفيع قائم بينهما يرمي الى
مشاهد قصية فيشرف من حواليه على اقطار شجراء تكاد تكون مسطوحة
يخرقها في فترات منها نواتي وبشور ناشزة عن سطحها لكننا عندما هبطنا الى تلك
الاقطار وجدنا الارض غير ما هيأته تلك المشاهد فالبردوكسور انشازاً فوهاذا
متعاقبات على نسق ممل مكرب . وليس في تلك الاقطار سعة كيلومتر واحد
مربع تكون ارضه تامة الاستواء والانسطاح وبعيد الجرف المتقدم ذكره
يكون اديم مهواة المفجرة الشرقية مستويًا بسيطاً لا كسور فيه الا ما احدثته
الانهار من الاخاديد في انصبابها الى وادي بحيرة البرت . وعند صفو الجو
تجلى للعين الهضاب الراسية الى الجانب الأقصى من تلك البحيرة . ثم سرنا
نحواً من عشرين كيلومتراً فلم نَرَ في الصقع اختلافاً في الخلقة^(٢) . وليس
هذا المعمور من مقاطعة اينور وبشيء من الاختلاف عن مقاطعه أغندا
والاصقاع الشمالية من مقاطعة طورو الا بكونه محشوكاً بالشجر الملتف وكذا
الروابي القائمة فوق راس العلاية عامتها غابات تلحق بقنانها . وعند الكيلومتر

(١) راجع صفة هذا النهر في فصل بحيرة البرت من هذا الكتاب

(٢) في اجتيابنا تلك الشقة اجتزنا نهر كسواجا وهو شعبة من نهر انجوزي

لا شان له في ايام الجفاف

المائتين والثامن والثلاثين ينسل الطريق بين هضبتين فيكون منهما فجرة بين جبلين صغيرين ويقال للهضبة اليمنى كيكندا وللهضبة اليسرى يجوجو كلتاها تشاهدان عن بُعدٍ شاسع وهما للارض في تلك الانحاء تخوم بينة ويسيل في تلك الفجرة نهر يعرف بنهر نيكاباري ويكون منفرج الوادى ستمائة متر وهو مستفيض اشجاراً كثيفة^(١) . والى شمالي الهضبتين تكثر القنان المنعزلة وصغار الجبال . فلقد اشرفنا من قمة جرفٍ عند الكيلومتر المائتين والرابع والاربعين على اربع عشرة قنة منفردة في الاقل . وهاتان الهضبتان القاحلتان تذهبان متجاфيتي الطرفين شمالاً وجنوباً توشكان ان تكونا في سيرهما متوازيتين تكون غربيتهما عن طرف المهواة الشرقية زهاء ثلاثة اواربعة كيلومترات واما الشرقية فستة عشر كيلومتراً . وليس من هذه الهضاب ما يكون متواصلاً فما هي الا قنان متفارزة ناشزة عن سطح المهاد^(٢) وبينها مسافات . واذا تطلعت في الفضاء في وجهة الشرق القصي الى ما وراء الهضاب الشرقية على بُعد بعيد ترى مرتفعات مزالقي السيل فيما بين ينبوعي النيل . والارض المندرجة بين مسطور تلك الهضاب الصغيرة علالة ذات اشجار تحترقها الاودية العميقة البعيدة الاغوار من الشرق الى الغرب تتفجر اليها مياه الصبب فتسيل فيها مندفعة الى بحيرة البرت وربما احتوت هذه الاودية خوامش اي مسايل ومجاري صغيرة يقوم في قراراتها متشابك القصب مستطيل الساق

(١) يبلغ ارتفاع هضبة كيكندا مائتين وخمسين متراً قنتها رفيعة اما هضبة يجوجو فمستديرة واما نهر نيكاباري فقد استوفينا الكلام عليه في فصل بحيرة البرت من هذا الكتاب

(٢) اشرف الهضاب الغربية اربع هضبة كيدوما ولها قنان ثمان هضبة روبنجا كيكنيا وكيكندا . واما الشرقية . فخمس يكوبا وككجراما ولوكنيا وما كابارا وجملة هضاب اخرى حجرية يعرف بهضبة امزاجمكورو

فينسل ماؤها على مهل نافذاً من خلال الاقصاب ولا يكاد يكون له جرية وربما كانت هذه المقاصب في ابان الفيض تصد طافح المياه المتدفقة فيها^(١) وسعة هذه المسایل تختلف بين ثلاثة وستة امتار واما غورها في ابان الجفاف فمن خمسين الى ستين متراً وجمّة مائها اي معظم زيادته في ايام الفيض من متر ونصف الى مترين وهي قليلة ميل القاع . ولما جاوزنا الكيلومتر المائتين والسابع والخمسين بلغنا سهل شيكوبي وهو سهل متقارب الاقطار غير فسيح ولم نكد نقطع نهر كيكييا حتى كانت الجروف والاخاديد اي النجاد والاغوار قد استعادت مجراها كما كانت من قبل وكل غور منها يقرب ان يكون اجمة بطيئة السيلة تاخذ مياهها في الغرب الى غابات قصباء ومنابت البردي^(٢) حتى تقضي الى البحيرة ويندرج بين كل مجريين من هذه المجاري علوية مكسوّة بالادغال والاشجار الملتفة وتنقطع هذه الاشجار عند الطرق الشمالي لنهر ومبايا ويتلوه سهل غزير المرعى . واذا ادركت الكيلومتر المائتين والثالث والسبعين فهناك محلة هو يما وهي اليوم مركز أنيورو وكانت محلة مازندي قبلها مركزاً فهجرت لوخامتها وتأثير اقليمها على الابدان . واذا اخذت الى غربي المحلة بمقدار كيلومترين بلغت قصر سلطان أنيورو وهو يشتمل على طائفة من كبار الخصاص سقوفها مغماة بالمدّر وله سياج من شاخ القصب^(٣) وعلى بعد من القصر هناك محلة المرسلين الانجليز ومُصلاًهم

(١) عمدة هذه المجاري اربعة بالبونا وجيمينجا وكاجارادندو وكيكيتونا وهي في ابان الفيض يكون سعة مسايها عظيمة حتى يبلغ عرض كيكيتونا مائتين وخمسة وعشرين متراً

(٢) هذه الخوامش ست امطاريا وكابروجولا وكيرادندي وميجو وكريكا وومبايا وهي بعد مسيرها في سمت الغرب تجتمع ويكون منها مجرى واحد يخرق المهواة ويعرف بنهر واهمبا

(٣) ملك أنيورو يسمى اندريا وهو في طور الشبية تلوح على وجهه امارت الفطنة والزكاء . ابوه السلطان كاجاريجا الطائر الصيت وهو مثل سائر الرؤوس في مقاطعة

والى ما يلي ذلك يكون السوق والمخازن ومكتب التلغراف^(١) واما مضارب العمال الانجليز فعلى رأس أكمةٍ مدورة الشكل ربما كانت عن القصر في سمت الشرق على كيلومتر ونصف واذا سرت مشرقاً ايضاً وقطعت وادياً عظيم الاتساع تقضي الى الارياض العسكرية وحاميتها فرقة من اجناد اغندا . هذا ويبلغ ارتفاع محلة هويما عن سطح البحر ألفاً ومائتين وسبعين متراً وهي بقدر ستمائة متر عن مستوى بحيرة البرت وألّزق المواضع بهذه البحيرة بلدة كبيرو على ستة عشر كيلومتراً من المحلة شرقاً . وعند صفاء الجو ورواق السماء فالجبال النابتة بازاء الطرف الاقصى للبحيرة بيئة ظاهرة وهواء هويما حار رطب وخاصتها خلوا اقليمها عن البعوض ذلك امر مستغرب لان الأدغال بلزق المحلة لا تزال غاية في الكثافة والالتفاف ولم ينكشف منها الا الشيء النزر . اقول والمحلة لا تزال في عهد الحداثة ومباني الحكومة تباشر اليوم فيها على التوالي واما اركان الحرب فهم بتلك المحلة مأمور الجباية من الانجليز ثم طبيب ثم ضابط وهو قائد الجُند وبجانب المحلة الشمالي نهرٌ تترامى مياهه الى الوادي ويعرف بنهر لوكاجوكا والى ما وراء هذا النهر سطر من الآكام اشرف قننها قنتان احدهما مسطوحة الذروة وتعرف بقمة باليجوكو والاخرى مسنمة وتعرف بقمة إمبالو وفي شعب ما بين القنتين مسيل من الماء يقال له نهر ومبايا يأخذ في سمت الجنوب الغربي^(٢) وكان قصر السلطان كاباريجا ومنازله تقع في عرض

اوغندا يرجع الى قوم البهائية المار ذكرهم وقد تدین بالنصرانية على المذهب البروتستنتي

(١) يوجد جبل التلغراف بين هويما وعنتي وهو بجانب سكة العربيات الواقعة

بين هاتين المحلتين ويوجد جبل التلفون بين هويما وبتياو على ضفير بحيرة البرت

(٢) هذا النهر غير نهر ومبايا الذي يلاقيه الرائد الى جنوبي هويما . واعلم

ان نهر لوكاجوكا ومبايا يجتمعان بعد جريهما الى الغرب فيكون من مجتمعهما نهر واهبا الذي سبق ذكره في الكلام على بحيرة البرت

الجانب الجنوبي لهذه الآكام^(١) ثم ان سكة المركبات من هويما الى بتيابو على بحيرة البرت تذهب مغربة وتكاف الاكمة المعروفة باكمة باليجوكو وترى عن يسارك مصلى للمرسلين الكاثوليك قائماً على رأس نهر لوكاجوكا وتضاعيف هويما وسواحلها كثيرة العمران بالزروع وانحاء ذلك القطر أهلة بالخلق الكثير منازلهم وخصاصهم منتظمة مهندمة لها ميازيب تتخط من علو الى سفلى الى حد الارض ولهم في مقدماتها اروقة . واذا جاوزت تلك الناحية حتى تكون على مائتين وخمسة وسبعين كيلومتراً عن خطوي فهناك معبر نهر لوكاجوكا^(٢) وهو نهر سعة مسيله نحو خمسة واربعين متراً وعمقه ثمانية امتار لكنه يضيق في ايام الفيض حتى تصير سعته الى اثني عشر متراً ويصبح غوره بعض متر فقط والى ما بعد ذلك بكيلومتر واحد يشق نهر ومبايا محجة الطريق وهو دون نهر لوكاجوكا غير ان لكليهما فورة فيض تبلغ مترين وربما امتنع بذلك قطعها في ايام مدها ويمر الطريق اليوم بجانب الآكام وعلى محاذاتها متباعداً عنها بقدر كيلومتر ونصف الى كيلومترين وفي قبة الجنوب صعيد عريض من الارض مستوي الاقطار محشوك بالادغال . وتلقاء الكيلومتر المائتين والثالث والثمانين نهر هويما مسيله هناك طفيف لانه على مقربة من مخرجه لكنه في طريقه تجلب اليه مياه اخوار شتى ومسائل الاودية وربما بلغ جرمه عند مهويه من رأس العقبة مبلغاً عظيماً . والبر الى ما وراء النهر متكسر الاديم له اخوار عظيمة قد احدثت فيه اخاديد عميقة . والارض هناك مكرمة للنبات فهو فيها على كثرة وفيها ايضاً

(١) أنزل السلطان كابريجا عن سرير الملك عقيب الثورة المهدوية السودانية وهو اليوم مع السلطان إمو مباحب اوغندا الذي أخذ اسيراً وأرسل الى جزائر سيشلس
(٢) كرهاً للتشويش والاختلاط قد اوردنا المسافات الكيلومترية على التوالي حتى بحيرة البرت

كثير من الاشجار المعجبة للعين^(١) ومن تلك الاشجار طائفة اوراقها كبيرة منتشرة على مثل اذن الفيل الافريقي كذلك يوجد فيها مستطرف النخل على كثرة وهو في العيان أشبه شيء بنخل الديار المصرية غير انه أطول منه وادقه ساقاً في غير نسبة وهو متفحل لا يجتنى به ثمرة . وعند الكيلومتر المائتين والتاسع والعشرين تنقطع سلاسل الآكام فتغيب ولا تبصر الا شعبها مادة بطولها الى الشمال^(٢) على مدى قصير . ثم اذا بلغت الكيلومتر المائتين والسادس والتسمين فهناك نهر يقال له نهر كاجراء يقطع الطريق وهو في البائن فرع من نهر وكّي الواقع فيما يلي تلك النقطة في صوب الشمال . واديه منبسط المسيل تباع سعة ما بين ضفتيه ثلاثمائة وثمانين متراً وفي جانبه سطر من الروابي لها مشاجر واحراج يكون ارتفاع تلك الروابي عن ذلك المسيل بقدر سبعين متراً وفي ايام الجفاف يضيق المسيل الى الدرجة القصوى ويكون مجراه مستفيضاً شجراً كثير البردي والجنبّة . والطريق الى غربي النهر يتسّم الآكام المستوية الذرى المتقدم ذكرها فيذهب بتلافيفه وتعاريفه في اودية وجروف تغشى بطونها الاشجار والادغال الملتفة — وعند مجيئنا الى الكيلومتر الثلاثمائة والتاسع اقبلنا على نهر وكّي وهو نهر يختلف بالوضع اختلافاً كلياً عن الانهار التي وقفنا عليها في عالية أنيورو . ووجه الخلاف ان مغاير هذه الانهار ومسايلها منافع منبضحة وما جل بطيئة الجرية واما نهر وكّي فئاؤه صافٍ نقي براق يتفجر على صخور ويكون من انزلاقه جنادل خفيفة وتكون سعة مسيله عند نقطة تلاقيه بالطريق ستين متراً ومقدار غوره عشرة امتار

(١) اي طيبة كريمة (المرب)

(١) عامة هذه الاقطار تقع على التخوم الجنوبية لغاية بودنجا

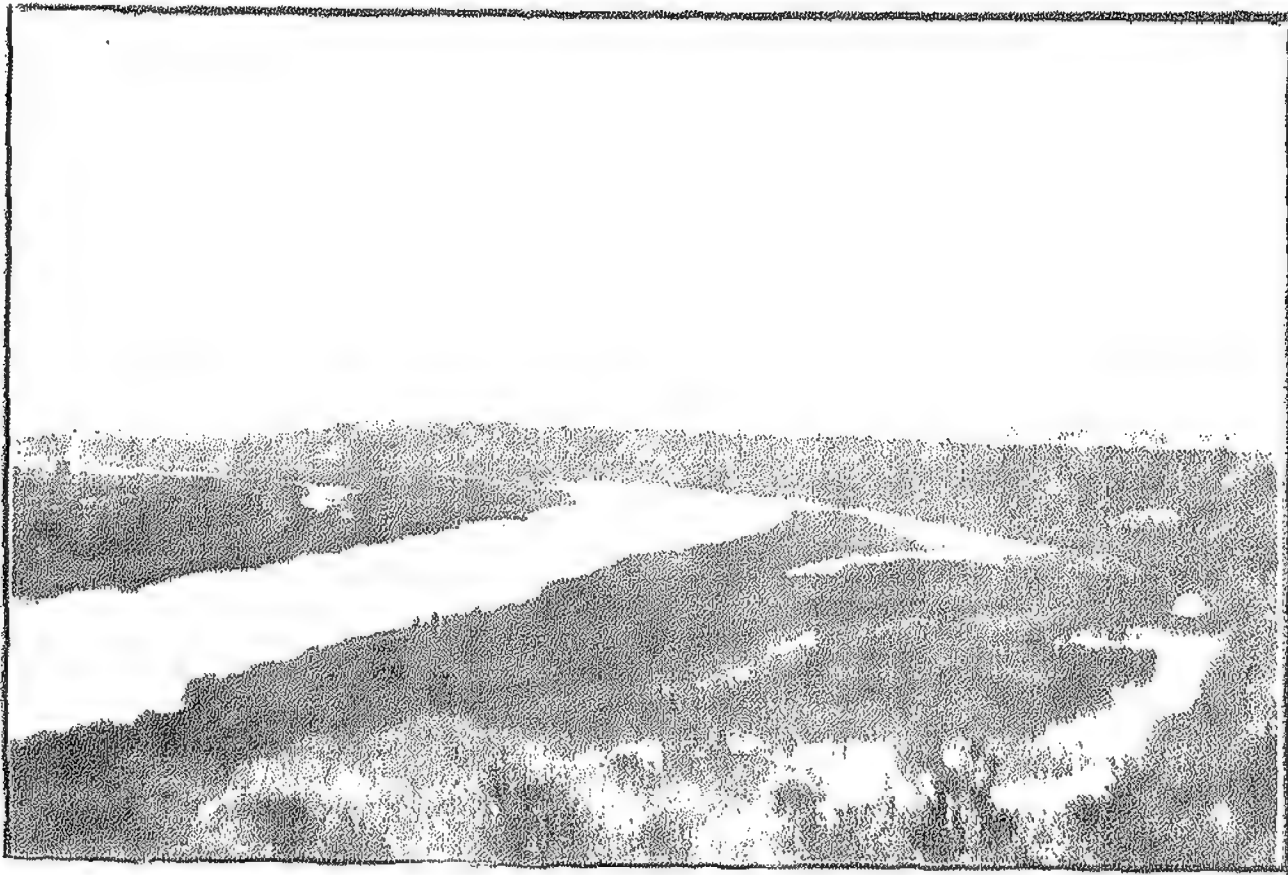
(٢) لم يقع لي ان اقف على كنية هذه الآكام ولذلك عرقها باكام هويما

وهي جزء من الجروف الكبرى الوسطى في بلاد انيورو

وساحله غابة مجتمعة الاشجار وهو يضيق مسيلاً في ايام القيظ والجفاف فيصير الى ثلاثة امتار ويصير غوره الى ثمانين سنتيمتراً وتكون سرعة جريته عظيمة^(١). واذا جاوزت النهر تنعطف الطريق الى الشمال آخذة في ارض متكسرة الاديم ويكون النهر ذات اليسار ساثراً في مضيق يبلغ ارتفاعه مائة متر بجمامها. اقول ومشهد مسقطه في مهوي الجرف مشهد عجيب مستظرف وفي اقطاره مشتبك الاشجار والادغال واديم الارض فيها قد خددته الاخوار تخديداً. وتصير المهواة الى حضيض الوادي عمودية كأنها السد القائم وماء النهر يترامى متلاطماً في جوانبها مزبداً فتراه خطوطاً بيضاً في هامة الصخور السود . واذا انت صرت الى الكيلومتر الثلاثمائة والثاني عشر فهناك رأس المهواة الشرقية الكبرى^(٢) تشرف منه على مشاهد تحاربها النواظر . ترى بحيرة البرت بطيحة واسعة المغيض وهي من رأس المهواة على عدة مئين من الامتار. ثم ان بين هذه البحيرة وبحيرتي البرت ادورد وفكتوريا تبايناً كلياً فان هاتين البحيرتين يحف بهما صعيد من الارض عريض الاقطار قليل الارتفاع تليه بسائط ذات سعة تقع فيما بينه وبين شفير مائهما . واما بحيرة البرت فشكلها مستطيل ضيق السعة عامته محصور بين جبال وجروف تكتنفه من كلا الجانبين . ساحلها قليل الفساحة وفي مواضع منها لا ساحل لها البتة لان الجروف فيها تقوم تواء من الماء ناشزة على حافتها ومنظر البحيرة من راس المهواة جميل تهواه النفس ومقدار مسافة المنحدر اليها زهاء اربعمائة متر وسلوك الطريق شاق متعب لكنه يعد سهلاً اذا قسناه بطريق واى سملكي .

(١) قد ذكرت هذا النهر باكثر اسهاب في فصل بحيرة البرت

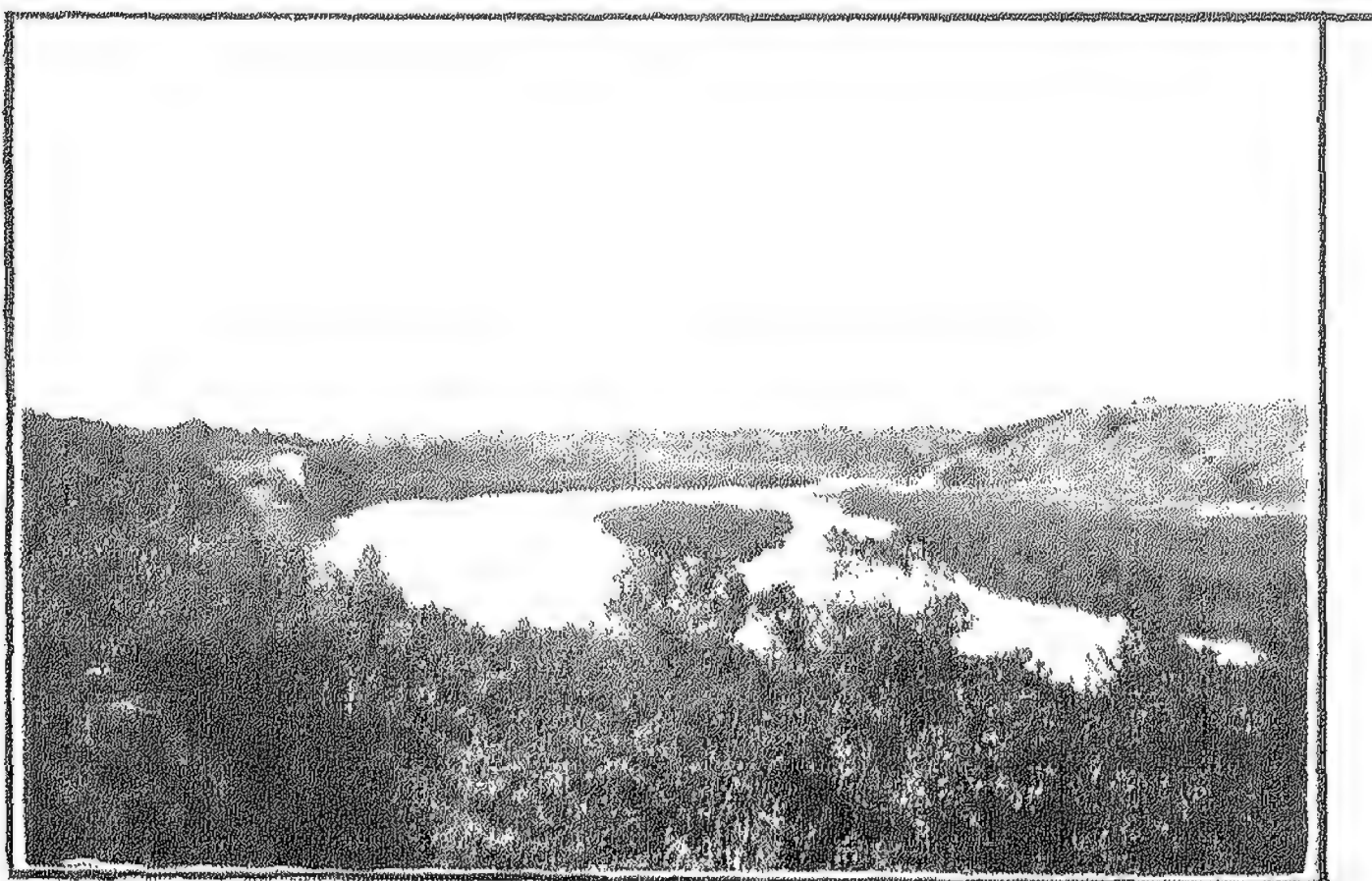
(٢) ان في ذروة الجرف منزلاً للاستراحة ومكتباً لوكيل التلفون المؤدي الى هويما وهناك متجى الخط لكن الطريق يمر على سنده حتى يتصل بالرصيف الواقع على البحيرة



نهر سنملى من خلفه عند مخربه



نهر سنملى بمقاطعة الكنفو الحرة



نهر سنملى بمقاطعة الكنفو الحرة

والارض من اسفل الجرف الى ضفير البحيرة يكون ميلها خفيفاً . واذا كنت
عن خطوي على ثلاثمائة وسبعة عشر متراً فانت في بتيابو الواقعة على
بحيرة البرت

الفصل السادس

في نهر سملكي

هو المخرج الفرد لبحيرة البرت ادورد يوم جموم مائها وطفافه . يأخذ
منها مادته على مقربة من طرفها الشمالي الغربي في ثمانين دقائق وثلاثين ثانية
من العرض الجنوبي . وتكون ناحية سيره في محاذاة مفجرة الوادي الالبرتي
وهو يزاحم الجانب الغربي من جبال روتزوري ويجري نحواً من مائتين
وستين كيلومتراً ويفضي الى بحيرة البرت في طرفها الجنوبي في درجة واحدة
وتسع دقائق من العرض الشمالي فيكون على هذه الصورة واصلاً بين هاتين
البحيرتين فله اذاً شأن اكبر في نظام الايراد محبوك الاطراف الذي يتكون منه
البحر الابيض — هذا ولقد تطلع هذا النهر خلق من الرواد كثير وعبروه في
جملة نقط من مسيله ولكن المعلوم انه لم يتهياً لواحد من اهل أوربا الى اليوم
أن يتبعه مقيماً على ساحله مواصلة لان في ذلك ما لا يدرك من العناء والمشقة
الآ انه في مسافة مائة وعشرين كيلومتراً من طوله يكون جريه في وادٍ
غامض بعيد القاع قليل السعة مطبق جانباً الواحد بحروف هائرة تنشأ في
جبال روتزوري والآخر بحروف أخرى مثلها تنبثق من جبال الكنفو وفي
خلال تلك المسافة ينهبط النهر قرابة مائتين واربعة وخمسين متراً فتتطلب اليه
فيوض جمّة من الجبال المجاورة له . ومما يزيد عناء الرائد ونصبه في هذه
الشقة أن بطن الوادي مستفيض اشجاراً تذهب فيه صعداً الى ثلاثة آلاف
متر ارتفاعاً عن سطح البحر الملح فأديم الارض هناك محشوك بمختلف النبات

حتى لا يكاد يسلك لوفرتة واشتباكه وهو يكثر في تلك الانحاء وله بهاء وجلال . وفي خلال هذه الغابة على كلا شقي الوادي تترامى مياه الجداول المدة للنهر ساقطة اليه من اخوار وعرة الجوانب . اقول والامطار فيما تحت قن الثلج في جبال رونزوري تكون غاية في الغزارة لا تكاد تنقطع طول السنة وأما الاقليم فخارٌ مفرط البخارات الى الحد الاقصى . هذا وفي مسيله في ذلك المضيق شلالات وابلغني اهل تلك الارض ان فيه ايضاً مساقط عظيمة المقدار والناس لا يعلمون من امره فيما بين مغيبه في الغابة شمالي حصن امبيني وموقع منبعثه من ذلك المضيق الى الوادي الواسع جنوبي بحيرة البرت شيئاً غير ما أنا ذاكر^(١) . ثم هو في اوائل مسيله وأواخره يجري في سهل أرضه طينية ابلزية ومجراه في تلك الاصقاع مستسهل استقصاؤه بالنسبة لاستقصاء المجاري الاخرى^(٢) . ثم اذا كان مستوى بحيرة البرت ادور تسعمائة وخمسة وستين متراً عن سطح البحر المالح ومستوى بحيرة البرت ستمائة وثمانين متراً يكون مقدار ما هبطه في مسيره الى بحيرة البرت مائتين وخمسة وثمانين متراً . ويتبين من الارتفاعات التي استخرجت في نقط شتى من مسيله ان ذلك المبوط يكون على النسق المذكور في هذا الجدول^(٣)

(١) في سنة ١٨٨٩ تتبع الرحالة استنلي مجرى نهر آخر موازٍ لمجرى نهر سملكي فكان يسير في اكام غربي جبال رونزوري ولم يفارقها لكنه قلما تبطن وادي النهر الى مسيله

(٢) أشد الصعوبة على المسافرين في تلك الانحاء في الميرة والمؤونة فان الارض في مسافة طويلة من مجراه على الجانبين خراب غير آهلة بالخلق

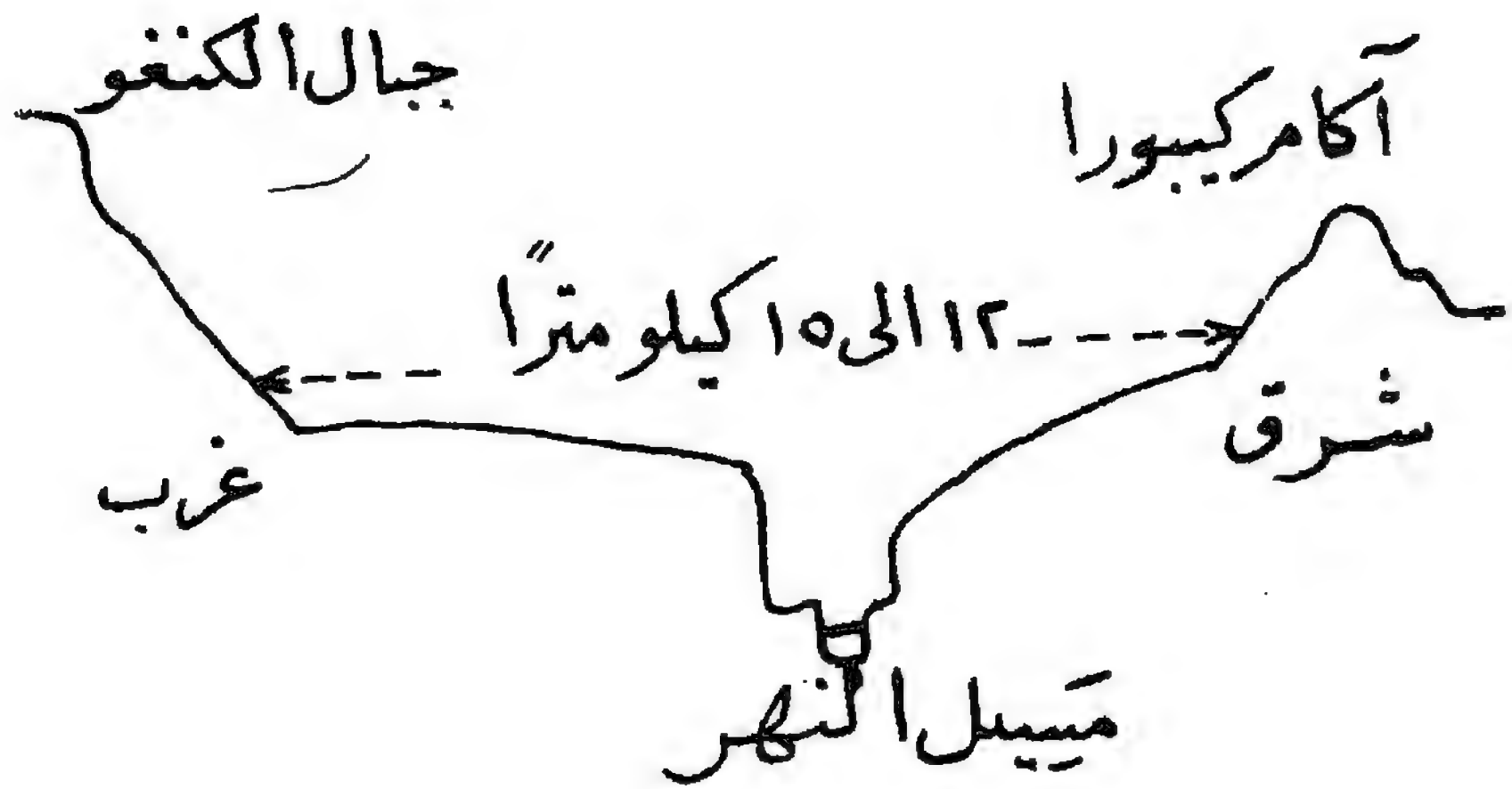
(٣) علمت الانحدارات المذكورة من مقدار التصرفات المعلومة

من	الى الكيلومتر	المسافة كيلومترات	الأنحدار امتاراً	الأنحدار امتاراً الكيلومتر الواحد
بحيرة البرت ادورد	٧٥	٧٥	١٥	٠ ٦ ٢٠
الكيلومتر ٧٥	١٩٦	١٢١	٢٥٤	٢ ٦ ٠ ٩
الكيلومتر ١٩٦	بحيرة البرت	٤٦	١٦	٠ ٦ ٢٥
المجموع		٢٦٠	٢٨٥	

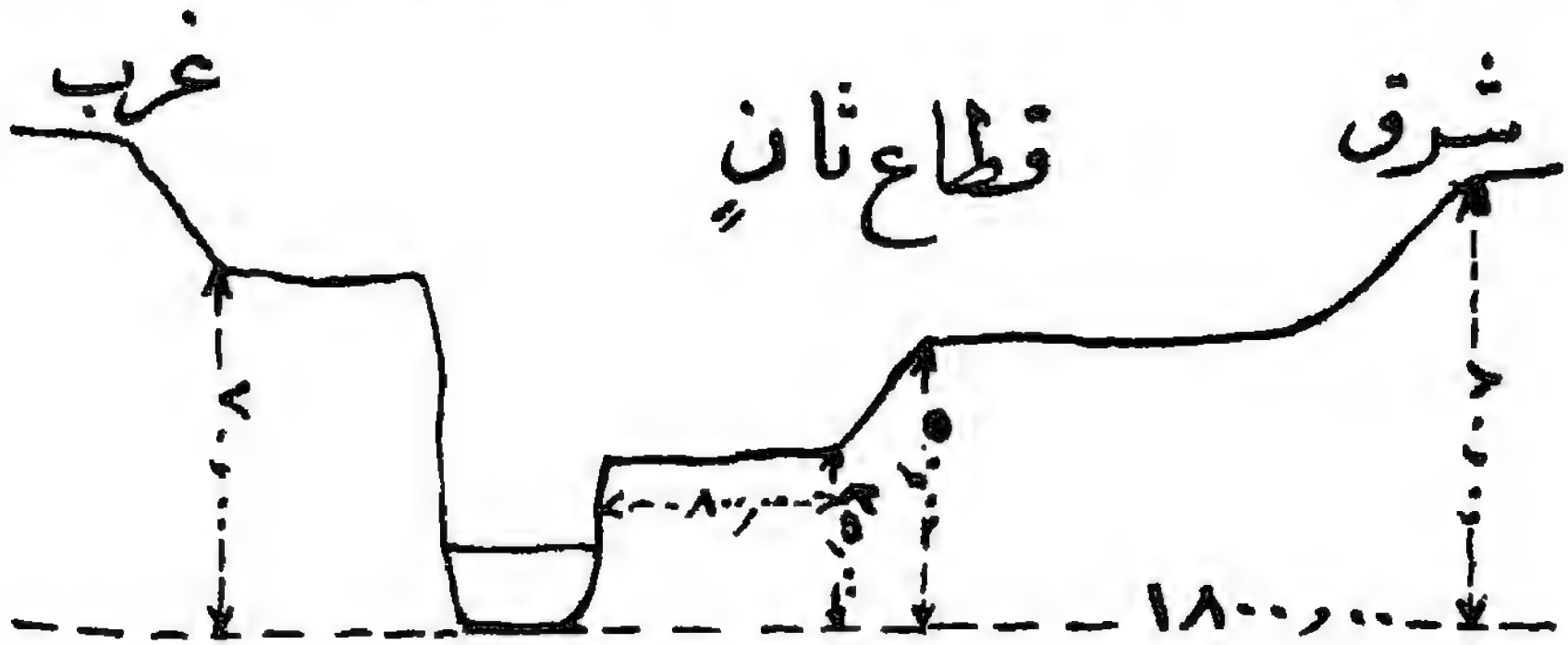
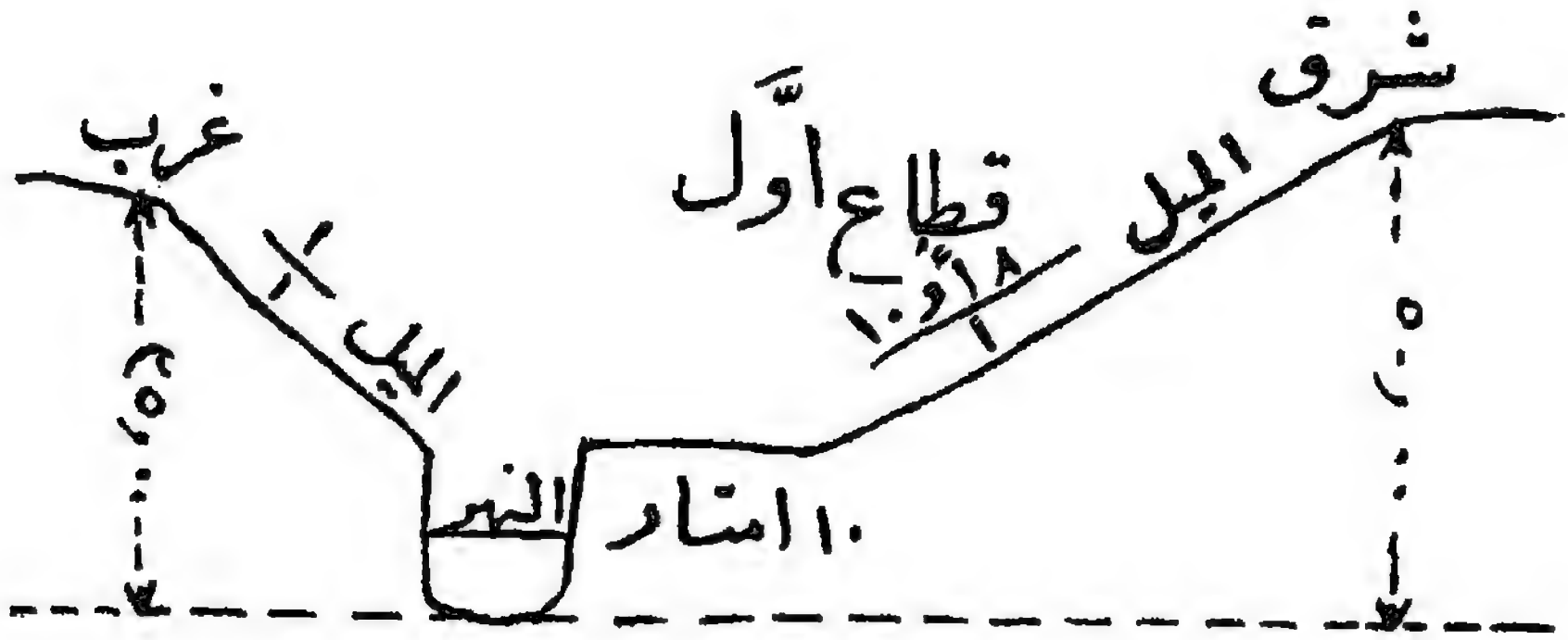
وليُعلم أن ما أثبتناه في هذا الجدول من الأنحدارات ليس الا تقريباً لان المعلومات التي في دائرة حكمنا أقل من القليل على ان فرق المنسوب بين الكيلومتر الخامس والسبعين والكيلومتر المائتين مفرط حتى يكاد يكون في حكم الثابت ان في مسيره في الغابة تتوالى فيه المساقط والشلالات الوشكة السريعة الجرية . ومن مخرجه الى الكيلومتر الخامس والاربعين لا يفيض اليه من الجهة الشرقية شيء من النهرات او الجداول وفيما بعد ذلك يقع فيه كثير من الانهار الممدة على كلا جنبيه^(١) . وفي شمالي روتزوري يقترب به نهر نيتر وجو على خمسة واربعين كيلومتراً من مصبه في بحيرة البرت والى ما وراء ذلك في السباح الممتعة التي تكتنف ضفاف أواخره هناك يقع فيه نهر يعرف بجدول واشا وفي عامة مسافته يكون على جانبه الغربي سلسلة الجبال الكبرى التي هي حد المفجرة ويكون على جانبه الشرقي في أعاليه آكام كيورا وبعد ذلك في الجهة الشمالية تكون جبال روتزوري التخم الثابت . وفي هذه الجبال تنشأ عقبات المهواة الحافة ببحيرة البرت من جانبها الشرقي . واعلم ان معدل سعة الوادي المنبسط فيه نهر سملكي في مسافة العشرين كيلومتراً الاولى من مخرجه يختلف من بين اثني عشر الى خمسة عشر كيلومتراً

(١) يتبين من خريطة استلمت ان خمسة واربعين خوراً ترمي الى هذا النهر من جهة الغرب وثلاثة وعشرين من جهة الشرق

فاذا جاوز ذلك الحد ينفسح عريضاً في مدى معلوم ثم يتضايق في منمطف
طنوف الرونزوري وتكون وجهة مهب الشمال الغربي . واذا اخذت الى الشمال
عن هذه الجبال هناك يعود الوادي فينفسح حتى تكون سعة منفرجة في
اواخره من بين خمسة وعشرين الى خمسة وثلاثين كيلومتراً . اما الوادي الاعلى
فتغشاه رواسب مائية وطين ورمل يتكون منها علوية بين الجبال . وهي اي
العلوية جرداء ملحة التربة وترى النهر يشق صلصال الارض فيكون منه مجرى
عميق يذهب في عرض البر كأنه يجري في خندق هائل سمته تختلف بين
خمسائة الى ثمانمائة متر ويختلف غوره بين خمسين الى سبعين متراً ولمسيله تماريج
وملاو وميول جانب الغربي هي على الاطلاق اكثر عمودية من ميول جانبه
الشرقي . وهاك القطاع العام للوادي الاعلى



ثم ان للمسيل الوضعي قطاعين اختصاصيين يكون ميل الجانب
الشرقي للوادي في الاول منها خفيفاً حتى يصير الى شفير النهر ويكون في
الثاني في مدرجين او اكثر منبسطين . وهاك القطاعين



اما ضفير بطيحة البرت ادورد غربي آكام كيبورا فله ما لضفيرا الواقع
بجوار كازنجا وخطوي من الصفة ويحيط بساحلها حرف شاهق مستدير
يكون ارتفاعه عن سطح مائها متزايدة من بين ثلاثين متراً الى مائة متراً وما
المنبسطة قليلة السعة والبر الى ما وراء ذلك الحرف يتصاعد من البحيرة
ذهاباً في سمت الشمال . ومياه الصبب تحرف في سيرها عن البحيرة فتكون
وجهتها صوب نهر سملكي^(١) . وهذا النهر يأخذ من البحيرة على زاوية قائمة
من خلال غابة من عالي القصب ويحيط به على جانبه الايمن اي الشرقي مهواة
يبلغ ارتفاعها عن سطح النهر تسعين متراً او مائة متراً وما مهواة جانبه الايسر

(١) هذا النهر لا يعرفه اناسي خطوي ولا اناسي تلك الانحاء بهذا الاسم وقد
عرفه استلمن بنهر ايسنجو وهو اسم غير معروف ايضاً عندهم وهم يسمونه بنهر كاكندا
ولا يعلمون له اسماً آخر ويسمونه في الاقطار الشمالية بنهر كاكبي ولا يسمى سملكي
بالاجماع الا عند حصن بُز تل وبعد جبال روتزوري ولقد اتخذنا له في هذا الكتاب
اسم سملكي لان الجغرافيين قد اجمعوا عليه

منحطة الى عشرين متراً وهو يذهب مقبلاً على سمته مسافة ثمانمائة متر ثم ينعطف
توّاً الى الشمال الغربي وما يلبث ان يسير بقدر تلك المسافة حتى يعود الى الشمال .
والمهواة اليمنى هائرة هويّة يغشى قلتها مادة جيرية جصّية . اما المهواة اليسرى
فيلها خفيف والى ما وراءها منبسطة من الارض غاص بالادغال يذهب الى
مدى طويل في سمت الغرب والى الشرق ترى الوادي غير سويّ الاديم
يتصل صعيده باكام كيورا مسافة خمسة او ستة كيلومترات وهو مكسوٌّ
بصغير الحشيش ودقيقه وليس في عرضه من الاشجار الا ما ندر وقلّ وحاشية
النهر حافلة بالبرديّ والقصب يكون مستطيلها كبير السعة جداً لاسيما في
المواضع التي يندفع فيها تياره من جانب الى آخر تاركاً وراءه جوناً مدرجاً
يستنقع فيه الماء عند قاعدة المهواة . هذا وفيما وراء مخرجه يكون مأخذ البحيرة
صوب الجنوب الغربي والمنظر هناك رائع الجمال ما وقع نظرنا على احسن منه
في الاقطار المندرجة فيما بين بحيرة فيكتوريا وبحيرة البرت ادورد . والى الشمال
والشمال الغربي جبل شاهق يذهب رأسه في السماء لا تتجاوز مسافة ما بين
قاعدته وحافة النهر ثمانية كيلومترات ويندرج فيما بينهما عالية شماء شجراً
تهبط رويداً حتى تتصل بالنهر واذا تسنّمت الجُرْف الاعلى عند مخرجه
واطلمت عليه في وجهة جريته رأيتَه ينساب في تلاويه وتعاريجه في حضيض
مهواة عظيمة واذا استقبلت الجنوب رأيت يَمَّ البحيرة ينفسح . واذا ادرت
الطرف مغرباً رأيت آتاف الجبال تتدلى متهاقّة حتى تتصل بشفير النهر وهذه
الجبال وهي معلّم المفجرة تأخذ الى الجنوب على سمته تسمو في السماء علواً
حتى تلحق بالسحاب ولها قنن متراكبات بعضهنّ فوق بعض كثيرهنّ في
شكل غير نظيم لكنه معجب للعين . وبئس ما يطبق السماء من الغمام في
اصقاع تلك البحيرة فانه يمنع الابصار عن رؤية تلك الجبال الا في هنيهات

يكون أكثرها في الغدوة والمساء^(١) . وعند الغروب بينا تتواري الشمس
بحجاب الجبال ترى القنّان تشق عباب الجو في لون أرجوانيّ اغبر يتصل
بلون السماء ولون اديمها قرمزي نارنجي تغشاه صبغة وردية ضاربة الى الصفرة
ألا ان هذا المشهد (مقروناً بمشهد النهر وضفافه القصبة) مشهد ليس له من
مثيل في البهاء والجلال . هذا وعلى شط النهر على مقربة من مخرجه
قرية من قرى الكنف والحرة وما هي الا طائفة من الخصاص والاكباس . واما
الشط الايمن فخال عن العمارة . والقوارب هناك صغيرة جداً وقليلة فاذا أريد
تفريغ محمولها لزم ملاحها ان يأتوا بها من خطوي سالكة في البحيرة . وفي تلك
البقعة جمٌ كثيف من الهوام طافية على صفحات الماء صفتها من الغرابة بمكان
فهي تنهض عن البحيرة متصاعدة في الجو غماماً مظلاً كأنه دخان حريق
هائل . وليس في البحيرة الا ما قل من طير الماء وقلما يوجد في تلك الاقطار
فرس الماء أو التمساح أما هواء الوادي في تلك النقطة منه خلال شهر
فبراير فانه نزه شارح للصدر وهو جاف بارد ونادر أن تجاوزت درجة الحرارة
ليلاً ستة وثمانين بمقياس فهرنهايت او انحطت الى ما دون سبعين . ولقد اخترنا
قطاعه عند مخرجه في التاسع عشر من شهر فبراير سنة ١٩٠٣ فاذا بسعة ما
بين منكبيه مائة وسبعون متراً يأخذ مسيله منها مائة متر فقط والفاضل
وقدره سبعون متراً مستنقع ماءه رقيق حافل بنبات القصب والبردى .
وغور النهر هناك ليس بكبير فان أبعده على ما جاءت به الأسبار يكون متراً
واحداً وستين سنتيمتراً^(٢) وكان معظم متوسط جريته في أي القطاعات

-
- (١) ان صورة نهر سملكي المدرجة في هذا الكتاب لا يستبان بها هذه الجبال
الا قليلاً ولا غرابة فان المسافر القاصد لتلك البقعة ربما اقام بها يوماً ورحل عنها وهو
لا يدري ان لها سلسلة جبال يكون ارتفاعها قرابة ألفي متر
(٢) كان النهر والبحيرة معاً حينئذ في اقصى غيضاها

المسبورة سبعمائة واربعة وثمانين مليمتراً في الثانية وكانت التصرف بقدر ستة وتسعين متراً وستين سنتيمتراً في الثانية . ومعلم فورة الماء في النهر ظاهر بين في تلك البقعة على سوق القصب وبدن المهواة . وارتفاعه مساوٍ لاستوى بحيرة البرت ادورد وربما لم يتجاوز ارتفاعه عن أحط منسوب البحيرة متراً واحداً

اقول وماء نهر سملكي غاية في الصفاء والرواق لكن لونه يضرب قليلاً الى الخضرة وهو ملح كريحه المذاق^(١) . واذا جاز النهر منعطفه الاول صوب الشمال الغربي في نقطة قريبة من مخرجه يتحول في سمت المغرب فيكون جريه فيه مسافة تقرب من خمسة كيلومترات وفي مفارقه تلك النقط يغلب على وجهته ان تأخذ الى الشمال . وفساحة وادي النهر^(٢) تكون في مواضع منه نحواً من الف متر تنساقط اليه من علو على كلا جانبيه اخوار^(٣) مكتنفة بأشجار ملتفة واما العلاية الشرقية فرداء مكشوفة من الاشجار والعلاية الغربية مفروشة بالأدغال وهي تذهب صعداً الى حد الجبال ويكون وجهها مصدعاً ذا كسور تجوز الحد وقم تلك الجبال قرعاء لكن ميل سفحها شجير . واعلم ان متوسط سعة النهر يختلف بين سبعين وثمانين متراً وهو يسير في تلويه بين جروف مستعلية وتخاذيه في سيره من الجهة الشرقية آكام كيبورا فتقوم على ذلك مدى قدره خمسة او ستة كيلومترات وتكون جبال الكنفو عن تلك النقطة على ثمانية او تسعة كيلومترات . ثم ان العلاية الشرقية تظهر انها غير معمورة على الاطلاق غير ان الجانب الشرقي منها له بعض

(١) قد جلبنا معنا عينة من ماء هذا النهر في قارورة على قصد تحليلها تحليلاً كيمياوياً لكن لسوء الطالع انحطمت القارورة واهريق ماؤها

(٢) اعني المسيل الذي شقّه النهر لا الوادي الواسع الواقع فيما بين سلسلتي الجبال

(٣) المراد بالخور كل جدول ينحدر من علو الى نهر او بطيخة (المعرب)

العمارة بالزروع والاهلين^(١) ولما كنا عن مخرج النهر على عشرة كيلومترات هبطنا الى بلدة كوسبياً وهي واقعة على جانبه الايسر وفيها شيء من شجر الموز وفي بعض المواضع من الجانب الغربي ترى مهاوي ارتفاعها من ستين الى سبعين متراً بارزة الى الامام فوق الماء وعلى الجانب الشرقي تتصعد الارض بتدريج حتى تتصل بالعلاية وهي اي العلاية في تلك النقطة جرداء مفروشة اديمها حصباء وبقايا الاصداف وقد يكون تراب الارض في المواضع التي خددتها الاخوار اشبه شيء بالحواري وقد يكون ابيض كالجير او الجص او السكس واذا جئت الى ما وراء كوسبياً ترى العلاية الغربية تنفسح كلها هاجرت الانهار الجبال الغربية وهناك اكمة متقبية منفردة عن سلسلة الجبال يفصلها شعب فسيح واذا كنت من مخرجه على خمسة عشر كيلومتراً هناك تمتد جبال الكنفو ذاهبة في سمت الشمال الغربي ووجهة النهر شمالية صوب جبال روتزوري . ويقطع السهل الشرقي الواقع هناك خور بعيد القاع ينحط من حدر حتى يفضي الى النهر ويكون صبة اي انحداره حاداً وغوره خمسة وثلاثين متراً بجمامها وجانباه عموديان عليه وهو غاص بالأدغال المشبكة ويتراجع سريعاً في جهة آكام كيبورا فقطاعه اذاً ظاهر تبين منه صفة ارض العلاية فبدنها طبقات متناضدة من الصدف والحصى والرمل وطينة قلتها ايليزية سميثة يبلغ سمكها مترين^(٢) وصفة النهر في مدى

(١) أرى ان لا عمارة على الاطلاق في الاقطار الواقعة بين نيمفاشا والسملكي ما خلا نفراً وحشي المنظر من الاهلين في آكام كيبورا

(٢) اجبرتنا الحال في رحلتنا في العام الماضي على ان نعدل عن الخطة التي كنا قد خططناها لانفسنا لتتبع ساحل النهر بعامتة فاثبتنا راجعين الى خطوي لنقاد الميرة والمؤونة فما تراه مندرجاً في هذا الكتاب من وصفه بين الكيلومتر الخامس عشر وموضع نفاذه من وادي الروتزوري ليس مأخوذاً الا عما اثبتته المسافرون . واعلم اننا قد اطلعنا النهر مرة اخرى في الشمال من جبال الروتزوري

عدة كيلومترات منه الى الشمال عن الخور لا تتغير الا قليلاً فهو يسير في مجراه وقطاعاته متناسبة وسرعته . وعلى مسيرة ثلاثة وخمسين كيلومتراً من مبدأ النهر عند بلدة أمكورنجو الى جهة الجنوب الغربي لجلال الرونزوري يكون غوره في شهر يونيو على ما قاله الرحالة أستلمن بين ستة وعشرة امتار فاذا صح ذلك كان مسيله ينساب في مضيق حرج فانه بعد تلك النقطة بثلاث كيلومترات يعود اليه قطاعه العام . قال ان سعته كانت يومئذ ستين متراً وعمقه متراً ورباعاً وماؤه الى الصفرة شديد الجرية يتدفق على رمال وحصباء اقول ولا اظن غور النهر في تلك البقعة الاً متخالف المقدار كثيراً فان الرحالة ستييرس قطعه بعدها بقليل فوجد سعته بقدر ثمانية وثلاثين متراً وغوره ثلاثة امتار وارتفاع جرفيه يختلف بين ثلاثة عشر الى خمسة عشر متراً وسرعة جريه متراً واحداً وثلاثة وثلاثين سنتيمتراً في الثانية وذلك يعادل تصرفاً يكون زهاء مائة واثنين وخمسين متراً في الثانية^(١)

قلت والصور الشمسية لنهر سملكي على ما ورد في كتاب السر هري جونسن الاخير^(٢) أخذت من موقع المعدية قبالة حصن امبيني على مسافة خمسة وسبعين كيلومتراً من مخرجه وهي تشير الى ان سعته تكون بين تسعين ومائة متر وأن سيلته حادة ويكون مجراه بين جرفين مرتفعين مكسوئين ادغالا وجنبات أي دق الشجر . قيل ان في جوفه هناك ما لا يحصى من التماسيح ومن المستلزمات أن تكون القوارب هناك كبيرة الحجم لنقل الركب

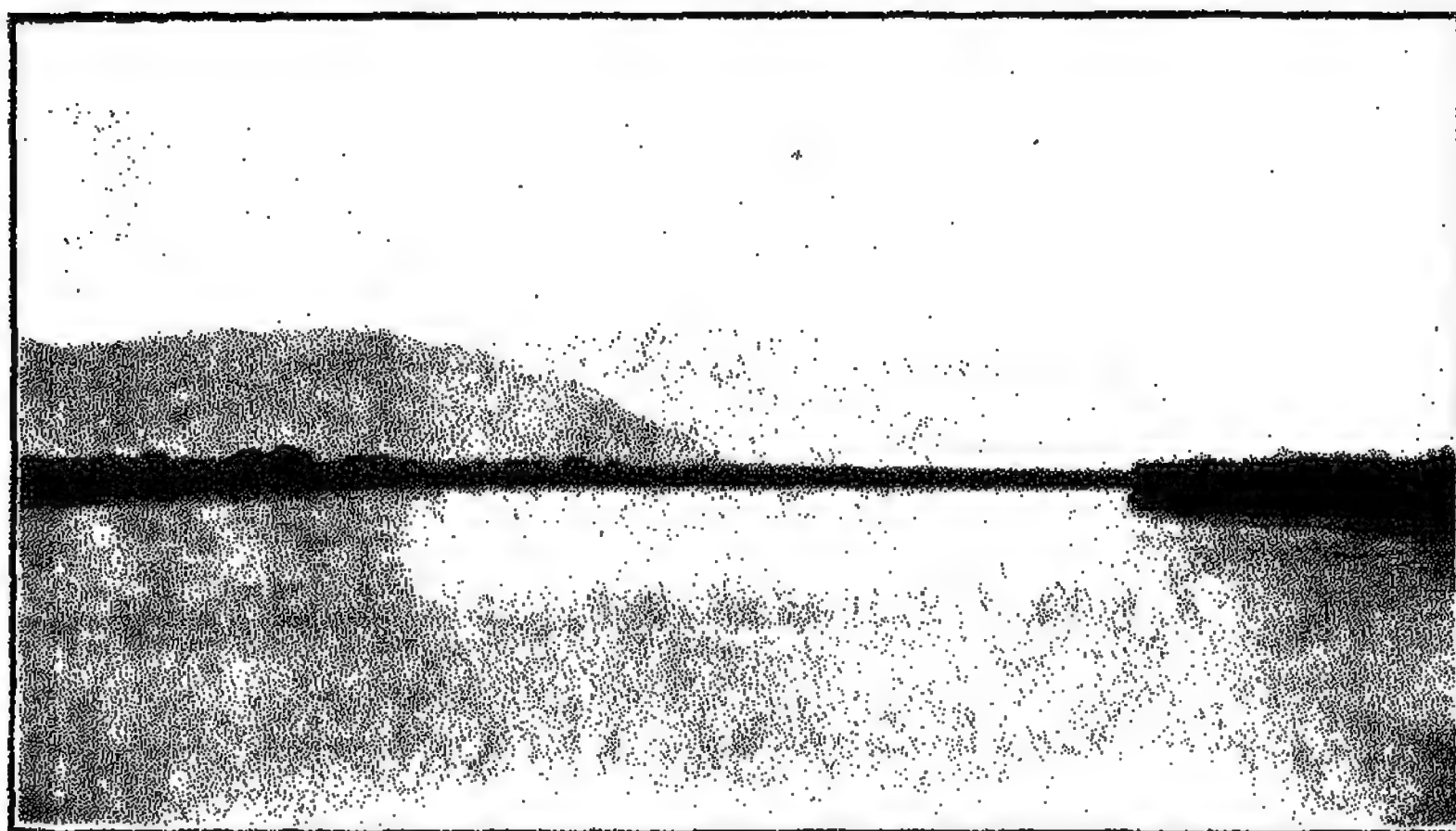
(١) انظر كتاب دزكست افريكا (اي مجاهل افريقيا) للسر استنلي المطبوع

في لندن سنة ١٨٩٠

(٢) راجع كتاب أوغندا بروتيكتوريت (أي مستعمرة اغندا) للسر هنري

جذستن المطبوع في لندن سنة ١٩٠٢

لوحة ١٨



نهر سنكي في قطعة منه تبعد عن مصبه في بحيرة البرت زهاء ثمانية واربعين كيلومترا
شمالى جبال روينزورى بقسم طورو

والدواب لان الغور بعيد والتيار شديد الحلة فالنهر لا يخاض^(١). وأسفل عن موقع
المعدية بيسير يغوص النهر في اطواء غابة الكنفو الكبرى وله هناك مسارع
ومساقط^(٢). ثم اذا كنت من بحيرة البرت ادورد على مائة وستة وتسعين
كيلومتراً هناك ترى النهر ينبعث من شعاب الجبال فيدخل قطعة من وادي
المفجرة فيما بين المهواتين الكبيرتين المارتين شمالاً من تخوم بحيرة البرت
والوادي ينفرج تَوّاً فيكون من منفرجه سهل فسيح الاقطار غاصّ بالعشب
والادغال وفي كثير من انحائه بقائع مستنقعة وقد انجلبت الى اديم ذلك السهل
أجراف متحدرة من الجبال فأعلت طبقة ولا ريب في ان مياه بحيرة البرت
كانت في الاعصر الخالية منفرشة تحفّ بآكام الجبال غامرة عامة تلك
الاقطار^(٣). على ان هذه الاجراف لا تزال منذ القدم تتراعى الى ذلك
السهل قترفع أديمه حتى اصبح اليوم نجداً . وقد كان بالامس بحراً . وفي
هذا السهل يكون انحدار النهر خفيفاً ولو ان جريته تلازم شدتها حتى
يصير الى بطائح بحيرة البرت ومناقعها . ثم ان الرحالة استلمن قطع النهر في
شهر يوليو من سنة ١٨٩١ من موضع لا يبعد عن نقطة منبعثه من الآكام
شمالاً قال ان سعته تكون من ستين الى ثمانين متراً وغوره خمسة عشر متراً
وسيلته شديدة^(٤). وفيما بعد ذلك الى الشمال تراه قد نحت له مجرى في عَقَبَةٍ
من الصخر الرملي يبلغ ارتفاعها ثلاثين متراً^(٥). هذا واذا صرت على

(١) راجع كتاب مستعمرة اغندا المذكور

(٢) ان مسيل نهر سملكي بين الكيلومتر الخامس والسبعين والمائة والسادس

والتسمين مجهول

(٣) عامة هذا الوادي رواسب بحيرة وابليز جلبتها الجداول والانهار

(٤) انظر كتاب « مت امين باشا إم هرتس فون أفر كا » (أي مع امين

باشا في قلب افريقيا)

(٥) انظر الكتاب المذكور

مائتين وعشرة كيلومترات عن مبدأ النهر تكون سعة واديه هناك من سبعة عشر الى ثمانية عشر كيلومتراً^(١) لكنه لا يلبث ان ينفصح منعطفاً نحو الشمال والجرف هناك وعراً الى الغاية يكون ارتفاعه عن قاع الوادي قريب سبعمائة متر^(٢). وبازاء ذلك الجرف بقعة أجمة تذهب من الشمال الى الجنوب عامتها تمر على محاذاة سلسلة الجبال والاجمة أحط من قاع الوادي باربعة امتار وربما كانت في الزمن الاول مسيلاً للنهر سعتها متر واحد ونصف وفي مواضع منها يعترضها في سيرها طنوف منحطة ناتئة من بنات الجبال غاصة بنبات السنط لكن سيرها العام يلازم اسافل جرف المهواة غير منفك عنها والاجمة حافلة بسامق القصب وفي ايام السيول لا يكاد السلوك فيها يكون ميسوراً^(٣) وطريق بارنجو في الكيلومتر الرابع والعشرين منها شمالاً تنشعب بشعبتين في منتصف تلك الاجمة وفي هذا البلد عين حارة كبريتية نابطة من بطن الارض تنساح في براح عراء اجرد وتقرب حرارتها من درجة الغليان يستشفي بها اناسي تلك الاقطار . وعند تقاطع طريق أمبوجا بالوادي يكون لجبال روتزوري منظر معجب ترى قناتها متسامية في الفضاء متراكبة بعضها فوق بعض الواحدة منها الى ظهر الاخرى . ومن الوهاد ما يروق للعين مرآة وهاد منحدرها منصب تواء الى الوادي مسافة عدة امتار وبعد اجتياز الاجمة الشرقية تصبح الارض نجداً ناهضاً تعلوه الاعشاب وهو في المامة

(١) هنا الطريق المؤدية من حصن بُرتل الى أمبُنجا على الحدود البلجيكية

تقطع ذلك الوادي

(٢) قد اوردنا صفة هذا الجرف في الفصل الخامس عند الكلام على منطقة

ماين بحيرتي البرت ادورد والبرت

(٣) قد عينا في ان نجعل للطريق معالم تدل عليها فطفقنا نلّف صغار الشجر

النابة في الاجمة . اقول ومع ذلك فلا بد للمسافر من ان يلاقي العناء الذي لا مزيد عليه في اجتيازه تلك الاجمة

براح لكنّ فيه شتاتاً من الادغال منبثة في جميع انحاء وفي بسيطه مصارف صفار . فاذا اخذت من الجروف الشرقية في مسافة خمسة كيلواترات فانت في مواجهة جدول يذهب في جريه من الجنوب الى الشمال له سعة قدرها خمسة امتار وغوره يبلغ متراً ونصفاً غير اننا تطلعناه في شهر مارس من سنة ١٩٠٣ واذا به غدير لا جرية له على الاطلاق والى غربي هذا النهر تكون الارض اشدّ نشزاً والادغال اكثر التفافاً وفيها نخيل البورسوس على قلة ومن ذيل العقبة الشرقية على سبعة كيلومترات هناك نهر سملكي وهناك معدية يركبها المسافرون الذين وجهتهم امبوجا . والنهر في تلك النقطة مستطرف الى الغاية يختلف متوسط سعته من بين سبعين الى ثمانين متراً وله سيلة متسارعة وهو يطوّف بين جرفين هائرين هويين يكون ارتفاعهما عن اقصى منحط الماء نحواً من مترين وله في سيره تعاريج كثيرة وبعض لياته حادة الانعطاف في الغاية القصوى وفي عامة جرفيه تاكل عظيم وماؤه كدير عكر وساحله على كلا شطيه مقصبة ملتفة نبتها طويل الساق والى الجانب الغربي تمد المنبسطات بطولها ثلاثة او اربعة كيلومترات ومن ثم ينهض البر صعداً في حروف متدرجة تدريجاً . وهناك مبدأ غياض الجنبية ويظل البر في التصعيد تدريجاً حتى بنات جبال الكنفو حيث هي عن غربي النهر على سبعة او ثمانية كيلومترات

اما الاسبار التي استخرجت في الرابع من شهر مارس سنة ١٩٠٣ فقد دلت على ان سعة سطح الماء ثمانية وستون متراً ومتوسط العمق متر واحد وتسعون سنتيمتراً واقصى منغمس المسبر متران وثلاثون سنتيمتراً والجريّة كان معظمها في صميم المجرى وعلى الجانب الشرقي اي الايمن . ومتوسط سرعة مائه في منتهى سرعة الماء بالقطاع متر واحد وعشرون سنتيمتراً في الثانية وجملة التصرف مائة واربعة وعشرون متراً وثلاثة وعشرون سنتيمتراً مكعباً في الثانية

وكان معظم ارتفاع الفيض عن ماء النهر مترين وثلاثين سنتيمتراً في شهر مارس سنة ١٩٠٣ ذلك يؤدي الى ان تكون سعة طبق الماء نحواً من مائة متر^(١) . واعلم ان التصرف قد استخرجت حساباته والنهر في احط انحطاطه أي في نهاية فيض كانت برهته اشهرأ

قلنا فيما تقدم ان مستورد النهر من بحيرة البرت ادورد قد بلغ في ١٩ فبراير من تلك السنة ستة وتسعين متراً وستين سنتيمتراً مكعباً^(٢) . ولما لم تكن السماء قد اتت بشيء يذكر من ماء السحاب في فترة بين التصرفين كان يتبادر الى الذهن ان منسوب البحيرة لم يطرأ عليه تغيير في غضون تلك الفترة . وعلى ذلك يكون مقدار ما زاد في تصرفه آتياً اليه من الجداول المدة اثناء مسيره في بطن الآكام سبعة وعشرين متراً مكعباً وثلاثين سنتيمتراً فقط في الثانية ولا بد ان يكون الفرق بين مقدار ما يخرج من بحيرة البرت ادورد من الماء ومقدار ما تستوعبه بحيرة البرت فرقاً عظيماً ذلك لان الاخوار العديدة التي تحمل مياه الصبب من جبال روتزوري والكنفو متى بلغت جُمعتها وطَافَها يكون مستوردها جسيماً جداً . هذا وربما ادركنا ما يقارب تصرف النهر ابان مدّه اذا اتخذنا ما اثبتته الرحالة استنلي من المعلومات في هذا الشأن^(٣) قال انه اجتازه في شهر مايو سنة ١٨٨٩ من معبر

(١) تصنع القوارب في تلك الاقطار من خشبة واحدة ينحتونها نحتاً بالادوات ويكيفونها قارباً قليل الحجم حتى تراها على صفحات الماء قلقة غير مطمئنة وقد كاد يمتنع علينا ان نرسل القلس الى ما وراء التيار لاشتداد دورته . وجوف النهر هناك حافل بالتمساح

(٢) انظر صحيفة ١٤٦

(٣) طالع كتاب « داركست أقركا » اي مجاهل افريقيا للسراستنلي —

لندرا سنة ١٨٩١

هو عن بحيرة البرت ادورد على مائتين وسبعة عشر كيلومتراً تحت نقطة تلاقيه
بنهر نيبروجو وانه وجد سمته تختلف بين خمسة وخمسين وتسعين متراً وسرعة
جريه بقدر مترين وعشرين سنتيمتراً مربعاً في الثانية . اقول ان هذه
المعلومات استخرجت في فصل الربيع الماطر يوم يكون النهر في ابان مدته .
ولا ادري كيف اغفل هذا الرحالة ذكر غوره بالتفصيل فعمد الى الايجاز اذ
قال : « انه (أي النهر) نهر عظيم بعيد الغور مأمول الخير » انتهى

عود — ومساحة قطاع النهر في ابان فيضيه في الموضع الذي تينا فيه
مقدار تصرفه في شهر مارس سنة ١٩٠٣ تبلغ مائتين وسبعة وسبعين متراً مربعاً
ونصفاً فاذا جعلنا لهذا القطاع سرعة السيالة التي اعتمدها الرحالة استتلي
فيصبح مقدار التصرف ابان الفيض زهاء ستمائة وعشرة امتار مربعاً ونصف
في الثانية ويضاف اليه تصرف نهر نيبروجو وواشا في الصوب الشرقي
وتصرف جدول او جدلين يفضيان اليه في الصوب الغربي الى الشمال عن مقترن
نيبروجو . وليس من وسيلة يعول عليها لاستطلاع مقدار ما تفرغه هذه
الممدات في السملكي على ان بعضها ولا سيما منها جدول نيبروجو جداول
ذات شأن اذا يصح القول بان مبلغ ما يبعث به ذلك النهر من الماء الى بحيرة
البرت في ابان مدته لا يكون اقل من سبعمائة متر مكعب في الثانية وان أدنى
تصرفه يكون مائة وخمسين متراً مكعباً في الثانية وجمهوره سبعمائة متر مكعب
في الثانية . هذا وفسحة ما بين معدية (مأتاة) أمبوجا ومغيضه في بحيرة البرت
تكون خمسين كيلومتراً . واذا صار من بحيرة البرت ادورد على مائتين وعشرين
كيلومتراً هناك يقترن به جدول نيبروجو ^(١) ومن ثم يذهب في طوله نحواً من
عشرة او خمسة عشر كيلومتراً اخرى يكون مجراه فيها ضاحياً مكشوفاً والوادي

(١) تقدم الكلام على هذا الجدول في الفصل الخامس في الكلام على المنطقة

الواقعة بين بحيرة البرت ادورد وبحيرة البرت

مقيمٌ خلاله التي تقدم ذكرها إلا من جهة واحدة هي ان سمته هناك
تخالف كثيراً . ثم ان النهر في الخمسة والعشرين او الثلاثين كيلومتراً الاخيرة
من مسيره يسبح في منافع البردي الواسعة الارحاء التي تطبق ارض الوادي
ذهاباً من الطرف الجنوبي لبحيرة البرت . ويوشك السلوك في غامض تلك
المنافع ان يكون على الركب متعذراً . وما من خريطة من الخرائط المتداولة اليوم
بين الايدي يُستقصى بها مقدارها والمعلوم انها تهم اديماً مساحتها مئات من
الكيلومترات المربعة . ومفيض النهر في البحيرة كنيين محجوب عن الابصار
بغابة من عالي القصب^(١) حتى يتعذر بذلك الوقوف على موقعه وأما إتي النهر
فيندفع في البحيرة ويرسب طينه فيها ركاماً شيئاً فشيئاً قاذفاً بركامه الى الامام
ويكون من ذلك ركته الموجودة ولذلك كانت الرقارق تتكون بالتدريج طامحة
الى الجهة الشمالية فيثور فيها ثائر المنافع بينا ان الينس النابر عن سطح الماء الى
الجنوب عن تلك المنافع تمد بطولها في مهب الجنوب . واما سعة النهر عند
مرماه فيكون من خمسة وثلاثين الى اربعين كيلومتراً . ويحف به من الجهة
الغربية وهاد المهواة الكبرى التي ينساب في شعابها نهر امريزي حتى يُفضي
الى البحيرة . هذا واقليم وادي سملكي الادنى مفرط الحر رطب الهواء مستوي
بل جوي لا يوافق الابدان حتى في ايام الجفاف . وفي عامة السنة قياساً ترسل
السماء على البلاد سيلاً مدراراً مصحوباً ببروق ورعود ويكاد يكون ذلك كل
يوم على التوالي . ولما كانت هذه الظواهر الجوية يغلب حدوثها في الليالي او
الأصباح كان المسافر يندعر منها فتكون عليه في ذلك المكان شديدة الوطأة

(١) ليس من السيّارين المحدثين مثل جسي وميسن من تطلع نهر سملكي
ووقف عليه الهم إلا ان يكونوا قد مروا بجانب مفيضه في ركوبهم متن تلك البحيرة .
ولم تأت لامين باشا ايضاً ان يراه مرأى العين قال في رسالة له انه بلغه خبر نهر عظيم
يصب الى بحيرة البرت عند طرفه الجنوبي

ولا مشاحة ان في الانتقال من اقليم علالية طور و الى حضيض ذلك الوادي المستبحر ضنكاً على الابدان فالشمس محرقة الحرارة وليس في الارض ظل يؤوى اليه لانها عادمة الشجر الا بعض الفرابيون ونخيل البورسوس واما البعوض فبحر زاهر فيها^(١) ولا اخال السفر في وادي سملكي ابان السيل الا متعذراً لرداءة المناقع . فالعشب المستطيل غاص بالقلد وهو دويبة صغيرة كالقراد . وقد التقينا في طريقنا ببعض نفر من الاهلين فاذا بهم موهونون لا صحة في ابدانهم وقد حملت ذلك على قلة القوت^(٢) ويربض في اطواء المناقع بقرب مصب النهر اسراب الفيلة مجالاتها اخوار الوهاد الشرقية الى غابة بوديجا على ظهر العلالية . قال القائمقام ولد في مقالة له : « ولقد تأتى لي أن رأيت هناك قطراً من تلك المخلوقات مرّت ساعةً واستغرق مرورها ساعةً كاملة من الزمن^(٣) والوادي كثير العمارة بالقنص ولا سيما ظبي الماء^(٤) ومهر أغندا^(٥) . وطوائف غزال القنا قائم اللون اسمره^(٦) . ويوجد في تلك المناقع ايضاً بقر الماء^(٧) »

(١) قال العلامة واكر انه أوغل في هذه القطعة من الوادي في شهر ديسمبر من عام ١٩٠١ فشهد فيها الدويبة المعروفة عندهم بحشرة أنز نزي فان صح قوله لا غرو أن تكون هذه الدويبة من طائفة الحشرات التي اكتشف الباحثون انها تنقل لقاح داء الدوام الى اجسام الادميين فاني بلغني انه لم يحدث قط اصابة واحدة بين الدواب بهذا الداء في تلك الأنحاء

(٢) قوت هؤلاء العباد جله السمك وهم يلتقطون منه شيئاً كثيراً وارضهم هامة لا نبات فيها

(٣) انظر مقالة « نهر سملكي » كتبها القائمقام ولد في ديسمبر سنة ١٩٠١

(٤) واسمه باللاتينية كوبس دفسا

(٥) واسمه باللاتينية كوبس كومازي

(٦) لعله السرفيكبرا ريدنكا وزدي

(٧) يقال ان في هذا الوادي توجد البقر الكفرارية الاستوائية والبقر الكفراوية

الفصل السابع

في نيل فكتوريا

يخرج هذا النهر من بحيرة فكتوريا عند جنادل ريبون وفي اسفل تلك الجنادل يتخذ الوجهة الشمالية الغربية ويظل في سمتها مسيرة عدة كيلومترات ويكون مسيله بين قانات من الجروف الشجيرة يختلف ارتفاعها بين خمسين وسبعين متراً وسعة مجراه تختلف بين ثلاثمائة الى خمسمائة متر مرصعٌ أديمه بصخور نابتة فيه تنساب المياه منسلة من بينها تارة ومارة عليها طوراً محدثة في سيرها صففاً من الجنادل بعضها تحت بعض، ومتى صار من البحيرة على مسافة ستة كيلومترات يمر على صخرةٍ مزرسةٍ مثل ما في مخرجه فيتساقط ماؤه عنها في مهوى يعرف بجنادل أون ومن تلك النقطة الى بلدة كاجوجي على اربعة وستين كيلومتراً من جنادل ريبون يكون للنهر في تلك القطعة مسارع ومساقط متتابعة ويكون النهر تحت تلك البلدة ركوباً صالحاً للملاحة وسيلته مطمئنة منفرشة ينفسح ماؤها مستبحراً تدريجاً حتى يقع في بحيرة شوجا على مائة واثنى عشر كيلومتراً عن مخرجه^(١). وأما بحيرة شوجا فبطيخة مستطيلة مهشمة الشكل يبلغ ارتفاعها عن سطح البحر الملح بقدر ألف ومائة وستة امتار وهي منتشرة شرقاً بغرب ولها ذراعان ينبسط احدهما في سمت الشمال الغربي والآخر في سمت الجنوب الشرقي وهي واقعة بين الدرجة الاولى والثانية من العرض الشمالي وهاجرتي ١٥° ٣٢' و ٣٠° ٣٣' شرقي جرينج وينصب إليها من طرفها الجنوبي الشرقي نهر جوجونيو وعلى سمت

النانوسية وهي لا توجد الا في ضفاف السملكي الغربية

(١) قد اقتطفنا صفة بحيرة شوجا معظمه من كتاب للرحالة كركيترك المنشور

في الجريدة الجغرافية سنة ١٨٩٩

الجنوب الى الغرب عن بحر فكتوريا هناك يتصل بها بطيحة أخرى يقال لها بطيحة سنسيوي متقاربة الجنين وهي غدير مستنقع من نهر سنسيوي يكون طولها زهاء ثمانين كيلومتراً وماؤها منجلب من الجداول والصبابات الناشئة في جنوب بحيرة فكتوريا على تسعة كيلومترات منها . والبحيرة اقصى البقائع الضحلة المسطورة على كثرة في تلك الانحاء الغامرة للجزء الشمالي من قسم بوزوجا ممتدة من حوالي أمرولي الى بنات جبل الجون^(١) مساحتها تجوز درجة واحدة مربعة يتصل بها في طرفيها الشرقي والشمالي بطيحة أخرى مستطيلة متقاربة الضفتين^(٢) وعامة البطائح في تلك المنطقة بها ما جل ومناقع وآجام وسواحلها في مواضع كثيرة منها لا يتناولها البصر لكثافة البردي والعنبج والقصب الثائرة في جوفها الى حد أنها تجعل الوصول اليها آية في الصعوبة . والبقائع المتقدم ذكرها تذهب على التقريب بين الشرق والغرب على مدى مائتي كيلومتر وينجلب اليها مياه الصَّبِّ المتحدرة من الجانب الشمالي الغربي لجبل الجون وكذا مياه الإتي المنسكبة من صغار الآكام المحيطة بضمير بحيرة فكتوريا الشمالي . أما مياه بطيحة شوجا فغالبا رقارق قريبة القاع ربما اختلفت عماقها بين اربعة وستة امتار والبطيحة من الجهة الشرقية تمد بطولها في منافع متوالية ولكنها من جهتي الشمال والجنوب تكون أجمة ملتفة الشجر عماده الفربيون^(٣) ويغشى وجهها طوائف من نبات البردي كأنها فيها جزر وكذا رقارقها وجوتها غاصة بالهندقوق وقصب الماء . والبلاد الى الجنوب مستفيضة بالعمارة وفي السهول الحافة بها كثير من الآكام المنفردة أشرفها

(١) ان اقطار هذه البحيرة لم يسبرها الرواد بعد حق السبر والخريطة مرسومة فيها بطيحة أخرى معروفة ببطيحة سالسبورري تقع الى الشرق لم ترَ مرأى العين الا من جبل الجون وذلك على مدى قصي متباعد

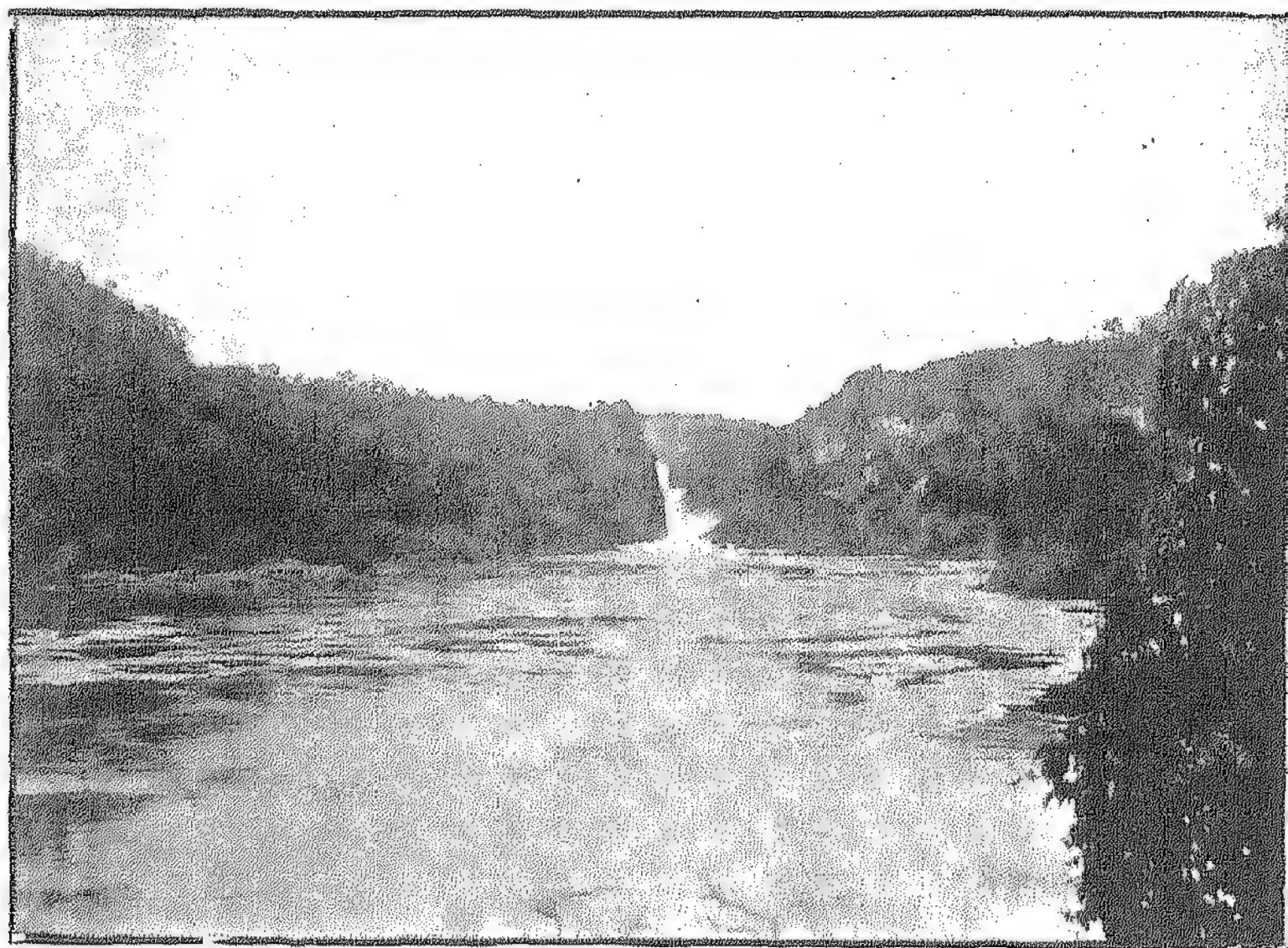
(٢) قاله الرحالة كركترك

(٣) " " "

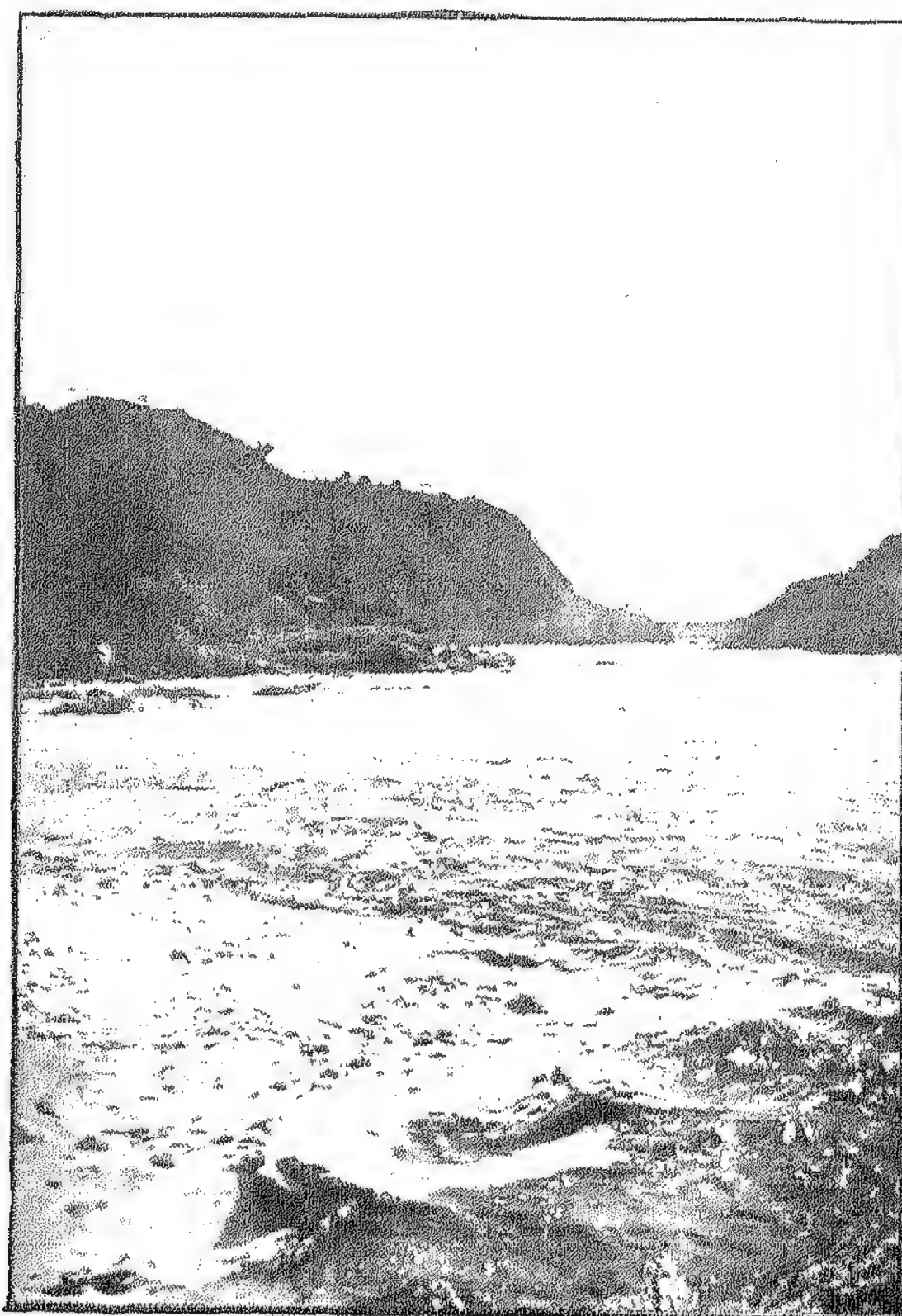
حجماً آكة أوجيرا وهي عن الماء بقدر خمسمائة متر في الارتفاع^(١) وأطول طول البطيحة مائة وستة وثلاثون كيلومتراً وأوسع سعتها بين جنبتيها ستة عشر كيلومتراً. هذا وبحر فكتوريا يمرُّ بالجانب الغربي لتلك البحيرة فيحفرُ بضفيها مسافة مقدارها ثمانون كيلومتراً ومجرأه هناك بين ظاهر وعند ملتحمه بالبحيرة ينفسح منبطحاً فيكون هناك غديراً واسعاً ثم يستدير بحضيض روابي بيحي وارتفاعها مائة متر فتكون هي شاطئه الشرقي وعند منفذه تقترن بطيحة كوانيا ببطيحة شوجا شمالي روابي ماهوري^(٢) وارتفاعها عن البحيرة بقدر ألف ومائة وسبعين متراً ويكون من هذا الغدير بسيط من الماء عظيم تتصعد عنه البحرة وله بلامراء شأن أكبر في موازنة المياه ببحر فكتوريا. هذا ولا مشاحة في أن هذا البحر تجلب إليه في مسيره مياه كثيرة إلى الغاية من الشرق والجنوب على أنه في حيز الاحتمال (كما سنبينه فيما بعد) ألا يكون في مستدر البحر الراعي إلى البحيرة أثناء الجفاف والقيظ زيادة تذكر ولو أنه يتزايد بالمياه المنصبية من الجداول والأنهار الهابطة إليه شمالي بحيرة شوجا وعلى ذلك يكون ما يزيد في بحر فكتوريا بمياه الممدات كفاء ما تنجر من هذه البطائح الضحلة الواسعة الأطراف وربما كانت مياه البحر عند مخرجه من بحيرة شوجا أقل من المياه الصابة في تلك البحيرة. وبارح النيل البحيرة في نقطة تبعد عن شلالات رييون بقدر مائة واثنين وتسعين كيلومتراً شمالاً وهناك ينحرف ويسير إلى الغرب تواء مسافة اثنين وعشرين كيلومتراً حتى ناحية أمرولي حيث العرض الشمالي ١° و ٣٩' فيكون متوسط سعته هناك بين ثمانمائة وتسعمائة متر وجرف ضفته الغربية في تلك النقطة منخفض حاشيته موشومة بالبردي وأما جرف ضفته الشرقية فترفع تجلله حرجة فيحاء^(٣). وفي مجراه كثير من السدود (المساكات) والناحية

(١) و (٢) قاله الرحالة كركترك

(٣) انظر كتاب « اوغندا والسودان المصري للقس » ولسن سنة ١٨٨٢



شلالات مَزْكِيْن في بحر فكتوريا من امامه (رسم شمسي للستر بَشْر)



بحر فكتوريا من خلفه من شلالات مَزْكِيْن عند فاجا و (عن رسم شمسي للستر بَشْر)

المذكورة مُستَوْبلة جَوِيَّة هَوَاوُها غير موافق وموقع حصن غُرْدن القديم على الضفير الايمن لنهر كافو ظاهر للعيان وهذا النهر يلتقي بالنيل عند تلك النقطة^(١) آتياً من الغرب وهو أهم الانهار الصابة في نيل فكتوريا منبعه عند أنيورو من علالية فيها قلعاً لُوغُرْد وأجرت حيث الطول درجة واحدة والفاصل بين الفرع الذي يسير شرقاً ويصب في النيل والفرع الذي يمر غرباً ويصب في بحيرة البرت متقارب السمة جداً فمخرج نهر موريزي يكون على بعض الكيلومترات عن مخرج نهر كافو . ومسافة طول هذا النهر مائة وعشرون كيلومتراً من مخرجه يذهب في سمت الشمال الغربي ومن ثم تصير وجهته شرقية محضة فيمر على هذا المنوال حتى يقترن بالنيل عند أمرولي . ومن مخرجه يسير بانحدار قليل في سهل بسيط ويهيم في مستنقع هناك وسعته تختلف اذ ذاك من بين خمسين الى ستين متراً^(٢) وفي نقطة تقاطعه بالطريق الواصل هويما بعنتي لا يتجاوز عرضة على ما تبينه المستر كريج في شهر مارس من سنة ١٩٠٣ عشرة امتار وقبيل يقترن بالنيل تكاد مياهه تكون راکدة في ايام الخفاف والقيظ ولكنها في ايام الامطار تطفح وتسيل سيلاً جارفاً فيتعذر حينئذ اجتيازه من ضفة الى اخرى . ولهذا النهر ثلاثة مستوردات من الجهة الجنوبية وهي نهر دوينجي ونهر لوجوجو ونهر معنجه وهذا النهر يخرج من نقطة واقعة الى الشمال عن كمبالا وكلها يجري في وجهة شمالية غربية^(٣) والى ما بعد مرولي ينعطف بحر فكتوريا الى الشمال انعطافاً يكون على زاوية حادة وبعد مسيره ثمانية وثمانين كيلومتراً عن ذلك البلد (اي على مسافة

(١) راجع مذكرة الاستاذ فندلور المطبوعة في المجلة الجغرافية في ابريل

سنة ١٨٩٧

(٢) قال بيكر في كتابه المعروف « بالبرنت نياز » بصعوبة اجتياز ذلك المستنقع

(٣) راجع كتاب فندلور

ثلاثمائة وkilometers من شلالات ريبون) يبلغ محلة فويرا وارتفاعها يُقدَّر
بالف وستين متراً عن سطح البحر الملح . واما ضفيره اي ساحله فيما بين
مرولي والمحلة المذكورة فمنحط كثير المناقع والادغال على الجانبين ولكن
الايمن منهما اعلى من الايسر وهو موثى بالاشجار^(١) . ويلتقي بالبحر
المذكور بين هذين المكانين نهر تيتي منصبا اليه من المغرب وذلك على
مقربة من مرولي وهو في ايام الفيض غمر لا يُعبر وقد يكون في بعض
الاحيان ناشفا لان مسيله صحراء رملية وهو يخرج من آكام كيزوجا على
ارتفاع الف وثلاثمائة متر عن سطح البحر الملح ما بين مازندي وماشودي .
أقول وقد كانت فويره في ما سبق محلة ذات اهمية ولكنها اليوم صارت
قرية كبيرة واقعة على مرتفع غليظ من الارض الى الجانب الغربي للنيل .
وعرض النيل هناك خمسمائة متر وماؤه سريع الجرية^(٢) . ويتصل به بازاء
فويره نهر لنجا آتيا من الشرق^(٣) ويلتقي به ايضا نهر دُرْخو على مسافة
خمسة عشر كيلومترا شمالا قاصدا له من الجهة الشرقية ايضا^(٤) . وليس لاي
منهما اهمية الا في ابان فيضهما . وفيما وراء فويره على مسافة قليلة تبطل
الملاحة فلا تستطيع لان مياه النيل تنساب مندفعة في شلالات كاروما وذلك
في نقطة تكون عن بحيرة فكتوريا على نحو ثلاثمائة وواحد وعشرين كيلومترا .
قال الراحالة السر صموئيل بيكر^(٥) ان الشلالات المذكورة طفيفة لا يُعتد بها
فهي تنزلق عن حرف من الصخر يعترض النهر من الضفة الواحدة الى

(١) راجع كتاب فندلور

(٢) قال العلامة فلكن في كتابه المعروف « بأغندا والسودان المصري »

ان سعة النيل هناك ثمانمائة وخمسون مترا

(٣) يقول فندلور ان العلامة فلكن يسمي النهر بنهر كوبولي

(٤) راجع كتاب فندلور

(٥) طالع كتاب « البرت نياز » لراحالة بيكر

الآخري ويكون مسقطه عنها بقدر متر واحد وخمسة عشر سنتيمتراً فقط والحرف المذكور واقع في ما وراء النقطة التي ينحرف النيل عندها من الشمال الى الغرب ويلازم تلك الوجهة من عند الشلالات حتى يندغم في بحيرة البرت وتكون سعته عند انحرافه مائة وخمسين متراً ومسيله بين هضبات هاوية يبلغ ارتفاعها خمسين متراً^(١). ومن ثم يسير وعلى جانبيه روابٍ مستوعرة كما في مبتدا مجراه في نسيق من الجنادل والمسايط والشلالات وبعد مسيره ثمانية واربعين كيلومتراً من جنادل كاروما يحتضن جزيرة باتوان وهي جزيرة لها طول قدره ثمانمائة متر وسعة قدرها مائة وخمسون وسعة النهر هناك تكون من بين مائة وثمانين الى مائتي متر وفيه ما لا يحصى من الشعاب والصخور والجزر^(٢). قال السريكر ان الشلال فيما بين تلك النقطة وكاروما يبلغ طوله اربعة وعشرين متراً والمضايق الى ما وراء جزيرة باتوان المذكورة تزداد حزونة ووعورة والبر على كلا الجانبين مكسوٌ حرجاتٍ ويزداد الانحدار والمسيل يتضايق حتى يبلغ نقطة تبعد عن مخرجه في بحيرة فكتوريا بقدر ثلاثمائة وسبعين كيلومتراً وهناك ينثني اثناءً حاداً الى الشمال الغربي فيسير الى الغرب ايضاً وتتم مياهه مندفعةً من فوق صخور الشلال المعروف في رواية السريكر بشلال مَرِكِيصُن^(٣) وعرض النهر فوق الشلال توّاً سبعون متراً فقط ولكنه يتناقص تدريجاً حتى يبلغ المسقط الحقيقي فتجتاز المياه هناك في مسيل ضيقٍ لا يكاد يبلغ عرضه ستة امتار وللمياه هناك ثلاثة مسايط متدرجة. المسقط الاول ثلاثة امتار والثاني متر واحد وسبعون سنتيمتراً وهناك مخرج المياه من ذلك المسيل وهي من ثم تنسكب في مهوى الوادي في انحدار

(١) طالع كتاب « البرت نيانزا » لرحالة بيكر

(٢) قاله الرحالة بيكر في كتابه المذكور

(٣) « » « » « » « » « »

يقرب أن يكون أربعين متراً^(١) . ومن الرسوم الملحقة بهذا الكتاب يتبين أن هذه المساقط إذا نظر إليها مواجهة لا يُستدرك بها أمرٌ ما عدا ما يستوقف الابصار من شدة اندفاع مياهها فأينما كنت منها على مقربةٍ لا تقف تمام الوقوف على ما لهويها من الاثر في النفس . وأصح ما قيل في صفة هذه المساقط ورد في كتاب للمستر ستيورت بلتن نشرته إحدى المجلات العلمية^(٢) وفيه ذكر ما للماء هناك من الدوي المتواتر وبين كيفية حصول ذلك بالحاجز المعترض في قاع المسيل في أسفل النقطة التي ينتهي عندها المساء الواصل بين المسقط الثاني والمسقط الثالث قال المستر بلتن فيصادم الماء ذلك الحاجز فيرتد متراجماً وله فورة هائلة مزبدة فيحتقن الماء الذي فوقه وهو بين قائماتٍ من الصخر فيندفع بحكم الطبيعة الى أن يتخذ منفذاً لاستفراغه فيندفق على المسقط الذي تحته ويتبعه على الاثر الماء الفائز المزبد الذي يكون الحاجز قد صدّه على ما تقدم . وإذا استشرفته من قبلٍ كان لك منه بحرٌ من الماء عجّاج يترامى ماؤه عن شفير شاهق الى حضيض الغدير ويتلوه على الفور هولٌ من الامواج القاصفة بين كل موجةٍ وأختها فترة من السكون . وقد قيس المضيق الذي تندفع فيه مياه النيل قبيل مسقطه الاخير فلم تكن سعته سوى خمسة امتار وخمسة واربعين سنتيمتراً . هذا وفي ذروة المسقط من علٍ عالية حجرية قد تآكلت ارضها فكانت فيها صدوع وخروق غائرة يظهر من حلقها ان مياه النهر كانت مرة تمر من فوقها . وقائمات الصخر هناك يبلغ ارتفاعها نحواً من سبعين متراً وهي مستفيضة خضرة نضرة مبتلّة ابدًا برشاش ينتشر في السماء فيحدث به قوس قزح . ويقول المستر بلتن ايضاً ان مادة هذه المساقط من الطلق البركاني

(١) قاله الرحالة بيكر في كتابه المعروف بالبرت . نينزا . واعلم ان المسقط الثالث

ليس بمودي الى التمام

(٢) انظر مجلة تنشر (الكائنات)

والطلق الأبيض وحجر الصفائح والصوان^(١)

هذا وإلى ما وراء جنادل مركي صن هناك بلدة فاجا وفي تلك النقطة معدية كانت القوافل السائرة من أغندا تعبر النيل بها . ولما كان فيه هناك دردور مزدوج كان في ازدواجه مصلحة للبحارين في اجتيازه بقواربهم إلى الجانب الآخر تواءا بغير التواء أو تعريج . وسعته هناك لا تجاوز ثمانين متراً^(٢) . ولا ريب في أن العبور من تلك النقطة يكون محفوظاً ببعض الخطر لوجود التماسح على كثرة في نواحيها وهو مخلوقات تراها مرأى العين جماعات روابض على الصخور تحت المساقط . وإذا صار المسافر عن بلدة فاجا على عدة كيلومترات كان النهر ينحطف مستديراً محفوظاً . من كلا جانبيه بجروف رفيعة مستفيضة شجراً ويبلغ ارتفاع تلك الجروف من بين مائه سبعين إلى ثمانين متراً ومسيله كثير التلافيف وربما حدثت في المنعرجات بسائط من الأرض . وفي عامته يكون جانبه الأيمن أي الشمالي أعلى من الجانب الأيسر ويجراه مخلص لا حائل يصد جريته وتختلف سعته بين ثلاثة وأربعة أمتار ومعدل متوسطات سرعته يجاوز ثمانين سنتيمتراً في الثانية^(٣) وأسفل عن تلك البلدة بمسيرة تسعة عشر كيلومتراً قيس تصرف النهر في العشرين من شهر مارس سنة ١٩٠٣ فكانت سعة مجراه هناك مائتين وتسعة وثمانين متراً وغوره يتزايد بين مترين وأربعة أمتار ومتوسط السرعة تختلف من بين خمسمائة وثلاثة عشر إلى ثمانمائة وخمسة وستين مليمتراً في الثانية ومنطاقة يكون خمسمائة وسبعة وسبعين متراً مربعاً في الثانية فهو يزيد على تصرفه عند جنادل ريبون

(١) انظر مجلة « نيتشر » (الكائنات)

(٢) » » » » ١٩ يونيو سنة ١٩٠٢

(٣) وهي تتناقص كلما تدانى النهر من خور مصبه

قبل ذلك بشهرين بقدر تسعة وعشرين متراً مربعاً^(١) وفي النقطة التي استخرج تصرفه عندها يكون جانب الأيمن أي الشمالي عمودياً ارتفاعه عن سطح الماء بقدر سبعين سنتيمتراً وأما الجانب الأيسر فيميل بالتدريج ويقوم فيه نبات البردي في مستطيل تختلف سعته بين مائة ومائتي متر وعلى الأشجار هناك آثار تدل على أن معظم مدته في تلك النقطة لم يتجاوز في عدة سنين متوالية متراً واحداً عن منسوب شهر مارس سنة ١٩٠٣. إذاً يكون مساحة قطاع الفيض قرابة ألف ومائتي متر مربع فإذا اتخذنا لذلك السرعة المتوسطة وقدرها سبعون سنتيمتراً في الثانية كان التصرف ثمانمائة وأربعين متراً مكعباً في الثانية ولا خفاء أن سرعة الماء في أيام الفيض اعظم منها كثيراً في أيام الجفاف وربما بلغ تصرف النيل ألف متر مكعب بتمامها في الثانية^(٢). هذا والنهر إلى ما وراء هذه البقعة قلما يوجد منحاشاً تمام الانحياش في مسيل واحد فانه ينشعب منه ترع تسيل ذات اليمين وذات اليسار محدثة بذلك جزيرات وعند تداني النهر من مرماه وتقاربه من دلتائه (رؤيته) تترامى تلك الترع إلى بحيرة البرت تواء ويكون مذهبها هناك منحرفاً يسيراً في سمت الشمال الغربي عامة وإذا بارحت بلدة فاجاو نزولاً وصرت منها على خمسة وعشرين كيلومتراً ترى جروفه قد انحطت كثيراً ومستطيل الآجام قد انفسح مستعرضاً على كلا جانبيه وفي عامة تلك المسافة لا شيء أجمل من مجراه فهو يحترق غياضاً

- (١) بلغ هذا المنطلق في الثاني والعشرين من يناير سنة ١٩٠٣ خمسمائة وثمانية وأربعين متراً مربعاً في الثانية وهذا سبب في فصل منطلق النهر
- (٢) قد استخرج المستر كريج (مهندس في إدارة عموم المساحة) من هذا التصرف جدولاً من المنطلقات (انظر الملحق الرابع من هذا الكتاب) وجعل جوم مياه النهر أيام المد متراً واحداً فكانت المنطلقات ألفاً وخمسة أمتار مكعبة في الثانية وهي أزيد من معظم المنطلق عند جنادل ريبون بثلاثمائة وخمسة وخمسين متراً مكعباً في الثانية

معجبةً بهيجة المرأى يزيد لها تلوين الاوراق والوان الماء جمالاً على جمال .
وجرفه الايسر مشحون بملتف الشجر يبلغ ارتفاعه سبعة امتار وعليه عمارة
كثيرة من الاكواخ . وبعض الزوارق السابحة في اقطار ضفافه ينزع اناسي
تلك الجهات الى اقلعها عن الابصار كلما رأوا مركباً غريباً مقبلاً عليهم .
اما جرفه الايمن فأحط ويكون صعيد الارض عن النهر على كيلومتر
او كيلومتر ونصف وعلى جروف تلك الآكام يزكو شجر الموز شاباً في
تضاعيف نبات العنبج والبردي^(١) ومتوسط سعة النهر هناك زهاء مائة
وثمانين متراً لكن يتفجر من كلا جنبيه فيوض ومسائل كثيرة واما ابعاد
الغور فيختلف بين ثلاثة واربعة امتار وعلى مسافة منه في وجهة الشمال علوية
مرداء تذهب من سفح العقبة الشرقية الى سواحل بحيرة البرت وهي تتحدّر
بميل من الروابي الى ان تفضي الى البحيرة واديمها عشب على كثرة واذا
اتيت على ثلاثة كيلومترات من تلك البحيرة يكون هناك ارتفاعها عن سطح
الماء سبعين متراً ومتى صرت الى ارض هي عن بلدة فاجاو بقدر ثلاثين
كيلومتراً فانت في بدء رقارق النهر ولما يتجاوز غوره هناك متراً ونصفاً او
متراً وخمسة وسبعين سنتيمتراً وفي مجراه مساكن اى سدود حجة قائمة في
جوفه كالجزر وهي تحوش ماءه فيطغي على جانبيه محدثاً في براحمها بطائح
وآجام واسعة الاقطار وصعيد الارض يتباعد ذات اليمين وذات اليسار^(٢) .
وهناك قلما يتجاوز ارتفاع جرف النهر عن الماء متراً وربعاً وهو غاص بمشتبك

(١) ان عنبج نيل فكتوريا هو اضعف واكثف ما في عامة نهر النيل من
هذا الشجر فبعض ارومه اى اجذاعه يبلغ قطره ثلاثين سنتيمتراً وعلو الشجرة
الواحدة منها من ثمانية الى عشرة امتار

(٢) والى ما وراء ذلك يصير الى خمسة امتار لكن ذلك غير قياسي فهو محلي
فقط لا يلبث ان يعود فينقص الى مترين ونصف متر

النبات المتعرش شبهته ببساط من المخمل الازرق الصافي ومن هذا النبات
زهرة الارجوان رائقة الجمال . ثم ان هذه الجزر وتلك الفيوض والمسائل
تتكاثر متزايدة . ومن غريب ما رأيناه هناك مصائد السمك وهي عجيبه الشكل
يلقون بها في مأخذ المسائل المذكورة وصفتها سلال من خوص مستديرة
مقببة سائبة القمر سعة الواحدة منها متران وطولها يختلف بين مترين وربع
ومتري ونصف ويكون موقفها في المأخذ على شكل نصف دائرة موجهة أقصرها
الى الخلف والصيادون يسوقون السمك اليها فيترقون به . هذا وفي اجواف
النهر هناك ما لا يحصىه عد من فرس الماء . واذا صرت من البحيرة على
اربعمائة كيلومتر هناك يكون للنهر دلتا أي ركة وهو يخرق مجمعا من
المساكن يملوها نبات البردي والقصب وله هناك شعب متعددة ترمي الى
البحيرة من كلا طرفيها والى يسارك نجد الارض بينها وبين النهر مسيرة نحو
كيلومتريين والى يمينك منافع تمت بطولها الى امد بعيد وكلما تقارب النهر من
البحيرة قلت جريته حتى انك تراه في مسافة منه قبل مرماه الى البحيرة كأن
لا جرية له ولا تحسب مائه الا راكداً مستقراً في حين ان مجراه لحد الحاجز
قويم على مخرت واحد ليس فيه الا تعاريج هيئة . هذا ومتى صار عن بحيرة
البرت على كيلومتر واحد يسارع غوره الى التناقص وتري في البحيرة منه
حجاباً مستعرضاً داخلاً فيها . ومن المستصعبات ان يرى المرء الى اجتياز
ذلك الحجاز سبيلاً . ففي اكثر المواضع لا يكاد يكون غاطسه اي غوره ثلاثين
سنتيمتراً وما بلغ ستين سنتيمتراً الا في موضع واحد فقط . واصعب من ذلك
استجلاء مخرجه والاستدلال عليه وانت راكب متن البحيرة فجل ما يترأى
لعينيك ان هو الا مجار لا حصر لها ولا عد تحلب من تضاعيف نبات
القصب فان لم تستعن بمشرد يتمذر عليك ان تصيب مجرى يتيسر لك الدخول
منه في النهر . ويكون مسافة ما بين مخرجه من ضفة بحيرة فكتوريا ومصبه

في بحيرة البرت اربعمائة وثمانية كيلومترات اما رُكته فاشبه بمروحة تكون
سمتها عند رأسه زهاء سبعة كيلومترات وكله غاص بسامق العنبيج ومتشابك
البردي ويكون الرُقارق في البحيرة ممتدًا في مدى عدة كيلومترات ويعرف
هذا الموضع بماجنجو تسمية له باسم المحلة القديمة والحصن اللذين كانا على
الجانب الايسر للنهر عند تفرّيعه في البحيرة وقد حفّتها المياه في زمن بعيد
المهد فانت عليهما . واذا تطلعت الى النهر في بعض المسافة منه في إدبارته
قُبيل ان يصب الى البحيرة قامت في الخاطر منك مشاهد عجيبة ولا سيما حين
مغيب الشمس . ثم تحوّل الى الغرب الى ما وراء بحيرة البرت ترّ في اديم
السما جبالاً متشاخته يتسامى بعضها فوق بعض تكون بمراى العين قنّاناً
متناسقة غريبة المنظر مختلطة الهيئات والاشكال . ثم اعدن الى الشمال تستجل
مرتفعاتٍ من الارض نجاداً قصيها يتداخل ظليله بغمام العشي البنفسجي .
والآكام في اثناء توارى الشمس يبعث ادناها الى العين بلون ارجواني
مُشبع في حين ان عليها تختال عجباً بورديتها . ناهيك ما ينعكس عن
نسيج الماء من زواهر الوان الجو . ويحيط بمستوسع النهر على حفافيه
ساف من البردي ذي الحواشي زيتونية الطيف . والى ما وراء هذا وذاك
تنسطح البحيرة بجلالها وفي الماء منها ظلال الجبال القصوى . واذا صارت
الشمس الى الاحتجاب في اطواء الجبال ترى سماء الغرب يبدل لونها
الوردي بما يشبه اللهب وبجانبه الآكام حليتها زرقاء ولا زرقة النيلة الا ان
في هذا التباين والتباعد في الالوان العجب العجيب



الفصل الثامن

في بحيرة البرت (١)

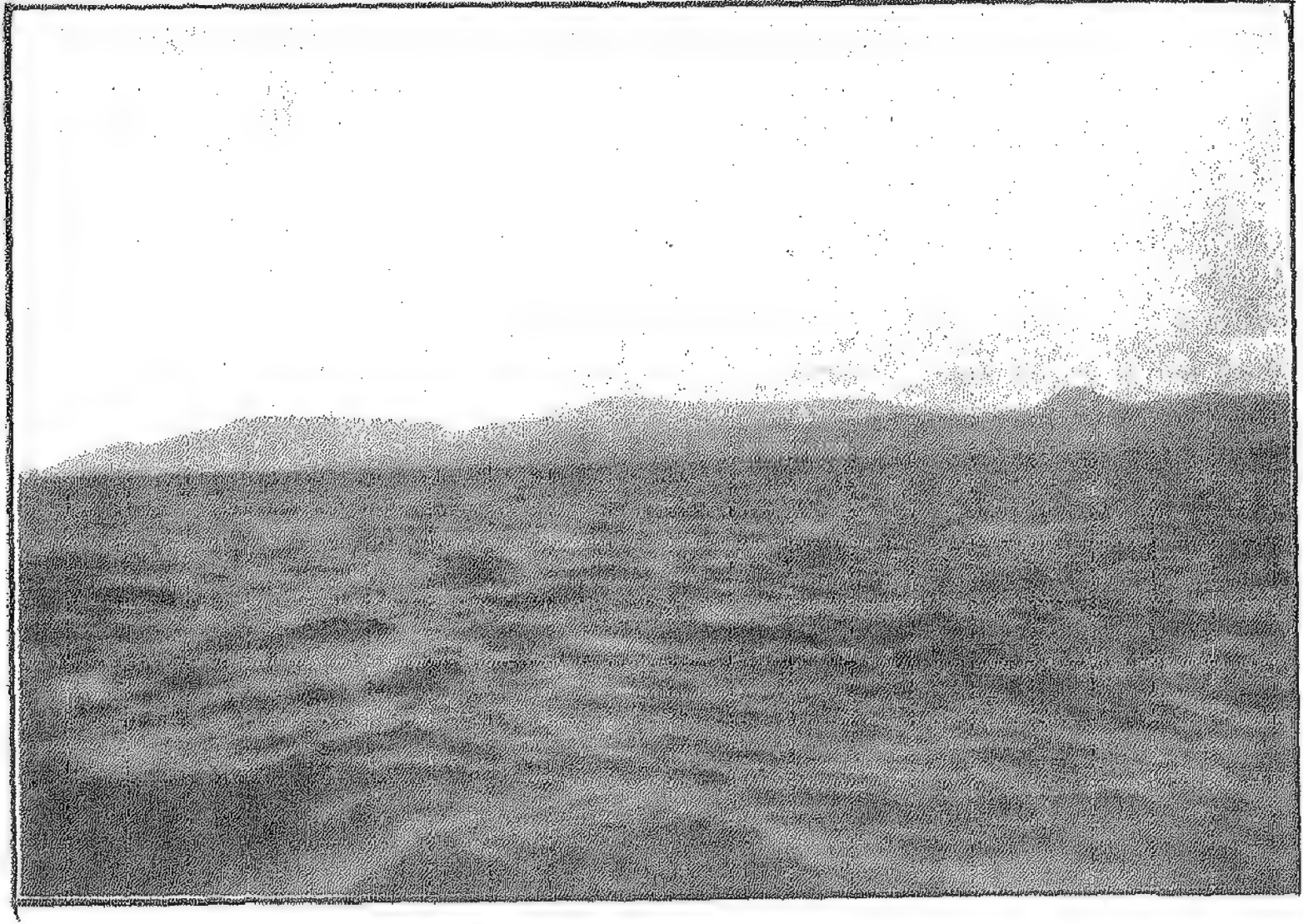
اكتشف هذه البحيرة الرحالة السر صمويل باكر في سنة ١٨٦٤ وهي تقع بين درجة وتسع دقائق ودرجتين وسبع عشرة دقيقة من العرض الشمالي وتندرج فيما بين ثلاثين درجة وخمس وثلاثين دقيقة وإحدى وثلاثين درجة وثلاثين دقيقة من خطوط الطول شرقي جرينج^(٢). شكلها يقرب ان يكون هليلجياً طرفها الشمالي اكثر استدياقاً من طرفها الجنوبي. عامة ضجعتها شمالية بانحراف الى الشرق. صفتها تختلف اختلافاً كلياً عن صفة بحيرتي البرت ادورد وفكتوريا مستطيلة قليلة الفساحة يحيط بها في كلا جنبيها من الشرق والغرب هضبات شاهقة تكاد تحف بصفافها. اما اقصى طولها فنحو مائة وستين كيلومتراً وسعتها بين الضفتين تختلف بين ثلاثين وخمسة واربعين كيلومتراً^(٣). وقد تطلّعها عقيب اكتشافها كثير من الرواد^(٤) وركب ظهرها جسي باشا وميسن بك وطافا بها مستديرين ووضعوا في اوضاعها وابعادها رسوماً نظرية أولية غير انها لم يوضع لها الى الآن خريطة مساحة أصولية. ويقع في طرفها الجنوبي منافع واسعة الاقطار. والى الشمال ترى الجبال المتاخمة وقد تجافت متناحية عن البحيرة من كلا شفتيها أمداً يذكر. وما خلا هذا

(١) وتعرف عند اناسي ذلك الاقليم ببحيرة موتنزيجي اولونزيجي ومعناه ميت الجراد

(٢) أخذ العرض والطول عن احدث الخرائط عهداً

(٣) رواية الرحالة دو مرنان ان طولها مئتا كيلومتر وعرضها خمسون ولكن الاستقصاءات التي عقيبت روايته يؤخذ منها ان تقديره يتجاوز حد الصحيح فانه قد اتضح ان عرضها قبالة كبير وخمسة واربعون كيلومتراً فقط وهو معظم سعتها

(٤) اشهر هؤلاء جسي وامين واستمن وأستلي وحيفسن وفلكن وجروجن



ضِفَّة بحيرة البرت الغربية



ضِفَّة بحيرة البرت الشرقية

التجاني فان ساحلها متضايق حتى لقد يلاحف مأوها في مواقع منه اسافل تلك الهضاب . هذا وعماد ما يرمي الى هذه البحيرة من الانهار انما هو نهر سملكي فهو ينقذ الىها من طرفها الجنوبي حاملاً اليها ما فاض من بحيرة البرت ادورد وما يتحلب اليه من سيول جبال الرونزوري وما يتلقاه من مياه كثير من الآكام الشرقية الكبرى التي تكون في تلك الانحاء حداً لمقاطعة الكنفو الحرة . ذلك فضلاً عما يفيض اليها من العيون الجارية من المغرب والمشرق^(١) . وعامة هذه المسایل تجري في عقبات وعرة محدثة في سيرها شلالات تارة ومساقط طوراً يكون بعضها عظيم الهوي كبير المقدار . ويدخل البحيرة من طرفها الشمالي نيل فكتوريا والعرض الشمالي هناك درجتان وسبع عشرة دقيقة . هذا والمتعارف عندهم أن منتهى البحيرة هو مبتدأ بحر الجبل لكن الصحيح ان البحيرة تذهب بطولها شمالاً امداداً بعيداً وتتضايق حتى تصير مجرى من الماء ينفجر منها ويطلق عليه اسم بحر الجبل وهو المخرج الفرد لهذه البحيرة . اما مضاجع السيل المفضي اليها (ومنها وادي نهر سملكي) فتبلغ مساحتها زهاء اثنين وثلاثين كيلومتراً مربعاً وارتفاع البحيرة عن سطح البحر المالح بمقدار بستمئة وثمانين متراً^(٢) وعماقتها في اواسطها لم يسبق سبرها^(٣) لكنه من شاطئها على الجانبين الى مدى بعيد

(١) المسایل الشرقية تنصرف اليها مياه عالية أنيورو الرفيعة الواقعة بين نيل فكتوريا وبحيرة البرت ويكون لبعضها (مثل أمزيزي وأنجوسي) أهمية كبرى . واما مطارح السيل على الجهة الغربية فقليلة السعة الى الغاية ومنحدرها مزاحم للبحيرة . ولما كان صلب الجبال الفواصل حاداً حتى لقد تشبه أسمتها بحمد السكين كان لا بد من ان تكون مياه هذه المسایل قريبة الجرية وهي في الواقع سيول لا نهيرات جارية مستديمة السيلة

(٢) وعلى ذلك اكثر الباحثين

(٣) ما ذلك الا لخشونة ظهر البحيرة وشدة العواصف فالريح تثور فيها بغتة على

في يَمها قلما يتجاوز عشرة او اثني عشر كيلومتراً^(١) قاعها طبقة غليظة رَخفة الطينة لزجتها اجتريتها مياه نهر سملكي وممدات الجداول التي تقع فيه على كلا جنبيه . وقد تكونت في البحيرة عند مصب نيل فكتوريا فيها دلتا اي ركة كبرى تمتد في جوفها الى مدى بعيد . اما اقطار الطرف الجنوبي للبحيرة فمنافع فيها منابت البردي والعنبج يبلغ مسطح اقطارها مئين من الكيلومترات المربعة ومصب نهر سملكي كنين متوارٍ بكايته عن الابصار تحجبه اجمة عشبية هو يحترقها والغور عند الشاطئ قريب قد لا يجوز متراً واحداً وربما كان في العموم اقل من ذلك بكثير . وفي ضفاف الشط الغربي تصادف بعض الجزيرات وان شئت قلت ضحاضح او رقارق من البحيرة قد ارتفع قاعها على ممر الايام حتى نشز منه ، وما زالت على ذلك حتى اتصلت شيئاً فشيئاً بالبر^(٢) . وماء البحيرة في بعض المسافة عن ضفافها عامته نقي صافي لكنه زعاق أجاج كريبه المذاق وأما في اواسطها فهو عذب زلال وتربة المرتفعات القربى يداخلها شيء كثير من الأملاح وفي كيبرو^(٣) على الضفير الشرقي ملاحات واسعة يرتفع منها شيء كثير من الملح يستعمل به بالتاجر . وفيه ايضاً عيون كبريتية حارة وكذا في الساحل الغربي . اما لون مائها فأخضر قاتم وهو في نصفها الجنوبي صافي ولاصفاء البلور ونصفها الشمالي لا سيما ما كان منه الى الضفة الشرقية يعلوه غشاء ثخين القوام أخضر اللون وهو الطحلب المائي . فاذا كان الماء راكداً

غير انتظار حتى يخشى على المراكب من شرها اذا هي حاولت العبور من ضفتها الشرقية الى الغربية ولذلك قلما ترى الملاحين يوغلون فيها متباعدين عن شاطئها وبأنفسهم يجازفون (١) اقصى الاسبار المعروفة عن ساحلها الغربي قد نقلت عن امين باشا وهي ستة عشر او سبعة عشر متراً

(٢) اطلع الرحالة جسي جزيرات في جانب البحيرة الشرقي وما لبثت هذه الجزيرات أن اتصلت بالبر فأصبحت اليوم جزءاً من قادمة الساحل (٣) عرضها الشمالي درجة واحدة واربعون دقيقة

ساكنًا فيكون منظر سطح الغشاء كالمرمر المخطط منظر غريب مدهش^(١)
هذا ومشاهد البحيرة في مواقع منها طُرْفَةٌ في البهاء والجمال . فالجبال
الغربية^(٢) شكلها مختلط غير نظيم ولها قناتٌ محددة الرؤوس ميولها وعرة
ذات اخوار أخاديد عميقة ويرى الرائد في تلك الانحاء ثلاثة سطور من آكام
مرصوفة متراكمة بعضها وراء بعض وفناء الارض في مقدمتها مكسوٌّ بمشتبك
الشجر واذا تحولت الى الجهة الشرقية ترى الهضاب تتصاعد تصاعداً حاداً
بعض مئين من الامتار عن سطح البحيرة حتى تلحق بعلاية أنيورو ويغلب
فيها ان تكون غزيرة الخضرة واذا استقبلتها وانت في صقع البحيرة فهي طباقٌ
متناسقات من اشراف المرتفعات يتخلل مجموعها في فتراتٍ مكاسر تكون مضايق
وعرة تنفجر اليها مياه الانهر مندفعةً في شلالاتٍ يرتفع من انحدارها فيها
زبد متراكب ناصع البياض وهذه المضايق كثيرة الادغال وهي مجال لأسراب
الفيلة وهي من الكثرة بحيث لا يحصى فيها انسان تسير فيها ذهاباً الى البحيرة
واياباً منها وتطوّف في عامة اقطار المنطقة على كلا الجانبين . والى شمالي كيبيرو
في سمت الغرب تتباعد الهضاب عن البحيرة ويكون ما بينهما براح مسطوح
من الارض يقارب نقطة اجتماع النيل بالبحيرة ويكون عرضه زهاء اربعين
كيلومتراً . ولم نَرَ للنهر في البحيرة في شهر مارس سنة ١٩٠٣ جرية بينة ولم
نتبين له سيلة ايضاً في شمالي مجمه فالياه هناك راكدة في مسافةٍ يبلغ طولها
عدة كيلومترات . ولما أن تدانت ضفتا البحيرة هناك وتضايق طبق الماء
بينهما تضايقاً كلياً حينئذٍ ادرك البصر نهراً منبثقاً منها ذاهباً في سمت

(١) أحضرت عينة هذا الماء في سنة ١٩٠٣ وُبعث بها الى بلاد الانجليز طلباً

للتحليل ويوم أنا أكتب هذا لم تكن نتيجة التحليل قد بلغتني

(٢) أطلق امين باشا على هذه الجبال اسم جبال لوري لان اقطار غربي

البحيرة آهلة بقبيلة لوري

الشمال^(١) . وها انا ذا كر بأكثر بيان ما لسواحل البحيرة من الخواص
والخصال العامة^(٢) فأقول :

اذا اخذت من الطرف الجنوبي للبحيرة واطردت شاطئها الغربي يكون
البر هناك بسائط مستوية من الارض واسعة الارعاء تمدُّ بفساحتها مسافة
تختلف بين كيلومترين وثلاثة كيلومترات عن البحيرة ويتأخم هذه البسائط
جبال شامخة وعرة يتفاوت ارتفاعها عن سطح البحيرة من بين سبعمائة الى
ثمانمائة متر وفي تضاعفها كسور وفجوات متباعدة هي فسيحة المنفجر تتصل
بالساحل ولكل منها في بطنه مسيل تتراعى مياهه في مساقط هي من الجلال
والجمال بمكان^(٣) . وفي هذا الموقع من البحيرة رأس نيمسسي أي قادمته وكان
مرة جزيرة منعزلة عن البر يفصلها عنه مضيق من الماء^(٤) . ويزول السهل عند
كاناما على مسيرة ثمانية واربعين كيلومتراً من الطرف الجنوبي الغربي
للبحيرة لما ان الجبل ينمطف انمطافاً كلياً الى الشرق تواءاً متنازلاً الى البحيرة
فيكون منه هناك مرتفع عظيم . والمنظر من تلك النقطة خشن غليظ جداً فان
الآكام تذهب في الجو كالعماد فيكون ارتفاعها ثمانمائة متر وتقوم في يَمِّ البحيرة
هدفات عظيمة من الصخور ينطح الماء هامها نطحاً فيحدث هديرًا كالرعود

(١) قال فلكن في كتابه « أغندا والسودان المصري » المطبوع في مدينة
لندرا سنة ١٨٨٢ انه رأى للبحيرة في ديسمبر سنة ١٨٧٨ عند مصب نيل فكتوريا فيها
تيارين يجري احدهما الى الشمال صوب بحر الجبل والآخر يمر في سمت الجنوب الغربي
وكلا التيارين في شخص البحيرة

(٢) اخذنا خواص ساحلي البحيرة الشرقي والغربي عن روايات لعدة
عبّارين وروّاد

(٣) كتاب « امين باشا في اواسط افريقيا » لفلكن المطبوع في مدينة
لندرا سنة ١٨٨٨

(٤) الكتاب المذكور

القواصف اذ ينفرط عقده متناثراً في السماء^(١) رشاشاً. وعامة هذه الفجوات في تلك الصخور بطونها محشوة بالاشجار والادغال وفي مسابيلها شلالات ينساح عنها ماء قراح يتهافت في البحيرة مندفعاً فيها مئات من الاقدام واكثرها يحدث في تلك البحيرة ركة ربما بلغت مساحتها خمسة افدنة^(٢). ولقد دلت الاسبار على ان غور ماء البحيرة هناك يتقلب فيما بين خمسة امتار الى سبعة عشر متراً لكنه عند البر قريب للغاية. واما قاع البحيرة فمن حماء أي ردغة من طين اسود^(٣). واذا كنت على مائة كيلومتر من الطرف الجنوبي للبحيرة فأنت في بلدة مهاجي المعروفة بإمسنوى على درجة واحدة واثنين وخمسين دقيقة من العرض الشمالي هناك تعود الهضاب فتفارق البحيرة فيكون من ذلك مرج واسع الاقطار يبتدئ من ضفة البحيرة وتبلغ مساحته قرابة خمسة آلاف فدان من الارض^(٤) ويحيط به من جميع جهاته جبال مدرجة شاهقة مقووسة محدودة أسماها جبل نيديا ارتفاعها نحو من ثمانمائة متر^(٥) وهناك محلة امين باشا وقد أقيم حصنها في صرحة اكمة في أواسط المرج. روى جفصن في ابريل من سنة ١٨٨٨ ان المرج محشو عماراً وهو أهل بالخلق الكثير. ولقد كانت بلدة مهاجي فيما سبق اشرف محلة على الساحل الغربي للبحيرة وكان يقيم بها جند حامية الكنفو الحرة^(٦). وتربة المرج في تلك البلدة لينة ابليرية مكرمة للنبات تذهب من البحيرة الى مدى يقدر بثلاثة

(١) كتاب «امين باشا في اواسط افريقيا» لفلكن المطبوع في لندرا سنة ١٨٨٨

(٢) الكتاب المذكور

(٣) كتاب «امين باشا» لفلكن. وهناك عيون حارة تكون في اسافل تلك الهضاب

(٤) كتاب جفصن

(٥) كتاب فلكن

(٦) يقال ان بلدة مهاجي قد هجرها أناسها لوخامة مرتها ووبال هوائها على

الابدان وعمرروا لهم محلة أخرى في موقع أكثر وُغولاً في البر

كيلومترات عنها وسقايتها على جدول يأخذ ماءه من وادٍ مندرج بين الهضاب التي حولها والآكام الى شمالي مهاجي تكون بازاء البحيرة ويتخلل سيرها بسائط من الارض الى حد الكيلومتر التاسع والعشرين وهناك أنف ضخمة من جبل يحف بضفة الماء . ثم سرنا مطيفين بذلك الانف مسافة ستة عشر كيلومتراً فخرجنا الى تنجوري (وهي مهاجي الصغرى ^(١)) تقع من جانب البحيرة الجنوبي على مائة وستة واربعين كيلومتراً ومن جنوبي النقطة الواقعة على الشاطئ الغربي قبالة مصب النيل في بحيرة البرت عند ماجنجو وهي بلدة قائمة في شبه جزيرة كانت مرة جزيرة وبينها وبين البر اليوم مضيق مستطيل بسيط من الرمال ويندرج فيما بين هذا المضيق والشاطئ كثير من الغدران قريبة الغور . وكانت البلدة محلة غرذن القديمة

واذا تنظرت الجبال من ذلك الموضع مستقبلاً الشمال تراها تتحرف فوراً عن مذهبها فيتأني من انحرافها فضاء فسيح يقع حذاء نهر النيل . وليس نزول البر على الضفير الغربي بسهل الا عند مهاجي وفي موقع آخر أو موقعين فيه . وأذكر ان المستر جروجان تتبع هذا الضفير راجلاً وذكر ما لاقاه من الجهد والعناء هو والحمالون في الاطافة بالآناف التي لا يحيقها في تلك البقعة عد ولا احصاء ^(٢) . وعلى مقربة من البحيرة هناك ترى سلسلة من الروابي تمتد مسامتة لها على محاذاتها يتراوح ارتفاعها من بين مائتين الى ثلاثمائة متر وتلوي هذه السلسلة سلسلتان أخريان ارفع منها احدهما تشرف على الاخرى ولهما قنان مستغربة الشكل وكلها توجد فيها الاشجار مشتتة في بطونها على

(١) روى جفصن ان عيوناً كبريتية توجد في اصقاع ما بين مهاجي وتنجورو

قال ان الماء حرارته مفرطة لا يطيقها اللبس ولونها في مضاجعها اصفر زاهر

(٢) كتاب « شقة ما بين الرأس والقاهرة » للمستر المذكور مطبوع في مدينة

قلة وهي زعراء قليلة النبات^(١). هذا وجبال الطرف الجنوبي للبحيرة
أسمى بكثير من جبال الطرف الشمالي وإذا جاوزت مهاجي تكون هيئة
الروابي الغربية في هذه النقطة أكثر انبساطاً وتسطيحاً منها في جنوبها
وليس في ضفيرها من كلا جانبيها إلا ما قل من الخللجان عمدتها خليج كبير
ولكنه لا يتداخل كثيراً في البر. أقول والبحيرة يقع منها بقدر نصفها فيما بين
عمادين من الحجر الصلد تزهرق من منظرهما النفس ملالاً وكلالاً لولاً ما فيها
من الرؤوس والانوف المتناسقة التي تبدل ملآتها وتغير سآمتها وهي في
تضاعيفها شطوط ينزلها صيادو السمك

أما الشاطئ الشرقي للبحيرة من طرفها الجنوبي الى مسافة قصية
منه فله شبه بالشاطئ الغربي ووجه الشبه في ذلك ان قادمة العقبة تتحدّر
متساقطة الى حد الماء ويكون منه هناك هاويات ووهاد يبلغ متوسط ارتفاعها
خمسمائة متر. والبحيرة يرمي اليها من طرفها الجنوبي الشرقي نهر أمسيبي
يفيض فيها من خليج متقارب الجانبين ربما بلغ طوله ستة عشر كيلومتراً وقد
تبلغ سعته عند مصبه كيلومتراً ونصفاً. ومياه النهر تنسكب مترامية على
ظاهر العقبة ويكون انصبابها هناك ملذاً للناظر اليه ومرماه زهاء مائتي متر^(٢).
وما كدنا نكون عن هذه النقطة على نحو ستة عشر كيلومتراً (فيما بينها وبين
امباكوقيا^(٣) حيث العرض الشمالي درجة وخمس عشرة دقيقة) حتى
صارت الهضاب تتحدّر تواءاً الى البحيرة غائصة فيها. اما البلدة فمحصية في

(١) تكون الميول الغربية لجميع الروابي الذاهبة من الجنوب الى الشمال في تلك

المنطقة عامتها اقل تحديراً من الميول الشرقية ولكن الغربية أكثر عمراناً بالغابات والادغال

(٢) انظر كتاب « استطلاع بحيرة البرت » لرومولوجسي (الجمعية الجغرافية

بمدينة باريز يونيو سنة ١٨٧٦)

(٣) هي فاكوقيا بيكر محلة بلغ بيكر عندها بحيرة البرت وذلك في ١٤ مارس

بسائط لها من السعة كيلومتر ونصف وكل بسيطة منها مندرجة فيما بين اثنين يتباعد احدهما عن الآخر بقدر ثمانية كيلومترات . وأديم الساحل هناك من رملٍ خشن قال بيكر لو علا ماء البحيرة في ابان مدتها بقدر اربعة امتار ونصف لرأيت هذه البسائط مغمورة بالماء حتى اسفل الآكام الشرقية^(١) . ثم ضربنا مسافة قدرناها بثمانية واربعين كيلومتراً في سمت الشمال فاذا بالهضاب تحف بالبحيرة متاخمة لها وعامتها يتصاعد من الماء تَوّاً وربما كان للبحيرة في بعض المواقع هناك ساحل مستطيل قليل السعة يفصلها عن تلك الهضاب . اما أنف جبل هوجا فمستطيل شامخ في السماء تربته صخرية مستفيض بملتف الشجر ومتشابك الدغل^(٢) . ومتى جاوزت هوجا في سمت الشمال كانت المنبسطات تنفسح منفرجة فتتكشف عن قرى قائمة في جوار البحيرة ثم اذا أوغلت مسافة قدرها خمسة عشر كيلومتراً اخرى رأيت الهضاب تعود فتتداني من الماء وهناك شاطئ خليج كبير وفيما بين أمبا كوفيا وهوجا نهران يرميان الى البحيرة احدهما نهر أنجوسي الى الجنوب^(٣) وهو ثالث الممدات الكبرى التي تقضي اليها والآخر نهر نيا كرنجو . وساحلها حاشيته أناف متتالية نادرة من الجبال آخرها الخرشوم المحيق بخليج كييرو . اقول وهذا الخليج هو اشرف الخللجان النافرة من البحيرة سعته ستة عشر كيلومتراً وعليه قرية كييرو ومصانع الملح وهي عن الطرف الجنوبي للبحيرة على ثمانية وثمانين كيلومتراً

سنة ١٨٦٤ — انظر كتاب « البرت نيزا » المطبوع في مدينة لندرا في سنة ١٨٨٢

(١) كتاب « البرت نيزا » طبع في لندرا سنة ١٨٨٢

(٢) » » » » » » » »

(٣) يعرفه بيكر باسم نهر كالييجيري ولعله الاسم المعروف به النهر عند أناسي تلك الاصقاع وهو لم ينتظره الا عند مصبه قال والنهر شلال مسقطه ثلاثمائة متر وهو أجمل واشرف المساقط القربى للبحيرة

ومنه ينحدر في البحيرة نهرا واهمبوا وهو يما وهنا ترى غابتي بوجوما وبيدُنجا
تلازمان في ذهابهما العالاية الشرقية الى اُمدٍ بعيد وهما من حيث الخاصة
الاقليمية كريمة النبت نَصْرَتَاهُ وهما آهلتان بالفيلة من حيث لا عد ولا احصاء .
وكان حصن كبير و القديم على الهضبة الواقعة قبالة الخليج على ارتفاع ستمائة
متر عن سطح البحيرة وهناك شعبة من الطريق تؤدي الى هويما مركز
قسم أنيورو وهو عن كبيرو على نحو اربعة عشر كيلومترا وكانت هذه الطريق
قبيل نجاز سكة المركبات بين عنتي وبوتيا بمبدأ خروج السيارة نزولاً في
النيل . وتكون البحيرة حيال الخليج في جمّة سمّتها وتبلغ خمسة واربعين
كيلومتراً . وفي حضيض الهضاب تكون الارض بسائط واسعة تلحق
بضفاف البحيرة وهناك يتعامل الاهلون بالملح وكان فيما سبق ينقل منه الى
اقطار اوغندا وانيورو . وفي جوار تلك الاقطار عيون كبريتية ماؤها حارّ وماء
البحيرة هناك رقارق قريب الغور جداً في مدّى من يما وضحلّتها حادثة من
تراكم الطين في جوفها مجلوباً اليها بمياه الانهار الرامية اليها حتى تخلّق من
ذلك بسائط غريلية ابليزية صارت ركة اقيمت عليها بلدة كبيرو ولا تزال تلك
البسائط توغل كل يوم ممتدة في البحيرة في شكل لسان . قال أمين باشا ان عيون
الكبريت الحارة تنفجر من سفح سلسلة جبال شاهقة وهي تقع في خور بعيد
الدرك يكون في انحاء قاعه كتل صخر وركام أخرى منبثة في اديمه وارض
ذلك الخور والحجارة الراسية فيه سخنة حراقة حتى لا تطيقه القدم حافيةً
وانت تسمع للماء هناك ازيزاً وبقبةً وترى في البقعة مئين من نفّاثات البخار
وعيوناً ينبثق ماؤها متدفقاً يطبق بخاره الفضاء وهو صافٍ شفافٌ درجة
حرارته تختلف من بين مائة وخمس وثمانين الى مائة وخمس وتسعين درجة
بميزان فهرنهايت وله ريح خفيفة^(١) . اما تربة هذه البسائط الغريلية فمشحونة

(١) راجع كتاب « أمين باشا واسط افريقيا » للدكتور فلكن مطبوع في لندن سنة ١٨٨٨

املاحاً مثل سائر الانحاء المستديرة بالبحيرة وهم يستخرجون منها الملح بأن
يسكبوا على الارض ماءً يمتزج بترابها ثم يستنضبون ماء المزيج بالتبخير
فينجلي عن ملح خشن الحبيبات ملوَّح اللون اشبهُ مرث المذاق . والآكام في
هذا الموقع متدرجات متراصفات منضودة بعضها فوق بعض كالابرار ينحدر
في ثناياها نُهير يقال له جدول كاشورا سعتُه متران ومسافة عماقته خمسة
واربعون سنتيمتراً وله مساقط شتى . والى ما وراء كيبورو تنعرج الهضاب
في سمت الشرق فيكون من انعراجها منسطحات من الارض تسير
مستعرضة بالتدرج حتى تصير الى نيل فكتوريا . واذا كنت عن تلك البلدة
على عشرين كيلومتراً هناك رصيف بُتياو وهو منتهى الطريق الآخذة من
عنتي الى بحيرة البرت . ومن هناك الى نيمولي الواقعة على بحر الجبل تكون مسافة
الطريق بالقوارب ومسافة عبر البحيرة من جانب الشرق الى جانب الغرب
(ذهاباً عن بلدة بتياو) زهاء ثلاثين كيلومتراً . وعلى مسافة ليست بقصية عن
جنوبي الرصيف لسان من الارض داخل في الماء طوله نحو من ثلاثة
كيلومترات يذهب في سمت الشمال مقوساً كالهلال نهايته شجرات معدودة
من النخيل وهو ركة حادثة من تراحم الطين الذي يأتي به نهر وكي الرامي الى
البحيرة شمالي عن تلك النقطة . والارض هناك معمورة بعض العمارات بنذر من
الاهلين يرتقون بتقديد السمك . ثم ان البسائط الشرقية في بوتياو تكون
سمتها بقدر خمسة الى ستة امتار لها تصاعد بتدريج متراكبة حتى سفح
الهضاب التي هي في هذه النقطة تحم لمفجرة وادي الالبرتين وتربة هذه
البسائط طينية وربما كانت فيما تقدم مغمورة بمياه البحيرة ودليله ما
يلقيه الرائد في اديمها من عديد الاصداف . ولقد ارتفع سطحها بالقرب
من الآكام ارتفاعاً يذكر بتراكم المواد التي تقذفها المياه المتحدرة من صَبَبٍ
رامية بها في تلك البقعة وتكون خدوها مثلمة بفعل تلك المياه حتى

تبلغ سعة الثلثة الواحدة من اربعة الى خمسة امتار واما جروفها فهويها
عمودي وفيها وفي قاعها ما يشير الى شدة فعلة المياه فيها فلقد ترى رأي
العين في مواضع ان تيارها قد عبث باشجار عظيمة الابدان فاقتلعها
من جذورها واجترفها ذاهباً بها . هذا ويكون ارتفاع البسيطة عن سطح
ماء البحيرة عند ضفتها متراً واحداً ثم تتدرج درجة فيكون ارتفاعها الى
مدى بعيد عنها متراً ونصفاً ثم تتدرج درجة اخرى فيصبح ارتفاعها
ثلاثة امتار ثم تتدرج درجة ثالثة وربما بلغ ارتفاعها حينئذ خمسة امتار .
وارضها مغمورة بملتك الدغل وقد يرى بأسافل الآكام بعض الشجر في مواقع
دون اخرى كل ذلك بين الاشارة الى ان عامة تلك الاقطار كانت مرة
مغمورة بمياه البحيرة وربما كانت المياه تلحق بلحوف الآكام الشرقية

اما نهر وكي فيصب في بحيرة البرت في نقطة تبعد عن إسكلة بتيابو
جنوباً نحو خمسة كيلومترات ويكون في مسيره قد تحدّر نزولاً في صنف من
المساقط والشلالات ومسيله قد سبج في المنبسطات بتعاريج وليات حتى
يفضي الى البحيرة المذكورة . وترى جنايبه محشكون بالغابات الملتفة الاشجار
ياوي اليها الفيلة . والتحدّر المذكور ليس بهوارة محضة لكنه شديد الوعورة
يذهب من السهل تواء الى نحو مائتين وخمسين متراً صعداً والى وراء المرتقى
الاول سطر من روابٍ مستديرة وعرة تكسوها الغابات والحراج وهي
مضرسة مسننة اشبه بالدرج تتصعد على هذه الصورة الى قنة العلالية فيكون
ارتفاعها عن البحيرة بقدر خمسمائة متر . اما الاخوار فبعيدة القاع يصير منها
في بعض الاماكن خنادق هائلة وبين هذه المجاري انوف بارزة هي صخور
قرع تمتد نزولاً الى حضيض الوادي وعلى ساحل النهر معالم تدل دلالة واضحة
على ان سطح مياه البحيرة فيما قبل شهر مارس سنة ١٩٠٣ لم يعمل اكثر
من ثلاثين او اربعين سنتيمتراً عن ادنى غيضاها . والمعلوم انه قبل ذلك العام

توالت سنون جاءت امطارها في تلك الانحاء قليلة حتى لاغيث في ديسمبر سنة ١٩٠٢ ويناير وفبراير ومارس سنة ١٩٠٣ فكانت تلك الفترات اياماً أُمسك غيثها واحتبس ولذلك صارت جميع الانهار الممعدة (في شهر مارس) الى احط غيضا فلم يتجاوز جمهور ما انصرف الى البحيرة من مياه الانهار الصابة من المهواة الشرقية ستة عشر او سبعة عشر متراً مكعباً في الثانية ولم يكن مستورد نهر سملكي حينئذ سوى مائة واربعة وعشرين متراً مكعباً في الثانية . ومن الاكيد الثابت ان مياه الانهار الغربية كانت اقل من مياه الانهار الشرقية فلا غرو اذا كانت مياه البحيرة خلال شهر مارس سنة ١٩٠٣ في احط انحطاط عرض لها . على انه لا يبعد ان يكون فيض البحيرة في السنين الغزيرة الامطار اكثر مما تقدم ذكره . ولكن لامشاحة في ان مياهها لم تركب قط يوماً من الايام القريبة العهد بصحيف البسائط الشرقية^(١) فاؤها ضحل رقارق في سائر شطها الشرقي وقلم تجاوز غوره مترين او مترين ونصفاً في عدة كيلومترات عن ذلك الشط

هذا والبر الى شمالي بئيابو يلزم منظره وخلقته والمنسطحات الشرقية تنبطح كلما ابتعدت الروابي عن البحيرة وبعد ذلك بستة عشر كيلومتراً هناك لسان من الارض اشبه باللسان المتقدم ذكره ذاهباً في البحيرة الى مدى بعيد مادته مقذوفات الطين الذي يسوقها نهر ويجا داخلاً اليها من نقطة ليست بمتباعدة عن هذه النقطة وشكل اللسان المذكور هلالى مثل

(١) بعد كتابة ما تقدم تأكد ان هذه البحيرة في سني السيل الغزير يعلو ماؤها حتى يفوق المنسوب المعروف بكثير . اخرج المسيو بر داج التابع لمصلحة الاشغال العمومية في أغندا (وكان قد اتى القاهرة في ديسمبر سنة ١٩٠٣) ان منسوب بحيرة البرت في نهاية اكتوبر من تلك السنة قد جاوز منسوبها في شهر مارس بقدر ثلاثة وثمانين سنتيمتراً . وأن الامطار جاءت في خلال المدة من ابريل الى أغسطس غامرة على غير المعتاد

اللسان الذي كونه مقذوفات الطين الذي يجلبه نهر وكي . وقبالة هذه البقعة تكون الشعاب الشرقية وهي شعاب تذهب على سمت الجنوب يتركب منها في كافة طولها مرتفع عجيب يتصاعد فيصير اربع قن اثنتان منهن مستديرتان واثنتان مخروطتان جميعها يشق عباب الافق وتكون في قيد مرأى العين امداء بعيداً . اما سمة العلاية في تلك البقعة فزهاء خمسة عشر كيلومتراً من الجانب الواحد الى الآخر والطنف المدرج باقى لم يشبه تغيير ولا تحوّل . والبحيرة تتضايق كثيراً والآكام الغربية اقل ارتفاعاً ووعورة ولكنها شديدة التحدير من جانبها الشرقي ولا تزال البحيرة تتضايق في مسيرك الى الشمال والبساط تنفسح على كلا الجانبين فيكون متوسط عرضها في الجانب الغربي على مقربة من طنجور او محاجي الصغير بقدر خمسة كيلومترات^(١) . وهي تتعالى بميل شديد حتى تتصل بالآكام الصغرى ويكسوها شجر السنط والأدغال والبحيرة في تلك النقطة لا تكون سمتها من ضفة الى أخرى بأكثر من احد عشر او اثني عشر كيلومتراً وعلى مسيرة اربعين كيلومتراً من بتيابوشمالاً تكون هناك ركة نيل فكتوريا على مائة وثمانية واربعين كيلومتراً عن الطرف الجنوبي للبحيرة وعلى مسافة سبعة او ثمانية كيلومترات من هناك لا يبصر المسافر في سمت الشرق الا مفازة قفرة نبتها العنبج والبردي والقصب . ويعرف هذا القطر بقطر ماجننجو وهو خراب ليس فيه اثر للعمارة الا بعض اكنة للصيادين^(٢) أما ماجننجو القديمة التي نزلها جردن وكانت به محلة ذات شأن قد عثت

(١) محاجي الصغير بلدة مهجورة واقعة في براح البساط فيما بين جرف شاهق من جبال الطبقة الثانية والآكام الصغرى الاقرب الى البحيرة ويخال للناظر الى المضيق هناك كأن نهرأ يصب الى البحيرة من جهة الشمال الغربي

(٢) تعهد فلكن هذه البحيرة في ديسمبر سنة ١٨٧٨ وروى ان بلدة ماجننجو جيدة المبنى من حولها استحكومات حربية مصنوعة بالتراب ويحيط بها خندق عمقه ثلاثة امتار . انظر كتابه المعروف بأغندا والسودان المصري المطبوع في لندن سنة ١٨٨٢

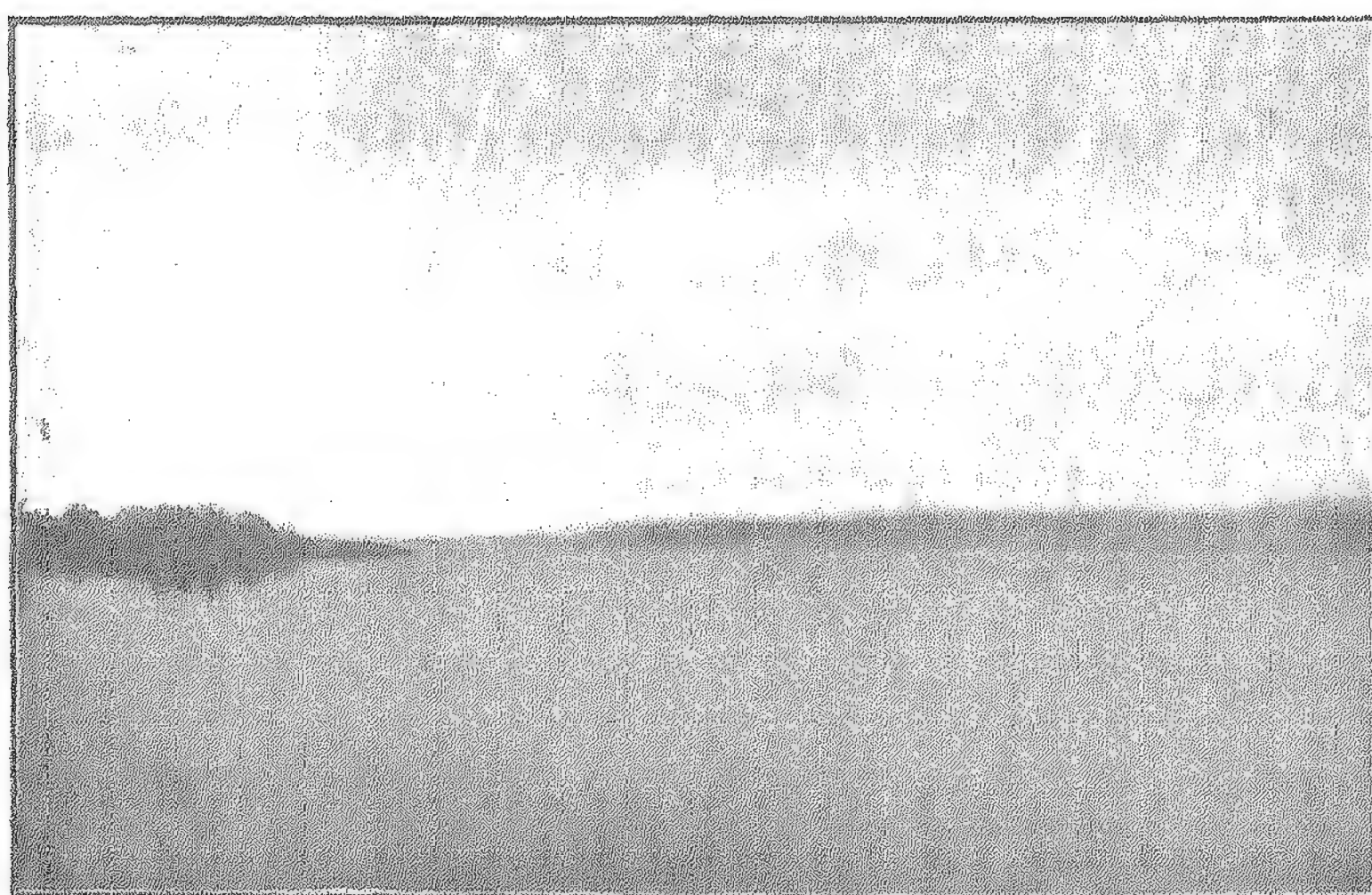
بعامرها ايدي الدمار فطمست واصبحت اثرًا بعد عين وكانت قائمة على الجانب الجنوبي لنيل فكتوريا . ومن المستصعب تعليل انطماسها وغياب الارض الواسعة الاقطار التي كانت تشتمل عليها غير ان ما تعلمناه بالاستقراء فقط هو انه يتأتى احياناً ان يكون للنهر تيار شديد الجرية يلازم جرفه الشرقي ويسير شمالاً مندفعاً الى البحيرة وان ذلك التيار كان يحرف اتربة جرفه شيئاً فشيئاً حتى أتى على عامة موقعها^(١) . هذا واذا تطلعت من ظهر البحيرة فليست براء رأي العين نهراً عظيماً ينصب اليها وجل ما يبدو لك ان هو الا اختلاف لون الماء اذ يكون هناك زيتونياً على مثل لون الماء في بحر الجبل والبحر الابيض ولا تيار ظاهر للابصار في تلك النقطة^(٢) . لكن الركعة لا تزال تُوغل في البحيرة من جانبها الشرقي حتى يكون منها طبقة ضحلة من الماء تمتد فيها الى مدى اربعة او خمسة كيلومترات غربي غياض العنبيج التي في حاشيتها . اما الغور فلا يتجاوز متراً ونصفاً اينما كان من تلك الطبقة وقرار البحيرة طبقة من طين رخف لزج والغور بلصق المقاصب لا يكاد يكون ازيد من ستين سنتيمتراً وكثيراً ما يكون اقرب من ذلك بكثير والمنظر من البحيرة في المشرق عقيم موحش لما ان الجبال عنها متباعدة قصية والنبات الطويل يحجب النظر عن المراثيات^(٣) .

(١) تقدم ان فلكن قال بوجود هذا التيار وانه رآه يخترق عباب البحيرة — اقول ولكنه في شهر مارس لم يكن الامياها راكدة لا حراك بها
(٢) ذلك في مارس سنة ١٩٠٣

(٣) الركعة مستعرضة بفم النيل عند ما جنجو وهي ناشئة عن التقاء النيل بمراكد ماء البحيرة فيرسب فيها ما يكون سابجاً فيه من المواد ولا خفاء ان ماء النيل سيلاً شديدة من حد جنادل مركب من الى نقطة تبعد عن البحيرة بقدر سبعة او ثمانية كيلومترات ومن ثم تتباطأ سيلته فلا يبلغ البحيرة حتى يكون منه هناك بطيخة ماؤها راكد او يكاد وهو ينشعب في كل وجهة حتى يكون منه مجارٍ متشابكة تسير على هذه الصورة الى أن



نصب بحر فكتوريا في بحيرة البرت



بحيرة البرت من ماينجو جنوباً

قلت وسعة البحيرة عند مندغم النيل فيها لا يكاد يكون تسعة كيلومترات والركمة تستطيل في يَمِّها فتكون سمتها على ضفيرها الشرقي زهاء سبعة كيلومترات وفي عامتها لانهاية لمنابت العنبج والقصب والارض على الجانب الشمالي للنهر تتصاعد فيكون منها علالية مستوية الذروة عاطلة مرداء الا ما يغشاها من ذليل العشب وهي تتصعد بتدريج قصيرة حتى تنتهي الى المرتفع العلي في الجهة الشرقية وصفتها في شمالي النيل تشا كل صفة البسائط الجنوبية المتقدم ذكرها ولا تباين بينهما الا في ان المرتفع غاض بمتمائق الدغل ومشتبك النبت والعلالية عراء عادمة الشجر . واذا كانت على بعض المسافة من البحيرة يكون ارتفاعها عنها بين سبعين وثمانين متراً وتلازم هذا المستوى الى ان تلحق بالمقبة الشرقية^(١) ويوجد في حاشية النهر غيضة مستطيلة من القصب العنبج وارتفاع جرفه يختلف بين متر ومتر وربع ولا يبرح ماؤه ان يكون ضحوضاحاً قريب القمر في مدى عدة كيلومترات منه نزولاً ويكون النزول الى البر الشرقي في اية نقطة منه شاقاً الى الغاية لاسيما وقاعه ردغة من طين مائع يبلغ سمكها عدة اقدام وقد اسلفنا ان منتهى البحيرة ومبدأ بحر الجبل مبهمان . وتظل سعة البحيرة في مدى عدة كيلومترات شمالي مصب النهر فيها على خمسة اوسنة كيلومترات ولا اختلاف البتة في خواص عامة الساحل . وتتضايق تلك البحيرة رويداً حتى تصير عند الكيلومتر الثامن شمالي او كيلومتدانية الضفتين ويصح ان تُعدَّ هناك نهراً . ولما كان

تترامى الى البحيرة . هذا وليس بين مخرج النيل وهذه النقطة جاذب واصل مياه النيل تجري بعض الاحايين الى جهة الجنوب هائمة في يم البحيرة وهي في ذلك الحين تسير الى جهة الشمال طالبة لمخرجها

(١) يتعذر انتحال اسم لهذه القطعة من الارض اما رجال مصلحة القوارب فيسمونها او كيلو والصحيح انها بلدة على ساحل البحيرة الغربي

للنهر على مسيرة بعض الكيلومترات من مصبه جرية ضعيفة محسوسة كان
يصحُّ اعتبار تلك النقطة مبدأ نهر الجبل ولو ان البحيرة لا تختلف خلقتها
وصفتها في مسافة بعيدة نزولاً

هذا وقبل الاخذ في مباحث المناسب يجدر بنا ان نأتي على ذكر اشراف
الانهار الرامية الى بحيرة البرت فنقول . - ان الانهار التي تفضي الى بحيرة البرت
ما خلا نهر سملكي المتقدم ذكر صفته كثيرة العدد ولو ان بعضها ليس الا سيلاً
ينهر في فصل الامطار جارفاً معه كثيراً من المواد ولكنها في بقية السنة تتصغر
حتى لا تكون بالشيء الذي يذكر . وقلَّ من هذه الانهار ما هو معروف
الصفة والخواص ما خلا مارواه المسافرين الذين مشوا هذا الجانب من البحيرة .
وليس لجرية واحد من هذه الجداول كبير مسافة لقرب مطارح السيل من عامة
الساحل الغربي . وبما ان ذروة الجبل هناك ليس بها علوية فلا ينحلب الى تلك
الجداول الا صيب الجانب الشرقي للجبال القائمة على محاذاة البحيرة . أما فورتها
فليست مدته بمديدة ولا يبعد ان تكون سيلاً دُفَاقاً ينقضي على عجل لا مدّاً
طويل المكث . ولا ريب ان هذا لمن الصحة بمكان فيما يختص بالانهار الشرقية
غير ان مطارح الأخذ هناك اكثر فساحة منها على الجانب الغربي للبحيرة
ومضاجع السيل اوسع اقطاراً وهذه المطارح مختلطة الشكل عريضة في
الطرف الجنوبي للبحيرة لكنها تتضايق تضايقاً حاداً في طرفها الشمالي . اما
جبل النقييل فغاية في الالتواء وعدم الانقياد يتعذر اقتفاؤه ويختلف ارتفاعه
عن مستوى سطح البحر في مواضع دون أخرى بين ألف ومائتين وألف
 وخمسمائة متر ومعتمد وجهته سمت الشمال او الشمال الشرقي لكنه ينثني انثناءً
مدهشاً للغاية فهو يماشي سلسلة الآكام والعلايات الفاصلة انيورو الغربية عن
اغندا وبوزوجا . اما القسم الذي تتفجر عنه مياه الشرق الصابة الى نيل
فكتوريا ومياه الغرب الرامية الى بحيرة البرت فقليل السعة فانها لا تكون الا

كيلومتراتٍ قليلة . ثم ان اشراف الانهار والجداول التي تمتد بحيرة البرت راميةً اليها من طرفها الشرقي هي امزيزي وأنجوسي ونيكا كباري (ويقال له هورو ايضاً) ووهمبا وشعبة المعروف بلوكاجوكا وهو يماووكي وويجا^(١) . وهذه المجاري اعظمها اثنان امزيزي وأنجوسي وهما دون نهر سملكي في الاهمية وكلها تقطع العقبة الشرقية هابطةً بمياهها الى الوادي في سطر من المساقط الانيقة قد يبلغ علوكثير منها مبلغاً جسيماً ولا تزول عنها أناقها البتة حتى في الجفاف . والمنظر هناك منظر بديع في جملة فيض الانهار ومدتها وربما لم يتأتَّ لرجل من اهل اوربا ان يراها في مثل هذا الاوان لان اجتياب الارض في اثناء الامطار يتعذر على الرواد في انيور والغربية . فاما من نهر من هذه الانهار عليه ممبرٌ والاعشاب الغضة الناضرة في هذه الحصة من السنة تجعل الاسفار ممتعة

ومبدأ نهر امزيزي من نقطة عرضها الشمالي خمس واربعون دقيقة على مقربة من حصن اجرنتط الواقع على العلاية التي تترافع عن الآكام وتسير الى جنوبي نهر امبايا^(٢) والعلاية تسير جرف نهر امزيزي الايسر أي الشمالي . يتخللها قنان في فتراتٍ حتى عقبة وادي المفجرة والنهر ممدات شتى تجلب عامتها من الجنوب واعظمها شأناً نهر رافاسنجا^(٣) ومجرى آخر ينشأ بالقرب من جبال لوماجا^(٤) . ونهر امزيزي يمر متحرداً في معظم مسافته في خلال

(١) كل هذه الانهار جارية ويوجد كثير من الجداول الاخرى التي هي دونها لكنها تكون في ايام الجفاف سباحاً وبقائع ومآجل تنض مستقطرة في الصوب الغربي وينسكب اليها مياه العلايات والمداغل

(٢) ممد من ممدات نهر كافور

(٣) روى قندولور ان سعة هذا النهر ثلاثون متراً وبعد غوره مترو ثلاثون سنتمتراً

(٤) ارتفاع هذه الجبال عن سطح البحر الملح يبلغ ألفاً وثمانمائة واربعين متراً

وهي مطارح السيل المترامي الى ثلاثة انهار الاول فرع امزيزي الذي ذكرناه فيما تقدم

آكام حجرية شائعة ويمر في طريقه بأصل حصن ناكابندا وهو في تلك النقطة لا يُخاض حتى في ايام الجفاف فلا يُعبر الا من نقطة أخرى عليها^(١) ممبر. وفي ايام الفيض يكون ماء زاخراً وسيلاً جارفاً ومسافة طوله تكون نحواً من مائة وخمسين كيلومتراً واذا بلغ مائة وعشرة كيلومترات عن مخرجه يكون مجراه مغرباً ومن ثمَّ ينعطف الى سمت الشمال الشرقي مسائراً لوادي فسيح الفجوة بعيد القاع يجتري سيله أرضه فيجعلها اخدوداً عظيماً كأنه خندق ثم ينساب في بطن المهواة الشرقية مترامياً في شلالات يكون بعضها بعيد المهوى ثم يفضي الى يَمِّ البحيرة من خليج معروف بخليج دويرو^(٢). اما واديه ففي مدّى مديد من طوله من جنوبي المهواة تكون سعته زهاء اربعة كيلومترات وبعد قاعه من مائة وخمسين الى مائتي متر وطرفه الشمالي منقطع عرضي يكون منه شعبة من جبل مطرح السيل الواقع بين منطقة بحيرة البرت ومنطقة بحيرة فكتوريا وتكون سعة النهر في ايام مدّه متجاوزة كثيراً حدّ المائة متر وبعد غوره في وسطه خمسة امتار وفي الجفاف واليَسْ ينحسر ماؤه كثيراً فينتقص ومع ذلك فهو عثرة كبرى في وجه القوافل والسفّر. ويستخلص من حسابات تصرفه في التاسع من مارس سنة ١٩٠٣ عند نقطة تكون عن الشلالات على عشرة كيلومترات ان سعة مائه بين ضفتيه عشرة امتار وأقصى غوره متر واربعون سنتيمتراً وفسيح قطاع مائه ستة امتار مربعة وسبعون سنتيمتراً ومتوسط السيلة اربعون سنتيمتراً في الثانية ومستفرغه متران مكعبان وثمانية وستون سنتيمتراً في الثانية^(٣).

وهو يفضي الى بحيرة البرت ونهر آمبَنَجو وهو يقع في البرت ادورد من بطيحة دويرو والثالث نهر كاتنجا وهو يصب الى بحيرة فكتوريا

(١) قاله فندولور

(٢) قال جسي ان هوي اصغر هذه الشلالات يبلغ مائتي متر

(٣) كان النهر ايامئذ في اقصى غيظه وانحساره

ومعظمه فوق المستوى المذكور ثلاثة امتار وستون سنتيمتراً . وقد قيس قطاعه في ايام فيضيه فكان مائة وثلاثة واربعين متراً مربعاً على انه في مواضع من مسراه تكون مياهه ضحلة قريبة الغور الى الغاية ومتوسط جريته في عامة القطاع ايام المد لا تكون (باعتبار انحداره) اقل من مترين في الثانية ذلك يعادل تصرفاً قدره مائتان وستة وثمانون متراً مكعباً في الثانية^(١) . والنهر من بين ممدات بحيرة البرت يقع بعد نهر سملكي حجماً . وبعده نهر انجوسي الناشئ عند ماوندنا على درجة واحدة وعشر دقائق من العرض الشمالي من الحرف الذي هو امتداد العਲاية التي ترمي بمياهها الى نهر امريزي . وهذا الحرف ايضاً ضيق السعة ومنبع نهر انجوسي ليس بمتباعد عن منبع نهر امبايا وهو عبارة عن بطيخة سبخة ما جلتها تسيل الى نهر كافور فيكون النهر من بداً في نيل فكتوريا . اما مسافة نهر انجوسي فلا تجوز خمسة وستين كيلومتراً وهو يذهب في سمت الغرب بانحراف عنه قليل ويصب الى بحيرة البرت شمالي محلة إمباكوفيا في مساقط شقي تحار العين بمشاهدها وأشرف ممد له نهر إمبني^(٢) ينحلب اليه من الجنوب الشرقي اما جملة انحداره فأربعمئة واربعون متراً . افرز من ذلك ثلاثمئة متر للمساقط والفاضل وقدره مائتان واربعون متراً لسائر مسافة طوله . ذلك يعادل انحداراً قدره ثلاثة امتار وستون سنتيمتراً للكيلومتر . ومضجع النهر أي قاعه صخر محشوك صرّاً تترامى مياهه في مسارع وجنادل وهو ضهي نهر امريزي

(١) لا يبعد ان يكون مستفرغ النهر في احيان اكثر من ذلك اما جملة انحداره فستمئة وثمانية وثمانون متراً منها خمسمئة متر تحسب للمساقط والباقي وقدره مائة وثمانية وثمانون يكون متوسط الانحدار وقدره متر واربعون سنتيمتراً للكيلومتر في فاضل مسافته وايضاً فان محفل مائه ليس برحيب

(٢) ورد هذا النهر في بعض الخرائط باسم أمبني والصحيح ما ذكرناه مثلاً يعرف عند اناسي تلك الارض

عسر المبر ولو كان ذلك في ايام الجفاف فان غوره ابدأ بعيد . ولقد استخرج مقدار مستفرغه في الثاني عشر من مارس من سنة ١٩٠٣ في نقطة تكون قبل العقبة بقدر خمسة عشر كيلومتراً فكانت سعة يومئذ ستة امتار فقط وكان غوره متراً واحداً وخمسة وثمانين سنتيمتراً ومتوسط جريته خمسين سنتيمتراً في الثانية ومساحة قطاع مائه اثني عشر متراً مربعاً وخمسة واربعين سنتيمتراً فمستفرغه اذاً ستة امتار واثني عشر سنتيمتراً مكعباً في الثانية^(١) . ومقدار مدّه ثلاثة امتار ونصف وبعد غوره في وسطه بلغ حينئذ خمسة امتار وخمسة وسبعين سنتيمتراً . سعة في ابان الفيض تسعة وستون متراً ومساحة قطاع مائه في ايام مدّه مائة وتسعة وعشرون متراً مربعاً . فاذا قلنا ان السرعة متران في الثانية^(٢) كان ذلك يقابل تصرفاً قدره مائتان وثمانية وخمسون متراً مكعباً في الثانية . ولا يتأتى ان يكون مستفرغ نهر أنجوسي اغزر من مستفرغ نهر امريزي لكن مياه فيوضه تأتي دُفقاتٍ متقاطعاتٍ تكون جريتها اسرع بكثير من جرية الانهار الكبرى

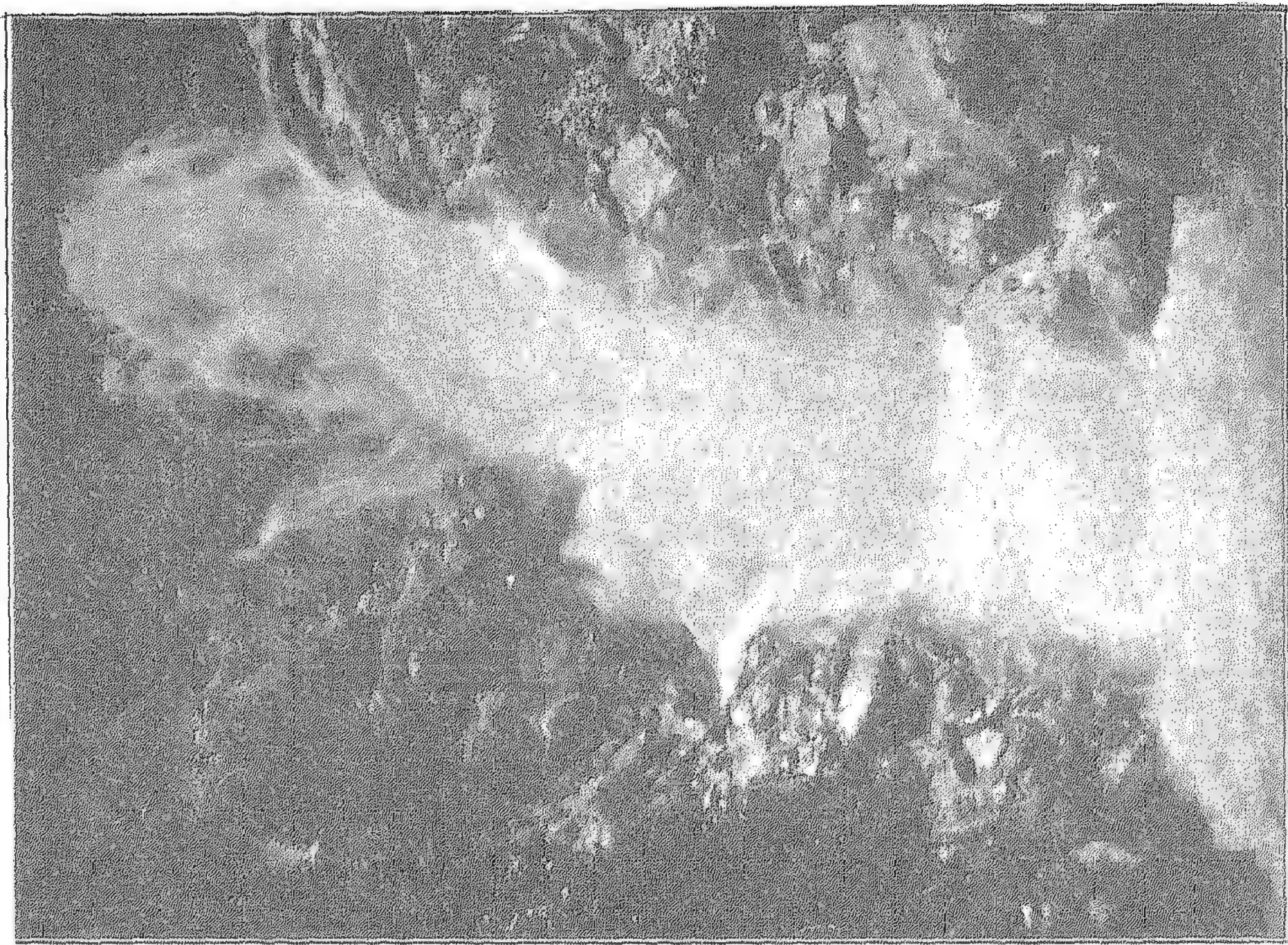
ثم يتألف نهر نيا كاباري (وان شئت فهو نهر هورو) من عدة جداول تنشأ من آكام كوكندا مثل بلبونا وجيمنجاو وكاجارندندو وغيرها ويشق في غابة بوغوما ثم يصب في البحيرة^(٣) حيث العرض الشمالي درجة واحدة وسبع وعشرون دقيقة . وتكون هذه الجداول في ايام الجفاف مستنقعاتٍ يتسلسل

(١) في فترة ما بين التاسع والثاني عشر من مارس سنة ١٩٠٣ امطرت السماء مدراراً ربما كان منه زيادة طفيفة لها شأن في ذلك النهر ألا انه من صغار الانهار ولكن مستفرغه أكثر من مستفرغ نهر امريزي . أما ماؤه فكان عند استخراج التصرف عكراً مشحوناً بمواد سباحة فيه

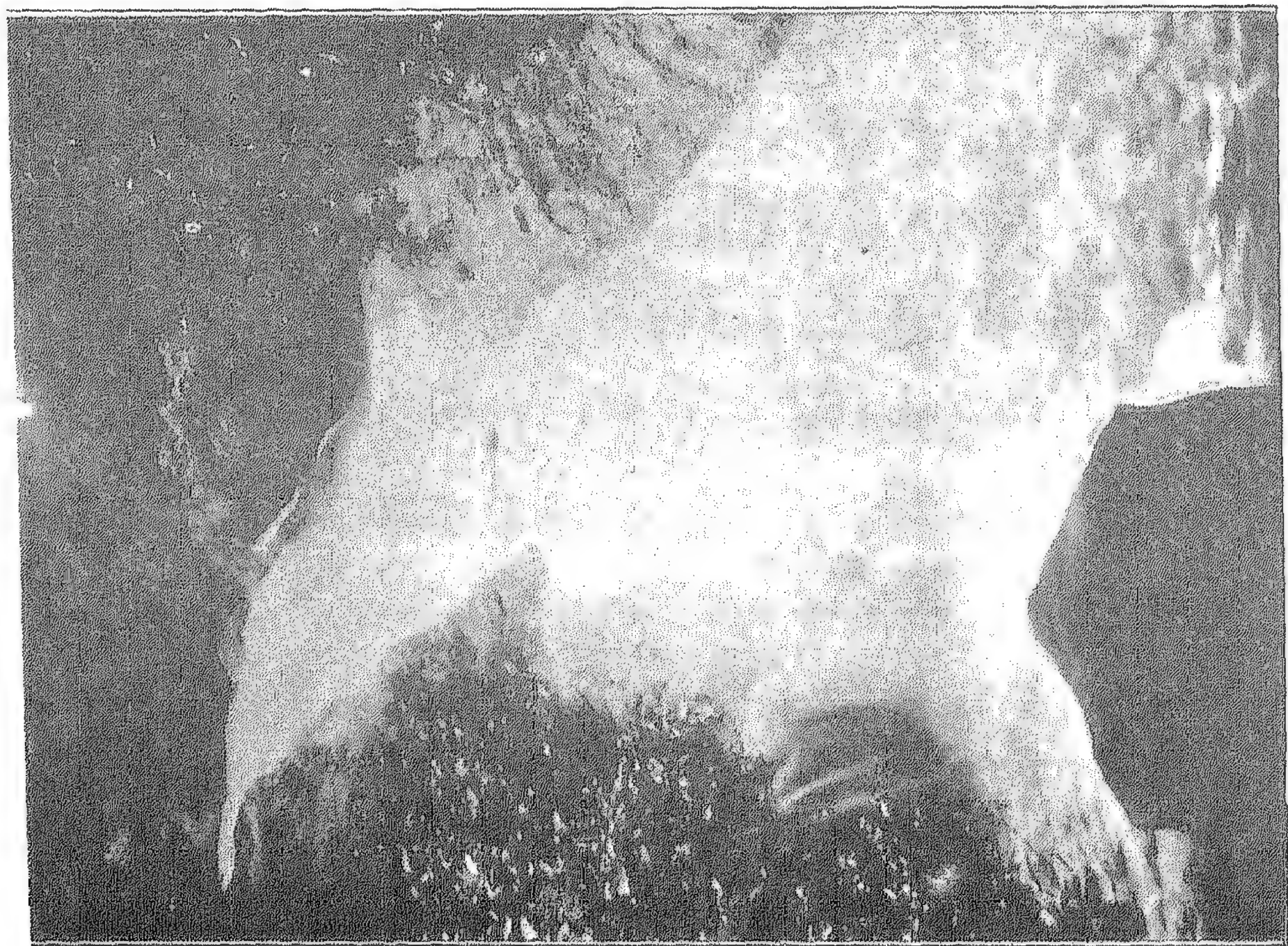
(٢) وقد يكون أكثر من ذلك احياناً

(٣) من المستصعب استطلاع اسماء هذه الانهار فان كل قوم من اقوام تلك الانحاء تسمي النهر باسم شيخ قبيلتها

شلال نمر وكنى الأعلى (عن رسم للمستتر بن بشر)



شلال نمر وكنى الأسفل (عن رسم للمستتر بن بشر)



ماؤها في اودية بعيدة القرار وهي غاصة بكثيف النبات ويتعذر استخبار مقدار جرمها في مثل تلك الايام لان جريتها تكاد تكون معدومة وهي اشبه بسباح منها بانهار وقد يكون للنهر في ايام مدته شأن وأهمية ولكن لم يتصل بنا الى الآن نبأ بين عنه . وكل ما يعلم من امره انه نهر مسافة طوله لا تتجاوز أربعين كيلومتراً . واذا اردت الشمال سائراً على شفير البحيرة رأيت على يسارك شرقاً نهر واهمبا وهو ممدد يصف الثاني في الاهمية . يبدأ في آكام كيدوكا^(١) على مقربة من محلة هويما حيث العرض الشمالي درجة وثمان وعشرون دقيقة ويعرف عند مخرجه بنهر ومبايا واكبر ممداته نهر لوكاجوكا منشأه في تلك الآكام وبعد اختلاطها يعرف مزاجها بنهر واهمبا يكون مقدار مسافته ثمانية واربعين كيلومتراً ويشق قسم كبير منه غابة بوجوما المنفرشة في فضاء واسع من العلاية الشرقية وهو يسقط في البحيرة من الطرف الجنوبي خليج كبير وينجلب اليه في طريقه عدة انهار من صوب الشمال منها كايروجوتا وميجو وجريكا وممدته الاكبر لوكاجوكا وهو كنهر ومبايا مخرجه الى الشمال عن هويما من نقطة في سلسلة كيدوكا هي قزان باليجوكو وإمبالا واذا سرت أمداً يسيراً الى الشمال هناك جدول ثالث يقال له جدول هويما مبدأه في هذه السلسلة ويمد بطوله مسافة نحو خمسة وثلاثين كيلومتراً ويرمي الى بحيرة البرت من خليج كييرو . وهذه الانهار كافة منحدرها شديد يتجاوز ثلاثة امتار للكيلومتر وهي في ازمان الفيض مجار غامرة الماء احياناً لكن مستفرغاتها متقطعة متواترة لا ديمية لدقاتها الا بقدر يوم واحد أو قرابته . وفي ايام الجفاف تتضايق سمعتها كثيراً فيكون موحداً مستفرغها بحسب الاسبار التي استخرجت في مارس

(١) هذه الآكام هي امتداد الجبال الكبرى الوسطية اوسنام أنيورو الذي

يفصل بين منطقة النقييل الراعي الى بحيرة البرت وتقبل نيل فكتوريا

سنة ١٩٠٣ وذلك عند نقطة تقاطعها بالطريق المؤدية من هويما الى بتيابو لا يكاد يتجاوز مترين مكعبين في الثانية . واما موحد قطاع الفيض فليس باكثر من سبعين متراً مربعاً . ومعظم فورة الفيض هناك متر واحد وستون سنتيمتراً وربما كان معظم مستفرغ واهمبا وهويما معاً يختلف من بين مائة متر مكعب الى مائة وخمسين في الثانية لكن مستفرغ واهمبا يربو على مستفرغ هويما وهما يسيران على حصباء وصخور والماء في كليهما نقي زلال

اقول ويقع نهر وكي في بحيرة البرت من نقطة تبعد عن بتيابو عدة كيلومترات . ومنشأه ليس بقصبي عن مازندي وهو على مقربة من فيي ومذهبه في مهب الشمال الغربي ومقدار مسافته خمسون كيلومتراً . هذا ولوان مستفرغه في ايام الجفاف مستصغر طفيف لكنه في ايام الفيض يكون ماؤه غزيراً مستفيضاً . وكان مستفرغه في الثامن عشر من مارس سنة ١٩٠٣ مترين مكعبين في الثانية وذلك عند نقطة تقاطعها بالطريق المؤدية من هويما الى بتيابو . واما صبرة فورته في تلك النقطة فلا تجوز مترين وفساحة قطاع مده خمسة وستين متراً مربعاً . ومستفرغ فيضه يتراوح احياناً من بين مائة الى مائة وثلاثين متراً في الثانية ولكنه لا يختلف عن انهار انجوسي وهويما وهمبا فهو مجري لا يفعمه الا الاقي . واعلم ان منحدر نهر وكي شديد يترامى على مسيل من احجار في مساقط شتى ماؤه قراح غاية في الشفوف والصفاء وواديه مستفيض بالجنب وفي مواضع منه غياض زاهرة . ولما كان النهر يشق تحت العقبة كان قاعه يزيد انحداراً وينساب في مضيق خائق بعيد الغور بين مهاو من الصخور الى ان يفضي الى وادي مفيض البحيرة سالكاً مسقطاً مزدوجاً يكون ارتفاع هويته زهاء مائة وخمسين متراً وهو في بعض مسيره يشق في غابة بودنجا

قلت ان اقصى الممدات الشرقية لبحيرة البرت في سمت الشمال انما هو

نهر ويجا ويقال له نهر وايا ايضاً وهو يقع في البحيرة وانت على مسيرة خمسة عشر كيلومتراً عن بُتياو شمالاً حيث المرض الشمالي درجتان وست عشرة دقيقة منشأه في آكام كيروتا حيث المرض الشمالي درجة وثمان وخمسون دقيقة وله مسافة طول قدرها ستون كيلومتراً . وهو ضهي نهر وكي قطاعاً وتصرفاً غير انه لسعة البسائط التي يصب النهر عندها في البحيرة كان انحداره في ما خيره خفيفاً للغاية والملاحة فيه ميسورة للزوارق في طائفة من السنة دون أخرى حتى آكام العقبة شرقاً

يُرى مما تقدم ان هذه الانهار تعمل ولا ريب ممّا على اكثار مقدار الماء الصاب الى البحيرة ومع ذلك فان زيادة مائها بالنظر الى تقلص مسافتها وشدة انحدارها وتضايق محفل مائها أي مغيضه لا تكون الزيادة مستمرة . واما مستفرغاتها فلا ريب في انها تجلب دقائق شديدة لا تمكث الا امداً محدوداً فهي لا تلبث ان تتمد فتزول^(١) . هذه معلومات لا خلاف فيها^(٢) . اما الانهار الصغرى فقد لا يدوم المد فيها الا ساعات معدودة^(٣) . واما مقدار ما ينصب الى بحيرة البرت من الماء في السنة فيتمدر تقديره لان البناء في هذا الشأن قليلة جداً . وليس لهذه البحيرة مقياس ولم يجعل للمطار ارساء

(١) لا يتناول هذا الوصف تصرف نهر سملكي فان ايراده غزير وفيضه يكون اثبت من فيض سائر الانهار المدة

(٢) اذا ضرب رجال الأغندا في الارض ثم رجعوا يقصّون اخبار الانهار كثيراً ما اخرجوا أن نهر الفلان كان حينئذ في اiban مدّه فقضي عليهم ان يحطوا رحالهم مقيمين خمسة أو ستة أيام ريثما ينحسر ماؤه فيعبروه

(٣) يندر أن يصير واحد من هذه الانهار الى جُمام فيضه دفعة واحدة أو دفعتين في الشهر ما خلا نهر سملكي فان أشد الامطار وقماً يكون في مدارين تكون برهة الواحد منهما ثلاثة أشهر ربيعاً فخريفاً يعني ان أقصى الفيض يقع اثنتي عشرة مرة في السنة على الاكثر

الآ من عهد قريب ذلك في مكان واحد فقط هو حصن بُرتَل وهو عن البحيرة على نحو ستين كيلومتراً جنوباً على مقربة من المدوة الشمالية لوادي سملكي^(١). ولم يُبدأ بقيد الارصاد الآ من منذ سبعة او ثمانية اشهر فليس فيه ارصاد لسنة كاملة. وليس في هويما (وهي محلة انيورو الملكية) مقياس للامطار وهي في قيد ستة عشر كيلومتراً عن بحيرة البرت. والذي نتمناه ان يقام هناك في القريب العاجل مراقبة يُرصد منها مقدار الامطار وليس في قيدها بسجل مشقة وصعوبة لان في هويما ثلاثة اوريين. ولا مشاحة في ان الوصول الى استطلاع مقدار ما تمطره السماء في عامة السنة على العلية الواقعة شرقي البحيرة يكون له فائدة عظيمة والذي نراه ايضاً ان يقام مقياس عند تليفون بُتياو في ذروة الربوة يُوكل امره الى عامل يقيد ارصاده. اما انحاء غربي البحيرة فيُتدبّر أمرها بأن يُطلب الى الساطة البلجيكية مراقبة الامطار في مواضع هناك. ثم يقام مقياس في بُتياو ايضاً لرصد مدّ وغيض البحيرة يومياً. أقول ان هذا الموقع غير صالح في حد ذاته للارصاد لانه معرض للنوازل ولكنه من وجهة أخرى هو الموقع الفرد التي يتيسر معرفة المناسيب اليومية به اذ لا يؤمل ان يتخذ الاروبيون في المستقبل القريب غير هذا الموقع (من مواقع ضفاف البحيرة) لهم مقاماً. واذا اتُّخذت ارصاد بُتياو وارصاد مقياس النيل عند وادلاي لاجتماع منها انبأ ذات شأن فيما يختص بوجه الارتباط بين البحيرة والنيل. اما مقدار ايراد البحيرة فمسألة لا تزال مبهمة لاجل ان مياه نيل فكتوريا تقع فيها. ولا مشاحة في ان البحيرة

(١) ان بين هذا المكان وبحيرة البرت طية شاسعة حتى لا يرجى من ارصادها كبير نفع من حيث مقدار الامطار التي تقع في تلك البحيرة أو تهطل على العلية المجاورة لكن المقياس هناك لا يخلو من نفع وجدوى في رصد مقدار ما يسيل من الامطار شمالي جبال روتزوري ومقدار ما يقع منها في قسم من وادي سملكي

خزانة النيل الكبرى ولا يبعد ان تكون بمثابة عامل تسوية لمستورد مائه .
ولقد بوشرت مقاسات في نقطتين متباينتين لاستطلاع مقدار تصرفه الواحدة
فوق مصبه في البحيرة وذلك في مارس سنة ١٩٠٣ والاخرى عند وادلاي
تحت مخرجه منها فاستخلصنا منها انه عند ما تهبط مياه النيل والبحيرة معاً
حتى يكون منسوبهما غير بعيد الارتفاع عن درجة حمة غيضاها يكون في المياه
الخارجة من البحيرة زيادة طفيفة (ان كان ثمت زيادة) عن مقدار المياه
الرامية اليها من بحيرة فكتوريا شيء يسير لا يلتفت اليه ^(١) . واعلم انه
في شهر مارس المنقضي لم يشاهد للنهر الى البحيرة عند ماجنغو جرية ما
صوب الجنوب . قلنا فيما تقدم (وكنا في قولنا مستنديين على رواية
فلكن) ان ماء النيل في احايين دون اخرى يجري في البحيرة في وجهة
الجنوب فيزيدها ماءً على مائها ^(٢) . اقول ولا اخال ذلك الا صحيحاً لان قوة

(١) في الثاني والعشرين من مارس سنة ١٩٠٣ قد استخرجت زيادة تصرف
النهر عند وادلاي على مقدار تصرفه تحت جنادل مركيكن في العشرين منه فكانت
تسعة وستين متراً مكعباً فقط في الثانية يسقط من ذلك تصرف نهري أشواوومي الراميين
اليه جنوبي والدلاي وقدره واحد وثلاثون متراً مكعباً في الثانية ويوجد ايضاً جدول
او جدولان يقعان فيه ايضاً على جانبه الغربي . وعلى ذلك يصح ان يكون مقدار ما
تدفعه البحيرة من الماء في ابان الجفاف بقدر ما ينصب اليها كيفما كانت الحال

(٢) راجع كتاب أغندا والسودان المصري المنشور في مدينة لندرا سنة ١٨٨٢ .
يقول فلكن انه في الثالث والعشرين من ديسمبر سنة ١٨٧٨ تبصر للبحيرة تيارين
وذلك قبالة ماجنغو أحدهما يذهب في سمت الشمال فيكون منه بحر الجبل والآخر يمر
في سمت الجنوب الجنوب الغربي ساقطاً اليها من نيل فكتوريا فيندفع فيها من الجانب الواحد
الى الجانب الآخر وفي زعمه أن للبحيرة أثراً أكبر على النيل فهي له مذكر ويقول ان
في ايام الجفاف يقل مقدار ما يلقيه نيل فكتوريا من الماء الى البحيرة فينحسر ماؤها
الى ان تجيء الامطار ويعود النيل بمده كالمعتاد صاباً فيها . اقول ولا ارى فلكن الا
متجاوزاً مغالياً في مبلغ اثر نيل فكتوريا في البحيرة فانه غير ثابت ان فيضها وغيضاها

الجذب على نيل فكتوريا عند مصبه تقرب من التعادل من كل الجهات ولا تشاهد للنهر سيلة يجري بها الى بحر الجبل الا على كيلومترات عن نقطة مقترنه بالبحيرة وتكون تلك البحيرة حينئذ قد تضايقت كثيراً وقلت سمعتها . ولم يهتد اولو الامر الى الآن الى استطلاع وجه العلاقة والنسب بين ما ينسكب في البحيرة وما ينطلق منها من الماء في اثناء فصل الغيث يوم تكون البحيرة والنهر في اقصى مدّها ولا علم لنا الا باليسير مما يتعاقب بدرجة ماؤها شيء تلقيناه عن الرواد وهم تعلموه من امم تلك الاصقاع فايس لذلك من مقياس يهتدى به وكل تعليل من هذا القبيل ما هو الاحدسي وتخميني^(١) .

خذ سنة ١٩٠٣ مثلاً فهذه لم يتصل بنا عنها من المعلومات فيما يختص بالبحيرة الا شيء قليل هو ناقص غير سديد لكنه يؤدي الى تخمين جُمَام الماء المنصب الى البحيرة في تلك السنة وهذه المعلومات اخرجها المستر برُدَج احد رجال

يكون مبلغها بنسبة ما يجلبه النيل اليها من الماء فان مقدار ما تبخره يتجاوز مقدار ما ينصرف منه اليها فالتبخير اذاً هو علة هذا الاختلاف في مناسيب سطحها . والقضية المسلمة ان للبحيرة اثرّاً لا ريب فيه على النيل وقد لا يكون العكس بالعكس الا في النادر الأندر

(١) ان مناسيب النيل المأخوذة عن مقياس وادلاي هبوطاً وارتفاعاً في مائه لا يتأتى ان تكون مطابقةً لمناسيب الهبوط والارتفاع في البحيرة ولو ان المقياس المذكور ليس الا على اربعة وخمسين كيلومتراً فقط عنها لان قطعة النهر الواقعة بينها وبينه ينجلب اليها انهار شتى يكون من مائها ارتفاع في المقياس وربما كان ذلك مثله في ايام الجفاف ايضاً على ان درجة الميهاء في البحيرة تكون في الغالب أحطّ منها في النهر . فهذه سنة ١٩٠٢ سنة الجفاف القامع كانت درجة مياه النيل فيها بذلك المقياس ستة وثمانين سنتيمتراً وفي سنة ١٩٠٣ وهي سنة جاء سيلها جارفاً كانت درجة الماء فيه متراً ونصفاً بينما في البحيرة كانت في العام الماضي على ما رواه المستر برُدَج ثلاثة وثمانين سنتيمتراً بمعنى انها أحطّ من درجة مقياس وادلاي بواحد وستين سنتيمتراً

نظارة الاشغال العمومية في اوغندا فانه تعهد البحيرة مراراً في تلك السنة وقال انه اطلع منسوبها عند بتيابو فاذا به في العشرين من اكتوبر اعلى منه في ابريل بقدر قدمين وعقدة ونصف (اي ثلاثة وثمانين سنتيمتراً) . أقول ولا أرى هذه الرواية سديدة تامة المغزى فليس فيها ما يثبت ان ما بلغه المنسوب في شهر اكتوبر كان منتهى الارتفاع في خلال تلك الفترة . وايضاً بما ان مقياس وادلاي قد بلغ أبعد ارتفاعه في ذلك الشهر فلا غرو ان تكون البحيرة قد بلغت حينئذ منتهى قوتها . ولذلك نقول ونحن بقولنا على بعض الثقة ان مقدار ما كان منخراً في البحيرة من الماء في سنة ١٩٠٣ من دون ما يتصاعد بالتبخير وما يستمدّه بحر الجبل منها ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسة وثلاثين مليون متر مكعب باعتبار كون مساحة البحيرة اربعة آلاف وخمسمائة كيلومتر مربع

قلنا فيما قبل ان ليس لما يقع من الامطار في مفيض بحيرة البرت احصاء معلوم والمظنون انه لا يكون اقل مما يقع في مفيض بحيرة فكتوريا وربما كان اغزر منه لان قسمي تورو وأننيورو يُمطران مطراً اغزر مما في أوغندا حيث يكون متوسطه في السنة بحسب مقياسي عنتي وناتيقي متراً وعشرين سنتيمتراً في السنة في برهة من الدهر قدرها اربع عشرة سنة . ولقد تين من خريطة الامطار التي وضعها السر هري جونستون والحقها بمؤلفه عن بلاد أوغندا^(١) ان مطارح السيل الشرقية وقسم من مطارح السيل الغربية لبحيرة البرت تندرج في منطقة الغيث ويبلغ مقدار امطارها جميعاً من اربعين الى ستين عقدة في السنة . اما وادي سملكي فهو يجمل شقّه الاعلى (وهو النصف الجنوبي) في منطقة تجوز امطارها ستين عقدة واما الشق الشمالي والساحل الشمالي الغربي للبحيرة فهما في المنطقة التي يختلف مقدار الامطار

فيها من بين عشرين الى اربعين عقدة^(١) وعلى ذلك يصح ان يقال ان معدل ما تدره السماء في عامة مطارح سيل سملكي وبحيرة البرت لا يكون اقل من خمسين عقدة أي متراً وربعاً في السنة اما ما أخذ السيل فسقتها اثنان وثلاثون الف كيلومتر مربع تكاد تكون كلها غابات وغياضاً وادغالاً متشابكة ملتفة وعلى ذلك لا يكون حائر الماء اي ما ينساح منه على وجه تلك المضاجع اكثر من ربع مقدار الامطار بمعنى ان مقدار ما يدخل البحيرة من ذلك يكون بقدر خمسة وعشرين بالمائة من متوسط تلك الامطار. فيكون ما ينصب في البحيرة من منطقة ما أخذ السيل بقدر $27500 \times 25 \times 1$ ومقدار ما يقع في جوفها من الامطار بقدر $4500 \times 25 \times 1$ ذلك يعادل اربعة عشر الفا ومائتين وتسعة عشر مليون متر مكعب . هذا ومتوسط تصرف بحر الجبل بمقياس وادلاي بحسب ما استخرجه المستر كريبج^(٢) يبلغ سبعمائة وتسعة وستين متراً مكعباً في الثانية. ذلك يعادل اربعة وعشرين الفا ومائتين وخمسين مليون متر مكعب في السنة. قلت ان مقدار ما اشتملت عليه البحيرة من الماء في سنة ١٩٠٣ ما خلا ما تصاعد منها في الجو بخاراً وما اندفع في النهر كان في سبعة اشهر من السنة ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسة وثلاثين مليون متر مكعب^(٣). ويعلم من حسابات المستر كريبج المذكور ان تصرف نيل فكتوريا

(١) لم يبين السر هري عمن اخذ عنهم معلوماته وبما ان هذه المعلومات مدرجة في كتابه فقد اثبتناها ايضاً في هذه الحاشية

(٢) راجع الملحق التاسع

(٣) ربما كان ذلك اقل من الكل والتعليل انه ولو ان يتاير وفبراير شهراً ييس وجفاف اطراداً لكن نوفمبر ودسمبر هما شهرا سيول طافحة لا سيما منهما نوفمبر ومع ذلك ليس في وسعنا من الوسائل ما يوقفنا على مقدار الضميمة اذا كان تمت ضميمة ناشئة عن سيول هذين الشهرين . اذاً لا بد من اعتبار مشتمل البحيرة بالمقدار الذي اوردناه

يكون متوسطه سبعمائة وستة امتار في الثانية او اثنين وعشرين الف ومائتين وخمسة وستين مليون متر مكعب في السنة وهالك بيانه

١٤٢١٩ مليون متر مكعب في السنة زيادة ناشئة عن السيول

٣٦٤٨٤ ١٢٢٦٥ مليون متر مكعب في السنة زيادة يسوقها نيل فكتوريا

٢٤٢٥٠ ينزل منه مقدار ما يستمده النيل

٢٧٩٨٥ ٣٧٣٥ ثم العلاوة الفاضلة في سنة ١٩٠٣

٨٤٩٩ مليون متر مكعب وهو مقدار البخار المتصاعد من المساء فهو يبلغ

زهاء ستين بالمائة من مقدار الزيادة التي تنشئها السيول والانهار جميعاً ما خلا

نيل فكتوريا . ثم اذا لم يُعتد بتصرف نيل فكتوريا وتصرف بحر الجبل (وهما

تصرفان يكادان يتساويان مقداراً) فيكون التقدير كما يأتي :

١٤٢١٩ مليون متر مكعب في السنة زيادة ناشئة من السيول

٣٧٣٥ مليون متر مكعب في السنة العلاوة الفاضلة

١٠٤٨٤ مليون متر مكعب مقدار الفرق . فيكون ما يفقد بالتبخير من

ستين الى سبعين بالمائة من المياه الرامية الى بحيرة البرت . واعلم ان عامة هذه

الاحصاءات ما ركنها الا التخمين ولكنها مثل احصاءات نيل فكتوريا لها

بعض الاساس وهي في حد نفسها ذات فائدة تذكر

وتمة ما نقوله في هذه البحيرة ان مساحتها قد انتقصت ومناسيدها قد

هبطت عما كانت عليه في الازمان الغابرة . فما لا خلاف فيه ولا نزاع ان يمها

كان من قبل منفرشاً في سعةٍ افسح مما في عهدنا وسطحه ارفع . اما

مقدار الارتفاع فقير ميسور تعيينه . ثم ان البسائط الابلزية المنفسحة

جنوبي البحيرة وشمالها كانت في سالف الازمان مخبوءةً والماء يغمرها

واما بسائط الساحل الشرقي فمفروشةٌ ببواقي الصدف وآثار الرواسب المائية

بينه فيها ^(١) . فؤكد اذاً ان مياه البحيرة كانت مرةً تحف بالصخور المحيطة بها في عامة طولها لكن غواطس تلك الصخور لم يقم الى الآن دليل على مقدارها . فمن هذه الحيثية يكون ساحل بحيرة البرت وساحل بحيرة البرت ادورد على تباين بالصفة وذلك بان تلك الرواسب بساحل بحيرة البرت ادورد توجد في اعالي الصخور المستديرة بها . وصبرة ما يقال في بحيرة البرت ان مياهها كانت قبلاً تغطي البساتط الشرقية الى حد الآكام ويقتضي من ذلك ان يكون منسوبها في ذلك الحين أعلى منه في هذه الايام بقدر ستة امتار في الاقل . ذلك دليل اكبر على ان البحيرة كانت تستطيل صوب الشمال وربما بلغت في استطالتها مسارع وجنادل نيمولي وليس للنهر مضيق عند نقطة خروجه من البحيرة وهو في جمهور مسافته من مخرجه الى الشلالات يمر بين جرفين قليلي الارتفاع مادتهما طين الابلز ^(٢) وفي مواضع من سيره تتقارب منه حزوب الارض واتجاهاها على الجانبين حتى تكاد تماس جرفيه فيتضايقا لكن تضائيقهما لا يكون له مدى بعيد فلا يلبث مسيل النهر ان يفارق هذه المضائق حتى يتفصح فوراً وينساح مستبحراً فيكون منه بطيحة بعيدة المسافة مستقرية الجانبين ضحلة الماء . وقد يحار الذهن في اتحال السبب الداعي لهذا الهبوط في المناسيب فانك لا ترى في تلك المواضع معلّم تدل على حواجز اعترضت في طريق النهر فاخترقها مجراه او تجرفاً حدث في ارض مضجعه او تآكلاً اصاب جرفيه فالامر على خلاف ذلك . فان جريته خفيفة فاترة ومجراه فسيح هادي ليس له حيس وهو يسير في سمت الشمال . وما ادراك ان مقادير الامطار المتساقطة الى مسيله في الايام الأول كانت اغزر بكثير مما في ايامنا وان بقعة الرقارق التي كانت فيما مضى مولد البخار وهي اليوم سهل تربته

(١) مدرجات هذه البساتط عليها علامات المناسيب التي استقرت عندها المياه

(٢) يعرف عند العامة بطين ابليس وهو طين تجرّفه المياه من علو (المعرب)

غريلية سميثة لا بد أن كانت أيامئذٍ واسعة الاقطار. ولا يبعد ان يكون ذلك هو السبب الاصلي للانحسار وان قوة التبخير قد استظهرت على مجموع المياه الرامية الى البحيرة فحدث من ذلك هبوط تدريجي فيها على هذه الصورة. والامر الذي لا شبهة فيه ان مياه البحيرة في فترات قريبة العهد قد تناقصت. قال امين باشا في كلامه على الساحل الغربي انه في سنة ١٨٨٥ رأى بعينه في سمت جنوب الجنوب الغربي عن بلدة مهاجي جزيرة قائمة في البحيرة ناشزة عن سطحها بقدر مترين وفي سنة ١٨٧٩ كان في تلك النقطة منفسح من الماء قريب الغور. ولقد بحث استلمن في هذه المسألة مسترسلاً فيه بعض الاسترسال وكان قد تعهد الطرف الجنوبي الغربي للبحيرة في عام ١٨٩١^(١). قال بأن المياه كانت في السابق أعلى مما هي اليوم وكانت في القدام تلامس جسوم الهضاب^(٢). وفي اعتقاده ان هبوط سطحها لعلاقة له بالانقلابات الدورية الحادثة في طائفة من السنين في كافة البحيرات التي في اواسط افريقيا^(٣). ذكر في روايته جزيرتين في الضفير الغربي وهما راسنيسي ونيامسنسي قال انهما كانتا في ذلك العام انفين من البر ويوم جاءهما استنلي كانت المياه تحيط بهما من جميع الجهات. ثم قال مستدركا برواية امين باشا ان منفسحاً من الرقارق شوهد في سنة ١٨٧٦ على مقربة من جزيرة تنغورو في طرف البحيرة الشمالي كان اصحاب الزوارق من أناسي تلك الاصقاع

(١) انظر الكتاب المعروف « مع امين باشا في قلب افريقيا » (برلين)

(٢) طالع الكتاب المتقدم ذكره - يريد امين باشا ان الارتفاع كان نحواً من

سنة امتار على الساحل الشرقي

(٣) كانت مياه البحيرة فيما قبل سنة ١٨٩١ توالي الانحسار غيضاً وفي تلك

السنة عاودت مدّها فيضاً لحدّ سنة ١٨٩٦ فعادت حينئذٍ الى انحسارها. وهذا التراوح بين هبوط وضعود يضاهي تراوح بحيرة فكتوريا ولا ريب في ان هذا الاختلاف يأسه السيول الدورية

يركبونه بغير عناء . ولما جاءت سنة ١٨٨٠ أصبح ذاك المنفسح عَرْمَةً اي جرفاً من الرمال^(١) . ثم ذكر جزيرة أخرى قال انها كانت في عام ١٨٨٦ منعزلة عن الساحل وما اتت سنة ١٨٩١ حتى اضحت شناخاً او أنفاً ناذراً عن سطح البحيرة بقدر مترين . ثم افضت به الرواية الى ان قال حدثني امين باشا قال رأيت خطأ مرقوماً على صخور الساحل الغربي يدل على ان منسوب المياه كان مرة أعلى منه في عام ١٨٩١ بمترين الى ثلاثة امتار

فيعلم مما بسطناه ان مياه البحيرة قد واقمها انحسار في برهة من السنين تقع من بين سنة ١٨٧٦ الى سنة ١٧٩١ لكن ليس من دليل على ان الانحسار يكون مكثاً مستديماً فالخبر الذي استجليناه يدل على عكس ذلك . اما الامر الذي لا خلاف ولا ريب فيه انما هو ارتفاع قاع البحيرة كل يوم بالجفاء الطيني الذي تنفيه مجاري المياه اليها والشيء ظاهر في العيان عند طرفها الجنوبي حيث المناقع الرحبية التي كانت في السابق بطيحة وهي اليوم وقارق مستنقمة لا غورها واقعة على منكبي نهر سملكي الادنى ومثل ذلك ما تراه في اقطار مصب نيل فكتوريا وقل منه في مصاب الانهار الرامية اليها من الطرف الشرقي رُكُم نازعة الى الاندفاع في جوف البحيرة على التوالي والطبقات الطينية الابليزية تُطبق ارضها فتفشأها . قيل ومثل ذلك تحدثه الانهار التي ترمي اليها من طرفها الغربي^(٢) ولا غرو فان كل رائد

(١) قال جفصن ان تنجورو كانت في سنة ١٨٨٦ جزيرة لكنه تعهدا في ابريل سنة ١٨٨٨ فاذا بها قد اقترنت بالبر وبينها وبينه برزخ متضايق السعة يكون عن سطح البحيرة بقدر متر واحد ونصف ارتفاعاً وهو يؤكد ان جرم هذه الجزيرة يتعظم بانحسار ماء البحيرة — راجع الكتاب المعروف « بأمين باشا » (لندن سنة ١٨٩٠) لستني جفصن

(٢) شاهد جروجن الرقارق الذي يمتد مسافة بعيدة في قادمة كل نهر يرمي الى البحيرة . وقد اورد فلكن وجفصن كلاهما امثلة وشواهد على مزاحمة هذه الركام للبحيرة

تمهد البحيرة تنكشف له هذه الحادثة فيراها عياناً وهي حادثة دائمة استمراراً
يكون منها على ممر الزمن ارتفاع قاعها كله فيقرب غورها على نسبة ذلك
الارتفاع . هذا واما مقدار مدة البحيرة وغيضها في مدار السنة فالمعلومات
في شأنها قليلة . وعن السر صمويل ان جهة نهضة المياه فيها تكون اربع
اقدام اي متراً وربعاً لكن المسترولسن وكيل ادارة اغندا اخرج عن اناسي
تلك الاقطار خمس اقدام اي متراً واحداً وخمسين سنتيمتراً . وفي شهر مارس
سنة ١٩٠٣ شوهده معلم الفيض لدبيرتها (سنة ١٩٠٢) فكان قدماً او خمسين
سنتيمتراً فقط وربما كان ذلك معلماً لطائفة من السنين التي توالى فيها الجفاف
مبتدئاً من سنة ١٨٩٥ . وقد تقدم ان مقدار الفورة بلغت في سنة ١٩٠٣ ثلاثة
وثمانين سنتيمتراً ولقد تعدت تلك التباينات مستقصيات بين سنين وفرة سيلها
وغمر وسنين قحطت امطارها

الفصل التاسع

في النيل الاعلى المعروف ببحر الجبل

ان من المستصعب تعيين النقطة التي تنتهي اليها بحيرة البرت والنقطة التي
يبتدئ منها بحر الجبل ولكل في ذلك تاويل . اقول وفي مسافة عدة كيلومترات
عن مقترن نيل فكتوريا لا يكون تضايق البحيرة محسوساً فهي تقل سمعتها
رويداً . وفي بعض مسافة بأسافل ماجنجو يكاد لا يكون في النهر
جربة تدركها الابصار^(١) . ولما كان اكثر الخرائط الموضوعية تصور بحر الجبل
تكملة نيل فكتوريا فقد نزعنا الى اعتباره في كتابنا هذا بهذه الصورة وتكون
عامه المسافات والابعاد التي نوردتها فيه مبداءها نقطة التقاطع فيما بين الجرف

(١) النيل على مسافة تسعة كيلومترات شمالي المجتمع عند بلدة ماجنجو يظهر

هناك بكامل مظاهر الانهار

الايمن لنيل فكتوريا والشاطئ الشرقي للبحيرة . اما سعة هذه البحيرة في تلك النقطة بين الضفتين فيكون بين خمسة الى ستة كيلومترات . وهناك على الجرف الايسر أي الغربي ترى جبال لوري التي رأيتها تحف ببحيرة البرت في كامل طولها تفارقها صوب الغرب . وفي مسافة بعض الكيلومترات تنأى عنك تلك الجبال ثم تغيب عن الابصار . وشقة ما بينها والنهر ارض فسيحة متعادية ذات كسور بين اغوار وانجاد عامرة بالادغال والجنب . ومستطيل الارض الذي تغشاها المياه قليل السعة يحف به نطاق من القصب والعنبج^(١) . والى ما وراء ذلك ينبس يكون ارتفاعه عن سطح الماء متراوحاً من بين متر الى متر وربع والعنبج في الصوب الشرقي متواصل النبت وما بعد ذلك برّ اجرد متعال . ومن ماجنحو على تسعة كيلومترات قد تكون السعة ألفي متر غير متجاوزتها والجريّة ضاحية بيّنة واما القاع فرداغ ابلزية ويختلف غوره من بين اربعة الى ستة امتار وماء النهر اخضر حاني شديد الخضرة يغشى سطحه غشاء صافي الخضرة كأنه ديباجة مجزعة عجبية المصطنع^(٢) . ولعل ملوحة ماء البرت وقرب غوره (بفاعل حرارة الشمس) عاملان على تكوين هذه الطحالب ومهما يكن من الامر فان الشيء الذي لا نزاع فيه هو ان مياه النهر تكون في قترات معلومة من السنة مشحونة بالمواد النباتية من مبداء لحدّ بلدة دوفيله حتى لا تكاد تشرب في تلك المسافة منه . واما سطحها فطافية عليه جماعات من خليع النبت من نحو فصيلة البستيا استرانيوتس سابحة فيه سائرة معه . وخلقة ساحل النهر ومشاهدته في قيد كيلومترات هبوطاً يكاد لا يمسه تغيير ولا تبديل . وفي مواضع تنفسح مستنقعات حاشيته وفي مواضع

(١) ان نبات العنبج على كلا الجانبين مديد ملتف للغاية

(٢) الماء الاخضر في النهر منجلب اليه من البحيرة وليس من نيل فكتوريا

قان ماءه غاية في الصفاء وهو محشوك بدقاق الطحالب

تتداني مرتفعات الارض من حرف الماء حتى تكاد تماسه^(١) اما وجهة سيره فسمت الشمال الشرقي . واذا بلغت الكيلومتر العاشر كانت بلدة أتيك على الجانب الشرقي في جبال لوري وهناك مضارب وخصاص مسطورة وصالاً في بعض المدى وهناك جماعات الشجر متفرقة في تلك البقعة وجرف النهر في تلك الناحية يكون ارتفاعه عن الماء قرابة سبعين متراً لكن ذلك في هذا الموضع دون غيره . وعلى مسيرة خمسة عشر كيلومتراً هناك جرف رفيع وعرض شجير يتقارب من ضفة النهر من الجانب الغربي ويكون ارتفاعه متخالفاً بين عشرة امتار واحد عشر متراً^(٢) والجانب الشرقي هناك متسام ايضاً والنقطة أكثر النقط الاخرى صلاحاً لأن يقام فيها قناطر تسوية فيما لو اريد الحكم على مياه بحيرة البرت . أقول وسعة بحر الجبل فيما بين ضفتيه لا تجاوز ثمانمائة متر وبعد غوره يختلف بين خمسة الى خمسة امتار ونصف في ايام الفيض . واديم قاعه رداغ ابليزية وهي ممتدة في عامته حتى يفضي الى الشلالات . وصلاحية هذا الموقع ظاهرة لا يرتاب فيها ذلك ان جنبيه مستعيلان عليه ولذا يكون جناحا القناطر راسخين لا يكون ترعزهما سهلاً وكذا تغني الحال عن اقامة جروف ضخمة . نعم ان الارض هناك خلو من صخر قريب من سطحها الا الى ما وراء دوفيلة بقليل ولكن لا يراد ان تحمل تلك القناطر ضغطاً من الماء شديداً وعلى ذلك لا صعوبة في اقامتها بتلك النقطة . وليس قولنا بصلاحية الموقع خيلاً بل هو حقيقة والموقع اصالح جميع المواقع الى الجنوب عن

(١) ذات المعالم في شهر مارس من سنة ١٩٠٣ على ان الفورة بلغت تسعة واربعين سنتيمتراً فقط لكنها كانت مشيرة الى مناسيب طائفة من سنين توالت فيها قلة الفيض فان المياه قد تعالت في خريف ذلك العام بقدر تسعين سنتيمتراً عن اقصى منسوبها

(٢) هناك كان يقيم ركب مساحة السكة الحديدية البلجيكية

دوفيلة ولكن المشكلة الكبرى خلو الارض من مواد البناء فجذابات تلك النقطة عادمة من الحجر وربما استدعى العمل اقتطاع الحجارة من الصخور التي بسواحل البرت وترحيلها بالمرالكب الى محل العمل^(١) . اما مادة تلك الجروف فكذآن طباشيري أحمر وربما كانت طليقاً متجمداً لونه براق نير لاطباق بينه وبين خضرة النباتات التي تكسو تلك الجروف . واذا كنت من المضيق على كيلومتر ونصف شمالاً ترى الانحاء الشرقية قد انحرفت عن النهر فقصت عنه ويكون من ذلك منبسطات رحبية وتكون بلدة بارا كيتو على شفته الشرقية قائمة على عناية مستوية المرتفع كثيرة الشجر . وعند الكيلومتر الواحد والعشرين هضبة من الارض واسعة الاطراف تكون على الجانب الغربي ذاهبة الى امد بعيد ولعلها كانت فيما غبر خوراً او مضجماً لمياه السيل المنصبية من الجبال الغربية التي هي اليوم عن النيل على تسعة عشر كيلومتراً الى واحد وعشرين^(٢) . والى ما وراء ذلك بخمسة كيلومترات نزولاً يعود جرف النيل فيطول علواً وهو كثير الشجر . وبعد قاع النهر هناك يختلف من بين ثلاثة وثلاثة امتار ونصف والارض في تلك النقطة هؤل مريع لانعدام الخلأثق منها حتى كنت لا ترى هناك لطير السماء اثرأ فالبر على هذا الجانب (الغربي) خراب لا عمارة فيه جملةً في حين ان الجانب الشرقي كثير المضارب والماشية ولست ترى في تلك البقعة قارباً واحداً في النهر والظاهر ان أمم تلك الاقطار لا ينزعون الى ركوب ظهر الماء . ثم عند الكيلومتر السادس والعشرين يفضي نهر طنجي الى النيل من الصوب الشرقي والنهر من صفار الانهار تتراوح سمته بين ضفتيه

(١) وعندي انه لو اقيمت قناطر موازنة عند الشلالات او بقربها في اسافل بلدة دوفيله لتأتى عنها انغمار مقدار من الارض واسع المساحة وزاد التبخير زيادة كبرى

(٢) لما كان الساحل هناك بقعةً سبخةً لم يكن في وسعنا نزول البر لتحقق ذلك

بين عشرة امتار وخمسة عشر متراً وذلك عند فيه وهو مضجع سيول الملاية الشرقية ومقدار مسافته قريب تسعة عشر كيلومتراً وهو يري الى النيل على زاوية قائمة يصب اليه شاقاً في بقائع وما جل غاصّة بمديد البردي يبلغ مستعرضها زهاء ستمائة متر . هذا والبسائط على كلا الساحلين غابة ملتفة الاشجار والادغال واسفل عن مقرن نهر طنجي تنتقص سعة النهر فينسب في مضيق تكون سعة ما بين جنبيه نحواً من مائتين وخمسين متراً اما مضيه في تلك النقطة فسريع لكن غوره لا يتجاوز قطاً اربعة امتار . والجرف الغربي منه متطاوّل في العلو وساحله الشرقي بسائط منخفضة تذهب متباعدة عن البرامداً بعيداً . وعند الكيلومتر الحادي والثلاثين يعود الجرف الايمن فيتمالى ويكون اليسر حيثئذٍ منحنياً . واذا بصرت بأديم المشرق رأيت مدرجاً من الارض ينهض من ضفاف الماء ممتداً في فساحة قدرها خمسمائة متر او قرابتها والى ما ورائه ترى الارض تصير نجداً كثير الشجر يكون ارتفاعه عن سطح الماء متراوحاً فيما بين مائة الى مائة وثلاثين متراً وهو عامر بالعديد من الضياع . وعلى كلا ريفي النهر لا يزال نبات العنبج ضارباً اطنابه لكنه في تلك البقعة يكون مفرط الطول . وترى نخيل الدلب هناك على قلة . شجراته قائمات على الحاشية اليسرى وفي مسيل النهر جزيرة صغرى . والذي تبدى لنا انه كلما اتسع مجراه قلت سرعة جريته . وعند الكيلومتر الرابع والثلاثين ينحرف النهر انحرافاً حاداً طالباً للشمال الغربي فيكون ذات اليمين اهوراً تتجاوز مائة متر ارتفاعاً عن سطح الماء لكن الى اليسار هناك منبسطة من الارض مستوية^(١) . وعلى كل من حاشيتي النهر عامةً عالية منبسطة مستديرة الشكل وفيها كسور وتعداد حادثة من اخوار او اخاديد تمسك ماء النقييل قترى به

(١) خلقة هذه النقطة مرتفعات على جانب واحد منه يقابلها بسائط على الجانب الآخر تكون في الغالب سباخاً وقاما يتفق ان تكون المرتفعات على الجانبين معاً

الى النهر والملايتان مشحونتان بالاعشاب المديدة والجُنب اي دق الشجر والشرقية منها تكون في الجملة أعلى من الغربية والارض في كلتا الحالين تكون على بعض المسافة عن النهر (الا ما ترائيه في موضع دون آخر من الطنوف المشرفة على الماء) وتكون شقة ما بينهما والنهر ارضاً منحطة بسيطة تغلب عليها النقائع واذا صرت الى الكيلومتر الخامس والثلاثين هناك النهر يكون منفسح السعة حتى يبلغ عرضه ثمانمائة متر ومتوسط غوره يختلف من بين ثلاثة امتار ونصف الى اربعة امتار وفي القطعة المندرجة منه بين الكيلومتر الخامس والثلاثين والرابع والاربعين يكون الجُرُف على كلا الشقين مرتفعاً شجيراً ويكون متوسط سعة مجرى النهر سبعمائة متر. أما مشاهد هذه القطعة فسوية الخلقة توجب الملأل وانحسار الانفاس لولا ما تلاقيه في مواضع منها من البقاع الانيقة . واذا ما صرت الى الكيلومتر السادس والاربعين هناك تبصر نهر أشوا ينجم الى النيل من جنبه الشرقي ويكون له هناك عدة مصابٍ لانه يشق في مآجل واسعة مشحونة بالبردي فينفرع بها بفريعاتٍ شتى . ومرتفعات الارض على الجانب الايمن تتجافى متباعدة عن النيل بقدر خمسة كيلومترات فيتكون من تجافيهما سهل مثلث الشكل عند النقطة التي منها يبارح نهر أشوا الهضبات

قلتُ ويخرج نهر اشوا من جبل جوروجور وفي سلسلة جبال لاموجي حيث العرض الشمالي درجتان واربعون ثانية ومقدار مسافته زهاء مائة وعشرة كيلومترات تنصرف اليه مياه قطر واسع من الارض وربما غاضت مياهه الى الجفاف لكنه في إبان الامطار يفيض بمدى بفته فيبلغ بعد غوره اربعة أو اربعة امتار ونصفاً ومتوسط سعة مسيله نحواً من اربعين متراً وكثيراً ما يتعذر خوضه اسبوعاً كاملاً. اما واديه فبعيد القرار وعلى شاطئيه أخوار عظيمة . وفي النهر عدة مساقط معجبة للعين . والبلد الذي يشق هو فيه له هضاب حجرية اكثرها

قُرْع ولذلك كان سريع الجمَام والامتلاء . اما تصرفه فكان في شهر مارس سنة ١٩٠٣ عقيب عاصفة الهضاب نحواً من ثمانية عشر متراً وخمسة وخمسين سنتيمتراً في الثانية والنهر يتضايق في تلك النقطة فتصير سعة الى ثلاثمائة متر ويكون متوسط غوره ثلاثة امتار ونصفاً وقبالة مقرن اشوا ينجلب الى النهر جدول من صفار المجاري ينصب اليه من مهب الغرب واسفل عن الكيلومتر السادس والاربعين يتفصح مسيل النهر حتى يصير بطيخة تعرف عند امم تلك الاقطار ببطيخة روبي لها طول يحوم حوالي ثلاثة عشر كيلومتراً ويكون منتهاهها على بعد من وادلاي وتتقلب سمته من بين كيلومتر الى خمسة كيلومترات . هذا وعلى جانبي مجراه مقاصب اجمية يخالطها شيء كثير من البردي والغننج وهي بعيدة المسافة واما عوالي الارض فيغلب تقاصيها جداً عن النهر . واذا اتيت الكيلومتر الرابع والخمسين فهناك جرف يكون ارتفاعه نحواً من ثلاثين متراً يتداني من البحيرة من جانبها الغربي ويسير غير مفارق للساحل مسافة تكون زهاء كيلومترين . اما تربة هذا الجرف فكذلك ان طباشيري احمر اللون ناصعاً مثلما رأيت في الجنوب . ويفشى وجه بطيخة روبي طحلب يعرف باليستيا وهناك يغيب اخضرار مائها فيصبح لونه سنجابياً اشبه بلون الصلب اي الفولاذ فاذا استويت الى الكيلومتر الثاني والستين فهناك اقصى طولها أي نهايتها وهناك يصب نهر اومي من الجهة الشرقية وهو ضهي نهر اشوا حجماً ولو ان مياه فيضه اقل . ومخرجه من روابي لا منجي ايضاً حيث العرض الشمالي درجتان وخمسون دقيقة ومسافة طوله تكون تسعين كيلومتراً أو قرابتها وواديه بميد القاع فسيح الفجوة وهو يشق له مخرجاً في العلاية الحجرية هناك ويكاد النهران في سيرهما يتوازيان وبينهما فِساحة تكون بين عشرين الى ثلاثين كيلومتراً . أقول ونهر اومي دفقاته في ايام الفيض فجائية عن غير توقع وهو في ايام المد لا يخاض . تبيناه في الثاني والعشرين مارس من سنة ١٩٠٣

فاذا سعة مائة بين الضفتين ستة عشر متراً وغوره متراً واحداً وتصرفه اثني عشر متراً واثنين وثلاثين سنتيمتراً مكعباً في الثانية وجمام فورته اربعة امتار ثم هو يشق في المنبسطات بحاجر الملاية وتكون سعة قطاع فيضيه مائة وخمسين متراً . وأسفل عن نقطة مرماه وانت من نيل فكتوريا على اربعة وستين كيلومتراً هناك محلة وادلاي^(١) وهي قائمة على هضبة مستديرة على جانب النيل الشرقي يكون ارتفاعها عنه بين خمسين الى ستة وثمانين متراً والمحلة نقطة عسكرية يقيم بها جاب انجليزي وطبيب من الفرنجة وموقع منزل الجابي والمكاتب والمستشفى في قاة الهضبة وأما نقر الجند فاسفل عنها الى الشرق^(٢) . وهناك متانة (اي غيط من التين) متفرقة الشجر وعلى جوانب الطرق سطور من شجر الموز . والمحلة تكاد تكون مستوية الاقليم . قيل ان الحمى الاجية الخبيثة تغلب بها في دور الامطار . واذا اشرفت من هضبة المحلة وتطلعت اديم الارض على الرياح الرابع تبصر فضاء قاصي المتسع فما كان منه في مهب الجنوب فأنيق مستظرف ينطلق النظر في براحه فيجوب بطيحة روبي ويطمح الى جبال بحيرة البرت فيستجليها عياناً على بعد قصي . والارض الى شرق وادلاي بعضها أشبه بغيضة واسعة الارحاء ذات غابات ملتفة يتخللها معابر ومسالك ومنافذ . واذا كنت من النهر على اربعة عشر كيلومتراً يتبدل طبقها فتكون فيه آناف حجرية متعالية في بطونها سواجن اي اخوار بعيدة الغور محشوكة بمشابك الجنب وملتفها . وللبر هناك مساحة ممتدة في مسافة بعيدة شرقاً وترى الارض على جانب النهر الغربي المتاخم للمستعمرة يغلب عليها الاستواء فهي سهل مديد تغشاها الادغال وفي الامد الاقصى ترى سلسلة من الجبال تسد الافق وهي مستطال الجبال المحيطة ببجيرة البرت . وقبالة وادلاي يستضيئ النهر حتى تتقارب ضفتاه فتكون

(١) يقول فلكن ان منسوب وادلاي ستمائة وستة وستون متراً

(٢) ليس المعسكر هناك الا من رجال الشرطة

سمته في موضع فيه مائة وسبعة واربعين متراً لا غيرها فتتدافع مياهه في ذلك المضيق مارة بسرعة عظيمة ويكون هناك بعيد الغور^(١) فلقد سبرناه في مارس سنة ١٩٠٣ فرأيناه تسعة امتار وربما . اما جرفه الايمن فعال رفيع واما الايسر فمنحط يكون ارتفاعه عن اقصى الفيض متراً واحداً وصبرة فورته هناك على ما ورد في ارساد تلك السنة متراً واحداً . ومقدار تصرفه قبالة وادلاي على ما انتهى اليها من الاسبار التي بوشرت في الثاني والعشرين من مارس السنة المذكورة كان ستمائة وستة واربعين متراً مكعباً في الثانية واقصى متوسط الجرية متراً واحداً و ١١٤ مليمتراً في الثانية ومتوسط عامة القطاع ٨٩٤ مليمتراً في الثانية^(٢) . وهذا التصرف يعادل تصرف النيل يوم يكاد يكون في اقصى غيضه . هذا والى ما وراء محلة وادلاي يعود النهر فينفسح مستوسماً فوراً ويكون مسيله منحنين بعيدين يذهبان في سمت الشمال الشرقي ثم ينخرقان في صوب الشمال الغربي . وعلى الجانب الايمن سطر مسطور من الانجاد المستديرة وعلى الجانب الايسر بسائط من الارض رحبة . واذا استويت الى الكيلومتر السادس والستين ففي طريقك ذات اليسار مركز قيادة امين باشا وهناك آثار الاستحكامات لا تزال ظاهرة للعيان الى جنب الماء^(٣) . وفي النهر هناك جزيرة ضخمة طولها كيلومتر ونصف وفي اسفلها جزيرات شتى . والمستعليات ارضاً على الجانب الغربي في الكيلومتر التاسع والستين تحف بالماء لكنها على الجانب الشرقي متجانبه عنه بما يقرب من كيلومتر . وسعة مسيله في تلك

(١) هذه النقطة اضيق المواضع منه فيما بين بحيرة البرت ونيمولي

(٢) أما مقياس النيل فوقعه الجانب الشرقي عند الموردة وهو أفضل المقاييس المقامة الى اليوم جنوبي كندكرو وادقها ضبطاً فهو ناشب في بئر مبنية حيطانها بالقرميد أي الطوب الاحمر وفي ايام الفيض الاخير تبين لأولي الشأن ان لا بُد من تطويله وتمديدہ

(٣) قد احتل هذا المركز امم البلجيك من عهد قريب

القطعة تكون زهاء ثلاثمائة وسبعين متراً ومسافة عمقه تتمايل من بين خمسة الى ستة امتار وجريته شديدة لا تطاق فان أبعدت عن هذا الموضع مبحراً تراه يستعرض منفرشاً فيشق في بطيحة فسيحة فيأحة تستطيل في مدى كيلومترات شتى وهي غاصة بالقصب المديد كأنه فيها جزرٌ والبردي والغننج كلاهما فيها على كثرة . والنهر ينساب متمللاً من خلال تلك الجزر وربما تقلّصت سعته في مواضع دون مواضع فيتقلب عرضه بين ثلاثين واربعين متراً . واذا اخذت الى الشمال ترى هذه الجزر تتزايد حتى الكيلومتر الثمانين فيصير النهر بها خليطاً من مسایل تأوهات بين مقاصب سامقة الابدان^(١) بينا ان المستمليات على الجانبين تتقاصى عن النهر فيستطيل البردي على التوالي . وعند الكيلومتر الثاني والثمانين ترى في مكان واحد فقط جرفاً ارتفاعه سبعة امتار يحفّ بساحل البطيحة في مدى غير بعيد من الشرق وفي البسائط الى ما وراء ذلك الجرف معمورٌ من الارض كثير الضياع والقرى فيه شجر النخيل على كثرة وكان مرة موقع محلة بورا المصرية . والارض على الجانب الشرقي تعلو في مدرّجين ربما كانت سمة الدرجة القربى منه بقدر خمسة أو ستة كيلومترات . ومن بعده تكون الدرجة الاخرى وهي أعلى من الاولى بكثير قل هي عالية سمكها قائم عمودياً^(٢) . ولما خرجنا الى الكيلومتر السابع والثمانين رأينا سطرّاً من الروابي خليطة الشكل والخلقة تصفّ مع العلاية الشرقية مسايرة لها في مدى عن النهر قريب خمسة كيلومترات^(٣) وبعد ذلك

(١) قال فلكنّ وهناك رأيت للنهر في عام ١٨٧٨ مساكات تحوش ماءه وقد فرّزت عنه مساكاته في عام ١٨٧٩ وربما كان المساك ميالاً الى تلك النقطة

(٢) اذا تبينّت هذه العلاية ناظراً اليها من النيل أبصرتها وأنت تحسبها سطرّاً من روابٍ منحطة

(٣) اطلق امين باشا على هذه الروابي اسم روابي جيقي

بسته كيلومترات هبوطاً ترى تلك الروابي تتداني من النيل حتى تكون منه على مرمى النفي متر وهي أكثر ارتفاعاً واشد تكسيراً في خلقها وصحيف الأرض يهب من شفير الماء صُعداً حتى يزاحم الروابي ويكون أديمه غاصاً بالجُنب والادغال وأما الجانب الأيسر فأديمه مهبط في سهولة واستواء . وأما البطيخة فتكون عند الكيلومتر المائة والثامن خمسة كيلومترات سعة والنهر في تلك النقطة أكثر انكشافاً وتبيناً وأقل جزراً لكن طباق الماء عالق به نبات النيلوفر ذاهباً فيه من جميع المهاب كأنه دُرَج منشور اخضرت الوانه والماء فيه ضحل رُقارق لا يتجاوز بعد غزره اينما سبرته مترين ونصفاً في معظم غوره وأما دركة على جانبه فقريب جداً . وإذا وقعت الى الكيلومتر المائة والسادس عشر على الجانب الشرقي كنت في ابوكرار وهناك هضبات جيّفي وهي هضبات كثرت معاطفها وثناياها ووفرت قللها وقنانها وفاضت جوانبها بالاخوار البعيدة الاغوار . وهي معمورة بالادغال والفضاء المندرج فيما بينها والنيل (وسعته كيلومتر ونصف) حاشك من ملك الانجم والجُنب . وإذا زائلت معسكر ابوكرار شمالاً وكنت منه على ثمانمائة متر هناك ترى جدولاً طالبا للنيل مترامياً اليه من الهضاب الشرقية وهو يسير في خور بعيد القرار يشق في المهاد المتداخلة . والخور سعته مائة وعشرون متراً وعمقه يختلف بين خمسة عشر وستة عشر متراً وشفته قائمتان عموديتين ويمر الجدول متمللاً في ذلك الاخدود ويحدث من مائه في سيره بُرك وترائك تحيق بها غياض وأدغال . وتكون سعته في ايام الجفاف حوالي خمسة امتار ولكنه في ايام الطفاف والجُمَام ربما كان سيلاً زاعباً جُرافاً وعامة شجرها السَّطُّ وشجرة تكثر في مقاطعتي أنيورو وتورو ومن اعمال اغندا وهي ليست بمديدة الساق الى حد الافراط لكن جذعها كثير التعمُّج ورقها زاهي الخضرة اشبه بورق

التفاح وفي ضاحية المشجرة متفرقات من شجر البَوَّاب^(١) ونخيل الدلب على قلة وتداوم الارض على مناظرها ومشاهدها في مدى كيلومترات عديدة الى ما وراء ابو كرار . وأما البطيحة فقياس سمته ثلاثه كيلومترات وقياس غورها يختلف من بين ثلاثة الى اربعة امتار وجريه مائها خفيفة ضعيفة وفي مواضع دون أخرى ترى المرتفعات تتداني منه تعاقباً على الجانبين ثم تهاجره متباعدة عنه واخضرار المياه الذي غاب في بطيحة روبي تراه قد تقمص الى هذه البطيحة ويظل فيها حتى نيمولي . وطير الماء هناك نادر وفرس الماء^(٢) يوجد على قلة وربما لاقيت جماعات الفيل ترد الماء وتغتسل في الرقارق . وعند الكيلومتر المائة والسابع والثلاثين نهر يعرف بنهر جُكَّا يصب من مهب الشرق وهو ليس من الاهمية في شيء^(٣) وهناك تكون هضبات جيحي من النهر على خمسة كيلومترات شرقاً وعند الكيلومتر المائة والاربعين تنفسح البطيحة عريضاً فيكون منها منفرش يتم تبلغ سعته نحواً من ستة كيلومترات وحيال تلك النقطة هضبة منفردة تحوق بالجانب الايمن متباعدة عنه بقدر كيلومترين . واما منقطع هضاب جيحي فرأس مستطيل متحدر يمتد في سمت الشمال الشرقي بعض المسافة . وتمتد البطيحة بطولها حتى الكيلومتر المائة والثمانية والخمسين وهناك منقطعها^(٤) . وفي طول تلك المسافة يتقلب عرضة بين ثلاثة الى خمسة كيلومترات وفي موقع واحد بلغ ستة والسواد الاعظم

(١) شجرة قيل انها اضخم الاشجار المعروفة تذهب علواً في السماء الى نحو سبعين او ثمانين قدماً ومفترشها مضاعف طولها ولها ثمر كالقرع يُعرف عند اناسي تلك الانحاء بالآباش أي طعام القروء (المعرب)

(٢) هو حيوان قال المسافرون انه يوجد على كثرة في أعالي النيل وهو يصيب ركب القوارب منه اذى وأما اليوم فلا يكاد يُرى في تلك القطعة من النهر

(٣) قيل له ذلك تسميةً باسم احد رؤوس تلك الامم

(٤) اذاً تكون مسافة طولها جميعاً تسعة وسبعين كيلومتراً

من مجراه غاص بالاعشاب ونبات البردي وبقية مواضع عاطلة منها . والنهر
يهم منسأباً في تلك البطيحة وله سعة تتراوح من بين اربعين الى مائتي
متر . ومتى بارح البحيرة عند الكيلومتر المائة والثمانية والستين يزيد غوره
فيختلف بين خمسة وستة امتار لكن جريته تكون هناك في غاية من
الاعتدال وأما ساحله على جنبه فنحط لكنه متى كان عنه نحواً من كيلومتر
أو كيلومترين لا يلبث ان يتعالى ويكون منه على الجانب الشرقي هضبة حجرية
وعلى قدر مئة البصر من تلك البقعة يبدو للعين ما كان من جبال كوكو يتداني
من النهر على مقربة من دوفيه . ولما اقبلنا على منتهى البطيحة الكبرى اذا
برأس مستطيل اولسان من الارض يلج النهر من الجهة الغربية أي من جانبه
الذي على المستعمرة البلجية ويختلف متوسط عرضه بين كيلومترين وثلاثة
كيلومترات ويتساعى علواً فوق الماء بقدر عشرة امتار وعلى جانبه سباح
واسعة الاقطار وهو مزدحم بالغابات والادغال . وهناك آثار اختطاط السكة
الحديد البلجية في شكل قَدَدٍ تشق في تلك الغابات^(١) ويكون في جانب النهر
الشرقي وعلى كيلومتر أو كيلومتر ونصف عنه رواب حجرية تمر معه على
موازاته . ثم ان ماء النهر في تلك البقعة ولو أنه غير خضر خضرته فيما فوقها
جنوباً لكن المواد النباتية متراكمة فيه على كثرة ولونه كدُرٍ نكدٍ اشبه بماء
الرزان والمناقع وهو لا تجاوز سعة مسيله مائتين وعشرين متراً لكن حاشيته
كلتيها منافع تذهب بعيداً . واذا طالعت صحيف مائه في وضح الاسحار
قبيل تدرج عليه الريح فتغضنه فهو مرآة فتانة تمثل لمينيك غمام السماء وسوايح

(١) اطلق المأمورون المعسكرون هناك في اثناء رحلة النيل على تلك الناحية
اسم محلة البعوض ولا غرو فان البعوض في تلك البقعة يجوز الحد في الكثرة وهو دويبة
سامة مؤذية هناك اشد ايداء منه في سائر مواقع النيل . ولا يخرج من ذلك بلاد
المساكن والسدود

الطير في الهواء أيما تمثيل حتى اذا كنت من السفينة في مَرْنَحَتِهَا (أي قُدَامَتِهَا) وحدّقت الى الماء فلا تخالك الا رايًا في غور منه بعيد غمامًا وطيرًا بالذات . وماء النهر هناك عميق الى الغاية وهو مخططٌ بخطوط زيتية المرأى عجيبه الشكل . هذا واذا كنت من محلة البعوض على خمسة كيلومترات شمالاً ترى سعة النهر تتزايد وفيه جزرٌ قليلة متراكمة الاعشاب والطير فيها على اشكاله وضروبه وافر ولا سيما منها الإوز وغراب الماء واللقلاق^(١) . وعند الكيلومتر المائة والثامن والستين تكون جبال كوكو على نحو خمسة كيلومترات في المغرب والمسافر يمرُّ ببلدتين يقال لهما تَكَارُولِي وهما قائمتان على طُنْفٍ (شُرْفَةٍ) في جهة الشرق وهناك يكون النهر منبسطاً عريضاً سعة بين خمسمائة وستمائة متر وغور قاعه بين خمسة وستة امتار وليس له الا ما قلّ من المناقع بالنسبة الى المواضع الاخرى وهو ينساب في مسيل ضاحٍ ذي تعاريج وملاوٍ بعيدة المسافة والبر على الجانبين مرتفعاتٌ شجيرة . ولما جئنا الى الكيلومتر المائة والسبعين اذا برأس ينذر من الجبال الشرقية فيتدلى حتى يلحق بضفير النهر وهو رأس حجرٍ في الغاية ويمتاز بهتتين من الفرانيت ناشزتين عن بدنه وتكونان على مرأى المسافر في مجال بعيد . ويكون منها على هذه الصورة معلّمٌ للبر في تلك الانحاء ومن هذين النشازين اوغلها في الجنوب يلامس حرف الماء تَوًّا جانباً هويّان عموديان وقلته تكاد تكون مستديرة ارضها دغلة قليلاً والنشاز يعلو عن ماء النهر بقدر خمسة وعشرين متراً^(٢) . ثم سرنا في سمت الشمال خمسة كيلومترات فاذا بالهنة الاخرى قد غابت .

(١) كنيته ابو حُدَيْج وربما قالوا اللَغْنُغ . وهو يأكل الحيات ويوصف بالفطنة (المغرب)

(٢) ذلك يطابق وصف فلكن للصخر هناك اذ سمّاه « اربعة عشر » اشارة الى اربعة عشر اميراً هناك كانوا يؤدون الجزية والارض اليوم خراب يباب

وما يقال فيها أنها أسطح من الهنة الاولى وأحط فان سمكها اي ارتفاعها لا يجاوز خمسة عشر أو ستة عشر متراً . واذا سرتحت النظر في الارض في إدارة النهر اي في وجهة سيره فلك منها مناظر ومشاهد غريبة معجبة . تكون جبال كوكو ومستعليات الجرف الشرقي للنهر مجالاً ينساح فيه في خط مستقيم الى امدٍ بعيد فيخال ان سلسلة تلك الجبال تعترض سيره . اما هيئتها فمجبَّ عجاب ففيها قنات تتعالى عليها واما ارتفاعها فيختلف من بين خمسمائة الى ألف متر وأعلى جبال السلسلة يقدر ارتفاعها عن سطح البحر المالح بألف وسبعمائة متر وجوانبها الشرقية هويّة تشق أديمها السواجن (الاخوار) وارضها متفرقة الادغال^(١) . وعند الكيلو متر المائة والخامس والسبعين يقل عرض النهر فجأة فيصير الى مائتين وخمسين متراً غير ان المناقع والآجام تكون على جانبيه ممتدة الى امدٍ قصيٍّ وهناك على ضفيره الغربي هضبة منفردة حبرها الجرانيت أو صلد الصخر يبلغ ارتفاعها عشرين متراً وهي تحف بحرف الماء وتحيط بها المناقع من ثلاث جهات أما صخرها فمشقق وفي صدوعه وثنايا فجواته بعض الاشجار والادغال . وعلى ضفيره الايمن صخرة فردة يدل قيامها على هذه

(١) يكاد يكون مستحيلاً ان يجعل لهذه الجبال العظيمة اسم فردٌ يطلق على جملتها فليس في الخرائط المتداولة اليوم شيء من ذلك وقد وضع السيارون أسامي مختلفة باختلاف المواقع في وادي النيل . ويتعذر ايضاً ان يُعين اسم لشوامخ القنن في تلك الجبال . وقد سمى أمين باشا تلك الجبال تَكَرَّاراً جبال كوكو . ولما كانت بلاد كوكو واقعةً في ظاهرها وعلى مقربةٍ منها في مسافة كبرى من أرض البلاد كان لا بُدَّ لنا من اتقاء هذا المنحى في كتابنا هذا عند ايرادنا صفات تلك الجبال وخصالها . والامر الذي لا ريب فيه ان مسألة المسميات بأجمعها في تلك الاقطار مسألة حيرت الاخباريين واسماء الجبال والهضاب والانهر ايضاً تختلف اختلافاً كلياً باختلاف الاماكن والمواقع وأما القرى فتسمى باسماء مشايخها فاذا قضى الشيخ انحلوا لها اسم خلفه

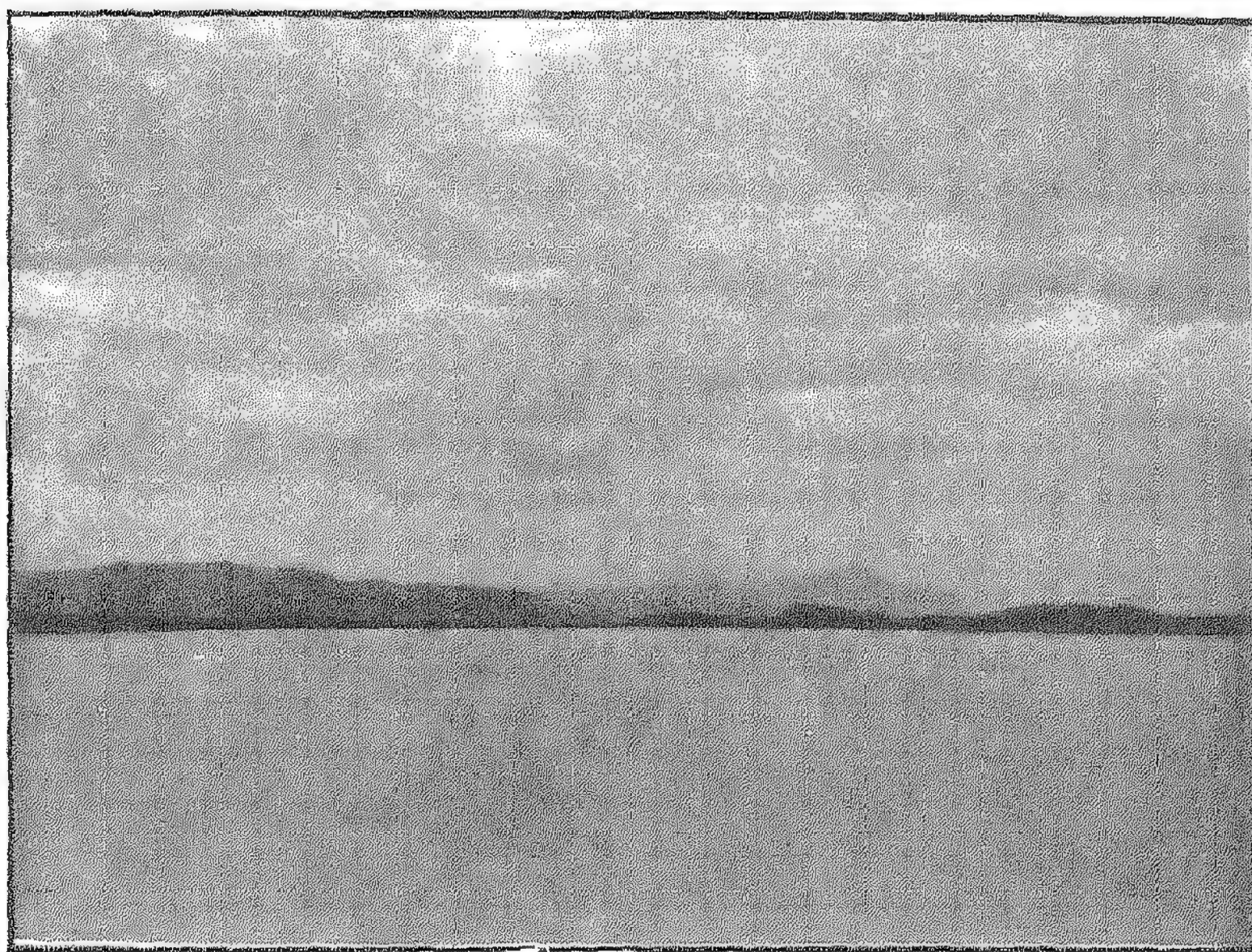
الصورة على ان الاجوال^(١) ممتدة في قاعه الى الجانب الآخر وبعد ذلك بسبعين متراً شمالاً نأتى من الصخر ثالثٌ يدل على دنوّ الجنادل وهناك ترى على تلك الصخور معالم الفيض بيّنة تشير الى انّ جماعته يصير الى تسعة واربعين سنتيمتراً علوّاً عن سطح الماء^(٢). ثم بارحنا تلك النقطة وكنا عنها على عدة كيلومترات وهناك اجمة بطحاء تنفسح الى يسار النهر. والارض عن يمينه تكون بقدر ثلاثة امتار ونصف ارتفاعاً عن سطح الماء وهي سهلة عشبية تمتد مسافة ثلاثة كيلومترات فتاحق بالشعاب الحجرية . هذا ويتضايق مسيل النهر عند الكيلومتر المائة والخامس والثمانين حتى تصير سعته الى مائة وستين متراً وهناك على جانبه الايمن تقوم في الارض كتلة حجرية لها طول . ويكون غور الماء في تلك النقطة زهاء سبعة امتار ولا تكاد تبعد جبال كوكو عنه كيلومتراً ونصفاً . ويعرف معظم هذه الجبال على ما ورد في الخرائط الجغرافية بجبل أُنْزَه^(٣) وهو يشرف على منظره البر عامتها وتجاوز قنته الكبرى وجهة من قنانه الاخرى سائر الجبال سموّاً وارتفاعاً . وترى حيال هذه الجبال الغربية الخلق سطرّاً من الروابي يكون بينها وبين تلك الجبال وادٍ أو مضيق بعيد القاع وهي تحف بالنهر وعدوتها هوية هرمية الشكل غير ان قمتها او ذروتها مدوّرة وتعرف بجبل أَلِنْجَا ويكون ارتفاعها عن سطح الماء قرابة اربعمائة متر والنهر يشق في لحفها مستديراً بها في مسافة تكون من بين خمسة عشر الى عشرين كيلومتراً^(٤). وفي عامة هذه الشقة تكون منطقة المناقع متضايقة والارض

(١) الاجوال جمع جُول وهو الصخرة تكون في أسفل الماء (المعرب)

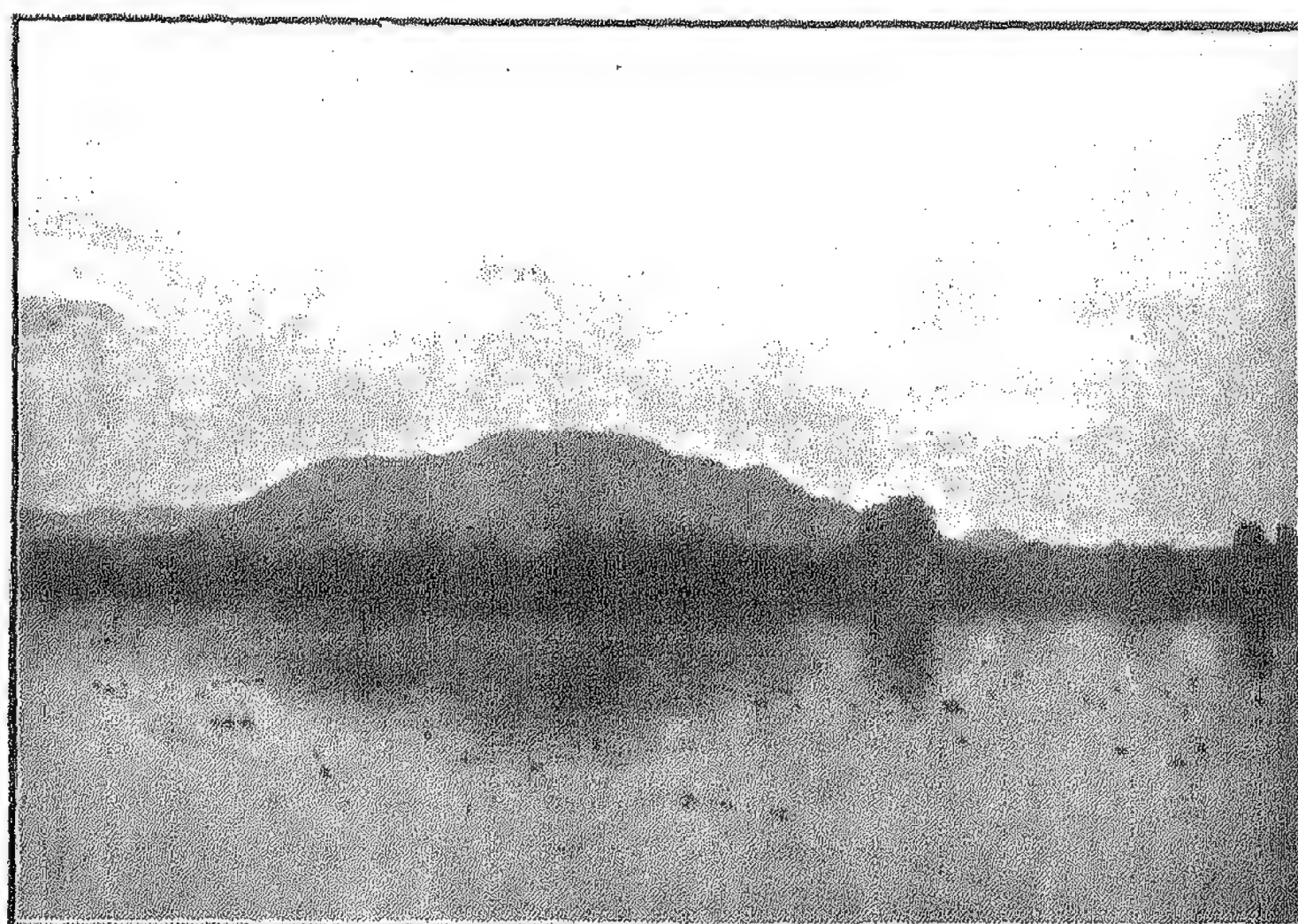
(٢) في سنة ١٩٠٣ تجاوزت المياه حدّ هذا الجمام شيئاً يُذكر وقد اكتُشف في شهر مارس عقيب سنوات متواليات كانت فيوضها مُقيّلة

(٣) يبلغ ارتفاع هذا الجبل عن النهر زهاء ثمانمائة متر

(٤) قال فلكن في كتابه « أغندا والسودان المصري » هذه الجبال سلسلتان



بحر الجبل من جنوبى دوفيله



الحلة البجية على بحر الجبل

الحافة بالنهر من كلا شفتيه مرتفعة ناهضة وهي على الجانب الغربي تكون في تصاعد من حافة الماء حتى تماسّ سفح الجبل وعلى الجانب الشرقي يكون تصاعدها في دركاتٍ مطنّفاتٍ طنوفاً حجرية الى ان تتصل بالجبل الآخذ من الشمال الى الجنوب وتكون عن النهر على ثلاثة كيلومترات وسمتُهُ هناك من بين مائتين الى خمسمائة متر وتصير جريته أشدّ منها في الجهات الجنوبية . وعلى مائتين وتسعة كيلومترات عن ماجنحو هناك المحلة البلجية على المنكب الغربي يُظلمها جبل أَلِنَجَا وهو هناك كأنه قلة فردة قائمة فوق رأس العلاية المحيطة بتلك النقطة^(١) والمحلة تقع على النهر . والارض الى ما وراءها تشخص بتصعيدٍ حادٍ لحدٍ لحف الجبل . اما دوفلاي فمرضها ثلاث درجات واربع وثلاثون دقيقة وخمس وثلاثون ثانية شمالاً وطولها اثنتان وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة شرقاً^(٢) وهي عبارة عن مجموع منازل مغمّاة ومسورةٍ بسياج منيع . اما الاستحكامات المحيطة بالمستطيل من ثلاث جهات فهي جُرُفٌ من تراب ارتفاعه نحو مترين ونصف في مقدمتها خندق سعة ما بين جنبيه خمسة امتار وله بُعدٌ قرارٍ قدره اربعة امتار وجهازه الدفاعي مدافع كُرب . والنهر هناك ضاحٍ مكشوف غير حصين وفي منتصف السور صبرة من شجر التين لها تاريخ فيه ذكرى امين باشا وجنده . ولقد كان حكام البلاد الاستوائية على

تمرّان متوازيتين من جبال نِيَمْبَارِي وشرق لادو وتفضي بالقرب من دوفلاي . وقد اكثر الاسماء لما كان منها حافاً بالنهر فقال جبل نيفو للجبل الذي عند كيرو وجبل نيري للذي عند موجي وجبل كوكو للذي عند دوفلاي

(١) ان السلسلة الكبرى التي منها جبل أَلِنَجَا في الطرف الجنوبي الشرقي منها مذهبها الشمال الغربي وتشاهد ايضاً من النيل شمالي جنادل فولا . اما خطة النهر عند دوفلاي فشمالية شرقية

(٢) ورد في كتاب امين باشا ان ارتفاع دوفلاي عن البحر الملح ستمائة

وعشرة امتار

التوالي يقعدون في وارف ظلها للقضاء والتعامل . وخارج السور سهل الى الشمال
عنه فيه مضارب الجنود الاهلية وجدور الارض من خلفه محشوك بصغير
الشجر وفيه شتات نخيل الدلب . اقول والمحلة بقعة مكربة ولا اخالها في ايام
الامطار الا جحياً للفرنج . روى الراون عنها انها مستوخم وبيل لا تطيقه
الابدان . وقيل انها تتفاقم فيها الحمى الاجمية السوداء وحيالها نهر يعرف بنهر
أبوجي يرمي الى النيل مخرجة من الجانب الشمالي لهضاب لاموجي حيث
العرض الشمالي درجتان واربعون دقيقة ومقدار مسافته تقرب من ستين
كيلومتراً ومصبه يفيض في تضاعيف سبخة من البردي وفي هذه البقعة
نبات المنبج مفرط الطول مسطور على جانبي النيل تراه اشبه شيء بسطور
الحوز والنهر في ما اندرج من الارض بين المحلة ونيمولي يكون متوسط سعته
مائتين وعشرين متراً ويتراوح بعد غوره من بين ثلاثة امتار ونصف الى
اربعة امتار . اما سيلته هناك فشديدة للغاية وسطح مائه مفترش بكراديس
من اشنان البستيا أسترتيوتس^(١) . والى غربي النهر عالية مرتفعة حجرية
والى غربه بسيط من الارض كثير الشجر بعيد المدى واذا استويت الى
الكيلومتر المائتين والسادس عشر فأنت في موردة بيمولي . والى ما وراءها توأ
ينحرف النهر انحرافاً حاداً فيميل في سمت الشمال الغربي ويكون من انحرافه
على هذه الصورة زاوية خمس وسبعين درجة . وفي تلك البقعة مبدأ جنادل
بحر الجبل وتشاهد التضاريس الاولى لهذه الجنادل تحت الموردة على
مائي متر منها ومن فوقها ينجلب الى النيل نهر أنيامي من جانبه الشرقي وهو
كنهر أبوجي ينشأ من عالية فاتيكا في صتب هضاب لامنجي ومنحدرها
وهو اعظم الانهار مقداراً في ذلك الصقع فهو في إبان مدّه ماؤه غزير جيم

(١) ان نهرى أبوجي وأنيامي يتوازيان في الجرية مسافة تختلف بين خمسة عشر
وعشرين كيلومتراً

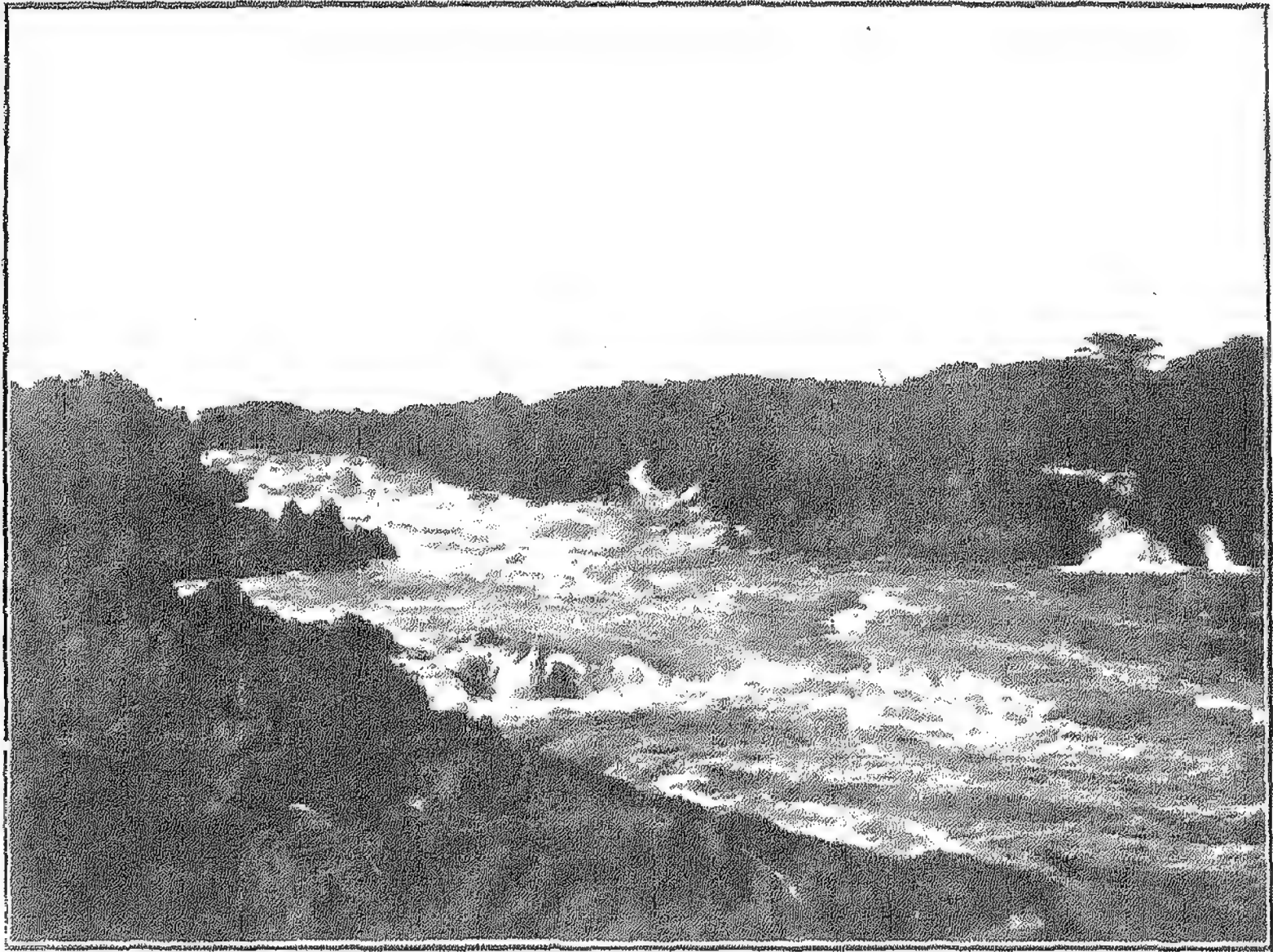
اما سعة مجراد عند نقطة ملتقاه بالنيل فعشرون متراً وبعيد قاعه مترٌ وربعٌ وهو ينضب ماؤه فينحسر كثيراً حتى يكون جرمه قليلاً لكنه في ابان السيل يتمجّل في مدّه فيطنى . ومعلم الفيض في نيمولي يشير الى ان جمام فورة الماء في شهر مارس ١٩٠٣ كانت أعلى من المنسوب بقدر خمسة وسبعين سنتيمتراً^(١) . قلتُ ومحلة نيمولي (قاعدة اقليم النيل) واقعة على الساحل الشرقي يقيم بها وكيل ادارة وقائد الجيش . اما النقطة العسكرية فعلى نجدٍ من الارض يبلغ ارتفاعه زهاء سبعين متراً وهو من ضفير النهر على ثمانمائة متر والى ما ورائه في سمت الشمال الشرقي سطر من الهضاب الحجرية تعرف عند اسم تلك الاقطار بجبل أرجو^(٢) تذهب على موازاة النيل الى ان تندغم بجبل أسوى . والمحلة العسكرية تكون على العلاية التي بجانب النيل وفيها منزل القائد وديوانه وفيها ايضاً رُدحة الاستعراض وفي اسفل الجبل مقرُّ الضباط الأخر . اما المحلة الملكية ففي السهلة وهي واقعة في سمت الجنوب الشرقي تكون عن المحلة العسكرية على نحو كيلومترين ونصف وبينهما مجرى أصابه النَّشَف^(٣) . وتربة نيمولي حجرية للغاية عادمة النبات وربما رأيت في الارض شجراتٍ قلائل الا في الاصقاع الجنوبية والجنوبية الشرقية . وعامة البرّ بسيطٌ مستوي الاديم رفيع المضجع فيه أنشاز متفرقات في بعض

(١) هذا المنسوب منخفض للغاية كسائر المناسيب المرصودة في النيل في مبدأ سنة ١٩٠٣ ولو اتخذنا منسوب الفيض في شهر اكتوبر من تلك السنة عند ودلاي وكُنْدَكرو قياساً لكان معظم الفورة عند نيمولي متراً واحداً

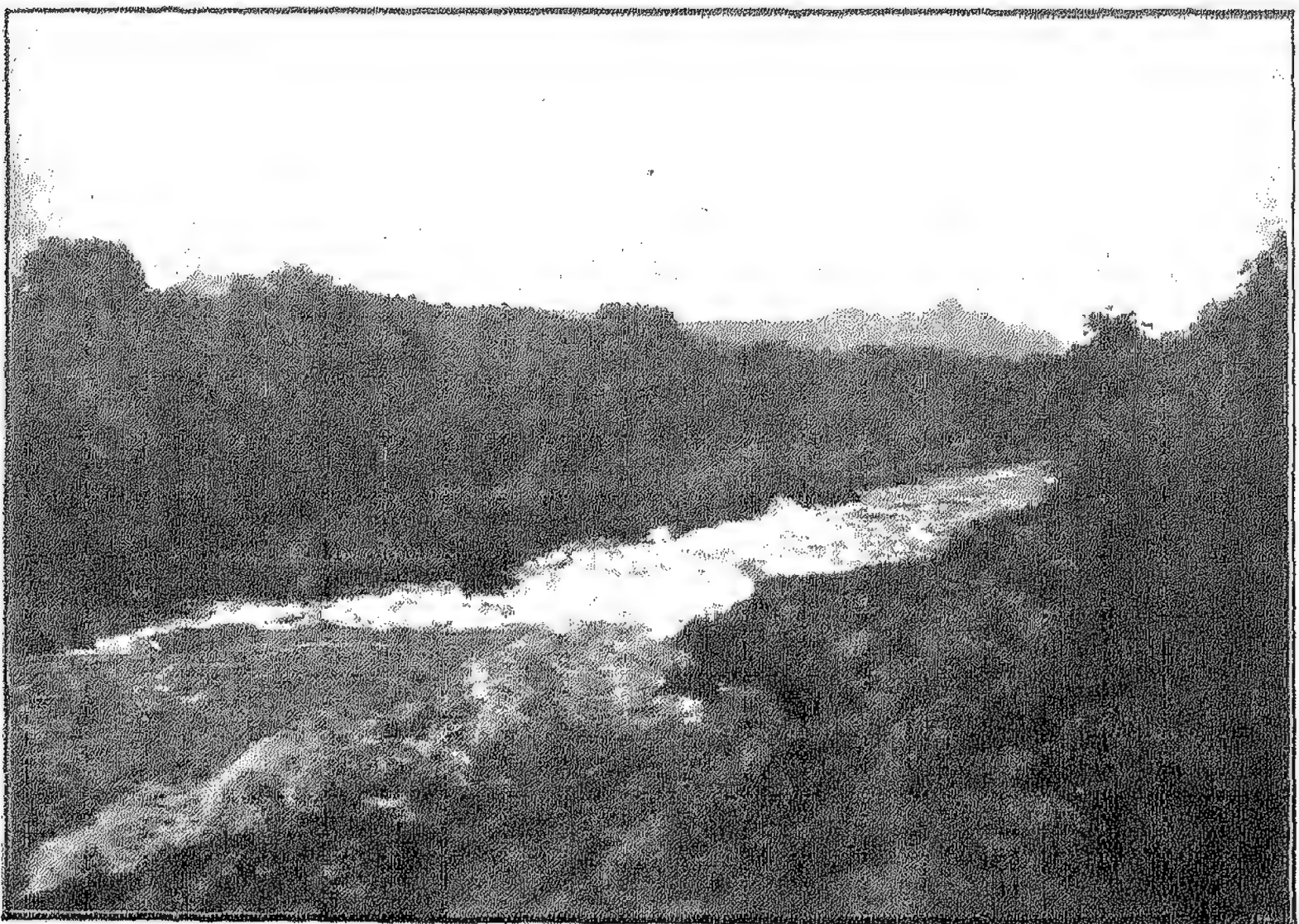
(٢) راجع كتاب فلكن

(٣) لا ادري كيف تأتى ان يقام الديوان الملكي بعيداً عن ديوان الحربية غير ناهضٍ عن النهر الا قليلاً فان مباني الحربية مقامة على مرتفع من الارض وهي صحيحة المصارف بخلاف المباني الملكية مع ان في ظهر العلاية براحا واسعاً يكفي لاقامة مباني الديوانين معاً

مسافة عن النهر والمحلة مستوخمة الاقليم ولو انها مشرفة ومصارف قاذوراتها
سديدة والهواء في عامة السنة قيظ شديد الحرارة والمواصف هناك
كثيرة الوقوع وعند المحلة ينساب النهر بين جناحين شاهقين في جنادل
متوالية وصالاً ويكون انفساح الوادي في تلك الجهة نحواً من الف متر
وارتفاع الملاية على كلا الجانبين من خمسين الى سبعين متراً عن سطح
الماء وعلى الساحل الايمن (اي الشرقي) دركٌ سعة بقدر الف ومائتي
متر ينهض من ضفة وادي النهر سائراً الى لحف جبل ارجو وهناك
يكون ارتفاع الجبل زهاء مائة وثلاثين متراً وهو جبل مستدير القمة
أجرد خلقته حجرية والى ما وراء نيمولي على كيلومترين عنها شمالاً مجرى
ناشف سعة اربعة امتار وغورهُ متران ونصف وهو يقطع الملاية من
الهضاب الشرقية . ومطرح النهر هناك مضرّس كثير الرضراض يتفرّق
ماؤه فتكون منه شعاب كثيرة والجزرُ غاصة بالقصب والبردي . وعند
الكيلومتر المائتين والواحد والعشرين تحف الروابي بالجانب الايمن حتى
يوشك انفها المستدير ان يماس الماء وسعة النهر هناك مائتا متر وفي مسيله
احجار مضرّسة وشعاب . وهناك تتقارب جبال كوكو من النهر فوق دوفلاي
جنوباً وتسير في عامتها على موازاته وهي عن حافته الغربية على خمسة
كيلومترات واما ما اندرج من الارض بينهما فرتفعات متكسرة غوراً بنجد .
وعند الكيلومتر المائتين والثالث والعشرين مبدأ جنادل فولا وقيل هذه
الجنادل جنوباً ينفسح النهر عريضاً حتى تكون سعة مسيله اربعمائة متر
تعترض فيه صخور ناتئة مكسوّة اديمها بنبات البردي وبعد ذلك تكون فيه
خزيرة ضخمة تقسم مجاري الجنادل بمجريين عظيمين . اما هذه الجنادل
فعارض هائل يحول دون جرية النيل في عامة ما وقع منه بين بحيرة البرت
والخرطوم ولا اظن في الشلالات الواقعة بين شبلوكا واصوان ما يضارع هذه



شلال فولا في بحر الجبل من امامه



شلال فولا في بحر الجبل من خلفه

المياه قوةً وحولاً. وماء النهر يجتاز معظمه في الشعب الايمن وهو الشرقي ولا
عبرة بما يجتاز من المياه في الشعب الذي في ميسرة الجزيرة الوسطى^(١).
والمنظرة من الصخور التي على الجانب الايمن منظر مدهشة للغاية والجنادل
تكون في العدو الجنوبية للجزيرة ولها مسقطان او اكثر يختلف هوي
الواحد منها من بين خمسة الى ستة امتار وجمهور سمته زهاء ستين متراً وهذه
المساقط تحدث في وجه الماء تمزيقاً ينشأ عنه صفائح من الزبد والفوارة ولا
ترى لها تلاطماً وعراكاً بيناً الا متى تحولت عنها . وبعد تلك المساقط
ينساب النهر بمضيقٍ بانحدارٍ شديد فيكون بين جناحين حجريين قائمي
السمك وهذا الانحدار اشبه بمزقة او هواره عظمى من الماء تبلغ مساقطها
مائة متر فهو يجيش ماراً في ذلك المضيق ويكون ماؤه طبقة اخضر بلورياً
هائل الجرية اما سعة هذا المضيق فلا تجاوز ستة عشر متراً من بين حنبيه
وقد يكون في بعض المواقع منه اقل من ذلك ولا ادري مقدار غور الماء في
تلك النقطة . وفي اسفل المزقة يتراعى ماؤه في مهواة بعيدة القرار فيكون فيها
يماً راغياً مزبداً يكون زبده ابيض يققاً يستبان منه ما لفعله الماء من الشدة
متى فتكت بعوارض وعوائق كبيرة تعترض في مسيلها . اما طول المهواة
نخمسون متراً لا تجاوزها وعرضها لا يتعدى اثني عشر متراً . وعقيب ذلك يفسح
النهر مستمراً حتى تكون سمته زهاء ثلاثين متراً وربما زاد على ذلك وهو
يتساقط في صففٍ من الجنادل الى مدى بعيد اما المنظر الحادث عن ذلك
فليس له مثل بحيث لا يحيط به وصف ولا يتأتى للرسمين تهيئة اشكاله
وتبيين ألوانه ومحاسن ما حوا اليه من الخلقة . ويحف بالنهر من جانبيه قائم
من الصخر يكون ارتفاعه عن سطح مائه بقدر سبعة امتار وربما بلغ عشرة .

(١) هذه الجزيرة حجرية في الغاية وجروفها هوية مستفيضة اعشاباً وسمكها
اي ارتفاعها يبلغ نحواً من سبعة عشر متراً ومسافة طولها خمسمائة متر

أما الصخر فأملس أشبه بالرخام الأسود منضدد فصوصاً وأفلاذاً قائمة المبنى تدل على زعزعة طبقات الأرض وانخلاعها يوم دفعت به الطبيعة إلى صحيف الأرض وقد يكون الصخر في كثير من المواضع مغنى بالأعشاب ومتسقطات النبات مسترسلاً فيها كأنه غداثر شعر سبط يتكون من مجموعها طبق أشبه بخضر الأكسية القطيفية . وأما جنابات الجزيرة والنهر فمستفيضة بشجر السنط وإذا رأيت إلى سواد الصخر الحالك ومشكل أخضراز الأوراق مقروناً ببياض زبد المياه المتلاطمة يتطاير عنها في الجو سديم^(١) منتشر الذرات هناك بالحق مجتمع الاضداد ومتكامل التباين والتباعد . وفوق رأس ذلك كله قبة زرقاء وسما غاية في النقاء والصفاء . تزيد هذه المشاهد الناظر إليها إعجاباً بها . وعلى مدى بعيد من تلك النقطة شمالاً هناك مسنمات جبال كوكو وهي باحة بديمة لتلك المنظرة التي يحار العقل بخلقها . وإذا بُعدت عن المسقط الأدنى بقدر ثلاثمائة وخمسين متراً فهناك منتهى الجزيرة الوسطى . ومجرى النهر يلتحمان ويتمازجان ويكون مذهباً في بعض المسافة على استقامة في الجرية ويكون جرفاه مستفيضين أشجاراً ملتفة متراحة ومسيله بساط من الجنادل^(٢) . ثم إذا سرت نزولاً على ساحل النهر وانتهيت إلى الكيلومتر المائتين والخامس والعشرين رأيت هناك خوراً جافاً تبلغ سعته خمسة أمتار وبعد قاعه مترين يجلب من مهب الشرق وعلاية مستوية حجرية سمعتها ستمائة متر وهي تمر من ساحل النهر إلى الهضاب الشرقية . وعلى جانبه الغربي يكون جرفه حجرياً

(١) السديم الضباب الرقيق (المعرب)

(٢) لا يُعلم مقدار مسقط فولا بالضبط إذ يستحيل الدنو لحافة المجرى وليس قياس الماء هناك بالغرض المقصود على أنه يتبين بمرأى العين أن مقدار مزارق المسقط يكون بالتخمين بين عشرة إلى اثني عشر متراً مقسوماً بثلاث شعاب أو أكثر . أما معظم فورة الماء في ابان المد فتكون زهاء متر

ارتفاعه عن سطح مائه بقدر سبعين متراً ومنفرج الوادي في تلك النقطة لا
يجوز ثمانمائة متر من ضفة الى ضفة لكنه بعد ذلك بقليل ينحسر الى خمسمائة
متر وهناك يكون منفسح مسيله مائة متر وفيه مقادير من التضاريس والنوائى
الحجرية والشعاب وجرفاه كلاهما شامخ يتراوح ارتفاعه عن سطح الماء
بين ثمانين ومائة متر. ثم عندما تجى الكيلومتر المائتين والسادس والعشرين
هناك ينحط الجرفان وتغيب الجنادل فيسكن جاش المياه وتبطل غطفتها في
مدى ليس بالبعيد حتى مجيئك الكيلومتر المائتين والثامن والعشرين وهناك تعود
الجنادل فتبين ويصبح النهر طبقاً مترامى الماء حائره ويكون على جنبي مسيله
أي ساحله كثير من الاخوار بعيدة الاغوار وقد تكون سعة بعضها ثمانين
متراً وغورها سبعة عشر. والى ما وراء رأس الجنادل مضرب يعرف بمضرب
سبخا وهناك مسقط معجب يبلغ من لقه خمسة امتار وليس هو في عامته بمسقط
فردى. والى ما بعد هذا المسقط تقوم في مسيله رداة من الصخر وجزر دغلة
ملتفة النبات كثيرة القصب والى اسافل تلك القطعة يكون ارتفاع الجرف
الشرقي مائة متر والصعدة هناك تمتد في مدى ثمانمائة متر حتى تماس حضيض
هضاب ارجو التي يظل مذهبها هناك في عامته على موازاة جسم النهر
وهي عند الكيلومتر المائتين والتاسع والعشرين يندر منها حرف شامخ يترامى
متقارباً منه حتى يزاحم حفافيه. والطريق مسلكه في عرض ذلك الحرف.
واذا تسنمت قمته كان مد البصر في بر متسع الاقطار بعيد الامد. أما الجرف
الغربي فتوسط ارتفاعه عن سطح الماء يكون قرابة سبعين متراً ولا تكاد
جبال كوكو تبعد عنه بقدر خمسة كيلومترات. والى الشرق يتدرج في عيان
البصر سهل فسيح يرى من ورائه في غبش الافق الاقصى جبال اجورو^(١).

(١) ان هذه الجبال تقع في سلسلة لاموجا الذاهية من الشمال الى الجنوب
وهي يبلغ ارتفاعها عن سطح البحر الملح زهاء ثلاثة آلاف واربعمائة متر وهي عن بحر الجبل

قلنا في « عيان البصر » لان هذا السهل ليس في الواقع سهلاً بل ارضاً مرتفعة واسعة الاطراف متعادية السطح بين مرتفع منها ومنخفض مطبقة بالأدغال بتخللها اخوار فواصلها علايات منسوحة او مستديرة لكن الناظر اليها من علٍ لا يخالها في عامتها الا سهلاً مستوي السطح . والارض تربتها حجرية للغاية ولو انها مشجرة ملتفة الاشجار . اقول ويصادف الشاهد في تلك الانحاء قمماً منفردة يكون اقربهن من النهر على نحو عشرة كيلومترات . هذا واذا استويت الى الكيلومتر المائتين والواحد والثلاثين هناك مشاهد جبال كوكولها منظره شريفة ممجبة تبصرها العين سداً هائلاً يستدير بمنحدرات وادي النيل الغربية وهي غير نظيمة ووجه السماء في رؤوسها مضرّس تضريساً ناشئاً عما فيها من التعاريج والثنايا ومن قممها تتحدّر احقاؤها تحدراً حاداً في مسافة بضع مئات من الامتار وكذا تلازم تحدّرها الى ان تتصل بوادي النيل فتكون ميولها وعرة مرداء . وتري فيما وقع من الارض بين هذه الجبال والنيل سلسلة رواب منحطة يفصلها وادي فسيح الضفتين^(١) . فاذا ادبرت الطرف ذات اليمين شرقاً ترى اسفل عنك نهر أسوى يتجلى لك لأول مرة وهو هناك ينسل في مضيق سمكه من بين اربعين الى خمسين متراً وتراوح سعته فيما بين ثمانين الى مائة متر وهو مضيق غاص بالاشجار والنهر يخرقه سابحاً في ارض حجرة صخرية وهو في ايام الجفاف يكون مسيله صافاً من الغدران والبرك . واذا انفصلت عن تلك النقطة مما

شرقاً بقدر مائة متر وعرضها الجغرافي شمالاً اربع درجات والى شرقي هذه السلسلة خورا قوص وطووها خوران ضخمان يمران بطولهما في سمت الجبال ويفضيان الى السباخ التي بجانب محلة بور فيفيضان بها

(١) يطلق فلكن على تلك الودفات من سلسلة كوكو اسم جبل وادي لكوى ويقول ان ارتفاعها عن النهر نحو من ثمانمائة متر

تفتأ تحدّر في الحرف السابق ذكره فتكون هضاب أرجو حينئذٍ عن يسار الطريق أو بينه وبين النهر . ولا يزال الميل يزيد انهواءً حتى الكيلومتر المائتين والسابع والثلاثين وهناك نهر أسوى وهو في ذلك الموقع مخاضة تكون سمعتها ثمانية وخمسين متراً ولا يتجاوز عمقه في أية نقطة منه ستين سنتيمتراً^(١) . وقاعه اجلاف من الصخر كلها من ورديّ البازلت وعلى الجانب الايمن ترى طبقات الارض عمودية التنضيد كما هي عند جنادل فولا كثيرة الكسور وتدل معالم المدّ على ان فورة المياه تبلغ نحواً من متر وربع^(٢) عن سطح النهر في زمن اقصى غيضه . أما الجناح الايسر فشاخ كثير الشجر وهو مادة جبال^(٣) أرجو تنقطع عند مجمع نهر أسوى بالنيل في الكيلومتر المائتين والتاسع والثلاثين . أما الجناح الايمن فتصاعده خفيف ولا يزال على ذلك حتى يصير ارتفاعه الى خمسين متراً عن سطح الماء . واما سعة قطاع الفيض هناك فنحو ثمانين متراً وفساحته قريب مائة وثلاثة عشر متراً مربعاً . هذا ومدّ نهر أسوى بالقرب من مجمع النهرين ليس بالكثير لكنه في ايام فيضه يطفى ماؤه متدفقاً فيتعذر اجتيازه خوفاً والقوم يقيمون اليوم معبرة عند ذلك المجمع تسير على اسلاك . ولا ريب في ان من الضروري ان يكون للنهر في ذلك المكان معبر فانه متى كان في ايان مدّه تنقطع الصلة بين محلة نيمولي ومحلة كندكرو . وهو الممد الاكبر للنيل جنوبي كندكرو وتبلغ مسافة طوله جميعاً مائتين وسبعين كيلومتراً وهو ينشأ من جبال سوك حيث العرض الشمالي

(١) كثير من هذه الغدران والبرك يكون اقصى غوره أبعد من ذلك بكثير

(٢) كان مقدار ما ينصرف من مياه أسوى عند الخضاة في ٢٨ مارس سنة

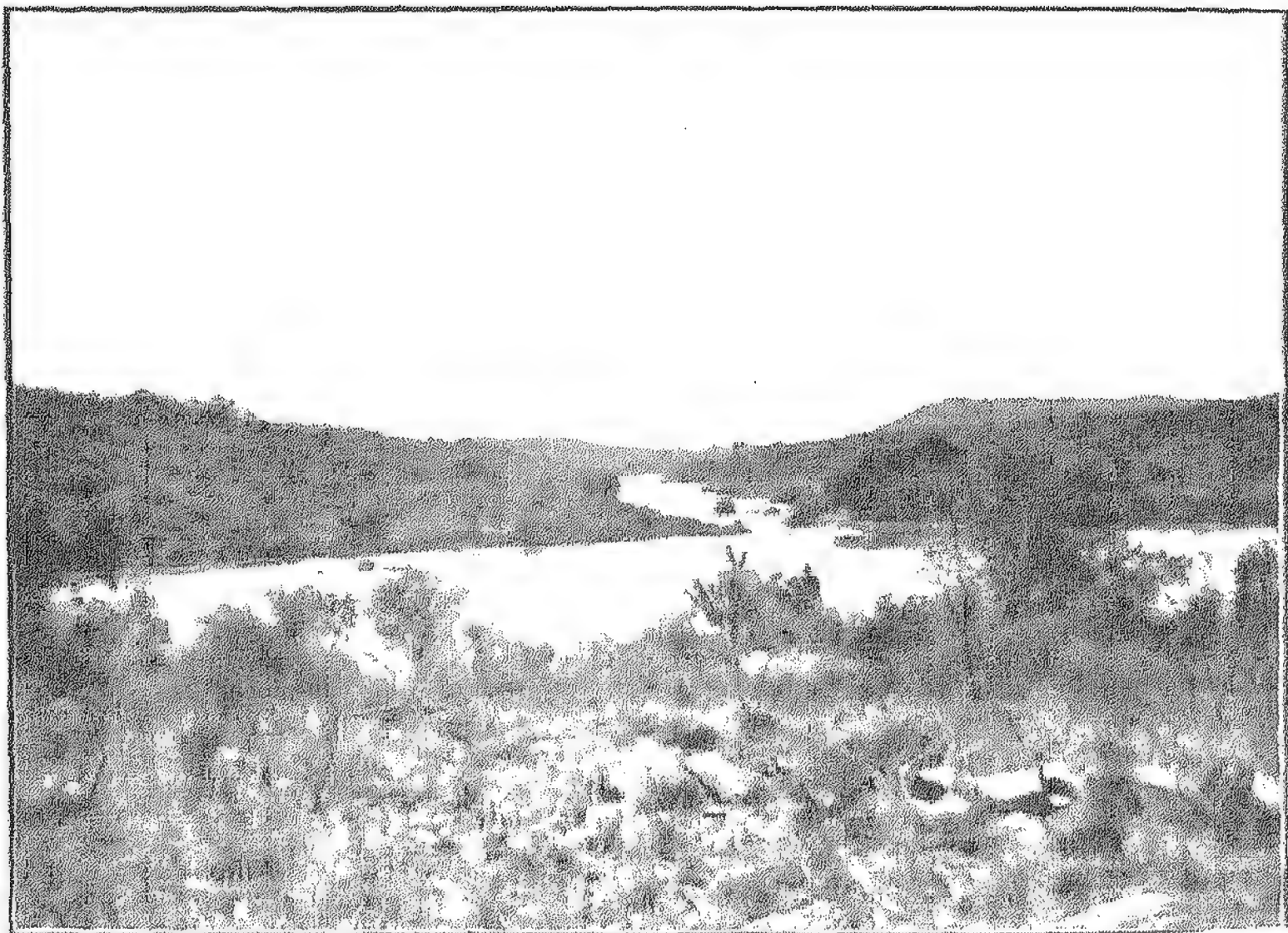
١٩٠٣ مترين مكعبين وثلاثة واربعين سنتيمتراً في الثانية والنهر يومئذٍ في اقصى غيضه وقد شهدنا تصرفاً طفيفاً بين الغدران الحاقنة في مسيله

(٣) زيادتها المتصلة (المعرب)

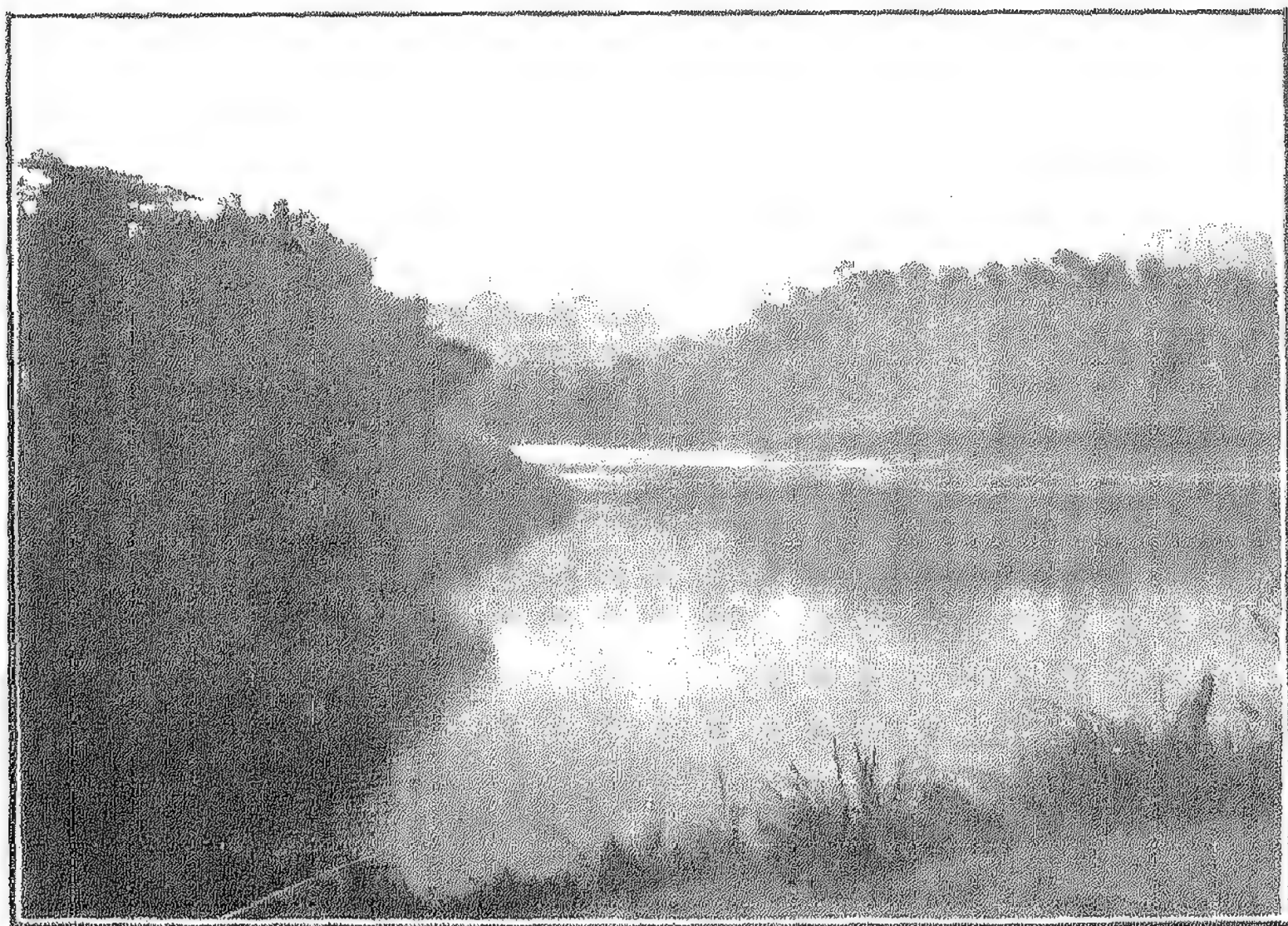
درجتان وعشرون دقيقة والجبال المذكورة فواصل بين مزقة سيول النيل وبحيرة رُودُلف^(١) وهو يجلب اليه مياه ارض واسعة يأخذ في طريقه مياه جداول روافد كثيرة من بينها جدول بجَر^(٢) وجدول عتّابي وهما عماد تلك الروافد والممدات وجريّة النهر مستديمة وهو ثقل سمته شيئاً زهيداً فلا يعتريه النّشف على الاطلاق وفي احيان مده يذهب فيه ماء غمر مفضياً الى النيل واما انحداره فشديد قيل ان مده عجيل اذ يصير الى خمسة امتار في بضع ساعات وسيله جُرّاف خلقة سريع الفتور كما هو سريع الفورة . قال امين باشا « وسعة هذا النهر في اعاليه اربعون متراً وجروفه مستعرضة رملية وفي مسيله دمايك الجرانيت وعلى مسافة خمسة وعشرين كيلومتراً فوق ملتقاه بالنيل يكون منفرجه تسعة وعشرين متراً وغور مائه متراً واحداً وجروفه سمكها مترين ونصفاً » . انتهى . قلت وفي جوار هذا الموضع عيون حارة ناشئة على جانبه الايسر تعرف بعيون اوديري وهي متنبّعة ايضاً من قاعه . وبعدها تجاوز هضبة حجرية منفردة على جانبه الايمن يقال لها جبل دنومي يلتقي بنهر عتّابي صاباً اليه من المشرق ويكون نقطة ملتقاهما عن مصبه في النيل بقدر ستة كيلومترات . اما نهر عتّابي فأصغر منه ولكنه مثله سريع الفورة وكثيراً ما يمدّ ثلاثة او اربعة امتار في برهة قصيرة وهو ينشأ في جبال لوموجا في العدوّة الجنوبية لسلسلة جبال لوبُلّ والعرض الشمالي هناك ثلاث درجات وخمس

(١) رسم اصحاب الخرائط الجغرافية هذا النهر كأنه يخرج من بحيرة تعرف ببخيرة كركبترك حيث العرض الشمالي درجتان وعشرون دقيقة والطول الشرقي اربع وثلاثون درجة لكن الموقع لم يعين قطعياً

(٢) اخذ فلكن عن امين باشا ان نهر بجَر تكون سمته بين سبعة عشر وعشرين متراً وجريته في مسيل حجريّ وله على شقيه حاجزان ارتفاعهما ثلاثة امتار وفورة فيضيه كانت في شهر مايو مترين فوق سطح الماء



بحر الجبل وبنادله عند سبكا



تلاقى نهر أسوا وبحر الجبل

عشرة دقيقة وطوله ينف على سبعين كيلومتراً ووجهة جريته عامتها في سمت الشرق والغرب^(١) وفي أيام الجفاف ينضب ماؤه لكن يتخلف في قاعه شيء كثير من البرك والتراثك . والى ما بعد التلاقي ينساب نهر أسوى في مضيق أسلفنا ذكره يكون هو وواديه ووادي عتاي غابة ملتفة الاشجار عامرة بالفيلة تجول في تلك الاقطار الواقعة بين النهرين على كلا جانبيهما . اقول والمنظرة عند ملتقى نهر اسوى بالنيل منظره تدهش الابصار . والنيل قبل التلاقي ينعطف في سمت الغرب وينحدر في مسقط هوي ثم ينحرف في وجهة شمالية شرقية مستبطحاً عريضاً غير مصادف في طريقه شيئاً من الصخر لكنه يكون في تلك القطعة كثير الدوامات والدورات حتى يلتقي بنهر أسوى على زاوية منفرجة ولا يكاد يفارق نقطة التلاقي حتى يعرج عن سيره فيأخذ الى الشمال وهي الوجهة التي تكون لنهر أسوى قبل تلك النقطة . والى الغرب عن النيل تكون قنن جبال كوكو باحة جليلة لطيفة لتلك الارض^(٢) ولما ادرجنا عن ذلك المكان شمالاً مسافة تكون عن نقطة التلاقي بقدر ثلاثمائة متر أقبلنا على خور يتجاوز سمكه عشرين متراً وسعة فجوته تتراوح بين ثلاثين الى اربعين متراً صاباً من الجروف الشرقية شكله اشبه بعلامة العدد السابع من الارقام الهندية وهي غاصة بالاشجار ولا اخالها الا ذات سيول وصبابات في زمن الامطار . والى شمالي تلك البقعة تكون سعة النهر من بين ثمانية الى مائة متر . وفي ذلك المكان بسائط يكون متوسط سعتها مائة متر وهي تكاف جانبها الايمن على مدى مديد وارتفاعها عن سطح الماء ثلاثة الى سبعة امتار وجرف النهر له

(١) أخرج فلان عن امين باشا ان سعة نهر عتاي سبعة عشر متراً وعليه آجام ومناقع وله جروف خفيفة الصلب والانحدار

(٢) الدخلة الطويلة المتضايقة المتعالية الواقعة بين نهر أسوى والنيل هي نهاية هضاب أرجو وهي معلم الجانب الشرقي للنيل من نيولي شمالاً

حاشية من ملف الادغال . والبرالى ما وراء البسائط صعيد ناهض يختلف سمكه اى ارتفاعه بين خمسين الى ستين متراً وما هو الا شفير العلاية القائمة شرقي النهر . وهذه البسائط والجرف الشاىخ معاً غياض ملكة الشجر بمضنه حسن نفيس . والجرف الايسر عالى المرتفع مكسو بمتشابك الدغل . وعند الكيلومتر المائتين والواحد والاربعين يهاجر الطريق النهر طلاقاً فيسير صعداً الى العلاية الشرقية^(١) . ويوشك مجرى النيل ان يكون في تلك القطعة مقبياً على مخرت واحد ويكون متوسط عرض واديه بين خمسة الى ستة كيلومترات وتكون الجبال على جانبه الغربى معلماً وليست هي عنه بأكثر من ثلاثة او اربعة كيلومترات ورؤسها قن صغار مترادفات مضرسات فيهن صخور قائمة كالسدود هاوية الجروف تذهب نزولاً من قمة الجبل وهي متصلة المبني لا انصداع فيها ولا انفصام وليس من اثر فيها لمسلك او منفذ . ويندرج فيما بينها والنهر خراب حجري التربة . وعند الكيلومتر المائتين والثالث والاربعين هناك حصن دوفلاي القديم^(٢) . ووراء هذه الجبال بلاد كوكو وهي بلد يقال انه خصب التربة طيبها تمد اهرأوه حاميات القسم الاكبر من شقة لادو^(٣) . وعند الكيلومتر المائتين والخامس والاربعين يلاحف النيل على جناحه الشرقي سلسلة آكام يقال لها جبال كردو تمتد نزولاً الى مدى عشرين كيلومتراً وزودها يكون معظم ارتفاعها عن النهر زهاء ثلاثمائة متر وهي لا يعرف لها شكل ولا صورة وفي اعراضها واحقاقها آجام وادغال . والوادي هناك يتضايق حتى لا تكاد سعة تجاوز كيلومترين . وترى النهر ينسل من بين جرفين متساميين

(١) يكون جناح النيل في تلك القطعة ممتعاً على القوافل

(٢) ان حامية هذا الحصن قد اعتزلته وفي جواره خور آيو يتصل بالنيل على

جانبه الغربى

(٣) تبثدي حدودها بالقرب من دوفلاي وتمتد في سمت الغرب مسيرة ستة

ايام عن النهر وحده الشمالي يكون عن بلدة لا بوري بقدر عشرة كيلومترات شمالاً

وفي مسيله جنادل متتالية يوشك ان يكون مجراه مستقيماً ذاهباً في سمت الشمال ويحول بين تلك الجبال والعلاية الشرقية وادٍ فسيح القرار يكون وضعه بموازاتها وهو محتفل مياه السيل من تلك العلاية من اخوار جهة اختطتها الطبيعة في اديمها اكثرها يفيض ماؤه الا في ازمان اليبوسة والجفاف لكن كثيراً منها قد تخلف فيها ترائك وظلائل اي برك في ثقب وشقوق وفي مسايلها مايدل على شدة فعلة الماء فيها فأرضها تراها ركاماً من الرمل تارة واكواماً من الصرّار طوراً متكوّمة الاحجار وهناك رأينا أوّل بدء آجام القصب ومنابت الخيزران الهندي وهي غروس لاتكون سامقة مديدة لكنها تلاحف الاخوار والجداول فتكون لها صغيراً كشيّفاً . والفواصل بين تلك الاخوار أرض مستعالية قائمة بينها اكثر تربتها حجرية جرداء لكنها في مواقع منها غاصة بالجنب وقد يشاهد فيها الاشجار الزاهرة وفي العلاية قرى لقبيلة مادي منبثة في انحاءها لكن الزروع هناك زهيدة لا يباشرها الاهلون الا في فصل الشتاء^(١) . والبلد يعرف عند اولاء الامم ببلاد كبريني وهي مرابض الافيال ومجالاتها وهي فيها عددها جمٌ ربما يربو على ما في أية شقة من مستعمرة أغندا ما خلا شقة حفاظ طورو والغابات المجاورة لبحيرة البرت . واما العلاية الشرقية فنشاز واسع الارعاء بعيد الاطراف يكاف وادي النيل سائراً مسراه الى كندكرو . خصالها متلازمة في عامة خلقتها فهي مرتفعة وتربتها صخرية فيها ما فاض من الادغال والحراج وأديمها مثلم بالاخوار البعيدة الاغوار ومجاري السيول . وربما خرجت منه حروفٌ وانشاز . ولا ترى فيه

(١) أكنان هؤلاء العباد مدورة مسنمة مغماة بالقشيش حوائطها قصيرة محوكة بسعف الخوص . اما قطر محيط الكن فيبلغ ثلاثة امتار وبقدر ذلك سمكه . أي ارتفاعه . من سمت السنام الى قاعه وهم يقيمون الاهراء وصغار الاكنان على ارضة . والقرى يستدير بها سياج شائك مرتفع ويغلب ان يكون مدخله مفرداً

تصاعداً بيناً إلا بعد الايفال فيه مدى مديداً في سمت الشرق . وعند الكيلومتر
المائتين والواحد والستين يرى المسافر على الشق الغربي للنيل هضبة مخروطية
قد اعتزلت جبلها فكانت معلماً للأرض في مسافة شاسعة بعيدة الطول . وإلى
الشمال عنها في مدى ثلاثة كيلومترات تنقطع هضاب كردو ويكون منقطعها
رأساً متتالية ذات غابات . وإذا كنت من تلك النقطة على نحو عشرة
كيلومترات في اتجاه الشمال الغربي رأيت رابية مزدوجة القمة ناشزة عن سطح
العلاية ثم مرتفعات مدورة قائمة فوق كثير من فواصل الاخوار . وعند الكيلومتر
المائتين والسادس والستين هناك بلدة موجي المادية على الجانب الايمن^(١) واقعة في
عرض صعيد من الارض . وعلى مقربة منها مثل من شجر التين الظليل يُنتفعُ بظل
فرشها . وإلى ما وراءها تكون حاشية النهر الشرقية وطيبة يختلف عرضها بين
اربعمائة وثمانمائة متر ويكافئها من جهة الشرق جرُف متصاعد يتراوح سمكه
بين عشرين وثلاثين متراً والبسائط مزدرة شيئاً يسيراً من الدخن . اقول
ومجرى النهر في تلك النقطة مستقيم عامة وجهته الشمال الغربي وجريته شديدة
وسعته تتراوح بين تسعين ومائة وعشرين متراً ومنظرته هناك معجبة لاسيما
إذا تبصرتها من قبله متطعماً في المضيق جنوبي موجي وعند الكيلومتر المائتين
والسبعين يمر المسافر بمحلة لا بوري وهي حصن امين باشا القديم تقع في
الجانب الغربي للنيل وتشرف على اقطار ما حواليه وتعلو عن النهر بقدر ثمانين
الى مائة متر^(٢) . وهناك مجالات المواقع المهولة التي دارت بين امين باشا وقبيلة
كوكو الجبارة . وقبالة لا بوري جزيرة في النيل نبتها الجنب . وبعد ذلك

(١) هي غير بلدة مجي محلة امين باشا الواقعة على الجانب الأيسر للنيل

شمالي لا بوري

(٢) قال امين باشا ان مستوى لا بوري عن البحر الملح هو خمسمائة وسبعة

وستون متراً

بكيلومترين جزيرة اخرى اصغر منها . ومضي النهر في تلك البقعة في
تعاريج شديدة الملتوى تدور متعاطفة من بين الصخور فيكون من ذلك
جنادل بعيدة المدى شديدة الفورة تعرف بجنادل يربورا^(١) . وفي الصوب
الشرقي اخوار شتى تشق لها مجاري واخاديد تتراعى مياهها من علو صابة في
النهر بعضها بعيدة القرار منفسحة السعة عامتها مسائل تمتد في دور الامطار .
ثم انت تمر ببلدة اخرى مادية يقال لها بلدة كوبو عند الكيلومتر المائتين
والرابع والسبعين وهي واقعة في رأس الائمة على الجانب الايمن . وعند
الكيلومتر المائتين والسادس والسبعين هناك يسقط نهر اومي في النيل من
جانبه الشرقي . اما سعة مسيله في ذلك الموضع فاربعون متراً وهو بجملته
براح رملي وفي مواقع عديدة من اديمه صخور من الباسلت ناهدة عنه
وجناباه جرفان قائمان سمكهما بقدر اربعة امتار لكن واديه تكون جملة سمته
مائة متر ومنحدره خمسة عشر متراً . رأيناه في شهر مارس من سنة ١٩٠٣
يبساً نشفاً ما خلا قرارات متواترة في قاعه ياسن ماؤها فتكون بركاً وغدراناً
ماؤها صاف . اما طفافه فيكون في ايام مدّه متراً وربعاً . ولما كان انحدار
مسيله شديداً كان ماؤه في احايين غزيراً وافراً وهو طويل المسافة ومن
الانهار الجمة التي تسوق مياه السيول المنصبية من العلاية الشرقية ذاهبة بها الى
النيل . واما جروفة وواديه فعامتها ادغال يخالطها اشجار اجمية وهو الحد
الفاصل بين اراضي مادي وباري . ثم ان جنادل يربورا تمتد في مسافة بعيدة
الى ما وراء مقرن نهر اومي بالنيل . والطبقات الحجرية تتحدر جميعاً في اقبالة
جريته وتكون سمته هناك مائة وخمسين متراً تنهض من اجرافه رداً من
حجر الباسلت تلبت القصب . وجرف النيل عند حروف الماء وعرة منيعة

(١) يتعذر تسمية اي من هذه الجنادل لانها نوشك ان تكون بعضها تلو

وارتفاعها عنه بقدر ثلاثة امتار وجوز ذلك بسائط عشبية تمتد على كلا الجانبين .
ويماس الماء حاشية من آجام القصب وهناك تكون جبال كوكو مرتفعة عن
النهر قريب خمسمائة متر^(١) ظهرها سوي لا نشاز فيه يذكر . واذا عبر الرائد
نهر أومي هناك تتعالى الجروف الشرقية بميل خفيف في مدى خمسمائة متر
حتى يصير الى ارتفاع خمسين متراً ثم يوالي التصعيد ويكون حرقاً حجرياً
تغشاه اشجار ملتفة . وفي وجهة الغرب تراحم السلسلة الصغرى النيل ويكون
الى ما وراءها وادٍ يفصلها عن السلسلة الكبرى^(٢) . قلت ولقد أنهار من ظاهر
المهواة الغربية صدع أو فرقة من الجبل بمقدار ثلث قمته . وفي كافة ذلك
الموقع تكون الميول الشرقية فيها خدد واخوار وجداول الانهار وكلها لا تفيض
الا في اثناء الامطار . وعند الكيلومتر المائتين والثمانين تتغير اخلاق الساحل
الغربي فالهضاب والوادي تغيب والبر يتعالى بميل عرضه مستفيض غابات
واحراجاً من ساحل النهر الى لحف الجبل ويصبح الجرف الشرقي أكثر
انكشافاً ولو ان فيه اخواراً عديدة بعضها بعيد القرار وفي اجوافها برك
كثيرة القصب ولكن عامة الميل الى جانب النهر أقل تحديراً مما في الاقطار
التي الى الجنوب عنه . وتربة البلاد هناك حجرية ذخرة الاشجار قليلتها وتوجد
فيها ضياع باري على قلة^(٣) . ثم عند الكيلومتر المائتين والخامس والثمانين

(١) استخرج هذا الارتفاع المستر كريج في مارس سنة ١٩٠٣ فاذا به
اربعمائة وسبعون متراً فقط

(٢) وفي عرض هذا الوادي مسلك للكرات يسير من جبل اكاجو الى رجاف
(٣) كنان أمم باري أقل حجماً من كنان أمم مادي وهم يقيمون جدرانها
بمقطع الحجر يكون ارتفاع الواحد منه خمسة واربعين سنتيمتراً ويملاًون خلاياها بما
لان من عساليج الشجر واخضر . أما السقوف فمسنمة ومغماة بالقشيش والحفاة وسمك
فراغ الكن من اعلاه الى قاعه متران ونصف

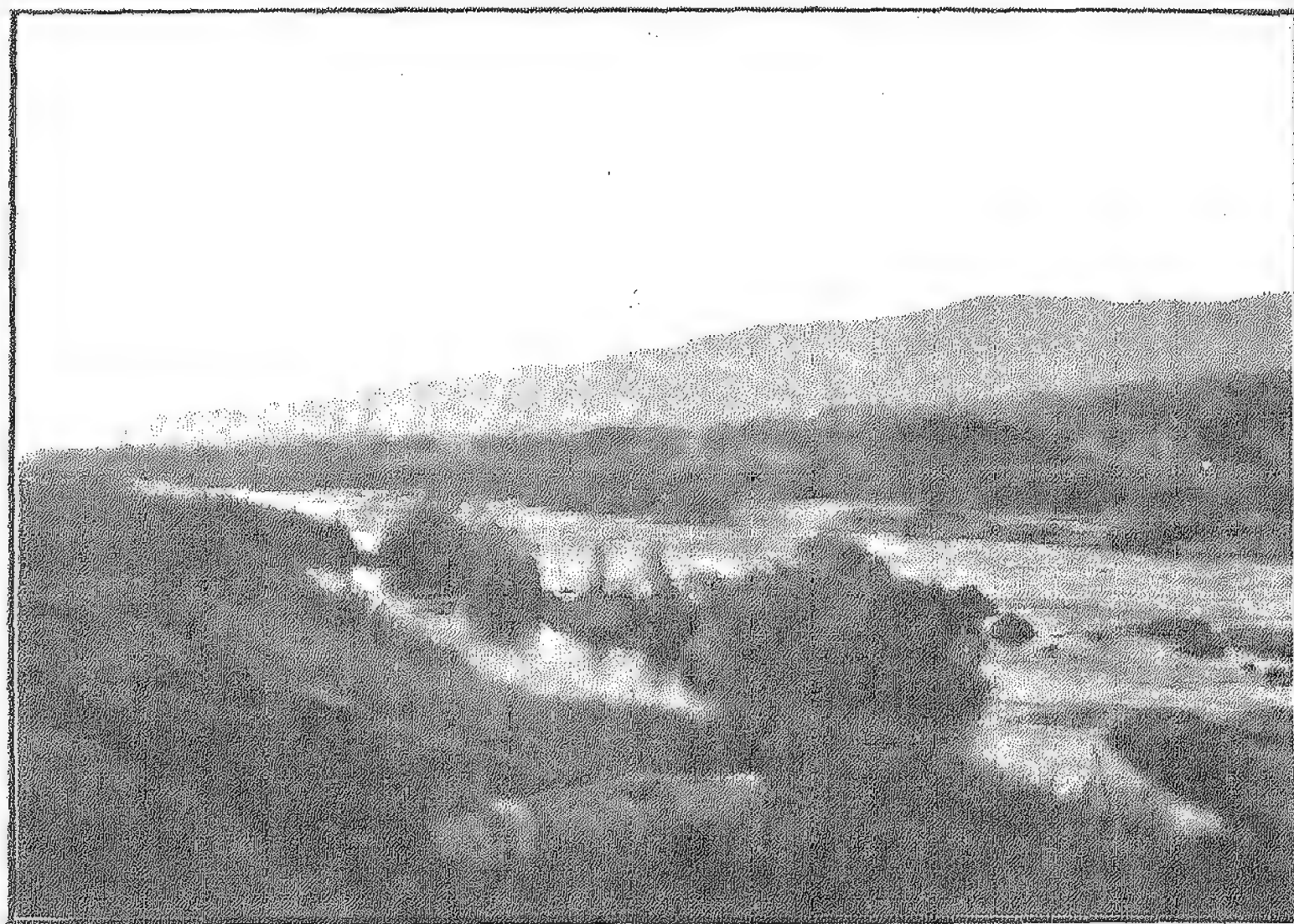
تفارق طريق كندكرو صغير النهر منحرفاً في سمت الشمال الشرقي^(١). وفي اديم الارض اجمع رداء عجيب من الجرانيت ناتئة في سطحه بقدر ربع متراً أو ثلاثين سنتيمتراً وهي مسطورة تستقيم على سنن واحد تبان في مسافات متعادلة الفترات كأنها معالم قرى. ثم استويتا عند الكيلومتر المائتين والتسعين الى بلدة لكّي وهي تقع في مرج عشب بينه وبين النيل خمسمائة متر. والارض هناك تميل بانحدار خفيف حتى تتصل بالنهر وسعته هناك مائة متر عند ذيل الجندل^(٢) ومسيله غاص بجزيرات حجرية ذات اعشاب سامقة مديدة ومعلم فورة الفيض ظاهرة على بدن الصخر تدل على ان معظم الطفاف بلغ في شهر مارس متراً واحداً. وفي هذا الموقع تكون جبال كوكو خلقتها عجيب على جانبها الشرقي وعل صدعاً اعترها في وجهها الاعلى فانهار منفصلاً عنها فبان عنه جرف هوي متواصل سمكه من حد الى علو عدة كيلومترات وأسفل عن تلك الفجوة تكون ركام الانهيار منحدرًا وعراً يترامى الى حضيض الهضبة وله فيها اخوار قائمة المهوى تنخرها نخرًا بينها مسافات تكاد تكون ابعادها سووية. وتكون الفواصل مدورة تشبه في خلقتها ضخام الابراج. والمسافات بين تلك الاخوار سووية التعادل وفواصل تلك الفجوات متشابهة في نسبة واحدة حتى لقد يخيل للناظر اليها انها اصطناعية من عمل الناس. والآكام الناشئة عن ذلك الانهيار تكون بازاء الجانب الغربي للنيل ذاهبة معه في سمت الشمال. والى شمالي بلدة لكّي ينزع البر الشرقي الى الانكشاف وعامة المنحدرات والشنايا الى الاستواء والانبساط وفي صحيف الارض نهود من حجر البازلت والكورتس ناهضة في اديمه. ولما كنا من النهر على نحو

(١) هذا الطريق أخصر وأسلك من الطريق الذي على جرف النهر لكنه في ايام الجفاف ممطشة

(٢) في هذه النقطة تنقطع جنادل يربورا

اربعة كيلومترات هناك تيناً شعبة حجرية تمر من الشمال الى الجنوب وهناك
حدّ وادي النيل . وكان وجه المرتفع مخدشاً بالاخوار بعضها فسيح السعة
وفي اكثرها رزان اي برك حتى في ايام اليبوسة والجفاف وقيعانها وضافها
حجرية يكثر فيها مديد الغاب . وفي عرض الشعبة قرى بارية وشجرات
فيها متعازلات متفرّقات اكثرها شجرة التين ضخمة الحجم معجبة للعين قد
أتى عليها الدهر فأصاغت له^(١) . ثم وقفنا عند الكيلومتر المائتين والثالث
والتسعين وهناك مجتمع كرتيو بالنيل من جانبه الشرقي صاباً اليه من اقطار
شاسعة وسعة مفجّرتة ثلاثمائة متروسمكها يكون من بين اثني عشر الى اربعة
عشر متراً وسعة مسيله خمسة وثلاثون متراً وسمك حافته اربعة امتار وقاعه
خجري كثير الصخور وربما وجدت فيه بقعاً رملية . والقصب فيه كثير التماسك
والتشابك ومعلم الفيض يدل على ان فورته تبلغ متراً واحداً وأما مأتاه فمن
الجنوب الشرقي وعلى جانبه الايسر هضبة مستديرة الذروة كثيرة الاشجار
تكون من النيل على كيلومتر ونصف ولا تزال جبال كوكرو عند بلدة دوفلاي
مضافرةً لوادي النيل الى الكيلومتر المائتين والسادس والتسعين وهناك تنعطف
في سمت الشمال الغربي فتهاجر النيل وتتخالف خصالها فتكون هناك أحطّ
جداً مما قبلها وهي ذات قنان مدوّرة صيّبها الى الوادي مديد خفيف الميل
وكنت تراها من قبل أشبه بسدّ منبسط القمة جانبه عمودي السمّت .
والحرف بازاء النهر يتبسط وله ميل أكثر استواءً مما كان . هذا والنهر في تلك
الجهة هادئ ولو ان في مجراه صخوراً لكن جريه شديد ومتوسط سمته مائة
وعشرون متراً . اما جنادل جوجي فنشأها عند الكيلومتر المائتين والسابع
والتسعين وهناك على كيلومتر واحد من النهر هضبة حجرية ارتفاعها زهاء

(١) وفي عامة تلك الانحاء خرائب قرى جمة بعضها متسع النطاق وقد دمرها
الدراويش يوم حملوا على تلك الاصقاع



بحر الجبل وحنادل جوجى نيه

ثمانين متراً عن مستوى العلاية الشرقية والنهر يتفصح الى مائتي متر وفيه جزرٌ صغار تقسمه الى مجارى شتى توجد في بعضها شجرات بهيجة . وفي جوار تلك النقطة على الجانب الغربي آثار محلة امين باشا المعروفة بمحلة موجي القديمة وقد اهجرها الاهلون من عهد بعيد . والى ما وراء تلك المحلة يكون قاع النهر ركماً حجرياً وفيه جزرٌ صغيرة شجيرة وعلى كلا الشقين اخوار بعيدة الغور تقع الى النهر . وعلى كيلومترين منه هناك غابة ملتفة الاشجار . ومجرى النيل غاية في الاستقامة في عامته ما خلا بعض المعاطف منه والمنحنيات لكنها فيه غير حادة الالتواء ومن غريب ما فيه استقامته على هذه الصورة مع ضخامته ومقدار مائه . وعلى حقه الشرقي في مدى خمسة كيلومترات عنه سلسلة من روابٍ لها ست قنات واحدة منهن مزدوجة وهي في اماكن ذاهبة في امتدادها مذهب سيره^(١) . وداخله الارض بينها وبين الوادي بسيط مكشوف ما خلا ما يتخلل براحته من الغابات . ومشهد جنادل جوجي من الاعاجيب فيه مسقط يبالغ منحدره متراً ونصفاً في مدى قريب من مجراه وبعض الجزر معمور بالخلق عامتها غياض شجيرة شجرها طويل في السماء وعند الكيلومتر الثلاثمائة والثامن تعود جبال كوكو فتظهر للعيان في المغرب الاقصى وبينها وبين النيل علاية فسيحة كثيرة الاشجار وربما نشزت في ظهرها نواتي كحروف الجبال او كالأكام . وعند الكيلومتر الثلاثمائة والحادي عشر ادركنا بلدة كانيا^(٢) وهي بلدة عظيمة واقعة في مرتفع من الارض شرقي النيل وهي عنه بقدر كيلومترين وشرب اهلها من خور في جناباتها . والارض من عندها تذهب صعداً وهي تفشاها الادغال ولا ديمها تعاد وكسور موشومة بالشباب الحجرية والطنوف الباسطة ومظم اشجارها السنط .

(١) قال فلكن ان هذه القنات ثلاث قنة فوكي وقنة كوكوجي وقنة مدني

(٢) هي في الصحيح قرى جمة لا قرية واحدة . وكانيا اسم لقسم من البلاد

والى شمالي كانيا تتغير طبائع الارض تغيراً كلياً فتكون اشبه بمشاهد السودان
الاقصى منظره فالسنت هناك والادغال والاعشاب تملأ الارض وتصير
الجبال آكاماً وروابي متعازلة متفارقة . وهناك جنس من النبات العطري
يكون فيه على كثرة له مشابهة كلية بالسمر البري منظرأً وريحاً ويعرف عند
أناسي باري «بالراحام» وهم يسلقون اوراقه مع الدهن ويهيشون من مسلوقة
دهوناً يطلون به جسومهم . وعلى مقربة من كانيا نهر نيمبي يجي من الشرق
سمته عند قاعه بين اربعين وخمسة واربعين متراً وله جروف قائمة يكون
قيامها بقدر مترين ونصف وفي مسيله صبار من حجر الجرانيت وخشن
الرمل ينضب ماؤه في حصة كبيرة من السنة ولكنه غامر في ابان الامطار .
على ان معالم الفيض تدل على ان فورته تكون سبعين سنتيمتراً وحاشيته
من كلا جانبيه محشوة سنطاً وليس من هذه السيول ما هو بعيد المآتى فهي
يفيض اليها مياه منابت الغابات القائمة في الملاية الواقعة الى شرقي النيل
ومنحدراتها كثيرة الميل ولا اخالها الا أن تكون مياهها في بعض الاحايين
غزيرة الدفقات ولكن فيوضها لا تكون طويلة المكث . وعند الكيلومتر
الثلاثمائة والخامس عشر هناك آخرة جنادل جوجي . والنهر من ثم يشق في
فلاء مستوفسيح تحف به جروف عليّة حجرية شجيرة تكون عن الماء زهاء
ثمانمائة متر من كلا الجانبين . وطرفه الحاف بالماء يرتفع عن سطحه بقدر ثلاثة
او اربعة امتار وعلى الجناح الايسر عند الكيلومتر الثلاثمائة والسادس عشر
يقوم في اديمها نشاز عمودي يكون ارتفاعه مائة متر . وتجاه هذه النقطة على
كيلومتر ونصف من النيل هناك عيون حارة نابطة مبقبة من بركة حجرية
ماؤها شديد الحموضة يداني حره درجة الغليان حتى انك لا تطيق لمسه بعد
جريه مسافة خمسمائة متر عن منشأه وهو صافٍ نقي يتلألاً لا مذاق له والعيون
تنساب جرياً في قناة سمها متر واحد ومقدار غورها عشرون سنتيمتراً تعرف

عند امم الباري «باخور الحار» وهم يستشفون بمائها. وعند الكيلومتر الثلاثمائة والتاسع عشر هناك نهر آخر يقال له نهر إكوي يقع في النيل على جانبه الشرقي وهو خور بعيد القاع تبلغ سعة ثلاثين متراً وغوره ثلاثة . وقد رأيناه في شهر مارس سنة ١٩٠٣ جافاً . وهناك تغيب الجبال الغربية عن الابصار وتكون الارض دغلة شائكة الشجر على كلا الساحلين ومن شوكة شوكة يقال لها الهجلاج وهي مشهورة في اقطار السودان كافة . والنيل عند الكيلومتر المائتين والعشرين يمر مندرجاً بين رابيتين حجرهما الغرانيت يكون سمكهما من بين مائة وعشرين الى مائة وثلاثين متراً تقع يسراها تحت الاخرى وهي اخفض منها . وعلى الراية الغربية كانت قلعة كيري القديمة وآثار حوائطها يتطال اليها البصر واصلاً الى الجانب الآخر من النيل^(١) . وفي خلال هاتين الرابيتين تقوم جنادل ما كيدو^(٢) والجرف الايمن بعد رابية كيري توائمت الى متسامياً فيكون عقبات حجرية وعرة يتخالف سمكها بين سبعين الى ثمانين متراً علواً عن سطح الماء . وقم هذه العقبات مشجرة بعض شجرها معجب . وفي الصوب الشرقي غابات تغشى وجه الارض وهي بمرأى العين متواصلة في الامتداد وهناك أمارات الى ان تلك النقطة عامرة بالفيل وسعة النهر لا تجوز تسعين متراً وهو يهيم مندرجاً بين جرفين شامخين وفي مسيله سلسلة من الجنادل وتشق جروفه على كلا شقيه اخوار بعيدة القرار في بطون كثير منها حجارة كبيرة . والساحل الغربي كثير الادغال وهي ادق منها في الساحل الشرقي وفي تلك الانحاء آثار قرى عديدة دارسة تدل على انها كانت مرة عامرة بالخلق . وعند الكيلومتر الثلاثمائة والخامس والعشرين تكون داخله البراكثر انكشافاً مما قبل والجروف

(١) قال فلكن ان رابية كيري ترتفع عن سطح البحر الملح بقدر خمسمائة وخمسة عشر متراً

(٢) ما كيدو اسم لمقاطعة او قسم من بلد

اخفض ولكن هضاباً متعالية تذهب في اقطاره الى جميع الجهات وهناك تنقطع جنادل ما كيدو ويكون مجرى النهر ضاحياً طليقاً^(١) وبعدئذ الى الشمال تعود البساتط . وعند الكيلومتر الثلاثمائة والتاسع والثلاثين هناك بلد ارموجي وهو ككسائر بلاد باري طوائف قليلة من الاكباس منتشرة في فضاء فسيح من الارض . وهناك سعة مسيل النهر مائتا متر ومجرأه مستقيم الطريقة له جزر عديدة . وعند الكيلومتر الثلاثمائة والواحد والاربعين يرمي نهر خرؤ في النيل من جانبه الشرقي وسعة فرشهِ عشرون متراً وبعد غوره اربعة امتار ونصف . ولقد ابصرناه جافاً ناشفاً وفي ارض مسيله برك ماؤها نافع آسِن وهو يفرق بين محلتَي أرمُنْجِي ومُنْجِي وهذه تقع في الرابية الشرقية وسعكها عن سطح الماء قريب ثلاثين متراً يحف بها من جميع جهاتها زاهي اغراس التين وقد أهرمتها الايام . وعند الكيلومتر الثلاثمائة والخامس والاربعين جئنا الى خور عظيم المقدار ينساب في جوفهِ نهر يقال له لومُخْ يشق البلاد صاباً من المشرق وله سعة ميل قدرها سبعة وستون متراً وغوره ثلاثة امتار عند مقتربه بالنيل ولكنه بعد ذلك يتضايق حتى يصير الى عشرين متراً . اما غوره فيتزايد الى سبعة امتار وارض قاعهِ غاصة بجافي الرمل ومتشاكل العشب وربما وُجدت فيه ترائك . ومخبراً خدوده ان ماءه شديد الجري يحرف في جوفهِ ولا بد ان يكون في جملته إبان الامطار شلالات بعضها تلو بعض والخور ينحت له في ارض الغابات أخدوداً عظيماً . واما العقبات اليمنى فوعرة التحدير يبلغ ارتفاع هويّها خمسين متراً . وسمت مذهبهِ في الغالب جنوب بشرق . والظاهر ان مسافة طوله بعيدة ولا عجب ان يكون في ايام فيضهِ نهراً غارفاً . هذا واديم الارض في ذلك الموقع قفار تربتها حجرية وتكون الحروف الناتئة في سطحها بين الاخوار الفاصلة قنناً صغيرة من حجر

(١) اجتاز فلكن مسافة ما بين كيري وبدين بالقارب

الجرانيت . وعامة تلك الارض غابة محشوكة بصغار الشجر اوردق الجنب
والادغال ملتفة متشابكة بعضها ببعض حتى لا يتها للساثر اكتشاف ممر
في اجوافها الا من جانب النهر^(١) . وفي اسفل ذلك المقترن يكون
للنيل نزر من صغار الجنادل وجم من الجزر تكاد تكون آهلة بأسم الباري^(٢) .
وعند الكيلومتر الثلاثمائة والسادس والاربعين هناك مسقط نهر لاجوجولو
في النيل من حافته الشرقية . وعند الكيلومتر الثلاثمائة والواحد والخمسين
هناك يقع فيه نهر آخر يقال له نهر بيكي على الجانب الشرقي ايضاً وكلا النهرين
يظلان سنتهما جافين ناشفين الا في ازمة المطر . اما نهر لوجوجولو فسعة
مسيله خمسة وسبعون متراً وبعيد غوره متران . واما نهر بيكي فسعته خمسة
عشر متراً وغوره متران ونصف ومنابت القصب في كليهما على كثرة وارضها
حجرية تكثر فيها البرك . وهما يعضيان في واديين تتراوح سعة الواحد منهما
بين ثلاثمائة الى اربعمائة متر . هذا والى الشمال عن بيكي يصير الجرف الايمن
مكاناً للنيل محاذياً له في مسيره بضع مئة من الامتار وارتفاعه عن سطح مائه
سبعون متراً . والى ما وراء تلك البقعة هناك تعود البسائط بمظاهرها وعلى مدى
بعيد من تلك النقطة تبصر العين على سمت الغرب سطران من صغار الهضاب^(٣)
ثم بارحنا الموضع فصرنا الى ارض مثل التي سبق ذكرها ولما تخلفنا
عنها اذا بنا على ناصية جنادل بدئين وهي عن بحيرة البرت على ثلاثمائة وخمسة

(١) لا ندرك كيف تأتى لفلكن ان يركب النهر في تلك القطعة منه اللهم الا
ان يكون ذلك في ابان الفيض ومد النهر

(٢) يظهر ان قوم الباري يريدون الجزر النيلية ولهم فيها هوى وربما كان
سبب ذلك انها كانت لهم ملاذاً اتقوا به غدرات المهدي . ومن المستغرب ان تكون
تلك الجزر عامرة بالخلق وليس هناك اثر لزورق او مركب

(٣) تتركب هذه الهضاب من ثلاث كتل واكتين منعزلتين تكون احدهما
في شكل طاس مقلوب والاخرى في شكل هرم وكلتاها بعيدتان عن النهر

وخمسين كيلومتراً^(١) . والنهر هناك جريته شديدة لا تطاق وفيه انشاز من الصخور ناتئة في سطحه والجروف على الجانبين تعلو بقدر خمسة او ستة امتار عن النهر وهو هناك ينحرف في سمت الشمال بعد ان يكون قد غرب في منحني فسيح السعة ناشئاً عن وجود تلك الانشاز . وتربة الارض على يساره حجرية وعلى مسافة كيلومتر واحد عنه سلسلة رواب حجرية متفارزة من بعضها وأنت ترى ذات اليمين منبسطات عظيمة السعة تمتد في مسافة ثمانمائة متر ثم هي تتعالى بميل تطبقه الادغال . وعند بدين تقوم في يمين جزيرة صخرية التربة ينشعب النهر بها بشعبتين تكونان مستفيضتين بالجنادل وفي الطرف الجنوبي جرف هوي يكون ارتفاعه عشرين متراً ينهض عمودياً من حفافي الماء كأنه ردم من حجر صلد أقرع . والجزيرة معظم سمكها يكون ثلاثين متراً وارضها شجيرة دغلة . واما سعة الشعبة اليسرى فستون متراً ولكن الجم الكثير من مائه ينساح في الشعبة اليمنى وقدر سمعتها تسعون متراً والى ما وراء ذلك يسير يتضائق عرضه حتى يصير الى اربعين متراً وماؤه هناك بعيد الغور . وفي شهر مارس سنة ١٩٠٣ استقصينا معظم فورته في ايام فيضيه فكان متراً واحداً . ولمشاهد تلك الجنادل اثر في النفس رهيب ولا سيما في الاصباح والشمس ضاربة باشعتها وجه المنحدرات الشرقية فترى الصخور السوداء تتمثل بتمامها وعامة ازيائها على صفحات الماء وهو في العيان ساكن راكن لكن فيه فوارات دائمة الانبعاث من اجوافه تدل على عظم القوة الدافعة التي دفعت به في المضيق الحرج فوق تلك النقطة . والنهر بعد اجتيازه هذا المضيق السال على الجانب الايمن ينبطح مستبحراً فتصير سمته الى مائة متر وفي عامتها كثير من اجلاف الصخر تشق سطحه . واما جزيرة بدين فعريضة ولها طول تبلغ سمعتها في

(١) هذه هي الجنادل الاخيرة في بحر الجبل وآخرها في النيل لحد شبلوكا

مواضع زهاء ثلاثمائة متر وهي حرجة وافرة الشجر وفيها ما قلّ من شجر الليمون حلو الثمر كان امين باشا قد نبّتها في تلك البقعة وهي لا تزال يرتفع منها الجنى الى عهدنا . وفي تلك الناحية يوجد البردي على قلة الارض عاطلة من العنبج^(١) . وعند الكيلومتر الثلاثمائة والستين هناك نهاية جزيرة بدّين . واسفل عن هذه البقعة شمالاً تقوم في مجراه جزر أخرى تمزق شمله ولكن ليس منها ما يكون بقدر الجزر الواقعة في الطرف الجنوبي للجنادل . ثم اقلعنا عن تلك النقطة في مدى ثلاثة كيلومترات واذا بالنهر يشق في جريه بسائط واسعة الرحائب . وعند الكيلومتر الثلاثمائة والثالث والستين هناك حصن بريكلي يقع على الجرف الايمن وطية ما بينه وبين النهر نهاز ثمانمائة يرد وما هو الا مجموع من اكباس مهيأة بالقصالة والقش يطيف بها سياج حائط تكون مساحة جوه سبعين الى ثمانين متراً مربعاً وحاميته جند سودانيون قد اعتزلوا الخدمة العسكرية وهم يرتقون هناك على حراثة الذرة والدخن . واما قائد الحامية فضابط وطني متقاعد وهو مقيم على عزلة في خص او كبس له مخصوص^(٢) . واذا علوت الرابية (وارتفاعها عن سطح الماء بقدر سبعين متراً) يقع بصرك على منظر مترامية الاطراف والنهر ينساق مستديراً في منحني طويل المسافة طالباً للشمال الشرقي وفي مهبي الغرب والشمال غابات وادغال يلحق اديمها بالقبة الزرقاء فتسد الافق كأنها فيه يثم من متموج الاوراق الداكنة الخضرة يشق عبابه في مواضع منه هضبات وآكام تنسيقها

(١) هذان الصنفان من النبات المائي يعيشان على نضارة في النهر جنوبي ينمولى

الى بدّين ثم يختفيان طامسين على ان يبيننا بعد مجاوزة تلك الجنادل

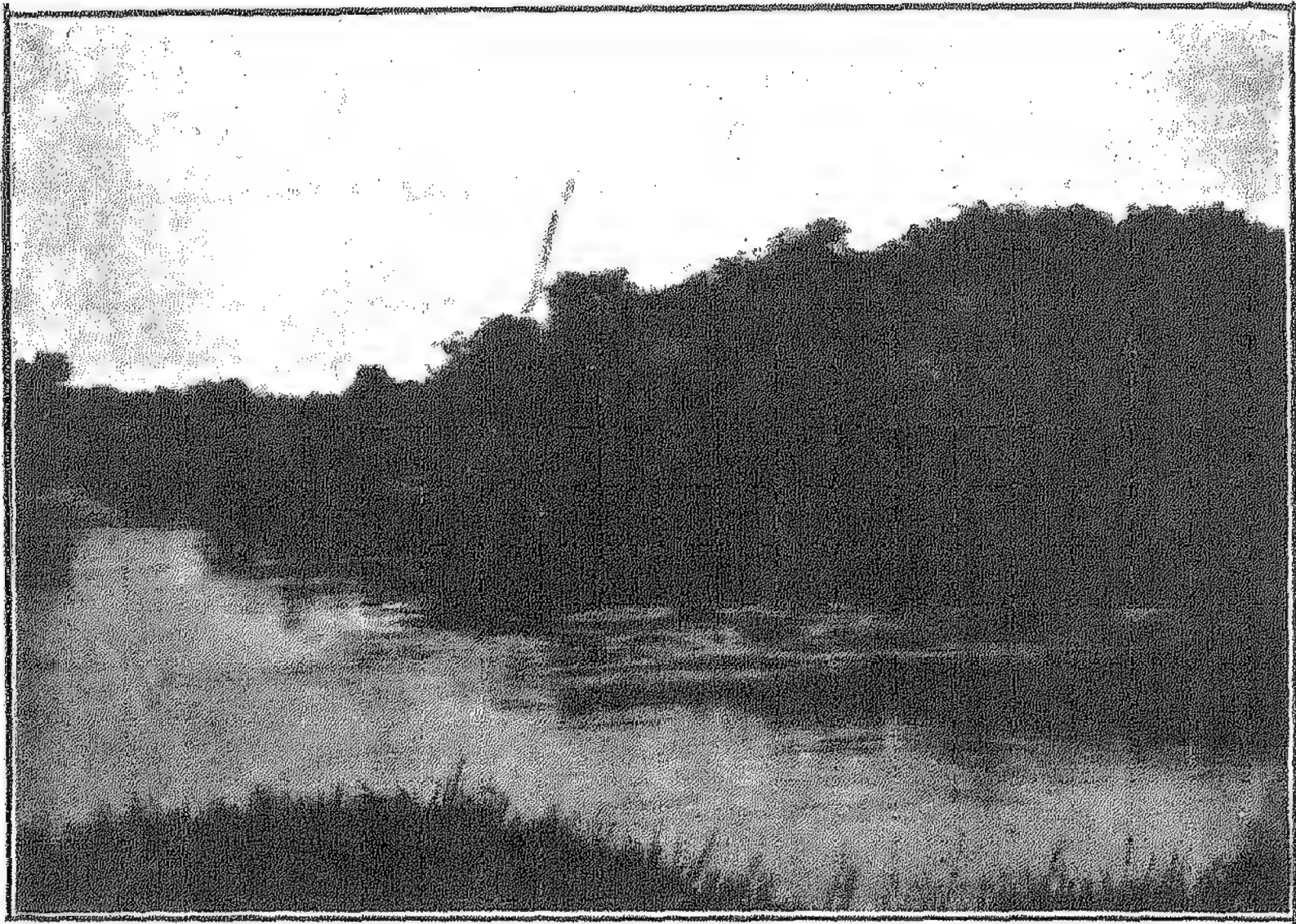
(٢) وعلى خمسمائة متر شرقاً تقع خرائب الحصن والثكنة التي كان الانجليز يحتلونها مرة وموقعه ظهر الاكمة وبينه وبين النيل مسافة قصية ويشاهد هناك ايضاً بقايا اربع عمارات مدوّرة الاشكال يتكوّن من مجموعها شكل مربع في منتصفه شجرات من النخل محترقة الأروم وفي الجملة ان منظر تلك البقعة مكرب كئيب

معجب لطيف . وفي الجنوب تكون الادغال التي تطبق الجبال صادة
مسارح الابصار في تلك الاقطار . واذا اجلت الطرف في فضاء المشرق ترى
تلقاء عينيك وادي نهر كيت الاشجر . وفي تحديرنا الهضبة نزولاً الى النيل
مررنا بنحور على الجانب الشرقي له سعة تكون مائة وستة وعشرين متراً وغور
يكون مترين وربعاً وربما كان فيما سلف مجرى للنهر ولكنه اليوم ليس له
مدى الا في قطعة منه ضيقة بازاء الحافة الغربية^(١) . والنهر قبالة حصن بريكلي
يكون فيه جزيرتان شجيرتان تقمان الى الجانب الشمالي لجنادل بدين تقسمان
غديره بثلاث شعب وفي ما تسافل عنهما يكون النهر مجراه حسن الرؤية
ومقدار سعته فيما بين اربعمائة وخمسمائة متر وتكون جريته بيّنة غير
كثينة وما من شيء يعترض في مجراه الا صخور غاطسة في بعض المواضع^(٢)
وهو في تلك النقطة منيع في شدة الاندفاع آخذاً في سمت الشمال الشرقي
ومتوسط ارتفاع جروفه عنه بقدر خمسة امتار وعلى كلا ساحليه بسائط فسيحة
الاقطار وفيه جزر شتى يكون بعضها ضيقاً رحيب الابعاد . وفي مهب الغرب
تميل الارض تدريجاً الى علو . وفي الجهة الشرقية تكون الروابي آخذة في
مجرى الشمال على مسافة تكون زهاء كيلومتر واحد . ولما خرجنا الى الكيلومتر
الثلاثمائة والرابع والسبعين كنا على نهر كيت وهو نهر يصف في الفضل بعد
نهر أسوى^(٣) ويرمي الى النيل من ناحيته الشرقية ويوشك مرماه ان يكون
عمودياً وسعة فرش مائة وتسعة وستون متراً . مسيله بين له جروف ناهضة عنه

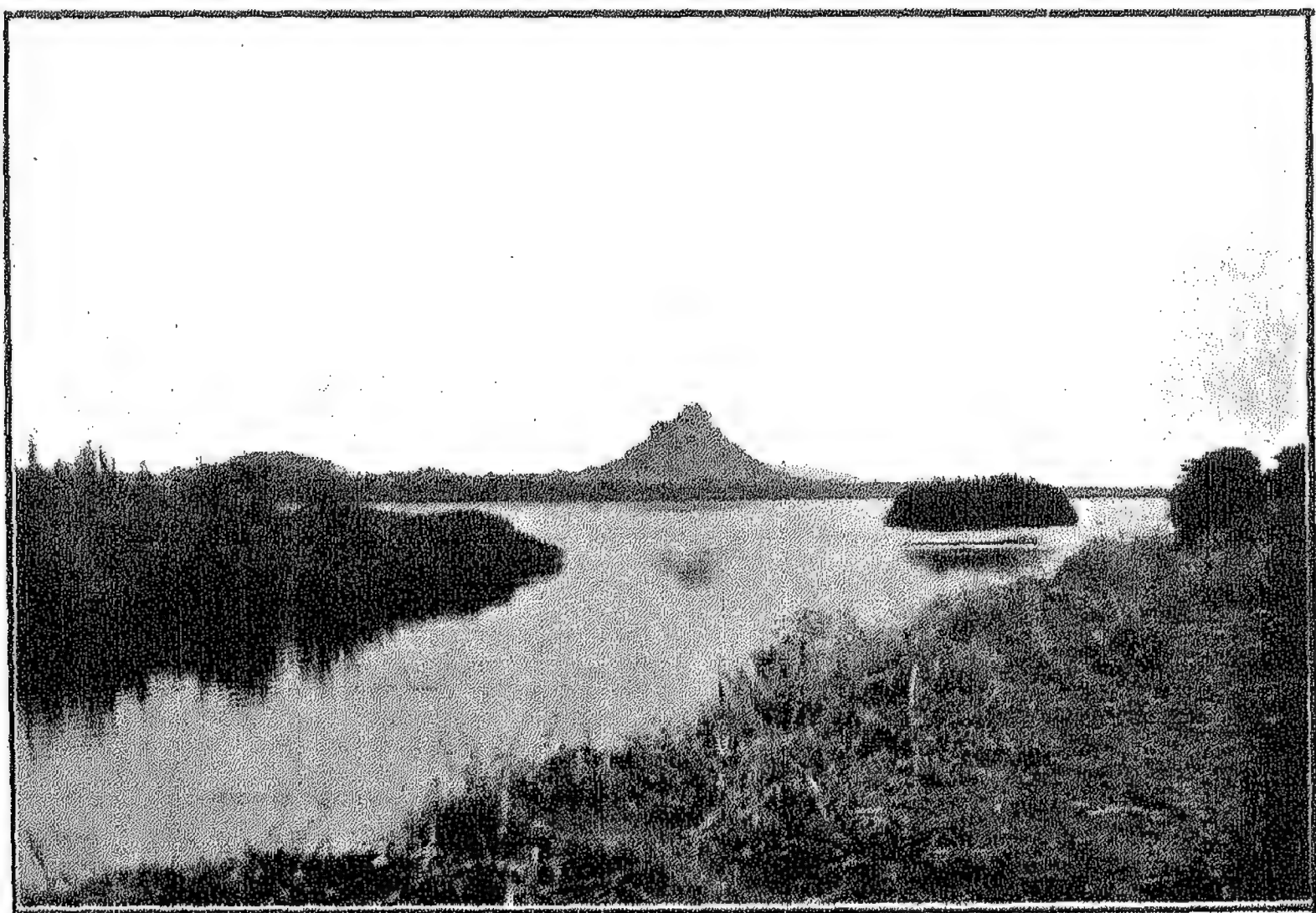
(١) ان الارض المندرجة بين الخور والنهر كانت في ما عبر جزيرة سعتها
مائتان وخمسة وعشرون متراً وقد أصبحت اليوم جرفاً للنيل على طمّنه الشرقي

(٢) هذه الغواطس متعاقبة فهي في مواضع دون أخرى وتظل على هذه الصورة
الى ان تصير الى بلدة كندكرو ويكون ركوب ظهر النيل في جنوبي تلك النقطة
مستصعباً وربما كان مدعاة للاخطار

(٣) هو احد ممدات النيل في انحاء نيمولي



بحر الجبل ومنشاء شلالات بدين فيه



روابي كورة رجاف على بحر الجبل

نهاز متر وستين سنتيمتراً ولضفيره الايمن مسطح سبعة ستة امتار وله مثله على
ضفيره الايسر سبعة ثمانية وثلاثون متراً وكلا المسطحين غاص بمشابك العشب
وبعدهما مرقاة سمكها متر وربع ويُرَى من المعالم الظاهرة على جروفه ان
منسوب الفيض يكون مرتفعاً عن قاع مسيله بقدر متر واحد فقط وربما اطبق
الماء المسطحين في ابان الفيض او استوى سطحاها وسطح الماء بمعنى
ان متوسط المد او الزيادة يكون متراً وستين سنتيمتراً في القليل^(١) . هذا
ويكون فرش النهر في ايام الجفاف مفازة من خشن الرمال ليس فيها قطرة ماء
وارضها يَبْسُ خالص وهي ليست بذات سدّ ولا ندّى على ان في جوفه ماء
على غور ثلاثين سنتيمتراً . والعجيب من هذا النهر ابان جفافه صُفرة رمله
وانبساط ارضه وانتظام جروفه . هذا والنهر مبدأه من جبال لوموجا^(٢)
حيث العرض الشمالي ثلاث درج وثلاث وخمسون دقيقة ومسافته نحو من
مائة وخمسة واربعين كيلومتراً وعامة جريته في سمت الشمال الغربي وربما
كان في بعض الحين لا يُخاض ولا اخاله في زمن الامطار الا غامراً بالماء
الغزير . واذا تحوّلت الى جهة الجنوب كانت فرشهُ حجرياً وفيه ظلال
من الماء راكدة في نقر منه قد تركها السيل وهي تمكث فيه عامة السنة^(٣)
وأسفل عن نقطة تلاقيه بالنيل بقدر اربعة كيلومترات هناك تكون هضبة
رجاف ومحلة مستعمرة الأغندا ورأس الهضبة الغربي يتطال الى النيل فيحف

(١) واعلم انه عند ما استخرجت هذه المعلومات في ما سبق شهر ابريل قد
امسكت السماء يوماً ماءها وامتنع الغيث فأصاب الارض قحط في عدة من السنين
متوالية وهذا سبب انخفاض معالم الفيض التي دونها في خلال رحلتنا هذه أخذاً عن
المقاييس في الأشهر الاواخر من السنة الماضية

(٢) لا يبعد مخرج هذا النهر كثيراً عن مخرج نهر عتابي

(٣) كيت (بكسر الكاف) اسم يطلقونه الباريئون على هذا النهر والعرب
يسمونه ببحر الرمله ويقال له في اعاليه نهر جومورو

به في شعبتين يصل علوها الى خمسة عشر متراً منتهياً اليها والهضبة عن حافة الماء على عدة مئات من الامتار وشكلها مخروط^(١) وقمتها كتلة صخرية اشبه شيء بخرائب برج قديم ولعلها كانت مرةً جبل نار ذروته فوهته . وصحيف الكتلة قد قصمته العوامل الجوية^(٢) . وعلى منحدرها هدفة فطارية الشكل ذكرها السرصمويل بيكر في كتابه المعروف بالبرت نينزا . والنيل قبالة رجاف سمته بين خمسمائة وستمائة متر وأرض الناحية الغربية تتصاعد من حد النهر وهناك الى الشمال عن الهضبة تواً تقع المحلة الباجية وحصنها . ومنازل المحلة معجبة وهي مغماة بالحُفافة والقشيش ولها أروقة وشُرَف وبعض المنازل يتصل بسفح الهضبة والارض هناك قرعاء عادمة الشجر والدغل وبلدة رجاف كثيرة الزلزال^(٣) . وفي السهل الواقع الى الجنوب عنها استظهرت جنود الكنفو الحرة على الدراويش وهزمتهم . وعلى مقربة منها بجانب الضفة الشرقية جزيرتان حجريتا التربة واسفل عن المحلة جزيرة ضخمة ارضها مكسوة بالغاب والدغل . وهناك تحفُ بماء النهر على ضفته اليمنى اكباس بارية وقرى . والى شمالي رجاف تتغير سماء الارض تغيراً كلياً فتكون فيها منافع وما جل^(٤) . ويضافر حِفافى الماء على كلا جانبي النهر جرُوف قليلة الارتفاع . والى ما وراء ذلك على كلا شقيه منخفض من الارض كثير الآجام مستفيض بنبات الفيال وهو متخالف السعة يستطيل صُعداً الى الغابة التي هي ضفة وادي النيل . وأسفل عن رجاف ينبطح النهر فيكون مستبحراً وفي مسيله ما لا يُحصى من الجزُر وهو ينشعب بها بشعاب جمّة وفي مسيره من

(١) قال فلكن ان ارتفاع هذه الهضبة يبلغ نحواً من مائة واربعة عشر متراً

(٢) راجع كتاب بيكر « البرت نينزا »

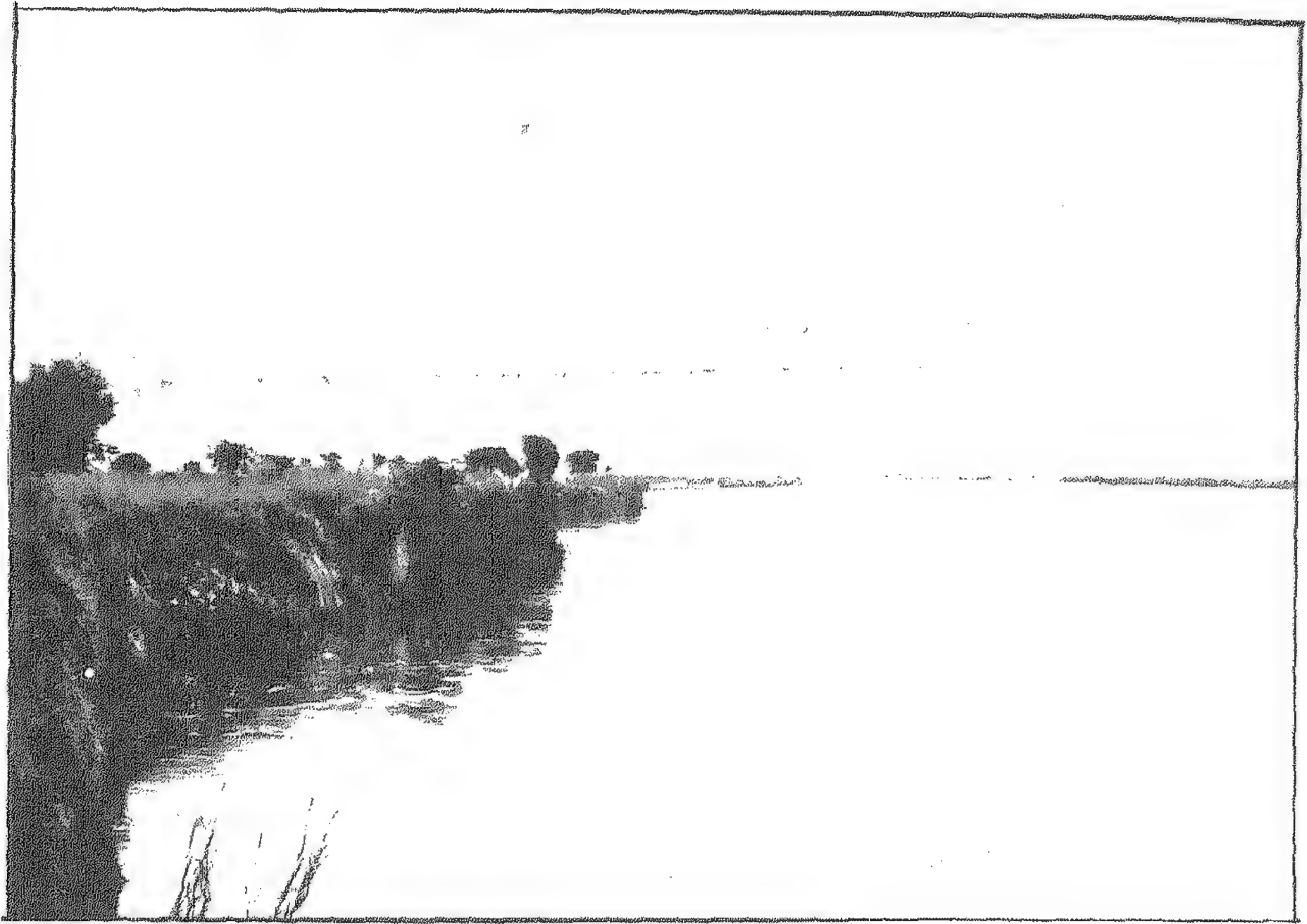
(٣) قال فلكن ان معنى رجاف باغة امم الباري زلزلال

(٤) هذه الخلقة تدل على خصال بحر الجبل على وجه الخصوص

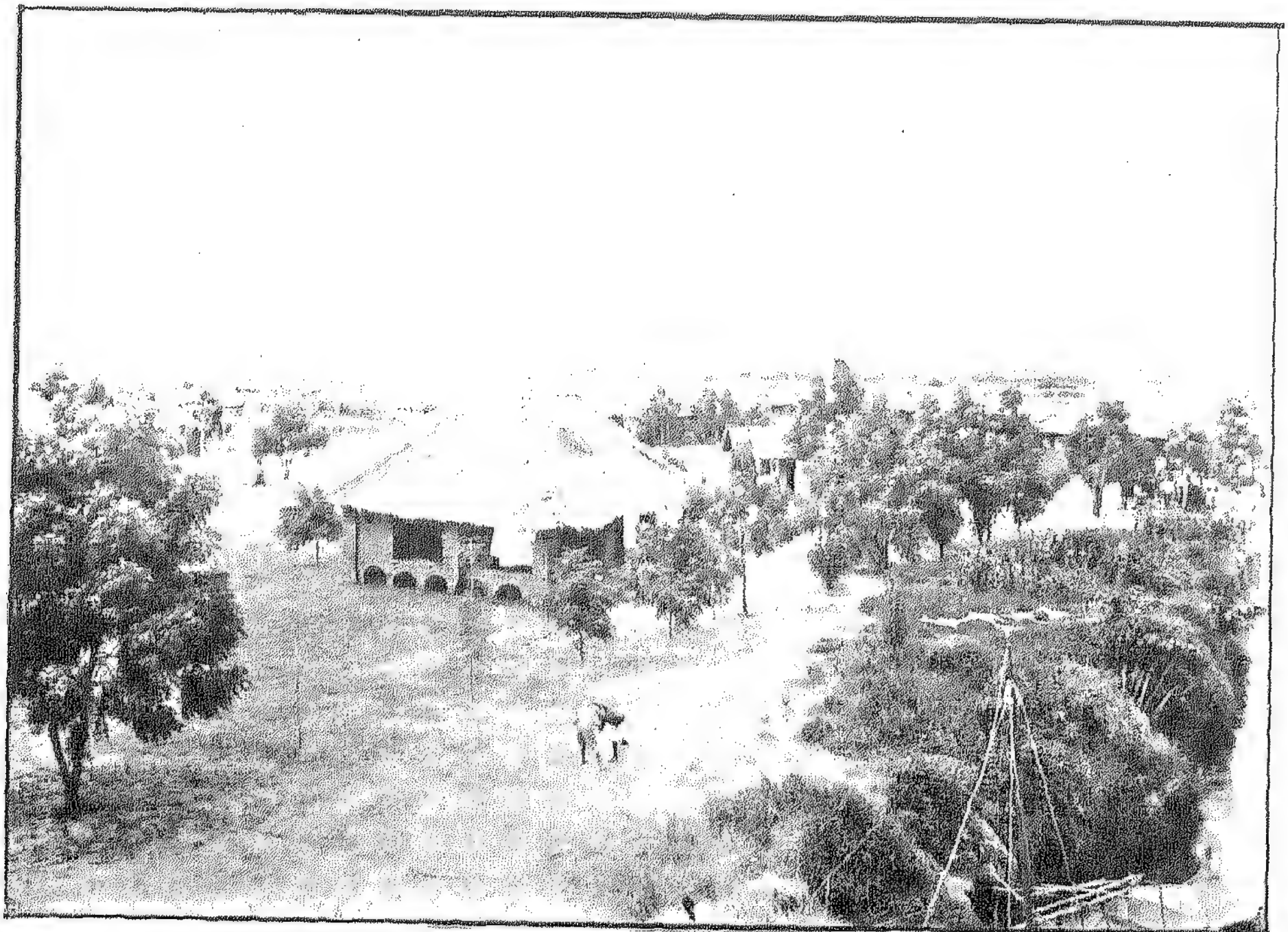
تلك النقطة الى بطيحة نوأي الى نهاية بحر الجبل يكون عامة مسيله (حتى في اقصى مفيضه) منساباً في مجار جمية شماباً متفرقة . وعند الكيلومتر الثلاثمائة والسادس والسبعين ادركنا جبال لنجوي على الساحل الشرقي وهي عن النهر على كيلومتر ونصف وهناك المناقع والبطائح تكون سعتها كيلومتراً وربما والجبال مستديرة القمة تكون قامتها عن مستوى الاصقاع المحيطة بها بقدر مائة وخمسين متراً وربما زادت . ثم هي مثل سائر الهضاب الواقعة في تلك المنطقة خاصة بملتف الشجر ويشق أديمها هدافات هائلة من الصخر الجرانيتي في اجواف ذلك الشجر . وعلى مسافة قرى من تلك النقطة يتقارب النهر من تلك الجبال حتى يكون من كنفها على ثلاثمائة متر . والبسائط الشرقية هناك اشبه شيء بسطر متواصل من اكباس (عشش) الباريين . وعند الكيلومتر الثلاثمائة والتاسع والسبعين هناك بلدة الابراهيمية اشرفنا منها بأبصارنا على سطرين متباينين من الهضاب في المهاد الغربية ادناها يعرف بهضبات كركاك وهي عن النيل على خمسة او ستة كيلومترات وهي طائفة من الهضاب قناتها غير نظيمة واما السطر الآخر فيعرف بهضاب كاجور وهي واغلة في الغرب ولها قنتان كلتاها مخروطتان . والنهر في مسافة عدة كيلومترات عن الابراهيمية شمالاً يداني المرتفعات الشرقية تارة ويهاجرها أخرى فتكون شاياء جوناوخلجاناً سبخة أجمية مندرجة بين تضاعيف الجبل وحروفه المتناسقة . والى هذه الجوان تتفجر مياه الاخوار الصابة من الغابة التي تغشى المرتفع في عامة جهاته . وعند الكيلومتر الثلاثمائة والخامس والثمانين يكون الجبل طامحاً علواً تشق أديمه انشاز من حجر الجرانيت ناتئة في سطحه ومن هناك تتجلى لك على ستة كيلومترات في سمت الشرق سلسلة آكام قصار لها اربع قنان وسلسلة أخرى اقصر منها لها اربع قنان تعلو ظهر الغابة على مسافة مختلف من بين كيلومترين الى ثلاثة كيلومترات . وعند الكيلومتر الثلاثمائة

والثاني والتسمين هناك يسقط نهر لو كاديرو في النيل من مهب الشرق وهو مصغر نهر كيت وله مثله مسيل جاف كثير الرمال خطته بينة واما سعته فخمسة وثلاثون متراً وسماك جروفه متر واحد ومذهبه الشمال الغربي والى ما ورائه تتصعد الارض فيتكوّن منها علالية رفيعة مكسوّة بغابة شجراء فيها شجر جليل القدر وهي تذهب مشرقة بقدر انفساح النظر ومن فوقها في البعد عنها جبل لبنيان كأنه في مرآة معلم للارض تبصره العين على عدة كيلومترات . هذا ويكون على كلا حاشيتي النيل بطائح وآجام مستوسعة مطبقة بمديد القصب الملتف يشوبه في مواقع منها طوائف من نبات البردي . والجزر تستقيم في مسيله وهو هناك منسحق عريضاً في الغاية وارتفاع العلالية عن تلك البطائح يختلف بين سبعة الى ثمانية امتار . وعند الكيلومتر الثلاثمائة والخامس والتسمين هناك في ظهر العلالية محلة كندكرو على جانب النيل الشرقي^(١) . ولقد أُتيح للقوم من منذ سنة ١٩٠١ ان يصلحوا شأن تلك المحلة فأحدثوا فيها كثيراً من المحسنات . ولقد نُقلت الحامية الى محل آخر في الطرف الجنوبي للمحال الاصلية وأقيمت اكباس لرجالها وشيدت منازل موافقة لرجال الانجليز من ملكيين وعسكريين فالطرق والشوارع صالحة المبنى . وقد كشفت البقعة من الادغال فذهبت بذلك وحشتها او كادت وذهب مواتها الذي كان لها في سنة ١٩٠١^(٢) . على انه قد ينال المحلة شرقاً في

-
- (١) ذهب جردن الى ان عرض كندكرو الشمالي اربع درجات واربع وخمسون دقيقة وتسع وعشرون ثانية وان طولها الشرقي احدى وثلاثون درجة وثلاث واربعون دقيقة وست واربعون ثانية واما ارتفاعها فلكل رائد فيه شان فالقوم في امره مختلفون
- (٢) قلت في تقريرى لسنة ١٩٠١ ما يأتي : « ظواهر بلدة كندكرو انها محلة صحيحة الاقليم لكن في سبائها العيانية انها قفر عراء ومنازلها على غير نسبة في قياسها بالمنازل البلاجية في حلتي لادو وكيرو . والذي تستلزمه الانحاء ان تكشف الارض من الادغال في دائرة واسعة الاقطار وتجفف المستنقعات والاغوار والمنخفضات وتبني



عُند وُكُورِو على بَحر الجبيل



لادو على بَحر الجبيل

مستقبل الايام ذلك ان مياه النيل قد أوقعت بالأكمة القائمة عليها تلك المحلة
فهي لا تنفك تحت في جروفه الطفالية حتى انحَت فلذة كبرى منه بالتحات
وصار موقع الكنيسة النمساوية واما كن مرسلها اثرًا بعد عين اذ انهالت
جميعها طامسةً في يَمها فالخوف اذاً كل الخوف ان ينال المنازل الراسية على
تلك النقطة من الجرف ما نال تلك الكنيسة والرسالة فتنهار هاويةً في
النهر وتغيب . أما مقياس كندكرو فليس عن منزل الجابي ببعيد . والمقياس
الذي أقيم في سنة ١٩٠١ قد صدمه قارب فأتى عليه وحطمه تحطيمًا . وفي سنة
١٩٠٣ أقام الكبتن لينز مدير عموم المساحة في القطر المصري مقياساً عَوْضَهُ
من طرز المقاييس التي عمّمها في البلاد السودانية وهو مقياس تتمشى ارضاده
بحسب ميل جرف النهر ويكون جرمه مكبًا على سطحه مندرجاً فيه على
سمته . واذا تجاوزت كندكرو نزولاً^(١) تتحول سحناء النهر تحوُّلاً كلياً سريعاً
فما كنت تراه منه مسيلاً شديداً الجرية هائماً في سألٍ حرجٍ متحدر الصحن
كثير الميل وله على كنفه جروف هائرة رفيعة قد اصبحت الى الشمال عن
الشلالات مسيلاً يشق بطن سباح بعيدة الاطراف ماراً فيها وله مجرى
فسيح السعة فاطر الجرية يتراعى بمائه من خلال جزر كثيرة وجروفه
وطيئة . وللوادي والبراح المستبحر هناك سعة عظيمة منفرجة . وما كان من
قبل في سمت الجنوب غابات شجيرة صار غياضاً قصباء فيها نبات البردي
والعنبيج وهو في عامة مسيله طالب لبحيرة نو (ما خلا قطعاً قليلة منه) وهو

منازل تناسب هواء الاقليم ، انتهى . (انظر الكتاب الازرق الذي نشرته نظارة
الخارجية الانجليزية فيما يختص بالبلاد المصرية نمرة ٢ - ١٩٠١)

(١) اقتطفنا ما يأتي في هذا الباب مما كتبناه على بحر الجبل في شهر يونيو سنة

١٩٠١ وورد في الكتاب الازرق للخارجية الانكليزية في فصل « مصر » نمرة ٢ -

١٩٠١ . اما ماتراه هنا صفة للنهر مخالفة لما ورد في الكتاب الازرق فمسند الى معلومات

وقعت الينا بعد ذلك وعهدنا بها قريب

يمرّ في ارض ربما لا يوجد على وجه البسيطة نظائرها في الهول المهول والوحشة الموحشة . ومن عند كندكرو يكون ظهر النهر صعب المركب^(١) في الرقارق والشفف لتشابك شعابه واختلاطها بالجزر . ثم لا تزال العين تبصر على بعض المسافة قنأنا من الجبال فيذهب ذلك بشيء مما لمنظرة الارض هناك من قبح السيمياء وفظاظة المرأى . وترى على ريف النيل ذات اليمين وذات اليسار براحاً من الارض فسيحاً قصيباً عشيباً وفي اقصى اطرافه معالم الغابات والآجام وتكون سعة بحر الجبل في مسافة منه بين كندكرو ولادو بين مائتين وخمسين متراً وثلاثمائة متر والغور يتراوح بين مترين ومترين ونصف وفيه جمٌّ من الجزر وعليه من كلا ساحليه مسايل وفيوض حتى يتمدر في ازمان الفيض تعيين مجرى النيل^(٢) . هذا وتقع لادو على الجانب الغربي للنيل وهي عن بحيرة البرت على اربعمائة وسبعة كيلومترات وعرضها الشمالي خمس درجات ودقيقة وثلاث وثلاثون ثانية^(٣) وتستدير بها المناقع والسباح والآجام . ويكون ارتفاع الجرف عن سطح ماء النهر بين خمسة امتار وخمسة امتار ونصف وفي هذه الرقعة يكون اندفاع المياه شديداً الى الغاية كاندافعه عند كندكرو التربة رخفة مسترخية رملية ففي كل يوم يجرف التيار فيه فيهرأه . وكلا المكانين لادو وكندكرو محلتان قديمتان قد مضت عليهما السنون لكنهما ومياه النهر في مطاردتهما قد تنخسفات في القريب العاجل . ولقد كانت لادو زماناً طويلاً عاصمة الاصقاع الاستوائية المصرية وبها اقام امين باشا وفيها قعد للمظالم حاكماً .

(١) هذه الشقة من رحلتنا قطعناها ركوباً على ظهر الباخرة واما شقة ما بين نيمولي وكندكرو فمشياً على الاقدام

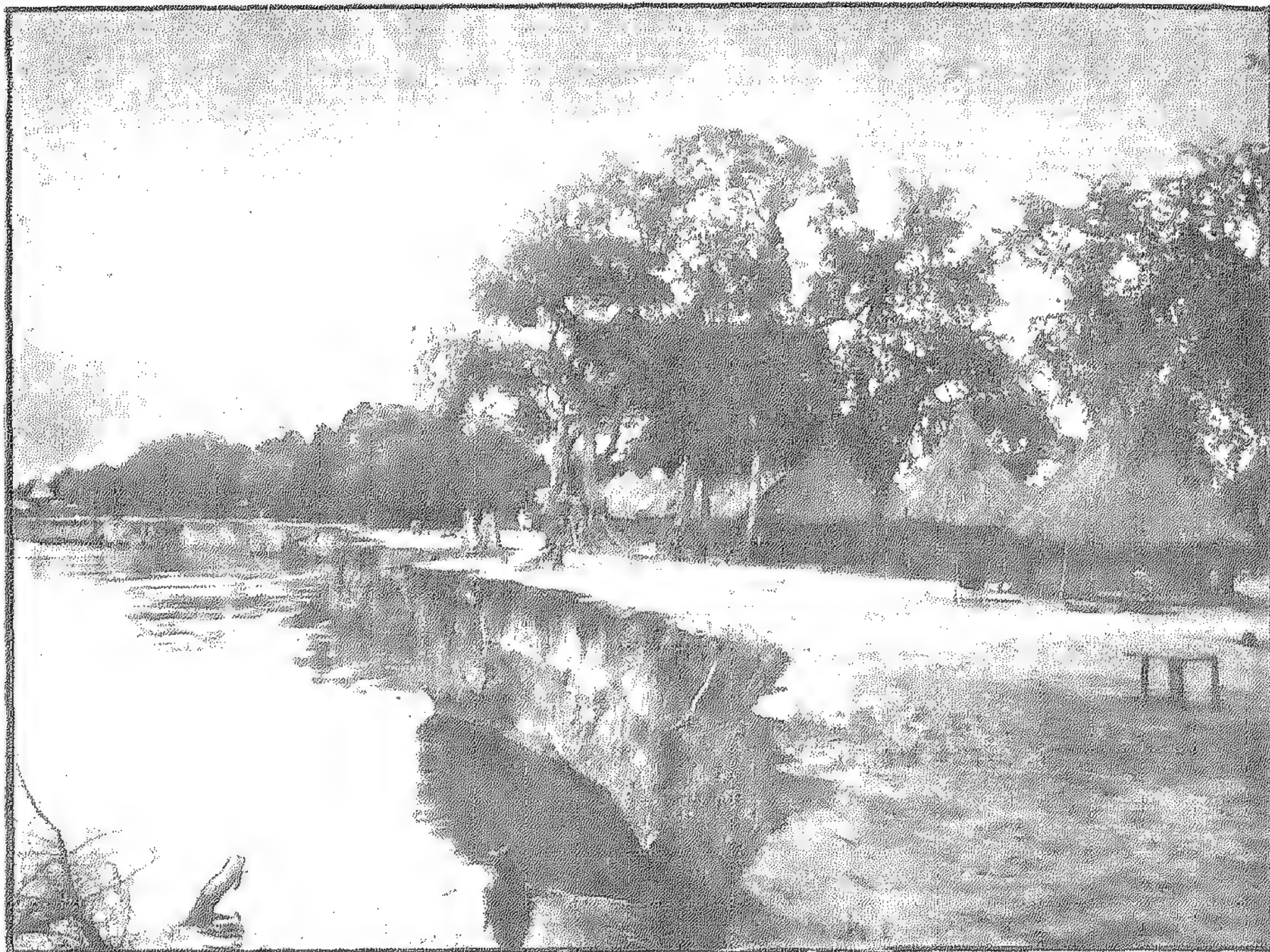
(٢) النقطة التي اختيرت لاستطلاع مستفرغ النهر منها تبعد ثلاثة كيلومترات عن لادو الى الجنوب عنها

(٣) قال فلكن ان لادو تكون بقدر اربعمائة وستة وخمسين متراً

وللطوابي والاستحكامات هناك اثر ظاهر وكان مشتمل ذلك اي سياجه وصيانته حوالي سبعمائة متر غير ان اكثر ذلك المشتمل قد عبثت به مياه النهر فانهار غائصاً فيها ولذا كان من المستصعب على الخبير ان يستوضح حدوده الاصلية . ولقد اجهد بلجيكيو لادو في ابتناء المرافق لايواء جندهم . وعامة المساكن بناؤها من القرميد وهو الأجر (الطوب) وشكلها مخروط مغماة بالقشيش والطرز الحديث المعول عليه اليوم اكواخ مستديرة الشكل مرفوعة على اقبية مقنطرة يتخللها الهواء في اسافل المسكن . ولو ان هذه المساكن قبيحة المنظر لكنها صالحة للسكنى ملائمة للابدان في ذلك الاقليم . اما مسكن قائد الجيش فاضخم سائر المساكن . واما لادو فالباصر بها يراها قفراً وحشاً تحيط بها مهاد من الارض مغطاة برقيق النبات والاعشاب وفي مواقع منها آجام وسباح وهي تذهب من ضفة النهر الى مدى ثلاثة كيلومترات والى ما وراءها تقوم في الارض الادغال وهي تتصعد على هذا النحو الى ان تلحق بنوادير جبل لادو وآنافه وهو جبل يعلو في السماء كأنه معلّم للارض مرساه من الناظر اليه على مسافة تكون بين خمسة عشر وعشرين كيلومتراً الى يسار المحلة . والذي ادركناه ان البلد قد خلا عن الامل فأصبح الجند يؤتى لهم بالميرة من اماكن سحيقة قصية . وتجاه تلك المحلة هناك ترى جزيرة مستوية الاديم فيها البقل والنبات كشجر الموز والخروع يكون ارتفاعها عن اقصى غيض النهر متراً وربعاً وليس لهذا البلد تعامل او تجارة تذكر وزروعه قليلة طفيفة ويحمل اليه شيء من العلاج ويظهر لي ان شجر اللستك هناك على بعد بعيد عن النهر وتبينت ان السواد الاعظم من عباد حاشية النهر قد اختاروا الاقتراش على حاشيته الاخرى وهم قد اعوزهم الماء في سنتي ١٨٩٩ و ١٩٠٠ فاعتري بلدهم الجذب . هذا وفي ازمان السيل تنتشر الحمى ولكنها سليمة لا تذهب بالنفوس بخلاف الحمى التي

تتقش في بلد كبر وشمالى لادو فانها فاجمة فتاكة . وعند الكيلومتر الاربعمائة
والعاشر ينشعب منه شعبة تذهب الى الغرب عنه^(١) والوادي هناك يتضايق
فتكون سعته خمسة اوستة كيلومترات وفيه ما لاعد له من الجزر وأما البسائط
ذات اليمين وذات اليسار قفسيحة عشبية والنهر يشق فيها بشعابه المتشابهة
حتى يتعذر ركوبه الا على الربان الخبير الحاذق لاسيما وهو هناك قلما يجاوز
غوره في أية نقطة منه ثلاثة امتار ويربو في اجوافه دواب الوحش وهي
كثيرة عديدة تنزع الى الايداء . وعند الكيلومتر الاربعمائة والسابع والثلاثين
يفارق النهر جرفه الغربي فيشق ماراً في الآجام في سمت الشرق وهناك
أقيمت محلة منجلاً وهي اقصى محلات الصبارة^(٢) لحامية السودان على بحر الجبل .
ولقد كشفت الارض عن الادغال وأقيمت الخصاص للجندية والمساكن لرجال
الانجليز . ومنجلاً صحيحة الهواء طيبة الاقليم كسائر البلدان التي على البحر المذكور
وموقعها ملائم تمام الملائمة وقد أزيلت من نهاياتها الادغال والانجم في مجال
بعيد عن محال الجندية وهناك أقيم مقياس لرصد مياه النيل . وعند الكيلومتر
الاربعمائة والاربعين في متاخمة الساحل الشرقي تكون مرتفعات الارض
والاشجار حافة بهدب الماء وهناك محطة . وعلى نحو كيلومترين شمالاً هناك
خور يفضي الى النيل ويكون منه في بطن الدغل بحيرة معجبة . وفي تلك البقعة
آثار تدل على وجود الفيل بكثرة . والى الشمال عن ذلك الموقع تكون سعة
النهر متخالفة فيما بين مائتين وخمسين متراً الى ثلاثمائة متر . واذا بلغت
الكيلومتر الاربعمائة والسادس والاربعين رأيت الشعبة الغربية التي اشتقت

(١) شقة الحدود بين مستعمرة أوغندا والسودان المصري تكافئ الضفير
الشرقي للنيل عند الكيلومتر الاربعمائة والعشرين وهناك خور او غدير يفيض من جوف
الدغل ويرمي الى النيل
(٢) الجند المرابط للحراسة (المغرب)



كبرو على بحر الجبل



منجلا على بحر الجبل

منه في اسفل لادو عند الكيلومتر الاربعمئة والعاشر قد عادت فلحقت به .
وعند الكيلومتر الاربعمئة والتاسع والاربعين تكون هناك بطيحة او بحيرة في
المداخل الغربية وفي الطرف الواحد من تلك البطيحة يكون جبل لادو
وهناك مجالة او طاقة مهيبة المنظر^(١) . وفيما بعد ذلك بكيلومترين شمالاً
ترى بطيحتين أخريين على الجانب الغربي ايضاً تكتنفهما الادغال والنهر
في عامة هذه القطعة منه يلزم طرّة الوادي الغربية . ثم اذا اخذت نزولاً
تخرج الى بلدة كيرو عند الكيلومتر الاربعمئة والثالث والخمسين وهي محلة بالجيكية
في شقة لادو تقع في الجانب الغربي للنيل والعرض الشمالي خمس درجات
واثنتا عشرة دقيقة او خمس درجات وثلاث عشرة دقيقة منظرها تزهة حسنة
تستدير بها غابات فيها من كل شجرة ما يلذ الناظر اليها . مضجعها على جرف
النهر وهو بقدر خمسة او ستة امتار ارتفاعاً عن سطح مائه وتيار الماء هناك في
عامة سيره يفتت جرم الجرف وفعلته أشد من فعلة التيار عند لادو وجروف
النهر القائمة عمودياً تعبت بها جريته فتكون بذلك مستديمة الانهيار في يم النهر .
أما خصائص المحلة فحسنة التنسيق مرتبة نظيمة ومعسكر الجنود مصون بسياج
من اخشاب وسلاحه مدافع كروب ومنزل قائد الجيش بناء لا يتهيأ للناظر
الا ملائمة للسكنى . سقفه مغشى بالقشيش وله رواق مشرف فسيح السعة .
وفي الجزيرة قبالة المحلة يوجد شجر البابس^(٢) وطوائف النبات ولاعمارة فيها
سوى ذلك . والحامية رجالها اربعمئة عدداً ولها رفأس بخاري «فُنْ كَرْ كِهَوْقِنْ»
وعدة قوارب مصفحة . هذا وزنوج القوى العسكرية في مقاطعة الكنفو
الحرّة يختلفون عن أمم وادي النيل في الخلقة فالزنجي قصير القامة مع غلظ

(١) الطاقّة مجالة ما بين الجبال والقيعان اي السهول (المغرب)

(٢) شجرة من الفصيلة القرعية تنمو ايضاً في الديار المصرية معروفة بالباباظ

البلدي وثمره يعرف بالخشخاش الزبدي (المغرب)

في الجثمان وبعضهم تكون بشرتهم محشوكة وشماً . قيل وكثير منهم مفترعون من الامم الذئبية أكالة البشر . والى شمالي كيرو تكون منظره النيل على قدر من الجمال ونضارة الخضرة . ومن خصوصيات الغابة عظمة شجر الفرييون وهو فيها نخيم المنظر . وعامة الجروف وغالب الاشجار يغشاها العليق ديباجه قطيفي وهناك حرف قادمة هوية سمكها من ثلاثة الى اربعة امتار وهو يتدلى الى النهر ولكن فعل التيار غاية في الشدة فهو يجرف في ارض هشة رخفة فيحسبها حسياً عجلاً . وسطح هذا الحرف فيه ما لانهاية له من الخروم والثقوب التي احدثها الوروار المعروف بأكل النحل وهو طائر جناحه وردي اللون وجسمه أسمره يزيد ذلك المنظر البهيج حسناً وبهاء . واشجار الجانب الغربي كافة أدق جرماً من اشجار الغابة الشرقية . واما الجرف الغربي عند حافة ماء النهر فيبلغ ارتفاعه من متر الى متر وربع ولكنه لا يلبث ان يرتفع حتى يكون من اربعة الى خمسة امتار علواً عن سطح الماء . وعند الكيلومتر الاربعائة والسادس والستين يهجر النهر الغابة الغربية فيسير شاقاً في السبخة . والى الشمال عن كيرو يزداد الغور بعداً والى الجنوب عنها قلماً تجاوز مترين او ثلاثة امتار وهو متخالف الانفساح تكون سعته في مواضع منه من مائتين الى ثلاثمائة متر وفي مواضع مختلفة بين ثمانين وتسعين متراً فقط . ولما استوينا الى الكيلومتر الاربعائة والتاسع والسبعين رأينا ينشعب بشعبتين تلتقيان عند الكيلومتر الاربعائة والسادس والثمانين . وفي النهر تتعدد الجزر وتكثر السيول والصبات على جانبيه حتى لا تكاد العين تبصر له مسيلاً مفرداً . وعند الكيلومتر الاربعائة والثاني والتسعين يتداني النهر من الجرف الشرقي وقد اعياء السير في المناقع والهيام في فيافي السباح . وفي مسيرنا في تلك المناقع تبيننا بالبصر جملة اتساع الوادي وربما كانت البسائط في بواطنها مرتفعة عن سطح الماء بقدر ستين سنتيمتراً على الجانبين لكنها

عند الجرف تعلو ويكون ارتفاعها متراً وربما وقد تصير الى متر ونصف .
واما ما اطمئن منها فله غدران وبرك وبطائح متوالية . وفي معتدل الفيض
لا يلحق الماء سطح المرتفعات من الوادي ولكن فيض سنة ١٩٠٣ قد غمرت
ماؤه عامة تلك الارض . والوادي هناك تختلف سعته بين اثني عشر الى
اربعة عشر كيلومتراً

وعند الكيلومتر الاربعمائة والثالث والتسعين هناك شجرة فخيمة نابتة
على الجانب الشرقي تكون معلم البر الاعظم وهي قائمة على شفا جرف هائر
يبلغ ارتفاعه عن الماء ثلاثة امتار فلا عجب ان يكبو بها الجرف لوجهه في
القريب العاجل فتمحي طامسة لاجل ان التآكل في تلك النقطة على قدر عظيم .
قلت والغابة تذهب صعداً من جانب الماء تواء ويكون معظم ارتفاعها عنه
سته او سبعة امتار . ثم بعد ذلك باثني عشر او ثلاثة عشر كيلومتراً يكون
مسير النهر في تلافيف وثنايا متعاقبة بحيث لا يحيط بها احصاء فلا تكاد ترى
قطعة منه مستقيمة الطريقة . ويكون متوسط سعته في تلك الشقة ثمانين متراً
وبعد غوره ثلاثة امتار ونصفاً . واما الجرف فكثيب من الرمل وكذا البسائط
والسطائح ناشطة من حدة الماء وفي مواضع منه ترى صفار الجزر تشقه فينقسم
بفرتين او اكثر وعلى كليهما آكام راسخة وفي علاواتها شيء من ضميم
الخصاص البارية . ولامم الباري في جناباتها مزارع الذرة^(١) اما المرتفعات
فمتوسط سعتها من مائة الى مائتي متر بلا زيادة . فاذا جاء الفيض غامراً
تطبقها المياه فتغمس . والى شرقي تلك المتون اغوار من الارض تكون فيها برك
وغدران وينساب في اديمها مجار وسيول . والارض مستوية السطح مديدة
الشعب واما سعة الوادي فمن تسعة الى عشرة امتار . وعند الكيلومتر

(١) هذه الخصاص غمرتها المياه في فيض ١٩٠٣ حتى بلغ السيل سقوفها
فاضطرها الى هجرها نازحين الى داخله البر

الخمسائة والسادس يصير النهر في شعبين بينهما جزيرة عشبية يكون عرضها بين ثمانمائة والـ ألف متر . وعند الكيلومتر الخمسائة والثالث والثلاثين تلتقي الشعبتان بعد هجر وتكون اعظمهما الشرقية^(١) . واذا تجاوزت هذه النقطة وكنت عنها على كيلومترات رأيت النهر يُضاف الجرف الشرقي وله في سيره تعاربج ومشان وله في مواضع من تضاعيف ثناياه سباح ومناقع لكنه بالجملة يسير والمرتفعات مباشراً لها لصقاً . واما الجرف فارتقاءه يختلف بين مترين ومترين ونصف وفي مواقع منه يكون سمته عمودياً وهناك تجريف المياه شديد الوطأة ومنظرة البر في تلك الانحاء اشبه بمنظرة النيل الازرق . واذا نظرت الى الغابة وهي تحف بالنهر وتفرست في الجرف والمتسلقات المتعلقة من النبات وتبينت صفار الشجر وتأملت في جيشان الماء وفورانته ودورته فلكت من ذلك منظر مدهش وايماء ادهاش يختلف اختلافاً كلياً عن سائر المناظر التي تُشاهد في تلك القطعة من نهر الجبل . والارض في هذه الاصقاع خالية عن امم الباري ويكون فيها امم الدنكا والفرق بين القومين مثل الشمس ظاهر فساكن الباري (ويسمونها بالتكل) ليست على شيء

(١) بعد كتابة ذلك طوى المستر كريج مسافة الشعبة الغربية في شهر سبتمبر سنة ١٩٠٣ راكباً بخارية وكان الفيض في تلك السنة خارقاً في الغزارة وفي جوام زيادته . قال ان الشعبة عظيمة المقدار يختلف سمعتها بين مائة ومائة وخمسين متراً وكان غورها حينئذ في عامتها خمسة امتار ما خلا طرفها الجنوبي فكان الغور فيه مترين ونصفاً فقط وممرها اكثر استقامة من ممر الشعبة الشرقية وهي اصلح الشعبتين لتكون المسيل الفرد للنهر عند مباشرة الاعمال المختصة بتدبير مجراه . وهي تلاحف الجرف الغربي الاعلى وهو هناك غابة ملتفة الاشجار وفي الارض قرى شتى اهلوها امم ألياب وهم قد طمهم الفقر ونزات بهم الفاقة نساؤهم يتحلين بهنوات من بلور الكور تس يخترمن لها في شفاهن السفلى مكاناً يسمونها به ورجالهم يخلقون رؤوسهم . ولعلها الشعبة التي تتبعها بيكر في رحلته سنة ١٨٦٣

من الهندام والطلاوة وهي خسيصة البناء بخلاف مساكن امم الدنيا فانها معتدلة صالحة للسكنى . وعند الكيلومتر الخمسائة والواحد والستين هناك قلعة الدراويش وهي المعروفة عند اناسي تلك البلاد « بالديم » وكانت برهة من الزمن في يد الامير عرابي ضاف الله قائمة على الضفة الشرقية وموقعها صالح للدفاع لأن ماء النهر يحيف بها من جانبيها . والجرف اليوم قد اصبح يجمته اصلع أمرد لان الادغال قد كشفت عنه في مدى فسيح . والقلعة يستدير بها سور من مدر^(١) يتألف من مجموع شكل مربع مستطيل يكون مجرى النيل ضلعاً منه ويكون طوله سبعمائة متر وسعته اربعمائة متر والجرف ارتفاعه متر ونصف ووراءه خندق سعته متر ونصف وبعد قاعه متر واحد وعلى اركانها الاربعة ابراج للاستطلاع وبعد ذلك بقدر احد عشر كيلومتراً يلاحف النهر الجرف الشرقي وهو عالي المرتفع يكون عن سطح النهر بين مترين ومترين ونصف ولا تركبه مياه الفيض على الاطلاق والغابة ادغال وقليل من كبار الشجر . ومن خصوصيات الناحية صفار نخيل الدلب فانه يغشي وجه الارض على انه ليست واحدة من خمسمائة من هذه النباتات تصير الى شجرة فهي دق الغروس الملتفة . ومسيل النهر في تلك الاصقاع فخيم الجرية تكون سعته من ثمانين الى تسعين متراً وله جرية شديدة . وفي الصوب الغربي تستبحر الآجام وتنبطح المناقع ولا تكون سعة فجوة الوادي هناك اقل من ستة عشر كيلومتراً . وعند الكيلومتر الخمسمائة والسبعين هناك بلدة بور على الجانب الشرقي حيث العرض الشمالي ست درجات واثنى عشرة دقيقة وست واربعون ثانية وهي عميم^(٢) من قرى

(١) هو التراب المتلبد او قطع الطين اليابس او الطين العلك الذي يخالطه رمل

واحدة مدرة (المغرب)

(٢) العميم المجموع وهو الحشد والحشد ايضاً (المغرب)

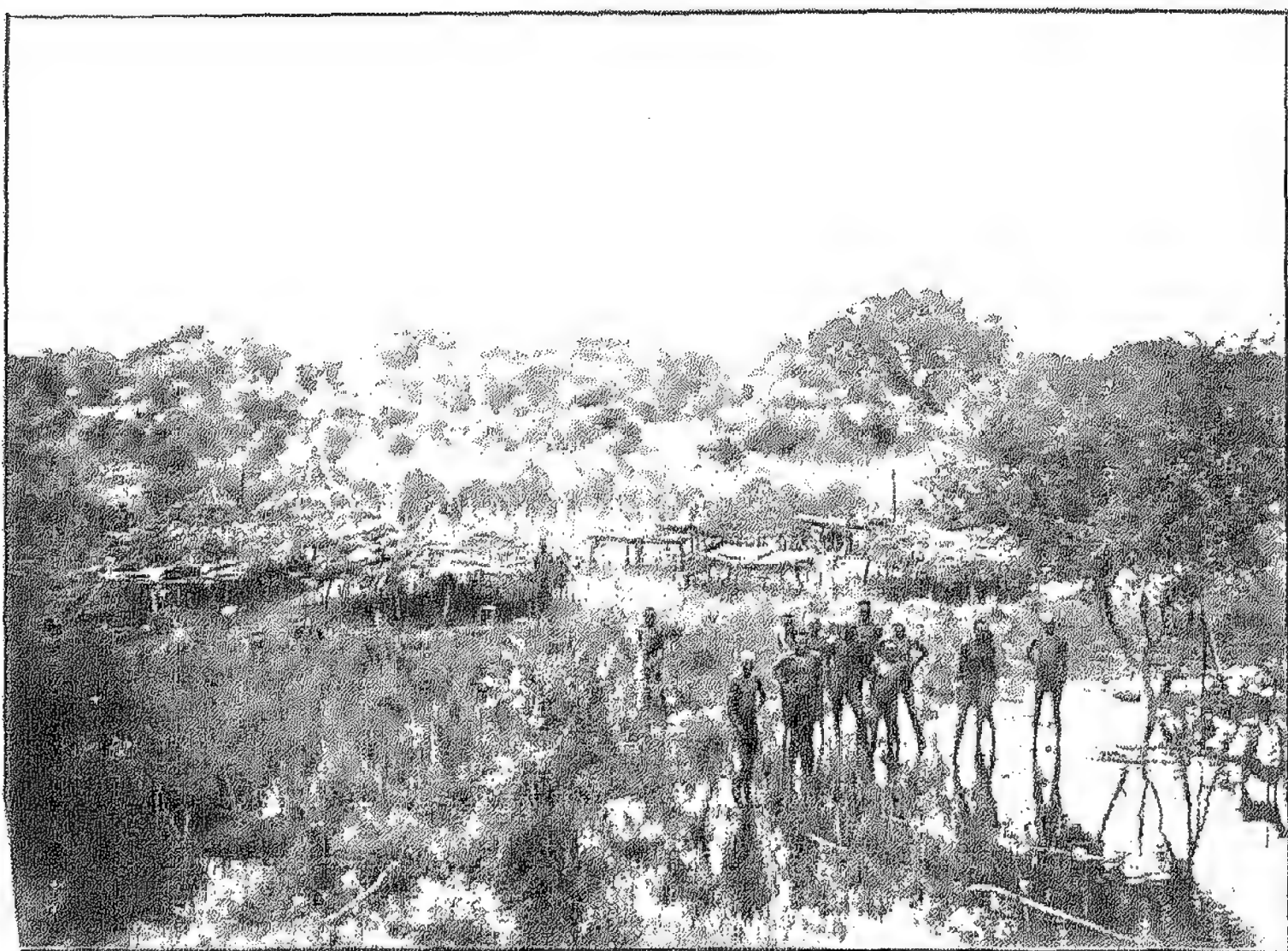
الدنكة تمتد على سمت الشمال الى ما وراء الآجام والمناقع حتى تكاد تتصل
ببحر الزراف . واما الغابة ففي عزلة عن النهر ولكن الجرف العالي يتقارب من الماء
حتى لقد يحف به الا في طول كيلومترين تكون فيهما بطيحة كبرى^(١) . ويوجد
نخيل الدلب على قلة في تلك الانحاء فتراها كأنها اوتاد تعرف بها معالم الارضين .
اما البلدة فليست بكبيرة لكنها مثل ساثر قرى الدنكة ذات هندام في
العمار نظيفة المرافق اكباسها مستديرة الشكل وحيطانها مطلية بالطين
وسقوفها منخرطة وهي مغماة بالوشيع ولها ابواب صفار يدخل منها اهلوها
زحفاً ويخرجون وهم في خلقتهم لا يرجعون الى جفول ونفار وعلى وجوههم
سياء الرخاء وهناء العيش ولهم اموال جمّة من السائمة^(٢) والمواشي . والى
شمالى بور تقع بلاد المساكات اي السدود غير ان السباخ والمناقع الصحيحة
لا تكون الا في شمالى غابة شمي . وخصال السباخ هناك تكون غير ما
مرّ من خصال السباخ الاخرى ففي الشمال عن ذلك الصقع ترى البرديّ
والعنبج وضرباً من القصب لا يعيش ان لم يكن غائصاً في الماء في حصة طويلة
من السنة بخلاف الصقع الجنوبي فانه منابت اعشاب وارض السباخ
هناك مطمئنة كثيراً عن ارض السباخ في الصقع الشمالي . ثم انفصلنا عن
المرتفعات الواقعة شرقي بور وهبطنا في سمت الشمال واذا بالجروف وطيدة
بسيطة الاسطح لا تعلو عن مستوى الماء خمسة وعشرين او ثلاثين سنتيمتراً
الافيا ندر . وعند الكيلومتر الخمسة والسادس والسبعين تجافي المرتفعات
الشرقية جرف النهر فتكون عنه بقدر ثلاثة كيلومترات^(٣) ولقد شاهدنا هناك

(١) قال جردن ان بور لا تصلح لان تكون مخشبة اي مستودع اخشاب

(٢) الوشيع سعف النخل يلقى على خشبات السقف كناناً له (المعرب)

(٣) السائمة كل راعية من الدواب (المعرب)

(٤) لا أخال مبدأ هذه السباخ على الطرف الشرقي الا رأس الشعبة التي



ضفة بحر الجبل عند بور



نبات البردي

كثيراً من اناسي تلك النقطة يصطادون السمك والنهر في اجوافه جمٌ من دابة الماء . وعند الكيلومتر الخممئة والتاسع والسبعين هناك بطيحة واسعة الاطراف يكون منفسحها خمسة كيلومترات والنهر يطيف بها في مسافة بعيدة متعرجاً في ممره بتعماريج حادة وفي السباح طوائف البردي

وعند الكيلومتر الستمئة والرابع عشر تنشأ بطيحة اخرى معروفة ببجيرة بوندائيل يُطيف بها النهر في مسافة قدرها ستة او سبعة كيلومترات متجانباً عنها بمضيق سبخ يقع تكون سبعة بين مئات الامتار وكيلومترين وأقصى مستوسع البطيحة يكون ثلاثة كيلومترات لكن ماءها ضحل رُقارق ويفشى وجهه جماعات البردي كانها فيه جزر صفار والبطيخة بينها وبين النهر برانج موصلات . هذا والبر بين تلك النقطة ومحلة الكنيسة عند الكيلومتر الستمئة والسابع والثمانين ليس فيه من الصفة ما يستوجب الذكر فالارض هناك مرداء مكربة وما كان من ضفاف النهر ذا جُرْفٍ فجرفه منسطح متسفل فلما يكون ارتفاعه عن سطح الماء خمسين سنتيمتراً . وفي عرض تلك البطاح تكثر الطراف وتشب جماعات البردي . واذا تبصرت الافق ذات اليمين تبينت في حاشيته على نحو اثني عشر الى خمسة عشر كيلومتراً سطراً من الاشجار كانه اطواد راسيات تعين معالم وتخوم السباح والآجام ويستبين الرائي رسم منافع بحر الزراف وماهية تكوينها فالنهر يفيض بمياهه فيها من نقط بينها مسافات تبلغ مئات من الامتار وهذه الفيوض تنسكب من بثوق ومهارب عميقة الثغر جوانبها عمودية الجرف كأن قد سوتها ايدي البشر . ولا اظن ما يزلج اليها من الماء اثناء الفيض الا كثير المقدار . واما ابعاد هذه البثوق ففرطة التخالف في السعة فهي تكون من بين ثلاثة الى خمسة امتار وربما بلغت سعة بعضها ستة عشر متراً . ولقد احصينا فيما اندرج من النهر بين بور والكنيسة (ومسافة طوله مائة وسبعة عشر كيلومتراً) مائة وتسعة وعشرين بثقاً يقع سبعة وتسعون منها على

الجانب الشرقي ولا يبعد ان تكون بثوق أخرى جهة قد تمدّها بها بصرنا
ففاتنا احصاؤها . اما محلة الكنيسة فكانت في برهة طويلة من الزمن مقرّاً
للمسألة النمساوية تقع في ست درجات وست واربعين دقيقة من العرض
الشمالى . وكان موقع الكنيسة بالذات وديار مراققها جميعاً على الجانب الشرقي
فدرست ولم يبقَ منها اليوم الا رسم شاخص . وكان لها على الجانب الغربي
بستان ترتفع منه اثمار جرومية كبيرة الحجم وبعض شجر الليمون والبرتقال
لا تزال فيها الى اليوم . وهي قد هجرتها الرسالة لان اقليمها وخيم دويّ مخرب
بالعافية وليس في المحلة اهل الا النزر القليل من أمم الدنكا . وهناك اكبر
مستودع للاخشاب والاحطاب تزوّد بها السفن الكاسحة في المساكن .
والغابة ملتفة الاشجار حاشكتها وهي من النبق والفريون متواصلة تلحق
بحروف نهر رول الى الغرب عن النيل وهو عنه على مائة كيلومتر . واذا مررت
ببلدة ابوكيكا (والعرض الشمالى هناك ست درج واربع وخمسون ثانية) فانت
في الكيلومتر السبعائة والرابع والثلاثين هناك تعود الغابة الغربية في تلك
النقطة فتدنو من النهر والجرف جاف والادغال تماس حرف الماء لكن الغابة
منه على نحو الف وخمسمائة متر . اما البلدة ففي تضاعيف الارض طامسة عن
مراى العين . والى الشمال عن البلدة في مدى اثني عشر او اربعة عشر كيلومتراً
تكون الارض وحشة الى الغابة سبخة ذات بقائع من البردي مفترشه في جميع
الانحاء وترى النهر هناك تارة قويم المجرى في مدى بعيد او منحنيّاً حنايا
طفيفة المنعطف وطوراً تائهاً في تلايف وثنايا شاقاً في سيره البقائع والمستنقعات
ويكون سطح مائه مغشى بخليع نبات يستيسر وتس متوسط جريته في
ازمان الفيض كيلومتراً ونصف في الساعة ومعدل غوره خمسة امتار ومتوسط
سعيه بين شقيه من خمسين الى ستين متراً . والمنظرة في عامة تلك النقطة
لا تزال مكربة والنهر هناك يهاجر الغابة الغربية الى مدى بعيد ويكون على

حاشيته صفحة فسيحة من الماء قصباء هي بطيحة لا تكون سعة منفسحها باقل من ثلاثين كيلومتراً^(١). وعند الكيلومتر السبعمئة والثاني والاربعين والكيلومتر السبعمئة والرابع والاربعين يحمل من النيل على جانبه الشرقي شعبتان ترميان الى بحر الزراف^(٢)، وما بعد تلك النقطة بكيلومترات عديدة يستدير النهر بالجانب الشرقي لبطيحة شمي وما يفصله عنها إلا أجمة قصباء سمعتها ما بين شفتيها ستمائة متر واما طول البطيحة فمن ستة الى ثمانية امتار وسمعتها تتجاوز كيلومترين ومتوسط بُعد غورها متر ونصف. وتنقطع البحيرة عند الكيلومتر السبعمئة والسادس والستين وهي تتصل بالنهر في برزخ ماؤه ضحل قريب

اطلق عليها جرجان اسم نيل جرثوده (طالع الملحق السادس من هذا الكتاب)
(١) كثيراً ما عبرنا هنا عن ارض ساحل النيل بالمرتفعات وليس ذلك الا من باب المقارنة والمقابلة بينه وبين ارض السبخ المحيطة بالبقعة لان ارض الساحل ايبس من ارض تلك السبخ وأجف . وأما الجرف فقاعدته في الغالب ترتفع عن منسوب مياه الصيف بقدر ربع متر والبساتط والبطائح ارضها مطمئنة لكنها بعد الانخفاض تشخص صاعدة بالتدرج حتى تلحق بالغابة . وجل هذه الارض تغمره المياه في الفيض المعتدل وعامتها يطمسها الماء في الفيض الغامر اما تربة الارض فمكرمة للنبات وهو غير عشب . والسبخ في هذه النقطة لا يكون على سطحها ريم العشب وسقاطه بخلاف السبخ الواقعة شمالي شمي . ومن خواص النيل في تلك النقطة منه أن الناظر اليه لا يخاله الا طالباً في جريه لعوالي الارض لكنه عند تدانيه منها يعرج عنها فيشق في المناقع والآجام وله فيها تلافيف ومثانٍ عجيبة ويغلب ان يكون في كل طية من طيات هذه التلافيف غدير عظيم او بركة متسعة . وقما كان النهر يحف بالجرف الاعلى ذاهباً معه . وبعض هذه الثنايا غريب الخلقة بوشك ان يكون دائرة شكلاً واخص بالذكر منها واحدة عند الكيلومتر الستمائة والثمانية والسبعين . وتكون سعة الارض ما بينها والثنية الاخرى خمسين متراً فقط

(٢) تعرف الرواد بعد ذلك ان هاتين الشعبتين إن هما الا مجريان يصبان من نهر اواي المعروف بنيل جرثوده ويرميان الى بحر الجبل وربما انساحت المياه في الفيض المقل من النيل الى هذين المجريين (انظر الملحق السادس)

النور والى غربي تلك البطيحة تكون محلة غابة شمبي والعرض الشمالي هناك سبع درجات وست دقائق واثنى عشرة ثانية تكون عن النهر على كيلومترين والبلد بقعة مكربة وحشة في العيان وفيه بعض الخصاص والمكاتب قائمة على حاشية البطيحة والحاشية كثيبة والبر الغربي يرتفع عن الماء بقدر ستين سنتيمتراً ولكنه يتزايد ارتفاعاً كلما تدانى من الغابة . اما المحلة فقد اصبحت اليوم على جانب من الاهمية فهي مركز البريد باقليم بحر الغزال على النيل والى غربي النهر مناطق البردي تماس اديم الافق والى ما بعد شمبي في مسافة سبعة كيلومترات اي عند الكيلومتر السبعائة والثلاثة والسبعين هناك يحمل بحر الزراف من النيل على محاذاة مجرى النيل شريد^(١) في شقة بعيدة المدى ومن ثم ينحرف مشرقاً وتكون سمته عند منقسمه زهاء ثلاثين متراً ومخرجه يحيط به مستبحرات من نبات البردي السامق الطول . وعلى مقربة من تلك النقطة تواء يلتوي بحر الجبل التواء مفراطاً قد يكون منه في مستقبل الزمان عقبة على مثال السد فان البواخر في اجتيازها تلك النقطة منه تثير مادة المساك البالية فيطفو قذاها على وجه الماء . اما سعة النهر هناك فتوسطها يتراوح بين خمسين وستين متراً وبعد غوره خمسة امتار واذا اردت شقة ما بين الكيلومتر السبعائة والثاني والسبعين والكيلومتر السبعائة والثامن والثمانين فمسافة الطريق في مساكن اربعة قد ازالها القائمقام دروري من رجال البحرية في فبراير سنة ١٩٠١ وكانت معروفة بمساكن ستة عشر وسابع عشر وثمان عشر وتاسع عشر . وفي عامة تلك النقطة منه شعاب عديدة ماؤها يترامى اليه من جانبيه وفي يمه شي كثير من الجزر مكسوة بالمنبج والبردي تفرق مجراه الى شعاب والبر في تلك الاصقاع عامته مفازة مستأجمة . اما النهر فتضايق للغاية فلا تجوز سمته خمسة وعشرين الى ثلاثين متراً وعمق مائه من ستة الى سبعة امتار

(١) في القاموس الشريد الطريق اي المطرود واستعير هنا للمجرى المهجور (المرب)

وأما المجرى الشريد المتقدم ذكره فأشبهه بالنيل من النيل الآ في بُعد غوره .
ولا يكاد الناظر اليه يحسبه نهر النيل على ما فيه من تقارب السعة واثناء
المجرى وتمازيجه غاية في الغرابة تحار فيها الابصار فانك لقد يقع نظرك على
شجرةٍ او دَقْلٍ^(١) سفينة فتحسبها على مقربة منك وأنت اذا اردتهما لاتدركهما
الا ان تسير عدة كيلومترات . اما وجهة النهر العامة فهي في سمت الغرب
قصداً^(٢) . ومذهب المجرى الشريد الى الشرق ماراً في بطائح شتى رقيقة الماء
حتى يُفْضِي الى النيل عند الكيلومتر الثمانمائة والرابع^(٣) . ثم قصدنا البلد فترلنا
في الكيلومتر الثمانمائة والسابع ومن بعده في الكيلومتر الثمانمائة والثاني عشر
واذا بنا على جدولين يصبان من الغرب ويفرغان في بحر الجبل ولعلها فرعا
نهر جاي أو باي الذي يُظن انه يرمي اليه في ناحية من ذلك الصقع^(٤) . وفي
شمالي تلك النقطة تنبطح المناقع والآجام مفترشة في جميع الانحاء حتى لا ترى
لليس رسماً الا عند الكيلومتر الثمانمائة والرابع والاربعين هناك تكون
مرتفعات الارض مكسوّة بقصير الدغل وهي في سمك ستين او سبعين
سنتيمتراً عن سطح الماء وتطيف بالنيل من الجانب الشرقي فتلامسه في مواضع

(١) الدَقْل سهم المركب وهو خشبها الطويل الذي يُعَلَّق به الشراع وهو
الساري (المعرب)

(٢) القصد الوجهة المستقيمة (المعرب)

(٣) قبل كشف المساكن السادس عشر والتاسع عشر كان المجرى الشريد
هو المجرى المفرد الذي تسلكه السفن الماخزة في مهب الجنوب وقد اتخذ الميجرييك
والقائمقام دروري محجة ترحالها الى كندكرو وقد صادفا فيه صعوبة المسلك ومناعة
المنفذ حتى أدّى بهما الامر الى الانحراف بمركبيهما الى الشط وقد اضطرّا الى النزول
بالبر أربعاً

(٤) قصد المستر جريج بحر الجبل في عام ١٩٠٣ وهو يظن خلاف ذلك وعنده
ان المسيل الراعي الى النيل عند الكيلومتر الثمانمائة والثالث والتسعين هو نهر ياي بالذات

دون مواضع حتى يفضي الى الكيلومتر الثمانمائة والثاني والثمانين . وليس في الشقة الا منقطع واحد في الجرف ذلك عند الكيلومتر الثمانمائة والثاني والستين وهناك يحمل من النيل مسيلان او ثلاثة صغار تذهب في سمت الشرق يقول أناسي تلك الاصقاع انها اقصى ممدّات بحر الزراف الشمالية . ولقد ابصرت في عام ١٩٠٠ شجرة من نخيل الدلب نضيرة قائمة في تلك البقعة وهي تحف بصفة الماء كأنها وتد من اوتاد المعالم وتخوم الارض ترمقها العين في مدّى مديد واليوم قد طمست بتيار من الماء عبث بالجرف التي كانت هي فيه فانهار بها^(١) . ثم تنقطع المناقع ايضاً وهناك تتقارب المرتفعات الشرقية من النهر وتذهب معه محاذية له مساف ثلاثة كيلومترات . وهناك يوجد الفريون على قلة . واذا اتيت الكيلومتر الثمانمائة والثالث والتسعين رأيت خوراً ينحدر الى النيل من جانبه الغربي مأوّه شديد الانصباب^(٢) . وفي مسرح النظر تبين لك قريتان من قرى النوير لعلهما فاقور وفاتوح الواردتان في خريطة برت . وفي اسافل تلك النقطة ينبطح بحر الجبل مستعرضاً حتى لقد تكون سعة منفرجه في مواقع منه مائتي متر وبعد غوره من خمسة الى ستة امتار ومتوسط جريته كيلومترين ونصفاً في الساعة . وتظل المناقع متواصلة وتقوم على كلا الجانبين بطائح منفصلة بشقي من البردي . وعند الكيلومتر الثمانمائة والرابع والتسعين تتراءى لك المرتفعات في مهب الغرب وهي عن النهر على كيلومتر ونصف . وعلى الجانب الشرقي سطر من النخيل ربما قاصاك بقدر احد عشر او اثني عشر كيلومتراً ولا يبعد ان يكون دليلاً الى بحر الزراف . وتكون سعة النهر عند الكيلومتر الثمانمائة والسادس والتسعين تسعين متراً

(١) وردت صفة هذه الشجرة في كتاب لارحالة بترك عنوانه « الطواف في صميم افريقيا » قال كانت الشجرة مغطاً فاصلاً بلاد النوير عن نخوم بلاد الكيش
(٢) يظن المسترجع ان هذا النور هو نهر ياي

والغور سبعة امتار ونصفاً وإلى ما وراء ذلك توابتدي شقة المسالك الاخير^(١)
هناك ما يضطر ربان المراكب الماخرة في النيل الى مغادرة المجرى العميد
واتخاذ المجرى الشريد وهو ينمطف عن الجرف الغربي على زاوية تسمين^(٢).
وهناك يقرب الغور فوراً فيصير الى متر ونصف . وفي مسافة من تلك القطعة
يلاقى الربان ما يلاقي من المجاري المتشابكة والشعاب حتى يقتضيه في سيره
الحذر الكلي والحيلة التامة والخبرة الكبرى في تدبر المسالك التي يتخذها .
اقول وهذه الشعاب لا تثبت على حال فهي تتهارب وتنتقل في سيلتها كل
عام فما يكون منها في سنة اعظمها قد يكون في سنة أخرى متعذراً سلوكه .
والنهر في ثمانية كيلومترات يفترق بشعاب عديدة مختلفة عامتها تشق
متعرجة متمايلة في منقع البردي . ومتى جرت هذه النقطة الى الكيلومتر
التسماية والخامس فانت في منطقة الغدران الممطورة ضحلة الماء يكون
اقصى غورها زهاء متر ونصف ثم هو في ضفافها يقل فيسترق ويحترقها مجرى
بين وبه لجة جرية يذهب في مهب الشمال وهي متخالفة الفساحة متباينتها
حتى لقد تكون سماتها في مواضع امتاراً معدودة وفي مواقع اخرى تصير
من اربعة الى خمسة كيلومترات . ولسواحلها جميعاً حواش من نبات البردي
وعلى اطرافها ما لا يحصى من المسالك والاحباس طافية على وجهها كأنها
الجزر . ومن معارض البقعة على كلا الناحيتين دلالة على ان المرتفعات والانجاد
ليست بمفرطة البعد عن تلك النقطة ويكون المسيل الاصلي وهو المسيل
العميد لبحر الجبل الى شرقي تلك الجزر ويقول أناسي تلك الاصقاع انه

(٢) هو المسالك المعروف بالمسالك الخامس عشر ومسافة طوله قريب سبعة
وثلاثين كيلومتراً

(٣) كان في مأخذ هذا المجرى في ابريل سنة ١٩٠٠ مسالك خفيف أزيل
بغير صعوبة

يتصل بالارض اليابسة^(١) ويوجد في مهب الغرب سطر من الشجر معتدل الجرم ربما انساق في مدى ثلاثة كيلومترات يُرى منه ان السباخ هناك محدودة الفساحة . ومن اعاجيب تلك الغدران انها لا تألفها الطير وتستعجنها دواب البحر (فرس الماء) فلا تقع فيها . قلتُ وعند الكيلومتر التسعمائة والعشرين هناك تغيب الغدران ويكون النهر خليطاً من المجاري كما رأيت في طرفها الجنوبي وهناك تصيب الرمان مشقة من هول المسلك في ثنايا تلك المجاري فالشعاب تتشابه بعضها ببعض فيكون تشابكها على هذا الشكل مضلّة^(٢) وتيهاً من الجزر . وهناك تكون الحاجة ماسة الى ربان ماهر كثير الخبرة في الملاحة وتدير السفين . وعند الكيلومتر التسعمائة والسابع والثلاثين ترى هذه الشعاب كأنها تسترسل من جميع الانحاء . وهناك افضينا الى بطيحة اخرى صغيرة تبلغ مسافة طولها كيلومترين ومقدار سعتها خمسمائة متر وفي طرفها الشمالي عند الكيلومتر التسعمائة والتاسع والثلاثين ينتهي المسالك الخامس عشر فيكون النهر منك بمعان^(٣) بحيث تراه بعينيك . ومن المستصعب استطلاع مدخل مسيله المُمسك ولكن متى اطلّعتُ فهو ولا ريب مسيله الصحيح . ولما اذهبنا المجاس في الماء وجدنا غوره يختلف بين خمسة وستة امتار بينا هو في نفس البطيحة يبلغ متراً ونصفاً الى مترين ومدبته محشوك بمادة

(١) المعلومات المستدركة في الايام الاخيرة تدل على خلاف ذلك

(٢) ارض او غيرها يُتاه فيها ويحار (المرّب)

(٣) كتبت ذلك في سنة ١٩٠١ ولما جاءت سنة ١٩٠٣ وبوشرت اعمال ازالة

المسالك ظهرت حينئذ صحة هذه الرواية اذ استُكشفت الباخرة والقوارب وكان من شرع في هذه الاعمال المساجور مثيروز في سنة ١٩٠٢ فبدأ في المسالك الخامس عشر لكنه لما باغتته الامطار أضرب عن ذلك قبل النجاز . وفي شتاء سنتي ١٩٠٣ و ١٩٠٤ حاول دروري موالاة العمل فلم يتهياً له اتمامه لمرض شديد ألم به ولذلك لا تزال كتلة المسالك قائمة عثرة في طريق الملاحة في بحر الجبل بين كندكرو والخرطوم

المساك الى عمق منه بعيد فاذا أثيرت ارتككت طافية على وجه الماء محدثة
نفاخات وفقاكات تنبعث منها ريح منتنة . اخبرني الملاحون من الاهلين وهم
ممن قد تعرفوا هذا المجرى يوم كان مخلصاً من المساك ان باخرة من بواخر
الدراويش وقوارب معها حاملات عاجاً قد غرقت جميعاً في تلك النقطة
منه . واذا جرت البقعة ومسافة الطريق كيلومترا فان ت ترى بحر الجبل
يسبح في منحنيات حادة التعرج ويكون متوسط سعة ما بين شقيه ستين
متراً وغوره يتراوح بين خمسة وسبعة امتار . واذا خرجت الى الكيلومتر
التسعمائة والواحد والاربعين نزلت في حلة النوير وان شئت فقل ذلك اليا ب .
بلد له من الطول الشمالي ثمانى درجات واربع دقائق وست وثلاثين ثانية
وفي تلك النقطة تماس المرتفعات الجرف الغربي وتنفسح ذاهبة في مسارح
الفضاء حتى تلازم زرقة الافق . والجرف هناك يرتفع عن الماء متراً واحداً
لكن الارض على مسافة عن النهر غير بعيدة تتصاعد راقية . وهذا البسيط
لا يستأجم البتة وهو مستفيض بنبات الفرييون ونخيل الدلب وشائك
الدغل . ومنشأؤه من عند البطيحة المتقدم ذكرها ويمر على سنه بازاء
النهر ويكون في تضاعيف تعاريجها سباح ومناقع ويستمر على هذه الجادة
حتى الكيلومتر التسعمائة والسابع والستين . وفي طافة^(١) حلة النوير يشتق من
النهر شعبة كبيرة من جنبه الغربي لم يندرج لها في الخارطات المعروفة اسم
ولا رسم واول من اشار اليها اليوزباشي جيج وهو من الأربعة السابعة من
حراس الدراجون بكتاب له ضمنه دارات اسفاره الى المساكات في الشتاء
المندرج بين ١٨٩٩ و ١٩٠٠ وللشعبة سعة تقع في ستة وستين متراً ونصف
عند مفترعه ولها حاشية سبخة على كلا الجانبين قدرها عشرة امتار وهي
غاصة بالاعشاب واما دركها وهو اقصى غورها عند منتهى الفيض فتر

(١) طافة المكان ما حواليه (المغرب)

واحد ومتوسط جريتها ستون سنتيمتراً في الثانية^(١) قال جيج انها تفارق
بحر الجبل في زاوية قائمة . والى ما وراء تلك النقطة في مسافة خمسمائة متر
تذهب منحرفة في مهب الشمال الغربي . ولقد تتبّع مجراها في نحو اربعة
وستين كيلومتراً منها ولكنه قد صدّه المساك ولا يبعد ان تكون الشعبة بين
مياه بحر الجبل ومياه نهر رول الصاب في بحر الغزال . ويا حبذا لو اتيح للقوم
اجتيااب مجراها وتعيينه الى حد مسقطه^(٢) . هذا وبعد مفترقها بكيلومترات
تكون جروفها مطوية بمصفٍ من قرى النوير وتزداد سمعتها حتى تصير الى
مائتي متر . واذا اخذت من حلة النوير فبحر الجبل شمالاً تتخالف سمته تخالفاً
كلياً في مواقع شتى منه لا تتجاوز ستين متراً وفي مواضع تكون مائة
وخمسين متراً ومتوسطها من بين خمسة وسبعين الى ثمانين متراً ومتوسط
الجرية نصف كيلومترين في الساعة في ايام الفيض والغور يختلف بين خمسة
الى تسعة امتار وفي اماكن يكون تسعة امتار بتاتاً . وبين الكيلومتر الالف
والثامن والعشرين والالف والثالث والسبعين تقع المساكات الستة من المساك
التاسع الى الرابع عشر وهي المساكات التي خلّعها الميجربيك في سنة ١٩٠٠ .
وعند المساك الرابع عشر نهاية منقطة المساكات الاولى وفي ازالته انكشف
النهر عن الموارض والعوائق فجرت الملاحة فيه مجراها بين الخرطوم
وكندكرو . والمساك الذي اصاب القوم منه جهد هو الكتلة العاشرة^(٣)
اقول ان في عامة تلك القطعة من النهر غدراناً ماؤها شفيف

(١) قد استخرجنا مقدار مستفرغها في شهر ماوس سنة ١٩٠١ فاذا به واحد
وعشرون متراً مكعباً واربعة وسبعون سنتيمتراً في الثانية

(٢) وليس يبعد أن تطلب الشعبة لبحر الجبل فتلقق به مخترة اطواء بعض
الغدران الواقعة في الانحاء الشمالية

(٣) سنأتي على صفة هذا الموقع بأكثر بيان في الكلام على المساكات

رقيق تحف به تباعاً على غير انقطاع^(١) يكون بعضها كبير الفساحة كما يتبين ذلك من الخارطة وهي منابت الطحالب^(٢) والسيباخ والعلّة الكبرى لقيام المساكات. وبعد غورها لا يتجاوز متراً الا في النادر ويغلب على النهر ان يشق بين غديرين بينه وبينهما حاشية من البردي. وتكون تلك الغدران في الشتاء غمرًا فسيحًا. فاذا جاءت الامطار في شهر ابريل يعلو طبقة ركام من خلع النبات كثير منها يستطرق الى النهر من فتحات عديدة ومياهاها تمتد في فيضه وتحتسر في غيظه. واما التبخير في تلك الرقارق فشيء هائل. هذا وذهب قوم الى انها شعاب قديمة لبحر الجبل ارتكم غورها فغابت. وقال آخرون انها فاضل البحيرة الكبرى التي كانت في القديم تغمر تلك الارض. اقول ومذهبهم هذا عندي صحيح لان مسيل النهر بعيد الغور بين الجرية حتى لا يكاد يعقل أن قد غابت معاملة جملة. ثم اقول ان النهر صائر الى الزوال في قطعة منه تقع فيما بين الكيلومتر التسعمائة والتسعمائة والاربعين وهي المساك الخامس عشر فالما هناك راكد وخوره اي قاعة مرتكم بمنفك المساك الى حد أن كان استقصاؤه بالمسابر والمجاس مستصعباً عسيراً. ومن المعقول انه لو لم تكسح مادته عن تلك النقطة لصار النهر على مر الزمن بطائح ركيكة الماء.

قلت والغدران المتقدم ذكرها لا تنفك تنزع الى التقلب في الشكل والخلقة حتى لا يصح التعويل على الخرائط التي وردت صفاتها فيها ما لم تعالج بتنقيح وتصحيح بعيد كل فيض. وربما تفجرت الى النهر مجار وارتكمت مجار فانطمست. والغدران (الميات) شمالي الكيلومتر الالف والثامن والخمسين كثيرة وهي اصغر منها فوق تلك النقطة. واما ارتفاع الجرف عن سطح الماء

(١) تعرف هذه الغدران عند أم تلك البلاد بالميا (أي المياه)

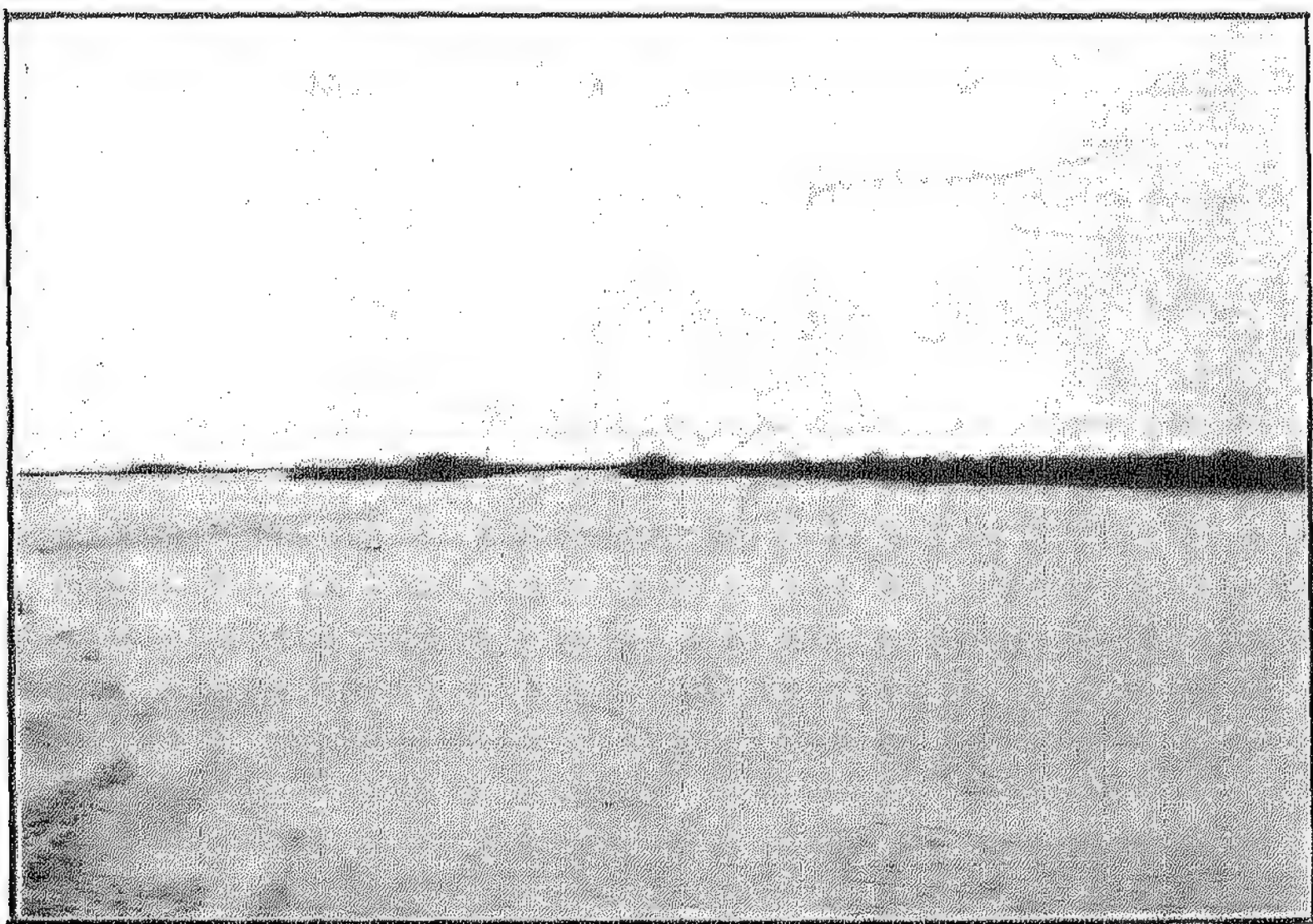
(٢) جمع طحلب وهو نبات يعلو الماء الآجن ومثله السباخ جمع سبخة (المغرب)

فتوسطه يختلف من بين عشرين الى خمسة وثلاثين سنتيمتراً^(١). هذا وبين
الكيلومتر الالف والتاسع والخمسين والكيلومتر الالف والتاسع والسبعين هناك
المساكات الخامس والسادس والسابع والثامن مساكات اربعة خلعتها الميجرييك
في سنة ١٩٠٠ - ١٩٠١ وهناك السباح والمناقع على كلا منكي النهر تناغي
أفق السماء. وعند الكيلومتر الالف والثالث والتسعين يمتد البصر في مسارح
الجانب الشرقي فيقع على الفارق القائم بين بحر الزراف وبحر الجبل ممتداً بازاء
هذا البحر حتى نقطة تلاقيه بالبحر الابيض عند بطيحة نو ومسافة ذلك طية تقع
بين كيلومتر وثلاثة كيلومترات تنبطح في دزج ما بينهما مناقع وسباح بعيدة
الاعماق فيها نبات البردي طويل الساق واما مناقع الجانب الغربي فترامية تماس
الافق المرئي. والى شمالي الكيلومتر الالف والثالث والتسعين هناك اربع كتل
من المساكات اترعها بعث الميجرييك. وبطيحة نو تمر في الجانب الغربي من
عند الكيلومتر الالف والمائة والسادس والاربعين وبينها وبين النهر تقع واسع
الاقطار فيه منابت البردي تتضايق سمته تدريجاً الى نحو الكيلومتر الالف
والمائة والسادس والخمسين فيكون هناك حاشية متقاربة الجنين فيها قصب
البردي. ويتحد بحر الجبل بالبحر الابيض في عدوة البحيرة الشرقية والعرض
الشمالي هناك تسع درجات وتسع وعشرون دقيقة. وتكون مسافة جريه من
بحيرة البرت سبعمائة وثلاثة وعشرين كيلومتراً. ويجوز قبيل اتصاله في لية سريعة
الجريه ويكون قصده هناك في سمت الشمال بزاوية قائمة على مجرى البحر
الابيض ويكون مجرى اللية مشرقاً مغرباً. اما منظر بحر الجبل في عامة مسيله
في منطقة المساك تكاد النفس تنكف عنه فهو هناك عادم الجروف الا في

(١) هذا منسوب سنة ١٩٠١ واما في ابريل سنة ١٩٠٣ فكان ارتفاع الجرف
متراوحاً من بين خمسة وثلاثين الى خمسة واربعين سنتيمتراً وجرم الماء فيه قد
جرم ما كان في سنة ١٩٠١ فلربما كان سبب ذلك تجريف الماء في طين قاعه



حَلَّة النوير على بحر الجبل



بحيرة نُؤ على بحر الجبل

اما كن معدودة منه وحفافاه خاليان عن الانشاز والنوائى . وعلى كلتا حاشيتيه
أنقع قصباء تذهب في مدى كيلومترات جمة يتخلل اديمها في اما كن منها
غدران مكشوفة غير مطحلبة يكون ارتفاع اسطحها عن منسوب ماء النهر
عند اقصى غيضة سنتيمتراتٍ قلائل فاذا تعالى ماؤه بقدر نصف متر طفا عليها
فغمرها في مدى مفرط البؤن وهي مطبقة بالطحالب متباعدة في كل صوب
حتى تلحق بافق السماء وجل قصبها البردي وهي مكرمة له يزدهي نبتة فيها وهو
ملتف متشابك حتى لا يجد السيّار في تضاعيفه مسلكاً نافذاً وتكون سوقه
ذاهبة سموّاً في الجوفهي عن سطح النقع بقدر ثلاثة الى خمسة امتار . وكذلك
يوجد فيها فساحة يغشاها ضرب آخر من القصب يعرف عند امم تلك
الاصقاع بأَمْ صوف وآخر يعرف بالبوص وآخر بأَمْ شوشة ويسميه القناصون
في الديار الهندية بعشب النمر . اما فساحة هذه الانقع فلا حد لها يعرف ولا
بدّ ان تكون مفرطة التماذي في البر لا سيما ما كان منها على الجانب الغربي
وربما صار معظم المنطقة المندرجة فيما بين بحر الجبل وبحر الغزال في ابان
الامطار والسيول الى بطيحة فسيحة الاقطار . وتكون المعالم الشرقية اكثر
ادراكاً بالبصر لان ارض ما وراء بحر الزراف تتدرج صعوداً فتصبح بسائط
ابليزية التربة غاصة بمتشابك الاعشاب تكون في اطوائها منافع عديدة وعامة
هذه البسائط متعالية عن منسوب فيض النهر^(١) . هذا وفي مقترن بحر زراف
بالبحر الابيض جزيرة مستطيلة يكون فيها نجد نادر من الارض اهل بالخلق
القليل ولو لا ما يتبدى للعين احياناً من شجر او قرية فيه لما تأثرت البصار
وهو غير محصور الحد يحيف به من جميع جهاته مستطيل من الأنقع والسباح
ممتعة السلوك . واديم هذه المنطقة في عامته لا سيما ما كان منه بين بور
وبطيحة نويكاد يكون خراباً لا عمارة ولا اهلاً اُلم تر الى فرس الماء وهي جمة

في اجواف البحر الابيض لا تُحصَر عدتها كيف تجانب منافع بحر الجبل وما جلاها .
وليس في جنابات النهر لاسيما العدو السفلى من مجراه ما يُشتم منه رائحة
الحياة الطورانية سوى ما تراه من بَلَشُون الليل^(١) . لكن المياه مزدحمة
بالسمك وطالما رأيت التماسح في بواطنها . اقول وبحر الجبل قبيح المخبر لفرط
ذبابه فهو جدير بهذا المخبر . ألا ان الشمس لا تكاد تتوارى بالحجاب حتى
تستفيض الظلمة بمبعوثاته بحيث لا يحيط بها وصف فهي تزهرق بها النفوس وتظل
على ذلك الى ان ينباج الصبح . ومشهد عامة القطر في تلك الاصقاع
مفرط الكرب والوحشة بحيث لا تحده صفة او نعت ولا يدرك هوله الا
بالخبر لا بالخبر . واما البردي قائم الخضرة كراثي اللون الطامي في انحاء النهر
هناك فعليه شيء يسير من الطلاوة لكنه تنسحق منه النفس ضجراً وملاً
لتتابع نبتة وصلاً على غير انفصال ولا تغيير في شقة منه مديدة حتى تكل
البواصر من مرآته وسحنائه . اقول ولقد يتأتى للسيار ان يمد بنظره آونة بعد
أخرى الى هذا السياج فيستشفه^(٢) ولكن ذلك لا يفرج عنه غمته
وكربه فان النبات مفترش في جميع تلك الانحاء ذاهباً فيها كل مذهب بغير
انقطاع . وكنا كلما وقع بصرنا على شيء من دق السنط ينشرح به صدرنا
شوقاً الى اليبس . فالهواء حار يابس مستبخر والاقليم عامته وخم عفن تشور
فيه الحيات الاجمية فلا تكون الاقامة بتلك الانحاء مستطاعة الا الى حصة
من الدهر قصيرة المدى فاذا طالت صفرت نفس المقيم ولازمة الكتابة . ثم
ان هذه البطائح والمناقع الموحشة يشق النهر بطونها في لَزَزٍ من التعاريج
والمعاطف لا يكاد السفر يفصل عن واحدة منها حتى يقع الى اخرى وهي
عديدة جميمة يقل بها الانحدار قلة يعتد بها

(١) البَلَشُون طائر ماء طويل العنق والجناحين والساقين ويُعرف بمالك الحزين (المعرب)

(٢) اي يرى ما وراءه (المعرب)

واعلم ان متوسط جرية بحر الجبل في ايام الفيض وموتان الماء يكون
معدله كيلومترين في الساعة فمن البين الواضح انه لو جانب النهر هذه التعاريح
فر في جادة مستقيمة الخطة من عند بلدة بور الى البحر الابيض لأصبح
انحدار سطح الماء يومئذٍ شديد الصَّبَب . هذا واما ماء البحر فقائم اللون
لا تشوبه كدورة وان كانت فطيفة . وشجر العنبرج في انحاء الشمالية يفوق
الحد في الكثرة

الفصل العاشر

في صفة البحر الابيض

اذا اقبلت على مجتمع بحر الجبل ببحر الفزال فهناك ترى بطيحة ماؤها
رُقَّارِق ليس بغُرٍ يقال لها بطيحة نو وهي معروفة عند عباد تلك الاصقاع
بمقرن البحور^(١) لا يشق بحر الجبل في جوفها بل يحف بجانبها الشرقي ومسافة
طوله من حد ذلك المجتمع الى ان يرمي اليه البحر الازرق يعرف عند امم تلك
التخوم بالبحر الابيض^(٢) . هذا وانت لا تكاد تنفصل عن بحر الجبل حتى
ترى في خواص النهر وخلقه تغيراً ظاهراً فتراه تحت بطيحة نومسيلاً ذا سعة
بين الجرية يمر على قصد واستقامة الا قليلاً . والنقائع والسباخ تطيف به على كلا
جنابيه وهي منفرجة السعة . وانت تبصره في مسافة بعيدة من طوله متفارق
المسيل بجذوتين او اكثر من المساكات . وفي مسيله ملتف البردي والقصب
ولهما طول في السماء سامق والفرق بين البحرين الابيض والازرق ان فيما

(١) يحتمل ان تكون كلمة نو تحريف النوير والاحرى ان تسمى البطيحة ببطيحة

النوير لاجل ان أناسي تلك المجاورات هم من قبيلة النوير

(٢) ربما كان الباعث على تسمية هذا النهر بالبحر الابيض ان بحر سباط

اذا افضى اليه اكسب ماءه بياضاً . ولقد جعلت بعض الخرائط مبداءه تحت متحد
هذا النهر

وراء المناقع بمراى العين ارضاً متعالية يغلب ان تكون حافلة بالحرجات . وتكون سعة هذه المناقع والسبخ في مواضع عديدة بقدر ثلاثة كيلومترات لكن اليابسة تكون ذات السيار على مراى

أقول وفيما انت من بطيحة نو على خمسة كيلومترات أي على الف ومائة وواحد وستين كيلومتراً عن بحيرة البرت هناك غدير نافع متسع الاقطار يعرف عندهم بـ « السنيورة » ^(١) يختلط بالنيل من جانبه الايمن ^(٢) سمي بذلك لان امرأة دنيركية اسمها تني كشفت في سنة ١٨٦٣ . واما مادته فيحوشة فيه من صباغات بحر الجبل في ازمنة فيضيه تقع فيه عند نقطة تكون عن متحده بالبحر الابيض عند بطيحة نو على واحد وعشرين كيلومتراً . وللغدير سعة تكون زهاء خمسمائة متر حتى في ايام الفيض وهو في مسافة مديدة من طوله يلاصق الغابة التي على الجانب الايمن . وقبالة هذا الميا اي الغدير او التريكة يكون جرف النيل الايسر ارضاً ناهضة عنه تنفسح سهلاً رحيب التخوم ويسامت افق السماء طبقة بلقمة ^(٣) ملساء لا شيء فيها وهو في اماكن منه قاع مطمئن تقع لكن له ارتفاعاً عن سطح ماء النهر الا في السنين المفرطة الفيض . ويكون بينه وبين النهر سبخة لها طول تختلف سماتها من مئات الامتار الى ما فوق كيلومتر . واما سبخ الريف الايمن فأوسع كثيراً يشق فيها ما لا يحصى من الاخوار

(١) السنيورة بلسان الطليان الامراة من النسوة (المعرب)

(٢) قد تابعنا بين القياس بالكيلومترات في هذا الكتاب حتى مدينة الخرطوم لان ذلك اوفق وانسب . ولو ان البحر الابيض والبحر الازرق مختلفان اسماً فهما في الحق صنوان سويان يعرفان بنهر النيل وتكاد تكون جرية البحر الابيض فيما بين بطيحة نو ومصب نهر سباط الى الشرق والغرب معاً . على ان تعيين ريف النيل بالشرقي والغربي لا يلائم المقام ولذلك عولنا على تعريفه بالريف الايمن او الايسر ويكون الايمن على يمين الرائد اذا استدبر جرية النهر

(٣) الارض الخالية من الشجر وهي الصلحاء (المعرب)

والمناقع . واذا أوقعت النار في الاعشاب فتحرقت تكون مرآة الارض عامتها
اشبه بريف جزيرة تُرفلك^(١) في ابان جزرها وانحسار مائها واذا جاوزت
مقترن غدير السنيورة وصرت على مسافة منه شرقاً هناك مفازة سبخة
تحف بضفاف النهر من كلا كنفيه . ويكاد يمتنع على الرائد لاسيما قبل
تحريق الاعشاب ان يحزر الارض اليابسة مبداءها ومفضاها وان يخمن
سعة ما بين ضفيري النهر . ففي ازمة الفيض يكون البردي طويل الساق
ونبات العنبج وغيره من الانبات الاجمية مطابقةً افق السماء منكبةً عليه
والنهر ينساب من بينها بمنعرجات تكون سعة بعضها مائة وخمسين متراً
وقد لا يزيد على خمسين متراً . ووجه الماء تعلوه مساكات يكون جرم
بعضها عظيماً فاذا اصاب مادة هذه المساكات ماء رُقاً لا غزر له تستصبر
هناك فتكون جزراً من المساكات . والمجرى هناك ابن قلعة دائمة الرحلة
لا يلزم مسيلاً واحداً^(٢) . واذا صار المسافر عن بحيرة البرت على الف
ومائتين واثنين وعشرين كيلومتراً خرج الى جزيرة هناك تعرف بجزيرة
طنجا على الجانب الايسر . وما هي بجزيرة بل جرف للنهر في ابان المغاض
والانحسار واما البرزخ الذي بينها وبين البر على طرفها الشمالي فيجف في
ازمنة الفيض . والجزيرة مطمئنة الصخيف الى الغاية وطرفها الجنوبي تغشاه
مياه الفيض في كل سنة^(٣) . وسعتها تختلف من بين كيلومترين الى
اربعة كيلومترات . والى ما وراء الخور هناك تنزع الارض الى الشخوص

(١) جزيرة انكايزية في البحر المحيط تقع فيما بين كليدونيا الجديدة وزيلاندا
الجديدة (المغرب)

(٢) كان البحر الابيض في سنة ١٨٦٣ مسدوداً بمساك الى ما بعد بطيحة نو

(٣) في سنة ١٩٠٣ غمرت مياه الفيض عامة هذه الجزيرة وكان قوم الشلوك

يجتازون بقواربهم من فوقها

معمورة بقرى الشلوك تقع متتابعة على موازاة مسيل النهر . وأوغل هذه القرى في مهب الجنوب قرية طُنْجاً وبها سميت الجزيرة

اقول ويتعذر نزول البر في تلك الجهة اللهم الا في ازمة الجفاف لاجل ان المناقع الواقعة فيما بين المرتفعات والنهر منفرجة السعة بعيدة الغور ويكون متوسط عمق الماء فيها في ابان الفيض بقدر مترين وفي الفيوض الغامرة كفيض سنة ١٩٠٣ يصير الى ثلاثة امتار ووجه الماء هناك عامته يطبقه كثيف الاعشاب والطحالب المتشابكة بعضها طافية عليه وبعضها لها جذور وعروق تلحق باسفل المنقع ويمتنع على البخاريات والمراكب النفوذ من بينها بته . ولا تزال المراة على هذا المنوال في مدى عدة كيلومترات شمالاً

قلت والمنقع على الجانب الايمن يمتد مسافة تختلف بين كيلومترين الى ثلاثة كيلومترات والى ما وراء ذلك تكون الارض نجداً حافلاً بملتحف الاشجار الشائكة منتشرة في نطاق من الارض متضايق السعة يحوم عرضه حوالي كيلومترين على محاذاة مسيل النهر . واما منقع الجانب الايسر فلا تكون سعته على العموم اكثر من خمسمائة يرد . والى ما وراء المنقع هناك بحيرة طنجاً وابعدها على مسافة قريبة سهل عشب عليه عمارة الشلوك . ثم اذا استويت الى الكيلومتر الالف والمائتين والثاني والثلاثين هناك يلتقى بحر الزراف بالنيل على جانبه الايمن^(١) . واعلم ان بحر الزراف كان من قبل تخليع المساكن وتفكيكها عن بحر الجبل تنساق فيه مياه جمة فلما صار مخلصاً منها انتقص جمهور مائه حتى كان تصرفه في سنة ١٩٠٣ ذات الفيض الزاخر زهيداً^(٢) . الا ترى انه بينا كان بحر الجبل مسطوماً مردوماً

(١) سأتى فيما يلي من هذا الكتاب على صفة هذا البحر على حدته

(٢) قلت في ما كتبتُه عن هذا النهر في سنة ١٨٩٩ « ان مادة هذا

النهر عظيمة الجرم حتى في دور الشتاء . وجريته شديدة تياراً حتى تنبعث فيه درادير

بالمساكات كانت طائفة من مائه كبيرة المقدار لا تنساب في سمت الشمال ولا يكون لها مطلب فتترامى منصبةً في منافع بحر الزراف . اقول ولولا زوال المساكات في الاوان المطلوب لاحتمل ان يصبح هذا البحر مسيلاً للنيل الاعظم في هذه الشقة . وهو اليوم لا يمد النيل الا بالنزر القليل من الماء الذي لا يُعتد به . نعم ان الثلاث السنين الأول من بعد تخليع المساكات (وهي ١٩٠٠ و ١٩٠١ و ١٩٠٢) جاءت فيوضها بما دون المتوسط ولكن سنة ١٩٠٣ جاء فيوضها في اعالي النيل جُرافاً مفرطاً ومع ذلك فخرم مياهه فيها كان زهيداً ايضاً

هذا والى ما بعد ملتقى الزراف شرقاً يكون البر سويّاً لا طلاوة على مرآته فانت ترى على كلا جانبي النيل براحاً عشيباً على قدر مدّ النظر تكون فيما بينه وبينها منافع رحبية الابعاد وجروفه هناك سافلة جداً والجانب الايسر لا تبصر العين فيه شجراً . وفيما يلي عمارة الشلوك لا يشرف الرائد على شيء يخفف فظاعة هذا البراح سوى جرائيم النمل وهي قراها منبثة في عامة صحيفه . وعلى الجانب الايمن نطاق من الارض حافل بالمضاه^(١) وصغار النبات يكاد اقتراشه فيه يكون متواصلاً . واذا نزلت في الكيلومتر الالف والمائتين والتاسع والعشرين فانت على خور يقال له غابة المجاهد مفضاه الى النيل على جانبه الايمن . وفيما انت من النهر على عدة مئات من الامتار يستبحر مسيله فيكون منه بطيحة مسافة طولها قرابة الف متر وسعتها حوالي خمسمائة متر ويستدير بطبق مائها غابة ادغال وكذا تكون جوانب الخور محشوكة بملتف الشجر . والخور تفرغ اليه مياه براح متعادي السطح متفاوت الاستواء يغشاه مديد الاعشاب وعاليه عمارة قوم الدنكا منتشرة في

وهوآرات متالية » — انظر كتاب مصر عدد ٢ — سنة ١٨٩٩

(١) جمع عضاهة وهي ما عظم من شجر الشوك (العرب)

خضائه . والى ما وراء ذلك الخور ترى الادغال على الجانب الايمن من النهر
متناسقة تباعاً والمنقع تختلف سعته من بين خمسمائة الى ثلاثمائة متر . وعند
الكيلومتر الالف والمائتين والخامس والسبعين هناك منقطع بطيحة طنجا
وهناك خور يحيف بها ذات اليسار يقال له نهر لّلي او نهر فانا كما تكون
سعته عند نقطة اتصاله بالنيل سبعين متراً ويكون غوره في ازمنة الفيض
متفاوتاً من بين خمسين الى ستين سنتيمتراً . وفي ابريل سنة ١٩٠٣ لم نلبث
لما جريته حتى لقد شبة لنا انه تريكة او ظليلة^(١) . وفي سنة ١٩٠٣ وقفنا
له على شيء من التصرف استطاعه المستر جريج فوجده واحداً وثلاثين متراً
في الثانية^(٢) . وما ادرانا ان تكون هذه الجرية حادثة عن مياه الفيض تنزل
الى بطيحة طنجا وتجتازها الى الخور المحيف بها ومن ثم تفيض الى هذا النهر .
ولا ادري اهو النهر اهل ان يعد نهرأ أم هو افضل من كثير من الاخوار
التي تحمل المياه في طائفة من السنة رامية بها الى النيل . والامر الوحيد الذي
يشفع له بهذه التسمية هو ان العلامة برث قد رسمه على خريطته بانه وصال
نهر كيلا او كيلاك نهر ينشأ في العيان من دار نوبا والعرض الشمالي هنالك
احدى عشرة درجة وهو لا يعرف من امره الا القليل السخيف . لكنه في
مظهر خريطة منرو مكتشف نهر لّلي انه يمر على محاذاة النيل في مسافة
من طوله تكون خمسين او خمسة وخمسين كيلومتراً يتصل به خليجان
يكون احدهما جزيرة طنجا بالذات . وان صح أمره لا يبعد ان يكون
مستفيضه الى بحر الغزال لا الى نهر لّلي . وهب ذلك واقعاً فلا أثر لهذا

(١) انظر صحيفة ١١٩ في الحاشية (المعرب)

(٢) سبر هذا النهر في الثالث والعشرين من سبتمبر سنة ١٩٠٣ فكانت

سعته اثنين وسبعين متراً وغوره أربعة امتار واربعين سنتيمتراً

الخور في مستورد البحر الابيض في اباب الفيض^(١) . ثم الى ما وراء ملتقى للي ينمطف النيل في وجهة اخرى وفيما بين هذه النقطة وبحيرة نو يكون مضجع مسيل النهر شرقاً بغرب اويكاد . ومن ثم يرجع في سمت الشمال الا يسيراً ولعله يسير في مهب الشمال الشرقي الى ان يفضى الى النيل الازرق عند مدينة الخرطوم

أقول وعلى الكيلومتر الالف والمائتين والثمانين عن بحيرة البرت هناك مجتمع نهر سباط بالنيل على الجانب الشرقي . والارض هناك براح بسيط وادنى ماتبصره العين من الادغال يكون على قيد الف وخمسمائة متر عن تلك النقطة وفيما بين هذا البسيط والنيل سبخة منفسحة . اما الحصن القديم فقائم على تل في الجانب الجنوبي لنهر سباط تكتنفه المناقع والسباح من جهاته الثلاث^(٢) . والعرض الشمالي هناك تسع درجات واثنان وعشرون دقيقة وثمانى ثوانٍ والعرض الشرقي احدى وثلاثون درجة واحدى وثلاثون دقيقة . واعلم ان اقتران نهر سباط بالنيل يكون مسقطه قريباً من زاوية قائمة ومأثاه عند مقترنه سمت الشرق بانحراف قليل الى الجنوب . وهو بعيد القاع حتى في ايام الجفاف وقد سبر غوره فكان من ستة الى سبعة امتار ذلك يوم كانت جريته فاترة ضعيفة لانحباس مياهه وتقلب مياه النيل عليها . وعلى عكس ذلك يكون الامر في ازمة الفيض بمعنى أن يكون مأوه هائل الجرم وله جرية يعتد

(١) اراد الكولونل اسبيك ان يستكشف نهر اللي حتى عدوته القصوى لكنه لم يكد يصير عن مصبه على اربعين كيلومتراً حتى صدته المساكات فأحبط مسعى . قال المستر جريج يؤيد ذلك ما رواه اهل تلك الاقطار اجماعاً بان النهر كان مردوماً بالمساكات من نقطة تكون من البحر الابيض على يومين او ثلاثة ايام اي على اربعين او خمسين كيلومتراً عن مصبه

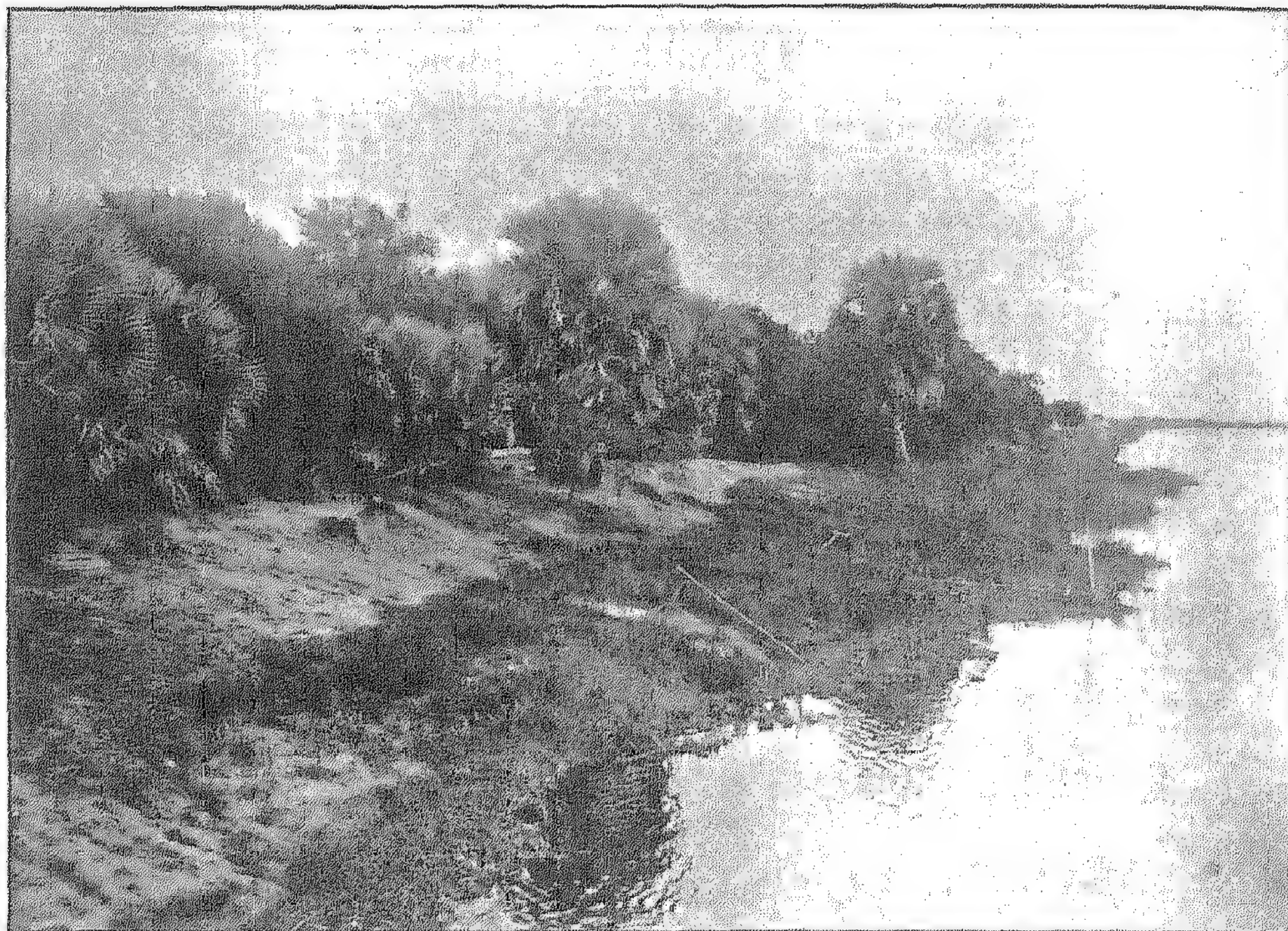
(٢) الحصن مهجور لمجاورته بلدة التوفيقية

بها . يحمل على البحر الابيض فيصدّ ماءه حتى يكاد ضيجمها اي ميلها
يكون افقياً ضئيل الجرية ^(١) . اما ماء نهر سباط في معتدل الفيض فابيض
لبنّي وفي نهاء فيضه احمر الى الصفرة ويكون من سقوط مائه (على بياضه) في
النيل (على زرقتّه) مرآة عجيبة تأخذ بالابصار . والى ما وراء ذلك في ادبارة جرية
الماء يكون النهران في مسافة طويلة صنوين متجاورين غير ممتزجين . والى
الشمال عن سباط تلزم الارض مشاهد ما قبلها فلا ترى فيها تغييراً . وعمارة الشلوك
منبثة على الجانب الغربي ويكون فيما بينها وبين النهر سبخة قفر . وعند الكيلومتر
الالف والمائتين والثامن والثمانين استوينا الى محلة التوفيقية بلدة تقع على
الكنف الشرقي وعمارتها فوق مرقاة او هذلول ^(٢) من الارض وقد كانت في
دهرها محطاً للسرحمويل بيكر اقام بها صيف سنة ١٨٧٠ كلة . والجرف في
تلك البقعة نشز ناهض يكون سمكه عن احط مستوى الماء زهاء خمسة امتار .
وتكون فساحة محلة المعسكر قرابة عشرة فدادين من الارض وقد خلّصت
من الادغال وخططها نظيمة هي سطور من الخصاص والاكباس حسنة البنية
مغمّاة بالحفافة والوشيع ولها مستشفى فيه عشرة من الشرطة . اما منزل القائد ففي
المدوة الجنوبية للمحلة بجانب شجرات ضخام باسطة الفروع . وعلاية النشز
لا تكون آخرتها متباعدة عن النهر والبرّ هناك سبخة لا تغمرها مياه الفيض
وهو مستوخم الاقليم كثير الادواء حتى في دور الشتاء ^(٣) . والارض هناك نملة
بالنمل الابيض وهو على القوم آفة من انكد الآفات فانه يقرض خشب

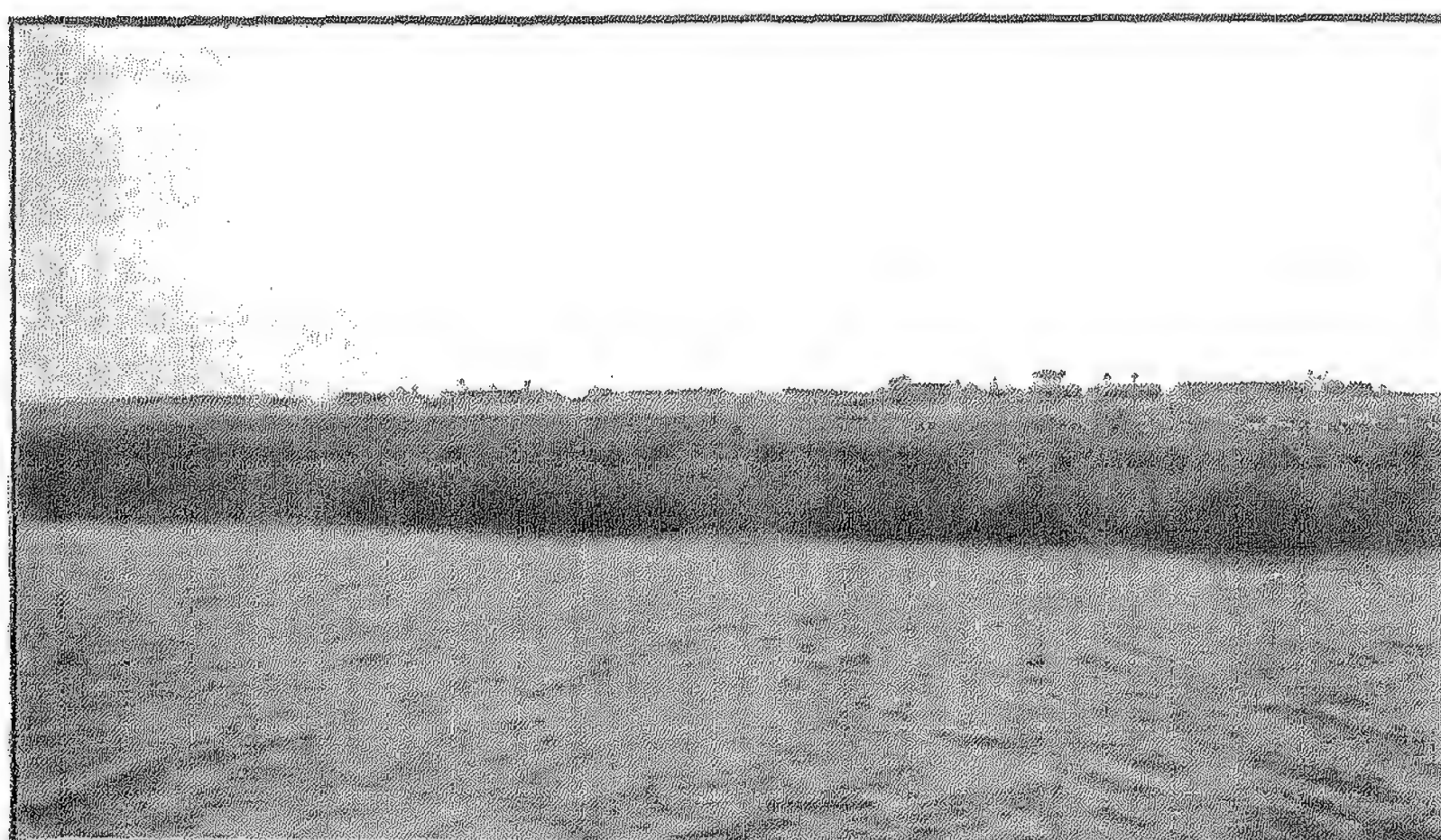
(١) ان انحباس مياه البحر الابيض باندفاع مياه نهر سباط في ازمة الفيض
امر له شأن يذكر في مسألة تعديل الايراد وموازنته وسنذكره بكيفياته في ما يأتي من
هذا الكتاب عند الكلام على التصرفات

(٢) اي التل الصغير (المعرب)

(٣) اصاب الحمى في شتاء سنة ١٩٠٠ نصف الجند فأقعدتهم



التوقيه على البحر الابيض



كوذك على البحر الابيض

الخصاص ساعة غرزها

هذا وخلاصة ما يقال في بقعة التوفيقية انها اصح هواء من كدك بالشئ اليسير^(١) . والى الشمال عن تلك البلدة تكون الارض مقيمة على خشنها وصلدها وقرى الشلوك مفترشة في الجرف الغربى سطوراً ممتدة على موازاة مسيل النهر . وهي متلازمة لا تكون مسافة ما بين القرية الواحدة وتلوّتها اكثر من بضع مئات من الامتار . ويستدير بها جماعات متفرقة من نخيل الدلب ويكون تباعدها عن النيل مختلفاً باختلاف فساحة السبخة وهذه السعة يبلغ متوسطها من بين كيلومتر الى كيلومترين وربما صار الى ثلاثة كيلومترات ولكن ذلك في النادر الاندر . واعلم ان قوم الشلوك يُغمضون في الارض ويوغلون في البر بماشيتهم واموالهم اتقاء الذباب المعروف عندهم بذباب صرّوط فان منه غمامات تغشاهم في بقاعهم ولا سيما في ازمة الفيث والامطار . ثم ان المناطق على الجانب الشرقى تتضايق سمعتها فيكون متوسطها من بين ثمانمائة الى الف ومائتي متر . اما الجروف فوطيئة جداً وهي صلبة مصراداً الا ما تراه من اشجار نخيل الدلب الذي سبق ذكره^(٢) . وترى في جزائر النهر العشبية ما لا يحصى من دابة الماء^(٣) . واذا جاوزت محلة للي وهي مركز البعث النمساوي عند الكيلومتر الالف والثلاثمائة والواحد والخمسين وعلى الف وثلاثمائة وواحد وسبعين كيلومتراً عن بحيرة البرت تخرج الى بلدة كدك وهي مركز مديرية النيل الاعلى قد تناولتها في السنتين الاخيرتين ايدي المصلحين فاقامت دواوين

(١) ان خط التفراف يصل فيما بين الخرطوم والتوفيقية . واتصل بي ان الزرافى قد اُعييت القائمين بالمحافظة على ذلك الخط لانها تقطع اسلاكه

(٢) يقال له باللاتينية بورسس اثوييكوس

(٣) تبلغ سعة قطاع النهر في زمن الفيض نحواً من ستمائة متر واما غوره فيختلف

من بين مترين وخمسة امتار الى اربعة وسبعة امتار

الحكومة بالاجر والطابق (الطوب) فجاء بناؤها وافيًا والبلد اليوم قد تبدل
واختلف مرآته عما كانت في سنة ١٨٩٩ . أما بلدة كدك فتقع الى الغرب عن
النيل والعرض الشمالي هناك تسع درج وخمس وخمسون دقيقة وعشرون
ثانية والطول اثنان وثلاثون درجة وست دقائق شرقًا وهي في تضاعيف
جرف من البر داخلًا في النهر كانه شبه جزيره يكون ما بينهما مضيقًا
كالبرزخ وهي محاطة من جهاتها الثلاث ببطائح نقيعة بعيدة الغور وما يعد في
ذلك الاديم يلبسًا يستبحر هو في ايام الامطار . والبقعة في ذلك المكان
وحشة غير مستحبة الاقليم حتى في ايام الجفاف . وقبالة المحلة جزيرة لها طول
سمتها من جانب الى آخر يختلف بين ثلاثمائة وخمسمائة متر . ولما ان يكون النهر
في نهاء غيظه يكون الخليج الفاصل بينها وبين البر ناشفًا فيزع الاهلون الى جلب
الماء من مواضع قصية . وتكون سعة الشعبة الغربية فيما بين الجزيرة والجرف
خمين مترًا وفي ابان الفيض يكون اجراء السفن فيها ميسورًا الى ان تُفضي
الى جانب المحلة . واما الشعبة الكبرى شرقي الجزيرة فتبلغ سماتها قرابة
خمسمائة متر واذا التفت الى الجانب الآخر من عبرة النهر في مهب الشرق وقع
بصرك على مفازة سوية الصخيف يلحق منفسحها بالافق . وهو محفوف
بالاعشاب والاقصاب عادم الشجر . وعلى الجانب الغربي تكون الادغال من
النهر على كيلومترين او ثلاثة كيلومترات . اقول وقد كان للمحلة قبيل الثورة
المهدوية شيء من شرف الصقع والكثير من الدروب والسبل الصابة من
اطراف كردوفان تفضي اليها وهي في جناب قصر الملك اي ملك الشلوك
لكنها دويّة غير صحيحة الهواء خبيثة الخبر لتفاقم الحيات الاجمية فيها
على رغم ما أوتيتّه من كثير الاصلاح والتحسين وجوؤها مستبخر أغبر
مرطوب كثير البلل حتى في ايام الجفاف والقيظ وقد تبلغ درجة الحرارة فيها
من ثمانية وتسعين الى مائة وخمسة مقياس فهرنهايت في الظل وذلك

في شهر مارس . اما الامطار فيكون وقوعها في شهر مايو . ايامئذ تكون هجمة
الادواء والماهات وتعظم وطأتها على الناس في الخريف . واذا جاءت ايام الامطار
يشور في الارض ذباب الغيث وهو شديد الایذاء . والى شمالي كدك تكون
في النهر جزر متناسقة تباعاً ارضها عشبية . وعلى الجانب الغربي طريقتان
من قرى الشلوك احدها على جرف المناقع والاخرى بعيدة عنه في البر
ويلاقي الرائد على ذلك الجانب ايضاً اخواراً ضخمة تفرغ في النهر وتكون
مسافة استطالتها في داخله البر عدة كيلومترات وفي جوانبها جماعات من
شجر المضاة الشائكة . ومنظره النهر في تلك الانحاء تلزم سيماءها فلا اختلاف
فيها ولا تغيير الا متى بلغت بلدة كاكا عند الكيلومتر الالف والاربعمائة
والتاسع والسبعين وهناك تتخالف سعته من بين ثلاثمائة الى خمسمائة متر.
وتعترض في مجراه جزر شتى وبعد غوره في ايام الفيض من بين اربعة الى
سته امتار ومقدار فورته متران والقرى المذكورة تحيف بالجانب الغربي
متراصفة عليه ويكون بينها وبين السبخة حرجة مستطيلة من الجنب والدغل .
والسبخة تمر مستعرضة تقع سعتها بين مئتين من الامتار الى كيلومترين
ونيف . وفي مهب الشرق يكون متوسط سعتها خمسمائة متر . والارض الى
ما وراءها ناهضة مرتفعة وهي بالقرب من النهر حاشيتها غابة من الادغال
والى ما وراء ذلك مهادٌ يحسبه الزائي كأن لا طرف له ولا امد . ارضه عشبية
بينها جماعات الشجر والأدغال . وفي ابان الفيض يكون الخروج الى البر في
تلك النقطة عسيراً للغاية . اما السبخة فبعيدة القرار وفي اجوافها ملتف الاعشاب
سهلٌ عليك ان تطأها راجلاً

يرى مما تقدم ان ما كان يتشبه لك من الارض عن بعد انه سطح
مستوي يكون بمزأى العين الدانية مخدوداً باخاديد هي اخوار او جداول تمر
بلحف الجرف العالي وهو في اكثر قطاعه تراه مجللاً بسطر مستطيل من

الشجر اكثره السنط . والارض تتعلّى صاعدة من السبخة والغابة تمتد ناشزة في اديم البر فتكون سعتها من خمسمائة الى الفى متر وربما صارت الى اكثر . قلتُ والغابة في الغالب مستعملة عن سطح الماء لكنها في الفيض المكثف تغمر المياه بعض فساته . واما المستنقع الواقع الى جنوب كاكا فهو بالقياس الى النيل احط بكثير في تلك الجهة منه في الجهة الشمالية وهو احط من ذلك ايضاً قبيل نقطة تلاقي سباط بالنيل فلا يكون عن سطح الماء الا بقدر سنتيمترات معدودة حتى في ايام اقصى الفيض . ولما كانت سعة تزايد فناديات فيضه اي اوائله يذهب معظم ماؤها منساحاً في فضاء ذلك المستنقع الرحيب الاطراف مندفعاً في حُزون ارضه وهبطاتها الكثيرة فيطبقها مفترشاً عامة رحابه . والى ما وراء الغابة القائمة على كلا جانبي النهر بقاع واسعة البراح لا ينتهي اليها الماء الا فيما ندر ويشق في اديمها أخوار كثيرة بعيدة السعة يصب بعضها من مسافات شحيقة شاسعة واخص منها ما يكون على الجانب الشرقي وهي تجلب اليها مياه الصبيب من عوالي الارضين تكون مسايلها مقاصب يهيم في تضاعيفها مجارٍ بطيئة الجرية وهي تُسائر النيل في الهبوط فينتقص ماؤها بانتقاص مائه . وصعيد الارض في ذلك الصقع غاص بالاعشاب السامقة وفي مواقع منها غياض من السنط . ولا تُطرق الارض هناك الا متى جفت الاعشاب ويبدس السكلاً فلا محجة للرائد في تلك البقعة الا من مسالك هيّاها دواب البر . ومطارح القرى في اعالي الجرف متقاربة من النهر والاخوار على حد ما تكون أعلى من منسوب غامر الفيض . وعلى جوانب تلك القرى بقاع مخصصة للزرع يرتزق به الاهلون وهم بعد ان تمسك السماء ماءها وترتفع الامطار يحرقون العشب اذا خشخش ويبدس فيه يئنون من ارضها ربيعاً ترعاه سائماتهم ويكون ذلك في بواكر الربيع . وانت ترى في عامة الانحاء من تلك الارض ناراً حامية تلتهم الاعشاب وربما

بلغ متسع الحريق عدة كيلومترات . اما بلدة كاكا فواقعة عند الكيلومتر
الالف والاربعمائة والتاسع والسبعين وهي قرية كبيرة من اعمال الشلوك
مفترشة في اعراض الشاطئ الغربي والى الشمال عنها هناك تنقطع القرى
فتكون متفارزة ثم هي تغيب جملة فلا يبقى في الارض دار ولا ديار . والجرف
الشرقي في موضع واحد منه يلاحف الماء وهناك مخشبة وفي اسفلها على كلا
الجانين تكون الارض في العيان قاعاً بلقماً غفلاً من المارة ما خلا ما تصادفه
على قلة من ما وى الصيادين . والمنافع والغابات متواصلة . وتقوم في النهر هناك
جزر تترع مجراه فيكون منه شعبة او شعبتان . وعند الكيلومتر الالف والخمسمائة
والتاسع والاربعين هدف^(١) أعزل صواني الخلق حجره جرانيطي وهو معروف
عندهم بهدف احمد آغا مضجعه في عرض السهل على الجانب الشرقي بينه وبين
النيل قرابة ثلاثة كيلومترات سنامة كسنام ظهر الخنزير يبلغ سمكه اى
ارتفاعه مائة وعشرين متراً او حواليتها وسفحه في كافة جهاته منابت فيها شجر
السنط على كثرة وهناك خور بعيد الغور فسيح السعة يسيل الى الجنوب عن
الهدف اخذاً الى الشرق . وينشعب منه خور آخر كبير الحجم يسير في سمت الشمال
وراء ذلك الهدف وتكون جريته على محاذاة النيل الا قليلاً وهو يلتقي به بعد
هجر وذلك قبالة بلدة رنك على سبعة وثمانين كيلومتراً عنها^(٢) . والى الشمال
عن الهدف تكون الغابة على كلا الساحلين ملتفة الاشجار كثيفتها وتظل
السباح تمد بطولها لكنها تصبح في تلك النقطة اقل سعة من النقط التي الى
الجنوب عنها . واما الجرف الغربي فغالبه احط من الشرقي ومسيل
النهر يكون مفيضاً مستبحراً كبير السعة حتى في اوان الفيض يوم يكون

(١) ما ارتفع من الارض فصار جبلاً (المعرب)

(٢) بلغت سعة النهر في ابان فيضه قبالة بلدة احمد آغا في سنة ١٩٠٣ خمسمائة

متر وكان اقصى غوره ستة امتار واربعين سنتيمتراً

متوسطها ستمائة متر وجريته بطيئة ذات لحمة لا تكاد تبلغ في ابان الفيض متراً ونصفاً في الثانية . ثم افضينا الى حلة رنك وهي بلدة تقع على الجانب الشرقي تبعد عن بحيرة البرت ألفاً وستمائة وتسعة كيلومترات وهي مأمورية مركز وفيها عاملٌ من الانكليز ويقع ديوان الحكومة من النهر على حاشيته لزقاً . واما البلدة ففي داخله البر على خمسة كيلومترات او زهاثها . والغابة في عالية البقعة وفي سافلتها وهي ملتفة الشجر الا في طوار المحلة فقد خلّصت الارض منها . والمناقع على الجانب الغربي فسيحة وفي البر الى ما وراءها براح دَغل عثيب يتخلله مهادٌ واغوار واسعة . ولقد كان في بلدة رنك من قبلُ مستحکم للدراويش أخذ عنوةً في سنة ١٨٩٨ . وفي الديار هناك آثار معسكر الامير احمد فاضل الذي استسلم جندهُ في تلك السنة . واذا جاوزت النقطة في مدى خمسين او ستين كيلومتراً تكون مشاهد النهر هناك وحشة تتقبّض منها الانفس فلا يكون عليها قط طلاوةٌ ولا ملاحاة ويكون على الجروف من كلا الشقين ادغال متزاحمة متلرزة تكون معالم المرتفعات . ينساب هو فيما بينها ماراً في خلوات جزر كثيرة القصب يحيف بها منطقة السباح الممتدة الى ما لا مسافة . وعند الكيلومتر الالف والسبعمائة والرابع والثلاثين على الجانب الشرقي روابي الجبلين تُشاهد بمدّة النظر في امد بعيد الى جهتي الشمال والجنوب من تلك النقطة يتعرّفها الرائد بان لها خمس قنان غريبة الشكل خلقتها حجر الجرانيط تشب قائمة في عرض السهل وربما بلغ ارتفاع ذروتها مائة متر . والروابي مستديرة الشكل تكون ادناها عن النهر على كيلومتر ونصف واقصاها خمسة كيلومترات وحولها براح من الارض شائك الادغال تتخللها طوائف من شجر السنط القصير الساق . وتنمو سوق الادغال الى حد متر . وتربة البلد رخفة مسترخية . والذي اراه ان يطبق الماء اديم البراح في ابان الغيث والسيول ويشق فيه خورٌ او خوران . اما غابة الجانب الشرقي فسعتها

حوالي خمسمائة متر وهي غاية في التلاك والتشابك وهناك رسوم ممسك
احمد فاضل لا تزال الى اليوم وفي البلدة مكتب تلغراف^(١) . وسبخ الجانب
الغربي متقاربة السعة والادغال تكاف النهر . واما القضاء في غرب النيل
فكان فيما مضى من اعمال بلاد دنكا ولكنه قد اصبح اليوم غالباً خراباً قد خلا
عنه السواد الاعظم من اهليه هاجروه ضارين في عرض الجنوب اتقاء غزوات
النحاسين . والى ما وراء الجبلين تتقارب سعة المناقع وتحف الادغال بطرفي
النيل من كلا جرفيه . هذا وفيما انت عند الكيلومتر الالف والسبعمائة
والاثنين والثمانين هناك مخاضة ابو زيد وهي في ايام الفيض اشد العوائق
منعة لركوب متن النيل وهي تقع في ما اندرج من الارض بين كندكرو
والخرطوم . وهناك في مسافة ستة كيلومترات في ذلك الصقع ينبطح النهر
فيستأجم مأوه ويسترق جداً وفي حوضه صبار من اصداف المياه العذبة^(٢)
حطام تماسكت بالحصى فكانت كتلة توشك صلابتها ان تكون كالحجر
الصلد لا يزحزحها من اجوافه الا جرّافات مخصوصة . اقول وفي شهري
مارس وابريل من سنة ١٩٠٠ يوم كان هبوط مياه النيل متجاوزاً على غير
المعتاد لم يكن غور الماء في مواضع من تلك النقطة باكثر من اربعين
او خمسين سنتيمتراً . وهناك تعذر علينا ركوب البخارية فكنا تارة نمتطي ظهور
الجمال سائرين في اعراض الشاطئ وطوراً نركب القوارب الخفيفة الحمل
تشق بنا عباب الماء . وكان الاهلون يقطعون النهر حملاً على ظهور الحمر
وهي الاتن حاملين الخرفان على مناكبهم . والى ما فوق بلدة ابوزيد في

(١) يظهر ان رواي الجبلين هي الحد الشمالي لمنطقة ذباب الصروط وهو
دوية لازمتنا وأزعجتنا في ترحالنا من الجهات القبلية . تكون جثتها بقدر جرم الزنبور
ولها سعة شديدة اذا اقامت أدمت على الفور
(٢) هي الاثيريا (يونانية)

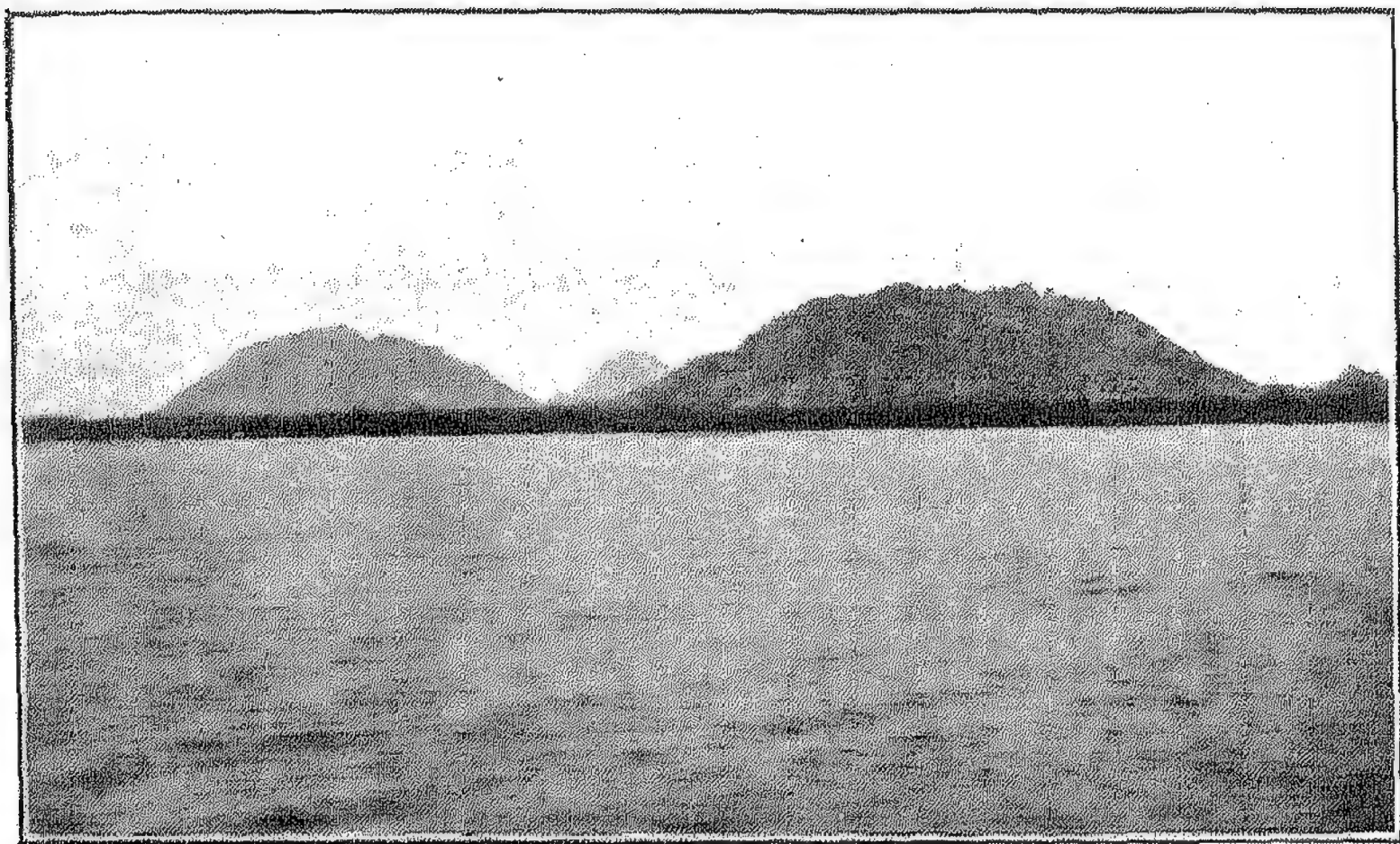
اربعة وثلاثين كيلومتراً تكون في المسيل شعبة تعرف بشعبة دنكول^(١) تقطع جوف النهر من جانب الى آخر . والطريقة السليمة لاجتياز هذه العقبة في ايام انتقاص مائه هي ان يجري الربان السفينة في مطاوي وليآت . وصخور الشعبة كثيرها تملوه المياه فهو غاطس فيها ودليل وجودها ما تحدثه في سطحه من التجاعيد والفضون . ومتى جاوزت هذا البلد شمالاً ترى الارض على الساحلين قد استعلت وقلت المناقع والسبخ . وعند الكيلومتر الالف والثمانمائة والسابع خرجنا الى جوز ابو جمعة هناك يختلف عرض النهر بين سبعمائة الى تسعمائة متر . وفي تلك البقعة محلة صغرى للحكومة فيها مكتب تلغراف وقبالتها ترى عرض عينيك طرف جزيرة ابا الجنوبي وهي الى الشمال عن ابو جمعة ينشعب النهر بها الى شعبتين تذهبان في مسافة طولها ستة واربعون كيلومتراً . وبلدة جوز ابو جمعة هي الحد الشمالي لمنابت المساكات . والى ما وراء ذلك الموضع يخلو البر من البردي واعشاب المساكات وترى على كلا الجانبين صبايات من النهر منساحة في البراح لكنها لا تكون فيه مستنقعات الا بما لا يذكر . أقول وهناك تنكبنا بلاد الزنج فخرجنا في بلاد الاعراب فرأينا بونا وايماء بون بين هذه وتلك فان سواحل جزر الاعراب عامرة بالزروع

ثم ان جزيرة ابا مستطيلة قليلة السعة اعلى في طرفها الجنوبي منها في طرفها الشمالي وهي ارض شجيرة ملتفة الاغراس وفيها الى اليوم خرائب قصر محمد احمد المهدي صاحب الثورة . واكثر الشعبتين صلاحاً للملاحة غربيتهما . ويوم تصير المياه في اقصى غيضاها يكون بعض

(٢) توجد شعاب اخرى غير ما في أبو زيد ودنكول لا مرور للمراكب عليها في جوز ابو جمعة واحداً آغا وكاكا . واما في الاصقاع التي الى الجنوب عن كدك فركوب النيل ميسور مهما كانت مياهه قليلة



جبل احمد اشنا على البحر الابيض



الجبيلين على البحر الابيض

الشعبة الشرقية في اماكن منها جافاً. وعند الكيلومتر الالف والثمانمائة والخامس والثلاثين مررنا ببلدة فاشي شويًا في الجانب الشرقي. والبر هناك نجد عراقاً ما خلا ما فيه من اشجار الدغل والسنت و ليس في الارض منافع. ومن ذلك الموقع خرجت حملة المهديين سنة ١٨٩٩ حملة انجالت عن انهزام عبدالله التعايشي خليفة المهدي ثم وفاته على الاثر. ويكون مسافة ما بين نهاية جزيرة ابا وببحيرة البرت الف وثمانمائة وسبعة واربعين كيلومتراً. وجرف النهر فيما بين تلك الجزيرة وبلدة كافا عند الكيلومتر الالف والثمانمائة والرابع والثمانين حاشك حافل بالغابات والفياض. والارض على الجانبين ناهضة يكون حدرها اي ميلها بعيد المساف خفيف الميل الى الغابة. وفي ازمان الفيض تتداخل المياه باطواء الغابة في فسحة منها واسعة الاطراف فتغمر جسوم اشجارها بقدر خمسين سنتيمتراً او تزيد كما يرى من معالم الماء على سوق تلك الاشجار فاذا نضب الماء يقيم الاهلون على اثاره الارض وازدراع ذلك الحدر. والى جنوب كافا جزيرة هابطة الصخيف يكون طولها حوالي ستة كيلومترات وهي ذات عمارة ولها حراثة وزروع متضاربة الاجناس يرتفق بها الاهلون. منها الحنطة والشعير والبصل والبامياء والدُّجر (اللوبياء) والدخن. والبلدة رحيبة العماثر تقع في الجرف الشرقي للنيل لها سيماء الرفاهة ويسارة العيش وفيها مكاتب نظيمة للحكومة ومستودع للصمغ وشونة للغلة. وهي من الجرف في عاليته وقد كشفت الادغال عن ضواحيها من جميع جهاتها وهي حاضرة المأمورية ولها سوق متوسطة السعة تباع فيها الحبوب والبقول واممها اخلاط من قبائل الحسانية والجمالين والداقلة والى شمالها ترى في عامة الارض ما يدل على عود المدنية والعمران فستان ما بين خلقة النيل في سنة ١٨٩٩ وخلقته في سنة ١٩٠٣. ففي سنة ١٨٩٩ لم تكن البلاد معمورة الا بالنزر القليل من العباد والقدر اليسير من الزرع^(١) واليوم تقوم القرى

ناشئة فيها ولقد اقبل عليها الجحش الفقير من العباد واقترشوا جروف النهر .
ويكون منظر الارض هناك بعد نضوب الماء عن البساتط السمينه الفريلية
منظراً يستوقف الأبصار . تقوم الخصاص في تلك البساتط ولاهليها فيها نواطيل
(شواذيف) عليها سقيا الزروع الاخرى كالحنطة والشعير والذرة الصيفية
والدخن . ولقد افلح اقوام تلك الاصقاع في بناية المراكب فهم يصطنعونها في
اماكن عديدة من بلادهم ويجمعون الحطب وقوداً يرتفق به اهل الخرطوم
والبخاريات . وهم اهل ماشية جمة ولقد ترى على ذرى الجروف جنوداً من السائمة
ترعى . ولما كانت تلك البساتط والجزر واسعة الفساحة فلا بد ان تكون
مساحة ما يزرع بين جزيرة ابأ والخرطوم مستوسمة^(١) . وازدراعهم الارض
في ذات سنة راجع في الغالب الى مقدار ما يكون قد ارتفع من خارج الذرة
في السنة السليفة بمعنى انه اذا جاءت سنتهم منها بشيء جيم المقدار يرون به
كفافاً من الرزق فهم يتقاعدون بحكم خلقتهم النازعة الى التواني عن اثاره الارض
للزراعة في عقبيتها . فان جاءت غلة الذرة بمقدار عقيم كما وقع لهم في سنة
١٩٠٠ تكون المنبسطات بذلك مفرطة الاتساع . - هذا والارض شمالي كاوا
انجاد مشرفة على الجنين وهي على الشق الشرقي مستوية السطح غاصة بملتك
الادغال وتكون على الشق الغربي اكثر تكسراً وتعادي ولها حاشية هي غابة من
ملتف الاقاييا اي السنط السامق الطول يحف بضفة النهر وسعته هناك
عظيمة قلما كانت اقل من سبعمائة متر فيما بين الضفتين وكثيراً ما تكون افسح
من ذلك بكثير وربما صارت في ايام الفيض الى الف وثلاثمائة متر . واما
جريته فبطيئة وبعد غوره في ايام الفيض لا يكون اكثر من اربعة امتار

(١) في شتاء ١٨٩٩ احتلت جيوش المهدي جرف النيل الغربي

(٢) هذه المساحة يختلف مقدارها باختلاف مقدار الفيض فان كان غزيراً

قلّت وان كان قليلاً كثرت

الافيا ندر^(١) والجزر التي تطويها المياه فتطمسها عديدة والبساتط الغريلية
الابليزية على المنكين مستعرضة . اما بلدة الدويم فتقع في الجرف الغربي
وهي عن بحيرة البرت على الف وتسعمائة وسبعة عشر كيلومتراً وهناك جزيرة
تفرق النهر بشعبتين . والبلاد في الثلاث السنين السليفة قد عمرت وزهت
كثيراً وستكون في القريب العاجل بؤرة التسوق والاتجار ألا وهي
مستودع أكبر يستجمع عامة ما يجلب من كردوفان من صنوف الصمغ
فينقل منه الى الآفاق ولها سوق كبرى وعمارات محكمة البناء فيها مكاتب
الحكومة ولها مستشفى والبلدة يحمل منها الصمغ الى الابيض حاضرة
كردوفان وهو يجلب من داخله البلاد ويحملونه الجمال رزماً مشتملة باكنة
تقيه الضرر مصنوعة من القش المعروف عندهم بلاهو وينقل من الدويم الى
ام درمان في بخاريات او في المراكب الاهلية وهناك تضرب الحكومة عليه
مكساً والتجارة به اليوم معظمها بيد أمم اليونان . ولقد اقيم في النيل حيال البلدة
مقياس ترصد به مناسيب مائه^(٢) يومياً . والبلاد الى شمالها سحناؤها عادمة
الرونق موحدة السياق والاسلوب فالجروف على الجانبين منحطة الا ما كان
منها كُثباناً من الرمل تضافر البساتط . وفي مهب المشرق يكون السهل
براحاً أملد يغشى اديمه الكلا الملتف . وفي مهب المغرب يكون في الارض
حاشية كثيفة من نبات القرظ (السنط) تمتد بازاء مسيل النيل . وهذا
الجرف تغمره المياه في ايام الفيض في سعة فسيحة . ولقد مررنا في
رحلتنا بقرى كثيرة وهي على الشق الشرقي اكثر منها على الشق الغربي .
هنالك تكون البساتط والسواحل كثيرة العمران بالزروع والحروث

(١) بلغ اقصى غور النيل عند الدويم في سنة ١٩٠٣ ثمانية امتار وسبعين سنتيمتراً

(٢) بلغ متوسط جرية النيل الابيض عند الدويم كيلومتراً وربعاً في الساعة ايام

الفيض و كيلومترين ايام الفيض

والنهر متباعد السعة . ثم اذا نزلت في الكيلومتر الالف والتسمائة والخامس والاربعين فانت تلقاء تل من الرمال يقال له جبل أرشقول على بعض المسافة من النيل وهو أنشاز تفرج شيئاً من كرب الناظر الى ذلك الفضاء الوحش . وهي قباب جمة ترى على قدر مسرح البصر ويكون الجرف الشرقي من عند الكيلومتر الالف والتسمائة والثاني والثمانين شمالاً براحاً بلقماً موحشاً ينزع الى الارتفاع وفيه رمال والى ما وراءه مفازة واسعة الجنبات تتصل بالنيل الازرق . وبين الكيلومتر الالفين والتاسع والستين والكيلومتر الالفين والرابع والثمانين هضبتان بمنزلتان احدهما على الجرف الشرقي وتعرف بجبل مندره والاخرى على الجرف الغربي وتعرف بجبل أولي ولولاها لكانت الارض بسيطاً قرأحاً لا نضارة فيه ولا زهو . ومسيل النهر يستعرض فتصير فساحته الى الف متر . وفي أسافل تلك النقطة تبلغ الف وخمسمائة متر والناظر اليه لا يحسبه الا بطيخة مستبحرة لانهرأ . والى الشمال عن الكيلومتر الالفين والثامن والتسعين تتزايد سعته حتى تكون من بين كيلومترين الى ثلاثة كيلومترات وفي مواضع تجاوز هذا القدر ويستقيم على تلك السعة الى ان يفضي الى ام درمان . وتكون البسائط على جنبيه واسعة الأرجاء والارض مطمئنة قشيفة عادمة للشجر واما غوره فقريب ماؤه شفاف رقيق ويتمذر على المراكب مها قل غاطسها ان تدنو الى الضفة لكثرة الشعاب وهناك طير الماء على كثرة وهي ضروب وطوائف شتى والتمساح في اجواف تلك القطعة على كثرة . واذا عصفت الريح ثارت في الماء انواء اقامته واقعدته . — هذا والجرف الغربي أحط في الغالب من الجرف الشرقي . واذا أوغلت في الصوب الشمالي ترى رأي العين ذات اليمين نخيل الخرطوم وشجرها وعمارات ام درمان ذات اليسار . والساحل هناك ينبسط اديمه وتتسع زروعه واحراثة حتى تجيء الى الخرطوم وهناك يلتحم النهر بمعدته الاكبر وهو النيل الازرق بعد إذ يسير الفين ومائة وثمانية

عشر كيلومتراً باعداً عن مخرجه عن بحيرة البرت . فاذا ضمنت هذه البعدة الى مسافة بحر فكتوريا فتكون شقة ما بين الخرطوم ومجراه عند جنادل ريبون الفين وخمسمائة وستة وعشرين كيلومتراً



الفصل الحادي عشر

في بحر الغزال

تقع بطيحة نو من العرض الشمالي على تسع درجات وتسع وعشرين دقيقة وهي يم من الماء أبطح قريب الغور مشتمل في فساحة من الارض تبلغ عدة كيلومترات تطيف بها من اطرافها كافة اجام القصب وربما كانت قطعة من البطيحة الكبرى التي افترشت يوماً تلك الاصقاع ويجتاز بحر الجبل طرفها الشرقي . والى طرفها الغربي يقع بحر الغزال وهي بمثابة مغيض تجلب اليه المجاري البطيئة الجرية التي تتلقى مياه الصبب من العلاية الكبرى القائمة بين الكنفو والنيل . وهذه المجاري تنشأ في ارض تقع بين خمس وثمانى درجات من العرض الشمالي وبين اربع وعشرين وثلاثين درجة من الطول الشرقي وضمفائها الشمشاء تجدل في ضفيرة واحدة يستجمعها بحر الغزال . ولقد أطلق هذا الاسم على الاقليم الذي يشق فيه ذلك البحر . وعمدة ممداته على الجانب الايمن نهر رول ونهر جو ونهر طنج . وعلى الجانب الايسر بحر العرب وبحر حمر ونهر جور . وهذه الانهار تتراعى الى هبطة فتملأها وتصبح بها بطيحة مستبحرة تعرف ببطيحة نو ينساح في ارجائها بحر الجبل فالبطيحة اذا ما هي الا بساط من الماء لا يكاد يكون فيه تيار . يرتفع سطحه بارتفاع النيل وينخفض بانخفاضه واما مفترشها ايام مدها فيختلف باختلاف الادوار . وهي مستودع للبحر الابيض يعتد به . ومقدار منفسحها الصحيح لم يُقرّر الى اليوم ولقد خمنه المخمنون بان يكون من بين خمسين كيلومتراً مرعاً الى

مائة كيلومتر. اقول ولعل الاختلاف حاصل باختلاف الازمان التي قدرت فيه مساحة تلك البطيحة في الفيض الفامر لا تكون اقل من اكبر التقديرين بكثير ولكنها في الفيض المقل تكون زهيدة جداً ففي عامي ١٩٠٠ و ١٩٠١ لم تكد تتجاوز عشرين كيلومتراً مر بعاماً. ولما بلغناها في استقبال هذين العامين كان حجمها قد تضايق كثيراً حتى صارت اشبه بنهر ضخم منها ببطيحة. وهي في ايام الفيض تختلف سمتها الى حد مفرط ففي شهر ابريل سنة ١٩٠١ مثلاً كانت تلك السعة في ايام منه اثناء الكيلومتر الاول عن البحر الابيض اقل من مائتي متر لكنها ما لبثت ان فاضت مياهها فجأة فالتسعت ولعل فساحتها بلغت حينئذ ثلاثة كيلومترات. ثم الى ما بعد ذلك تراها قد عادت فتضايقت. واذا كنت عن تلك النقطة على ستة او ثمانية كيلومترات الفيتها وسمتها تتراوح بين ثلاثمائة وستمائة متر وقد لا يتجاوز دركها في الاحايين مترين ونصفاً وفي مواضع منها لا يتمدى متراً ونصفاً. ولم نر في غمرها كلاً شيئاً من الجرية. والى ما وراء بساط الماء منطقة واسعة قصباء يغمر الماء قصبها واخص ما تنبت ارضها ام صوف وطوائف العنبج وكانت البطيحة عامرة بالجزر القصباء ويسعى في اجوافها ما لا يتناولهُ عد من دابة الماء وهناك زرافات من جارحة الطير المائية. واهل النوير يلاقون من تلك الدابة كل رز وبلاء فانها ضارية الى الغاية. بلغني انها تسطو على المراكب والارماث في عبورها البطيحة. هذا واذا كنت من البحر الابيض على تسعة كيلومترات ترى قرى النوير متراففة على الجانب الايسر يكون مسافة مصفها عدة كيلومترات وهي معلم الجرف لا تتخطاه السباخ ومتوسط بعدها عن النهر قرابة ثلاثة كيلومترات. والنوير في العيان بلد اهل بالخلق الكثير ولاهله اموال شتى من الضأن والماعز وقد تغير ما كان في خلقتهم من الجفول والمجانبة فهم يقيضون اليوم الدجاج وغيرها بالسلع عن طيبة خاطر. ولما

كنا من مندغم البحر الابيض ببطيحة نو على احد عشر كيلومتراً هبطنا الى
مسيل من الماء متضايق الجنين تكون سعته من بين ثمانين الى تسعين متراً
يسميه اصحاب السياحات في خرائطهم بخور دليب . وعلى خمسة وعشرين
كيلومتراً ونصف من ذلك المندغم يقترن به ذات اليمين بحر الغزال ويكون
الخور ذات اليسار . اقول وفي اطلاق « خور دليب » على تلك القطعة خروج
يوجب الحيرة فانه لما كان بحر الغزال يفضل خور دليب جرماً كان هو أخرى
بان يتمشى اسمه على المجريين المتمازجين كليهما معاً ولكن بما ان ذلك المسيل
قد ورد في غالب الخرائط الجغرافية باسم خور دليب فلا ارى حاجة الى
ابدال ذلك الاسم من اسم آخر . وقد جعلت مبدأ بحر الغزال من مُقْتَرَن
المجريين المذكورين ومنه ايضاً مبدأ ارقام الكيلومترات

قلت وخور دليب واسع التخوم تبلغ فِساحته من مائة وخمسين الى
مائتي متر تقضي اليه مياه نهر رُول صاباً من مهب الجنوب^(١) وليس له
جريّة ظاهرة في ايام القيظ ولذلك يتعذر تعرّف مقدار مستدرّه . وبحر الغزال
في تلك النقطة له سعة اربعين متراً وهو في رأي العين اقل قدراً من الخور على
ان دَرَكَه ابعد اذ يكون متوسطه اربعة امتار ومتوسط دَرَكَ الخور متران
او متران ونصف . وقد تطلّعه الماجور بيك في مسافة ثمانية وعشرين كيلومتراً
من ذلك المقترن وهناك صدّه عن التسيار مساك^٢ وادغال ولكنه بين المجري .
اما خصال الماء فعلى اختلاف وتخارج في المجريين ففي خور دليب يكون الماء
رَقيقاً كدراً ضارباً الى البياض . وفي بحر الغزال رائقاً شفافاً كما في البحر

(١) استطلع فلكن نهر رول في اكتوبر سنة ١٨٧٩ وروى ان سعته مائة
وعشرون قدماً ومتوسط الدَرَكَ اثنا عشرة قدماً والجريّة ميل واحد في الساعة
وقريب المستدرّ ٣٩٠ ر ٢ قدماً مكعباً في الثانية اي ثلاثة وستين متراً مربعاً ونصفاً .
قال وكانت الضفتان حينئذ حافلتين بالماء

الابيض . والنهران يسيران في بعض المسافة متوازيين وبينهما سبخة أرجح
يكون ارتفاعها عن منسوب اقصى الفيض بقدر ثلاثة امتار وثلاثين سنتيمتراً .
ولا أخال تلك البقعة ايام مدّ النهرين الاّ بحيرة بعيدة الاطراف . والبلد قشيب
خشيب لا رونق له وارضه مرداء عادمة الشجر جوّه حار رطب وكذا في
اشهر الشتاء وبموضه سام . وقد تصعدُ بحر الغزال الى مدّى بعيد ولا ترى
الا شيئاً طفيفاً من التغير في صحيف الارض فالجروف باقية على انحطاطها
والنهر يشق متطوحاً في منافع وسباح تكون جريته فيها بطيئة جداً . وعند
الكيلومتر الخامس من المقترن يقع الى البحر خور عظيم على جانبه الايسر
يعرف عند امم تلك البلاد بمياً العري . والظنّ انه يصب من مهب الشمال
الغربي وهو الخور الذي قيل عنه انه يصل بحر الغزال بنهر لّلي . واذا نظرت
الى الارض وتبينت حدّها ايقنت ان المياه تتراعى عن المرتفعات فتسقط
الى ذلك البحر ولا يبعد ان تحمل منه على الجانب الآخر فيوض وصبابات
في ايام مدّه . والخور سعة مائتا متر لكنه قريب الدرك رقيق الماء . وعند
الكيلومتر التاسع والنصف يتداني خور دليب من البحر حتى يصير منه على
الف ومائتي متر . وهناك دلبة فردة نامقة المرائى ذكرها الرحالة جنكركر
قائمة على الطيف الايمن كانها معلّم في الارض وقد سمي الخور بخور دليب
تسمية له باسم تلك الدلبة . والساحل الايسر الى ما وراء حاشية السبخة
ليس الا سهلاً فسيحاً عشيباً يغشى اديمه جراثيم النمل . وهي متلازمة متلاصقة
بعضها الى بعض حتى لقد يحسبها الراي مقبرة عظيمة وهناك قرى النوير من
الجرف على طية شاسعة . وكلما أوغلت تصعيداً في النهر كانت الارض عقيمة تأبأها
النفوس . ترى هناك قفاراً ذات عشب تلحق اطرافها باهداب السماء ومنافع
وسيلة الرحائب تحيف بالجانين وترى مسيل النهر يضيق حتى لا تكون
فرجته اكثر من خمسة وعشرين متراً والقور يختلف من بين اربعة الى خمسة

امطار وجناباهُ ولياته لا عدَّ لها لكنها ليست بحادة كما هي في بحر الزراف .
اقول والتباين بين هذا البحر وبحر الغزال عجيب مدهش فياه الزراف في
ايام الفيض منخفضة جداً عن جروفه بينا ان مياه بحر الغزال تكون من
جروفه على مستوى . وفورته لا تكون باقل من متر وخمسة وستين سنتيمتراً
الى مترين حتى في ايام الفيض المألوف . وفورة الغزال زهيدة والذي
يستصعب ادراكه ان المياه قد تعلو عليه اكثر من متر او متر وعشرين سنتيمتراً
فوق اقصى انحطاطها حتى في زمن الفيضان^(١) ومع ذلك ترى الارض التي
تغمرها المياه متسعة التخوم ممتدة الى بُعدٍ شحيح . واذا جاوزت تلك
النقطة صعداً يتزايد عمق الماء فيصير الى ستة امتار ويكون في مواضع سبعةً
ونصفاً . وهناك تبدو الاغراس الى اليسار وتكون من النهر على عدة كيلومترات
ويكون الجرف الايمن الى ما وراء منطقة المغمور مكسواً بدق الانبات والبر
الملاحف للبحر هناك ليس عليه سيماء الانغمار بالمياه في ايام الفيض وذلك
بالضد لما شاهدناه في انحاء بحر الزراف غير انه لا بد ان يكون في ازمان
الامطار سباخاً مشربة ماء رخفة القوام اسفنجيته ولو تناولتها المياه لم تكن فيها
الا غشاء رقيقاً والا لما قامت فيه الانبات ولا تراحت فيه جراثيم النمل .
والارض هناك حدرها خفيف هين ولذلك كان مدرج الماء فيها بطيء الجرية .
وعند الكيلومتر الرابع والعشرين هناك تدينا سعة النهر فاذا هي ستون متراً .
ومنطقة الغاب والقصب تتضايق وهناك يُفضي اليه من جانبه اليسر ساجنة
(خور) ضخمة تعرف بميانوير او ميا محمود افندي تكون سعة في جيرة
المقترن من بين مائة وخمسين متراً الى مائتي متر ومأثاه في مهب الغرب
ماؤه رقارق . قيل ان مياه نهر كيلاك ترمي اليه^(١) وهو نهر ليس لنا وجدان

(١) يقول فن هجلين ان الفرق بين مياه الفيض ومياه الفيض من بين ثلاثة

الى اربعة امتار ويكون اقصى انخفاضها في مارس وابريل

من امره الآ اليسير. والذي يَحْمَدُ القوم انه يُصب من هضاب دار نوبا .
والبحر الى ما وراء المقترن يتوجه نحو الجنوب ويمر كلاهما متوازيين مسافة
ناية وبينها شقة تكون سمتهما بين سبعائة وستائة متر وربما ارتفعت ارضها عن
الماء بقدرستين سنتيمتراً . وعند الكيلومتر الثاني والثلاثين هناك نبات البردي
وقد كان غاب عنا يوم برحنا البحر الابيض وهو يكسو حاشية الماء من الجنين
غير ان ساقه ليست بطول ساق البردي في بحر الجبل ولا يغزر هنا ويلتف
غزارته والتفافه هناك . اما سطح الماء فضيق قلما تعادلت سمته على عشرين
متراً لكن غوره بعيد يكون متوسطه من بين خمسة الى ستة امتار وهناك
عصفور ضهيّ الدوري يكون منه جنود مجنّدة اسراباً ولا اسراب الدّبا وهو
الجراد لا يحيط بها احصاء ولا عدّ . وهناك ذبابة الصروط شديدة الإذاء
وقرى النمل وهي من مميزات تلك الاصقاع ضخمة عددها كثيف لا يشاهد
مثلاً في ايّ قطر من الاقطار . تكون الجرثومة منها عن الاخرى من بين عشرين
الى خمسين متراً . وحاشية البردي تنفسح مستعرضة وأنت تصعد النهر .
والغابات على الجانب اليسر عند الكيلومتر السابع والستين تتقارب حافةً بها
والنهر يشق ملاحفاً ملازماً لها في مسافةٍ طولها زهاء ثلاثة كيلومترات .
واشجار تلك الغابات عظيمة الجرم ولكن الحاشية تكون سمتهما بعض مئات
من الامتار ومرأى تلك البقعة نضير مُعجّب اذ الارض ناهدة بانشار . وفي
السهل المشيب طرائق متخالفات من نامق الشجر وهناك الفيلة على كثرة
وغمار . وعلى الطيف الايمن مستنقع ربما كان النهر في ازمائه يمر هائماً في اعراضه .
وهناك مبدأ المكانة التي يحدث للنهر فيها الانسدام بمادة المساك . وقد وقع
لنرو في سنة ١٨٨٠ أن رأى الكتلة الاولى منه . اما مسيل النهر فضيق السعة
بعيد الغور متعرج السيرة وهو اليوم يلاحف عالي الجرف . ومن الواضح



بحر الفزال



مصب نهر زمل في بحر الفزال

البين انه في تعاريجه الكثيرة يكون عرضة للانسداد بالمسالك في مطوى واحد او مطاوي منها فاذا مسك ماؤه على هذا الاسلوب نشأ من ذلك ولا ريب سطر من الغدران « والميهات » اي البرك في مستنقع البردي الذي في البحيرة . ولا يكاد النهر يفارق الغابة اليسرى حتى يعود فيتداني منها عند الكيلومتر الثالث والسبعين والنصف . وهناك يتقارب دركة مفاجأة فيصير غوره الى متر واحد وثمانين سنتيمتراً لكنه لا يلبث ان يعود فيعمق حتى يكون ثلاثة او اربعة امتار . اما هذا الرقارق فناشىء بلاريب عن انفكاك المسالك ورسوب مادته مرتكمة في قاع النهر وكثيراً ما كانت الركة مدعاة الى ارتداه فان المسالك المنحل يرفع ارض مجراه ثم تقبل اليه طوائف اخرى من الجفال ونفايات السيل طافية على وجهه فاذا هي ادركت الركة تستصير عندها ويحصل من ذلك انسداد المجرى . اقول والظاهر ان مسيل النهر في هذه النقطة قد تغير من عهد قريب فهو اليوم أميل الى الجانب الايسر مما كان في سنة ١٨٩٩ فلا غرو ان يكون هذا الانحراف ناشئاً عن ركة من المسالك وقعت فيه . وهناك عند الكيلومتر السابع والسبعين نزلت النازلة بجسي باشا وهو يسير نزولاً في النهر اذ ارتطمت سفينته في المسالك فعلفت به قرابة ستة اسابيع وهلك من سفره ما يتعاد على مائة رجل ولولا ان ادركه مارنو عند بدين في الحين لما سلمت منهم نفس اذ كانوا يومئذ على شفا الهلاك جوعاً . ولقد تمذر جلب الوقود للبواخر لان المناقع ممتعة السلوك وكانت تحول دون الوصول الى المحاطب . قلت وهذه الحصاة من النهر ومسافة طولها تسعة او عشرة كيلومترات يكون سلوكها محفوفاً بالمخاطر لانها عرضة للانحباس بالمسالك في طائفة من السنة . اما في سنتي ١٩٠٠ و ١٩٠١ فكان المسيل مخلصاً ولكنه امتنع في ربيع سنة ١٨٩٩ في قطعة لا تبعد كثيراً عن هذه النقطة جنوباً^(١) .

(١) ثم عاد فامتنع الى أجل في سنة ١٩٠٣

والمسيل هناك متضايق على غير نسبةٍ فليس له سعة إلا بقدر اثني عشر متراً
وغوره أربعة أمتار ونصف . ومجراه ذو ثنايا يتمذر على المسافر اجتياها
ولا اظن الأرض في ابان الأمطار إلا بطيحة قصباء . وعند الكيلومتر
الرابع والسبعين والنصف يتزعزع النهر من تلك المناقع المشومة فتزايد سعته
حتى تكون ثلاثين متراً ويكون اوسط ارتفاع جروفه عن سطح الماء بقدر
خمسة وسبعين سنتيمتراً . والأرض على كلا المنكبين تكون في الغالب اسمى
من ذلك وترى على المنكب الايمن متفازز الدغل وتظهر للعين جراثيم النمل
ذات اليسار مفترشة في بساطٍ من الأرض عشب . وعند الكيلومتر الثمانين
ينبطح النهر منفسحاً فيكون طائفةً من الغدران لها سعة اربعائة متر وطول
كيلومتر ونصف وفي عاليات الغدير برك فسيحة يقول اعراب تلك الاقطار
ان منها يخرج نهر جو وهو مُد آخر من ممدات بحر الغزال الصابة من
مهب الجنوب^(١) وهو معروف عندهم بمياً احمد عرابي يمر تارةً على موازاة
ذلك البحر وطوراً ينكف عنه في طية تكون زهاء اربعة وستين كيلومتراً
وهو منسلخ عنه عند بطيحة أمابادي وهي من نقطة تلاقي البحر بخور دليب
على مائة واربعة واربعين كيلومتراً ويغلب على مسيله التقاصي عن البحر
لكنه في مواضع ترمقه العين . وعلى ضفة نهر جو ملاحفة شجرة تمر هندي
هي معلّم الأرض في ذلك الصقع . وفي سنة ١٨٩٩ امتنع بحر الغزال بالمسالك تلقاء
نقطة التلاقي . والجرف الايمن هناك لا يزال مقيماً على علوه ولكن الايسر
منخفض . ولا مشاحة في ان الماء يغمره في مسافة طويلة . والنهر هناك يكون
اشد مضياً ونسيم الصبيحات باردٌ مرطوب وتنتشر في الجو ريح اجمية
شديدة المشموم . وعند الكيلومتر الخامس والثمانين يلوح للناظر بادئ بدء

(١) عبر فلكن نهر جو في اكتوبر سنة ١٨٧٩ وروى ان جريته ميل ونصف
في الساعة وسعته اربعائة وعشرون قدماً ويا ليتها نبأنا بعد غوره

شجر الفريون وهو على كثرة من تلك النقطة الى ما فوق . ويستقيم
البر على سَنَنِهِ في الحلقة الا قليلاً . واذا صرت الى الكيلومتر المائة والثالث عشر
يقع بصرك هناك على بقاع شجيرة منبسطة على الجانب الايمن تكون عن
النهر على الف وخمسمائة متر او قرابتها . والبلاد برحابها غامرة بالماء لا عباد بها
الا نفر القليل من الدنج . ومن المستغرب ان لا يكون بها ضياع ولا قرى
أما ترى الى الارض بعد بلدة النوير عند الكيلومتر الثالث والاربعين كيف
صارت خراباً ليس بها اُنس . وهناك ساجنة^(١) صغيرة بعيدة القاع تفضي
الى النهر على جانبه الايسر . وعند الكيلومتر المائة والعشرين خور آخر
ضخم يرمي اليه من ذلك الجانب . اخبرنا النواتي انه هو بحر العرب فحملنا
خبرهم محمل الصحة فركبناه صُعداً وهو يصب من مهب الشمال الغربي
وتجلب فيه المياه من طية شاسعة لكننا عقيب ذلك تيننا ان بحر العرب يقع
بعد تلك النقطة بعدة كيلومترات . ومهما يكن من الامر فهذا الخور يحمل
جماً من الماء في الفيض^(٢) ولا يبعد ان يكون فرعاً آخر لبحر العرب يفرغ في
بحر الغزال مخترقاً في انصبابه بطيحتين صغيرتين يكون طول كبراهما حوالي
الف متر وسعتها ثمانمائة متر وله في درجه جزيرة وفي اجوافها امم من فرس
البحر وسعة هذه الساجنة ينيف على سعة بحر الغزال فهي من بين مائة متر
الى مائة وعشرين متراً . وللنهر جرية بيئة ضئيلة حتى في شهر ابريل لكنه
قليل الغور قريب القاع يكون متوسطه بين متر واحد الى خمسة وعشرين
سنتيمتراً ومتراً واحداً وخمسة وسبعين سنتيمتراً . وقد ركبنا متنه مسافة تكون
عن نقطة التلاقي بقدر ثلاثة عشر كيلومتراً وهناك صارت المياه رُقارق صدتنا

(١) الساجنة وجمعها سواجن مسيل الماء من الجبل الى الوادي وهي الخور (العرب)

(٢) تدل مسائح منرو وخريطته على ان هذا الخور ليس هو بحر العرب .

ومن الغريب انه على ضخامته وعظم شأنه لم يتطلعه منرو ويتبينه

عن ملازمة السير فاضربنا عنه . واما وجهته فمرّ الشمال الغربي لكنه عند اقصى ما بلغنا من طوله ينحرف انحرافاً حاداً ذاهباً في سمت الشمال وتبصر العين مجراه على مدّى بعيد هائماً في اديم الارض . وهناك ايضاً تكون سعته مائة متر وعلى شقيه منبسطات طينية كبيرة الفساحة . وهو يشق في سهول جهراء لا يفشو فيها الا دِيق الاعشاب يكون متوسط ارتفاعها عن وجه الماء سبعين سنتيمتراً عند طرّة النهر . وهو في خصاله يخالف بحر الغزال مخالفةً كلية لا سيما في ان ليست حاشيته قصبةً والقصب من مميزات ذلك البحر . اما فورته فلا اظنها الا خسيصة فليس في الجروف ما يدل على ان المياه ذات يوم غمرتها . واذا كنت من المقترن على ثمانية كيلومترات فهناك ذات اليمين وذات اليسار رزاديقي^(١) وقرى الدنجا منها ما هو جليل القدر كثير الامل . وجندها قرية لاو وهي عبارة عن مصفٍ من الخصاص متفارزة غير متلازة تجمعها بقعة واحدة منفسحة . واهل دنجا حلت بهم الشدائد من جراء قلة مياه النهر وزهادتها ولاجل ان زروع الذرة هلكت جملةً . ولقد كان الدنجيون فيما تقدم ينجلون^(٢) من بخارية اذا تدانت من ربوعهم ولكنهم اليوم قد استأنسوا وذهبت عنهم فقرتهم فهم اذا صيدت فرس الماء لا يستنكفون ان يتناولوا من لحمها . اقول وأودّ لو يسافر في هذا الخور في ابان الفيض لاستجلاء ما اذا كان هو بالحق صبايةً من صبايات بحر العرب

عودٌ - وبحر الغزال بعد نقطة التقائه بالخور تكون وجهته في الغالب غربيةً وهو عدل الجرية الا في مواقع له فيها ثنيات مستطيلة . ويلاحقه حاشية من البردي ذات اليمين وذات اليسار وهو يمضي في مفازة عشبية وجريته فاترة ثقيلة في عامة مسافته . وليس هو على شيء من الفورة حتى في

(١) جمع رزداق وهي العمارة والبلاد (العرب)

(٢) انجفل القوم انقلعوا فمضوا مهرولين (العرب)

أيام مدته فيسير متماثلاً متعرجاً على مهلٍ وتراخٍ مستجمعاً بلل النقايع التي يشق فيها . ومتوسط فساحة مسيله تكون من بين ستين الى سبعين متراً ومعدل غوره ثلاثة امتار ونصفاً . وعند الكيلومتر المائة والسادس والثلاثين ترى الاشجار والجُنب والعواسج على كلا ساحليه وأما جروفه فعارية عن القصب وتقيم على ذلك الى الكيلومتر المائة والاربعين وهناك يقع فيه بحر العرب . والغابة تُعرف بغابة العرب وهي محتطب من المحتطبات القليلة التي على النهر . واشجار شقيه في تلك الجهة تختلف عن سائر الاشجار في جهات أخرى فهناك يوجد السنط على قلة فعامة الشجر عضاه شائكة لها اوراق نيرة الخضرة ومستطيل الغابة يكون عرضه من عند النهر بقدر كيلومتر واحد . والى ما وراءه براح عشب في اعراضه غدران فسيحة الاطراف رقيقة الماء وفيه يقع شجيرة والمؤكد ان البر هناك لا تُطبقه المياه ولا في ازمدة الشتاء الا في المنخفضات والاغوار . وعلى الجروف اشراط تدل على ان جمام فورتها في ايام الامطار لا يتجاوز متراً واحداً . هذا وبحر العرب واسع ظاهر المسيل تبلغ سعته من بين ثمانين متراً الى مائة متر وهو يمر من بين جروف بيّنة يأخذ من عند المجتمع في مهب الشمال لكنه عقيب ذلك باربعة كيلومترات ونصف ينثني قليلاً في سمت الغرب والظاهر انه يمضي سابحاً في غابة^(١) وليس في الامكان استقصاء امره لانه يكون على مسافة الف وثلاثمائة متر من نقطة التلاقي ممتعاً بمادة المساك والقصب ولا سيلة له عند مصبه وغور مائه يتراوح بين ثلاثة امتار وثلاثة امتار ونصف في ابان الغيض وماؤه قراح صاف لا شائبة فيه . وفوق نقطة التلاقي

(١) لا يُعلم من امر هذا النهر الا طفيف الخبر وقد اجتازه فلكن في ديسمبر من سنة ١٨٧٩ قال ان سعته تبلغ ثلاثمائة وستين قدماً وله جروف يكون سمكها عن سطح مياه الغيض بقدر خمسة عشر متراً ومما تبينه ان مياهه في دور الامطار تظم البلاد الحافة به فتفرقها

بقليل هناك بطيحة كيت او امبادي ويحترقها بحر الغزال . والى ما فوق ذلك يُعرف عند أناسي تلك الامصار بنهر كيت او كيت وهي الكنية الواردة في أكثر الخرائط الجغرافية . وعند الكيلومتر الاربعائة والواحد والعشرين تنشط هذه البطيحة بشطرين بينهما جزيرة عشبية طولها زهاء كيلومتر ونصف وتكون سعة الشطر الايمن اربعائة متر وسعة الايسر مائة وخمسين متراً . واذا صرت في الشطر الايمن الى منتصف طوله هناك يقع في النهر خور ضخم يعرف عندهم بمياً احمد عرابي وقد مرّت الاشارة اليه وله سعة هناك تقع بين خمسمائة وستمائة متر . اما المناقع والآجام المحيطة بالبطيحة فمن الفساحة على قدر عظيم لاسيما ذلك على الجانب الايسر وهي في الحقيقة اغوار مقصبة وأقل القليل من الزيادة في مياه النهر يؤدي الى اتساع دائرة المغمور اتساعاً هائلاً

اقول ويتعذر استخراج سعة المناقع التي على الجانب الايسر والمشاهد في العيان ان تلك المناقع تمتد من ضفة النهر في مدى عدة كيلومترات . هذا ومتوسط غور الماء في بطيحة امبادي في اعماق اجوافها يبلغ ثلاثة امتار لكنه يسترق فجأة على الجنين وهي مغيض أكبر يستدرّ بحر الغزال ماءً منه وتجلب اليه مياه المناقع والآجام والانهار القبلية ثم هو يدّرّها رويداً في مسيل متضايق بعيد القرار هو مجرى ذلك البحر . وفي ابان الفيض يكون طوله نحواً من ستة عشر كيلومتراً ومتوسط سعته كيلومتراً ونصفاً ولا جرم ان صارت الفساحة في ابان الفيض الى قدر أعظم من ذلك . وتكون البطيحة منبتاً لشيء من اعشاب المسالك لاسيما منها الطحالب مثل الأجلّ والحامول والالدرونديا وودنة الشيطان وغيرها كثير ساجدة في اديمها ما حيي العالم المائي فلا أثر له في تلك الجهة . ويشوب القصب في المناقع شيء من نبات فوسيا بروشيرا . والقصب السكرى ولكنه ليس جمهوره على نسبة ما في بحر الجبل . واما البردي

والعنبج فقد خلت عنهما تلك البطيحة ولم يتبين لنا إلا فيما بين الكيلومتر الثاني والثلاثين والكيلومتر المائة والثامن . ولا يوجد البردي في بحر الغزال لكنه يكون فيما بين الكيلومتر الثمانين والكيلومتر المائة على كثرة . اقول ولم نكد نكون عن بحيرة نو على بعض المسافة حتى انقطع العنبج فلم يبق له معلوم وربما كان غياب البردي وام صوف سبباً لكون مساكات البحر في تلك النقطة اقل تماسكاً وتشابكاً منها في بحر الجبل . ثم ان في اجواف بطيحة امبادي كثيراً من البالونيسيس ركس . اما التبخر في البطيحة فلا بد ان يكون كبير المقدار في ازمان الصيف . قلت وحسب البحر الابيض ما يتبدد من ايراد بحر الغزال في بطيحتي امبادي ونو الواسعتين الركيكتين حتى لا يصير ذلك الايراد اليه الا وقد انتقص انتقاصاً جسيماً . وعند الكيلومتر المائة والثامن والخمسين هناك منتهى البطيحة ومبتدأ النهر وهو المعروف بنهر كيت تكون سمته في تلك النقطة على اختلاف فيما بين مائة الى عشرين متراً وبعد غوره فيما بين ثلاثة امتار الى ثلاثة امتار ونصف . واما جريته ففيها لجة وفترة حتى لا تدركها الابصار . وفي جوار تلك الناحية يقع بحر حمر^(١) نهر يكون في شهري مارس وابريل بمراى العين عادم السيلة تنفسح مياهه مستبحرة في الارض حتى لا يتأذى للسيار اجتيابه . وفي طية ما بين الكيلومتر المائة والثامن والخمسين والكيلومتر المائة والثاني والستين من طوله يكون له متوسط سعة بقدر مائة وثمانين متراً ثم هي تتضيق على الفور حتى يكون انفساح ما بين شقيها عشرين متراً واما فساحة فاضلها على الجنين فتطمها المساكات . وفي خلال تلك المسافة تكون فيه جزر قصباء ولبر هناك

(١) قد استبان للكبتن سندرس في استقبال اكتوبر سنة ١٩٠٠ ان نهر حمر ركوب في مسافة من طوله قدرها ثمانية كيلومترات ومن ثم تراخى المساكات اما سمته فروى انها ثمانون يرداً وغوره ستة امتار وذهبت في سمت الشمال الغربي

سنحنا القحل . ومسبر المحل في جميع اطرافه وانحائه قلما يرى الراؤون براحاً بلقماً مثله على نهر من انهار تلك الاصقاع فان المناقع والسباخ مفترشة في عرضه وتضاعيفه حتى تُخيل الى انها تماس اطراف السماء وليس في وسع المقدرين تعيين فساحتها وتكون في احشائها غدران وترائك كبيرة المقادير . واذا خرجت قليلاً في استقبالة النهر تراه يستعرض فتصبح سעתه اربعين متراً بعدا كانت خمسة وثلاثين وله دَرَك يكون من بين ثلاثة الى اربعة امتار وقد يسترق ماؤه فيكون غوره متراً او الى ما دونه . ولا يبعد ان يكون سبب ذلك رسوب مادة المساك في قرار النهر . ولا بد ان يكون ركوب ظهر النهر في جميع ادوار السنة شاقاً الى الغاية لان مسيله في النقايع في تعاريج وثنايا ممتنعة . وليس في تلك النقطة من مقاصب مديدة القصب بل يكون هناك جفال طاف على وجه الماء والمجري تعلق به ركام من حطام الاعشاب ورفاضها . والنقايع غامرة لا خير فيها يرتجى . واذا هبت العواصف وثار الانواء كانت تلك النقطة كظاثرها محطاً للمساكات تتكوّم متحوّشة فيها . والارض خراب يباب لا غرس فيها غير ان فيها حيوان البالونيسبس ركس على كثرة وهذه السباخ المكربة تمتد الى امد عشرة او اثني عشر كيلومتراً . وقد يكون في مسيل النهر جزر من اكداس مادة المساكات تفرّق جرم مائه وتختلف السعة هناك اختلافاً كلياً . قلت وفي شهر مارس سنة ١٩٠٠ شوهد مجراه الاعظم مسدوداً في تلك النقطة اي عند الكيلومتر المائة والتاسع والستين وكان جمهور الماء يندفع من سالّ ضيق تكون سעתه من بين عشرة الى اثني عشر متراً وجريته فيه شديدة المر . وقد رأينا في موضع منه مردوماً اي مسدوداً في مسافة خمسين متراً منه وكان طول كتلة المساكات بجملته نحواً من خمسمائة مترو تأبى الخيلة تصورها هذه المناقع على فضاءها وسامتها . والمساكات فيه تخالف مساكات بحر الجبل تخالفاً كلياً فهي لا يستطيع وطأها وركوب سطحها فهي

أشبه بردغة من طين منه بمسك لكنه عاشق لاصق بركة من جُسوم
نباتية المادة جمهور عناصرها ظاهرها اعشاب مستطيلة الابدان مسترسلتها
سابحة بالماء وصفتها صفة ركام المساكات في بطيحة امبادي . على ان
تخليعها وتفكيك مادتها ليس بالامر المستصعب ولكن متى ما انتزعت
لا يكون لها قبل على العوم والطفو على مثل ركام المساكات في بحر الجبل
بل هي تغوص منقسمة في الماء فتسترخي متهدلة . واذا اتيت الكيلومتر
المائة والرابع والسبعين رأيت ذات اليسار على ثلاثة كيلومترات عن النهر منبتين
متفازتين من الشجر يقول عباد تلك الاقطار لهما « متروك البابور » اي
موردة المراكب . (اطلب كتاب جنكر) ويوجد اليوم شعبة من النهر مركومة
بالمسك تقع في تلك الموردة . اما متروك الوابور فجزيرة في بطن منقع ذهب
اليها الميجريك في سنة ١٨٩٨ وشاهد فيها آثار ديار الاحتلال الفرنسي
الاول وكان العلم المصري في الثامن والعشرين من سبتمبر من تلك السنة
يخفق فوق تلك الاطلال . وفي ما يلي ذلك الى الأمام بقدر ثمانية كيلومترات
ينحرف هذا النهر (اي نهركيت) ملتفاً وتزايد سمته فيكون من بين
مائة وثمانين الى مائتي متر يطفو على وجهه العدد الكثيف من طير الماء
اكثره بط واوز . ويصادف الرائد هناك افراداً من قوم الدنجا طالين
للنهر في اصطياد السمك ودابة الماء . وعند الكيلومتر المائة والثاني والثمانين
ينشعب النهر بشعبين أكبرهما وهو عين النهر يصب من الجنوب في
وجهة « مشرع الرق » . اما الشعب الآخر فيصب من مهب الغرب
فيقع فيه نهر جور فيكون مخرجاً لنهري سوي وواو وقد استقصي العرض
الشمالى عند مندغم النهر في ابريل سنة ١٩٠٠ فكان ثمانى درجات واربعاً
واربعين دقيقة وخمسين ثانية اما طية ما بين هذا الموقع ومشرع الرق فلا
يُعلم مسافة طولها علم اليقين وربما كانت اميالا معدودة . واعلم ان استقصاءات

عرض مشرع الرق متخالفة تخالفاً بالفاً . وهاك استقصاءات فُن هيجلن في مارس سنة ١٨٩٣ كما تراه في هذا الجدول

التاريخ	العرض الشمالي		
	درجة	دقيقة	ثانية
غرة شهر مارس	٨	٣٥	٥
الحادي عشر منه	٨	٤٩	٢
الثالث عشر منه	٨	٣٥	٢
الخامس عشر منه	٨	٤٥	٥

ومتوسط هذه الاربعة الاستقصاءات يكون ثماني درجات واحدى واربعين دقيقة وخمسا وثلاثين ثانية فان صحَّ ما جاء به هيجن تكون محلة مشرع الرق عن مفترق نهري كيت وجور على اميال قلائل . ثم قام بعده لبثن بك في سنة ١٨٦٩ فاختبر ذلك العرض فوجده ثماني درجات وسبع عشرة دقيقة وثلاثين ثانية . ثم جاء في عقبهما القائمتان فل من البحرية الملكية الانجليزية فاستعلم العرض المذكور في نوفمبر سنة ١٩٠٠ فوجده ثماني درجات واربعاً وعشرين دقيقة واثنى عشرة ثانية على انه مهما يكن هذا العرض فان مشرع الرق لا تبعد كثيراً عن نقطة المجتمع لان اهل الدنجا دلوا على جزيرة كيت وبذلوا الهداية الى سواء سبيل الموردة . ولكن الماء كان يومئذ (في ابريل سنة ١٩٠٠) ضحلاً رقارق حتى لم يتيسر اجراء البخارية صعداً في النهر اذ بلغت سعته من بين ستمائة الى سبعمائة متر وكان غوره تسعين سنتمتراً . اما مزاجه اي مادته فمن صبايات المناقع وهي لونها اصفر كهربائي الى الدكنة وكادت جريته ايامئذ تكون كلاجرية . اما مآتاه فبالغالب عليه مهب الجنوب بل الجنوب الغربي . ولا اخال ركوب متنه صعداً

الأشقاء في جميع ادوار السنة . روى اناسي ذلك الاقليم انه يعتريه الجفاف في طائفة من السنة تكون خمسة اشهر . قلت ولقد تعهد الكبتن سندر في هذا المكان في سبتمبر سنة ١٩٠٠ فاذا بالنهر مأوّه مصدود بالمساكات ثم خرج القائمقام فلّ اليه في نوفمبر من تلك السنة فاقلم فيه صاعداً . أما روايته فهي ان ماءه كان في مجاورات مشرع الرق قدراً آسناً قريب الغور الى الغاية . اما المساك فكان في مارس سنة ١٩٠٠ طفيفاً واهناً غالبه طاف على وجه الماء وكان تخليعه سهلاً لا منعة له . وفيما يلي مجتمع نهر جور جنوباً يستبحر هذا النهر وتكون سمته هناك اربعمائة متر ودركه ثلاثة امتار وله جرية بين بين حتى في شهر مارس . والمناقع في تلك الجهة غربية في فرط انفساحها واستوساعها . والى ما وراء ذلك في اقباله جرية الماء أي على مائة وتسعين كيلومتراً عن ملتقى بحر الغزال بخور دليب هناك ضحلت مياه النهر ودرقت وكان الايغال فيه صعداً غير ميسور . اما اليوم فقد وقع للقوم ان استقصوه واستعرفوه مراراً والكيلونل سباركس وركبه يستدركون اليوم فرتكة المساك وتشيت شمله ليكون هو ركوباً لحد واو وهي بلدة يزعم أولو الحل والعقد جعلها حاضرة اقليم بحر الغزال^(١) . واعلم ان نهر جور (ويقال له نهر سوي ايضاً) يستبحر الى هذه البطيخة على نحو ستة وخمسين كيلومتراً عن المكان الذي بطل فيه سير البخارية (في مارس سنة ١٩٠٠) لقرب غور الماء . ولقد ركب القائمقام دروري متن النهر اقلاعا في اقباله الجرية في نوفمبر من تلك السنة . قال انه نهر جليل له سعة تختلف من بين ستين الى سبعين متراً وغوره من بين ثلاثة امتار الى ثلاثة ونصف ومسافة جريته عقدتان في الساعة وذلك يضاهي تصرفاً قدره مائة وسبعون

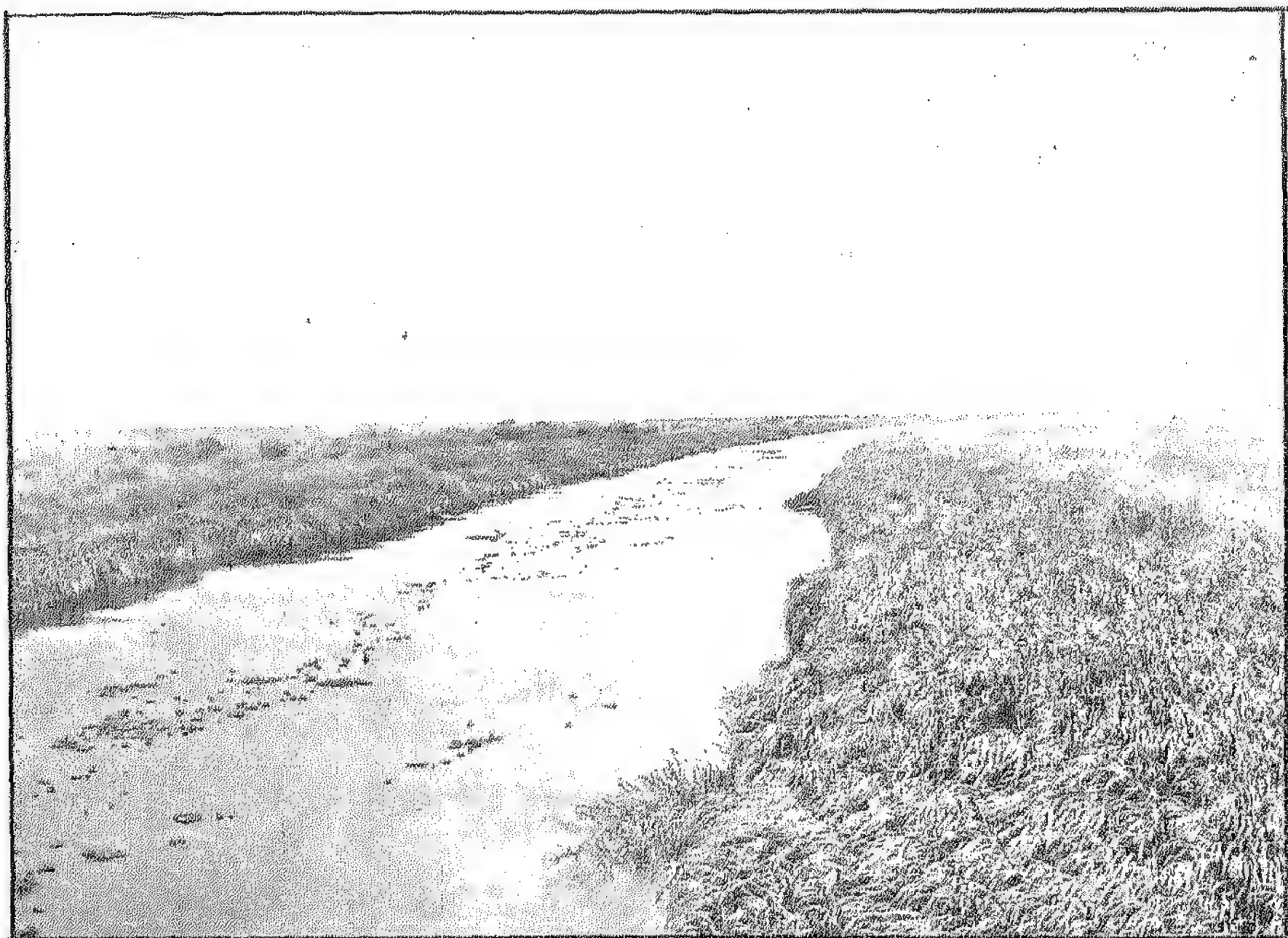
(١) لقد جرى هذا العمل في سنة ١٩٠٤ شوطاً بعيداً حتى تعلقت الآمال بالاتيان عليه في فيض هذه السنة ويكون في عيان الناظر اليه مجرّي مستحداً

متراً مكعباً في الثانية على التقريب . وكان النهر من بعد تلك النقطة ثمانية الى عشرين كيلومتراً مطبقاً بالمسك

قلت ونهر جور تقع فيه مياه نهرى سوي واو ولكليهما شان يلتفت اليه . وقد اتخذ المسيو مَرُشان مجرى اولهما فتبعه في ارتحاله الى البحر الابيض . ثم ان فليكن اجتاز ثانيهما في اكتوبر سنة ١٨٧٩ وأخرج عن المقاسات ان له سعة تبلغ مائتين واربعين قدماً وسرعة جريته عقدتان في الساعة . فيستبان مما تقدم ان نهر جور سيد الانهار التي يستمد منها بحر الغزال . اما شخص الماء المتراكم من العلاية فمندي انه لا يبلغ النيل الاً مستصغراً ضئيلاً لا نبساط تحدير الارض والمناقع المستوسمة المضاجع التي ينفذ هو فيها . وفي مخيلتي ان هذه البقعة تكون في ازمة الغيث والامطار اشبه بيمٍ في فضاء الارض الا تراها في مارس سنة ١٩٠٠ يوم قحطت الامطار الدورية محتبسة وهبطت مياه النهر الى ما لم يعمد في غيرها من السنين قد صارت بطيحة منفسحة الاقطار يقوم في اديمها جزر عشبية والمناقع تحيط عليها . وعلى طرفها الشمالي فقط تستقصي العين على خمسة كيلومترات عن النهر غياضاً شجيرة ربما كان وجودها هناك دالاً على انجسادٍ من الارض يمتنع الوصول اليها لاجل ان المناقع تحول دون ذلك . ثم ان الانهار التي تتجمع الى بحر الغزال وهي مزاجه ورفده اشبه شيء بغدران المصارف وهي لا نبساط تحديرها تكون جريتها وتصرفها ان صح لها ذلك كلاجرية ولا تصرف ولذلك كان هذا البحر ركيك الاثر في فيض النيل فما هو الا حوض عظيم يكون ماؤه ركيناً ثم هو يتهارب متسلاً كلما تنازل منسوب بطيحة نو فيكون بذلك عاملاً على ثبات ايراد النيل اثناء اشهر الصيف



اختناق بحر الفزال بالاعشاب



بحر الزراف

❦ الفصل الثاني عشر ❦

في صفة بحر الزراف

مزاج هذا البحر من بحر الجبل على ثلاثمائة وثلاثة وثمانين كيلومتراً عن بطيحة نو في مهب الجنوب عنها وعلى ثمانية كيلومترات عن غابة شمبي الى الجنوب عنها ايضاً والعرض الشمالي هناك سبع درجات وست دقائق واثنان وعشرون ثانية . ومادته نواشط منشعبة منه (أي من بحر الجبل) ولكن مقداراً منها ينجلب اليه من نزازات المناقع الناشئة عند بلدة بوروهي معلم الجانب الشرقي لبحر الجبل ممتدة في مسافة كبيرة من طوله يستبجر اليها ماؤه من بشوق في جروفه لا عد لها فيكون مقدار ما ينصرف منه عظيماً حتى في ازمنة الصيف . وفي ابان الفيض يكون الفضاء عامته مسيلاً متبطحاً اشبه ببجيرة يتسلسل ماؤها الى بحر الزراف وبعضه يسود الى النيل صاباً في البحر الابيض حيث يقع ذلك البحر فيه عند تسع درجات وثلاث وخمسين دقيقة وسبع عشرة ثانية من العرض الشمالي أي على ستة وسبعين كيلومتراً عن بطيحة نو الى الشرق عنها . ويتراعى اليه غير ما يستدره من بحر الجبل مياه مصفى من الاخوار الكبرى الناشئة من آكام لا توجا نخور تو وخور خوص وخور كنييتي وهو خور يعتد به في ازمنة الفيض وربما انجلب اليه مستجمع مياه الاخوار الاخرى . وتكون مسافة جريته في مشتمل درجتين من العرض . روى صمويل بيكر ان له جروفاً غليظة وعرة ومضجع مائه يبعد عن مستوى صحيف الارض بقدر خمسة امتار وله سعة تحوم حول خمسين متراً ولا اخاله في ابان مده الا غرافاً غزير المادة لكنه ينضب ماؤه في احايين الصيف حتى يكون شيئاً لا يذكر . اما منشأه فلا يزال مظنة القوم وتخمينهم وقد ورد في الخرائط المتداولة الى هذا العهد انه يبدأ في نقطة تكون على بعض المسافة عن بلدة بور الى

الجنوب عنها . قال المستر جروجن^(١) ان هذا الخور لا يفرغ في بحر الزراف ودليله ما استخرجه عن عباد تلك الارض اذ قالوا ان فيما وراء تلك البلدة شمالاً في مدى بعيد عنها لا يجرى الى جانب النيل الشرقي شيء من المياه . وهو قول يلزم تحقيقه واستطلاعه . أقول وهذه الاخوار تتراعى اليها ولا ريب سيول ديار واسعة الاقطار ومسيل فيضها يجاري جروف النيل الشرقية على موازاتها في شقة طولها نصف درجة جغرافية^(٢) . اما المفازة التي يشق فيها النهر فلا يُدرى الا بالقليل من خبرها وقليل هم الذين استعرفوه فمن منهم ركب متنه صموداً لم يتهيا له ركوب البر لغلبة المناقع على كلا جانبيه والى الشرق عنه تبصر العين سهولاً وبسائط عشبية تمتد الى امدٍ بعيد كأنها في العيان لاحقة بنهر سباط^(٣) . والى الغرب عنه في جزيرة هناك تكتنفها طية من الماء حادثة من اجتماع بحر الزراف بالنيل منافع مستبجرة في الفلاة الجنوبية وترى الادغال والعواسج تغشى اديم الارض في الفلاة الشمالية . ومما لا ريب فيه ان فيما بين بحر الزراف وبحر الجبل حزوناً مشرفة ودليله ما تدركه العين احياناً على مدى بعيد عن النهر من الشجر والنخيل عظيمة الجرم وربما دلت هذه الاغراس على عمارة وأهل . اما امم هذه الارض فهم من قبيلة النوير يكونون في حصّة كبرى من السنة منعزلين على وحدهم اذ يستدير بصقهم من جميع الجهات أباحر واسعة الاطراف من منافع وما جل ممتعة . هذا والذي اوجب ذكره في صدد هذا البحر هو ان الارض التي عليه من حد اجتماعه بالبحر

(١) اطلب كتاب «من الراس الى القاهرة» لهرست وبلاك - لندن سنة ١٩٠٠

(٢) اخرجت عن اناسي تلك الاقطار ان من المحتمل وجود اتصال بين بور وسباط بواسطة خور فيلُس الذي يرمي اليه من مهب الجنوب . غير ان هذا الامر لم يتحقق بعد وما اورده ليس الا رواية أولئك الامم

(٣) اطلب الملحق السادس والخريطة

الابيض الى مسافة مائة وستين كيلومتراً عنه في ادبارة جريه جنوباً خراب
لا عمارة لها ولا اهلاً .

واعلم ان تفاوت مناسيب بحر الزراف في فيضي ١٨٩٩ و ١٩٠٠ كان
مفرطاً ففي اولها استبحر ماؤه فغمر براحاً لا حدّ لفساحته واشراط فورته
ظاهرة اليوم على سوق الاشجار وابدانها يستخرج عنها ان المياه يومئذٍ
غمرت الارض المجاورة فكان غورها متراً وانطمست آثار مسيل النهر وغاب
مجره حتى صار اكثر تلك الارض بحراً . وكان الامر على خلاف ذلك في سنة
١٩٠٠ فان ماء البحر لم يعتل ظاهر جروفه الا في العدو القصوى من
طوله والجروف هناك منخفضة وطيفة . اما مادته في تلك السنة فكانت
شيئاً لا يذكر بالقياس الى سنة ١٨٩٩ . على ان قحط الامطار في اعالي وادي
النيل ليس سبباً لتلك القلة فان النشف كان بالغاً في تلك السنة كما كانت
في سنة ١٩٠٠ . ولعلّ النظرية المعقولة لهذه القضية هي انه لما كانت شمالات
بحر الجبل مطبقة بالمساكات تحوشت مياهه في اعاليه الى الجنوب عن تلك
المساكات . ولما لم يكن لها مدرج طلبت تخرجاً آخر وبحر الزراف لها
مصرف سهل فتأدت اليه وانحشكت فيه الى ما فوق سمته فطمت
جروفه متزقة من فوقها واستبحرت بها البلاد في طية منها سحيقة . اقول
ان طائفة كبرى من المساكات في بحر الجبل قد فككت في سنة ١٩٠٠
فاتخذت مياه الفيض لها من المجرين اسهلها واقامها عقبات فالت الى بحر الجبل
متفجرة اليه . وجملة القول ان فيض بحر الزراف كان خسيساً لم يعول عليه ولم تكن
مادته فوق وسع مجراه بكثير . فاذا صحت هذه القضية النظرية قلنا انه لو
ترك بحر الزراف وشأنه مع فرض خلوص بحر الجبل من المساكات لنضب
ماؤه وتناقص تناقصاً متجاوزاً وذهبت عنه اهميته اذ هو ظهير ممد لمجاري

الفيض في اعالي النيل^(١) . - هذا ويجدر بي ان آتي فيما يلي على صفة هذا النهر مبتدئاً من نقطة اجتماعه بالنيل الابيض الى صوب الجنوب عنها فأقول

ان سعة هذا البحر عند مجتمعه بالنيل لا تكون اكثر من خمسة وثلاثين متراً ولكن مسيله الى ما وراء ذلك يسير يتفصح مستعرضاً وهو يفيض الى النيل محدثاً عليه قريب زاوية قائمة . وفي ازمة الشتاء والربيع يصد النيل ماءه الى الورا في مسافة من طوله متباعدة جداً عن مصبه . وهو لا جرية له ظاهرة في مدى عشرة او احد عشر كيلومتراً من نقطة تلاقيه . وفي مدى بعيد بعد ذلك مقبلاً تكون جريته بها فتور مفرط . ماؤه اغبر غيش الى الزرقة ليس بصاف صفاء ماء البحر الابيض . غوره متوسط البعد يكون معدله في ازمة الفيض ستة امتار . واذا كنت عن ملتقاه على مائتي متر هناك هو ينحرف قصداً في سمت الغرب ويكون جرفه الغربي في عامته اشرف من جرفه الشرقي . والبر من حد مصبه الى كيلومترات عديدة عنه يكون فضاء عشيباً واسع الاطراف . وفي مواضع منه دون اخرى يستفيض بشجر السنط وهو يتداني من النهر تارة ويهاجره طوراً على مدى قاص . وانت تستبين من معالم الفيض لسنة ١٨٩٩ أن كان نهاؤه اعلى من منسوب الفيض في الصيف بقدر مترين ونصف . والارض على ضفته الشرقية نشز في غلظ لكنها تذهب عنه باستملاء تدريجي الى مدى كيلومتر وهناك تكون خافضة مطمئنة مستعرضة كالتى تشاهد على نهر سباط غير انها اقل منها استجلاباً للبصر . ولا يوجد هذا المنخفض على الجانب الغربي . والارض تذهب عن الجرف باستملاء خفيف الميل حتى تصير الى الآجام والمناقع الحافة بالبحر الابيض وترمي اليه من كلا عراقيه (حاشيته) شيء كثير من الاخوار (السواجن)

منفرجة السمة بعيدة الفور طويلة المسافة حاملةً اليه ما ينجب اليها من مياه السيول والامطار وهي اكثرها تقع على الشفير الغربي

قلت ان بحر الزراف يمرّ على موازاة مسيل البحر الابيض في شقة شاسعة يكون طولها كيلومترات جمة ومن ثمّ يعرج ماراً في مهب الجنوب الشرقي اما مطاويه ولياته فمن الاعاجيب وقلما رأيت قطعة منه تجري على جادة مستقيمة وكلما اقلعت فيه صعداً ازدادت تلك المطاوي تعويجاً . واما سعة ما بين منكبيه فتوسطها يكون من بين خمسين الى ستين متراً وسعة مائه صيفاً يكون ما بين ثلاثين الى خمسة وثلاثين متراً . جروفه وعرة جافية لها ميل بقدر نصف الى واحد سمكها أي ارتفاعها عن سطح الماء في ازمة الصيف يختلف بين مترين ومترين ونصف ولكن البرّ هناك قشفي قليل العمارة ساحله خراب هامد عادم كل ذي روح . وربما كانت سماء المفازة التي يشق فيها بحر الزراف وطلعتها اقشف واحشف ما يلقاه السيار في مواقع تحف بمجري البحر الابيض وممداته مخرّجاً من ذلك مناطق المساكات . وعلى كلا الجانبين بسائط من مدر وأمهدة^(١) سود دُجج ذات اعشاب هائجة^(٢) والبالغ من امر هذه الامهدة انها جهراء^(٣) لا طلاوة عليها ولا رونق يأخذ ملاها بالنفس ثم اذا كنت عن مجمع البحرين على بعض المساف ترى الأربع الإكام المتفرّدة المعروفة بجبل الزراف وهي براعم ناهضة في المهاد البسيط كأنها معلم للارض عجيب الخلقة إكام شخصها جرائتي يغشاها الجنب الى امد من طولها صعداً ومضجعها يكون من النهر على تسعة كيلومترات الى الشرق عنه .

(١) المدر قطع الطين اليابس واحده مدرة والامهدة جمع مهاد وهو ما انخفض من الارض في سهولة واستواء (المغرب)

(٢) تقول هاج النبات أي يبس (المغرب)

(٣) الارض الجهراء المستوية لا شجر فيها ولا اكام (المغرب)

اما قننها فمخروطة او مستديرة واوغلها هجراً في السماء قنتان منخفضتان . واذا كنت عن المجتمع على سبعة وعشرين كيلومتراً هناك على مقربة من النهر بلدة كبيرة من عمائر النوير لها في تلك البسائط سائمة كثيفة ترعى . وهي البلدة الفردة التي يصادفها الرائد على جانبه الغربي . وعامة اشجار الآجام المجاورة حديثة النبت وقلّ منها ما ينيف قياس محيطه على ثلاثين سنتيمتراً وربما كانت علة ذلك احتدام النيران الدورية في تلك الاصقاع ناهيك ما تخرب الفيلة في تلك الآجام شي لا يقع تحت حصر . وخطة مسماها في تلك الغابة واضحة بيّنة من متحطم الشجر متمزقه فهي تقصف عواليه واعراضه ثم عساليجه^(١) وافانينه الكبرى فيتها لها سبيل مقدود . ولا اظن تلك الدابة في تلك البقعة الا كثيرة حجة لا يحيط بها عد لاجل ان اثار اخفافها متواصلة تلحق بصفاف الماء اقول وعند الكيلومتر الخمسين هناك خور هائل يفرغ الى البحر صاباً اليه من المشرق وفي هذه القطعة تكون التلايف أحد من سليفتها وتبصر العين آونة عباد النوير قياماً على جروف النهر ربما هبطوا اليها من اقاصي الارض يريدون السمك رزقاً به يتقوتون . وخلقهم الجفول والجفاء اذا مرّت بهم بخارية تراهم يلوحون بايديهم كأنهم في ذلك يسترحون ويستعطفون . وليس يوجد في اجواف تلك القطعة من البحر شيء من دابة الماء او الفرعون وهو التمساح . هذا والاخوار هناك يكون واحدها تلوا الآخر وصلاً على الجانبين وتكون الأمهدة التي ذكرناها في سنة مثل سنة ١٩٠٠ أو ١٩٠١ مغايض^(٢) تنفجر اليه مياه الارضيين واسعة الاطراف . واذا صرت من مجتمعه على ستة واربعين كيلومتراً تكون الادغال والعواسج ملازمة ريفيه . طافة منه في مدى بعيد من طوله . وتكون الاشجار هناك اقصر منها في

(١) جمع عسلوج وهو الفصن الرطيب (المغرب)

(٢) جمع مغيض وهو محفل الماء ومجتمعه (المغرب)

الصوب الشمالي والعواسج أدق . ولا اتوهم ماءه في فيض ١٨٩٩ إلا مرتفعاً عن صحيف البر جمام متر . امامتوسط غوره في تلك النقطة اثناء الصيف فيختلف من بين مترين ونصف الى ثلاثة امتار لكنه في المطاوي يصير الى اقل من ذلك بكثير ولفرط التواء هذه المطاوي يكون ركوب متنه مستصعباً جداً الا في مراكب صغيرة الجرم . وانت تستبين عند الكيلومتر الثمانين خوراً عظيماً صاباً اليه من جانبه الغربي . تراه عند مجتمعه بالنهر جافاً ناشفاً لكنه على بعض المسافة من تلك النقطة سيحُ ظاهر الماء . ولقد استعلم سمك الجرف هناك في شهر مارس فاذا هو عن سطح الماء من متر وخمسة وسبعين سنتيمتراً الى مترين . ومن اشراط الماء على ابدان الشجر ادركنا ان عمقه في اثناء مدته في سنة ١٨٩٩ بلغ ستة او سبعة امتار وكان اقل من ذلك بكثير في فيض سنة ١٩٠٠ فلا اظنه أوائد قد جاوز خمسة امتار . اما في ازمة الفيض فكان في مارس وابريل من سنة ١٩٠١ ابعد منه في هذين الشهرين مما في سنة ١٩٠٠ بقدر ستين سنتيمتراً . ثم واذا خرجت الى الكيلومتر الثامن والثمانين هناك المناقع والوجاد^(١) مترادفة متواصلة الى ان تلحق بمخرجه من بحر الجبل مسافة طولها ثلاثمائة وسبعين كيلومتراً . واما الادغال والعواسج فتقطع في تلك النقطة وتكون الارض بسائط عشبية لها في تضاعيفها غدران واسعة ناشفة جافة وكلما اقلعت صعوداً في النهر انحطت جروفه وتضايق ما بين شقيه فصارت سمته من بين اربعين الى خمسين متراً ومتوسط غوره مترين ونصفاً وقترت جريته فتكون سحنته عامةً اشبه بخليج خامد السيلة حتى لا تحسبه فرعاً ناشطاً من النيل وقد يصادف السيار انشازاً على قلة ورمازاتها في فلوات تلك المناقع . وعند الكيلومتر التسعين خرجنا الى بلدة من بلاد النوير وافية المقدار واقعة من الجانب الشرقي للنهر على كيلومتر ونصف .

(١) جمع وجد وهو منع الماء (المرب)

وفي مهب الغرب ترى المناقع يطول مداها حتى تلحق بالجرف الفارق بين
بحر الزراف وبحر الجبل ولا يعلم ما هي المسافة الى مضجع هذا الجرف الا
علام الغيوب. ثم الى الشرق يكون هناك مناقع واسعة الأقدار تماس اطرافها
اهداب السماء والتقدير انها في ابان الفيوث والامطار تظم فضاء مستوسعاً من
الارض. والثنايا في مجراه تكون مفرطة الالتواء حتى لقد ترى القارب المجري
في طية المنحني صعداً يسير بمرئحته اي قادمته على سمت الشمال في حين ان
غالب جرية الماء من مهب الجنوب. والارض هناك فضاء تقع ليس فيه ذور وح
تهجره الوحش اذ يكون في ستة اشهر من السنة سباخاً خراباً. هذا ولما جئنا
الى الكيلومتر المائة والرابع في سنة ١٩٠٠ تعذر علينا السير اقلاعاً في البحر لاجل
ان الماء اصبح شفافاً فلتة بغتة ونزعت المطاوي الى التعرج والانعطاف. قال
الذين جاوزوا حد هذه القطعة^(١) انهم لم يروا تغييراً في سحناء الارض وانهم
عهدوها مقيمة على ترعتها الا ان الجروف يقل سمكها تدريجاً وانه فيما وراء ذلك
جنوباً يغيب مسيره وتنفو اثاره حتى الكيلومتر المائتين والثمانين عن مجتمعه.
هناك بطيحة واسعة لابل بحيرات متناسقات شوهدت في سنة ١٨٩٨ مشحونة
بالمساكات وهي في انعيان تمد بطولها الى حد مهرب بحر الغزال من بحر الجبل
عند محلة غابة شمبي. وعند الكيلومتر المائتين والسابع والثلاثين خور او خليج
يجيء الى البحر صاباً اليه من المشرق متدفقاً طافحاً بالماء وربما كان الخور نفس
ماظنه المسترجرجن^(٢) انه واصل بنهر سباط. وعند الكيلومتر المائة والسابع
والخمسين هناك يخرج الرائد الى « مقرر بحور الزراف » وهناك جدولان
يرميان الى تلك النقطة احدهما يصب من مهب الجنوب الشرقي مأتاه غدير
رحيب الاقطار والآخر يأخذ من الجنوب البحت ويفرغ الى البحيرات التي

(١) هم الميجريك والكبتن استنتن في سنة ١٨٩٨ والقومندان هنري سنة ١٩٠٠

(٢) راجع كتاب « من الراس الى القاهرة » - لندن سنة ١٩٠٠

اسلفنا ذكرها . اقول ان هذا البحر قد راده الرحالة السر صموئيل بيكر في سنة ١٨٧١ ثم قام من بعده سياران استعلاماه وتمهدناه الى المدوة القصوى وهما المستر جروجن المذكور آنفاً والقومندان هنري التابع لبلاد الكنجو الحرة . وصفه جروجن في كتاب له ذي شأن^(١) وركبه القومندان هنري صموداً في شهري فبراير ومارس سنة ١٩٠٠ وكان الماء حينئذٍ نزرأ زهيداً حتى اضطر في المائة والعشرة الكيلومترات الاخيرة من طوله الى جرّ القوارب على اديم ما كان من السباح نشفاً وجفافاً وهي شقة استغرق اجتيازها شهراً كاملاً . روى انه لم يكن للماء في تضاعيف تلك المناقع مجرى بين الأماكن كان يصادفه من الغدران والتراثك قليلة الغزر والتي تهيأ له ان يجري سفينة فيها . وفي جهة تلك الشقة كان رجاله يجرونها على اليبس الخشب . اقول ويستخرج من ذلك ان لا مجرى ظاهراً لبحر الزراف في المائة الكيلومتر الاولى من طوله بعد نشطه اي خروجه من بحر الجبل فما هو في تلك القطعة الانظيم من مناقع متتالية واسعة الابعاد تكون في ابان الفيض بحوراً وفي ازمته الفيض سباخاً قصباء^(٢) . وفيما يلي ذلك شمالاً ترى للبحر مجرى تتراى اليه مياه تلك المستنقعات قلت ان الحد الشرقي لهذه المناقع هو على ما ارى الميا أو الغدير المستطيل الناشط من بحر الجبل على مقربة من محلة بور هابطاً الى بحر الزراف بعد تيه عميق تكون مسافته نحو مائتين وثلاثين كيلومتراً الى الشمال وقد سماه المستر جروجن بنيل جرترودا وأخرج ان الارض فيما وراءه شرقاً كثيرة العمران بامم الدنجاء^(٣)



- (١) طالع ما ورد في الكتاب المذكور
(٢) يقال ارض أو أجمة قصباء وقصبة ومقصاب ومقصبة أي كثيرة التصب (المغرب)
(٣) اكتشف الكبتن لدل مهندس التلغراف السوداني من عهد قريب مجرى

الفصل الثالث عشر

في نهر سباط

تهدنا هذا النهر في قيد خمسين كيلومتراً فقط من طوله اقلاماً من نقطة تلاقيه بالبحر الابيض ولذلك جاء الكلام عليه في هذا الفصل مجزوءاً ووجيزاً . وقد علمت مما تقدم وجه المقابلة بين لون مياه النهرين ونحن نزيدك علماً في هذا المعنى ان مياه نهر السباط تكون في الاحياء بيضاء الى الصفرة وتكون حمراء الى الشحوبة . اما مياه النيل (البحر الابيض) فاكثرتقاء وصفاء لكنها تنزع قليلاً الى الخضرة وما سموه بالابيض الا لان مزاجه الداخلى اليه من سباط ابان مده يجعل ماءه بلون اللبن . قلت ومما لا ريب فيه ان نهر سباط قد شوهد في شهر ابريل من سنة ١٩٠١ يمد النيل بمائه كما دلت على ذلك التصرفات التي استخرجت فوق ملتقاه وتحتة لكن جمهور ذلك الماء قد صدته مياه النيل دافعة به الى الورا في مسافة قاصية من طوله حتى كنت ترى جريته في شقة عدة كيلومترات منه في سمت مأتاه سطحية لا غزرها . اما خلال نهر سباط وخصاله فيينها وبين خلال وخصال اي من مدود البحر الابيض تباين وتخالف فان جروفه مستعالية مشرفة لا تكاد مياه الفيض تسنمها وتقبلها وصبب مائه سريع ولا اتصوره الا جالبا في مسيله جما من الماء يقرب حجمه من حجم ما ينجلب من بطون البحيرات وربما ضاهاه وساواه الى التمام . ولا ريب في ان مادته المنسكبة في البحر الابيض ذات شأن يعتد به في ايراد ذلك البحر . والنهر تنفجر اليه مياه قسم كبير من الملاية الجنوبية

ربما كان نيل جرترودا قال فيه انه يذهب في مهب الشمال ويكون مضيه سريعا شديداً وأخرج عن أهل الدنجا انه يقع الى بحر الزراف عند بلدة تعرف بمحلة توي - اطلب الملحق السادس من هذا الكتاب



نهر سباط من حلة دليوب



نهر سباط من خلفه

الحبشية . والنهر صفة خاصة به دون غيره وهي ان هبوطاً في الارض يوجد وراء جرفيه على بعض المسافة منها يذهب على موازتهما في قطعة مديدة من طوله . وربما صارت سعته الى سبعمائة متر وهو يكون في ازمة الامطار مستنقماً مستطيلاً يتصل احياناً بالنهر في نقط اتصال الاخوار به على كلا جانبيه . والبلاد التي يشق فيها النهر ارضها سميئة ابليلية غاصة بالاعشاب . واذا كنت عن مجمع النهرين على خمسين كيلومتراً هناك عمارة الشلوك كثيرة القرى ولا سيما ما كان منها على الساحل الايمن اي الشمالي واغلب معالم هذه العمارة منابت صغيرة متفرقة من نخيل الدلب وأهلوها يستنبتون التبغ ثم الدجر أي اللوبياء على قلة في مساطيح النهر ولهم فيها ماشية كثيرة وهم في مظهرهم اكثر امم وادي النيل افلاحاً في سعيهم ونجاحاً . اما متوسط سعة مائه فكان في ابريل سنة ١٩٠١ من بين تسعين الى مائة وعشرة امتار وسعة ما بين منكبيه زهاء مائة واثنين وعشرين متراً ومتوسط غوره ستة امتار ومقدار فورته في الفيض من تسعة ونصف الى عشرة فيكون عمقه عند جمام فيضه تسعة امتار ونصفاً في الاقل . والغالب على جروفه الوعورة والتحدر ولها ميل يكون نصفاً على واحد ومتوسط ارتفاع سنامها عن احط منسوب الماء في النهر يكون متخالفاً من بين خمسة الى ستة امتار . ومما يستلفت الانظار ان هذه الجروف دائمة الانهيار^(١) والجرف الايمن اي الشمالي يكون بالتعديل ارفع من الجرف الجنوبي وقاما توجد الادغال والعواسج في الخمسين كيلومتراً الاولى من مجتمعه بالنيل . ومنحنيات مجراه هي في الغالب ألين وايسر من منحنيات وتعاريج البحور الثلاثة المتقدم ذكرها وهي بحر الجبل وبحر الزراف وبحر الغزال . ولا أثر للبردي في اسافل مسيل النهر والمناطق التي كانت منا على مرأى العين في سائر المجاري الواقعة في تلك الاقطار تراها في هذه النقطة قد طمست فلا عين ولا

(١) يقال انه انهار الجرف اذا تصدع وسقط (المعرب)

أثر . وللنهر جميع مظاهر الانهار ذات الشأن وهو يجلب اليه من المياه مقدار
جسيم مترامياً اليه من الجبال . ويقع فيه ايضاً مياه اخوار عظيمة من كلا شقيه
متحلبة اليه من البسائط العشبية القائمة على كلا جانبيه

✽ قول في المساك (السر) ✽

اعلم انه قبل سنة ١٩٠٠ لم تكن المعلومات بمادة المساك وخواصه وكيفية تكوينه
وارتكامه في مجرى النيل بالشئ الغزير . ولقد خلعت المساكات مراراً قبل
وقوع الثورة المهدوية لكن صناعة تخليصها وتفكيكها كانت من خصوصيات
بعضهم لا تتعداهم . ولقد غابت سجلات اعمالهم ولم يُفطن اليها . ولما خرجنا
للمaine اعمال التخليص في سنتي ١٩٠٠ و ١٩٠١ وتبينناها رأينا ان ما تراءه
كثير من السيارين في ماهية المساك ومادته انما هم كانوا في تضليل يتيهون
فن منهم عاين حاشية المساك في العهد القريب على كلا جانبي البحر الابيض
او نظر الى مساك بحر الجبل من صوب الشمال خيل له ان المساك طباق
متواصلة من الانبات الطحالب طافية على وجه الماء يكون متوسط سمكها
بالظن نحواً من متر ونصف لكن العيان قد ابان ان المساك كتلة في بطن النهر
افظع مما كان الذهن يتخيلها . اخلق بأن هذه الاحشاد من النبات كانت السبب
الاصلي في تكوين هذه الكتلة لكن طريقة الانسداد بها هي غير الطريقة التي
كان القوم من وجه عام يتوسمونها . وكذا مواد المساك في بحر الغزال تختلف
عنها في بحر الجبل اختلافاً كلياً فاذا قصدت بحر الغزال وحده تبينت ماهية
المسالك في بحر الجبل . فمادته فيه معظمها قصب البردي والبوص وأم
صوف^(١) تكون جذورها ممسكة طيناً وينحاز اليها كثير من الطحالب
طافية على الماء كودنة الشيطان والحامول والأجلا ولكن هذه النباتات ليست

(١) لعله قصب الغزار وهو نبات من دقاق القصب (المرب)

بذات خاصة تذكر في تكوين المساك . ولقد آخذوا نبات العنبيج
الاشتراك في حوك هذا النسيج والحق انه برأى من هذه التهمة الجائرة فانه
لا يثبت منه في مجاورات بحر الجبل الا التزر اليسير تكون ساقه نحيفة ضئيلة
قصمة حتى اذا ما فاجأها ضغط شديد انكسرت به . اما بحر الغزال ففيه
خلاف ما في بحر الجبل فان اخص مادة مساك منابتها بحيرة امبادي
والبطائح الاخرى رقيقة الماء في صوب الجنوب . ثم ان مساك بحر الغزال ليس
بصفيق فذسيجه يسير طفيف حتى يكون أسهل اتزاعاً منه في بحر الجبل
ومع ذلك فقد يكون المساك خطراً على السفن اذا تكوّم جوهره متراكماً بعد
تصميدها في النهر فألفاها خلفه . وفي حادثة جسي باشا في سنة ١٨٨٠ دليل
على ان المساك في بحر الغزال ايضاً قد يكون ممتعاً في الاحوال التي من
هذا القبيل . هذا ويجدر بنا قبل الاشارة الى الاعمال التي بوشرت في سبيل
تفكيك المساك ان نين اخص الاسباب الموجبة لقيام هذا المانع الاكبر في
مسيل النهر فنقول

ان بحر الجبل يشق في المناقع والآجام فيما بين شلمي وبحيرة نو في
مسافة من مسيله تبلغ نحواً من اربعمائة كيلومتر ولم يسبق للنهر قط ان
ينجس ماؤه بالمسك الى الجنوب عن شلمي . وفي اطواء المناقع على جانبي النهر
يمنة ويسرة تكون الغدران الواسعة رقيقة الماء قريبة الغور تفرش براحاً تقع
فساحتها في عدة كيلومترات مربعة ويحيط بهذه الغدران من جميع الجهات
رياض نضرة من انبات الماء جلها البردي والغاب المعروف عند اعراب تلك
الاقطار بغاب ام صوف والبوص^(١) وعامة هذه النباتات تشب في الماء
وجذرها فيه على غور ليس بالبعيد غير ان ام صوف والبوص لا يطبقان غوراً

(١) قال بروان ناظر غابات السودان ان ام صوف يقال له باللاتينية «بانيكم پيراميدالي»
والبوص يقال له «افر جيميتيس كومونس»

يطيقة البردي فهو تطول ساقه من بين خمسة الى ستة امتار ولها جذور ليفية
ترز منغرة في بطن الارض الى بعد عميق واما غاب ام صوف فلا تكاد ساقه
تبلغ متراً ونصفاً هجراً في السماء وجذوره لا تنشب بعيداً في جوف الارض
على مثلاً ينشب فيه نبات البردي لكنها عاسية خشبية غير سهلة الانكسار
او الانبضاع جذورها عالقة بالارض على انها اذا اشتدت العواصف المعهودة
في تلك الاصقاع تفككت اوصالها وتقلقت نواشبهها فان صحب العاصفة
فيض علا به سطح الماء تتخلع ركام جسيمة منها هاجرة اصولها فتهم على
وجهها طافية على صفحات تلك الغدران وتكون جذورها متشابكة متلاكة
يتعلق في شبكها شيء كثير من المدرة مدرة كانت عالقة بها فتكون تلك المدرة
بمثابة مركز ثقل لذلك النبات فاذا انحصلت فرقة من هذا النبات تعبت بها الرياح
فتطوف بها سواقاً في اديم الغدير والنباتة منه تنزع في مسيرها بحكم المدرة ذات الثقل
الى النهوض قياماً رأسياً كاصل بنتها فاذا ما اصاب موقعا في الغدير ماؤه ضحل لا
تلبث جذورها ان يتعلق شرشرها في طين قاعه كالمرساة فتنبش فيه على الاثر
وهكذا تستقيم جماعات كثيرة منه على استبدال مواقعها على هذه الصورة فاذا
سكنت العاصفة وهدأت الرياح فلكل منها موقعة ثابت له غير ان اوائل
الامطار وآخرتها في الغالب رياح عاصفة . وهناك تهجر تلك النباتات
مضاجعها فتطوف اديم الغدران والريح تبعثرها ذات اليمين وذات اليسار . اما
بحر الجبل فمادم الجروف على الاطلاق وفيما بينه وبين تلك الغدران بساط
من البردي . وقد يكون في مواضع متصلاً بها تندفع فيه مياهها او تنقلب عنه
بحكم ما يكون لها من المنسوب . ولما كانت العواصف في تلك الاصقاع نذيراً
بدنو الامطار الدورية كان النهر يفيض على الاثر ولا يكاد مسيله يكون وافياً
لاستيعاء مائه ولذلك لا يلبث ان يبدو فيه مدً حتى ينبطح ماؤه في المناقع
فيغمرها في اطرافها كافة فتزايد اعماق الغدران وتصير الاقصاب الخليفة اسهل

عوماً والرياح الغالبة ايامئذ تستاق لفائف واسعة الفساحة منها دافعةً بها في
وجهة واحدة حتى تقضي الى نقطة من النهر تنهافت عندها راميةً في مسيله
واذا صارت الى هذا الموقع يقذفها تياره انحداراً فيه على عجل ولا تلبث ان
تسير فيه قليلاً حتى يمانع سيرها عقبات من نحوراس بارز في المسيل او معطف
فيه حاد الالتواء وربما رأيت رماً فسيحاً منها يكون مساحتها بقدر عدة افدنة
يتراعى مندفعاً الى النهر فينجبس في ما كان من المسيل متضايق السعة فيحصل
به على الفور مسالك يسده ويكس في بادىء الامر غير ذي سمك عظيم
وينجب في النهر اعشاب خليعة تجرفها المياه فتكون فيه جماعات متفارزات
واحدة منهن تلوة الاخرى . ولما كان قطاع النهر ينتقص عند أول حاجز
يحصل فيه كانت جريته تزداد على الفور فتميل هذه الجماعات في سيرها الى
أسهل المسالك فلا يكون لها الا ان تمر من اسفل ذلك الحاجز وفي اجتيازها
يتشققها هو فيجتذبها اليه فتعلق به وكذا يكون حظ ما يعقبها من تلك
الجماعات على التوالي فتندمج عامتها فيه فيصير بها كتلة غليظة مادتها المدر
والقذى والغشاء وجذور البردي والغاب محطمة تحطياً بالضغط المفرط حتى
كأن هو شبكة متداخلة الخيوط وثيقة العرى . وجريته الماء في ذلك الموقع تحدث
ضغطاً عظيماً شديد الزحام حتى يندفع المسالك الى الأعلى ويكون سطحه امتاراً
عن سطح الماء مفضناً مجعداً واما سمكه فيختلف باختلاف المواقع والقطاعات
فقد لا يكون اكثر من متر ونصف او مترين وقد يبلغ خمسة امتار تحت الماء
وقلما صار الى سبعة والنهر يقذف له منفذاً تحت المسالك وسرعة جريته فيه تكون
بنسبة تصاغر فتحة المخرج والنهر فوق تلك النقطة يرتفع ماؤه فيطبق المناقع
والآجام كافه ويذهب الماء مترامياً في ما يصادفه من المسائر الجانبية . واذا ظل
مستقيماً على هذا السنن فلا يلبث على ممر الايام ان يهجر مجراه الاصلي ويتخذ
له وجهة أخرى من اجل ان ذلك المجرى يكون دائماً الانسداد . غير انه

يحدث ان تنفزر كتل المساك وتذهب دارجةً في مسيل النهر بالعوامل الطبيعية كالمواصف واحتقان الماء . يومئذٍ تقوم في النهر موجة مائجة تقذف كل ما فيه من القذى والطفاحة وتجترف مادة المساك التي تكون قد تكومت في اسافل النهر وهذا هو سبب اتقلاع المساك في بعض السنين

واعلم ان كثيراً من المساكات تكون عظيمة حتى يبلغ امتداد بعضها زهاء الف وسبعمائة متر . ومن البين ان هذه المساكات العالقة بالنهر تمنع سير المراكب فيه لا بل تمسك ماءه عن الاسترسال طلاقاً وحسبك كتلة تكون في المجرى حتى تنقلب اليها كتل يرتفع بها منسوب الماء ويؤدي ذلك الى انخلاع منابت اخرى واسمة الجنابات من البردي والغاب فتذهب سابحةً في اديم البطاح وكثيرها يفضي الى النهر فيطمه . وما اشبه هذه الاعشاب في خطر انما تجوالاً وتطوفاً ثم اندفاعها راميةً الى النهر بالجليد اذا انفصم وطاف طباقاً فان تسيار قطعه تسياراً مستديماً لا صادة لها ولا مانع وكيفية تقاضله وتخلعه وطريقة تراكم تلك القطع بعضها فوق بعض في المضائق التي تقع لها في سيرها كل ذلك ذكرى لما يقصه الجوالون ويروونه عن مجالات الجليد عند تفرق شمله وتصدع جمعه . قلت والمساك في هذا البحر معهود به الخطر على المراكب اكثر مما في بحر الغزال فويحاً للبخاريه اذا احدثت بها مادته وتراكت في سيرها الى نواحيها فانها تضغطها وتزجرها فتلوي احقاءها وربما هشمته تهمشياً واذا تأتى لها ان تسلم من المساك فقد لا تسلم من الانجاس به الى اجل غير مخموم فانه يطبق عليها من كلا شقيها . - اقول واحسن ما يتخذ لاتقاء النوازل والنوائب هو ان يجعل للقوامين على ركوب النهر في احايين المواصف بخاريتين تعملان معاً واحدة منها تتربص في الجهة الخلفية تكون رفداً ومنجاةً للاخرى اذا هي اشتبكت بالمساك

وليس في عامة منطقة المساك محتطب محتطب منه الوقود فالبخارية

الفردة اذا انحبست في قطعة من الزمن بالمسالك قد لا يتهيأ لها المسير او تقتدر على الانفلات منه لانعدام مولدات البخار في مرجلها.

قلت ان المسالك يجر الغزال لا تقاس الى مسالك بحر الجبل فهي في بحر الغزال على قوامها الغالب أخف واوهن سهلة الانتزاع والعامل على ذلك هو ولا ريب فتور جرية الماء وتراخيها وبذلك يكون ضغط الماء على المسالك ركيكاً الى الغاية بالنسبة الى ما في بحر الجبل. ثم ان بساط البردي والغاب على ساحل بحر الجبل ضيق الاطراف وليس بمتواصل النبات وتحيف به غدران واسعة غير ان النهر في القطعة المندرجة منه فيما بين الكيلومتر السابع والستين والثامن والسبعين فوق نقطة مجتمعه بخور دليب عرضة للانسداد بالمسالك فهو هناك يشق في منافع البردي التي هي صفارة منافع بحر الجبل وهناك ايضاً لا يكون لمسالك بحر الغزال ما لمسالك بحر الجبل من الرسوخ والمتانة لان جرية بحر الغزال ثقيلة تكاد لا يكون لها قبل بتكوين مادة المسالك وتدميجها بين جنبيه كما تكومها وتدمجها جرية بحر الجبل لشدة مضيها. واما بطيخة امبادي فنبت عظيم السعة يشب به دق نبات المسالك وهي أغراس تقتلمها المياه في أبات الامطار والسيول وفي سيرها يذهب بها مجراه بتعاريجه ولياته فتقيم به محدثة مسالك مستصغرة غير مكثثة وقلما مسكت مياه بحر الغزال الى امد طويل وقد تلبث ممسوكه سبة من السنة قصيرة المدى ثم تنطلق منسابة من ذات حدتها في شهري مارس وابريل من سنة ١٩٠٠ وضحت سيلته فزال ما كان فيه من المسالك في جميع طوله لكنه في سبتمبر عادت اليه تلك المسالك فسدت في مواضع شتى منه. وقد طالما هبطت في النهرين غاطسة الى اسافلها فتتحل عقدها وتتراخي مستقرة في المسيل وترفع قاعه تدريجاً ومتى صار هذا مصيره تعسر نزعه. أقول ولقد سبق للميجر بيك ان يبين في تقريره بعث به الى قسم المخبرات بنظارة

الحربية المصرية كيفية اشتغاله في ازالة المساكات التي وقعت له قال فيه
بالايجاز ان ركبته خرج من أم درمان في السادس عشر من ديسمبر سنة ١٨٩٩
ولم يأت اليوم السابع والعشرين من مارس سنة ١٩٠٠ حتى كان قد اتزع
اربعة عشر مجموعاً من مجاميع المساكات في مسافة من النهر تبلغ طولها مائة
وواحداً وثلاثين كيلومتراً ومسافة ما اتزعه منها يكون حوالي ثمانية آلاف
متر ولقد كانت تلك المسافة اطول مما كانت قبيل ذلك لولا ان ثلاثة مجاميع
وهي الرابع والثامن والرابع عشر كانت قد تفككت وانحلت من ذات نفسها .
أما سمك المساك فتخالف متباين الثخن فقد يكون مترين لا غير وقد يبلغ
خمسة امتار وربما صار الى ستة . وكان للركب ايامئذ خمس مدفعات وثمانمائة
من اسرى الدراويش يخفهم نفر من السود يعدون مائة . وفي الركب ايضاً
خمسة من ضباط الانجليز وعدد من ضباط المصريين يصحبهم بعض من صف
ضباط الانجليز ايضاً وكانت مادة ما ازاخوه من المساكات احد عشر ألفاً
وثمانمائة وخمسين متراً مكعباً غير الحجم الكبير من القذى الذي انخلص من تلقاء
نفسه ومقدار ما تفكك على هذا الاسلوب لا يدخل بتقدير حتى لقد تأتى ان
انقزر مجموع من تلك المجاميع واستغرق اجتياز مواده من نقطة معلومة من
النهر ستاً وثلاثين ساعة . قال الميجر بيك ان المساكات التي في مهب أقصى
الشمال وهي الاول والثاني والثالث كانت اكثر المساكات التي هو فجرها عسواً
وسمكاً ولما تهيأ له ان يرحلها أصبح عمله مستهلاً لديه وألغى الاربعة المساكات
الاخيرة وهي الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر والرابع واهنة غير صفيقة .
أما مجموع ذات المساك في بحر الجبل فوقعه على سبعة وعشرين كيلومتراً عن
ملتقى البحر بالبحر الابيض . وكان المساك الثالث اشد المساكات منعة فله
متوسط سمك ينيف على ستة امتار ينحبس به ماء جيم ودليله انه عند ما
انحرب وتبدرت مادته هبطت المياه في أعاليه متراً ونصفاً في مدى اربعة ايام

وكان اتزاعه في السابع من شهر فبراير وحدث ذلك طُموّ الماء في مسيل
النهر حتى بلغ المساك السابع اي الكيلومتر الحادي والثمانين والنصف . وفي
الرابع والعشرين من فبراير انحلّ المساك واستاقته المياه في وجهه صاعراً الى
المسك الثامن فحدث من ذلك ان طفت مياة الغدران الواقعة فوق تلك
المساكات تنصرف منها الى النهر . اما مساك ما فوق المساك الثامن فكان
اخفّ والمياه المحجوزة به اقلّ مقداراً . واما المساك العاشر ففي فواتح
اقتلاعه لم يعتر القوم فيه جهدٌ ومشقة لكن بعد ذلك وقعوا منه في وعيرٍ
واعر . أقول وقد أزيل المساك الرابع عشر (وهو آخرة المساكات) في
السابع والعشرين من مارس فكانت ازالته خاتمة العمل لسنة ١٨٩٩ - ١٩٠٠ .
ولما تدانت اوقات الغيث كان الرأي الصائب ان ينفصل رجال الركب عن
المناقع والآجام فخرجوا ولم يتبقّ في عامة بحر الجبل على ما علمناه يومئذ سوى
مساكين اثنين فقط أدرجا في دفاتر العمل وهما المساك الخامس عشر والمساك
السادس عشر اولهما يقع في حصّة من النهر متقاصية الطول بقدر ستة وثلاثين
كيلومتراً درجاً^(١) وهي في الظاهر عامتها مسدوم بالمسك . واما ثانيهما فقد
حُزّر طولهُ باديء بدء بخمسة كيلومترات فقط ولكن لما جرى لتخليعه
اذا به زهاء اثني عشر كيلومتراً وقد خرج عليه دروري احد رجال البحرية
ففضّ جواهر كتله في شهر يناير سنة ١٩٠١ وأزره على ذلك جاويز
من رجال البحرية الانجليزية وهو اربع كتل متفازة متهاجرة وهي
من المساك السادس عشر الى التاسع عشر اضطراداً ويكون مسافة اصغرها
جرماً ستمائة متر واوسعها يكون عرضه كيلومترين وكان بعضها سميكاً
صفيقاً قديم العهد وقد زاول دروري اقتلاع الكتلة التاسعة عشرة بالالغام
فلم يكن لمادة النتروجلسرين كبير أثر في تلك الكتلة فما كان فعلها في المساك

(١) راجع الملحق السادس من هذا الكتاب

الآن ان تحدث فيه خروفاً عميقة لا غير وهو وان يكن ملتفاً متضاماً كثيفاً فانه مع ذلك مرن القوام لا تغلبه الالغام لعدم صلابته والوسيلة الوثقى لا تنزع المساكات هي بلا مرأى التي اتخذها ميجر بيك ورسمها ان يُحزَّ صَحيْف المساك احزاباً مربعة مستطيلة تشدُّ الى البخاريات فتجذبها مقتلماً اياها من مطارحها ثم تسببها فتذهب طافيةً على الماء جارية بجريته . هذا ولم يبق في النهر كله الا كتلة واحدة وهي المساك الخامس عشر يقع طوله في ستة وثلاثين كيلومتراً وهي كتلة صعبة المراس لا ينحلُّ عقالها الا بشق الانفس لأن ليس في المسيل جرية وفي قاعه ما لا يقاس من مواد المساكات منضدة بعضها فوق بعض ثخينة السمك وهي مواد هبطت في جوف الماء فاتصت بقاءه ورسبت فيه رثة رميمة وصار الواجب ان تجتذب من مضاجعها وترسل في مهوي التيار وقد استدعى هذا العمل الثاني والتودة . ولقد همَّ دروري في سنة ١٩٠٠ بان يخرق له منفذاً في احشاء تلك الكتلة لكنه قضى في ذلك اربعة عشر يوماً ولم يكن مبلغ ما ازاحه منه سوى اربعمائة متر هي حصّة من النهر قد عاد المساك اليها فأطبقها على مثل ما كانت ^(١) . ومنذ سنة ١٩٠١ الى الآن لم يبدُ للمساكات التي انتزعها الميجر بيك من رسم ولا اثرٍ لانه صبر على عملية الانتزاع صبراً جميلاً ولو أقيمت على بحر الجبل مراقبة مستديمة يُستطلع بها مجراه لا سيما في ايام العواصف فلا أقرب من ان يظلَّ ذلك المجري ابد الدهر مخلصاً من كل سدٍّ او حبس ومساك . والحق انه مهما ذكرنا من محاسن المهمة التي تولاهها الميجر بيك وصحة في ازالة هذه المساكات في سنة ١٩٠٠ فلا نوفيها منها حقها فان البلد الذي بوشرفه العمل اقلية وخيم لا تصحُّ به الابدان حرارته مرطوبة تكون على الجسوم ضنىً ودنفاً بعوضه في سواد الليالي لا يطاق . ولما كانت مياه النهر قد هبطت هبوطاً غير مألوفٍ ومعهود في

شهور الشتاء والربيع كان في حمل الميرة وعدة الارتحال وحوائج غاية المشقة حتى ظلّ الركب عدة اشهر ولا منفذ للمخابرات بينه وبين ام درمان وزد على ذلك قصو المكان وتنائيه فان النقطة التي ابتداء الميجريك العمل فيها عند بطيحة نوتكون عن الخرطوم بقدر تسعمائة واثنين وستين كيلومتراً . قلت والفضل كل الفضل لذلك الميجر وصحبه الذين ازروه فازالوا ما في النهر من المساكات فهو بالحق أخرى بالفخار لانه بذلك قد عمل لمصلحة مصر والسودان عملاً جليلاً . ولقد جاء من بعده آخرون يدأبون مجدّين في كسح ما تبقى من ذلك العمل وهو المساك الخامس عشر الذي سبقت الاشارة اليه بان له طول قدره ستة وثلاثون كيلومتراً وهو في الصحيح مؤلف من عدة كتل متباعدة بعضها عن بعض والنهر في تضاعيفها ضاح مكشوف وهو لا جرية له على الاطلاق . ولذا كانت انتزاع ذلك المساك اشد المساكات مزاوله ومراساً في عامة ذلك النهر . فقام الميجر مثير في شتاء ١٩٠١ و ١٩٠٢ وحاول جهد المستطيع في بعزقة ذلك المساك وقطع نظامه ولم يكذ يتجاوز مقدار نصفه حتى تدنى دور الامطار فأضرب عن العمل قبل الفراغ منه . ثم جاء بعده القائم مقام دروري في اكتوبر سنة ١٩٠٣ وفي صحبته ركب فاخذ الى بطيحة نو وباشر العمل في تلك النقطة وفي اواخر يناير سنة ١٩٠٤ كان قد اخترق له مسلكاً في بدن الكتل جميعها ما خلا الاخيرة منهم لكن ذلك كله لم يحدث في النهر شيئاً من الجرية . وقد دلت اسبارة ومجاسه على انه لازم العمل في مجرى النهر العميد على ان التقادير لم تبلغه تمام الآمال اذ اخذته في اثناء العمل حمى اجمية محرقة اشتدت وطأتها عليه حتى اوجبت الحال استرجاعه الى الخرطوم . ولما دنا زمن الامطار رأى أولوا الشأن متاركة العمل الى أجل مسمى وظال بحر الجبل في تلك النقطة مسدوداً مسطوماً ولا يزال كذلك الى عهدنا . والبواخر المجراة في النهر تصعيداً وتحديراً مقبلة ومبحرة

تتخذ في سيرها المجرى الشريد في البطائح القرية الغور^(١)

الفصل الثاني عشر

« في النيل الازرق (٢) »

يبلغ طول هذا النهر من منشأ الجنادل عند الرصيرص الى مدينة الخرطوم اربعمائة وستة وعشرين ميلاً أي ستمائة وخمسة وثمانين كيلومتراً ويكون انحدار مسيله فيما بين هذين البلدين شديداً فيصير ميله بين الرصيرص وسنار قريب بـ ٧٧٠٠ فرق بين هذا البلد والخرطوم . واما متوسط سعته في عامة مسافته فخمسمائة متر على ان تلك السعة تتفاسح في القطع الشمالية منه لكنها لا تكاد تبلغ سبعمائة متر في اية نقطة من مواقع تلك القطع . ومتوسط ارتفاع جروفه عن منسوب مياه الصيف يكون متخالفاً فيما بين تسعة امتار واحد عشر متراً وذلك من مدينة الخرطوم الى مدى مائتين وخمسين كيلومتراً عنها جنوباً . والى ما وراء ذلك مقبلاً يكون الارتفاع متراوحاً بين عشرة امتار واثنى عشر متراً ويكون فرق منسوب الفيض عن منسوب الفيض من ثمانية الى تسعة امتار وفي خلال الربع الاول من السنة ينضب ماؤه ويكون مسيله حينئذ سباطاً^(٣) من الظلائل والغدران بميدة الغور راكدة الماء متصلة بعضها ببعض بأخوار ماؤها ضحل قريب الدرك وركوب المسافة فيما بين سنار والخرطوم شاق مطلقاً حتى على الياهين في ذلك الحين . والبحر الابيض

(١) راجع الملحق السادس من هذا الكتاب

(٢) علقت هذا الفصل في عام ١٨٩٩ ومن ذلك العهد اخذت امهات البلدان بالانفساح والعمران بكيدة وذو مدني وغيرها وقد تركت ما قلته في ذلك على علالاته لاني لم اعاود الرحلة الى تلك الاقطار

(٣) السباط الشيء المصطف (المعرب)

يكون في شهر ابريل على أقصى غيضة ولكنه في ما خير مايو تكون له امارات
اقبال الفيض . والمد الحق يكون في شهر يونيو وجمعة فورته في اغسطس .
وفي آخرة سبتمبر يتسارع الى الهبوط واما جريته ففرطة وماؤه في الشتاء
قراح صافي الزرقة وفي الفيض يكدّر بغسالة جبال الحبشة وأجراف الغابات
وكساحاتها فتستقر هذه المواد في جوفه ويكون لونه بنيّاً اذ كن . واذا كنت
عن الخرطوم جنوباً على مسيرة ستة عشر كيلومتراً رأيت للاهين على ساحلي
النهر زروعاً مفرشة فساحتها متقاربة وسقيها بالسواقي والبواقي وتربة
الارض على الجانب الغربي يوجد فيها حجر الجير وفيها حصائص يستخرج
بها الجير وهو الجصّ يُحمل الى الخرطوم

وتقع بلدة صوبا شرقي النهر في مدى تسعة وعشرين كيلومتراً عنه وكانت
قبلاً جند عاوي . فاصبحت اليوم وقد تدمرت معالمها والزروع هناك متفرقة
كأنها الرقاع وغالبها تقع في قادمة الساحل اي غربته والبر بعد تلك النقطة
بعدة أميال جنوباً لا تبدل طباعه وسيماؤه . اما الساحل الشرقي فخاقلٌ بملتف
الجنب قصيرة السوق شائكتها لكنك كلما استويت الى بلدة ترى حوالها ارضاً
قد خلّصها اهلوها للزرع وهم يقيمون في زرعها على الدجر وهو اللوباء
وزراعتهم فيها على قلة . واما الساحل الغربي اذا قستته على الساحل الشرقي فهو
براحٌ عراء رمليّ الاديم لكن برّه مغشى بالخلفاء وزرع اهلهم وفيرة كثيرة فهم
يرتفقون بالذرة والدجر والسمسم والبقول بصنوفها يزرعونها في حاشية النهر
يوم ينضب عنها ماؤه وفساحة الارض المزروعة قليلة لان سعة بساطها ليست
كبيرة الانقراج . وربما ازدرعوا الجزر ايضاً غير ان الجزر هناك عديدها
قليل وهي ضيقة الفساحة . ثم نزلنا الى بلدة مجّات عند الكيلومتر الواحد
والتسمين وهي بلدة لها اتساع تكون من النهر على جانبه الغربي بيوتها كخلايا
النحل شكلاً من قثيش بخلاف بيوت الاصقاع الشمالية فانها مصنوعة بالمدّر

وسقوفها مسطحة . والذي وقع لنا ان الارض اكثر اهلاً وازكى عمراناً ولا سيما ما كان منها على الجانب الشرقي . وفيما بين مجّات وكلين يطلُّ البرُّ على منظرته فهو بساط من الارض قليل السعة مفترش بالادغال على الجانب الشرقي وارضٌ عراء على الجانب الغربي وعامة الصقع هناك ينقصه الأهل والمال^(١) والارض فيما وراء البساط مكشوفة عن الشجر ولا اثر فيها للنخيل . وتقع كلين في الكيلومتر المائة والعشرين على الحاشية الغربية للنهر وهي بلدة لها فساحة مقامة على رأس ربوة طامحة كثيرة الحصباء^(٢) قيامها على مفترش من طباق الجصّ وجمة العباد هناك دخلاء الدناجلة وفيهم قوم معدودون من قبائل الجعليين والبلدة مركز مأمورية من المأموريات الحديثة . والى ما وراءها تكون مفازة الجزيرة وهي مرداء خالية من الشجر لا ترتاح النفس الى مرآها . وتربة البر في ذلك الصقع وفي عامة انحاء الطرف الشرقي للجزيرة^(٣) غريّلة ابرليزية سمينة . وفي ازمان الغيث تزرع الارض كلها ذرة . ولما كان التحدير شديداً ومياه السيل سريعة المضيّ كان القوم يعمّدون تلك المياه اي يسدّون جريتها بجروّوف من التراب يقيمونها في وجهها بعرض ذلك الانحدار ويكون متوسط ارتفاع الحرف الواحد اربعين سنتيمتراً ويجعلون على جانبي الجُرف الواحد رؤوساً متوازية الوضع قائمة عليه ويكون بين الراس الواحد منها والاخرها مائة وخمسين متراً فيكون من ذلك حياض صغيرة لكل منها ثلاثة جوانب فالارض اذ لا يعموزها الا الريّ الشتوي حتى يتيسّر لزارعها ان يرتفق بزراعة الحنطة وفي ما سلف كان

(١) المالُ عند اهل البداوة الانعام وهي الماشية الراعية . من الابل والغنم

والبقر (للمعرب)

(٢) الحصباء الحصى واحدها حصبة (للمعرب)

(٣) ان الارض المندرجة فيما بين البحر الازرق والبحر الابيض كانت تعرف

بجزيرة سنار واليوم تعرف بالجزيرة

لكملين بقاع تزرع فيها النيل ولا تزال حياضها ظاهرة فيها الى اليوم ولقد
انشئت هذه الحياض في عهد الخديوي الاسبق اسماعيل باشا يوم عن له معالجة
ازدراع النيل في اقطار السودان . وتوجد النيل الجبلية في قادمة ساحل النهر
فكيف لا تصح اذا سقيت بالآلات الرافعة للماء ولست ترى في ما اندرج من
بساط الارض بين كلمين ورُفاعة من تبديل او تغيير في خواص الارض
وشملتها على كلا الجانبين وليس العمران بالزروع والقرى على كثرة في ذلك
المصقع والمزارع فيه متفارزة متفارقة .

وتقع بلدة رُفاعة عند الكيلومتر المائة والسابع والثمانين وتكون من النهر
على منحاه الشرقي قيل انها ثمانية القرى الواقعة على البحر الازرق فساحة
واتساع ديار وهي عن النهر على مدى قريب وليست بقليلة الامل اناسها
يرجعون في انسابهم الى فرع من العشيرة الشكرية العربية وهم يجعلونها عشيرة
رفاعة الشكرية . وقادمة الساحل والجزر المجاورة عامرة بالزروع ولهم مباطخ
يشيرونها لزراعة البطيخ في البساتن الواقعة في عوالي البلدة . والنهر هناك
يستبحر منبطحاً فيرق ماؤه حتى يكاد يتعذر ركوبه في الصيف . واذا واليت
السير صعباً من الخرطوم تفضي الى الكيلومتر المائتين والواحد والاربعين
وهناك بلدة المسلمية على الجانب الغربي لبلدة لها شأن واهمية . وقد قضى
النظام الحادث في تلك الاقطار ان يكون لها مأمور . قلت ولا اخال تلك البلدة
الا ان كانت في القدم كبيرة المقدار واسعة العمران فتناولتها يد الدهر فسيرتها
الى الدمار والبوار . والزراعة هناك ليست بمستوسعة الى حد الافراط ومعظم
اهلها عرب من عشيرة الحلاوية . والنهر في تلك النقطة متضائق لا تتجاوز
سعة ما بين ضفتيه اربعمائة متر واذا صرت من الخرطوم على مائتين وستة عشر
كيلومتراً فهناك يحف بصفة النهر الشرقية رضراض من شعاب صخرية
تكون مسافة طوله كيلومترين . وهو في العيان لا يقطع مسيله كله . وعند

الكيلومتر المائتين والسادس والعشرين محلة ابو حراز تقع على الجانب الشرقي فاذا جاوزت تلك البقعة ترى منكبي النهر غاصين بالغاب حتى تكاد تعدّه غريفاً ماتف الشجر . وعند المحلة مشق طريق المتاجر الذهاب الى الغضارف . هذا ولقد كشفت الارض المستديرة بالبلدة عن شجر الغاب لكن صقمها لا يزال مستوخماً فيه اذية للابدان وتكثر فيه الحيات الاجمية الى حد الافراط على حين ان موقعها مرتفع ناهض عن ريج ماء النهر فان عقبة الموردة تعلو عنه بقدر احد عشر متراً وفي البقعة اخوار شتى تقضي الى النهر وحقها ان تكون مطهرة للارض من الاقذاء . اما قرية ابو حراز البحري فطرحها الى شمالي المحلة ويشاهد المسافر من آثار تلك القرية بقايا اعمدة مسجد قديم بناؤه من طابق (طوب) قد كسرها المهدي وهدم ما ذنتيه . واذا كنت من جانب ابو حراز جنوباً على نحو كيلومتر هناك تبصر نهر رحد رامياً الى النيل من جانبه الشرقي وهو ينشأ من جبال الحبشة الواقعة في الشمال الغربي وتتجلب فيه مياه غامرة في ابان الفيض ويدخل النيل على زاوية سبعين درجة . ولقد كان قاعة في شهر فبراير أعلى من سطح الماء في البحر الازرق بمتر واحد . والنهر جفاف في حصّة من السنة تكون عدة اشهر ما خلا ما يكون في مسيله من البرك والترائك . واما جروفه عند ملتقاه فوعرة هاوية بعيدة السمك تكون بقدر اثني عشر متراً عن قاع مسيله وله سعة تبلغ خمسة وستين متراً ويتخذ من معالم الفيض ان فورته تبلغ خمسة امتار وربما صارت الى خمسة . ويكون مسير البحر الازرق عند ملتقى هذا النهر به مطوياً على حد اطواء الحية تكون ثلثه الواحدة صوب الغرب والثلثية الاخرى في وجهة الشرق ولقد مئرت سمته فكانت اربعمائة وخمسين متراً . ثم ان جروف النهر غاصّة بملتك الادغال على مثل ما في جرفي البحر الازرق في ذلك المكان . واذا صرت على طية غير بعيدة عن محلة واذ مدني يعود الجرف الغربي

فينكشف بخلاف الجرف الشرقي فانه يظل على سننه من الاندماج بملتف الشجر . والمحلة تقع من البحر على جرفه الغربي وتكون من الخرطوم على مائتين وسبعة وثلاثين كيلومتراً وهي مقامة على عقبة ترتبها رميلة حصبة من تحتها طبقة حجرية جيرية جصية وهي بين مدن البحر الازرق أعظمها وأهمها وتكاد يكون لها اليوم من الشرف ما كان لسنار فيما سلف اما اهلوها فعدد من خمسة عشر الى خمسة وعشرين ألفاً وهم اخلاط من الامم اركانهم قبيلتان عربيتان هما الميدانية والكواهلة يداخلها بعض الجميلين والشاجية ويكون فيهم على قلة دناجلة ومصريون ونفر من الزنج هاجروا اليها من بلاد الفونج والهمج . ومسبر هذه المحلة ونخبرها انها صحيحة الهواء اصح من سائر المحلات في الجزيرة وربما رجع ذلك الى التربة المقامة هي عليها وعمامة بيوتها من هشيم الذرة تشتملها بقعة فسيحة التخوم . ولما كانت مركز المديرية فالحكومة تباشر اليوم عدة مبان لها فيها جاعة جرم مادتها من مدر ونماها بالحفاة ويجوزها خط تلغراف .

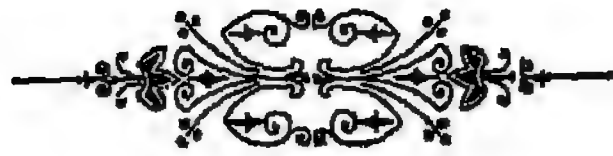
اقول وارض هذا المعمور منملة بالنمل الابيض القارص ولذلك ارى ان يضطر اولوا الشأن عمماً قليل الى استبدال الاعمدة الخشب التي يقيمونها اليوم بسوار من حديد^(١) . وللمحلة سوق تقام كل اسبوعين في ايام الاثنين والخميس يؤمها المرتزقون المتسوقون من كل صقع بعيد وهي في ايام دورتها تستوقف الانظار لكثرة تعاطي الاسباب بين أخذ وعطاء . ففيها تمرض البقول الزكية كالطماطم والبصل والبرنجال واليام والباامياء وتكون فيها على كثرة

(١) هذا وصف المحلة في سنة ١٨٩٩ أي عقب استظهار اللورد كتشير على خليفة المهدي بام درمان باشر قلائل واما اليوم فقد تبدلت حالها تبدلاً كلياً فهي الآن من امهات البنادر واقطاب التجارة في البلاد السودانية وقد اصبحت في هذا العهد حاضرة اقليم سنار والدلائل على ان سيكون لها مستقبل جليل .

وكذلك الترنج والبطيخ . ويكون فيها ضروب القطاني وشيء من الصمغ
الحمر . وتنفق فيها سلع منشستر من القطنيات المخرجة الألوان وخشن السكر
والتبغ والأدوات الاوربية بخسة الاثمان كالمراشي والخرز والجارحات . ولها مصانع
لصابون ومعاصر لزيت السمسم واهلها بارعون في دباغة الجلد واديم التبطين
والسختيان الناعم المصقول للحلية ويمرح في تضاعيف صقعها جماعات الضأن
والماعز وقلما اصبحت هناك بغيراً . يقول أناسي تلك الارض انهم كانوا على عهد
المهدوية يستاقون ابقارهم الى الغرايف والغابات فيوارونها ساترين لثلا ينتابها
ال دراويش فيغتصبوها فانقلبت هذه الحيلة بالتدريج سنة لهم مقيمة . واديم
ارض الجزيرة حول ود مدني صفتها على صفة اديم كلين ألا تراه بسيطاً
مسطوحاً طينته غريل ابلز تكون في ازمان الامطار مكرمة لشجر الذرة
والزروع في العامة تتعدى حد الساحل لكنها تجود فيه . ولا ترى هناك
الآ ما قل من السواقي ترفع الماء للسقيا والمباطخ في تلك الجهة تجوز
الحد في الوفرة وفي ظاهر المحلة شمالاً ركة من الاجر (الطوب) هي آثار
مسجد كبير المقدار بناه جد القبيلة الميدانية وله فيه ضريح لا يزال . والمسجد
خربه المهدي . والقوم هناك وفي سائر اقطار الجزيرة عقود ملكية عقاراتهم
قديمة هي حجج اخذت على عهد سلطنة الفونج التي فكك محمد علي باشا
صاحب مصر عرى شملها في سنة ١٨٢٠ - ١٨٢١ . قلت ومراة المحلة انها
اكثر البلدان السودانية عمراناً ويسارة ولا استثنى منها ام درمان . هذا
وتظل الارض في الجنوب عن تلك النقطة على الساحل الشرقي معمورة بالادغال
في حين ان الساحل الغربي يكون عراء اجرد . وكلما ابعدت على ذلك السميت
تتناقض الزروع وتتصاغر القرى وتقل خلقها فتكون شبه شيء بكفور او
منتجعات في اجواف غابات الدغال ويغلب على الطنف الشرقي للنهر ان يكون
ارقي من الطنف الغربي وامنع فان الغربي متحدر مائل . والنهر في عامة منازل

مُسْنِيهِ تَكُونُ جَرِيَّتُهُ فِي الضَّفَّةِ الشَّرْقِيَّةِ أَشَدَّ مِنْهَا فِي الْغَرْبِيَّةِ . وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ
إِلَّا مَا قَلَّ مِنَ النَّخِيلِ وَهُوَ ضُرُوبٌ مِنْ نَخِيلِ الدَّلْبِ . وَيُوجَدُ عِنْدَ جَزِيرَةِ
الْفِيلِ (وَهِيَ بَلَدَةٌ عَلَى الْجُرْفِ الْغَرْبِيِّ) غَابَةُ مِنْ ذَلِكَ النَّخِيلِ وَكَلَّمَ صَعْدَ الْمَسَافِرِ
فِي النَّهْرِ أَزْدَادَاتُ شَجَرِهِ جَرْمًا وَمَالَتِ الدِّيَارُ إِلَى الْبَوَارِ وَالْمَوَاتِ . وَلَمَّا نَزَلْنَا
الْكَيلُومِتْرَ الْمَائَتَيْنِ وَالسَّادِسَ وَالْخَمْسِينَ إِذَا بِالْأَدْغَالِ تَغْشِي وَجْهَ الْجُرْفَيْنِ وَهِيَ
مُتَوَاصِلَةٌ الْإِنْسِطَارَ وَتَزُولُ عَنِ الْأَرْضِ زُرُوعُهَا وَحُرُوشُهَا وَتَصِيرُ الْأَرْبَاضُ إِلَى
نَقَرٍ قَلِيلٍ . ثُمَّ أَفْضَيْنَا إِلَى الْكَيلُومِتْرَ الْمَائَتَيْنِ وَالثَّلَاثِ وَالسَّبْعِينَ فَرَأَيْنَا الْعُقَبَاتِ
عَلَى الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ ذَاهِبَةً فِي الْجَوِ يَكُونُ سَمَكُهَا اثْنَيْ عَشَرَ مِثْرًا وَهِيَ وَعَرَةٌ
مُنِيْعَةٌ وَمِرَاةُ الْأَرْضِ بَرِّيَّةٌ مُعْجِبَةٌ وَشَجَرُ الْغَابَةِ مَطْوِيٌّ بِمُتَشَابِكِ النَّبْتِ مُلْتَفَهُ
يَتَعَلَّقُ عَلَيْهِ . وَرَأَيْنَا فِيهَا إِسْرَابًا مِنَ النَّسْنَاسِ وَالْقِرْدَةِ صَغِيرَةِ الْجُرْمِ صَحَاءِ اللَّوْنِ
وَالْغَابَاتِ عَاجَةً بِالطَّيْرِ جَمِيلَةَ الْأَرْيَاشِ . وَلَمَّا صَرْنَا مِنْ الْخُرُطُومِ عَلَى مَائَتَيْ
كَيلُومِتْرَيْنِ فِي النَّهْرِ سَطْرًا مِنْ صَخْرِ الْجِرَانِيَّتِ يَعْرِفُ بِحَجَرِ الْغَفَّارِ يَعْتَرِضُهُ
مِنْ ضَفَّةٍ إِلَى أُخْرَى فَلَا يَكُونُ لِلْمَرَآكِبِ عَقِيبَ شَهْرِ يَنَازِلُ أَنْ تَسْلُكَهُ . ثُمَّ
ارْتَحَلْنَا مَجْدِينَ فَبَطْنَا إِلَى الْكَيلُومِتْرَ الْمَائَتَيْنِ وَالرَّابِعِ وَالْتَّسْعِينَ وَهَنَّاكَ بَلَدَةٌ بِرِّيَابِ
أَهْلِ بَقِيلَةٍ عَرَبِيَّةٍ يُقَالُ لَهَا قَبِيلَةُ الْكُوَاهِلَةِ وَهِيَ مِنَ النَّهْرِ عَلَى كَنْفِهِ الْغَرْبِيِّ .
وَعَلَى خَمْسَةِ كِيلُومِتْرَاتٍ عَنْهَا فِي أَعَالِيهَا يَقَعُ فِيهِ نَهْرٌ دُنْدَرٌ مِنْ مَهَبِ الشَّرْقِ
وَهُوَ نَهْرٌ لَهُ شَبَهُ كُلِّيٍّ فِي صِفَتِهِ وَخَصَالِهِ بِنَهْرِ رَحَدٍ غَيْرِ أَنْ قِطَاعَهُ أَوْسَعُ
وَمَادَّتُهُ فِي إِبَانِ الْفَيْضِ أَوْفَرُ وَأَغْزَرَ مَخْرَجُهُ مِنَ الْمُنْطَقَةِ الَّتِي يَنْبَعُثُ مِنْهَا نَهْرُ
رَحَدٍ وَيَشُقُّ اثْنَاهُمَا فِي الْأَرْضِ عَلَى مُحَاذَاةٍ وَمَوَازَاةٍ وَبَيْنَهُمَا بَعْدَةٌ تَخْتَلِفُ مِنْ
بَيْنِ مِائَةِ كِيلُومِتْرٍ إِلَى مِائَةِ وَعِشْرِينَ كِيلُومِتْرًا . وَالْغَالِبُ فِي غَابَاتِ الْكَنْفَيْنِ
شَجَرُ السَّنَطِ وَالتَّمْرِ هِنْدِيٍّ (الْحُمْرِ) وَالْأَثَلُ وَالطَّرْفَاءُ وَالنَّبَكُ (وَلَعْلَةُ النَّبَقِ)
وَالْحَنْدَقُوقِ وَهُوَ نَجْمَةٌ أَوْ شَجَرَةٌ دَائِمَةُ الْخُضْرَةِ لَهُ شَوْكٌ مُتَلَزِّزٌ حَادٌ وَهُوَ
يُوجَدُ فِي عَامَةِ الْغَابَاتِ الْآفْرِيقِيَّةِ وَلَهُ ثَمَرٌ جُرُومِي صَغِيرٌ أَشْبَهُ بِالزَّعْرُورِ

شهي المأكّل عند العُرب . ويكون في تلك الغابات ايضاً ما قلّ من شجرة
التمر هندي والجميز وهي غاصّة بالنبات الملتف المخرّج الاشكال والضروب . ومن
الثابت ان ارض تلك الغابات تكون مكرّمةً لكل نباتٍ شائك وهي ممتنعة
المسلك على السيارين الا من مدابّ وشعاب اتخذتها دواب البر والماشية .
والغابة على الحاشية الغربية تتراوح سمّتها بين ثلاثة وخمسة كيلومترات ولا
تزيد . وهي تغيب عند سنار ولا يكون منها شيء ولا تبدى في الارض الا عند
كركاو اما غابة الحاشية الشرقية فتسعة الاطراف الا ترى عامة البر من تلك
النقطة حتى محيئك الى سهول الغضارف محشوكاً بالاشجار والادغال ويوجد
في عامته شجر السنط صمغهُ احمر اللون واجوده يرتفع من انحاء جنوبي سنار
واقطار كركاو



الْقِسْمُ الثَّانِي

في تصرفات الانهار وممكنات المشاريع

اني منذ يوم كتبت مقالتي الأخيرة في تصرفات النيل الأعلى وفُرت المعلومات في هذا الشأن^(١) . ولم تكن معلوماتي يومئذٍ إلا ما تناولته من مقالات خَطَطَها السيَّارون وما استطلعتُه بالارصاد في رحلتين اميتُ فيها حدود السودان المصري واتضح لي من تلك الارصاد ان التبخر في البحر الابيض اثناء الصيف مفرط ناشي عن المناخ والبطائح في انحاءة . وقد تبينت منها ايضاً اشياء اخرى ولكنها لم تكن في شيء من المسألة العظمى التي ما زالت الى ذلك الحين غامضة طامسة ألا وهي معرفة الرابط بين مناسيب البحيرات الاستوائية ومقدار مادة النيل الاعلى ولم يتيسر لي ان اقف من الارصاد القليلة التي كانت يومئذٍ بتصرفات البحرين الابيض والازرق عند الخرطوم على شيء يؤذي الى سبر غور هذه المسألة المتعلقة بينايع النهر وعيونه من فيض وغيض ومقدار مادته في مختلفات المواقع من مسيله . ولذلك نُحِي الى التقصي في المسألة في عامي ١٩٠٠ و ١٩٠١ فكانت النتيجة الكبرى من ذلك وجوب التوصل الى معلومات اخرى اكثر بياناً وجلاءً بموارضها . ولوازمها واستجلينا أنه للحصول على ذلك يتجّب اقامة ارصاد قياسية متواصلة في مدى سنة كاملة يستدل بها على ازمان تراوح مناسيب الماء بين هبوط وصعود . وكان اول ما بُوشر في هذه الوجهة ارصاد شهرية بتصرفات النيلين في نقطٍ مفرضة فوق الخرطوم واستمرَّ على ذلك الى آخرة سنة ١٩٠٣ . وقد أُلْقِيَت الى هذه

(١) طالع الكتاب الازرق لنظارة الجارية في فصل « مصر » الجزء الثاني

لسنة ١٩٠١ (وهو تقرير عن مشاريع الري في بلاد اعالي النيل الخ)

الارصاد ارساد تصرفات بحر الجبل ايام مده امام المساك وخلفه وكذلك تصرفات
نهر العترة واضيفت اليها ايضا اشتات من تصرفات بحر السباط وبحر الزراف وبحر
الغزال . وفي ربيع تلك السنة وقعت لنا معلومات اخرى ذات شان ادركنا
بها حجم ما ينصرف من الماء من البحيرات الاستوائية وذلك بأن رصدنا تصرف
بحر فكتوريا عند جنجا وفاجاو وتصرف بحر الجبل عند ودلاي . ثم في قوادم
السنة المذكورة استخرجت ارساد البحر الازرق (وهو نهر اباي) عند مخرجه
من بحيرة تسانا في الحبشة . اقول وقد آلت هذه الارصاد الى اتساع نطاق
العلم بخلال مياه النيل وخصالها على انني لا ارمي الى انها من اي وجه من
الوجوه ارساد تامة مكملة او هي تقضي بالباحث الى حكم ثابت بات . ولا
خفاء ان زمناً تباشر فيه الارصاد قدره سنتان لزمّن قصير المدى ولكن لا
ينكر ان الحال في هذا الصدد صائرة من حسن الى احسن تتمشي على سنن
مستقيم . ومن محاسن الصدف ان في هاتين السنتين جاءت مياه الفيض متخالفة
المقادير تخالفاً مفرطاً لا سيما في البحر الابيض المعروف في مقاطعه الجنوبية
بحر الجبل . ولقد كان فيض ١٩٠٢ طفيفاً في فرعي النيل الذين يتلاقيان مجتمعين
عند الخرطوم على خلاف الفيض في سنة ١٩٠٣ فقد كان تصرف المياه فيها
يجاوز المتوسط وربما صار في ما كان من البحر الابيض جنوبي منطقة المساكات
الى حده الاقصى او كاد حتى تيسر لنا بارصاد السنتين المذكورتين على قصر
مداهما استدراك شيء عام بالشؤون الغالبة في غزير الفيض وقصيره
ولذلك كان الفرق بين منتهي الحالين قائماً على عماد اصح واثبت مما لو جاء
الفيضان في هاتين السنتين متشابهين . ولا ريب في ان ما تديناه من فيض
١٩٠٣ لا سيما فيما يختص بحر الجبل قد ذهب بالنظريات التي اقيمت من
قبل في هذا الشأن فقلبها رأساً على ذنب حتى آل الامر الى تعديل الخطة
العامة في المشاريع التي هي اليوم في نقطة البحث والتنقيب لاصلاح شان

البحر الابيض تديلاً كلياً . قلت واما التصرفات المدرجة في هذا الكتاب فقد استخرج عامتها مهندسون اكفاء متجربين في ذلك منتهى الدقة والضبط معتمدين في مقاساتهم على مقاس بريس وكانوا يقيمون دواماً على تحريره وضبطه . وها انا ذا اكر فيما يلي بمجل ما تيناه بالارصاد من تصرف كل نهر على حدته فاقول^(١)

اولاً نيل فكتوريا — تعرفنا تصرف هذا النهر في نقطتين مفروضتين الواحدة قبلي جنادل ريبون عند منبعه من بحيرة فكتوريا والاخرى تكون بحري جنادل مركيكن على تسعة عشر كيلومتراً او قبلي مندغمه ببجيرة البرت على اربعة وعشرين كيلومتراً فكان في الثاني والعشرين من يناير سنة ١٩٠٣ في النقطة الاولى خمسمائة وثمانية واربعين متراً مكعباً في الثانية وفي العشرين من مارس من تلك السنة في النقطة الثانية خمسمائة وسبعة وسبعين متراً في الثانية فيكون الفضل بين النقطتين تسعة وعشرين متراً في الثانية . واذا نظرنا الى سرعة جريته وتباطؤها في جوف بطيحة شوجا نرى ان المياه المنطلقة من بحيرة فكتوريا يوم تكون مياه النهر والبطيحة منخفضة تبلغ فاجاو في نحو اثني عشر او ثلاثة عشر يوماً . وعلى رابطة هذه الجرية تكون المياه التي اجتازت النقطة الثانية في العشرين من شهر مارس قد خرجت من بحيرة فكتوريا في السابع او الثامن منه . ويدل مقياس جنجا على ان منسوب مياه البحيرة في هذين اليومين كان أعلى منه في الثاني والعشرين من شهر يناير وهو اول يوم استخرج فيه تصرفها . بمعنى ان تصرف نيل فكتوريا

(١) تقدم ان ارصاد التصرفات قد خُصّت بالبحرين الابيض والازرق واستخرجت لنقطة واحدة في كل منهما واقعة قبلي الخرطوم . ولعلم انه لقلة عدد العمال المختصين بذلك تعذر استخراج التصرفات في القطع الاخرى القصوى من النهر فما كانت تستخرج الا في احياء الاستطاعة والامكان

في العشرين من مارس سنة ١٩٠٣ الى الشمال عن جنادل مركيُصن لم يكن ذلك مقداره إلا لأن منسوب البحيرة كان اعلى منه في الثاني والعشرين من يناير من تلك السنة يوم تعرفنا تصرفه عند مخرجه. وبحسب جداول التصرفات التي استخرجها المستر جريج عند جنادل ريبون يكون هذا الارتفاع معادلاً لتصرف مقداره ٥٦٧ متراً مكعباً في الثانية عند جنجا^(١). وعلى ذلك تكون الزيادة قد انتقصت عند فاجاو بقدر عشرة امتار مكعبة في الثانية. ولما كان لا يتسنى الوصول الى مثل هذه الغاية بعينها باستطلاع مقدار التصرف في نقطتين مختلفتين من مجرى النهر مها بولغ بالاحتياط والتدقيق لبلوغ هذه الغاية فلا غرو ان بينا انه على رغم ما يجلب اليه من الانهار الممددة كنهر كافو وغيره بحري بطيحة شوجا فان مقدار مادته في ايام الجفاف بحري جنادل مركيُصن لا تكون اوفر منها في جنادل ريبون عند جنجا. وللبطيحة اثر ظاهر في أمر الموازنة حتى لقد يُرى ان تصرف النيل عند مخرجه منها يكون اقل مقداراً مما يقع اليه من المياه فان مياه كافو وممدات اخرى غيره تتجلب اليه من الاقطار الواقعة الى شمالي تلك البطيحة ولا بُد من انها تزيد في مقدار مادته زيادة تذكر. وربما كان التصرف المستخرج في العشرين من شهر مارس عند فاجاو متقارباً من أدنى مقدار. يقول رجال الادارة واهل الاصقاع الواقعة في طُفوف وجوانب بُتيا بوان مياه بحيرة البرت كانت في ذلك الحين على اقصى انخفاضها^(٢). ومن جداول المستر جريج فيما يختص بفاجاو يتضح ان معظم تصرف النهر في تلك النقطة يكون الفأ وخمسة امتار مكعبة

(١) راجع الملحق الرابع في هذا الكتاب

(٢) اي في سنة ١٩٠٣. واعلم ان احط ما رُصد من المناسيب في السنة الدائرة كان احط من ذلك بسبعة سنتيمترات فقط وفي سنة ١٩٠٢ كان النهر عند وادلاي احط من اقصى انحطاطه في عام ١٩٠٣ وربما كانت بحيرة البرت كذلك

في الثانية^(١) وربما كان ذلك في قرابة الصحة للأسباب التي تقدم لنا إيرادها في الورقة المائة والرابعة والستين من هذا الكتاب . أقول وهذا المقدار يفضل معظم تصرف النيل عند جنادل ربيون بثلاثمائة وخمسة وخمسين متراً مكعباً في الثانية^(٢) . أما الجداول المتقدم ذكرها فقد استخرجت من رصد فرد في كل من الموقعين ولذلك يصح أن تُعدّ من حيث التقريب أفضل ما وُضع في هذا الشأن

هذا ومما لا يكاد يرتاب فيه أن مقدار ما تستفيضه بحيرة البرت بمياه نيل فكتوريا لا يكون في أبان الفيض إلاّ اعظم مما تدره بحيرة فكتوريا عند جنجا وشقة ما بين الموقعين زهاء اربعمائة وثمانية امتار ومنطقة مضاجع السيل ومفيضها مستوسمة الاطراف . اذاً يجب أن يكون الفرق في فصل الشتاء هائلاً لأن نهر كافو وانهاراً أخرى ترمي الى النيل فتتمده كثيراً وهي واقعة شمالي بطيحة شوجا ولذلك كانت هذه البطيحة لا دخل لها في موارد تلك الانهار ثانياً بحر الجبل - تدرج مسافة هذا البحر فيما بين بحيرة البرت ونقطة اتحاد بحر الغزال بالبحر الابيض قبالة بطيحة نو مدّى يبلغ مقداره ألفاً ومائة وستة وخمسين كيلومتراً . - خذ جدول التصرفات الملحق بهذا الكتاب ترّ تسعة عشر تصرفاً قد استخرجت في هذا البحر من مايو سنة ١٩٠٠ الى آخره سنة ١٩٠٣ وذلك في اماكن متباعدة من مجراه وفي حصص مختلفة من السنة^(٣) . وينضم الى هذا التصرفات المستخرج عند وادلاي في

(١) انظر الملحق الرابع . هذا بحساب أن معظم الفيض يكون اعلى من منسوب عشرين مارس بمقدار متر واحد وذلك يطابق معالم الفيض

(٢) انظر الملحق الرابع للمستخرج فقد ورد فيه معظم التصرف عند جنجا هو ستمائة وخمسون متراً مكعباً في الثانية

(٣) انظر الملحق الرابع في هذا الكتاب

العشرين من مارس سنة ١٩٠٣ وهو التصرف الفرد المرصود قبلي شلالات دوفيله . ومنها ستة تصرفات استخرجت جنوبي الكيلومتر السبعائة من بحيرة البرت اي قبلي النقطة التي يفوص النهر عندها في سبخة كبرى مديدة تعرف هناك بالسد . واما الاثنا عشر تصرفاً الاخرى فقد استخرجت في اماكن متفارقة من مجراه في الانقع^(١) . قلتُ وأول ما يعتد به من تصرفات البحر ما استخرج قبالة وادلاي كما تقدم لانه اقربها الى مخرج بحيرة البرت ومقداره ستمائة وستة واربعون متراً مكعباً^(٢) وهو يزيد بقدر تسعة وستين متراً مكعباً في الثانية عن تصرف نيل فكتوريا قبالة فاجاو المرصود قبيل ذلك بيومين . وهذه الزيادة سبب آخر غير الصعوبة التي تقع في التطبيق بين تصرفين منفردين تطبيقاً تاماً على نحو ما ذكرناه آنفاً وهو ان في برمايين بحيرة البرت ووادلاي انهاراً جهة ترمي الى هذا البحر فمنها ما ينجب اليه من الجانب الشرقي كنهر تنجي ونهر اشوى ونهر أومي ومنها نهر او اثنان لا نعلم لهما اسماً يقمان فيه من جانبه الغربي . ويكون تصرفا اشوى وأومي حينئذٍ (وقد ضمماً معاً) بمقدار ثمانية وثلاثين متراً مكعباً في الثانية وربما تحلبت فيه مياه أخرى يحملها اليه نهر تنجي او الانهار الغربية ذلك ما لم يكن في استطاعتنا تحريه وسبر مقداره . فلا حرج اذاً لو قلنا ان التصرفين المتقدمين بينهما

(١) تجد في الكشف الملحق بهذا الكتاب ارساد خمسة تصرفات اخرى لبحر الجبل واحد ليني وآخر لدو بلزك وآخر لبُنْسَه وآخر لبُثْرِك وكلها ارساد سنتي ١٨٦٠ و ١٨٦١ . اما ارساد دو بلزك فمفلوط فيها . واما الارصاد الاخرى فلم يعمل بها في صدد هذا الكتاب لان ارساداً اخرى احدث منها واضبط قد غيبتها فطمستها

(٢) كان رقم مقياس وادلاي في العشرين من شهر مارس اثنين وخمسين سنتيمتراً ثم هبط في ابريل الى خمسة واربعين سنتيمتراً اي انه نقص سبعة سنتيمترات عما في مارس . هذا في سنة ١٩٠٣ واما في سنة ١٩٠٢ فقد تدرج الرقم هبوطاً حتى بلغ خمسة سنتيمترات

يتطابقان ويتكافأان الى حدٍّ معدود وان مقدار ما استدّره البحر من البحيرة في ذلك الاوان هو بقدر ما وقع فيها من نيل فكتوريا . وبحسب جداول التصرف الملحقة بهذا الكتاب يكون تصرف هذا البحر عند وادلاي اعلاه تسعمائة واربعة وسبعين متراً مكعباً في الثانية وادناه خمسمائة وثمانية وثلاثين^(١) . واذا اجرينا مقارنة بين معظم تصرفي فاجاو ووادلاي نراه لزاز السوى في المكانين . ويحضرنا انه اذا صدق الحساب تكون ممدات البحر من الانهار الرامية اليه لا تزيد قطرة ماء في ابان الفيض وهو امر غير معقول لا يستند اليه فان كثيراً من تلك الممدات الجارية واخصها نهر اشوى وأوي انهار لها ذكر . والمعقول انه لا بد من ان تزيد في جملة التصرف عند وادلاي زيادة كبرى . فلك من ذلك احد امرين اما ان تكون جداول التصرف مغلوطة فيها او ان جرم ما ينطلق من مائها في ابان الفيض قد انتقص على قدر . واعلم ان قاعدة كل جدول من هذه الجداول ان هي الا سبر فرد لا تلوه الامر الذي لا يتمشى الى دقة وضبط وعدا ذلك فان عامة الحسابات تُريك ان مياه نيل فكتوريا ايام تكون في جمام مدها نظم مستوسع البحيرة جملة وان تصرف هذه البحيرة عند منطلقها ليس بالمحتوم (في مثل هذه الحال) ان يكون معادلاً لمقدار ما تجلبه اليها ممداتها من المياه^(٢) على ان ذلك كله ليس الا من باب الظن والتخمين . والمعلومات فيما يختص بفيض بحيرة البرت او نيل

(١) انظر الملحق الرابع وفيه جمل المسترجع اقصى الفيض خمسة سنتيمترات وهو ادنى ما بلغته المياه بمقياس وادلاي واقصى الفيض مترين وهو ما يعادل تصرفاً قدره الف متر مكعب في الثانية على ان النهر لم يسبق له قط ان يمد حتى يصير ماؤه الى مترين في ذلك المقياس . ومعظم ما بلغه فيه الى اليوم لا يجاوز متراً واحداً وثلاثة وتسعين سنتيمتراً في آخرة نوفمبر سنة ١٩٠٣

(٢) شاهد فلكن البحر جرية في عام ١٨٧٩ تذهب في سمت جنوب الجنوب الغربي قبلي البحيرة عند مجتمع نيل فكتوريا به وعانها ايضاً تذهب في سمت الشمال طالبة له

فكتوريا وغيضها قليلة جداً حتى لا يتسنى استخراج الفرق بالتبادل بينهما في ازمان من السنة . وجل ما يقال في هذا الشأن ان الجداول مسندة الى طريقة معلومة وسبب ذلك مدزج في مقالة المستخرج^(١)

قلت وليس من ارباد لقطع هذا البحر شمالي وادلاي الواقعة في تضاعيف منطقة الشلالات ما خلا رصداً واحداً ليس فيه جزئيات يصح الاعتماد عليها بتاتاً^(٢) . هذا ولقد استخرجت تصرفات أخرى بعد سنة ١٩٠٠ في جوار لادو عند الكيلومتر الاربعائة والسابع بحري بحيرة البرت هناك غابت الشلالات فكان البحر ماراً على سنده لكنه متعدد الشعاب الا فيما ندر^(٣) . اما التصرفات المستخرجة عند تلك البلدة فهي ذات بال كما سنبينه فان الشأن الذي نريد انما هو اطلاع جرم مياه البحر في فيضيه وفي اقصى غيضه قبيل شروعه في منطقة المساكات ولقد استخرجت تصرفات مثلها بحري أنقع المساكات قارناًها بها فتبين لنا مقدار ما ينعدم من الماء في تلك القطعة في خلال السنة حاصل ذلك من التبخر في المناقع التي على كلا شعبي البحر وهو تبحر يتزايد بافتراق مجراه بجملة مجارٍ يعدم هو فيها انحدار طبقه وجرية وبقيام الاعشاب الملتفة فيه (وهو يشق مسلكه من بينها) فانها تقيم على امتصاص مادته فتتقصها . وحاصل هذه التصرفات هو من الغرابة بمكان ولا سيما التصرفات التي استخرجت بالاسبار في جمام فيض ١٩٠٣^(١)

(١) انظر الملحق الرابع

(٢) في ذلك تنويه عن تصرف استخرجه بني المهندس عند جنادل ما كيدو في سنة ١٨٦١ ومقداره خمسمائة متر مكعب في الثانية اثناء الجفاف

(٣) في الشقة ما بين لادو وبطيحة نو لا يسير البحر في مسيل فرد بل يكون منشعباً في عدة شعاب وفي هذه الشقة ايضاً يكون في مجريين متفارقين ولكننا عولنا على انتقاء هذا الموقع لاننا توسمنا فيه الصلاح للوصول الى الغرض المطلوب

(٣) كان هذا الفيض في هذا البحر وفي البحر الابيض متناهيًا في الجمام

ويوجد أربعة تصرفات للنيل عند لادو اثنان منها استخرج احدهما في الثامن والعشرين من مارس سنة ١٩٠١ والآخر في اول ابريل سنة ١٩٠٣ كلاهما يوم كان النهر قريباً من اقصى غيضه فكان اولهما ستمائة وثلاثة وعشرين متراً مكعباً في الثانية والآخر ستمائة وثلاثة وتسعين . والتصرفان الآخران استخرج احدهما في التاسع من سبتمبر سنة ١٩٠٢ والآخر في التاسع منه سنة ١٩٠٣ وكلاهما يوم صار النهر الى منتهى فيضه فكان اولهما الفاً وتسعة وسبعين متراً مكعباً في الثانية والثاني الفاً وتسعمائة وخمسة وثمانين^(٢) . هذا وفي ربيع سنة ١٩٠٢ لم تباشرا سبار اذ كان في غير الامكان ان يبعث بركب الى الاقطار القبلية القصية في قادمة السنة لهذا الغرض . اما مناسيب البحر في شهري مارس وابريل من سني ١٩٠١ و ١٩٠٢ و ١٩٠٣ فقد كانت مع ذلك متقاربة الارقام والشاهد على ذلك سجل المناسيب بمقياس كُنْدُكُرُو^(٣) كما في هذا الجدول

التاريخ	المنسوب سنتمترات
غرة ابريل سنة ١٩٠١	٠,٠٩
١٩٠٢ " " "	٠,١٥
١٩٠٣ " " "	٠,٤٩

والضخّم وربما كان من اعظم الفيوض فيهما كما دلت الارصاد على ذلك (٢) قد ثبتت صحة هذا التصرف من تصرف آخر مستخرج في الرابع عشر من ذلك الشهر اي شهر سبتمبر عند مُنْجُلَا على سبعة وثلاثين كيلومتراً من لادو الى الشمال عنها ومقداره الفان وستة واربعون متراً مكعباً في الثانية

(٣) اقيم هذا المقياس في اوائل ابريل من عام ١٩٠١ فاذا طُلب التصحيح يمكن مقارنته بالمقاييس القديمة . ولكن لن يُنْزَفِي هذا الصدد نبذة ملحقة بهذا الكتاب بياناً لهذا التصحيح

وبما ان تصرف البحر في ربيع ١٩٠١ قد استخرج في الثامن والعشرين من شهر مارس اي قبل غرة ابريل بثلاثة ايام فقط يصح القول اذاً بان منسوبي ١٩٠١ و ١٩٠٢ في اول شهر ابريل جاءا نظيرين عديلين^(١) وبالقياس يكون تصرفا العامين المذكورين في ذلك اليوم عديلين ايضاً متكافئين . قلتُ ويفضل منسوب اول ابريل سنة ١٩٠٣ مثله في اول ابريل سنة ١٩٠١ بقدر اربعين سنتيمتراً وهو يفضل ايضاً منسوب سنة ١٩٠٢ في ذلك اليوم بمقدار اربعة وثلاثين سنتيمتراً ومع ذلك فان تصرف سنة ١٩٠٣ ينفى على تصرف سنتي ١٩٠١ و ١٩٠٢ بما يعادل سبعين متراً مكعباً في الثانية^(٢)

هذا واذا تطلعنا مناسيب الفيض بمقياس كندكرو خلال شهر سبتمبر في الثلاث السنين المذكورة نرى بينها تمايزاً وبوناً شاسعاً والفيض يصير الى اقصاه في ذلك الشهر . وهاك جدول هذا التمايز مأخوذاً عن ارصاء اليوم التاسع منه

المنسوب	التاريخ
٠,٦٨	التاسع من سبتمبر سنة ١٩٠١
٠,٨٥	١٩٠٢ " " "
٢,٣٩	١٩٠٣ " " "

(١) ليس بين المنسوبين اختلاف الا بقدر ستة سنتيمترات

(٢) هالك جدولاً بمتوسط المناسيب بمقياس كندكرو في الثلث الاول من شهر ابريل من كل سنة من السنين الثلاث التي نحن بصدددها

المنسوب	التاريخ
٠,١١	الثلث الاول من ابريل سنة ١٩٠١
٠,١٢	١٩٠٢ " " "
٠,٤٨	١٩٠٣ " " "

ولك من ذلك الفرق الأقصى بين فيض السنة الدارجة والسنتين اللتين درجتا قبلها . فان فيض سنة ١٩٠١ كان مُفرطاً في الانحطاط حتى لا اظن البحر قد صارت مياه فيضه في سنة ما الى اُحط من ذلك^(١) . ولما كان فيض سنة ١٩٠٣ غامراً الى حد الافراط صح ان يُعدَّ فيضهما جامعاً طرفي الفيوض اعلاها وادناها^(٢) واليك جدولاً بمؤدّي ما تقدم من المناسيب

الفيوض		الفيض	
المنسوب	التاريخ	المنسوب	التاريخ
٠, ٦٨	التاسع من ستمبر	٠, ٠٩	غرة ابريل (٢٨ مارس) ١٩٠١
٠, ٨٥	" " "	٠, ١٥	" " " ١٩٠٢
٢, ٣٩	" " "	٠, ٤٩	" " " ١٩٠٣

وبالاستقراء تكون التصرفات المستخرجة بالاسبار والمنقولة عن جدول

- (١) مناسيب سبتمبر سنة ١٩٠٢ كانت اصح من مناسيب ١٩٠١ ولكنها ما زالت اُحط من المتوسط
- (٢) هاك جدولاً بمتوسط المناسيب بمقياس كندكروفي الثالث الاول من شهر سبتمبر من كل سنة من السنين الثلاث الاخيرة

المنسوب	التاريخ
٠, ٦٦	الثالث الاول من سبتمبر ١٩٠١
٠, ٨٨	" " " " ١٩٠٢
٢, ٢٤	" " " " ١٩٠٣

التصرفات عند كندكرو^(٢) بمقدار ما تراه في الجدول الآتي

ملاحظة	التصرف امتاراً مكعبة في الثانية	ارصاد المقياس	التاريخ
مستخرج	٦٢٣	٠, ٠٩	غرة ابريل (٢٨ مارس) ١٩٠١
منقول	٩١٦	٠, ٦٨	التاسع من سبتمبر
منقول	٦٦٧	٠, ١٥	غرة ابريل ١٩٠٢
مستخرج	١٠٧٩	٠, ٨٥	التاسع من سبتمبر
مستخرج	٦٣٣	٠, ٤٩	غرة ابريل ١٩٠٣
مستخرج	١٩٨٥	٠, ٣٩	التاسع من سبتمبر

واعلم ان منتهى الفيوض عند كندكرو متقاربة المواقيت فانها حادثة في كل من هذه السنين الثلاث في أخريات أغسطس أو في شهر سبتمبر بخلاف مواقيت اقصى الفيوض فانها تتفارق وتباعد شاهدك ان احط ما رقة المقياس في غيض ١٩٠١ كان احد عشر سنتيمتراً في السابع والعشرين والثامن والعشرين من فبراير ومنتهى فيضه كان في السادس عشر من أغسطس ومدلول المقياس يومئذ متر واحد وربع . وان احط ما جاء به المقياس في غيض ١٩٠٢ في الثالث والعشرين من يونيو كان ثلاثة عشر سنتيمتراً ونهاء الفيض فيها وقع في الرابع والعشرين من أغسطس وكان متراً واحداً وخمسة وسبعين سنتيمتراً . وازيدك ان اقصى الفيض في ١٩٠٣ كان في الرابع من ابريل ومبلغه ثمانية واربعون سنتيمتراً . وبلغ جمام الفيض في الثالث والعشرين من سبتمبر ومقداره متران وستة وتسعون سنتيمتراً . هذا ولو ان مقدار هذا الجمام يجوز حد الجمام في ٩ سبتمبر (يوم استخرجنا مقدار التصرف) بمقدار سبعة وخمسين سنتيمتراً فليس بالمتحتم ان يكون جرم ما مرّ

بكنذكرو من المياه قد تزايد على هذه النسبة . وارتفاع درجة الفيض على المقياس بهذه الصورة لم يلبث الا اياماً قلائل ولا بد من ان يكون جمهور من الماء قد ذهب هدرًا منسرباً الى البطائح والمناقع . واما معظم تصرف البحر عند لادو فلا احسبه الا الي متر مكعب في الثانية أو أزيد ومتوسطة في ابريل فيما بين ستمائة وخمسة وعشرين متراً وسبعمائة متر مكعب في الثانية واحطه اقل من ذلك بكثير لان احط ما كان بمقياس كندكرو وهو اقل من منسوب ٢٨ مارس سنة ١٩٠١ باثنين وعشرين سنتيمتراً فقط وفي ذلك اليوم بلغ التصرف ستمائة وثلاثة وعشرين متراً مكعباً في الثانية . اذاً لا يكون ادنى التصرف قبالة تلك البلدة اقل بكثير من ستمائة متر مكعب في الثانية

ثم ان اختيار لادو اي كندكرو نقطة لاستخراج التصرفات مسألة نقبنا عنها وتحريناها قطعة من الدهر فان هذه النقطة غاية في الاهمية لانها المكان الفرد الذي يتاح لنا فيه سبر البحر واختبار تصرفه قبيل دخوله في منطقة المآجل والمناقع وفقدانه القدر الجسيم من جرمه ^(١) . ولقد أدت بنا تصرفات هذا

(١) اقول ان التصرف الذي استخرج عند لادو في سنة ١٩٠١ لم يكن بعيداً قصياً عن الصحة . ورد في الكتاب الازرق في فصل « الديار المصرية » المقالة الثانية في صحيفتي ٤٥ و ٤٦ ما يأتي قال « والقطاع المرضي للنهر على نحو ما تطلّعناه في شهر مارس الماضي قبالة لادو اذا ناظرناه بدرجة ارتفاع ماء الفيض في السنة السايفة تكون مساحته ألفاً وسبعة امتار مربعة . ثم ان جحام مياه الفيض في سنة ١٩٠٠ لم يتجاوز متراً وعشرين سنتيمتراً ارتفاعاً عن منسوب اقصى الفيض . قال شيلوان مياه الفيض الزاخر في سنة ١٨٧٨ بلغت فوريتها بمقياس كندكرو مترين ونصفاً ارتفاعاً عن منسوب اقصى الفيض . قال وذلك يفضي الى زيادة قطاع الفيض فيكون مبلغه ألفاً ومائة وواحداً وتسعين متراً مربعاً . واما جرية الماء فيكون مبلغها يومئذ قريب متر ونصف في الثانية وربما بلغت في الفيض العميم ما لفاً أوفر جداً فاذا طابقنا ذلك على مساحة القطاع في سنة ١٩٠٠ لحصل لنا تصرف قدره ألف وخمسمائة متر في الثانية وهو

البحر التي تعرفناها في سنة ١٩٠١ الى تخيل مقدار ما ينساح منه في ازمان الصيف الى المناقع ومناطق المساكات لكن تلك التصرفات لم تكن لتعرف بها احوال النهر في ايام فيضه تلك احوال لا تزال في حيز الغموض . هذا ولقد رأينا انه للإحاطة بجزئية ماء النيل الاعلى في ايام فيضه يجب بالضرورة رصد التصرفات حينئذ . على اننا قد تعذر علينا في ذلك العام لدواعٍ متضاربة ان نسير الى تلك الاقطار الجنوبية النائية ركباً يتولون تلك الارصاد لكننا في العامين اللذين ولياه انقذنا بالمستركريج من ديوان المساحة المصرية الى تلك الاصقاع في فيضين متوالين قتهياً له أن رصّد التصرفات التي سبقت الاشارة اليها في طي هذا الكتاب بل جاء بأسبار جمة تبينها في اماكن متباينة المواقع من بحر الجبل والبحر الابيض وممداته شمالي بطيحة نو والمساكات فكان لأسبار واستقصاءه وقع مستطاب ألا انها قد مكنتنا من استيعاب ما يحول في النهر من الاحوال بالنظر الى تراوح مائه بين هبوطٍ وصعود .

قلت وبعد تصرف منجلاً الذي استخرجناه في عام ١٩٠٣ كما تقدم وهو جزء من تصرفات لادويجيء في الاهمية التصرف المستخرج قبالة بور وهو عن بحيرة البرت قيد خمسمائة وسبعين كيلومتراً

تقدم ان تصرف النهر عند لادو في التاسع من سبتمبر بلغ ألفاً وتسعمائة

ما يقارب ما استخرجه لمبرديتي . ولا خفاء ان فيض سنة ١٩٠٠ جاء قصيراً وان جمام فورته كانت فيما دون المتوسط . فيؤخذ من ذلك ان تصرف متهى الفيض في أعالي النيل يكون النفي متر في الثانية وهو تقدير غير مبالغ فيه . اما كمية ما ينساب من مبلغ هذا التصرف الى البحر الابيض ومقدار ما يذهب من المناقع بخاراً في الهواء فليس لهما عندنا علم ولا خبر وليس علينا باليسير التسليم بما أتى به لينان باشا في هذا الشأن اذ جعل التصرف عند الخرطوم على قدر خمسة آلاف وتسعمائة متر في الثانية . انتهى

وخمسة وثمانين متراً مكعباً في الثانية وعند مُنْجَلَا في الرابع عشر منه صار الى الفين وستة واربعين متراً مكعباً في الثانية . ولقد استخرجناه في الخامس عشر منه حيال بور فاذا به قد هبط الى ثمانمائة وثمانية وثمانين متراً مكعباً غير انه لم يكن ذلك حد جهامه في تلك النقطة فان حصّة من الماء تنساح في مسيل له على الجانب الغربي يقال له مسيل الياب ينتهي الى الغدير الاكبر عند الكيلومتر الخمسمائة والتاسع والسبعين . وليس هو بذى شان كبير فان سمته لا تتجاوز ثلاثين متراً وهو ضحوضحاح قريب الغور لا يكون معظم تصرفه في ابان الفيض اكثر من مائة متر في الثانية واذا عدّ تصرف بور الف متر مكعب في الثانية فلربما يكون ذلك فوق صحيجه لادونه^(١) . فعلى ذلك يكون النهر في شهر سبتمبر

(١) يسوء كل من يعينهم الامر ان ليس لبور الا تصرف واحد وهو تصرف الفيض دون الفيض فلو وقع لنا ان نعرّفنا مقدار ما يتبدّد من المياه في ابان القبط بالقياس الى مقداره في ابان الفيض لكان ذلك على ما لا يقدر من الاهمية والشأن في ما يتعلق بالمشاريع التي يُتطرق اليها فيما بعد لمنع تبدّد المياه حتى يُرتفق بالابراد كله . وما كان ذلك الا لان اللذين عهد اليهم البحث في خصال النيل قد اخطأوا في تدبّر الحقائق وتطلّعها فانهم ظنوا (وربما كان ظنهم من الظاهر صائباً) ان التبدّد الصحيح حاصل في المناقع التي الى شمالي بور . وقالوا ان ارض الساحلين الى جنوبي تلك النقطة تكون في الاشهر الأولى من السنة غليظة جافة بالنسبة الى غيرها وانه ولو ان النهر هناك ينشعب بشعاب عديدة فانشعابه على هذه الطريقة موقوت فلا تلبث تلك الشعاب الشريفة ان تهتدي راجعة الى المسيل الاصلي . هذا ما خيّل لهم ان التبدّد طفيف لا يعتدّ به . أقول وقد ظهر الآن ان تصورهم هذا باطل ويلزم البطائح والغدران المفترشة على الجانب الغربي ان تستنزف دوماً جرماً عظيماً من ماء النهر . هذا ويسوّنا ان هذه الحقيقة جاءت مستأخرة عن هذا الكتاب . ولا خفاء ان الارصاد عند بلدة بور غير وافية لا يُتعرّف بها ما يتبدّد من ماء النهر في ابان فيضه الا في مسافة ما بين تلك البلدة وبلدة لادو وليس فيها ما يشير الى مقدار ما يتبدّد في تلك المسافة في ابان الفيض (راجع التصرفات المستخرجة في سنة ١٩٠٤ في الملحق السادس من هذا الكتاب)

سنة ١٩٠٣ قد ذهب من مائه خمسون بالمائة فيما بين منجلا وبور ومسافة ما بين المكانين مائة وثلاثة وثلاثون كيلومتراً فقط وذلك قبل شقه في الغدران والبطائح والمسالكات . ولا عبرة بفترة ما بين استخراج التصرفين في تقدير الفرق لانهما لم تكن الا يوماً واحداً فقط . ولقد حملتنا هذه الحادثة على العجب العجيب فاننا لم نكن نتوقعها فلولا ان التصرفات المستخرجة في اماكن من النهر الى الشمال عن بلدة بور تدل على انتقاص مستمر فيه كلما تناءى مسيراً في سمت الشمال لكان في صحة تصرف بور نظراً وتشكيك وليس الا حادثة واحدة تلقي الريب في ما اذا كانت ارساد اليوم السادس عشر من سبتمبر تدل بالحق على مقدار التبدد عند تلك البلدة بما يتهارب على جانبي النهر من الفيوض والصبابات . وتحرير ذلك هو ان المستخرج كان قبل ان يباشر اسبارة ومجاسه قد اقام مقياساً قبالة غابة شمي على مائتين وخمسة كيلومترات عن بور شمالاً وكانت المياه في هذا المقياس تتزايد شيئاً فشيئاً عدة ايام متوالية قبيل مباشرة اسبار تلك النقطة ولم تنزع الى الانخفاض الا في اليوم الرابع من نوفمبر^(١) . وبما ان الراصدين قد سفروا من منجلا الى بور ركوباً على ظهر بخارية فلعلهم بذلك قد ادركوا بور قبل مجيء نهاء الفيض وانه لما استخرجوا التصرف قبالة تلك البلدة لم يكن جهامه قد انتهى الى تلك النقطة . هذا وعكس هذه النظرية ان مياه النهر عند كندكرو كادت تكون في عامة سبتمبر على طريقة واحدة وكان رقم المقياس مترين واربعة وخمسين سنتيمتراً في الرابع منه وقد تفاضل على مترين فيما بين التاسع والسادس عشر . ولما كانت بعدة ما بين كندكرو وبور لا تتعدى مائه وخمسة وسبعين كيلومتراً ومتوسط جرية النهر خمسة كيلومترات في الساعة لزم من ذلك ان تكون زيادة المد التي جاءت في ذلك

(١) لم تكن الزيادة هناك كبيرة من بعد اليوم السادس عشر من سبتمبر فانها

لم تتجاوز اثنين وعشرين سنتيمتراً ولكنها كانت ثابتة طويلاً المكث

اليوم قد افضت الى بور في مدّى يكون دون يومين لكنها لم تستتب هناك
بجملتها في تلك المدة . نتج من ذلك ان المياه في سيرها لم تعتمد مسيل النهر
اضطراباً بل كانت في جريها تغادره منسكبة في المناقع والبطائح فيكون منها
في منفسح الوادي حشدٌ حافل بالماء هائل الجرم . وكون ذلك قد وقع في عام
١٩٠٣ (وهو واقع ايضاً بمقدار في كل فيض عند تلك النقطة) امرٌ يكاد لا يكون
مظنّة ريب . ألا ترى ان عامة وادي النهر في شهر سبتمبر من العام
الماضي قد استبحر وغمرته المياه فكنت لا تبصر في اديمه يلساً الا بعض الهضبات
متضايقة المهيئات ^(١) وكثيراً ما تكون فيها هبطات تجملها متفاصلة الاجزاء
وتكون الاكباس التي يقيمها امم تلك الاقطار في سفوحها في ازمنة الفيض
غاطسة في الماء الى حد اغميتها ^(٢) وقد هجرها اهلها ذاهبين اعراض البر
وكنت ترى على طبق هذا اليم مراكب مجرأة على متنه في كل وجهة وصوب .
وكذلك الاشجار غمرتها المياه الى حدٍ من سوقها .

قلت فيفهم مما تقدم ان فيضاً عرماً على رسم هذا الفيض وطريقته ينساح
ولا ريب من مائه في اتياه من مهب الجنوب مقادير جسيمة وتكون طفاح
الوادي وهناك تكون مكثّة لا سبيل لها الى الصوب الشمالي ومن ذلك قلة
وانحطاط في مقدار تصرف النهر ومغزى ذلك قريب للمدارك بالحجة الآتية
ان مسافة طول هذه البطيحة تعتبر من كندكرو الى نقطة مجمع بحر
الزراف وهناك مبتدأ المناقع شقّة قدرها ثلاثمائة وثمانية وسبعون كيلومتراً
فاذا فرض متوسط عرض المغمور خمسة كيلومترات وذلك دون الصحيح

(١) جمع مهيّدة تصغير مهيّدة وهي ما انبسط من راس الهضبة في سهولة
واستواء (المعرب)

(٢) جمع غما وهو سقف المسكن (المعرب)

لا فَوْقَهُ تكون فِساحَةُ المِستبحر ألفاً وثمانمائة وتسعين كيلومتراً مربعاً فكل طبق من الماء يفتش تلك المساحة وسَمَكُهُ سنتيمتر واحد يكون تصرفاً يفقدهُ النهر قدره مائتان وعشرون متراً مكعباً في الثانية فإذا كان جِمام الماء في البطيحة على دَرَكٍ أربعة أمتار ونصف يكون ما ينتقصهُ النهر في تصرفه ألف متر مكعب في الثانية . فمن ذلك يُتَبَيَّنُ أن المياه قبالة لادو تُفَعِّمُ مغيضاً فسيح التجوم وان هذه الحادثة من حيث استنزاف ماء النهر هي على شكل ما يجري ونه في صعيد مصر عند ملء الحياض في ازمنة الفيض . ولا يبطل انتقاص التصرف على نسبة مقدار التبدُّد الامتصاص طمت البطيحة طائفة بالماء ويُعَلَّلُ قيام الماء على الارتفاع استمراراً بمقياس غابة شمبي بأن البطيحة امتلاؤها بطي^(١) ومن المحتمل أنه كلما كان الفيض أكثر كان تبدُّد الماء عظيماً . ولا مشاحة في أن دوام الايراد^(٢) في بحر الجبل يُعزَى جِلُّهُ الى البطيحة فان لها في ذلك عملاً كبيراً وتعليله أنه متى انحسرت مياه النهر انساق اليه بحكم السليقة شيء كثير من تلك المياه الحاقنة متسلسلة به فتجعل ايراده مستديماً . ولا غرو فان كثيراً منها يذهب مترقياً في اديم السماء بخاراً من اجل انه كلما انفسح المغمور كانت منطقة التبخر في البطيحة واسعة الاقطار على انه يتخلف فيها ما يكفي لاستزادة ايراد النهر في اثناء اشهر الشتاء . وها انا آخذ في مسألة ما يتبدد من ماء بحر الجبل يوم يشرع هائماً في المناقع والبطائح فأقول تنشأ تلك البطائح في نقطة تبعد يسيراً عن غابة شمبي في مهب الشمال

-
- (١) ينشعب بحر الزراف في نقطة تكون عن غابة شمبي على مقربة منها في مهب الشمال وهناك قادمة منطقة المناقع فتكون تلك النقطة نهاء الطرف الشمالي للبطيحة
- (٢) الايراد كلمة في الديار المصرية يراد بها مقدار ما يرتفع ويتفج به من ماء النهر أو ماء احدى الترع لسقيا الزروع والاغراس (المرب)

عنها وتكون عن بحيرة البرت على سبعمائة وسبعين كيلومتراً وتواصل الطول
بغير انقطاع ولا انفصال شقةً أخرى تكون بقدر ثلاثمائة وتسعين كيلومتراً
حتى تقضي الى ملتقى بحر الجبل بالبحر الأبيض عند بطيحة نو. ولقد
استخرج تصرف بحر الجبل في عدة نقطٍ منه في تلك الانحاء^(١) وهناك
جدول تصرفه في منطقة المساكات

مقدار التصرف امتاراً مكعباً في الثانية	التاريخ	بعدة ما بين موقع الرصد وبحيرة البرت كيلومترات	نمرة
٥٣٢	١٨ سبتمبر سنة ١٩٠٣	٨٢٤	١
٣٩٨	٤ " " ١٩٠٢	٨٢٧	٢
١٨٠	٨ ابريل " ١٩٠٠	٨٩٥	٣
٣٣١	١٣ " " ١٩٠٣	٩٤١	٤
٣٧٥ ^(٢)	اول سبتمبر " ١٩٠٣	٩٤١	٥
٤٢٠	١٩ " " ١٩٠٣	٩٤١	٦
٣١٤	٢ " " ١٩٠٢	١٠٢٧	٧
٢٦٢	اول ابريل " ١٩٠١	١٠٣٦	٨
٢١٩	١٤ " " ١٩٠٠	١١٤٦	٩
٢٨٥	١٤ " " ١٩٠٣	١١٤٦	١٠
٣١٨	٣١ اغسطس " ١٩٠٣	١١٤٧	١١
٣١٥	٢٠ سبتمبر " ١٩٠٣	١١٤٧	١٢

(١) قد استخرج تصرف آخر في عام ١٩٠٤ وانت تراه في الملحق السادس
من هذا الكتاب

(٢) قد استخرجت هذه التصرفات الثلاثة في نقطة قريبة من حلة النوير
وهناك مرتفعات الجانب الغربي تحف بحرف النهر وهناك ينشط منه خليج يعرف
بمسيل جيج

وهاك جدول التصرفات المستخرجة لكل سنة من الثلاث السنين
المتقدم ذكرها في الجدول السابق

التاريخ	موقع الرصد	مقدار التصرف المتأثرا مكعبة في الثانية (١)
٨ ابريل سنة ١٩٠٠	عند الكيلومتر ٨٩٥	١٨٠
١٦ منه " ١٩٠٠	عند الكيلومتر ١١٤٦	٢١٩
١٩٠١ اول ابريل "	عند الكيلومتر ١٠٣١	٢٦٢
١٩٠٢ ٢ سبتمبر "	عند الكيلومتر ٨٢٧	٣٩٨
١٩٠٢ ٢ سبتمبر "	عند الكيلومتر ١٠٢٧	٣١٤
١٩٠٣ ١٨ سبتمبر "	عند الكيلومتر ٨٢٤	٥٣٢
١٩٠٣ ١٣ ابريل "	عند الكيلومتر ٩٤١	٣٣١
١٩٠٣ اول سبتمبر "	عند الكيلومتر ٩٤١	٣٥٧
١٩٠٣ ١٩ منه "	عند الكيلومتر ٩٤١	٤٢٠
١٩٠٣ ١٤ ابريل "	عند الكيلومتر ١١٤٦	٢٨٥
١٩٠٣ ٣١ أغسطس "	عند الكيلومتر ١١٤٧	٣١٨
١٩٠٣ ٢٠ سبتمبر "	عند الكيلومتر ١١٤٧	٣١٥

اما تصرف سنة ١٩٠٠ فتعذر اثبات القياس بينه وبين تصرف النهر قبلي
المساكات لانه لم يتيسر الشق في منطقة المناقع للوصول الى انحاء النيل الاعلى
ثم ليس في كندكرو سجل لارصاد المقياس وعلى ذلك يصح اغفال تصرف
٨ و ١٤ من ابريل تلك السنة في ما يأتي من أمالي هذا الكتاب في هذا الشأن
اذ هو لا يدل الا على ان ايراد النهر جاء مقللاً زهيداً جداً في الصيف . ومما
لا ريبه فيه ان مناسيب بحر الجبل والبحر الابيض كانت في ذلك الحين مفرطة
الهبوط وكان النهر في شطرة ما بين كدك والخرطوم هابط المنسوب الى درجة
بالغة حتى امتنع ركوبه في فترة ما بين يناير و ابريل واضطرت الحال الى تنفيذ

(١) تصرفات سنة ١٩٠٣ على ما ورد في هذا الجدول استخرجت قبالة حلة النوير

المراكب حملاً عند بلدي ابوزيد والجليل لان المياه في ذينك الموقعين بلغت ضخماحها فلم تقوَ على تعويم البواخر^(١) وقد ضنت السماء بغيثها في الاصقاع الشمالية من مستعمرة الأغندا وفي وادي النيل الاعلى فوق في ذلك المعمور جَدْبٌ اقحط أهله

ثم اذا عدنا الى الجدول الأول المتقدم بيانه واغفلنا تصرف ٨ و ١٤ أبريل من سنة ١٩٠٠ للأسباب السابق ذكرها نرى ان الموقعين الاولين اللذين استخرج عندهما تصرف بحر الجبل وقعا في الكيلومتر الثمانمائة والرابع والعشرين والكيلومتر الثمانمائة والسابع والعشرين . ولما كانا متجاورين جنبا لجنب فقد صح ان نعدّهما نظيرين . وكان استخراج التصرف في كليهما في شهر سبتمبر من سنتين متتاليتين وذلك في حين اقصى الفيض او قربه . وفي الجدول الآتي مقارنة تصرف هذين الموقعين بتصرف لادو وهالك الجدول

في سنة ١٩٠٢ (١)	
موقع التصرف	امتار مكعبة في الثانية
التصرف عند لادو في سبتمبر	١٠٧٩
التصرف عند الكيلومتر ٨٢٧	٣٩٨
مقدار التبدّد	٦٨١
في سنة ١٩٠٣	
التصرف عند لادو في شهر سبتمبر	١٩٨٥
التصرف عند الكيلومتر ٨٢٤	٥٣٢
مقدار التبدّد	<u>١٤٥٣</u>

- (١) كان ذلك في سنة جاء فيضها في اشهر الصيف الاول أقل من فيض اية سنة من السنين الخالية المعروفة المنايب
- (٢) من هذين التصرفين استخرج اوغلها الى الشمال اولاً وهو اقلها مادّة .

فسيتمين من هذا الجدول ان النهر في سنة ١٩٠٢ وهي سنة قصر فيضها وقد انتقص ماؤه في بعدة خلت عن لادو بقدر اربعمائة وعشرين كيلومتراً انتقاصاً يكون اربعة وستين بالمائة من مقدار مادته في حين انه في سنة ١٩٠٣ وهي سنة غامرة الفيض قد انتقصت تلك المادة في تلك الطية اربعة وسبعين بالمائة من مقدار جرمها الذي كان قبالة لادو^(١)

هذا والموقع الثاني الذي اوجب البحث عن امره انما هو حلة النوير او دك الياب وهي بلدة تقاصي بحيرة البرت بقدر تسعمائة وواحد واربعين كيلومتراً في مهب الشمال عنها . اقول والموقع موافق للغرض لان المرتفعات هناك تضافر كنف النهر الغربي . اما مؤدَى الثلاثة الارصاد التي بوشرت في تلك النقطة فواردة في الجدول وعامتها لسنة ١٩٠٣ رصد واحد منها بوشر في شهر ابريل يوم كان النهر في منتهى هبوطه والرصدان الآخران بوشرا في شهر سبتمبر يوم كان النهر في أوج فيضه او كاد . انظر الى المقارنة بين تصرف لادو وحلة النوير في سنة ١٩٠٣ تر ان التصرف عند لادو في اول ابريل كان ستمائة وثلاثة وتسعين متراً مكعباً في الثانية وفي الثالث عشر منه كان تصرف النوير ثلاثمائة وثلاثين متراً مكعباً في الثانية فيكون ما تبدد من ماء النهر ثلاثمائة واثنين وستين متراً مكعباً في الثانية وعلى ذلك يكون بحر الجبل في ابريل من تلك السنة قد فارقه من مادته في مدى خمسمائة واربعة وثلاثين كيلومتراً ثلاثة وخمسون بالمائة من مقدار جرمه يوم مبارحته بلدة لادو . اما

على ان مقياس كندكرو يتضح من ارساده ان مياه النهر قد استدامت على منسوبها في خلال تلك الحصة واقامت على هذا السن أيضاً حصة أخرى بعد ذلك بعيدة الامد

(١) الظاهر للباحث ان مادة نهرياي الهابط الى النقايع الواقعة من بحر الجبل الى غرييه بين موقع هذا التصرف وغابة شمبي لا فعل لها ولا أثر في اكثار او اقلال مياه النيل لا في فيضه ولا في غيضه

تبدد الماء في ابان الفيض فكان اعظم من ذلك بكثير وفي حلة النوير تصرفا شهر سبتمبر احدهما في غرة ذلك الشهر وقدره ثلاثمائة وخمسة وسبعون متراً مكعباً في الثانية والثاني في التاسع عشر منه ومقداره اربعمائة وعشرون متراً مكعباً في الثانية وهو أهمهما في القياس والمقارنة لانه استخرج قبيل استخراج تصرف لادو . وربما كان تصرف اول سبتمبر قد بوشر استخراجاً قبل بلوغ جمام الزيادة ومعهظمها الى حلة النوير . وعلى ذلك فالمقارنة تكون في ان تصرف لادو في التاسع من سبتمبر صار الى الف وتسعمائة وخمسة وثمانين متراً مكعباً في الثانية وتصرف حلة النوير في التاسع عشر منه الى اربعمائة وعشرين متراً مكعباً في الثانية ويكون ما تبدد من مادة النهر الفاً وخمسمائة وخمسة وستين متراً مكعباً في الثانية . والخلاصة ان جرم المياه التي جازت لادو قد خلا من ثمانين بالمائة منه عند حلة النوير . واعلم ان الفرع الذي وصفه الكبتن جيج في سنة ١٩٠٠ وكان هو اول واصفيه ينشعب من بحر الجبل على عدانه^(١) الغربي ولقد سبر جرم مادته الجارية^(٢) فتبين منها ان تصرفه يكون في ازمة الصيف اثنين وعشرين متراً مكعباً في الثانية وواحداً واربعين متراً مكعباً في الثانية في ابان الفيض . ولم يتصل بنا الى اليوم ما اذا كان هذا الفرع ينقلب راجعاً الى بحر الجبل هاجراً الغدران والنقائع الضاحجة في مهب الشمال او ان يكون كما زعمه بعضهم واصلاً بين هذا البحر ونهر رول الذي هو ممد من ممدات بحر الغزال اما تصرفات ذلك الفرع فطفيفة الى الغاية حتى لم يعتد بها في المقارنات المتقدم ذكرها .

ولقد استخرجنا التصرف في الشمال عن حلة النوير في موقعين آخرين من بحر الجبل احدهما عند الكيلومتر الالف والسابع والعشرين والآخر عند

(١) العدان ساحل النهر وجانبه (المغرب)

(٢) من قولهم نهر جارٍ أي دائم الجرية لا يجف ولا ينشف (المغرب)

الكيلومتر الالف والسادس والثلاثين ومن اجل انهما متلازيين متقاربين فلا غرو ان اعتدنا موقعا واحداً من حيث المقارنة . اقول ولقد استخرج تصرف واحد منهما في ربيع سنة ١٩٠١ والآخر في فيض سنة ١٩٠٢ — هذا وفي سلخ مارس سنة ١٩٠١ كان التصرف عند لادو ٦٢٣ متراً مكعباً في الثانية وفي غرة ابريل منها صار عند الكيلومتر الالف والسادس والثلاثين الى ٢٦٢ متراً في الثانية فيكون ما تبدد من مادة ماء النهر ثلاثمائة وواحداً وستين متراً مكعباً في الثانية اي ثمانية وخمسين بالمائة في مدى ٦٢٩ كيلومتراً من جريته . اما تصرف لادو في ازمان المد فكان لتسع خلت من سبتمبر سنة ١٩٠٢ الفاً وتسعة وسبعين متراً مكعباً في الثانية ولثنتين مضت منه في سنة ١٩٠١ عند الكيلومتر الالف والسابع والعشرين ثلاثمائة واربعة عشر متراً مكعباً في الثانية فيكون مقدار ما تبدد سبعمائة وخمسة وستين متراً مكعباً في الثانية أي تسعة وستين بالمائة^(١) . واعلم ان الثلاثة الاخيرة من هذه التصرفات قد استخرجت في شقة هي على تسعة او عشرة كيلومترات عن مأخذ النهر عند بطيحة نو في الكيلومتر الالف والمائة والسادس والاربعين والالف والمائة والسابع والاربعين^(٢) . وقد عملت في سنة ١٩٠٣ ولذلك كانت مقارنة التصرفات فيها ذات جدوى ففي غرة ابريل منها بلغ التصرف ستمائة وثلاثة وتسعين متراً مكعباً في الثانية عند لادو وكان الى اربع عشرة خلت منه عند الكيلومتر الالف والمائة والسابع والاربعين مائتين وخمسة وثمانين ومقدار ما تبدد

(١) ان مقارنة تصرف الفيض لا يعول عليها تماماً لان المقاس الاسفل جاء سابقاً للمقاس الاعلى وايضاً فان التصرفات السفلى تدل على ان التبدد المفرط حاصل في ازمان الفيض . اما سنة ١٩٠٢ فجاء فيضها مقللاً قاصراً

(٢) يقع بحر الجبل الى بطيحة نو في نقطة هي عن بحيرة البرت بقدر الف ومائة وسبعة وستين كيلومتراً

اربائة وثمانية امتار مكعبة في الثانية أي زهاء تسعة وخمسين بالمائة من مادة
النهر المجتازة حيال لادو وذلك في طية قدرها سبعمائة واربعين كيلومتراً .
ومقارنة الفيض ان التصرف عند لادو بلغ الى تسع خلت من سبتمبر تلك
السنة ألفاً وتسعمائة وخمسة وثمانين متراً مكعباً في الثانية وادرك في العشرين
منه عند الكيلومتر الالف والمائة والسابع والاربعين ثلاثمائة وخمسة عشر متراً
مكعباً في الثانية ^(١) فيكون جمام التبدد ألفاً وستمائة وسبعين متراً مكعباً في
الثانية وان شئت فخمسة وثمانين بالمائة في شقة لها طول قدره سبعمائة واربعون
كيلومتراً وهاك جدولاً بملخصة ما قلته

التبدد في الفيض المقلّ	
المقدار التبدد بالمائة	البعد عن لادو كيلومترات
٦٤	٤٢٠
٦٩	٦٢٩
التبدد في الفيض الفامر	
٥٠	١٣٣
٧٤	٤٢٠
٨٠	٥٣٤
٨٥	٧٤٠
التبدد في ازمة الصيف	
٥٣	٥٣٤
٥٨	٦٢٩
٥٩	٧٤٠

(١) قد اهلنا تصرف اول سبتمبر وعولنا على تصرف اليوم العشرين منه
لانه استخرج عقيب استخراج التصرف قبالة لادو على ان التصرفين يقرب ان يكونا

وعليه يكون مقدار ما يتبدد من المياه المارة بلادو في ازمة الصيف
يوم يكون النهر في غيضة ستين بالمائة من جرمه في بعده ما بين تلك البلدة
وبطيحة نوان التبدد في الفيض الغامر اوفر منه بكثير في الفيض المقل
ودليله تصرفات سنتي ١٩٠٢ و ١٩٠٣ فانها في الاولى تشير الى تبدد مقداره
تسعة وستون بالمائة وفي الثانية خمسة وثمانون^(١) . ومن المؤكد ان جرم ما
يمر من المياه قبالة حلة النوير يقرب من الثبات في جميع ادوار السنة مهما
صادف النهر من التقلبات فيكون مقدار تصرفه في الغالب من بين ثلاثمائة
متر مكعب في الثانية الى اربعمائة وخمسين في حين ان تصرفه عند نقطة
تلاقيه بالبحر الابيض اشد ثباتاً فان ما يرميه الى ذلك البحر يكون في كل
حال من بين مائتين وثمانين متراً مكعباً في الثانية الى ثلاثمائة وعشرين .
ولقد ابانت لنا المسابر ان شيئاً عظيماً من ماء النهر يتبدد في استبحاره الى
النقائع ولهذه النقائع خاصة تعديل الايراد في جميع الادوار والفصول ولا
سيما في ازمة الفيض فهي تستوعب الماء في اطوائها كأن تحوشه في غدير
فسيح الاقطار ثم ترده على التوالي الى مسيل النهر العميد وقد انتقص مقدار
منه بخرته اليبوسة وامتصته منابت تلك النقائع الا ان ذلك هو السبب
الصحيح في مكوث ايراد البحر الابيض في اثناء اشهر الشتاء والصيف^(٢)
هذا ولقد تحررت قبيل الكلام على تصرف النيل الابيض ان اورد

متكافئين متعادلين لاعلاوة ولا فضل بينهما الا بقدر ثلاثة امتار مكعبة في الثانية ذلك
دليل على ان الحال كانت من قبل على سنن واحد لا تغير فيها ولا تبديل

(١) ان تصرفات هذه السنة اضبط بكثير من تصرفات سنة ١٩٠٢ على انه

توجد لهذه السنة معلومات تدل على ان مقدار التبدد فيها صحيح

(٢) من البديهي ان شيئاً من هذا التبدد له كفي بما يجلبه بحر الزراف الى

البحر الابيض ولا خفاء ان هذا البحر مشتق من بحر الجبل في مكان منه في سمت
الشمال عن غابة شمبي وقسم من مائه يعود فيفيض الى ذلك البحر عند مسقطه في بطيحة نو

هنا تُتَّفَقُ من المعلومات التي اتصلت بي فيما يختصّ بإيراد النهرين الراميين الى النيل اعني بهما بحر الغزال ونهر سُبَّاط والبحث في ماهي الصلة بين البحر الابيض وفرع بحر الجبل وهو بحر الزراف فاقول

اولاً بحر الغزال — قد أُثبت لهذا البحر في الجداول ستة تصرفات ^(١) ثلاثة منها تمثل جرم مائه في ازمة الجفاف واليبوسة وثلاثة تمثله في ازمة الفيض وعامة هذه التصرفات استخرجت في اقطار مكان واحد يقع فوق مجتمع خور دليب ببحر الغزال اي في نقطة تكون عن مندغم بحر الجبل ببطيحة نو على ثلاثين كيلومتراً من فوق . وهذه التصرفات الستة هي كما ترى

التاريخ	مقدار التصرف امتاراً مكعباً في الثانية
اول مارس سنة ١٩٠٠	٣٤
الثالث من ابريل ١٩٠١	٢٧
الخامس عشر منه ١٩٠٢	٢٣
الحادي والثلاثين من اغسطس ١٩٠٢	١٥
الثلاثين منه ١٩٠٣	١٢
الحادي والعشرين من سبتمبر ١٩٠٣	٢٠

فيستبين من هذه الارصاد والاسباران ماء بحر الغزال لا خاصة له تذكر في ايراد البحر الابيض — في اية حصّة من السنة . لابل ازيدك ان الارصاد المذكورة تشير الى ان مقدار ما ينجلب ببحر الغزال ابّان فيض

(١) ويوجد تصرفان آخران مفيدان استخرج احدهما دوتلازك في السادس من ابريل سنة ١٨٥٨ و ١٨٦٠ وهو بقدر مائة واثنين وثمانين متراً مربعاً في الثانية والاخر استخرجه بترك في الخامس والعشرين منه سنة ١٨٦٣ ورسمه ستة وثمانون متراً مكعباً في الثانية اما الاول فالظواهر انه على خطأ محض واما الثاني فلم يوخذ عن مقاسات زاوها هو مباشرة

البحر الابيض يكون اقل منه ابان اقصى غيظه . ولا غرو فان مسيل بحر الغزال في عدة كيلومترات من مسافته طفيف الانحدار بطي الجرية ترمي مياهه الى النيل بعد ان غاصت في بطيحة نو . والبطيحة بالحق اثناء تقع فيه مياه البحر الابيض شارعة فيها من طرفها الشمالي فقد تنفسح بها مساحتها وقد تنحسر على نسبة جرم تلك المياه وهي لذلك تحبس مياه بحر الغزال فتر السيلة فتراه في طية طويلة منه صعداً لا جرية له ظاهرة . وكذلك يكون حظ البحر الابيض بمعنى ان مياهه تحبس بانصباب مياه سباط وفي مثل ذلك الزمن تتعاضم مياه البطيحة ويتوغل تصرف بحر الغزال في القلة فيكون مقداره غائصاً في تلك البطيحة عاملاً على تزايد تصاعد الابخرة منها ويصبح لا فيلة له ولا اثر في مياه البحر الابيض فلا يعتد به^(١)

ثانياً بحر الزراف — استخرجنا لهذا النهر المنشعب عن بحر الجبل ثمانية تصرفات وذلك فيما بين سنتي ١٩٠٠ و ١٩٠٣ اربعة منها في ازمة الجفاف والقيظ واربعة اخرى في ازمة الفيض^(٢) وبيانها في الجفاف كما يأتي

التاريخ	مقدار التصرف امتاراً مكعبة في الثانية
الخامس والعشرين من مارس سنة ١٩٠٠	٣٢
الثالث من ابريل سنة ١٩٠١	٣٣
السادس عشر منه سنة ١٩٠٣	٥٠
الثامن مايو سنة ١٩٠٣	٦١

- (١) اطلب الملحق السادس من هذا الكتاب ففيه تصرف سنة ١٩٠٤
- (٢) يوجد لهذا البحر ايضاً ثلاثة تصرفات . ذكر دؤملزك ان تصرفه في الخامس من ابريل سنة ١٨٥٨ و ١٨٦٠ بلغ تسعة امتار مكعبة في الثانية . وقال بترك ان تصرفه في ابريل سنة ١٨٦٣ كان سبعة واربعين متراً مربعاً في الثانية . وروي بيكر انه صار في ١٧ فبراير سنة ١٨٧٠ الى ثلاثمائة وخمسين متراً مكعباً في الثانية . ذلك

من ذلك يتبين فرق اليراد الصيفي بين السنين المقلّة والسنين المعتدلة .
ولقد امتازت سنتا ١٩٠٠ و ١٩٠١ بان كان تصرفها مفرطاً في القلة في اعالي
النيل واما يراد سنة ١٩٠٣ فجاء معتدلاً وسَطاً . وهذا الفرق ثابت ايضاً في
تصرفات الفيض كما ترى في هذا الجدول

التاريخ	مقدار التصرف امتاراً مكعبة بالثانية
اليوم الثلاثين من اغسطس سنة ١٩٠٢	٨٠
الرابع من سبتمبر سنة ١٩٠٢	٩٨
التاسع والعشرين من اغسطس سنة ١٩٠٣	١١٠
الثاني والعشرين من سبتمبر سنة ١٩٠٣	١٨٥

ولقد ضنّت السماء بغيثها في سنة ١٩٠٢ ايضاً فكان فيضها مقللاً بخلاف
ما كان في سنة ١٩٠٣ فانهُ جاء متجاوزاً في الفزارة في اقطار اعالي النيل .
على انهُ يجب عند تدبّر ما لهذا البحر من التصرف ان يتذكر ان بحر الجبل
كان قبل سنة ١٩٠٠ مردوماً مسدوداً بالمساك في عامة طول المندرج بين نقطة
انشعاب بحر الزراف عنهُ عند غابة شمبي حتى منفجره الى بطيحة نو . ويعلم
من اختبار امر الزراف في شهر مارس من سنة ١٩٠٠ ان مياههُ في فيض
سنة ١٨٩٩ قد تعاظمت وتعالّت الى حد متر عن منسوب الارض المكافئة له
فانساحت منهُ وطمت فضاءً شاسع المدى على كلا جانبيه^(١) . ينتج من ذلك
ان مادة الفيض في تلك السنة كانت في بحر الزراف جسيمة المقدار الى الغاية
وذلك ناجم عن انسداد بحر الجبل فلا غرو ان يكون بحر الزراف في سني

يقضي بالعجب العجيب فان هذه الثلاثة التصرفات متجاوزة في التفاوت والتباين وربما
جاز تخريج ذلك بان ملاك استقصى تصرف الزراف يوم كان بحر الجبل مخلاً من
مساك بين الجرية وعكس ذلك وتقيضه ما وقع ليكر يوم استقصى تصرفه
(١) اشراط ذلك ظاهرة على سوق الاشجار القائمة على جروفه

انسداد بحر الجبل مَصْرَفًا ترمي اليه المياه الصابة من مهب الجنوب . وكما كان بحر الجبل مخلصاً من المساكات كما هو اليوم يكون تصرف بحر الزراف مفرط النقصان حتى يصير الى اقل من القليل ^(١) . هذا وليس بالامر المستسهل لدينا ان نقدر جرم المياه التي تجوز بحر الزراف في فيض كفيض سنة ١٨٩٩ . اما متوسط مساحة قطاعه في اجزائه الاسفل مقاساً ذلك القطاع الى حدقنة الجرف تتفاوت من بين ثلاثمائة متر مربع الى ثلاثمائة وخمسين . وكانت سيلته في فيض سنة ١٩٠٣ اربعة وستين سنتيمتراً في الثانية وربما بلغت في سنة غامرة المياه مثل سنة ١٨٩٩ متراً كاملاً في الثانية وهي سيلة تعادل تصرفاً يكون من بين ثلاثمائة متر الى ثلاثمائة وخمسين متراً مكعباً في الثانية . قد اسلفنا ان المياه تجاوزت الجروف في الارتفاع فكانت راقية عليها بقدر متر ولذلك لا يبعد ان يكون جمهور الماء في النهر اكثر من هذه المقادير ^(٢) واذا استقام بحر الجبل مكشوفاً من المساكات فلربما يبطل عمل بحر الزراف فلا تنصرف المياه اليه وقد تطفئ مواد المساكات واعشاب النقائع على كثر الادهار فلا تبق له أثراً فيخفى

ثالثاً نهر سباط -- اذا تطلعت في القطاع العرضي لهذا النهر تجد بينه وبين بحر الجبل وبحر الغزال تبايناً بيناً في الخصال والخلقة فهو واضح الطريقة بعيد الغور معتدل الانحدار ينساق من بين جروف مشرفة وهي في اسافله لا تغلبها المياه ولو يكون الفيض طافحاً غامراً فهو من هذه الحிثة نهر جبالي تكون مادته في ازمته المدّ طافحة تنازع مادة نيل فكتوريا وبحر الجبل قبلي ودلاي في الغمورة وهو اكبر ممدات البحر الابيض والفاعل الاكبر في تصرف

(١) هذا يؤيد التصرف الذي استخرجه بيكر سنة ١٨٨٣ يوم كان بحر الجبل مسطوماً بالمسالك

(٢) اطلب تصرف سنة ١٩٠٤ في الملحق السادس من هذا الكتاب

النهر كما ستري في ما يأتي الا انه ثاني البحر الازرق ونهر العتبرة في الالهية من قبيل ايراد المياه الهابطة في الديار المصرية

والنهر من يناير الى مارس يصير مقدار تصرفه الى ما لا يذكر وتدل الارصاد ايضاً على ان مادته الرامية الى النيل الاعظم تكون شيئاً طفيفاً لا يعتد به حتى في النصف الثاني من ابريل . واما في مايو فيربو تصرفه كثيراً حتى يصح ركوب منه في غضون يونيو ويكون في يوليو واغسطس في ثلاثة ارباع مجامه ويكون جهوره وجمة مدته في سبتمبر واكتوبر وكثيراً ما يداوم على مدته في نوفمبر ايضاً . ويتبدى غيظه عاجلاً في ديسمبر وله تصرفات سبعة ثلاثة منها في ازمة الجفاف والقيظ وبيانها في هذا الجدول ^(١)

التاريخ	مقدار التصرف امتاراً مكعبة في الثانية
اليوم السادس عشر من ابريل سنة ١٩٠٠	٨٧
اليوم الخامس منه سنة ١٩٠١	٨٧
اليوم السابع عشر منه سنة ١٩٠٣	٤٥

واربعة في ازمة الفيض وبيانها في هذا الجدول

التاريخ	مقدار التصرف امتاراً مكعبة في الثانية
الثامن والعشرين من اغسطس سنة ١٩٠٢	٥٧٢
الخامس عشر من سبتمبر سنة ١٩٠٢	٧٧١
السادس والعشرين من اغسطس ١٩٠٣	٧٦٩
الرابع والعشرين من سبتمبر سنة ١٩٠٣	٨٩٥

واعلم ان تصرفات ازمة الجفاف المستخرجة في شهر ابريل على ما

(١) لهذا النهر ايضاً اربعة تصرفات مرقومة وهي كما في هذا الجدول مع

ورد في الجدول الاول ليست بكبيرة الفائدة لان مياه البحر الابيض تكون في ذلك الشهر صادة لمياه نهر سباط في مدى بعيد من طوله فيكون في العيان عادم الجرية في بعدة منه تكون تسعة عشر او عشرين كيلومتراً ولذلك يكون جرم ما يرمي منه الى البحر الابيض زهيداً . على ان التصرفين المستخرج أحدهما في ابريل سنة ١٩٠١ والآخر فيه ايضاً من سنة ١٩٠٣ وذلك في اسافل مجتمعه بالبحر يستبين منهما ان بعض الزيادة قد حدثت في تصرف ذلك البحر فكانت في السنة الاولى اي سنة ١٩٠١ سبعة وثمانين متراً مكعباً في الثانية وفي الاخرى اي سنة ١٩٠٣ بلغت تسعة عشر متراً مكعباً . وفي غضون يونيو غلبت جرية النهر جرية البحر بعد كفاح وصدام فان خواص النهر ان يمدّ سريعاً بتزايد ايراده وشاكاً كما يتبين من التصرفات التي بوشرت قبالة الدويم^(١)

اقول واما تصرفات الفيض فالمستخرج منها في الرابع والعشرين من سبتمبر سنة ١٩٠٣ لا يصح ان يُعدَّ معظمه وجُمَامَهُ لان النهر عند الناصر لزم الزيادة حتى اليوم السابع من نوفمبر ومن ثم صار في الفيض متدرجاً على

اسماء مستخرجيها

اسم المستخرج	التاريخ	مقدار التصرف امتاراً مكعباً بالثانية
ملازك	في شهر ابريل سنة ١٨٥٨ و ١٨٦٠	٨٠
باثيرك	فيه من سنة ١٨٦٣	٢٣
باثيرك	فيه من سنة ١٨٦٢	١٢٠
بُروسنيري	في الخامس عشر من يونيو سنة ١٨٦٢	١٠٦٦

(١) ان التصرف المستخرج عند الدويم في ابريل سنة ١٩٠٣ كان اربعمائة وخمسة عشر متراً مكعباً في الثانية والمستخرج في مايو من تلك السنة بلغ اربعمائة وسبعة واربعين متراً مكعباً في الثانية وفي يونيو بلغ ستمائة وثمانية وخمسين متراً مكعباً في الثانية

رودٍ ومهل^(١). وايضاً فان المقياس عند ديار الرسالة الاميركية على مقربة من مفضاه قد دلّ على تعالٍ وتزايد ايضاً في عامة ذلك الشهر. ولو ان موقع هذا المقياس هو عن نقطة الملتقى على مدى قصير لا يموّل عليه كثيراً فاذا قرناه بمقياس الناصر فلنا من ذلك ان تصرف سبتمبر لم يُستخرج يوم بالغ النهر جلال مده وغمار فيضيه ولا يبعد ان يكون قد صار في النصف الثاني من اكتوبر واستقبال نوفمبر سنة ١٩٠٣ الى الف متر مكعب في الثانية

رابعاً البحر الابيض - يصحّ في اعتبارنا جعل هذا البحر من حيث سنّته واطواره بقسمين قسم شرقي مسقط نهر سباط فيه وقسم غربية فتصرفات القسم الاول استخرجت تلقاء مجتمع بحر زراف الى المغرب عنه وذلك لاجل ان يُعرّف مقدار ما يستفده من بحر الزراف. ولتحقيق التصرفات فيه قد استخرجت تصرفات اخرى لكل من الثلاثة الانهار المؤلف جمهوره منها^(٢) اما تصرفاته المستخرجة في انحاء العليا فسته مبيّنة في الجدول الآتي مقارنة بتصرفات بحر الجبل وبحر الزراف^(٣)

الفرق	تصرف بحري الجبل والزراف معاً	تصرف بحر الزراف	تصرف بحر الجبل	تصرف البحر الابيض	الشهر	السنة
—	٢٩٤	٣٢	٢٦٢	٢٩٤	ابريل	١٩٠١
٥٠ +	٣٩٤	٨٠	٣١٤	٣٤٤	اغسطس	١٩٠٢
٥٢ +	٤٧٨	٨٠	٣٩٨	٤٢٦	سبتمبر	١٩٠٢
١٤ —	٣٣٥	٥٠	٢٨٥	٣٤٩	ابريل	١٩٠٣
١١ +	٤٢٨	١١٠	٣١٨	٤١٧	اغسطس	١٩٠٣
١٠ —	٤٧٣	١٥٨	٣١٥	٤٨٣	سبتمبر	١٩٠٣

- (١) الارجح ان فيض نهر سباط في سنة ١٩٠٣ كان جائزاً حد الاعتدال لكنه لم يكن مفرطاً في الزيادة كذلك كان فيض البحر الازرق
- (٢) ان التصرف المستخرج لبحر الغزال قد ضرب عنه صفحاً للأسباب المتقدم ذكرها (٣) ان التصرفات الواردة في الجدول معدودة امتاراً مكعبة في الثانية

واعلم انه لاجل ان تكون مقارنة التصرفات ذات طائل قد قيس تصرف
بحر الجبل في سبتمبر واغسطس من عام ١٩٠٢ في اماكن واغلة في الجنوب
فاستخرج تصرف اغسطس حيال الكيلومتر الثمانمائة والرابع والعشرين
وتصرف سبتمبر قبالة الكيلومتر الالف والسابع والعشرين . أمعن في مقدار
ما يتبدد من الماء على ما ورد في الصحيفتين الثلاثمائة والتاسعة والخمسين
والثلاثمائة والثالثة والستين تجد ان مقدار ما يجوز الكيلومتر الثمانمائة والرابع
والعشرين من ماء ذلك البحر يبلغ البحر الابيض عند بطيحة نووقد انتقص بقدر
عشرة بالمائة وما يجوز الكيلومتر الالف والسابع والعشرين يكون نقصانه عند
بلوغه تلك النقطة اقل من ذلك بمقدار خمسة بالمائة فاذا نقصنا هذين التصرفين
بقدر ذلك فيكون مجموعهما ادنى الى التطابق مما في الجدول . اذا يقال ان
تصرفات البحر الابيض فوق نهر سباط على مقدارها الوارد في الجدول صحيحة
وان مقدار المياه في ازمة الصيف لا يزيد مطلقاً على ثلاثمائة وخمسين متراً
مكعباً في الثانية ولا يصير في الفيض المكثر الى خمسمائة متر مكعب في الثانية^(١)
هذا وقبل ان اذكر تصرفات البحر الابيض في قسمه الثاني تحت مصب
نهر سباط الى الشمال يجدر بي ان آتي على ما لهذا النهر من البقاع في مدة
ذلك البحر في اثناء فيضه فاقول

لامشاهدة في ان اندفاع مياه سباط في ابان مدته يصد ماء البحر الابيض
مسافة طويلة المدى فتى زاد منه التصرف تعالت مياهه تعالياً حثيثاً حتى تفيض
في البحر الابيض وانحدار قاعه الى ما وراء المجتمع شديد التسطیح لا تكاد

(١) ان فيض سنة ١٩٠٣ جاء مفراطاً في مدته وربما كان تصرف سبتمبر
وقدره اربعمائة وثلاثه وثمانين متراً مكعباً في الثانية معظمه في تلك السنة
(٢) ان ما تعلمناه من تصرف البحر فيما وراء نهر سباط غرباً يدل على ان
انحداره يكون بقدر واحد على سبعة وثمانين الفاً

تراه المستوي الصفحة افقي الضجبة^(١) ومن الواضح ان حصّة من ايراد
النهر تتراجع الى الوراء فتحدث مداً في البحر الابيض فيما وراء مجتمعه
شرقاً . ولا ريب في ان البحر يداوم على ايراده لكن طائفة منه تبدّد
صُبات فتستبحر بها النقائع وتزيد مساحة بطيحة نو . واما تراجع الماء فغزو
جمه الى تعاظم اعماق البحر بما يرميه اليه النهر من ماء فيضيه فبالبطيحة
تستوسع يوم يكون ذلك النهر في فيضيه فيفور ماؤها وهذه الزيادة غير ناشئة
عن زيادة بحر الجبل ذلك واضح من مقدار التصرف في سنة ١٩٠٣^(٢) .
فسببها اذا انحباس مياه البحر الابيض في تلك السبّة من السنة وربما قالوا
ان لبحر الزراف شيئاً من الفعل في ذلك لكن هذا البحر يقترن بالنيل في
نقطة هي عن بطيحة نو على بعدة شرقاً وليست جريته متدافعة متقاذفة
ومع ذلك فان تصرفات البحر الابيض المستخرجة في ابان فيضيه فوق ملتي
نهر سباط شرقاً وتحتة غرباً لا يؤخذ منها ان مقدار ما يتبدّد من مائه
باحتمائه وتراجعه ليس بالشيء الكثير . ولقد بلغ تصرفه في اغسطس سنة
١٩٠٣ فيما وراء مندغم بحر الزراف شرقاً وفوق نهر سباط غرباً اربعمائة
وسبعة عشر متراً مكعباً في الثانية وكان تصرف هذا النهر في ذلك الشهر
سبعمائة وتسعة وستين متراً مكعباً في الثانية . فاذا ضمّ هذان التصرفان معاً

(١) ان انحدار البحر الابيض فيما يلي نهر سباط غرباً يبلغ بحسب تصرف
الفيض ٨٧.٠٠٠

(٢) ان جروف هذه البطيحة كان سمكها في ابريل سنة ١٩٠٣ بقدر خمسة
وثلاثين سنتيمتراً عن سطح مائها . ومختلط تصرفات بحر الغزال كان حينئذٍ ثلاثمائة
وعشرة امتار مكعبة في الثانية . وفي شهري اغسطس وسبتمبر تعاظمت مياه البطيحة حتى
كانت هي والجروف على مستوى ينداً ان تصرفات بحري الجبل والغزال في هذين الشهرين
لم تكن زيادتهما الا بقدر عشرين متراً ليس غير بمعنى ان تصرفهما تدرّج الى ثلاثمائة
وثلاثين متراً مكعباً في الثانية

كانت جملة التصرف الفأومائة وستة وثمانين متراً مكعباً في الثانية . وكان تصرف البحر الابيض في شهر اغسطس تحت نهر سباط شرقاً وشمالاً التوفيقية الفأومائة واربعين متراً مكعباً . يخرج من ذلك ان مقدار التبدد بالصد والاحتباس لم يجاوز مائة واربعين متراً مكعباً في الثانية . وكان هذا التبدد في شهر سبتمبر اقل من ذلك وكان تصرف البحر الابيض فيما يلي نهر سباط غرباً اربعمائة وثلاثة وثمانين متراً مكعباً في الثانية وتصرف ذلك النهر ثمانمائة وخمسة وتسعين متراً مكعباً في الثانية فيكون تصرفها معاً ألفاً وثلاثمائة وثمانية وسبعين . هذا واما تصرف البحر الابيض في ذلك الشهر الى ما وراء نهر سباط شرقاً فكان ألفاً وثلاثمائة واربعة امتار في الثانية فيكون جمهور ما تبدد من الماء غير متجاوز اربعة وسبعين متراً مكعباً في الثانية نعي بذلك ان تصرفات البحر الابيض تحت مجمع نهر سباط قد انتقصت في اغسطس بقدر ثلاثة وثلاثين بالمائة وفي سبتمبر بلغت خمسة عشر بالمائة وعلته انحباس مياهه باندفاع مياه ذلك النهر فيه

ثم اننا استخرجنا تصرف البحر الابيض قبالة الدويم في نقطة تكون عن بحيرة البرت على الف وتسعمائة وسبعة عشر كيلومتراً وهي نقطة ذات شان لان فيها مقياساً مستديماً نُصب في ابريل سنة ١٩٠١ ومناسبة تُرصد وترم يومياً منذ ذلك الحين . وفي هذا الموقع استخرجت طوائف التصرفات الشهرية لهذا البحر وكان مبدأها في شهر مايو سنة ١٩٠٢ واستطال الاشتغال بذلك حتى آخرة سنة ١٩٠٣^(١) اذاً يكون في الاستطاعة تصوّر كنه النهر في كفياته وحيثياته من وجهي مناسيبه وايراده قبالة الدويم في ازمان متفرقة من السنة والقصد الذي بلغناه من ارساد هاتين السنتين قد جمع بين الغرابة والافادة

(١) قد تخللت هذه المدة فترات لم يستخرج في خلالها شيء من التصرفات لمرض طرأ على العامل المُقام لهذا العمل

فاذا اردت الوقوف على ما وقع للبحر الابيض لزمك تدبُّر جدول تصرفاته وتصرفات البحر الازرق ومدرّج منازل مياههما الذي اشتقَّ مما تقدم من البيانات^(١) . قلت ومناسيب الابيض مأخوذة عن مقياس الدويم ومناسيب الازرق عن مقياس الخرطوم^(٢) . ومؤدى ما جاء في تلك الجداول كما يأتي لكل واحد من البحرين

اما بحر الازرق فاحطَّ ما استخرج من تصرفه في التاسع من مايو سنة ١٩٠٢ مثلاً متر مكعب في الثانية وكان رقم مقياس الخرطوم خمسة سنتيمترات . وحدثت زيادات مدته في شهر يونيو وبلغ عاليته في التاسع والعشرين من اغسطس فكان تصرفه سبعة آلاف وثلاثمائة واثنين وستين متراً مكعباً في الثانية وذلك يشا كل خمسة امتار واثنين وثلاثين سنتيمتراً بمقياس الخرطوم . ثم تناقصت مياهه تدريجاً في شهر سبتمبر ولكنها لم تنهت الى احط من خمسة آلاف متر مكعب في الثانية الا في استقبال اكتوبر ثم داومت على الهبوط حتى جاء اليوم الثامن والعشرون من ديسمبر فكان التصرف يومئذٍ اربعمائة وستة وسبعين متراً مكعباً ورقم مقياس الخرطوم متر واحد وثمانية واربعون سنتيمتراً

هذا من قبيل البحر الازرق واما البحر الابيض حيال الدويم فكان تصرفه في الثالث عشر من مايو سنة ١٩٠٢ ثلاثمائة وسبعة واربعين متراً مكعباً في الثانية ورقم المقياس هناك واحد وخمسون سنتيمتراً . وفي الحادي عشر من يونيو تماظمت المياه فبلغ التصرف ستمائة وخمسين متراً مكعباً في الثانية ورقم المقياس خمسة وتسعون سنتيمتراً وامتدت الزيادة في البحر حتى اليوم الخامس من اغسطس فاذا بالتصرف قد صار متره^(٣) قبالة الدويم ثمانمائة

(١) اطلب الملحق الخامس

(٢) رسم ارصاد المقياس امتار وكسورها

(٣) يُراد بالمتر هنا الكيل بالمتر (بفتح الميم) قياساً على ذرع وشبر وفتر اي

وسبعة وستين متراً مكعباً في الثانية ورقم المقياس هناك متران وعشرون سنتيمتراً . والذي أوجب ذكره في هذا الصدد انه يوم استخرج هذا التصرف كانت مياه البحر الازرق على تزايد وتعاظم حتى بلغ تصرفه من بين ثلاثة آلاف وخمسمائة الى خمسة آلاف متر مكعب في الثانية ^(١) . هذا ولقد عولج هذا البحر ايضاً لثنتين خلتا من سبتمبر فاذا بمادته قد هبطت عند الدويم هبوطاً هائلاً فكان تصرفه يومئذٍ ثلاثمائة وثلاثين متراً مكعباً في الثانية لكنه عاود الزيادة في ذلك اليوم عينه ورقم المقياس هناك ثلاثة امتار وثمانية واربعون سنتيمتراً ^(٢) يومئذٍ كان تصرف البحر الازرق يختلف من بين ستة آلاف وثمانمائة الى سبعة آلاف وثلاثمائة متر مكعب في الثانية ^(٣) . ثم أُعيد قياس ماء البحر في غرة اكتوبر فاستبين منه زيادة في حجمه اذ وجدناه بقدر ثمانمائة وسبعين متراً مكعباً في الثانية وان شئت فبقدر الحجم الذي كان له في الخامس من اغسطس . أما ماؤه بمقياس الدويم فمكثت على متر واحد (بفتح الميم) وفي ذلك اليوم كان رقة ثلاثة امتار وخمسين سنتيمتراً . أما البحر الازرق فكان تصرفه في تلك الاثناء نهاء خمسة آلاف متر مكعب في الثانية ^(٤) . وفي الثالث من اكتوبر طفق البحر ينتقص على التوالي على حين ان البحر الابيض تكاثر ماؤه فبلغ جرم تصرفه في غرة ديسمبر تسعمائة وثلاثين متراً مكعباً في الثانية وجاز في التاسع والعشرين منه الى الف وخمسمائة

الكيل بالذراع او بالشبر او بالفتل (المعرب)

(١) اطلب تصرفي غرة اغسطس سنة ١٩٠٢ والثامن منه

(٢) اعني ان تصرف البحر الابيض كان في سبتمبر اقل منه في اغسطس بمقدار اثنين وستين بالمائة بينما ان المنسوب ارتفع الى متر وثمانية وعشرين سنتيمتراً

(٣) اطلب تصرفي التاسع والعشرين من اغسطس والخامس من سبتمبر

(٤) كان التصرف في السادس والعشرين من سبتمبر خمسة آلاف واربعين متراً مكعباً في الثانية وفي الثالث من اكتوبر خمسة آلاف وستين متراً مكعباً في الثانية

وثمانية عشر متراً مكعباً في الثانية وكانت المناسب قد انحطت انحطاطاً متوالياً . وكان رقم المقياس في غرة ديسمبر مترين واربعاً سنتيمترات وفي الرابع والعشرين من نوفمبر مترين وسنتيمترين ومن ثم وقع الفيض فانتقص تصرف البحر استمراراً . هذا وقبل ان ايّن الأسباب اسباب ذلك الانحطاط الهائل عند الدويم في شهر سبتمبر يجدر بي ان ايّن تصرفات سنة ١٩٠٣ فهي سلسلة أرصاد تامة الحلقات استخلصت للبحرين فاقول

يتضح من مطالعة جدول التصرفات انه في فترة ما بين الثامن والثالث والعشرين من مايو لم يكن للبحر الازرق جرية فلا تصرف على الاطلاق وما كنت تبصره في مسيلو الآ غدراناً وظلائل^(١) متناهية أي راكمة وكان رقم مقياس الخرطوم في الحادي عشر منه ثمانية وعشرين سنتيمتراً فيما دون الصفر وفي الثالث والعشرين منه صار الى احط من ذلك وفي اليوم الثامن والعشرين من ذلك الشهر جاءت طفة اي دفقة من الماء حملت تصرفه الى ثلاثمائة واربعاً وسبعين متراً مكعباً في الثانية في ذلك اليوم وكان رقم مقياس الخرطوم يومئذ ثلاثة وخمسين سنتيمتراً فاستمرت هذه الفورة وكان المد شيئاً عجيباً فارتقى تصرف النهر في الحادي والثلاثين من يوليو الى الفين وثمانمائة متر مكعب في الثانية ورقم المقياس يومئذ ثلاثة امتار وخمسة واربعون سنتيمتراً وبلغ الخمس خلت من اغسطس سبعة آلاف وخمسمائة متر مكعب في الثانية ومسطور مقياس الخرطوم في ذلك اليوم اربعة امتار وستون سنتيمتراً^(٢) تين مما تقدم ان مبلغ التصرف في سنة ١٩٠٢ وتعداد سبعة آلاف

(١) جمع ظليلة وهي مستقع الماء في مسيل النهر او هي البركة (المعرب)

(٢) ذكرنا هذين التصرفين اذ ان النهر في فترة ما بين اليومين المذكورين قد تجاوز تصرفه حد الخمسة آلاف متر مكعب في الثانية وهو الحد الذي يكون لذلك التصرف عنده اثر ظاهر في مياه البحر الابيض

وثلاثمائة متر مكعب في الثانية قد مَرَّهُ المقياس بخمسة امتار واثنين وثلاثين سنتيمتراً . اما في سنة ١٩٠٣ فكان مرقوم مقياس الخرطوم اربعة امتار وستين سنتيمتراً في تصرف نهاؤه سبعة آلاف وخمسمائة متر مكعب فهذا البين الذي بينهما غير سهل ادراكه وتبينه وربما كان سببه ازدحام المياه عند ملتي النهرين على قدر ما للبحرين من التصرف النسبي قبل هجوم مياه الفيض في البحر الازرق . هذا وكان اقصى تصرف استخرج في سنة ١٩٠٣ تسعة آلاف وخمسمائة واربعة واربعين متراً مكعباً في الثانية ومسطور المقياس في الثامن والعشرين من تلك السنة ستة امتار وخمسة سنتيمترات ^(١) . وكان هبوط المياه لايام خلت من سبتمبر متوالياً وفي الرابع من ديسمبر صار التصرف الى الف ومائة واثنين من الامتار المكعبة في الثانية ورسم المقياس متران وخمسة وثلاثون سنتيمتراً ذلك اميز منه في مثل هذا اليوم من سنة ١٩٠٢ بما يقرب من ستمائة متر مكعب في الثانية . هذا ما كان من امر البحر الازرق فيما يختص بتصرف مائه وسأذكر فيما يأتي ما عرّض للبحر الازرق في الأمد الذي قدمناه فاقول

قد اختلف تصرف هذا البحر عند الدويم فيما بين فبراير ومايو من اربعمائه الى خمسمائة متر مكعب في الثانية ^(٢) ولقد تبدّت زيادته بمدّ نهر سباط لثنتي عشرة خلت من يونيو فتدرّج تصرفه الى ستمائة وثمانية وخمسين متراً مكعباً في الثانية ومارقوم مقياس الدويم يومئذٍ متر وسبعة سنتيمترات . وفي غرة يوليو بلغ رقم ذلك المقياس متراً وواحداً وثلاثين سنتيمتراً وصار التصرف ثمانمائة واربعة وثمانين متراً مكعباً في الثانية ^(٣) . ولما جاء اليوم الرابع

(١) تعالت المياه فبلغ مَرَّها في الثاني من سبتمبر سنة ١٩٠٣ ستة امتار وثلاثين سنتيمتراً

(٢) اطلب الجدول الملحق بهذا الكتاب تقف على الارقام الصحيحة

(٣) عندئذٍ كان تصرف البحر الازرق ألفاً ومائتي متر مكعب فقط في الثانية

من اغسطس أقبل المقياس على مترين وستة واربعين سنتيمتراً لكن تصرف
البحر هبط الى سبعمائة وثمانية وستين متراً مكعباً في الثانية وانهبط في
الحادي عشر منه الى خمسمائة وتسعة وسبعين متراً مكعباً في الثانية ومع ذلك
فلقد افضى متر المقياس الى ثلاثة امتار وثمانية وعشرين سنتيمتراً وفي الثامن
عشر منه توغل التصرف في الانتقاص ايضاً فانجر الى خمسمائة واربعة وثلاثين
متراً مكعباً في الثانية وارتقى متره فكان ثلاثة امتار وسبعين سنتيمتراً . قلت
ولقد فاضل منسوب مياه البحر الابيض لشهر اغسطس منسوبها لشهر يوليو
فكان اميز منه بمترين وتسعة وثلاثين سنتيمتراً ولكن تصرف يوليو كان قد
انتقص بقدر اربعين بالمائة عنه قبله^(١) . وفي فترة ما بين الثامن من اغسطس
والثاني من سبتمبر كان التصرف متقلباً بين هبوط وصعود بينا كان رقم المقياس
يواصل الارتفاع . وقد بلغ فيض البحر الازرق معظمه وجمامه في الثاني من
سبتمبر ومن ثم انكسرت سورة مدته فاخذ في الغيظ والانتقاص . وكان
تصرف البحر الابيض يومئذٍ على مزرٍ اي على مهل بينا كانت المياه بمقياس
الدويم تتناقص على تدريج . وفي فسحة ما بين التاسع والسادس عشر من اكتوبر
تناقص تصرف البحر الازرق من خمسة آلاف وسبعمائة متر مكعب في
الثانية حتى تنازل الى ثلاثة آلاف وثمانمائة متر مكعب وكانت مياه البحر الابيض
تتعاظم على عجل . وبلغ تصرفه في الرابع والعشرين من سبتمبر سبعمائة وثلاثة
وستين متراً مكعباً في الثانية ومقياس الدويم يومئذٍ على اربعة امتار وثمانية
وعشرين سنتيمتراً . ولما جاء اليوم السابع من اكتوبر كان تصرف البحر

(١) كان تصرف البحر الازرق في سلخ يوليو واستقبال اغسطس يوم طفته
الاولى من بين الفين وثمانمائة وسبعة آلاف ومائة متر مكعب في الثانية والنهر يومئذٍ سريع
الزيادة . وفي النصف الثاني من اغسطس كان التصرف من بين سبعة وتسعة آلاف متر
مكعب في الثانية

الابيض الفاً وخمسمائة وثمانية وثمانين متراً مكعباً في الثانية والمقياس قد انحط
الى ثلاثة امتار وثلاثة وتسعين سنتيمتراً . واستمرّ التعاضم فكان التصرف
في الرابع والعشرين من نوفمبر قبالة الدويم الفاً وستمائة وخمسة وستين متراً
مكعباً في الثانية ومتر المقياس يومئذٍ متران واربعة واربعون سنتيمتراً^(١) .
وفي خلال ديسمبر ويناير كاد تصرفه يكون مقيماً على سننه متراوح التصرف
من بين الف واربعمائة الى الف وخمسمائة متر مكعب في الثانية

اقول ويستبين من ذلك بالاستقراء انه بينا تكون مياه البحر الازرق
منحطة وحصته في ما خير الخريف ومعاجيل الصيف تجوز مياه البحر الابيض
مدينة الخرطوم متواصلة المد وهي في طائفة كبيرة من السنة تكون العامل
الاكبر في ايراد النيل . واما البحر الازرق فتى جاوزت مياهه نقطة مفروضة
وباغ متره بمقياس الخرطوم مقاماً مرصوداً حينئذٍ تراحم مياهه مياه البحر
الابيض فتصدها عن المسير فتتهقر متراجعة في امد بعيد فوق نقطة مجتمعا
فيكون منها انه كلما تعاظمت وبعده غورها تستبحر في النقائص والمآجل وتصير
بطيخة ناقة مستوسمة . ثم ان تعالي المياه يقلل ميل صفحتها فتقل جريتها وعلى
هذا الرسم يعتري تصرف البحر الابيض نقصان ولكن منسوب الماء يلزم
الارتفاع اذ يكون المنقع الاكبر الى الجنوب عن الخرطوم والدويم اخذاً
بالامتلاء وتظل تلك المياه محوشة على هذا النمط الى ان تنتقص مياه البحر
الازرق وتترك النقطة التي ذكرناها ومتى جاوزت تلك النقطة حينئذٍ يتزايد
تصرفه على غير مهلة وتهبط مياهه المحجوزة لان ماء غديره يأخذ بالتفريغ
الى الصوب الشمالي . والظاهر ان تراجع مياه البحر الابيض واحتباسها في
مسيله قد وقع سنة ١٩٠٢ يوم تجاوز تصرف البحر الازرق خمسة آلاف

(١) عندئذٍ كانت تصرف البحر الازرق قد تناقص الى الف واربعمائة متر
مكعب في الثانية . واما تصرف نوفمبر سنة ١٩٠٣ بمقياس الدويم فقد جاء بالفاحد وجهته

متر مكعب في الثانية^(١) وقد دلت التصرفات والمنسوبات في تلك السنة على انه لما زاد التصرف على خمسة الآف كان تصرف البحر الابيض هابطاً ولزم الهبوط الى ان جازت مياه البحر الازرق وانحط التصرف الى ما دون الخمسة الآف متر مكعب في الثانية. واما في سنة ١٩٠٣ فلا يُعلم علم اليقين بالمنزلة التي بلغت فيها مياه البحر الازرق عندما احتبست بها مياه البحر الابيض مرتدة الى الورا، ولم يتبدَّ في مياه هذا البحر انتقاص الا عندما صار تصرف ذاك الى سبعة آلاف متر مكعب في الثانية^(٢). ولما اخذ البحر الازرق بالتناقص طفق البحر الابيض بالتزايد وكان ذلك من منذ هبوط تصرف الازرق الى خمسة آلاف وسبعمائة متر مكعب في الثانية فما دون ذلك حتى ثلاثة آلاف وثمانمائة متر. ومما تقدم يُرى ان البحر الازرق متى صار في طفاف فيضيه وجمته ويكون ذلك بوجه عام يوم يبلغ جرم تصرفه خمسة آلاف متر مكعب في الثانية حينئذٍ تنحبس مياه البحر الابيض ويزداد بذلك غورها فتستبحر مادتها الصابة من مهب الجنوب الى المناقع على كلاً ريفيه فينتقص تصرفه بعد الدويم بقدر اربعين الى ستين بالمائة. واقول ايضاً فيما يختص بانحباس مياه البحر الابيض انا قد جسسنا البحر فيما وراء الخرطوم والدويم مبحراً لنعلم مقدار تلك الجرية في قطع منه متباينة الأدراك وفعلنا ذلك في شهري اغسطس وسبتمبر وهي الفترة التي يقدر انحباس مياهه في خلالها. وفي شهري ابريل ويوليو كان متوسط

(١) اطلب جداول التصرف يتبين لك ذلك

(٢) واعلم ان مياه البحر الازرق كانت يومئذٍ في تزايد حثيث الى الغاية والتصرف قد صار في اليوم الحادي والثلاثين من يوليو الى الفين وثمانمائة وسبعين متراً مكعباً في الثانية ولم يأت اليوم الرابع عشر من اغسطس حتى نهض الى تسعة آلاف وثمانمائة واربعين متراً مكعباً في الثانية. واما البحر الابيض فاخذ بالتناقص في الرابع من اغسطس وكان ذلك في الغالب بعد ما تجاوز مقدار التصرف خمسة آلاف متر مكعب

الجريّة قبالة الدويم من بين ثلاثين الى اربعين سنتيمتراً في الثانية . وفي فترة ما بين الحادي عشر من اغسطس الى ثماني عشرة خلت من سبتمبر صار من بين اثني عشر الى خمسة عشر سنتيمتراً مكعباً في الثانية فلا يكون المعدّل في تلك الفترة بأكثر من ثلاثة عشر سنتيمتراً في الثانية . قلت ولقد بالغنا في مَتر عمق البحر فيما وراء الخرطوم شمالاً فاكثرتنا منه وكررتنا اذ كنا كلما ادركنا قطعة منه زاد فيها غورهُ نقيسها في كل متر من مسافة طولها حتى نبالغ في السير ثمانية امتار ذلك فعلناه في شهري اغسطس وسبتمبر . ويستبين من الجدول الملحق بكتابنا هذا^(١) ان صفحة الماء كانت لها جريّة طفيفة في عامتها ولكنها لم تلبث ان تنازلت تنازلاً حثيثاً . وفي آخرة اغسطس تراها قد انقطعت أو كادت فيما كان من الماء على غور مترين وكذلك في آخرة سبتمبر . على ان من المحتمل ان يكون للماء جريّة تحت تلك الصفحة في حين من احيين فيضيه يأخذ تيارها من مندغم البحرين عند الخرطوم في سمت الشمال صاباً الى البحر الابيض ولكن مقياس الجريّة لا يدل على الوجهة التي تميل اليها الجريّة المرصودة

ثم ان ما يجدر ذكره من حيث تصرف الفيض في البحر الازرق هو ان مرقوم مقياسي وقد مدّني والخرطوم يشير الى تباین كلي بين مناسبيهما عند تعادل جرم التصرف فيهما سواء كان ذلك في الفيض المتنازل او الفيض المتصاعد ولا دراك اسباب ذلك التباين يجب تدبّر رسم منازل المقياس عند الخرطوم لفيض سنتي ١٩٠٢ و ١٩٠٣^(٢) وفي هذا الصدد اقول

خذ تصرفاً قدره خمسة آلاف متر مكعب في الثانية في البحر الازرق

(١) اطلب الملحق الخامس

(٢) اطلب الملحق الخامس — يظهر ان ذلك حادث شائع في عامة الانهار

التي تمدها السيول

مثلاً فانك ترى متره بالمقياس اربعة امتار وخمسة وستين سنتيمتراً بينا ان التصرف عينه يكون في فيض متنازل عديلاً لخمسة امتار وخمسة عشر سنتيمتراً . وكان في سنة ١٩٠٣ عديلاً لاربعة امتار في الفيض المتصاعد واربعة امتار وخمسة وثمانين سنتيمتراً في الفيض المتنازل فيكون الفرق نحواً من تسعين سنتيمتراً . فيتضح من ذلك ان المياه قد احتقنت حابسة في نقطة تكون فيما يلي الخرطوم شمالاً فامتنع انتقاصها حيثاً كما ازدادت . وقريب ما يُظن انها احتبست عند المضيق الذي يندفع فيه البحر قبل شلال شبلوكا بستين كيلومتراً عن الخرطوم شمالاً . وامر هذا الاحتقان واسبابه لا تتجلى تمام الانجلاء الا متى اقيم مقياس ثابت واختير عند شبلوكا موقع تستخرج به التصرفات

خامساً البحر الازرق^(١) - اقول بالايحجاز ان ليس في طريقه ايراده شيء من الابهام او الغموض . لا انكر ان المعلومات التي لدينا فيما يختص بمسيله الاقصى ومقدار ما يقع اليه من المياه صابة من ممداته الكبرى قليلة لكننا على بينة من أمر فيضه وغيضه بعد انبعائه من الآكام ومقدار ما يجتاز من جرمه قبالة الخرطوم في السنة . هذا ولا نعلم الا اليسير عن مقدار تصرفه من لدن منبعثه من بحيرة تسانا . ذلك ان المسترديوي اقتاسه في الحادي والثلاثين من يناير سنة ١٩٠٣ في قطعة منه قريبة من منشاه فلم يكن تصرفه حينئذ سوى اثنين واربعين متراً في الثانية . والمعلوم ان ماء البحيرة يكون في اقصى انحطاطه في خلال شهر مايو فحضر للمسترد المذكور انها في فترة ما بين مقاسه وهذا الشهر تهبط مياهها ايضاً بقدر خمسة عشر سنتيمتراً واستنتج من مستخرجات مقاساته ان تصرف البحر يتقص بمقدار النصف اي يكون واحداً وعشرين متراً مكعباً في الثانية . اما نجمة مائه أي معظم تصرفه عند منبعثه من البحيرة فلم يأت له بقياس لكنه قدّر ان ما ينصرف

(١) يعرف هذا البحر في عامة الحبشة بنهر أباي ايضاً

به على مدى مائتين وثلاثة واربعين يوماً يكون فيما بين اعلى المنسوب واحطه^(١) ألفاً وتسعمائة وثمانية واربعين مليوناً من الامتار المكعبة ذلك ما يعادل تصرفاً متوسطاً قدره ثمانية ملايين متر مكعب^(٢) فاذا صحح حسابه وكانت مظانهُ راسخة على ادلة ثابتة المبني كانت البحيرة لا عمل لها يعتدُّ به في تصرف البحر الازرق ولا أثر يلتفت اليه في مقدار جرم مائه . تلك حقيقة لا خلاف فيها ولا نزاع لاجل ان ما يتحلل من سطح الماء بخاراً في الهواء وما ينصرف في البحر عند مخرج البحيرة هما على غير نسبة في المقدار فالفيض مزاجه من تسنيم أي ان كيانه من نقيط السيول الصابة اليه من علو في عامة جادته التي يشق فيها ومسافة طولها تبلغ سبعمائة كيلومتر فيما بين البحيرة والاكام التي ينبثق هومنها ومزاجه ايضاً من أرفاده^(٣) الكثيرة الرامية اليه كنهر دوديساً ونهر دابوس ونهر دندر ونهر رحد . هذا ولا يعلم عن خطة سيرته ومشرعه في شقة ما بين مخرجه من البحيرة وآخر مساره قبالة بلدة الرصيرص الا النزر اليسير فان مسيله في تضاعيف هذه الطية لم يمكن الفحص عنه الى الآن وكذلك فساحة حائر مائه ومفيضه ومقدار مادّة ممداته أمور لم تستقص بعد فلا فائدة بالحدس في كيفية تزايد تصرفه في طريقه الى ان يقترن بالبحر الابيض . اما تصرفه بجانب الخرطوم شمالاً فالمعلومات فيه جهة ففي سنة ١٩٠٣ أقيمت له الارصاد اطراداً الى سابع ديسمبر ١٩٠٣ وكانت تلك الارصاد هناك تستخرج اربع دفعات في الشهر . ويتبين لك كمالها من جدول التصرفات^(٤) ففيه اشارة الى أن مياه البحر الازرق

(١) أي بين الثامن من اكتوبر والحادي والثلاثين من مايو

(٢) ترى كل ذلك في مذكرة المستر ديوي الملحقه بهذا الكتاب

(٣) جمع ر ف د وهو الاعانة

(٤) اطلب الملحق الخامس

يكون اقصى انحطاطها في شهر مايو وتناهي فورتها في اواخر اغسطس او في
غضون النصف الاول من سبتمبر . وكان احط التصرف في مايو سنة
١٩٠٢ مائي متر مكعب في الثانية وبلغ معظمه في التاسع والعشرين من
اغسطس فكان يومئذ سبعة آلاف وثلاثمائة واثنين وستين متراً مكعباً في
الثانية^(١) . واما في سنة ١٩٠٣ فالمياه هبطت هبوطاً هائلاً في اثناء ما بين الثامن
والثاني والعشرين من مايو حتى صار التصرف قبالة الخرطوم كلاً تصرف . وفي
السبع الاخرى منه اخذت المياه بالتزايد ولما كان اليوم الثامن والعشرون من
اغسطس بلغ التصرف تسعة آلاف وخمسمائة واربعة واربعين متراً مكعباً
في الثانية^(٢) . قلت ولا يُعدُّ فيض سنة ١٩٠٣ فيضاً متجاوزاً فانه جاء متناهيّاً
في الاعتدال . ورُبَّ سنة يجي فيضها غامراً ويكون تصرفه عند جئته اثني
عشر الف متر مكعب او تزيد في الثانية . ويشجينا ان يمتنع علينا اقامة مقارنة
بين الارصاد المستخرجة في ما تقدم سنة ١٨٨٤ من السنين بمقياس الخرطوم
وارصاد الست السنين التوالي حتى سنة ١٩٠٠ لاجل ان المقياس المعيد قد
عفت آثاره فطمس . على اني اقول بإمكان المقارنة بين منازل المياه في متفارقات
السنين فاذا نظرنا الى كتب الارصاد علمنا ان غمار ما بلغت المياه كان ثمانية
امتار وستة سنتيمترات في سنة ١٨٦٩ واحط مفاضها خمسة امتار وعشرين
سنتيمتراً في سنة ١٨٧٧ ووجدنا ايضاً انه ولو يكون ذلك غير قطعي ولا بات

-
- (١) كانت المياه بالمقياس في السادس عشر من سبتمبر اعلى منها به في التاسع
والعشرين من اغسطس بقدر ستة عشر سنتيمتراً وربما كانت تصرف مقداره ثمانية
الآف متر مكعب في الثانية جمام التصرف في سنة ١٩٠٢ وهي سنة استوى فيضها واعتدل
(٢) ليس هذا التصرف معظمه لان درجة المياه بالمقياس كانت في الثاني من
سبتمبر سنة ١٩٠٣ اعلى منها في الثامن والعشرين من اغسطس بخمسة وعشرين
سنتيمتراً ولا بد ان يكون التصرف حينئذ متجاوزاً عشرة آلاف متر مكعب في الثانية

فان منزلة مياه البحر الازرق في سنة طفح فيها فيضهُ تجوز سبعة امتار وتكون احط من ستة امتار في سنة جاء فيضها مُقللاً قاصراً . واما منزلة المياه في سنة ١٩٠٣ فكانت ستة امتار وستة واربعين سنتيمتراً وفي سنتي ١٨٧٤ و ١٨٧٨ (سنتين جاء فيضهما قاحطاً) فكانت منزلة الماء في اولاهما عند الخرطوم سبعة امتار وعشرين سنتيمتراً وفي الثانية سبعة امتار وواحداً وخمسين متراً

سادساً تصرف النيل شمالي الخرطوم - شرعنا في قياس تصرفات هذا النهر في سنتي ١٩٠٢ و ١٩٠٣ في الشقة المندرجة فيما بين مختلط البحرين فجعل مسند استخراج التصرف وموقعه بلدة كريري وذلك من نوفمبر سنة ١٩٠٢ الى يوليو سنة ١٩٠٣ ولكنهم نزعوا الى نقله الى بلدة شبلوكا في اغسطس من تلك السنة لانها بلدة مستحبة مناسبة لاقامة الارصاد فيها

واعلم ان تصرف النهرين كليهما معاً لا ينطبق تمام الانطباق على تصرف البحرين اذا اخذ كل منهما على حدة ولا اذن فرق المجموعتين الا ناشئاً عن إفهام وتفرغ حوض النهر بين محلة المقياس عند الخرطوم وبلدة شبلوكا . ولقد نوّهنا فيما سلف من هذا الكتاب بالفرق المشاهد بمقياس الخرطوم لجرم من المياه مفروض في ابان الفيض المتصاعد والفيض المتنازل واشرنا ايضاً الى استبحار المياه في ازمان المدّ متبطّحة في طيه ما بين ذلك المكان وشبلوكا . فان لم تقع الينا معلومات يصح الاعتماد عليها فيما يختص بفيض النهر وغيضه فغير طائلي ان نلبث على توهم اسباب هذا الفرق^(١) . على ان التصرفات يستخلص منها ان مقدار ما انصرف من الماء الى الشمال عن الخرطوم في برهة ما بين الثاني والسادس عشر من سبتمبر سنة ١٩٠٣ كان ينيف على عشرة آلاف واربعمئة متر مكعب في الثانية . ولكي يتيسر تعيين

(١) ان تصرف النهر تلقاء كريري وشبلوكا قد ورد في جدول له على افراد

مقدار ما هبط الى الديار المصرية من المياه ينبغي ان نضيف الى التصرف المذكور مادة نهر العطبرة^(١) وقد قيست تلك المادة ابان معظم فورتها في الثلاثين من اغسطس من تلك السنة فكانت ثلاثة آلاف وثمانية وثمانين متراً مكعباً في الثانية . ولم يأت اليوم الخامس من سبتمبر حتى كانت قد هبطت الى الفين وثمانمائة متر مكعب في الثانية . وهذا التاريخ اكثر مطابقة من الآخر لغمار التصرف قبالة شبلوكا . فاذا ضمنا التصرفين معاً يستبين لنا ان مقدار ما جاوز بربر من المياه بلغ جرمه ثلاثة عشر ألفاً ومائتي ألف متر مكعب في الثانية . والمتعارف اليوم عند اهل مصر انه متى بلغ تصرف النهر اربعة عشر الف متر مكعب في الثانية يعدّ فيضهُ مفرطاً متجاوزاً^(٢) . قلت كان التصرف قبالة بربر اقل من ذلك بثمانمائة متر مكعب في الثانية لكن منازل المياه بمقاييس مصر لم تتجاوز منازل فيضٍ سويٍ مناسب ينزع الى التوسط والاعتدال . لزم من ذلك ان يكون نهاء المياه في سنةٍ يجيُ فيضها غرافاً متجاوز الحد اكثر جداً مما توهموه فقد يكون التصرف فيه ستة عشر الف متر مكعب في الثانية وربما نيف على ذلك

سابعاً تصرف نهر العطبرة - قد اقيمت ارساد الفيض لهذا النهر في خلال سنتي ١٩٠٢ و ١٩٠٣ فكانت ارقامه نافعة الدلالة اذ انها تبين مقدار مادة المياه في سنة جاء فيضها ركيكاً مفرط القلّة ومادتها في سنة أخرى كان فيضها معتدلاً لكنها في الحق ليس لها شأن يدعو الى التوسع في الكلام عليها . اقول قيست مياه النهر في سنة ١٩٠٣ فدلّ المقاس على ان مياهه بلغت جُمُتها ومعظمها في سُلخ اغسطس وان تصرفه تجاوز الف متر مكعب في

(١) ورد تصرف نهر العطبرة لسنة ١٩٠٣ في جدول له على حدته

(٢) هذه الظاهرة غير مسندة الى تصرفات مستخرجة في اثناء بلوغ الفيض

الثانية في مدة ما بين الخامس من اغسطس والخامس والعشرين من
سبتمبر^(١). والذي تبيناه ان ضفة مائه اي دفعته الاولى تسير الى النيل على مخرت
وسنن واحد في خلال الاسبوع الآخر من يونيو وفي منتصف يوليو يكون
تصرفه بحسب الارصاد التي اقيمت لذلك في السنتين السليفتين متخالفاً من
بين ثلاثمائة الى اربعمائة متر مكعب في الثانية ولا يأتي اليوم الآخر من ذلك
الشهر حتى يصير الى ضعف ذلك. اما مدته في اغسطس فحدث جداً ويتدرج
الى جهامه في العموم فيما بين الاسبوع الآخر من اغسطس والعشر الاول من
سبتمبر. وكان تصرفه في الثامن منه سنة ١٩٠٢ يوم بلغت فورته أشدها الفين
وعشرين متراً مكعباً في الثانية واما تصرفه في سنة ١٩٠٣ فبلغ جهوره في
الثلاثين من اغسطس اذ كان مقدار جرمه ثلاثة آلاف وثمانية وثمانين متراً
مكعباً وعقيب ذلك أخذت مياهه بالانتقاص السريع. وفي استقبال نوفمبر
كانت مياه الفيض جميعها قد عبرت. والظاهر ان مياه هذا النهر في ابان
معظم مدته تصد مياه النيل عن السير الى حد محدود فتدفع بها الى الضفة
الغربية. اما تحقيق هذا الوهم فلا يتم الا متى اقيمت مقاييس مكيثة ثابتة
واستخرجت التصرفات موالاة بينها ومتابعة فيما قبل متحد النهرين وبعده
هذا ولا اخالي الا قد أوغلت في الكلام على تصرفات الانهار السودانية
الى حد الاغراق ولكن جلال البحث وشرفه يلتمس لي بهما عذر. أقول
ولعل الذين لا ينزعون الى الامعان في البحث والتنقيب عن تلافيف هذه
المسألة مستفيدون لو بسطت لهم موجزاً ما اسلفته في هذا الشأن مورداً
النقط والأوجه الاكثر نفعا مقتطفاً ذلك من مراقب السنتين السليفتين فاقول

(١) ان تصرفات سنة ١٩٠٢ أسند واضبط من تصرفات ١٩٠٣ لان موقع
تلك التصرفات بلزق مجتمع النهر بالنيل. واما موقع التصرفات في السنة الحالية فكان
عن ذلك الموقع على تسعة وعشرين كيلومتراً في الشمال عنه

اولاً صفوة ما يقال في تصرف نهر فكتوريا - يختلف تصرف هذا النهر عند جنادل ريبون من بين خمسمائة الى ستمائة وخمسين متراً مكعباً في الثانية ومتر المقياس متر واحد وعشرة سنتيمترات. وربما صار عقيب جنادل مركب من الى متر واحد. ويكون معظم التصرف الف متر مكعب في الثانية ويكون احطه اربعمئة متر مكعب. ومزاجه اي مدته وفيضه من سيول تقع في عامة منطقة حائرة في طية ما بين هذين الموقعين واما نقصانه في ازمان غيظه فحدث عن بطيحة شوجا فانها ولا شبهة عامل تعديل تعدل به مياه ما يستدره من بحيرة فكتوريا. وختام ما اقله في هذا الشأن ان جمهور ما يرميه هذا النهر الى بحيرة البرت في ازمنة فيضيه هو بوجه عام اعظم جرماً مما تفرغه تلك البحيرة الى بحر الجبل

ثانياً صفوة الخبر عن تصرف بحر الجبل - يكون متر هذا البحر عند بلدة وادلاي (وهي الموقع الاول للتصرفات) نحو متر واحد عشر سنتيمتراً وتصرفه يتقلب من بين خمسمائة وخمسين وتسعمائة وخمسين متراً مكعباً في الثانية وهو في ازمنة الفيض تتراعى اليه مياه الارفاد والممدات فيما بين بحيرة البرت وهذه البلدة فتفعمه ويكون كفيلاً له بالنقص الذي يمر في نهر فكتوريا عند سقوطه في بحيرة البرت وتكرر مائه متر اجمالاً فيها الى الورداء في سمت الجنوب. والمتر قبالة لادو عند الكيلومتر الثلاثمائة والواحد والثمانين متران وثلاثون سنتيمتراً ومتوسط التصرف في ازمان القيظ يتراصف بين ستمائة وسبعمائة متر مكعب في الثانية. ويبلغ جمته في شهر سبتمبر اطلاقاً ويكون مختلفاً من بين الف متر مكعب الى الفين في الثانية في الفيض المقل والفي متر مكعب في الفيض المكثر. ويكون مزاجه اي مدته من سيول تقع في عامة مرافضه^(١) ومقدار ما ينجلب اليه من مياه ممداته الكبرى مثل نهر أسوى ونهر كيت

(١) جمع مرفض وهو من الوادي حيث يرفض اليه السيل ويجمع (المعرب)

التي تقع اليه في شقة ما بين وادلاي ولادو . هذا ووجه بور عند الكيلومتر الخمسمائة والتاسع والخمسين يكون مقدار ما يتبدد من الماء في ابان الفيض نصف ما يمر قبالة لادو والتصرف هناك لا يتجاوز الف متر مكعب في الثانية الا في النذرة . والتبدد حاصل من امتلاء الوادي وانفساحها فيه عامة حتى يكون منها غدير مفرط الاتساع وبذلك يقل جرم الماء الآخذ الى الشمال . ووضجع الغدير يستوسع من حد لادو الى عدوة فم نهر الزراف بعدة قدرها ثلاثمائة وثمانية وسبعون كيلومتراً وفيما ان ماء البحر يتناقص منحسراً تنسل مياه الغدير في فصل الشتاء من خلال المناقع وتتلب راجعة الى البحر بعد ان يتحلل منها في الهواء بخار كثير المقدار وعلى هذه الصورة يدوم ايراده استمراراً على نمط . واعلم ان تبدد ماء بحر الجبل في منطقة المساكات سواء كان في ايام القيظ او الفيض شيء يجوز الحد مقداراً فعند بلوغ مائه بطيحة نو (وهي عن بحيرة البرت على الف ومائة وستة وخمسين كيلومتراً وعن محلة لادو على سبعمائة وتسعة واربعين كيلومتراً) يكون قد انتقص جرمه تجاه لادو خمسة وثمانين بالمائة في ايام الفيض الغزير وسبعين بالمائة في الفيض القصير . واما في ايام الصيف فالتبدد في تلك النقطة يكون متخالفاً فيما بين خمسين وستين بالمائة . ثم ان ما يفرغه هذا البحر في البحر الابيض يقرب ان يكون مستديماً في عامة فصول السنة ولا يتجاوز مطلقاً ثلاثمائة الى ثلاثمائة وعشرين متراً مكعباً في الثانية ولو يكون ذلك في جُمام الفيض^(١) . ومما تقدم يتضح جلياً ما للمناقع الكبرى من الخاصية في تعديل ماء البحر

ثالثاً القول في بحر الغزال - ان تصرف هذا البحر من حيثية كونه ممدداً للبحر الابيض شيء طفيف لا يذكر فان مقدار ما يجيء به الى بطيحة نو ابان

(١) ذلك خلا ما يجلبه بحر الزراف . واما تصرف البحر الابيض الى الشمال عن المقترن أي قبلي نهر سباط يكون مختلفاً من بين ثلاثمائة الى خمسمائة متر مكعب في الثانية

الصيف يختلف من بين عشرين الى ثلاثين متراً مكعباً في الثانية . واما تصرفه في ابان فيضه فاقل من ذلك اذ يكون من بين اثني عشر وعشرين متراً مكعباً في الثانية ولا يقع منه شيء في البحر الا يفيض فهو يزيد البطيحة استبحاراً وبه يعظم غدير البحر

رابعاً بحر الزراف - هو شعبة ناشطة من بحر الجبل ترمي بمياهها الى البحر الا يفيض فتكثر تصرفه على قدر فيختلف بين ثلاثين وستين متراً مكعباً في الثانية في ازمته غيظه و بين ثمانين ومائة وستين متراً مكعباً في ابان فيضه . ويوم يكون بحر الجبل مردوماً بالمساك يتزايد تصرف الزراف حتى يصير بين ثلاثمائة واربعائة متر مكعب في الثانية اثناء مدته

خامساً ما يقال في تصرف نهر سباط - هذا النهر اعظم ارفاد البحر الا يفيض في ازمته الفيض تكون طفة مائه في مايو ويونيو وعند ما يبلغ جمامه في اكتوبر ونوفمبر يكون البحر الازرق قد انتقصت مياهه انتقاصاً هائلاً فهو عندئذ يعوض النقص فيكون تصرف البحر حيال الخرطوم عظيم المقدار . ففي سني الفيض الوافي يختلف تصرف هذا النهر من بين تسعمائة الى الف متر مكعب في الثانية وفي بوادي السنة ينتقص تصرفه الى الغاية لاجل ان مياهه تردعها حينئذ مياه البحر الا يفيض فتحبسها عن الانطلاق . واما في ازمته مدته فالامر على خلاف ذلك فان جرم مائه حينئذ ينيف على ضعفه فيزيد في جرم ماء البحر فوق مجتمعه غرباً اذ يصدّه عن الجري فيتعاظم حاقناً الى حد بطيحة نو

سادساً جملة ما للبحر الا يفيض من التصرف - يتفاوت تصرف هذا البحر تحت ملتي بحر الزراف به شرقاً بين ثلاثمائة الى خمسمائة متر مكعب في الثانية بتفاوت الفصول ومقدار الفيض وربما لا يتجاوز الخمسمائة متر جملة^(١) .

(١) ان ازمان معظم الفورة فوق نهر سباط تطابق ازمان معظم الفورة في بحر الجبل

واما حيال الدويم على ستمائة وسبعة وثلاثين كيلومتراً عن مندغم نهر سباط شمالاً فيختلف ايراده الصيفي من بين ثلاثمائة وخمسين الى خمسمائة متر مكعب في الثانية . واما اقصى الفيض فيكون على الغالب في ابريل والنصف الاول من مايو . ثم يزيد تصرفه على التوالي بزيادة نهر سباط الى ان يتعدى تصرف البحر الازرق خمسة آلاف متر مكعب في الثانية عند الخرطوم ومن ثم يتناقص تصرفه بقدر ثلاثين الى ستين بالمائة لان مياهه تحبسها مياه البحر الازرق في خلال اغسطس وسبتمبر وتظل حاقنة مستبجرة الى ان يعود ذلك البحر الى الهبوط الى مادون الخمسة آلاف متر مكعب فتتعاظم مياه الابيض حينئذ تماظماً حثيثاً عجيباً فيصير الى جماعه ومعظم فورته في نوفمبر وديسمبر ويكون تصرفه حينئذ متخالفاً فيما بين الف وخمسمائة الى الف وسبعمائة متر مكعب في الثانية كما تبيناه من ارقام المتر . وتغزى هذه الزيادة بمضها الى زيادة مياه سباط بل ايضاً الى انصراف المياه الحقيقية عن غدورها منسبكة في البحر . والذي نراه في حكم الثابت ان تصرف البحر حيال الخرطوم لا يتجاوز في اية حال من الاحوال الفاً وثمانمائة متر مكعب في الثانية^(١)

(١) ان فيض هذا البحر جاء في سنة ١٩٠٣ مفرطاً وربما عُدَّ بالغاً الحد الاقصى الذي لا يتجاوزه فيض من الفيوض ومع ذلك فان معظم تصرفه المثبت بالارصاد كان فيما دون الف وسبعمائة متر مكعب في الثانية . ولقد اخطأ لينان باشا اذ قال ان التصرف بلغ في خاتمت يوليو خمسة الآف وتسعمائة وسبعة امتار مكعبة في الثانية وقوله هذا ليس له حظ من الصحة على الاطلاق اذ لا يُعقل ان يكون جرم ما اجتاز من الماء في البحر بالغاً هذا المبلغ . اما التصرفات التي اوردها شيلوبك في كتابه المعروف « بالنيل » المطبوع في باريز سنة ١٨٩١ لأربعة اشهر من سنة ١٨٧٦ تكاد عامتها تقارب الصحة والحقيقة ولا ينكر عليه الا مقدار التصرف في سبتمبر اذا اثبتته في كتابه انه اربعة الآف وثلاثمائة وواحد وخمسون متراً ولا اظن ذلك منه الا سهواً . ثم ان التصرف الذي استخرجه اليوزباشي پيل في اكتوبر سنة ١٨٥١ وقدره الف واربعائة وتسعة امتار

وخلاصة ما يقال فيه انه يكون في احط انحطاط مائه في غضون مارس ومايو
ويبدأ فيضه في يونيو ثم ينحبس ماؤه في اغسطس وسبتمبر ويبلغ جماعه في اثناء
نوفمبر وديسمبر . ورسمه في سنة قل فيضها وجاء عاجزاً يكون متقلباً بين
ثلاثمائة الى الف وخمسمائة متر مكعب في الثانية وفي سنة أكثر فيضها وجاء
غزيراً بين اربعمائة وخمسمائة الى الف وسبعمائة متر مكعب في الثانية^(١)

سابعاً خُصرة ما يقال في تصرف البحر الازرق - عماد مزاج هذا
البحر اي مادته فيوض وصبات تتراعى اليه من مرافض الوادي الذي
يسيل هو فيه ثم مياه الارفاد الكبرى المنجوبة اليه في طريقه بعد انبثاقه من
آكام الحبشة . وليس لبحيرة تسانا الا نزر الأثر قليلة في مقدار مادة البحر
في اية حصة من السنة . وهو يكون اقصى غيظه في مايو حتى يصير تصرفه
احياناً كلاتصرف . ويبدأ فيضه في يونيو ويبلغ جمام فورته في اواخر اغسطس
ويكون تصرفه في الفيض المعتدل زهاء عشرة آلاف متر مكعب في الثانية
وربما بلغ بعد الخرطوم في سنة جاء فيضها مفرطاً اثني عشر الف متر مكعب^(٢) .
وفي سبتمبر تناقص مياهه على عجل حتى لا يكون تصرفه في فصل الشتاء
فوق مائتين الى اربعمائة متر مكعب في الثانية الا فيما ندر . ثم يتبين من مراقبي
مقياس الخرطوم ان التصرف بلغ في سنة من السنين الى ما فوق هذا
التصرف ايام الانتقاص ولم يكن كذلك في ايام التزايد وربما كان سبب ذلك
مكعبة في الثانية قد يكون صحيحاً ولكن في السنين التي يكون هبوط البحر الازرق
فيها نادراً

(١) ان التصرف لا يبلغ الا في أخريات الخريف يوم يكون فيض الازرق

قد انقضى

(٢) قاس لبنان باشا تصرف هذا البحر وروى انه ستة الاف ومائة واربعة

امتار مكعبة في الثانية والذي يتبادر للذهن ان قياسته كان في سنة جاء فيضها مفرط
القلة او يوم لم تكن مياه البحر في معظم فوزتها

استبحار وادي النيل بالماء فيما بين الخرطوم ومضيق شبلوكا
ثامناً جملة ما يقال في تصرف نهر المطبرة - ان ضفة ماء هذا النهر اي
دقته الاولى تقع في النيل في الاسبوع الآخر من يونيو ويكون معظم
فيضه في المعتاد سَلَخ اغسطس او الاسبوع الاول من سبتمبر . وبلغ
معظمه على الغالب قبل بلوغ جمهور الفيض الى الخرطوم عند ملتقى النهرين .
ومن ثم يكون هبوط ماء النهر سريعاً ولا تأتي آخرة السنة حتى يشتمل
شماله الصيف فتكون فيه تراثك^(١) من الغدران والبرك . اما جمُّ تصرف
النهر فيكون على ما ظهر من المقاسات في سنة ١٩٠٣ ثلاثه آلاف
وثمانية وثمانون متراً مكعباً في الثانية وقد يفضل هذا المقدار في سنة يكون
فيضها مفرطاً

تاسعاً تقاوة الخبر بتصرف البحر الاعظم الى الشمال عن الخرطوم - بلغ
تصرف هذا البحر في سنة ١٩٠٣ اقصاه كرسوم مراقي المقياس عشرة
آلاف وخمسمائة متر مكعب في الثانية في سنة معتدلة الفيض فاذا ضمَّ الى
ذلك مبلغ تصرف نهر المطبرة يصبح جمُّ التصرف قرابة اربعة عشر الف
متر مكعب في الثانية . وبما ان مناسيب النيل في وادي حلفا والقاهرة لم تتجاوز
في تلك السنة مناسيب فيض اعتيادي معهود مألوف فمن المحتمل ان يتطالَّ
مقدار التصرف في سنة يجيُّ فيضها مفرطاً تمام الافراط الى ستة عشر الف
متر مكعب في الثانية قبالة بربر

وفي الختام نقول ونحن من قولنا على يقين ان البحر الابيض في الواقع
لا دخل له على الاطلاق في مقدار ما يفرغه البحر الاعظم الى الديار المصرية
ابان فيضه فمادته جمعاء منجلبة اليها من البحر الازرق ونهر المطبرة . وايضاً
فان مادة المياه المارة باسوان في اثناء الربيع ومقتبل الصيف تكاد عامتها تكون

(١) جمع تريكة وهي ما يتركه السيل في الارض من الماء (المغرب)

من مزاج ماء البحيرة الكبرى مجلوباً إليها بالبحر الأبيض . وهناك جدولاً
بيان ميل سطح الماء في النهرين مستخرجاً من حساب التصرفات

بحر الجبل		
المواقع	مقدار الانحدار	الازمنة
وادلاي	$\frac{1}{27000}$	ايام القيظ والجفاف
بور	$\frac{1}{12100}$	ايام الفيض
على ثمانمائة وثلاثين كيلومتراً عن بحيرة البرت	$\frac{1}{22500}$	ايام الفيض
حلة النوير	$\frac{1}{40000}$	ايام الفيض
حلة النوير	$\frac{1}{66000}$	ايام القيظ والجفاف
بطيحة نو	$\frac{1}{87500}$	ايام الفيض
بطيحة نو	$\frac{1}{52000}$	ايام القيظ والجفاف

البحر الأبيض		
المواقع	مقدار الانحدار	الازمنة
فوق نهر سباط غرباً	$\frac{1}{20000}$	ايام القيظ والجفاف
الدويم	$\frac{1}{100000}$	يوم يكون البحر الازرق آخذاً في الانحطاط والبحر الأبيض في جرام فورته
الدويم	$\frac{1}{50000}$	ايام الجفاف والقيظ

البحر الازرق		
عند الخرطوم	$\frac{1}{112000}$	ايام الفيض

الفصل الرابع عشر

في التدابير الاخرى لتعديل ايراد النيل

سبق لي في كتاب آخر طبع في سنة ١٩٠١ أن اوغلت في التنقيب عن تدبير ايراد النيل الأعلى حتى تدانيت من حد التطويل ولم تكن المعلومات حينئذ فيما يختص باطوار النيل قد بلغت شيئاً جمّاً ولم يكن الغرض من الأمالي^(١) والشروح التي تضمنها عن المشاريع الممكنة الاجراء فيما يختص بضبط مياه النيل عند مخرجه بتقدير وتدير الا الاشارة الى الخطة العامة التي يجب اتخاذها في المباحث التي تتناول في المستقبل لبلوغ هذا الارب وليس ابراز قضايا ثابتة نهائية في ذلك الموضوع ذي الاهمية الكبرى . فكتابي هذا يفضل سابقه بان في درجه مآل ارساد استخرجت في ثلاث سنين اخرى وفي طيه ايضاً بناء لم تكن في سنة ١٩٠١ متبينة لاهل العلم . اللهم الا ان ما تقصيناه وتديناه في السنين القلائل التي سلفت يؤخذ منه ان اموراً جمة عظيمة الشأن لا يزال الستر مسدولاً عليها فان لم يوضع احد المشاريع المعمول النظر فيها اليوم موضع العمل بالسعي والعباية يستلزم الامر عملاً كثيراً وبحثاً جزلاً لتنبيط معميات هذه المسألة وتبيين غوامضها وفلي مجاهلها . ولا عجب ان كانت المباحث التي تولاهها القوم الى ايامنا على غير التعادل والتمام فهي يمتورها النقص والوكس . والبر الذي يشق فيه النيل فضاء هائل مفرط الاتساع والمصاعب التي تحف بالسيار الآخذ في اعراضه عديدة وافرة . اقول مضت على خزينة المهدويين واتخذاهم خمس من السنين واكثر ومن يومئذ فتحت ابواب وادي النيل الاعلى لتطواف الرواد وتجوأهم في

(١) اطلب فصل « الديار المصرية » في الكتاب الازرق نمرة ٣ كتاب

نشرته نظارة الخارجية الانجليزية في سنة ١٩٠١ وهو مقالة في مشاريع الري في اعالي النيل

تلك الأنحاء . اما اقتلاع المساكن الراسية في بحر الجبل فلم يتم امره بعد ولم يكن في الامكان انفاذ بعثة لهذا الغرض الى منابع البحر الازرق والبحر الابيض حتى سنة ١٩٠٢ . ثم في سنة ١٩٠٣ شرعت الحكومة المصرية في عمل هائل ألا وهو اقامة جنس (خزان) للنيل عند بلدة اصوان ولم يكن في وسع حكام المالية المصرية الخوض في بحار المشاريع الاخرى البعيدة النوال المتعلقة بشؤون الري في الاقطار السودانية . اما الآن وقد نجزت أعمال هذا الجنس فقد اتت الساعة التي ينبغي لاولي الامر فيها ان يجدوا في انعام النظر في تلك المشاريع حتى يتم لهم توطيد شيء منها بتاتاً

هذا والغرض الاكبر الذي نتوخاه انما هو تعيين المشاريع الرامية الى تعديل موارد النيل مسندة الى ما جربناه واختبرناه في اثناء السنين الخمس الخوالي والارصاد التي بوشرت في تلك البرهة . ونحن نرمي ايضاً الى غرض آخر لا يخط عن ذاك اهمية واعتباراً ألا وهو اقامة ديوان ري للسودان يكون له تنسيق وتنظيم تتوصل به الى متابعة البحث عن اطوار النيل وابلاغ الحكومة المصرية المشاريع المختصة بالري على اختلاف مؤداها بعد ان تكون قد اُمنع النظر فيها بتاتاً . اقول والقضايا التي يراد استقصاؤها وتقليبها ترمي الى غرضين كبيرين الاول زيادة ايراد المياه الصيفية في الديار المصرية والثاني ضمان مثل ذلك في تلك القطعة من السنة للاقطار السودانية . ولا غرو فان هذين الامرين ضحيان متكافئان في الاهمية . والخير في ان اولهما يغلب ان يأتي بالجزاء العاجل عوضاً عما يُنفق عليه . والوسيلة الحسنى الى هذا المطلب تكون في ان ترصد مادة البحر الازرق خاصة لاصلاح فساد البلاد المحيطة به من الجانبين . واما ارض وادي النيل الواقعة الى الشمال عن الخرطوم فيكون شربها على البحر الابيض ويكون مشروع مفضل في النظر والتدبر على مشروع البحر الازرق . وعماد هذا المشروع شيئان الاول تعديل مياه البحرين اللذين تمدانه فتجريانه باذن الله والآخر

حسم تبدد مادته مستبحرة في المناقع التي هو يحترقها في أقطار مسيله العليا . قلت يتبين مما جئت به في هذا الكتاب عن صفة مصدري النيل من بحيرة فكتوريا وبحيرة البرت ان ليس من صعاب هندسية مفرطة تحول دون اقامة اعمال صناعية في كلتا البحيرتين تحكم بها مياه النهر عند منبعه من هاتين البطيحتين الهائلتين . اما اقامة حبس لتعديل المياه عند جنادل ريبون فهو بالقياس عمل سهل . وحجر الموقع على ما تبيناه من ظاهره صلد صالح للعمل وسعة المسيل ذريعة الى اقامة الأساس بغير جهد شاق . قال السر ولیم ولكس في كتاب له حديث العهد بتخفيض ذرى هذه الجنادل والاعتماد على مادة البحيرة المتخثرة فيها كل سنة^(١) قال ان ذلك عنده اولى من محاولة اعلاء مائها . اقول وهو عندي رأي صائب فاذا اقبلنا على اقامة حبس تحكم به مياه منفذ البحيرة وتعدل فالاعمال التي يستلزمها ذلك الحبس يجب ان يكون اجراؤها في وجهة هذا المطلب^(٢) . ولست ارى في تعلية منسوب مائها (فيما اذا كان ذلك ممكناً) من فائدة او عائدة فان هذه التعلية هي (بالنظر الى اتساع سطح الماء واتصاعد البخار من سطحها) أمر قرين الريبة . وقد قدمنا ان البحيرة ماؤها غمر ضخيم المقدار يتيسر الاعتماد عليه كل سنة . وهو (بما يتبدد منه بالتبخر) مقدار يكون في (مصلحة السودان ومصر) اكثر من الكثير . اقول والحبس اذا اقيم يقتضي ان يجعل للنهر في طية الثمانين كيلومتراً من مسيله في بطيحة كوجا جروف تمنع استبحار مائه فيها والا فكلما زيد التصرف من لدن منبعه انفسحت مساحة البطيحة وكثر التبخر

(١) اقرأ كتابه المعروف « بخزان اصوان وما ينجم عنه » مطبوع بمدينة لندن

سنة ١٩٠١

(٢) بما ان المسقط بعد الجنادل هوي فلا يكون من المستصعب تخفيض قاع

النهر بنسف الصخور القائمة فيه حتى يصير الى الفور المطلوب

قلت وليس في اقامة الحبس عند مخرج النهر مشاق خصوصية ما خلا
تنائي الديار وتباعد هاوندرة العملة المتدربين بالعمل المتعمرين عليه ونفقات الرحلة
وقيم الحاجيات واللوازم . وربما كان بناء ذلك الحبس اسهل وايسر جداً
من بناء حبس اصوان او قناطر اسيوط . واما فيما يختص ببحيرة البرت فاصح
موقع للحبس يكون عن مخرج النهر على مسافة خمسة عشر كيلومتراً الى الشمال
عنه في نقطة تكون حزون الارض فيها وانشازها حافة بالنهر من كلا طرفيه فانه ايان
تكون النقطة التي تنتقى من اجله فيما بين ما جنجو ودوفيله يستلزم النهر هناك اقامة
جروف له ضخمة هائلة في مسافة من طوله باسطة البعد . ولا يكون على ما ارى
في اقامة البناء في تضاعيف تلك الشقة ايضاً من مشاق خصوصية . نعم ان الصخر
يوجد في باطن الارض على بعض الغور من قاع النهر واساس الحبس تستدعي
الذهاب في الارض الى عمق عميق ولكن ما من عمل من الاعمال التي من
هذا القبيل قد تولاه مهندسو الري تكراراً ولم يبلغوا فيه الشأو البعيد المطلوب .
وزد على ذلك ان المشاق التي ذكرناها في صدد جنادل ريبون (وهي تباعد
الدار وندرة العملة واللوازم) تكون في تلك الشقة متضاعفة اذ ليس من سكة
حديدية تتداني منها . وايضاً فان ادوات البناء يجب ان تجلب بها من اماكن
قصية والارض هناك وخيمة الاقليم دوية شديدة الايداء للابدان وما خلا
هذه العوائق والموانع فرفع هذا الحبس غير مستصعب ولا يمتنع اجراؤه
على الاطلاق

قلت يرى مما تقدم ان تعديل مياه البحيرتين كليهما وموازتهما ليس
فيهما صعوبة مستحكمة يتعذر قلقلتها وإزاحتها فان الحبسين لا يكونان ضخمين
الى حد الافراط فاوزاعهما اوضاع حبسين اعتيادين لا تتجاوز اوضاع اي
من الأحباس التي اقيمت في الديار المصرية من عهد قريب . اما وجه
الاعتراض من حيث زيادة تصرف البحيرات الاستوائية هو انه لا يتها في

هذه الظروف ان تبلغ الزيادة الى البحر الابيض بل هي تتبدد هدرًا على غير طائل مستبحرة الى النقائع التي يشق فيها بحر الجبل . تلك حقيقة ثابتة لم يدي الاطلاع على ما اورده في هذا الكتاب على وجه خاص فيما يتعلق بتصرف النهر فنه يتبينون ان حومة مياه البحر الابيض الصابة من بحيرة البرت في ازمة الصيف لا تكاد تُشرف على خمسين بالمائة وان مقدار ما يتبدد من الماء ابان الفيض هو بالقياس اعظم من ذلك بكثير . بمعنى انه كلما تكاثرت مياه بحر الجبل كثر التبدد في حين ان المياه الصابة في البحر الابيض ثابتة مقيمة عامة السنة . فان لم يمتنع بلوغ المياه المارة حيال لادو الى الخرطوم في ابان القيظ على غير انتقاص في جرمها لا يصح البحث والتنقيب عن مشروع تعديل مياه البحيرتين باقامة الحبسين . فالتصميم اذاً يجب متاركة ريثما يتبين لاولي الامر ان مياه بحر الجبل تسترقد وتستنزف وتصير بذلك غير وافية بمطالب مصر والسودان معاً^(١) . والشيء الآخر الذي ينبغي التأمل والنظر فيه انما هو استنباط طريقة نافعة لاصلاح مسيل بحر الجبل حتى لا يتبدد من مياهه شيء ينساح مستبحراً الى المناقع فان هذا التبدد يكاد يكون ملازماً للبحر في دائرة السنة . ثم ان حل هذه العقدة ليس بالامر المستسهل كما يتوهم اول وهلة فتصرفات سني الامس تدل على ان جرم المياه المارة قبالة لادو ابان الصيف تختلف من بين ستمائة الى سبعمائة متر مكعب في الثانية ولكن في ازمان الفيض يكون ذلك الجرم الف متر مكعب الى الفين في الثانية وربما عد ذلك غمار التصرف وعاليته . وهي تدل ايضاً على انه تصرف بحر الجبل عند بطيحة نو (وهناك مبدأ البحر الابيض الى الشرق عنهما مسافة سبعمائة وسبعة واربعين كيلومتراً) قلماً ينيّف على ثلاثمائة وعشرين

(١) اذا تم لبحر الجبل او بحر الزراف التعديل الذي سبق الايماء اليه في هذا الكتاب فالمستقبل المنوّه به لا يكون بعيد الوقوع

متراً مكعباً في الثانية ولو يكون النهر في صوب الجنوب على عبابه أي معظمه .
وازيدك انها تدل على ان مقداراً جماً من هذا التبدد في قترات الفيض
تكون في قيد مائة وثلاثة وستين كيلومتراً عن لادو اعني في طية ما بين تلك
المحلة ومحلة بور

أقول ومن اهم الامور وأجداها تأتية^(١) مياه النهر وتديرها واقامة مناكب
له وجروف لكي تذهب عامة مياهه الصيفية في سمت الشمال ولا يشوبها
في سيرها انتقاص في جرمها غير ان ذلك يكون ممقوتاً في ازمنة الفيض .
ولا مشاحة في ان احتباس مياه البحر الابيض متراجعةً باندفاع مياه البحر
الازرق لا تخول ضميمة الماء ادراك الخراطوم الآتى بالغ البحر الابيض
في الانتقاص وعلى ذلك يكون احتقان مياه بحر الجبل (وتصرفه الفا متر مكعب
في الثانية وعليه علاوة من المياه الصابة من نهر سباط) مؤدياً الى تراخي المياه
سائبة الى مناقع البحر الابيض وبحر الجبل وتبددها هدرًا على غير جدوى .
وربما استاقت في طريقها شيئاً كثيراً من اعشاب المساكات تذهب طافيةً
على صفحات الماء في سمت الشمال وقد تروم مجرى النيل ردمًا فاحشاً .
فالأولى اذاً على ما نرى ان نحاول تغيير احوال الفيض الممهودة في البحرين
تغييراً طفيفاً على قدر الاستطاعة فنحتكم في عامة المياه الصيفية ونحن بها
محتفظون . واما مياه الفيض فمن محلة غابة شمبي الى الجنوب عنها نتركها وشأنها
تذهب بدرقة بالتبخر على حد طبيعتها في ايامنا - أريد بما تقدم ان كل عمل
يصمم عليه في هذا الشأن يجب ان يجري الى غرضين الاول الحرص على ما
في المناقع من خاصّة تعديل مياه الفيض وموازتها والثاني منع ضياع مياه
النهر وتبددها في ازمنة الفيض والجفاف

(١) الثانية مصدر أتى الماء اذا سهل له السيل (المغرب)

اشرتُ في كتابي المسطور في سنة ١٩٠١ وسبقت لي الإشارة اليه^(١)
بان تقام جروف لبحر الجبل في مسافة ما بين محلة بور و بطيحة نويحصر مسيله
فيما بينها فيكون مجرى فذاً في عامة السنة . قلت وكانت اشارتي في ذلك
يوم لم اكن على علم يقين باطوار النهر ابان الفيض فلقد وهمتُ يومئذٍ في ان
مياه الفيض تنزل المناقع ثم تجوز عنها مفضية الى البحر الابيض دون
انتقاص ظاهر في جرمها . واما اليوم فقد اتضح من مستخرج تصرفات
السنتين الخاليتين انه لا يبلغ بطيحة نويح من الماء سوى خمسة عشر الى خمسة
وعشرين بالمائة من ذلك الجرم فالمسألة اذاً قد تبدلت حيثياتها فالمناقع اليوم
مفيض او مسرب طبيعي لمياه الفيض في احياز اعاليه وهو ما نريده منها
ان تداوم عليه

تقدم في الكلام على تصرفات النهر ان تبدد المياه في ازمة الجفاف في الانحاء
الجنوبية عن غابة شمي يكون سببهُ انخزال النهر في عدة شعاب يقع كثير منها
في غدران واسعة الاقطار وصبابات عديدة تتهارب من نقطة في جروفه وطبقة
هابطة الى المناقع المجاورة فاذا صُمّت الثلم وسدّت البشوق وامتنعت الصبابات
وحُبست مياه الشعاب ربما بلغت مياه الصيف الى غابة شمي بغير انتقاص
في جرمها الا قليلاً عن المياه المارة قبالة كندكرو ولادو . والذي يتساءل به
اليوم هو ما اذا كانت هذه الطريقة تؤدي الى اجتياز مياه الفيض ايضاً
بغير عجز ونقصان . ففي ذلك اقول انه يُبعد ان يكون لسدّ الثلم أثر يذكر
في ايراد مياه الفيض لان تلك المياه لا تلبث ان تعتلي ظهر الجروف المنحطة
في استقبال الفيض واوائله وتجاوز من فوقها مترامية الى وادي النيل
فتغمره . على انه ربما يكون لسدّ الشعاب الفرعية مع ذلك اثر في ايراد الفيض

(١) الكتاب الازرق الصادر عن نظارة الخارجية في الكلام على الديار المصرية

لكن اذا لم يتيسر سد هذه الفرعيات في ازمئة القبط والجفاف فلن يزول السبب الاكبر للتبدد. واذا اقيمت تناء^(١) اوسدود وضبعة لا ينف ارتقاءها على ارتفاع جروف النهر فيحتمل على ما ارى الوصول الى الغرض المطلوب وهو منع تبدد المياه الصيفية . وفي الفيض تعلي المياه هذه التناهي فتفعم المجاري ماء كما يرى ذلك في يومنا . والسكة البسيطة التي تتبع في ذلك هي ان يغرز في مبدإ كل شعبة سطران متوازيان من الاوتاد والاغصان وإطباق اطوائها^(٢) بالتراب فاذا جاء الفيض ينكسح شيء كثير منه وربما مكثت الاوتاد في مواضعها لاجل ان مضي الماء في تلك الشعاب غير شديد . واما الجروف فتقام كل سنة بعد تنازل مياه الفيض وانحسارها . ولنا لذلك طريقة أخرى وهي اقامة قناطر تمديد صغيرة واحدة في منشأ كل شعبة من الشعاب المذكورة تسد في ازمئة الجفاف وتطلق في ازمئة المد^(٣) . على ان هذه الطريقة كثيرة النفقة . اشار السر وليم والكرس في مقالة له كتبها في سنة ١٨٩٩ من اجل سدّ الشعبة بأن يفرس في مسيلها شجر الصفصاف . اقول والصفصاف لا يوجد اليوم على ضفاف البحر الابيض على الاطلاق لكن لنا منه بديل جيد ألا وهو شجر العنبج^(٤) شجر عميم في اقطار اعالي النيل وفي انحاء دوفيله الى الجنوب عنها تبلغ الشجرة الواحدة منه علواً في السماء بالغاً . ويكون جذعها غاية في الضخم والغلظ . ويعيش العنبج في احشاء الماء وهو ينتظم سطوراً مستقيمة على كلا جانبي الشعبة تكون شبيهة

(١) التناهي جمع نهاية وهي ما يُردّ أي يحبس به الماء من ترابٍ ونحوه (المعرب)

(٢) أي فيما بينها (المعرب)

(٣) يصحُّ بناء هذه القناطر الصغرى « بالخرسان المسلح » ذلك يكفي مؤنة

الاستحصال على مهمات البناء في تلك الاقطار

(٤) هير مينبارا ايلافكسيون

بسطور منابت الحور . واما عنبج التخوم الواقعة الى الشمال عن بدّين فكثير
وافر لكنه ليس بسامق الطول او غليظ الجذع كعنّيج اعالي النيل وفي ذلك
عَجَبٌ لَّانَ البلدين متشاكلان في الاقليم . والعنّيج يشبُّ في ماء معتدل
الغور فاذا قام منه سطر في منشاء شعبة من الشعاب المذكورة سدّه على مرّ
الزمان سداً محكمًا . وربما صحّ ان تؤخذ شجرة فتية منه فتعلّم اي تحزّ من
اسفلها على ورابٍ حتى يكون لها من ذلك طرف حديدٌ مثل حد الوتد ثم
يُولَج في ارض النهر . والمشهور انه اذا غرس على هذا الرسم يضرب له في
الارض جذورًا فينمو . ولا بأس اذا اتّخذت هذه الطريقة للتجربة فاذا
صحت يكون لنا منها مخلص اقتصادي لسدّ شعاب النهر فربما امتنع بها ارتكام
خليع الاعشاب وغيّاء المساكات على التدريج حتى يُصبح المجرى موكوماً ابدًا
الدهر . وتوجد ايضاً طريقة اخرى وهي ان ينبت في الشعبة سطران من
العنّيج ويردم براح ما بينهما بالتراب الى مساواة سطح الماء في ابان الفيض .
فبواحدةٍ من هذه الطرائق يصير النهر جنوبي مخرج بحر الزراف مسيلاً
فذاً مذهبهُ على دَرَرٍ واحدٍ ولا يُبطل ذلك استبحار المياه الى الآجام الواقعة
فيما بين لادو وغابة شمبي وقدمنا ذكرها في هذا المؤلف صفحة ٣٥٨ .
فالمياه تتسبّب راكمية الجروف الوطيئة وتتفجر الى الوادي فيطم ولا تجوز
ذاهبةً في سمّت الشمال الا من بحر الجبل وبحر الزراف فان لم يوسع بحر
الجبل ويعمّق فهو ليس له سعة بضميمة الماء في حين ان الاحتياطات تتخذ
لمنع انسكابها في نهر الزراف وتبددها هدرًا . وسيأتي الكلام ان شاء الله
على صفة تلك الاحتياطات

فيرى مما تقدم ان في حيّز الامكان التطريق لمياه اعالي النيل وتديرها
حتى تبلغ مبدأ نهر الزراف في ازمّة الجفاف غير منتقصة قبالة لادو الا
قليلاً وتنساح في ازمّة الفيض طفاح البطيحة الواقعة فيما يلي غابة شمبي

الى الشمال عنها الى الحد الذي نبلغه في ايامنا . ولا تستدعي هذه الطريقة شيئاً كثيراً من النفقة . ثم ينبغي ان تحرّى انفع الطرائق لتأدية مياه الصيف شاقة بالنقائع الكبرى الى الشمال عن بور الى مسيل البحر الابيض بغير انتقاص في مقدارها انتقاصاً يعتد به . وعندى سبيل آخر هو بالخاصة الخلقية يؤدي الى هذا الغرض وهو تعديل قطاع اى من بحر الجبل ونهر الزراف حتى تكون ابعاده وافية ويكون تصرفه بالغاً من بين ستمائة الى سبعمائة متر مكعب في الثانية وهو سبيل قريب الاخذ اليه لا اخاله الا في ضمن احياز الطبيعة وفي اعتقادي ان نفقات ركوبه اوغلها في القلة

قلت وتوجد وسيلة أخرى الى هذا المطلب اذا أبان البحث صحتها فهي ولا ريب مدعاة لتعديل ما اختل من امر النهر تعديلاً يفضل تعديل اى المسيلين المذكورين فقط . وهي تكون بشق خليج للنيل قبالة بلدة بور الواقعة على طرّة بحر الجبل في اعاليه . خليج يخذ الارض ذاهباً في سمت الشمال ماراً على سنن ويفرغ في البحر الابيض بجوار مجتمعه بنهر سباط^(١) كما ترى على الرسم الملتصق بهذه الصفحة . وتكون مسافة طوله نحواً من ثلاثمائة واربعين كيلومتراً ويسير على جادة مستقيمة . فلو تأتى ان يحفر مثل هذا الخليج فتأدى به المياه من احياز اعالي النيل عند بور على وجهة قديمة حتى تلحق بالنيل الابيض فتسقط اليه على مقربة من ممرجه بنهر سباط لكانت البركة التي تستخرج وتُستخلص من ذلك متجاوزة التقدير حتى تذهب بكل اعتراض يؤتى به على اجراء هذا المشروع ادراج الرياح اللهم الا اذا دلت الاستقصاءات في المستقبل بالشواهد الصادقة على ان اجراءه يعد رابع المستحيلات من حيث مراقى المناسب وخلق الارض الواقعة في درج ما

(١) يكون موقع هذا المجرى حوالي ٣١ درجة و ٤٠ دقيقة من العرض

الجغرافي شرقي جريننج

بين النقطتين مبداءه ومفضاه . ومعاد هذه البركة الى الامور الآتية —
اولاً — التخلص بتاتاً من منطقة المناقع جملةً فلا يعتد بذهاب المياه في
ازمنة الفيض في المسيل العميد وانسياحها طلاقاً الى تلك المناقع كما في ايامنا
فلا يكون لانسداد شعابه بالمساكات اهمية ما ولا يحدث ذلك شيئاً من الاثر
في ايراد الخليج المقصود — ثانياً — خصرة جرية الماء فيكون طريقها
مقرباً فتسهل الملاحة سهولة كلية اذ يكون المجرى مستقيماً تسير المراكب
فيه تواء على غير تعرج — ثالثاً — الاضراب عن اعمال تدير الماء الى حد بور
فلا تتجاوزها الى ما وراءها شمالاً فيكفي القوم مؤونة الاهتمام بذلك في مدى
من طول النهر يكون زهاء مائتي كيلومتر . ولما كانت انجاد الارض تحف بضفة
النيل الشرقية عند تلك البلدة كان الخليج المراد احداثه يمر في بطن تلك
الانجاد فيغني ذلك عن اقامة جروف له في ابعاد مديدة من طوله — رابعاً —
التمكن من ضبط المياه ضبطاً كلياً في الخليج ذلك بان يجعل مأخذهُ بمشابة
قنطرة تعديل يكون له سكر أي (هاويس) . ثم تقام قنطرة اخرى اعظم
من تلك في مسيل النيل عند تلك النقطة يتصل بالنجاد الغربية بجرف
يُستحدث لهذا الغرض . فتكون مزية هذين السكرين ضبط التصرف ضبطاً
مستكملاً في عامة ادوار السنة

قلت واذا انت تدبرت ما جاء في باب التصرفات عرفت ان جرم ما يمر
ببور من مياه النيل لا يتعدى في اية حال من الاحوال الف متر مكعب في
الثانية حتى في السنين التي يكون فيضها غامراً مفرطاً . فخرى اذا بالخليج
المنوي احداثه ان يتضمن مثل هذا الجرم طبقاً لما نحن نتوخاه ونتطلبه . فاذا
اقيمت القنطرة (الحبس) بالطريقة المثلى يضبط مقدار التصرف حينئذ
ضبطاً دقيقاً . واخير كل الخير فيما اذا تأدى هذا المقدار في ازمنة الصيف الى
البحر الابيض تواء . لكن المشروع لا يُعيب الا في ان نفقته تنزع الى

الازدياد على غير نسبة . اقول اما التصرف المذكور فيفضل جمام تصرف التربة
الابراهيمية قبالة اسيوط (وهو يبلغ في الفيض المكثرت ثمانمائة متر مكعب في
الثانية) بقدر الخمس . نعم ان جمهور هذا الجرم من المياه لا يصير الى الخرطوم
يوم يكون تصرف النيل الازرق فيما فوق خمسة آلاف متر مكعب في الثانية
لكن ذلك المقدار لا يفتقر اليه في تلك الفترة ولا ضرر من انقاص ايراد المياه
في الخليج فحسبها ما يقوم من تلك المياه باجراء المراكب فيها . ولا بأس من
انصراف فاضلها الى بحر الجبل فتفيض مستبحرة في المنافع . ولا حاجة الى
بيان الفائدة الجليلة التي تنجم عن هذا الايراد الصيفي فانه يضمن للديار
المصرية ولا ريب شرب ارضها وسقيها وييسر لاقطار بحري الخرطوم
كفافها من المياه

فاذا تهيأ ان يقام الخليج على هذا النمط حينئذ ينبغي اجراء المشروعين
الموضوعين لتعديل مياه البحيرتين الاستوائيتين اعني بذلك اقامة سيكر
تعديل (قناطر موازنة) عند جنادل ريبون وسيكر آخر بحري منفجر بحر
الجبل من بحيرة البرت ويكون السكران صنوين احدهما كملا للآخر .
ورب قائل يقول ان المشروع في حد نفسه دواء افضل مما يستلزمه داء تبدد
المياه وتبذرها فقد لا يسلم بعضهم باجرائه ونفاذه . اقول ان هذا العلاج ليس
بالعلاج الشديد كما يراه الراؤون لاول وهلة فالشيء الصحيح الذي يجعل
المشروع ممكن الاجراء (مع وجود أشياء اخرى تسهل ذلك) انما هو قوة
التصرف الناشئة عن منافع بحر الجبل . واعلم ان ليس الغرض على الاطلاق
تحويل مياه الفيض وارسالها في خليج مصنوع . بل كل ما في الامر
ان هو الا حفر ترعة او قناة في الارض لا تكون اضخم من اية ترعة
من الترع الكبرى في الديار المصرية بكثير وهي تؤدي المياه الصيفية في اخصر
الطرق واقومها الى المسكان الذي يكون له بها حاجة . وهي في مجانبها المنافع

تهون صعب حفظها وصيانتها فيقل تبدُّد المياه الناشئ عن تلك المناقع فتكون بمثابة محتفل لمياه الفيض وهي في ازمنة الشتاء يتسلسل ماؤها هابطاً الى النهر بالمقدار المعهود في ايامنا فيستكمل بذلك ايراده . واذا اردت ان تعلم مسافة طول الخليج المراد احداثه مقارناً بمسافات بحر الجبل ونهر الزراف والبحر الابيض الى الغرب عن مقترن نهر سباط بهذا البحر فنحن نقص عليك ان مسافة ما بين بلدة بور ونهر سباط على ما رسمته الخريطة تكون ثلاثمائة واربعين كيلومتراً ومسافة ما بينها ومقترن ذلك النهر ابجراً في بحر الجبل فبطيحة نو فالبحر الابيض تكون زهاء سبعمائة وعشرة كيلومترات وما بينها والنهر المذكور سفوراً في بحر الزراف والبحر الابيض تبلغ قراب ستمائة وخمسين كيلومتراً . فالأى يكون من تقارب المسافة بين بور والبحر الابيض انحدار شديد في مسيل الخليج المطلوب حفره حتى تتمذّر الملاحة فيها بتاتاً . هذه مسألة لا طاقة لنا على كشفها وتعريفها الا متى تبيننا الفرق بين منسوبي تينك النقطين . ولا غرو فان مشروع الخليج قد عرضناه ونحن على غير علم بهذا الفرق على الاطلاق ولا ندري شيئاً عن طبيعة الاقطار المندرجة فيما بين هاتين النقطين . اقول ويحتمل ان يكون ذلك الفرق عظيماً حتى لا يتيسر نفاذ المشروع الا اذا اقيمت في الخليج اجباس وقناطر تعديل الامر الذي لا يصح الاقدام عليه في شقة نازحة باسطة مثل هذه الشقة . غير ان ذلك لا اخاله بالقياس الا بعيد الاحتمال فان بحر الجبل والبحر الابيض انحدارهما خفيف الى الاستواء . وايضاً فقد تكون ماهية الارض بين المكانين مما يجعل شق ذلك الخليج وعراً منيع المطلب الى الغاية ويوجب انفاق الالوف المؤلفة من المال . اما الخرائط الموضوعة لتلك الاقطار فقليلة الدلالة والبيان في هذا الشأن ولا يترأى منها الا ان جداول مياه السيل تحدد تلك الارض شاقة فيها وتستلزم تدبُّر أمرها في المشروع . وزد على ذلك فانه يكون البر

هناك نجداً غليظاً فتزداد بذلك مكعبات الحفر زيادة باهظة ثقيلة أو غوراً
مطمئناً فيستلزم إقامة جروف هائلة - كل ذلك لا يزال الى اليوم في طي
الخفاء والغموض^(١)

وبعدُ فان هذا الخليج لا يتهيأ لنا شقُّه الا بالحفارات البخارية لتمدُّر
الوصول الى عملة يعملون في ذلك . والوجوب ان تكون الحفارات شديدة القوى
لهذا الغرض ويشرع في العمل من كلتا العدوتين الشمالية والجنوبية معاً وربما
كان انقضاؤه أعجل مما يستدعيه تعديل اي البحرين بحر الزراف وبحر الجبل
من الزمن^(٢) ثم ان في اقامة قنطرة تعديل (موازنة) على النيل فيما يلي مأخذ
الخليج شمالاً واقامة قنطرة اخرى وحسب له بالذات لصعوبة كبرى خلو
البلاد من العملة ومهمات البناء الا ان تلك الصعوبة لا تجعل حفر الخليج في
ضمن المستحيلات . وكل مقايضة تُهيا في هذا المعنى ماهي في هذا العهد الا
تقديرية تقريبية^(٣) . واول شيء يجب النزوع اليه لاهميته انما هو مساحة تلك
الشقة واستخراج مناسب اقطارها من لدن ملتقى نهر سباط الى حد الجروف
العلية اللاحقة بالنيل حافة به تلقاء بلدة بور . فلا فائدة اذاً من التوغل في

(١) يتراءى من الرسم النظري الذي رسمه البناشي ولسن أحد موظفي حكومة
السودان ان قسماً من تلك الشقة ارضه نجد نشاز شجير مستوي السطح . راجع
الصحيفة السادسة والستين من كتاب « واسطُ سباط » الذي نشره قلم المخابرات
الحربية بمدينة لندن سنة ١٩٠٣ . قال المستر جروجن في كتابه « من الراس الى القاهرة »
عن بلاد شرقي النهر انها فيافي وفلوات واسعة الاطراف والانحاء لكنها مرتفعة ومناقعها
غير متجاوزة الحد في الكثرة

(٢) لعل الطريقة الفضلى لاجراء العمل على اتم المراد ان يعهد به الى بيت
من بيوتات القبالات اي المقاولات الكبرى

(٣) ترى في الملحق الاول مقايضة تقريبية لهذا العمل واقرب المعلومات عهداً
بهذا الموضوع ما تراه في الملحق السادس

التطويل في موضوع الخليج قبل ان تستجلى المسائح والمناسيب المذكورة .
وجل ما اقله في ذلك ان المشروع على حد ما هو مرسوم على صحائف
القرطاس مشروع ممكن تنفيذه ويكون منه منافع ومصالح جلى تستحق
بذل المال الكثير وتحمل المشاق الجسيمة في سبيله لانه يكفل للديار المصرية
واراضي السودان السفلى غزارة نفع باقٍ مستديم . فاذا تأتى ان تقر الحكومة
المصرية على ما سنيته في ما يأتى من كتابنا هذا باحداث مصلحة ري مقيمة
في السودان . فاول ما يجب النظر فيه وتدبر امره انما هو حفر ذلك الخليج
فله الاولوية على غيره من المباحث في تلك النقطة . قلت اذا مسحت الارض
واستخرجت ميزانياتها وتبين منها تمذّر احداث الخليج فما سبيلنا الا اتخاذ
واحدٍ من البحرين للاصلاح والتعديل إما بحر الجبل واما بحر الزراف ذلك
يستلزم دقة النظر والتروي فانه الشيء الواحد الممكن الاجراء بعد مشروع
حفر الخليج . أما بحر الجبل فيبلغ تصرفه اليوم نحواً من اربعمائة متر مكعب
في الثانية لكن بحر الزراف في عدوة باسطة من طوله الى الشمال عن مشتقه
اي منبعثه ما هو الا طريقة او مصف من المناقع حتى يمتنع انجلاب هذا
التصرف بمقداره في اسافل مسيله لكن اذا خصّ دون غيره بارسال المياه
الصيفية الى البحر الابيض يكون ما يحتاج اليه اقل من ذلك بكثير . اما قطاع
البحرين وانحدار مائهما وخصالهما العامة فلا تشابه بينها ولا قياس . فبحر الجبل
هو بلا مرأى المجرى العميد . له غور يختلف دركة من بين خمسة الى ستة امتار
حتى في اقصى غيضه . وهو قارب شديد الجرية سريع المضي وله سعة
يختلف متوسطها بين سبعين الى ثمانين متراً . واما بحر الزراف فهو مها
كيفة اصغر منه كثيراً ولما خرج غوره من بين مترين الى ثلاثة امتار
وجريته بها لجة وتمكث وله سعة تكون من بين اربعين الى خمسين متراً
وهو اكثر شبة بمصرف او ترعة معوجة منه بنهر جلي عظيم . وسواء

أختير من البحرين هذا ام ذاك فبحر الجبل لا بد من بقائه منفذاً ثابتاً
مُعَدّاً للملاحة ويلزم من ذلك ان يكون تصرفه من بين ثلاثمائة الى اربعمائة
متر مكعب في الثانية . واذا أُجريت فيه الجرافات الصالحة تيسر بذلك توسيع
مجراه حتى تمر فيه عامة المياه الصيفية فيصير تصرفه من بين ستمائة الى
سبعمائة متر مكعب في الثانية . واذا قدر ذلك فكان فالثابت المحقق أن يزداد
التصرف الفيضي وتزول المآجل والصود والحوابس الناشئة عن المناقع وربما
ادى ذلك الى انخلاع مادة المساكات من فضاء واسع من تلك المناقع فطفت
على وجه الماء سابحة فيه . فالخصافة اذا وسد الرأى ان لا ينزع الى خبطة
كيان هذه النقطة الا اضطراراً . وأما مشتمل الطيات والليات الغليظة فيزال
بعضها ويقطع الاتصال بين النهر والغدران والتراثك المجاورة . اقول وهذا
قصارى ما يجب اجراؤه^(١)

قلت ولكي تكون بقية الايراد الصيفي مكفولةً مضمونة فلا مندوحة
عن استخدام الزراف . فان الاستقصاءات والمعلومات التي جاءت بها الارصاد
فيما يختص بالفيض في السنتين الخاليتين قد دلت على ارجحية استخدامه
لهذا الغرض ذلك اولى واحرى من توسيع بحر الجبل او اقامة جروف له .
فان لبحر الزراف مزايا كبرى جائلة يفضل هو بها بحر الجبل من حيث انه
مجرى تسيل فيه مياه الايراد الصيفي وهذه المزايا هي اولاً انه اقصر في
مسافته بقدر ستين الى سبعين كيلومتراً مع الاعتداد بمسافة طول البحر
الابيض فيما بين بطيحة نونقطة مجمع البحرين . ثانياً ان مضجعه في جل
طوله يكون في ضمن جروف يابسة . ثالثاً ان مياهه تتراعى الى البحر
الابيض في نقطة تكون عن بطيحة نونقطة ثمانين كيلومتراً الى الشرق عنها

(١) ذكر هذا المشروع في الصفحة الرابعة والخمسين من الكتاب الازرق في

ذلك برهان قاطع وحجة بينة على افضلية اختيار بحر الزراف لا بحر الجبل .
ولقد ذكرنا فيما سلف ان مقداراً جماً من مياه بحر الجبل ينساق الى تلك
البطيحة فيزيد فساحتها وتنفسح بذلك مساحة منطقة التبخر وكلما استجمعت
المياه الجارية شمالاً وكثرت كثر تبدها هدرًا ولا يبطل هذا التبدد الا
باستخدام بحر الزراف اذ انه قبيل مجيء فيض سباط لا يكون في وجه فيض
البحر الابيض صاّدٌ ولا رادٌ وحسبك مجانبه ذلك البحر لمناقع مظلمة تحف
به من كلا جانبيه في مسافةٍ من طوله قدرها ثمانون كيلومتراً

ومما تقدم يرى الصواب في جانب اختيار بحر الزراف وجعله مجرى
يتأدى به فاضل المياه الصيفية المفرغة من مهب الجنوب فيعدل قطاعه
ويوسع مجراه حتى يمر فيه من المياه ما يجعل تصرف جرمه من بين خمسمائة
الى ستمائة متر مكعب في الثانية ويكون على بحر الجبل استيقاق فاضل الايراد
أعني به ايراده الحالي لان قطاعه لا يعتريه تغيير البتة وعلى هذه الطريقة
يكون الايراد الصيفي مكفولاً مضموناً والملاحة تجري على جادتها . - ولحجر
مياه الفيض وحبسها عن الاندفاع في بحر الزراف يقام قنطرة تعديل عند
مأخذه من بحر الجبل فوق المسالك تسدّ سداً محكماً في أزمنة الفيض عند ما
يكون النيل الاعلى في ميقات مدّه . واما انتقاء الموقع الموافق لهذه القنطرة
من اجل مشروع التعديل المراد احداثه في بحر الزراف فمسألة تعدّد من
المسائل الوعرة صعبة المراس فالبحر في مسافة ثمانين او تسعين كيلومتراً من
طوله ذهاباً من مخرجه ليس له مجرى بين فهو هناك عبارة عن مصفٍ
حاشك (أي متتابع) بعيد المدى من الغدران والسبخات تكون في ازمنة
الفيض مناقع وبطائح يدركها الجفاف في الفيوض المقلّة

ثم ان الجروف العليا تتدنّى من النيل على جانبه الشرقي عند بور لكن
هذا المكان عن النقطة المخروص فيها على العموم ان تكون مخرجاً له من بحر

الزراف يكون على مسافة مائتي كيلومتر جنوباً عن تلك النقطة فاحداث الفم هناك يزيد في طول المجرى الذي يراد تعديله . وزد على ذلك فان المستر كروجن في رحلته من بور الى مندغم البحر بالبحر الابيض قد لازم الضفير الشرقي لفرع من بحر الزراف فسيح السعة هو في العيان تخوم المناقع الشرقية وهو على ما في الخريطة الوضعية التي صنعها يجتمع بذلك البحر فيما وراء ذلك شمالاً^(١) . وقد أطلق عليه اسم نيل جرتودا فلربما صح استخدامه لتأدي المياه الصيفية الى بحر الزراف . فاذا كان ذلك ممكناً جاز ان تقام قنطرة التعديل في أشراف الارض ومرتفعاتها على مقربة من بور غير ان ذلك لا يُقطع فيه ولا يُبت ريثما يعمل فيه البحث البعيد ويُنقّب عن اخلاق هذا المجرى وتباشر من اجله المسائح التي يُعين بها خطة سيره^(٢) . واذا تبين ان استخدامه ممتنع غير مستطاع فالسبيل حينئذ ان ينشأ لبحر الزراف مسيل يُحصّن ويصان بحروف ويكون مأخذه من النيل شاقاً بطون المناقع التي عند مأخذه وتقام قنطرة التعديل في نقطة من هذا المسيل . اما توسيعه فليس في تنفيذه مشقة كبرى في المائتي كيلومتر السفلى من طوله لاجل ان الجروف في تلك القطعة منه مرتفعة ناهضة . على ان المسيل يستلزم تعميقاً وتعديلاً دون توسيع جسيم . واما في السبعين او الثمانين كيلومتراً

(١) راجع كتاب « من الراس الى القاهرة » انشأه جروجن نشر في لندرا

سنة ١٩٠٠ — اطلب الملحق السادس ففيه صفة هذا الفرع

(٢) لما كان الكبتن لدل من الحرية المصرية يستاف أي يكتشف من عهد

قريب طريقاً صالحاً يقيم فيه خط التلفراف الى شمبي أصاب مسيلاً الى الشرق عن بور لا يعد ان يكون هو عين ذلك الفرع . قال فيه انه مجرى جليل ضاحي المذهب غير كنين ويقول امم تلك الاقطار انه يفرغ الى بحر الزراف بعد جريه أمداً الى الشمال ولا عجب اذا اظهرته الايام بمظهر أشرف المجاري التي يجب استخدامها بفرض ان مسيلاً فيما بين بور وبحر سباط غير مستطاع احداثه — طالع الملحق السادس

العليا منه (اي الجنوبية) فالجروف هناك تستدعي تعليتها والمسيل يقتضي تعديله وتقويمه شيئاً كثيراً لانه موج الى الغاية . واما في طية الثمانين او التسعين كيلومتراً الى عدوته القصوى جنوباً فلا يعرف له هناك مدرج او مسيل هناك توجب الحال احداث مجرى له تحف به جروف وثيقة محكمة . والواجب ان يعد مسيله لان يستوعى في جوفه عالية مياه الاخوار الكبار التي تستبحر الى المناقع بقرب بور صابة اليها من مهب الجنوب الشرقي . واشهرها ثلاثة خور خوص وخور طو وخور ياتى . وبما ان بحر الزراف يكون مسدود الفم أبان الفيض ومادة هذه المناقع لا يعتد بها كثيراً في اي حين فلا يكون في تدبر ذلك واعداد المدّة فرط صعوبة ألا ترى انه تعمل للماء مصاب ومرام على الجانب الشرقي تجعل له أبواباً تسك في ايام الصيف وتفتح في ازمة الفيض فيجوز منها مندفعاً في مجرى الزراف^(١)

وبعد فان تقدير النفقات التي تستدعيها الاعمال المراد اجراؤها لبحر الزراف بحيث يكون تقديراً صحيحاً دقيقاً أمر محال مستحيل الا اذا علمت المناسب والقطاعات العرضية . وأثقل من ذلك ان مقدار طول المجرى غير معلوم بالضبط ايضاً ولكنه لا يمكن ان يكون الى ما دون ثلاثمائة وستين كيلومتراً وهي مسافة ما بين غابة شمي ومندغم بحر الزراف بالنيل الابيض . وقد يجاوز طوله هذا القدر اذا اعتدنا بمطاويه وتعاريجه . ولقد جهدنا في التقرير التي سبقت الاشارة اليه ونشر في سنة ١٩٠١^(٢) في تقدير النفقات التي يستلزمها تعديل البحر تقديراً تقريبياً . وكان ذلك التقدير مبنياً على فرض اجراء

(١) ولو ان قطاعات هذه الاخوار عظيمة المقدار لكن انحدارها قليل وليس

تصرفها بكبير على الاطلاق فهي في الحقيقة اشبه بغدران ووجاب منها باخوار

(٢) راجع الكتاب الازرق الذي نشرته نظارة الخارجية فيما يختص بمصر

العمل بجرافاتٍ والفراغ منه في ملاوةٍ من الدهر قدرها خمس سنوات من يوم الشروع فيه . فان مجاهد تلك الاقطار قصية المساف لا يستطيع فيها جمع النفر للعمل فضلاً عما في نقل المعدات والمير من الصعاب والمشاق ولذلك لابد من اختيار طريقة التجريف بالجرافات . ولقد قدرنا تلك النفقات ايامئذ بمليون وربع من الجنيهات المصرية . لكن ما وقع لنا الى الآن من المعلومات دال على احتمال الزيادة زيادة يعتد بها^(١) . اما مشروع استخدام بحر الزراف ففيه بعض النظر من وجهين الاول ان البحر اليوم مصرف تنصرف به مياه الفيض من بحر الجبل فهو له مخفف ومنفس والثاني ان مسافة المجري المراد احداثه واقامة جروف له تكون طويلة المدى . ففي الوجه الاول اقول ان سد البحر دون مياه الفيض حتى لا تجري اليه ليس بمانع اكبر يمنع بتنفيذ المشروع اللهم الا ان يحفظ بحر الجبل مخلصاً دوماً فلا تخنقه المساكات والسدود كما في سابق عهده وليعلم ان تصرف بحر الزراف في فيض ١٩٠٣ (وهو فيض جراف مفرط) لم يبلغ الا مائه وخمسين متراً مكعباً فقط في الثانية فاذا دام بحر الجبل مكشوقاً خلوا من الموائق الرادعة لمياهه فلا يكاد يحتمل ان يتجاوز تصرف الزراف المقدار الذي ذكرته وانحباس هذا التصرف لا يؤثر في البطيحة الكبرى الى الجنوب عن غابة شمبي بشيء سوى زيادة فساحتها زيادة لا يعتد بها او يكثر ثلثها وايضاً فان ابطال جرف الزراف لا يكثر مياه بحر الجبل فانها تفيض الى المناقع لان البحر لا يطبق الزيادة الا اذا انهرناه أي وسعنا قطاعه وعلى ذلك فهو يلزم طريقته التي هي له دون تبديل فيها ولا تغيير

والوجه الثاني (وهو اجدر الوجهين بالالتفات اليه) هو ان المشروع يستدعي اموالاً هائلة وزد على ذلك هول الجروف التي يجب اقامتها لهذا النهر في عامة مسافة طوله الأمر الذي يمكن تخاشيه اذا انشئت لذلك جرافات مخصوصة

(١) هذا التقدير تراه في الملحق الاول من هذا الكتاب

فبها يتم العمل الى حد الكمال ولا ريب . وايضاً يقتضي ان يزيد مقدّر المقايسة بقدر نفقة تدبر النيل الاعلى في الشمال عن غابة شمي والنفقات التي يستلزمها تعديل بحر الجبل في مواطن المساكات من نحو ازالة ثناياه الغليظة الضخمة وقطع كل اتصال بينه وبين الغدران والبطائح . ومعلوم ان مثل هذه النفقات يستحيل تقديرها ما لم تكثر عدّة المساحات والمقاسات في شان هذا النهر عما هي عليه اليوم . ولا خفاء ان عمليات المساحة يجب ان تبشر بالسكينة والهيئنة بغير اسراع ولا تمجيل ثم تطبق بالتجربة والامتحان . واعلم ان الغرض من المشروع مقاومة الخلال الكونية ومناجزتها مناجزةً واسعة لا يتأتى ذلك الا بالاحتياط الكلي والحرص الشديد ودليله ما اختبره المهندسون من امر نهر مسيسيبي^(١) قالوا ولو ان النظريات تجيز تقصير مسافة نهر من الانهار العظام او تضيق سعيته فان العمليات تمنع ذلك في مسافات شاسعة الا الى حدٍ محدود فالأعمال التي من هذا القبيل يجب التؤدة والرفق في اجرائها ومراقبة ما يُعاني منها بكل دقة واحتراس . فاذا كان اجراء احد المشروعات المتقدم ذكرها في حيز الامكان تكون مسألة منع التبدد من مياه النيل الاعلى في ازمئة الصيف قد انحلت حلاً مفيداً كثير الطائل . يومئذ يتأدى كل ما يجتاز ببلدة لادو من الماء في السنة ايام الجفاف (وقدره ستمائة الى سبعمائة متر مكعب في الثانية) الى البحر الابيض ولا يعتريه الا خفيف انتقاص بمعنى ان ايراد هذا البحر يزداد بقدر خمسين في المائة^(٢) . وعند بلوغ تصرف

(١) هو من كبار الانهار في الولايات المتحدة الاميريكانية يخرج من بحيرة ايتسكا ويصب في خليج المكسيك وتبلغ مسافة طوله قرابة اربعة الاف وستمائة وعشرين كيلومتراً (المغرب)

(٢) يبقى التبدد عند بطيعة نوعي عهده لا زيادة فيه ولا نقصان فيمر من المياه بقدر ثلاثمائة متر مكعب في الثانية آخذاً في سمت الشمال عن تلك البطيعة وبما

سُباط قدراً معلوماً تصدُّ مياهه هذه الزيادة الى حد محدود لكن ذلك لا يجرّ الى الديار المصرية شيئاً يعتدُّ به من الأذى لان هذه الحادثة لا تقع الا متى عظمت مياه البحر الابيض اذا تناول مصر شربها من مياه ذلك البحر ومياه النهر^(١) مرّة عن مرّة. هذا وحرى بنا ان نورد في هذا المقام زبدة المشاريع المتقدم ذكرها لعلّ في ذلك منفعة وجدوى لقوم يستفيدون اولاً - منع تبديد المياه في أبان الصيف وذهابها هدرًا ذلك بان تسدّ جميع الفيوض وتعتمد المهابر والصبابات اي تسدّ جريتها بردوم من تراب او باقامة قناطر تعديل صغيرة فيما بين كندكرو وغابة شمي . ثم تجربة تنبيت العنبيج لسد هذه المهابر والبثوق وعند ذلك تصبح مياه الصيف منحفظة في مسيل واحد لا تتعداه بينما ان مياه الفيض تهبط الى الوادي مستبحرة فيه فيكون منها محتفل اكبر من الماء كما نعهده اليوم

ثانياً - التنقيب والبحث عن امكنية استحداث خليج او ترعة تنساق بها مياه اعالي النيل الصيفية في جادة مستقيمة آخذة من مهب الجنوب مفرغة في مهب الشمال ذاهبة من محلة بور حتى مجتمع نهر سُباط بالبحر الابيض . فاذا كانت خلال الارض وطبائعها وميزانية طبقها تمكن من اجراء ذلك . فالمشروع لا محالة سيد المشاريع والواجب اتخاذه . ويكون

ان بحر الجبل لا تغير فيه ولا تبديل فيداوم هذا المقدار على ذلك السنم واما الثلاثمائة او الاربعائة متر مكعب الاخرى فتجلب اليه من بحر الزراف عند نقطة تكون عن البطيحة على امدٍ عميق في مهب الشرق عنها اي خلفها

(١) لا يتناول هذا القول الا مشروع تعديل بحر الزراف فقط . فاذا شق الخليج فيما بين بور ونهر سُباط يجعل له قنطرة موازنة وتعديل عند فيه تُمنع مياهه بقدر الامكان عن افعام البحر الابيض في القطعة الواقعة منه الى الغرب عن مجتمع البحرين اي امام تلك القطعة

تصميمه ان يبي مسيله في مدى الايام تصرفاً قدره الف متر مكعب في الثانية ويقام على رأسه قنطرة موازنة (حبس) وبوابة (هاويس) وقنطرة موازنة أخرى على النيل الى ما وراء المخرج الحادث شمالاً

ثالثاً - اذا تبين أن أحداث الخليج المتقدم ذكره غير مستطاع بتاتاً فعند ذلك تتخذ التدابير لاصلاح بحر الجبل في الجزء المار منه في اطواء المناقع من غابة شمي الى بطيحة نوذلك بان تمدل عقده ولياته الفادحة الاعوجاج وتسد المهاب التي توصل بينه وبين الغدران والبطائح الكبرى . ولا مندوحة يومئذٍ عن اتقاء المساكات فيكون مجراه مخلصاً منها لاجل انه لا ينفك يكون مجرى الملاحة فيما بين البحر الايض وكندكرو بل لأن الواجب الحتمي حينئذٍ هو منع اندفاع مياه الفيض ذاهبة الى بحر الزراف . ويكون من بحر الجبل ان يستاق في مسيله نصف التصرف الصيفي المار قبالة لادو فيفرغه الى البحر الايض وهذا التصرف مستمر مستديماً حتى صميم الفيض

رابعاً - اذا وضح ان أحداث ذلك الخليج ممكن مستطاع ايضاً فلا أحسن وأجدى من توسيع بحر الزراف وتعميقه ثم صيانته بجروف على الجنين وذلك باستخدام جرافات عظيمة القوى . يومئذٍ يسير فيه بقية المياه الصيفية المارة حيال كندكرو الى البحر الايض عند مخرج النهرين وبذلك يبطل التبدد الحادث في ايامنا عند بطيحة نووالمياه تتجلب من مهب الجنوب في سمت الشمال بغير ان يغشاها انتقاص يذكر . ثم ان في ذلك منفعة أخرى كبرى هي انه لو تأتى ان يرتكم في بحر الجبل ايام الصيف مساكات تحوش ماءه فتسده الى اجلٍ عندئذٍ يكون بازائه مجرى واسع الابعاد يتأدى به مقدار جم من الايراد الصيفي وربما اجتاز فيه معظم ذلك الايراد . ولهذا النهر تقام قنطرة موازنة في بؤرة منبعه من النيل الاعلى تسد في ازمته الفيض سداً كلياً وحينئذٍ يكون هو جافاً ناضباً الا ما يترامى اليه من مياه النقيـل

في تلك الفترة محكومةً ببرابح في جروف جانبية ذات اليمين وذات اليسار . اقول واذا استبان ان اصابة الرأي بالألّا تقام القنطرة في نقطة منبثقة من النيل الاعلى لما في اقامتها من المشقة والنصب بسبب المناقع فلا بأس حينئذٍ من استعمال الخليج الذي عرفه المستر جروجن بنيل جرتروده وايصال الزراف بعد تعديله الى النشار الواقع عند بور حيث لا مشقة في اقامة قنطرة موازنة خامساً - متى تم اتخاذ مجرى مياه الصيف على ما يُراد ويرام حينئذٍ ينبغي تدبّر المشروعين المختصين بتعديل وموازنة المياه الخارجة من بحيرتي فكتوريا والبرت حتى يكون التصرف الدائم الذي يتأدى الى البحر الابيض في ازمنة اقصى الفيض الف متر مكعب في الثانية .

قلتُ وقبل الاضراب عن الكلام في امر البحر الابيض لا ارى بداً من ان ابين بالايجاز الطريقة التي يجب اتخاذها في اجراء الاعمال الكبرى وهي شق خليج يأخذ من عند بور او تعديل بحر الزراف فيما اذا عدل عن شق ذلك الخليج . ولا مشاحة في ان الطريقة الفضلى انما تكون باستخدام طائفة من الجرافات المائية او الحفارات البخارية شديدة القوى تكون مختصة بمثل هذا العمل . وهو يستدعي استخدام جرافات وحفارات متنوعة مبنى وشكلاً . وعندي ان يُنتقى في مبتدأ العمل جرافتان او ثلاث فقط ثم هي تغير وتبدل كلما دلت التجربة والخبرة على وجوب ذلك . وليعلم انه لا يتأتى اجراء ذلك بالايادي فعاقة من يتوخاهُ خسران وخزلان^(١) لان في اتباع هذه الطريقة

(١) ان فائدة استخدام الجرافات شديدة القوى في تدبّر الانهار وتعديلها قد بانّت وظهرت من عهد بعيد في البلاد الاميركية فهي تستخدم دواماً في نهر ميسيسيبي ولقد ورد في تقرير لجنة مجلس الاعيان عن ذلك النهر في سنة ١٨٩٧ ان منفعة استخدامها كانت منفعة جُلّي حتى ان المجلس أشار بزيادة اللوازم زيادةً كبرى من اجل المداومة على العمل

التعب المتعب والمشقة الشاقة في تلك الاقطار فالقوم هناك لا يركن اليهم في اعداد الانفار وعامة المهمات والميرة يجب ان تستجلب من الخرطوم والشقة ما بينها والنقطة القربى من مكان العمل تفوق تسعمائة وخمسين كيلومتراً . وعلاوة على ذلك صعوبة الوصول الى وقود للجرافات والبخاريات وهذه الصعوبة تزداد وطأتها كل سنة . والحمى الاجمية منتشرة في تلك المناقع والسباح في عامة ادوار السنة . ثم ان درجة الحرارة الجوية هناك راقية حتى في فصل الشتاء ورطوبة الهواء ليس يُدرك لها مقداراً الا من يعانيها ويقاسيها . ومن يونيو الى سبتمبر تمطر السماء مطراً جوداً حتى يكاد يكون القيام بالعمل متابعاً متعذراً . والبعوض هناك وما ادراك ما البعوض جيوش جرارة متكاثفة ربما فاقت بعوض سائر اقطار البسيطة وفرةً وعضيضاً . ولا ريب في ان المشاق من الكثرة بحيث لا يحيط بها حصر والعمل غاية في العسر والشدة لكنه مستطاع المراس بالمال والزمن وربما هلك به خلق من العمال لوخامة الاقليم ووبالة المرتع

قلتُ فاذا تهيأ ان يُزاد تصرف النهر في ازمان الافتقار الكلي الى الماء بقدر ستمائة الى سبعمائة متر مكعب في الثانية كان الخير الذي يعود على مصر والسودان شمالي الخرطوم عظيماً حتى لا يصح الا الجدل في سبيل الاخذ بناصيته ولو ان ذلك يستدعي نفقة ومشقة تفوقان النفقة والمشقة اللتين تستلزمهما المشاريع الاخرى التي اسلفنا ذكرها . هذا والشيء الذي يظل غامضاً في تلايف اي مشروع يشا كل هذا المشروع انما هو مقدار الملاوة من الماء الذي يتأدى الى اصوان على فرض ان التبدد الحاصل اليوم في اطواء منطقة المساكات يتمكن من منعه . ولا ريب في ان مناقع البحر الابيض ترشف مقداراً من هذا الماء وترقي الابخرة وتضاعدها في جو ما بين بحر الزراف والشلال الاول يزيد جرمه انتقاصاً . واذا خمننا هذا التبدد ثلثاً (وهو تخمين واسع) فالسمة

وهي ثلثان تكون علاوة ذات شأن عظيم في ايراد الماء الهابط الى ديار مصر
بجدر ان يتوسع في النفقة من اجل الوصول اليها

وبعد فانه يتعين علينا التنقيب عن ثاني المطالب الكبرى المختصة
بتدبير مياه النيل اي امكان استخدام البحر الازرق لزيادة الايراد الصيفي .
فلنا في ما سبق ان كل ما يمارس من الاعمال في هذا النهر يجب ان يرمي الى
مصلحة السودان بالاول ثم الى مصلحة مصر لاجل ان مصر تستمد ضخمة
ايرادها من البحر الابيض . ولا مشاحة في ان أقوم الطرائق واجداها لزيادة
ايراد البحر الازرق في طائفة من السنة تكون قبيل الفيض الدوري انما هي
ان تقام قناطر تسوية وتعديل عند منشأ النهر من بحيرة تسانا واستخدام
تلك البحيرة خزانا تحتزن به المياه بتقدير وإحكام . وعندي ان ليس من
مطلب آخر غير هذا المطلب تدرك به هذه الغاية . ومن المستبعد ان يأتي
واحد منها بالغرض المطلوب . والمعلوم الى الآن من امر هذا النهر في بعدة ما
ين منشأه من العالاية الحبشية ومحلة فاما (حيث يكون مدرجة في اعراض
لسودان) شيء قليل لا يعتد به . ولقد طالما سمى الرواد الى تخبر هذه القطعة
من النهر وتعرف كنهها فلم يكن لواحد منهم قوام بذلك ولا قبل . اقول
يمحتمل ان يكون في تضاعيفها مواقع تصلح لان يهيا فيها خزان اكبر (مع
ن شدة ميل المسيل في تلك البقعة لا يؤيد ذلك) فهي (أي المواقع) تكون
لامشاحة في ضمن اطواء الحبشة . وفي اقامة الخزانات بارض الاحباش عين
ما في اقامة الاحباس على بحيرة تسانا من الموانع والروادع

قلت وماء نهر أباي أي البحر الازرق في اسافل جريه فيما بين فجوات
لاكام كثير الرداغ^(١) في ابان مدته حتى لا يصح اختزانة في تلك الفترة
اقامة جنس اوسد في مسيله لاجل ان تلك الرداغ لا تلبث ان تتنازل

(١) جمع ردغة وهي الفرين أي الطين بحمله الماء سابحا فيه (المغرب)

رويداً فترسب في قراره فتعلي قاعه على التوالي حتى لا يكون بعدُ خزاناً .
هذا ولما كان البحر يفيض بمياه السيل كان تصرفه اثناء الفيض والانحسار
يتناقص تناقصاً مذكوراً وعند صفاء مائه وخلوصه من الرداغ يكون جرم مايراد
اختزانه منه قد قل الى حد الافراط . وقد يتأتى ان يكون تصرفه بعد اجتياز
مياه الرداغ شيئاً يذكر . يومئذ يهون اختزان مقدار عظيم من مائه اذا اكتشف
موقع صالح لهذا الغرض في الوادي نفسه . على ان ذلك لم يقع لأولي الامر
تبيينه وتأكيده . اقول ومتوسط جرم الماء المار تجاه الخرطوم في عامة السنة
معلوم المقدار لكن لا يعلم بمقدار ما يتفرّد به نهر اباي من هذا الجرم وما
تتميز به ممداته ورفوده المديدة ولا سيما منها اعظمها واشرفها وهو نهر دودسا
نهرٌ يقول فيه لفيف من الرواد انه يفضل نهر اباي غزراً وجريماً ولكن لا
يُدرى من امره الا النزر الطفيف . ولا طائل اومزية في اطلاع النسبة
بين كل من النهرين ومقدار تصرفه في عامة السنة . واعلم انه يبعد العثور
لأيهما على موقع يكون اوفر صلاحاً للخزان من بحيرة تسانا فهو اذا
اريد اقامته في صقع اجنب فلا مندوحة عن انتقاء ذلك الموقع في انحاء
تلك البحيرة . وربما وُجد موقع في غير ارض الاحباش يقام فيه حبس وخزان
يكون في طية ما بين فاماكا والرصيرص . غير انه لما كان انحدار الارض
في تلك الجنابات عظيماً كانت سعة النقطة لخزن الماء غير كبيرة . على ان
حبساً مثل هذا الحبس يصلح مع ذلك لامداد الايراد السنوي في البحر
الازرق . تلك مسألة ينبغي التروي فيها والتعجل في البحث عنها لان لها علاقة
بمشاريع هذا البحر^(١)

ولقد سبقت لنا الاشارة تكراراً في هذا الكتاب الى تقرير نُشر في

(١) بمعنى ان يكون التروى فيها حالما تنظم مصلحة ري السودان

سنة ١٩٠١ في مشاريع الري^(١) تبين منه وجه المصلحة في جعل بحيرة تسانا خزاناً بالفضل على اية طريقة اخرى تتخذ في سبيل زيادة ايراد المياه في الديار المصرية والسودان . اقول وبعد ذلك جاءها المستر ديبوي (خبير في مصلحة الري المصرية) في ديسمبر سنة ١٩٠٢ فاستشرفها واستطلع امرها مطيقاً بحواشيتها وسواحلها كافة ليتحقق مقدار صلاحيتها لهذا الغرض وكتب في ما تعلمه منها كتابه الغزير الفائدة الملحق بهذا التقرير^(٢) . غير ان الكتاب ينقصه شيء يؤخذ به المستر المشار اليه وهو انه لم يذكر في طيه مقدار ما يمكن اختزانه من الماء وهو شيء كنا نتوخاه . على ان عامته حري بالمطالعة وجدير بالتصفح . هذا وقبل الخوض في البحث نذكر هنا بالايجاز القضايا الكبرى التي وردت في ذلك الكتاب وهو يعتمد بالنقط الآتية ويقول بقرنها من الصحة وهي

اولاً - ان فورة ماء البحيرة تختلف من بين متر وربع ومترين بحسب غزارة وقحط الامطار وربما كانت تلك الفورة في سنة استوى غيها واعتدل متراً ونصفاً

ثانياً - يقدر جرم ما يدخل البحيرة من الماء في عام قاحط ستة آلاف وخمسمائة مليون متر مربع واكثر من ذلك في حد الاكثار في عام درت سماؤه بالغيث

ثالثاً - قال انه رَصد تصرف اباي عند مخرجه في الحادي والثلاثين من يناير سنة ١٩٠٣ فكان اثنين واربعين متراً مكعباً في الثانية . وقد شوهد هذا التصرف في شهر مايو يوم كان منسوب البحيرة فوق احطه بقدر خمسين

(١) اطلب الكتاب الازرق الذي نشرته نظارة الخارجية الانجليزية في ماله

شأن بالديار المصرية ١٩٠١ - ٢

(٢) طالع الباب الثالث من هذا الكتاب

ستتيمراً . ولما كان هذا التصرف ركيكاً زهيداً كان لا يصح أن يعدّ السبب في انتقاص ماء البحيرة على الإطلاق . فظاهر إذاً أن الحادث الأكبر في هذا الانتقاص إنما هو تحلل الماء بخاراً يترقى في الهواء

رابعاً - ذكر في كتابه الحسابات التي أدت به إلى استقصاء متوسط التبخر اليومي في عامة فصل الجفاف . والذي أراه أن هذه الحسابات مسندة إلى قضايا معقولة حتى يصح القول أن مياه البحيرة تنتقص في أثناء أشهر القبط الثمانية (من أكتوبر إلى مايو) بالتبخر فقط ويكون ذلك على معدل أربعة إلى أربعة مليمترات ونصف باليوم^(٢) ويجعل التبخر لأشهر الغيث الأربعة متوسطاً قدره مليمتراً على أنه يرجع في ذلك بالأولى إلى التعميم لا التخصيص . ثم توصل بمراقبة هبوط سطح الماء في فترة مفروضة واختبار تصرفات الأنهار الرامية إليها والمتفجرة منها إلى استخراج متوسط التصرف في نهر أبي في عامة السنة فكان ثمانية ملايين متر مكعب وعلى ذلك تكون حادثات الحول في تلك البحيرة كما يأتي

٦٥٧٢ مليون متر مكعب يسيل إليها من مياه الأنهار

٣٦٤٨ مليون متر مكعب يتصعد منها في السماء بخاراً

(١) هذا مبني على تقدير أن حائر مياه الصبب يعادل ربع مقدار الأمطار الطارحة إلى مفيض البحيرة

(٢) إن ماهية هذه الحسابات تتعلق جملةً واحدة على اخطئين أربعة الأول مساحة مفيض البحيرة والثاني مقدار ما يقع من الأمطار الدورية والثالث متوسط تصرف أبي السنوي والرابع تدرج مناسيب البحيرة . فالأول استخرج من أحدث الخرائط عهداً والثاني قدر بالأرصاد التي استخرجت قبالة جندار في مدى سنة والثالث دلت عليه جداول التصرفات التي استخرجها المستر ديبوي بالمسابر . وأما الرابع فقد حرص باختبار أشراف المفيض في براح جنابات البحيرة وبما قالته أمم تلك الأقطار . إذاً ليست هذه المعلومات إلا تقريبية ولكنها مع ذلك مظنونات مقبولة إذ أنها مسندة إلى بعض الحقائق

٢٩٢٤ مليون متر مكعب يستمدّه نهر اباي من يمها
فاذا عُول على هذا التخمين يكون مقدار التبخر في جملة الحول خمسة
وخمسين بالمائة من مجمل المياه الرامية الى البحيرة بالسنة والفاضل وقدره خمسة
واربعون بالمائة يستمدّه نهر اباي فيكون مقدار ما يشتمل عليه مفيض البحيرة
من الماء ثلاثة آلاف مليون متر مكعب^(١) . ومن البين ان مثل هذا المقدار
من الماء لو أمكن اختزانه وصرفه الى النيل الازرق بتقدير وتدير ايام يكون
ايراد البحر قليلاً لا تنفقت به الانحاء الواقعة على النهر انتفاعاً عمياً وجاء
مساوياً لتصرف قدره مليون متر مكعب في اليوم الى مدى مائة يوم اولتصرف
قدره خمسة عشر مليون متر مكعب في اليوم تستنزف فيما بين شهر يناير وشهر يونيو
اما ما يتعلق بالأعمال اللازمة لموازنة مياه البحيرة وتعديلها فجناب المستر
ديبوي لا يرى مانعاً اكبر في اقامة قنطرة موازنة على نهر اباي الا عدم
وجود العملة وتعذر وجود حجر الجير وانعدام وسائل النقل واللوازم وغيرها
ومن ثمة يشير بالألّا يتعرّض لمناسيب البحيرة في هذه الايام الأعلى قدر ما تدعو
اليه الحاجة والألّا تعلّى صفحة مائها ثلثاً يصيب المراعي المتسعة المجالات الواقعة
على ضفاف البحيرة ضرر . ومن رأيه تخفيض قاع النهر في بُعدة من طوله
خلف مخرجه . وقد أبان ان ليس هنالك من صعوبة كبرى في نفاذ مثل هذا
العمل وقد طابقت اراؤه مقترحات السبروليم ولكوكس في كتاب له حديث

(١) يُعدّ المستر ديبوي ان هذا المقدار يكون في سنة استوى غيثها واعتدل .
فلقد يتقص النفي مليون متر مكعب في سنة قحطت امطارها . على انه قد جعل جملة ما
يدخل البحيرة من الماء في سنة قاحطة ستة آلاف وخمسمائة مليون متر مكعب في حين
انه جعل فورة المياه فيها وقدرها متر ونصف لسنة اعتدل غيثها . وقال ان ما يسقط
الى البحيرة من مياه الامطار الدورية هو بقدر ربعها . اقول ولو ان هذا التقدير خسيس
لبلد غير كشف الغابات والفيض فلاباس من اتخاذه ركناً ربما استند اليه على مرّ الزمن

المهد^(١). ولا مرء في ان هذه المقترحات صحيحة سديدة إذ ليس من داع يدعو الى رفع مناسيب المياه اذا امكن انشاء قنطرة موازنة عند جنادل ريبون . والذي ينبغي عمله هنالك انما هو تخفيض فرش القنطرة وقاع النهر الى عمق كاف حتى ينتفع تماماً بالمياه الوفيرة الضاحجة هناك بعد اسقاط كمية المياه التي تتحلل بخاراً في الجو . وقصارى الكلام ان المستر ديبوي يقول انه لو اقيمت قنطرة في نهر أباي على عشرة كيلومترات عن مخرجه يكون لها اربعون فتحةً جوّ كل منها اي سعتها ثلاثة امتار ويكون فرشها الى اربعة امتار تحت اقصى فيضها الاعتيادي لجاءت بالغرض المطلوب . هذا ولا يختلف اثنان في صلاحية جعل بحيرة تسانا خزاناً للنيل الأزرق لانه بعد ان يفارق النهر البحيرة ينساب في جريته على أشد انحدار لان الجزء الاعظم من مسيله قاع من الصخر . ولذا كان تبدد المياه على هذه الصفة يسيراً قليلاً . واذا أُقيم في قاعه حبس فيما بين الروصيرس والخرطوم وشُقَّتْ له من فوقه خلجان ترتشف الماء لاصبح إرواء اراضي الجزيرة والاقاليم الشرقية في فصل الصيف سهلاً ميسوراً . ولكن موقع البحيرة له مشا كل دولية سياسية يسؤنا انها خطيرة حتى اذا اتفق القيام بمثل هذا العمل فمن باب اللزوم يقتضي ان يؤجل الى أمدٍ بعيد وربما عدل عنه جملةً . ومما لا ريب فيه هو انه قد يأتي يوم تتحل فيه عقد هذه المشا كل حينئذٍ يُنتَهَضُ الى جعل هذه البحيرة خزاناً طبيعياً عظيماً . اذاً فمن المحتمل المدول عن هذا المشروع والبحث عن طرائق أخرى لاجراء نظام الري في الاراضي المجاورة للنيل الأزرق

وقد سبقت الإشارة الى امكان اقامة حبس عند رأس جنادل (شلالات) الروصيرص يجعل منه خزان يكون مستوعاه محدوداً فيرفد ايراد المياه في فصل الشتاء أو في اشهر الربيع واذا كان هذا المشروع مستطاع النفاذ تحصل

(١) طالع كتاب « خزان أصوان » وما بعده طبع في لندن سنة ١٩٠١

منه الفائدة المطلوبة وانما يقتضي التطلع الى ما هو أجل من ذلك والبحث عما اذا كان في المعمور ارض واسعة الاطراف يكون لها طائل من زيادة الايراد . وعلى ذلك يقتضي اختبار الانهر الاخرى التي عليها سقيا السودان الشرقي مثلما يسقيها النيل الازرق والنظر في ما اذا كان في الامكان استخدامها لهذا الغرض . وهذه الأنهر هي دندر والرحد والمطبرة وجميعها بعد نشوءها من الهضاب تسير تخوم السودان . وكلها مدّها بالسيول ولكنها تنضب في اشهر الصيف ما خلا بعض ترائك تتمكث في مسايلها ولكنها في جمة مدّها تستاق مقداراً جسيماً من الماء مشحوناً بالاقداء والنفايات

اما ما يتعلق بالنهرين الاولين فلا يعلم عن ميلهما وقطاعهما اي مقدار مادتهما الا النزر القليل وهما يشقان في ارض يكون بعضها من اروع الاراضي في بلاد السودان ولوتيسرت الوسائل التي يمكن بواسطتها اختزان مياه فيضهما والانتفاع بها في اشهر الربيع وبوادر الصيف لتيسر جعل مساحة كبيرة منها صالحة لزراعة القطن وسائر الحروث الطيبة الجنى . ولايستطاع بت الرأي بصلاحية هذين النهرين لمثل هذا الغرض حتى يتسنى امان النظر فيها واستيراد الحقائق المتعلقة بها ولذا يقتضي اعتبارها اليوم مصادر ايراد الغد . اما نهر المطبرة فقد تعهده وتينته المسترديبوي في سفرته الاخيرة^(١) وكتب فيه مقالة هي ملحقه بهذا الكتاب ولكنها غير مستوفاة والمطبرة ينشأ من سفح الملاية الحبشية الشمالية الغربية ويفارق الهضاب بقرب القلابات . ومزاجه من ثلاثة أنهار كبار وهي « جوانغ » و « بلوينا » و « غنداوها » . وعامة مجراه عند اندماجه بالصحراء يكون في سمت الشمال حتى يبلغ حلة جوز رجب ومن هناك ينحرف شمالاً بغرب فيلزم سيره الى ان يتصل بالنيل الى الجنوب عن بربر ويفرغ فيه من الهضاب الشرقية عدة أنهار

نهر سلم وستيت وهو يفضل نهر المطبرة في الاهمية . والارض التي يحترقها المطبرة ليس لها اليوم ماء يحيي مواتها ولكن طينتها طيبة فاذا تسرت لها وسائل الري تكون مكرمة لكل نبت وغرس

هذا والنهران (أي المطبرة وستيت) وهما في فصل الشتاء واستقبال اشهر الصيف يكون مسيلاهما كثباناً من الرمال يتخللها^(١) ظلال كبيرة بعيدة الغور ويكون مدهما اي فيضهما في شهر يونيو . وفي اغسطس وسبتمبر يدركان عالية فيضهما حينئذ يسبح في مياههما شيء كثير من الذرات وهي حبات الصخور البركانية وثارة اوراق الغابات وفي ابان الفيض يصير التصرف قليلاً وتكون المياه صافية راتقة واما في ابان الفيض فهي مشحونة بالرداغ حتى يكون لونها ضهيّ لون البن^(٢) . اما فيضهما فقير مكثين تنكسر سورة فورتهمما كما جاءت على عجل . والمسئلة الواجب تفحصها هي هل توجد مياه كافية تُخزن على اثر نضوب مياه الفيض الردغة حتى يصح الشروع في اجراء اعمال باهظة النفقة لهذا الغرض . قال المستر ديبوي نعم مستنداً الى ان مجموع تصرف نهر المطبرة السنوي تحت نقطة اختلاط نهر ستيت يبلغ زهاء عشرين الف مليون متر مكعب وطفيف هذه الكمية يكفي لملء خزان يسع مادة وفيرة من الماء لإرواء ارض واسعة الاطراف بعيدة الاقطار

اقول ان هذا لجوابٌ شديد ولكن بما ان فيض المطبرة عجيل الزوال ينبغي ان نعلم ما اذا كان تصرف الفيض^(٣) بعد انصراف مياه الرداغ وافياً بالغرض المقصود وهي مسألة لا يتسنى تحقيقها الا بالارصاد ومتابعة استخراج التصرفات في مدى

(١) سبر المستر ديبوي المطبره في سنة ١٩٠٢ فكان تصرفه اوانئذ متراً مكعباً

في الثانية وكان تصرف نهر ستيت في سنة ١٩٠٣ ربع هذا المقدار

(٢) يسمى العرب نهر المطبرة بالبحر الاسود لسواد مادة مائه

(٣) هبط تصرف المطبرة في ٨ سبتمبر سنة ١٩٠٢ من ٢٠٢٠ متراً مكعباً في

عدة سنين متواليات . وقد كانت تصرفات سنتي ١٩٠٢ و ١٩٠٣ مرضية لكنها لم تكن وافية بالمطلوب فدلّت على ارتفاع المياه وعالية الفيض لكل سنة . ولم يعلم بهامقدار المياه الممكن اختزانها في خلال اشهر الشتاء بغير اشارة الى ايام صيرورة المياه صافية لا يشوبها كدرة . ويشير المستر ديبوي باقامة خزّان على طراز خزّان اصوان . يقول ان به يتيسر اجتياز مياه الفيض جمعا ويسد بعد انقضاء المياه الحمئة العكرة يوم يصير ماء النهر نقياً . ومقترحه ان تكون محلة خشم القرية موقعا لهذا الخزّان فتسقى به ارض اسافله ولكن لا يتناول الماء اراضي ما بين هذه المحلة وبلدة القلابات فهي لا تروى الا اذا اقيم خزّان آخر الى الجنوب عنه . والذي يراه جنابه ان هذا المشروع يكون باهظ النفقة لان ميل النهر فوق مجتمع نهر ستيت وتحتّه شديد يكون بقدر واحد الى الفين (١٠٠٠) ووادي النهر بعيد القرار حتى تقضي الضرورة بان يكون الخزّان شاهقاً مديداً . اقول في هذا الصدد انه يوجد مشروع آخر وهو ولو انه لا صلة له بايراد النيل فان اجراءه يؤدي الى اصلاح قسم من السودان وهو جدير بالذكر في هذا الكتاب ألا وهو اختزان مياه نهر قاش والاحتكام بها بتقدير وبذلك يتيسر ارواء الاراضي المطيفة بكسلا وقد كان تدبّر هذا المشروع والتروى فيه احدى الغابات التي رمى اليها المستر ديبوي في رحلته^(١) الاخيرة الى تلك الاصقاع

قلت والنهر كالمطربة مدّه اي فيضه بالسيل ومخرجه من سفح العلاية الحبشية الشمالي ويسير بين جروف بيّنة ذاهباً في سمت الشمال الغربي من

الثانية الى ١٥٢ متراً في ٦ اكتوبر وفي ٣٠ اغسطس سنة ١٩٠٣ اختبر معظمه فكان ٣٠٨٨ متراً مكعباً وفي ٥ اكتوبر اي بعد ٣٦ يوماً من يوم اختباره هبط الى ٧٠٣ امتار مكعبة في الثانية

الهضاب حتى يكون من كسلة على قاب قوسين وهناك يأخذ ماؤه بالانصباب فيغشى الارض ثم يغوص في الكثبان الواقعة في صوب الشمال ولا يطول مد هذا النهر الى ما فوق ثمانين يوماً في السنة وتكون طفتة في اوائل شهر يوليه ويعتريه النشف في اواخر سبتمبر وفي بقية السنة يكون يبساً بحتاً . اما في ابان فيضه فجريه مستديم بين ازدياد وانتقاص على غير انتظام فيهما ولما قصر . وقد يتعدّر خوضه في الاحايين مدة يومين او ثلاثة ^(١) . وماؤه في ابان فيضه مفرط الكدرة والعكر وهذا هو اكبر اسباب اختفائه في الرمال . وعند مصيره الى راس الركّة يكون مشحوناً بالرداغ . فاذا قل انحدار الارض فترت سرعة الجرية وخمدت حركة الرداغ فتساقطت مادتها راسبة في قرار النهر وبذلك ينسدم مجراه ثم ينمحق . واما المياه الصافية فتسيح على وجه الارض ثم تذهب ناضبةً فيها . هذا والمسترديبوي يشير باقامة حوض مستدير كبير الفساحة على مقربة من رأس ركّة هذا النهر تتأدّى اليه المياه من بين جروف تقام لهذا الغرض على جانبيه ليتيسر بذلك اجراء مياه الفيض الى هذا المحتفل حتى يمتلئ . وبعد ان تكون الرداغ قد استتبّت راسبة تُصرف المياه الرائقة من قناطر تصريف تقام في الجروف الى ترع توزيع يجعل لها افهام عند ما خذها . وعلى هذا النمط تضبط مياه النهر ضبطاً تاماً في ازمنة الفيض . قلت ويلوح لي ان هذا رأي صائب ولكن اذا لم يكن لدينا معلومات اخرى تتعلق بأمر المناسيب مع معرفة تصرفات النهر في زمن الفيض فلاأرى في زيادة الكلام طائلاً وجدوى . وجلّ ما يقال في ذلك ان المشروع في حد نفسه سديد يتيسر إخراجهُ الى خير الفعل . لان تلك الجهات مناسبة جداً

(١) يقدر المسترديبوي تصرف فيض نهر قاش الاعتيادي بمئة متر مكعب في الثانية او ثمانية ملايين متر مكعب في اليوم اقول ولا بد ان يحى في الاحايين بتصرف أزيد من هذا المقدار

لترقية شؤون الريّ فيها . وبما ان الصعاب الموجودة في بعض انحاء السودان من حيث قلة الاهلين ليست بقدر ذلك في الجهات الواقعة حوالي كسلة فيقتضي اذاً ان يكون هذا المشروع اول المشاريع الواجب تفحصها في مستقبل الايام فله المزية والفضل على غيره من المشاريع لان المياه التي يرتفق بها من ورائه لا تحدث شيئاً من الاثر في ايراد النيل . واعلم ان المشاريع المطلوب اجراؤها للسودان الشرقي وسبق لنا ايراد صفتها في هذا الكتاب لا تناول الاً مسألة الري الصيفي فقط . ثم اذا وُجد عند الاستقصاء وتدقيق البحث ان العمل بها يقتضي نفقة باهظة أو انه يُستحيل زيادة ايراد مياه النيل الأزرق يكون من باب أولى تأجيل تلك المشاريع او اغفال امرها بالمرّة . على انه توجد طريقة أخرى يمكن بها زيادة خصب وعمارة الأراضي المذكورة التي لا يقال عنها (كما يقال عن غيرها) ان ايراد المياه غير وافٍ بحاجتها . وهذه الطريقة هي اتخاذ نظام الري الفيضي الشتوي لزراعة الحبوب واستنبات الزروع الشتوية الأخرى

ولابأس من ايراد الملاحظات التي جاءت في تقرير سابق بشأن هذا الاقتراح لان الاراء المبيّنة فيه لم يطرأ عليها تغيير^(١) يذكر . فقد ورد في الصفحتين العشرين والحادية والعشرين من التقرير المذكور الفقرة الآتية « ان المستقبل الحقيقي المنظور للاراضي الزراعية المجاورة للنيل الأزرق ليس محصوراً في ماله شأن بالري الصيفي بل في توسيع نطاق الحروث التي يمكن تنميتها في اشهر الشتاء . اما تربة الجزيرة وجزء كبير من الارض الواقعة شرقي النهر فتشابه قسماً من الهند تُخرج ارضه أجود الحنطة . والبلدان متماثلان اقليمياً وإنما ينقص السودان عامل مهم جداً وهو الأمطار

(١) اطلب الكتاب الأزرق الذي أصدرته نظارة الخارجية الانكليزية في ما

الشتوية ومن دونه لا يمكن استنبات الزروع الشتوية الا في مساحات صغيرة تكافئ النهر ولذلك يقتضي شق الترع وإقامة الحياض للاستعاضة بها عن الأمطار في فصل الشتاء . فلو تمّ ذلك لاصبح اقليم سنار والقسم الجنوبي من اقليم الخرطوم من اجود اقاليم العالم المنبتة الحنطة لان تربتهما تكاد تكون مركبة كلها من طينة سميئة . وجو الاقليم في الشتاء يلائم على وجه خاص استنبات الحبوب فان الحنطة تستكمل نماءها باكراً بحرارة الشمس فيتم حصادها في شهر مارس . وفي اشهر الشتاء يزيد ايراد المياه في الديار المصرية عن حاجات الري وفي هذا الاوان لا ضرر من استيراد الماء من النيل الازرق . فلو تمّ حصر إنشآت الري في هذا النهر في توسيع نطاق الزراعة بشرط توفر المال والاهل لصحّ الشروع في اجرائها حالاً بالنظر الى مصلحة البلاد المصرية . ثم ان السكة الحديدية المنوي انشاؤها لا يصلح ابو حراز والقضارف وكسله بالبحر الأحمر سوف تشق في تلك الانحاء التي تخرج الحنطة التي تفضل على حنطة الهند في الاسواق الأوروبية ولا بد ان تستورد مكة والحجاز منها مقادير عظيمة . هذا ولا يسعني في مذكرة مثل هذه الا التلميح الى الأعمال اللازمة لري هذه الاراضي فهي بالاجمال تشمل حبساً واحداً او مصفاً من الاحباس لموازنة مياه النهر كما سبق لي الكلام على ذلك لاعلاء سطح المياه الى المنسوب المطلوب لري الارض على الجانبين حتى يتيسر للترع الكبيرة أخذ المياه من أمام الخزان على كلا الضفتين فتوزعها في ترع فرعية أو في مجموع من الترع والحياض بحسب انحدار الارض وطبيعتها . وهذا المجموع تكون له المزية على طريقة الترع على ذات حدتها . ذلك بان يتيسر غمر اراضي الحنطة بمياه الرداغ التي يجلبها النيل الازرق وهذه الاراضي متسعة الى الغاية وتقدر مساحتها بملايين من الافدنة ولذا كان في الامكان تخصيص اراضي واسعة لزراعة الذرة في فصل الامطار انتهى »

اقول وعند كتابة ما تقدم كان مشروع سكة حديد تصل الخرطوم
بالبحر الاحمر يُعدّ ممكن الاجراء في مستقبل الايام وإنما لم يكن يعلم من
أمر ما يتعلق بتصرفات البحر الازرق في ازمة الشتاء الا انذر اليسير واما
اليوم فقد بدىء بانشاء السكة بين سواكن وبربر وفي مدى سنتين يتم
الاتصال بينها وبين الخرطوم^(١) وينتظر عند انتهائها ان تنصلح الحال سريعاً
وتتيسر طرق نقل الحاصلات الزراعية من انحاء البحر الازرق الى اسواق
اوروبا وبلاد العرب

اقول فيما يتعلق بايراد المياه ان تصرفات البحر الازرق قد
استخرجت على التوالي منذ شهر مايو سنة ١٩٠٢ ودلت مقاييس الخرطوم
في مدى الاربع السنين الحالية على ان ذلك البحر لم يهبط ماؤه الى ما دون
منسوب خمسين سنتيمتراً في تلك السنين إلا في الايام الآتي ذكرها وهي ٢٥
فبراير سنة ١٩٠١ وأول فبراير سنة ١٩٠٢ و٩ فبراير سنة ١٩٠٣ . واما في سنة
١٩٠٤ فلم يكن في اول مارس قد بلغ هذا المنسوب . واعلم ان الخمسين
سنتيمتراً بمقياس الخرطوم تساوي تصرفاً قدره مائتا متر مكعب في الثانية في
البحر الازرق أو نحو سبعة عشر مليون متر مكعب في اليوم ومثل هذا
التصرف يكفي لإرواء ثمانمائة الف فدان من الزروع الشتوية في الأقل

وقد بلغت تلك التصرفات في السنين المذكورة في عامة شهر يناير الى
ما فوق ذلك بكثير واما في ديسمبر فقد صار معدل التصرف الى ما فوق
خمسائة متر مكعب في الثانية لكل سنة منهم . وبما ان الري الشتوي يكون
معظمه في شهري ديسمبر ويناير والنصف الاول من شهر فبراير فلا مشاحة
في ان يكون في النهر من الماء ما يكفل ري مساحات كبيرة من الارض^(٢) ولو
يكون ذلك في السنين ذات الفيض المقلّ مثل فيض سنة ١٩٠٢ . والحجة

(١) في ١٥ فبراير هبط منسوب المياه بقدر سبعة عشر سنتيمتراً فقط

الوَحدة التي يمكن ان تقام في وجه استخدام مياه البحر الازرق بهذه
الكيفية هي ان امتلاء خزان اصوان يستغرق عند ذلك مدة طويلة اكثر مما
يستلزمه في الحاضر . قلتُ ان هذا ليس بالسبب الكافي الذي يوجب
ترك هذا المشروع . واذا تمّ نجاح الاعمال المشار بانشائها في البحر الابيض
فزاد مقدار المياه المنجلبة الى اصوان سقطت تلك الحجة . هذا ولو يكون
الامر على خلاف ذلك فمن المستطاع إقامة خزان صغير جنوبي الروصيرس (كما
سبق بيانه) يتيسر به زيادة مياه البحر الازرق في فصل الشتاء . ثم لكي
يتسنى ريّ الأراضي التي على هذا النهر يقتضي اقامة احباس ذات اهوسة
في اماكن منه موافقة لذلك والراجع ان اقامة حبس واحد كافٍ لتلك
الاصقاع الى امدٍ طويل . ثم يكون من باب أولى ان يشرع بادىء بدء في
امر إرواء القسم الاعلى من ارض الجزيرة والاطراف الواقعة على الجانب
الشرقي الى الشمال عن ود مدني فالارض هناك مكشوفة من الغابات والأدغال
وبالنظر الى مجاورتها لمدينة الخرطوم وخط السكة الحديد يري انها اكثر
قابلية للاصلاح من المسارح القصوى الواقعة الى الجنوب . والمرجح ان
يقام هذا الحبس في موقع يكون فوق ملتقى نهر رحد بالنيل الازرق حتى
يمكن الذهاب بترعة الجانب الشرقي في سمت الشمال ولا تقاطع مجرى من
المجاري الكبيرة^(١) . ثم اذا دعت الضرورة في مستقبل الزمن لتأدية مياه
الري الى الاراضي الجنوبية يقتضي حينئذٍ انشاء حبس واحد او عدة احباس
في انحاء النهر القبلية لكن الظاهر لا يدل على ضرورة توسيع نطاق الريّ

(١) بما ان ارتفاع المياه يجب ان يكون عظيماً على نسبة مناسيب الارض في
تلك الاقطار فالارجح ان يكون الحبس مزدوجاً . والذي يجب التروي والنظر فيه هو
ما اذا كان الاوفى اقامة الحبس في النهر بعيداً عن تلك النقطة جنوباً فاذا حصل
ذلك فترع التوزيع تزداد طولاً

في الجهات الواقعة قبلي سنار توسيعاً يذكر في سنين كثيرة مستقبلية .
ثم ان طريقة شق الترع والخلجان تستلزم نفقة طائلة وانما يمكن اقامة
هذه الأعمال تدريجاً والتوسع فيها يكون وفيقاً لزيادة الاهلين ولزوميات
الري . فلو شرع في انشاء مثل هذا الحبس لأعان كثيراً على ترقية شأن
الزراعة اللهم اذا مدّ خط سكة حديد ضيقة على الجانب الغربي للبحر
الازرق تصل الخرطوم بود مدني . فبانشاء مثل هذا الخط يتيسر نقل
الحاصلات الى خط الحلفايا الأكبر ومن هناك تنقل الى ميناء سواكن^(١) .
هذا وقبل البحث في صفات الجهات الواقعة الى الشمال عن الخرطوم يجدر
بي ان ابين مغزى المشاريع العديدة التي وضعت للبحر الازرق وتستلزم
تدبرها والنظر فيها مثلما بينت لمشاريع النيل الابيض فأقول

لا مرأى في ان افضل وأوفى مشروع للبحر الازرق هو ان تقام
قنطرة موازنة على مخرجه من بحيرة تسانا فتصير هذه البحيرة بها خزاناً
عظيماً ولولا أن موقعه خارج حدود السودان وانشاءه يولد مشاكل
سياسية لكنا في غنى عن الطموح الى مشروع آخر غيره لزيادة مادة البحر
الازرق في زمن الصيف . فان انشاء خزان زهيد النفقة يسع ثلاثة آلاف
مليون متر مكعب من الماء يكفي لري اراضي الجزيرة والسودان الشرقي .
ويسؤنا ان المسائل التي تتعاق بموقع هذه البحيرة كثيرة متعددة ومن
المستصعب تسويتها واني ليلوح لي ان المدول عن هذا المشروع الى اجل غير
مسمى بات امراً أكيداً واذا صح فقد اصبح البحث ضرورياً عن مشروع
واحد او اكثر يكون منها احداث أعمال صناعية للري في اطواء السودان .

(١) من الراجح انه اذا أمكن استيراد المياه استمراراً حتى نصف شهر فبراير
يتيسر استنبات القطن بمقادير كبيرة في هاتيك الديار . وقد دلت التجارب في
السودان على انه لو زرع القطن في آخره شهر يونيو الى ١٥ فبراير لا ينفع وأنتج

وهاك بيان المشاريع التي يُتطلب درسها في هذا الشأن مرتبة بحسب درجة اهميتها

(أولاً) اختيار موقع لاقامة حبس مكشوف في جوار واد . مدني والبحث في مثل هذا المشروع يتناول البحث في المشروعات المطلوبة للترع الكبرى شرقي النيل الازرق وغربية

(ثانياً) امكان اقامة خزان محدود المستوعى في بلاد السودان يُسدّ عند جنادل ومسارع الرصيرس او الى الجنوب عنها ويكون ملوؤه بالماء في اكتوبر ونوفمبر فيستخدم لزيادة ايراد البحر الازرق في ديسمبر ويناير وفبراير

(ثالثاً) البحث في مشروع يكون من ورائه اصلاح حال الري بمياه نهر قاش وذلك باقامة حوض تعدل به مياه الفيض مع ترعه المدة (رابعاً) البحث في مشروع اقامة سدّ تُخزن به المياه في نهر العطبرة بالقرب من محلة خشم القرية

(خامساً) فحص مياه نهري دندر ورحد للعلم بما اذا كانت احداث خزانات في نقط من مسافة طولها ممكناً ميسوراً

(سادساً) التقصي في احوال وادي العطبرة من هذه الوجهة ايضاً . اما ما يتعلق باحوال وادي النهر الى الشمال عن مدينة الخرطوم وارض ما بينها وبين بربر فانها تختلف اختلافاً كلياً عن احوال وادي البحر الازرق ولكنها تشابه احوال صعيد مصر واقليم دنقلا كل المشابهة فالمطر هنالك وفي جنوب محلة شندي ايضاً غير قياسي وهو عبارة عن عواصف شديدة موضعية لا تتجاوز تلك البقعة . ثم ان حاشية النهر السمينية التربة على كلا جانبيه (والصحراء تحف بها) ليست بمفرطة السعة . والطريقة المثلى الواجب اتباعها في تحسين احوال لري فيها تكون باقامة آلات رافعة ضخمة المبنى تكفي لري فساتح كبرى من الارض . وايضاً فانه يمكن الانتفاع بتحويل بعض قطع منها الى حياض .

على ان نفقة ذلك تكون طائلة بالنسبة الى الجدوى التي تنجم عنها . وكأنت
بأحوال الري العامة في مصر بين اصوان واسيوط وكيفياتها تُنقل بشكائها
وصورتها الى تلك الاماكن . والشئ الذي يسهل اتساع نطاق الزراعة
حينئذٍ تسهيلاً عظيماً هو وجود خط سكة الحديد ماراً في جميع طولها .
هذا وقبل الإعراض عن موضوع المشاريع المطلوبة لتوسيع نطاق الري
في الجهات الواقعة الى الجنوب عن الخرطوم لي كلمة بشأن المشروع
الثاني الذي سبقت الاشارة اليه أعني به تنظيم ديوان ريّ للسودان . اقول
يستنتج مما تقدم ايراده ان المشاريع الواجب استقصاؤها والتروّي فيها كثيرة
متعددة والنظر فيها يستغرق زمناً طويلاً وبحثاً كثيراً واني ارى الساعة قد اتت
لانتقاء الرجال الصالحين للخدمة وتخصيص مبلغ سنوي يرصد في الميزانية
لهذا الغرض يكون كافياً لإعداد هذه المشاريع واجرائها في الاقرب
العاجل بحسب ما يقتضيه البحث الدقيق في تفاصيلها كافة . هذا وانت تعلم
من رواية هذا الكتاب ان المشاريع التي وُضعت قد جمعت في الغالب تحت
حكم ميزانيات الارض التي تستخرج فيما بعد . واستخراج هذه الميزانيات
في السودان ضربة لازب لا مندوحة عنه وأول ما يجب على عمال الريّ في
تلك الاقطار انما هو استخراج مستويات الارض على كلا فرعي النيل بخطوط
عرضية من جانب الجزيرة الى الجانب الاخر ثم الى شرقي النيل الأزرق .
وقبل اتمام هذه الميزانيات والمستويات تكون المشاريع المختصة بالاعمال
الصناعية ومقاييسات نفقاتها لا محالة حديساً وتخميناً لا تسند الا الى قضايا
فرضية عامة . والمطلب الآخر الذي يستدعيه هذا المأخذ هو متابعة استخراج
تصرفات النهر التي كان قد بدى بها والتوسع فيها . ألا والحاجة داعية الى اقامة
مقاييس ثابتة صالحة والاشراف عليها . ولقد بوشرت اشياء من هذا القبيل ولكن
المطلوب هو اكثر من ذلك بكثير للتوصل الى معرفة مناسيب النهر معرفة

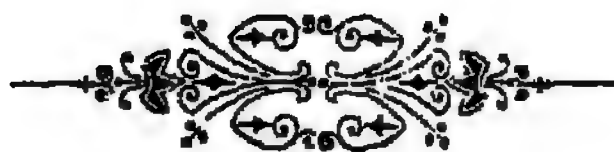
صحیحة . وقد ذكرت هذه المطالب الثلاثة في ضمن المطالب التي يقتضي على عمال الري ان يبادروا الى تجربتها . ومن السهل تعديدها وتكثيرها من نحو التمرن على تدبير شؤون المياه ومنع ذهابها هدرًا في جهات النيل الأعلى . ومن الحزم في هذا الموضوع عدم التطوُّح في ذلك حتي يكون استخراج مستوى الارض وميزانياتها قد تمَّ نظامه او ان يكون العمل بها قد سار شوطًا بعيدًا . ثم اني ذكرت في الملحق الثاني من هذا الكتاب تفاصيل تشير الى العمال الذين يستدعيهم العمل ومقاييسات نفقة اعمالهم . اما ترتيب مصلحة الري هناك فيكون مشتملاً على مفتش عام تكون مدينته الخرطوم مركزاً له ومن واجباته الاشراف على عموم الادارة ومراقبتها ويعيَّن له مساعدان احدهما مفتش البحر الابيض والثاني مفتش البحر الأزرق والأولى تعيين عامل آخر مساعد احتياطي ويستخدم في اعمال ومباحث مخصوصة ثم تعيين طائفة من المهندسين والمساحين الوطنيين مع ما يستدعي ذلك من الخدمة . ومن ثمَّ يلزم إعداد سفينتين لأعمال التفتيش الواحدة تجري في البحر الابيض والاخرى لها غاطس قريب الغور تخصص للعمل في البحر الأزرق . والحال قاضية بشراء ما يلزم من الأدوات والآلات من نحو عدد وخيام وغير ذلك شيء يستدعي نفقات طائلة . وبالجملة فانه وإن لم يكن في النية اتفاق المبالغ الباهظة في سبيل اعمال السنة الأولى فيتحتم تخصيص مبلغ للقيام باجراء التجارب لتدبير مياه النهر وغيرها عاجلاً بغير توان . اما ما تستدعيه مصلحة ري السودان من النفقات فقد قدره باربعة وعشرين الف جنيه للسنة الأولى^(١) . ويغلب ان يستلزم هذا التقدير تعديلاً كلياً عند انقضاء تلك السنة اذ بعد الاختبار مدة سنة من الزمان لا بد من ان يتطلب الزيادة . فعلى الحكومة المصرية اذاً النظر فيما اذا كانت مهياة لتحمل نفقة سنوية لا تكون دون المبالغ المذكور لا بل ربما

تجاوزته في السنين التالية بدون إيراد معجل . فاذا كان رأيها معضداً للمشروع وكان لا ريب في سداد هذا الرأي فلا يصح إضاعة الايام سدًى . اذاً يجب احداث تلك المصلحة في استقبال الشتاء الآتي للاستفادة من برودة الهواء . ثم انه لا ينتظر في القريب العاجل عرض مشاريع على الحكومة للنظر فيها مهما كانت صفتها وليس هذا هو المراد بل نرى الواجب في هذه الاحوال التدقيق وانعام النظر وإعمال الفكرة في البحث عن المشاريع على اختلافها بتفاصيلها كافة . ذلك يستغرق ولا ريب زمناً ولكن الزمن لا يضيع سدًى . فان التأخير في عرض المشروع على اولياء الامر بسبب الاشتغال بتجربته والبحث عنه ملياً أكثر اقتصاداً مما لو كان عرضه عليهم بعد الشروع في اجرائه .

وقبل الخوض في هذا المبحث لا ارى بداً من ايجاز الكلام على مسألة اخرى هي من الاهمية بمكان ذلك انه اذا طبق القوم على وجوب تنظيم مصلحة ري في اقاليم السودان فالضرورة تقضي بان تجعل المصلحة بأجمعها تحت رقابة نظارة الاشغال المصرية وتكون فرعاً لها . ذلك امر لا مندوحة عنه واما اعمالها فستكون فنيةً بحتة وتتناول اقامة الاعمال الصناعية التي سيكون لها شأن في ايراد النيل . ومن الواجب ان يكون الاحتكام بمياه هذا النهر موكولاً كله الى مصلحة واحدة فانه لا يصح تعدد السلطة في مسألة خطيرة مثل هذه المسئلة . ولا يختلف اثنان في وجوب اناطة النظارة فقط بمراقبة المياه . ولا شك في ان حكومة السودان تكون هي اول من يسلم بهذا الامر وآخر من يتمنى خلاف ذلك . فمن مصلحة مصر والسودان ان تقرر هذه القاعدة وتتبع . وبما ان للحكومة المصرية مصلحة كبرى في هذا المطلب فمن العدل ان تقوم مصر بجميع نفقات مصلحة الري ولا تكاف السودان منها بشيء لانها نفقة ليس لها عليها سيطرة ولو انها سيصيبها من

تفاد ذلك المشروع نفعاً أوفر

وعلى ذلك يكون عمال المصلحة المذكورة طائفة من عمال نظارة الاشغال العمومية المصرية يصح التبادل بينهم . هذا واقول انه ولو ان هؤلاء العمال الذين هم من حيث المسائل المختصة بالاحتكام بمياه النيل او المشاريع ذات الاهمية الكبرى تحت أوامر ناظر الاشغال العمومية لكانهم مع ذلك يكون من واجباتهم ايضاً ان يمدوا حكومة السودان بكل وسعهم بارائهم وييسطوا لها المساعدة . فهم بهذه المثابة يكونون تحت تصرف حاكم السودان العام ومساعديه . وانا على يقين من نجاح هذا النظام لان الفوائد التي تنالها حكومة السودان من وجود شريحة من رجال الفن ذوي الخبرة والمراس اقرب اليها من حبل الوريد يبدون اراءهم في المسائل والقضايا التي يكون لها علاقة باتساع نطاق الزراعة (الامر الذي لا ينفك ولا ينفصل عن مطالب الري) ستكون ولا ريب ذات شأن اكبر



الخاتمة ❦❦

أبنت في ما تقدم من هذا الكتاب المطالب التي يقتضي على اولياء امر النيل الالتفات اليها في القريب العاجل . والذي اوجبه في الختام ان اوضح للقوم ان المشاريع التي عُدَّت فيه هي من الضرورة بمكان وتتطلب المسارعة الى تدبرها . اقول ان كل ما يتعلق من المشاريع بتدبير مياه النيل في الاقطار السودانية يكون للديار المصرية فيه خير دائم . لان كلا الدارين يستورد ماءه من مصدر واحد ومعوّل زكاه زراعتهما على نهر واحد ولذلك يستحيل ان يستخرج مشروع من مشاريع الري ذات الشان من اجل بلديّ منهما ولا تتناول عوامله البلد الآخر . هذا وبما ان الاموال التي يستدعيها القيام بمثل هذه المشاريع مظنون اتفاقها من الخزانة المصرية فكل لائحة تُعدّ لاحداث اعمال كبرى لري اراضي السودان ينبغي اذاً ان تتناول في آن واحد الأعمال المطلوبة للديار المصرية . وبما ان البحث في الاعمال ذات العلاقة بالبحث في تلك الديار سيشمل في طيه مطالب كثيرة ليس لها علاقة بالغرض المقصود من هذا الكتاب أعني بها اصلاح شؤون النيل الأعلى فقد وضع هذا المطلب على ذات حدته وجعل ملحقاته^(١) واما المشاريع الخاصة بالسودان فانها وان تكن المبادرة الى البحث فيها امراً مستحباً يُستشفي اليه فلا يصح ان يقال ان اجراءها على نسق الطريقة التي بيناها في الفصل السالف معجلٌ جداً . — قلت في النبذة التي رقتها في شؤون النيل الأعلى ونشرت في سنة ١٩٠١ ما يأتي

« ان الاقطار السودانية ليست الآن اهلًا لان يتوسّع في اقامة اعمال للري فيها حتى ولو زيدت لها مياه الري في هذه الايام فالصفة التي

هي عليها لا يتبها لها الانتفاع بها حق الانتفاع لان جل افتقارها في عقود
السنين الآتية يكون الى ازدياد الأهلين^(١) . انتهى

ولعل ما قلناه منذ سنين ثلاث لا يطابق الحال التي عليها السودان اليوم
تمام المطابقة فلا يبعد ان يكون الامل قد زادوا في عهدنا زيادة كبرى عما
كان مقدراً لهم من قبل ولكن مهما اكبرنا عددهم فهم قليلون جداً بالنسبة الى
فساحة الارض المراد استعمارها بالاهل فان عمارتها متفرقة الجماعات والقوم
بأجمعهم لا يكادون يعدون اهل زراعة وحرث^(٢) . واذا لم يؤت بالزراعيين
الى ديار السودان للعمل في ارضه فلا يكون من اصلاح شؤون الري وتوسيع
نطاق ارجائه فائدة تامة في برهة من الدهر قصيرة المدى ولا يقطع بنجاح
طريقة الاستجلاب أو حبوطها الا بعد وضعها موضع التجربة . وقد اقترح
القوم استجلاب طوائف من الهند والصين والامريكا لعمار تلك الاقطار .
اقول اني تعرضت لهذه المسألة على خروجها عن موضوع هذا الكتاب لكن
عذري في ذلك بين فان اتساع نطاق الزراعة يتوقف بكميته على عدد الامل .
واني لا أرى الا مسترفداً واحداً لذلك وهو بلاد اجلا في الجنوب الغربي
من بلاد الحبشة اذا وقع على ذلك اتفاق مع حكومة تلك البلاد فلقد اخرج
السيارون الذين طوفوا بتلك الجهات واجتابوها ان اهلها يحسنون الزراعة وهم
اجود ذهنًا واشد فطنة من عامة اهل افريقية ولا بد ان تكون خصال
اقليمهم أشبه بخصال اقليم البلاد الحافة بالبحر الازرق فالأولى اذا حمل اهالي
«الاجلا» على استيطان بلاد السودان قبل اعمال الفكرة في استجلاب الزراعيين
من قارة اخرى . هذا ولا يتوهم مما تقدم ان اكبارنا قلة الامل في السودان

(١) اطلب الجزء الثاني من الكتاب الازرق الذي نشرته نظارة الخارجية
الانكليزية سنة ١٩٠١

(٢) الغرض من هذه العبارة الامناع الى الجهات الواقعة جنوبي الخرطوم

فيه لمحة الى عدم نزوع أولي الامر الى تحسين شؤون الري في تلك الاصقاع .
فالشأن على عكس ذلك ألا ترى انه اذا لم تباشر الاعمال التي من هذا القبيل
في تلك الانحاء فلا امل بالاصلاح فان لم يشرع في العمل لا يتيسر تحسين احوال
الزراعة تحسيناً صحيحاً . فالصواب اذا درس جميع المشاريع التي تقدم ذكرها
من دون ابطاء . والمشروع الذي يتوسم فيه الخير (ولو يكون الخير ركيكاً)
يجب ان يُشرع فيه حالما يتيسر المال للقيام بنفقته

علمت مما بيناه في الفصل السابق ان بين المشاريع التي رُسمت
خطتها اربعة هي أحق بالنظر العاجل فيها اثنين يتعلقان بالبحر الازرق
واثنين بالبحر الابيض . اقول فيما يختص بالبحر الازرق انه يراد من
أحد مشروعاته تدبّر نهر قاش والغرض من الآخر اقامة حبس في البحر
الازرق^(١) فالاول اقترحه جناب المسترديبوي وتبين انه لا يستلزم نفقة طائلة
وفي الاقطار العدد الوافي من الاهل للارتفاق بالمياه التي تساق الى اراضيهم
ولا بد ان تكون نفقاته كثيرة . ومهما يكن من الامر لا يتيسر (الى اجل غير
موقوت) ان يردّ جناهُ ومستفاده جزاً يسيراً من اصل المال الذي يكون قد
انفق في سبيله . ومع ذلك فانه اذا صحّ مشروع ما من مشاريع الري المطلوبة
للسودن فسيكون ذلك المشروع احرى بان ينتظر من ورائه نجاح . ولقد
اتضح ان يكون في البحر الازرق من الماء ما يفي بري مساحات واسعة
الاطراف من الحروث في اشهر الشتاء حتى في السنين القليلة الفيض . فلو
امكن احداث خزان الى الجنوب عن الروصيرص لازداد الايراد . واذا لم
يعتمد على مثل هذا العمل فان حبساً يُعلّى به منسوب مياه النهر لجدير
بأن تنفق في سبيله النفقات الطائلة فاذا تمّ هذا الحبس يشرع حينئذٍ

(١) ان المشروع الذي وضع لتدبير مياه نهر قاش لا يعتبر بالحق مشروعاً للبحر
الازرق ولكن بما انه يتنازل الاقاليم الشرقية فقد درج في هذا الكتاب بهذا الاسم للتسهيل

بشق الترع بالتدريج من الجانبين على سبيل التجربة لانه بالنظر الى قرب هذه الناحية من مركزي العمران الواقعين على البحر الازرق اعني بهما الخرطوم وود مدني فهي مناسبة جداً للشروع بالاصلاح الزراعي فيها والآمال وطيدة بالتوسع كثيراً في زراعة القطن . ولو اقيمت سكة حديد ضيقة بين هذين البلدين لازدادت عوامل التقدم والعمران في تلك الجهات واما ما يختص بالبحر الابيض فاقول ان احوال هذا البحر تختلف كثيراً عن احوال البحر الازرق فكل مشروع يتعلق باصلاح شؤونيه اذا نفذ فنفاذه يكون لمصلحة مصر اكثر مما يكون لمصلحة السودان ولو ان زيادة ايراد المياه الصيفية المارة قبالة مدينة الخرطوم تسعف بارواء وادي النيل الى الشمال عنها اسعافاً مشكوراً . قلت ويتبين من المطالب التي سبق ذكرها في الفصل الرابع عشر من هذا الكتاب صفحة ٣٩٦ ان مشروع البحر الابيض يفضل غيره من المشاريع بشرط دلالة ميزانية الارض على امكان اجرائه . ومؤداه استحداث خليج للنيل فيما بين بور ومختلط نهر سباط . والأدلة التي اقيمت لتأييد هذا المشروع قد تقدم ذكرها تفصيلاً فلا حاجة الى التكرار . واما الفوائد الكبرى التي تتجم عن عزل منطقة المناقع الى جانب واحد وتأتية الماء في سمت الشمال بمسيل تنظيم الوضع بحكم الضبط فظاهرة بيّنة يستطيع الملاحظ الاكبر فهم الغرض منها . ونحن مستشهدون الذين تتبعوا مجرى بحر الجبل وعابنوا ماله من الحنايا وهو يشق هائماً في مستنقعات قصب البردي الموحشة . ثم ان شق هذا الخليج سيكون افضل وسيلة يمتنع بها ضياع مياه النيل الاعلى وتبددها هدرًا . ولا يخفى ما لهذا المشروع من المنافع العظمى وهو حريّ بان تبدل في سبيل نفاذه النفقات الطائلة . واذا أبانت المناسيب انه يتم شق مثل هذا الخليج فما سبيلنا يومئذٍ الا تعديل بحر الزراف حتى يعي المقدار المطلوب . ولا مشاحة في

ان المشروع مستطاع النفاذ وافٍ بالغرض كالشروع الذي قدّمنا ذكره بمعنى انه لا ينفك يقيد مجرى النهر في اطواء منطقة المنافع فهو لا محالة بديله الفرد الذي يُستطاع التطالّ الى اجرائه^(١)

واذا تحققت الآمال باتخاذ احد هذين المشروعين بمعنى ان تتأدى مياه بحر الجبل الصيفية الى البحر الابيض بمقداره دون انتقاص في جرمه حينئذٍ يجب موازنة المياه بجيرتي فكتوريا والبرت عند فتحتيهما

علمت مما تقدم باصلاح المشاريع التي تستدعي النظر العاجل لمصلحة السودان وعلمت بأن اجراءها يستلزم نفقة طائلة . واذا ضُمّت الى هذه النفقة نفقات اعمال الرّبي الكبرى التي تتطلبها مصر ايضاً يصير المجموع هائل المقدار . اطلب الجدول الملحق بهذا الكتاب تبين خلاصة نفقات هذه الاعمال^(٢) على التقريب . فالذي يتّجب على الذين يتولون مقاليد المالية المصرية ان يقرروا ما اذا كان اتفاق هذا المال مستحسنًا او ما اذا كانوا يفضلون السير بالتّؤدة والتّأني ولو يرون في التّعجيل أملاً وطيداً بازدياد الدخل السنوي ازدياداً عظيماً من وراء المشاريع التي نحن بصددّها او انهم يتحرّون اتفاق شيء من فضلات المال في شؤون الاصلاحات الاخرى الضرورية التي أشار اليها جناب اللورد كرومر في تقريره السنوي . ومعلوم ان غلاء الاراضي وارتفاع ايجارها قد مالا بالناس الى اقتنائها والظاهر ان هذا الشغف قد تطرّق الى السودان ايضاً ولا يعلم ما اذا كانت هذه الاسعار تتمكّث أو ان زيادة الحاصلات زيادة كبرى تؤدي يوماً الى هبوط اسعار الحاصلات الزراعية كافّة هبوطاً هائلاً . هذه مسألة قد تضاربت في أمرها الآراء .

(١) ان الاسباب التي بعثت على العدول عن اتخاذ بحر الجبل مسيلاً قد شرحت بالاسباب في فصل استخدام ايراد النيل
(٢) انظر الملحق الاول

ومهما يكن في الغيب فالشيء الذي لا ريب فيه هو ان اقتناء الاراضي في هذه الايام مرغوب فيه اينما كان والمشاريع اليوم تلقى الى الحكومة لتوسيع نطاق الاراضي الزراعية . والطوالع في السودان ومصر معاً تدل على ان مشاريع الري التي تعمل فيها الفكرة اليوم ستأتي ولا ريب في مستقبل الايام بالموض والخلف . فلو عمرت الارض بالاهل الى الحد المطلوب لكان نجاح هذا المشروع (باجتماع الثلاثة العناصر الكبرى حرارة الشمس والتربة والماء) أمراً محتماً مقدوراً

هذا ما اردت استبانتة من المنافع التي تستجمعها المشاريع المتقدم ذكرها على انه اذا تمها ان يكون أمر تلك المشاريع كلها او بعضها شيئاً باتاً فلا اصعب واوعر من تقدير مبلغ الخيرات التي تتناول اراضي واسعة الرحاب في قارة افريقيا

ومن المعلوم ان منتهى حد الزراعة في الديار المصرية لا يزال الى اليوم قصي البعدة فحق تم تدبير مياه النيل والاحتكام فيها بعامة طوله وأصبح في الامكان زيادة مقدارها مستجلباً اليها من المصادر الطبيعية التي تكاد مادتها لا يلزم بها نفاد لا بد ان تزداد ثروتها الزراعية الى حد لا تتناوله مخيلة المصلح المجد . ولا خفاء ان السودان لا يعلم له مقدار ارض وتقدير مستقبله رجم بالغيب اما تقدمه فيسؤنا ان سيكون بطيئاً ولكن البواعث على انه مؤكد محقق فما كان بالامس قد يكون اليوم والطوالع دالة على انه يرجى عود عصر الاقبال والتوفيق الى تلك الاقطار عصر ربما تفضل على المصر الذي ادهش عمال نيرون وحيرهم منذ تسعة عشر قرناً

هذا والرجال الذين يُنحَصُّون بتنفيذ هذه المشاريع ستكون لهم مزايا يندر ان تقع لغيرهم من الناس ألا وهي تخليص النيل الأعلى من المناقع التي يضيع فيها أكثر من نصف مائه وضبط مياه البحيرات الاستوائية الكبرى وتعديلها

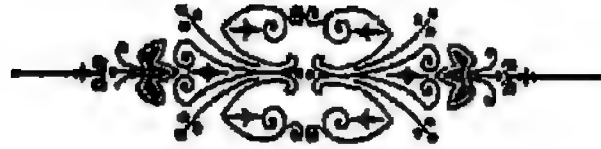
حتى يمدّ النيل عند ما يراد مدهُ ورفع منسوب البحر الأزرق لسُقيا البقاع
الطيبة التي يشق في أديمها واعداد مورد لمصر كافٍ لارواء عامة البسيط الواقع
فيما بين الشلالات والبحر المتوسط ووقاية الارض من طغيان مياه الفيض كما
هو في عهدنا . تلك اعمال جديرة بان تقارن بما سبقها من الأعمال التي دوّنت
في تاريخ الأمم حتى اذا ما تحققت وتم أمرها غادرت وراءها اثراً مخلدة الذكر
تدوم امداً بعيداً بعد زوال الآثار التي خلفتها عصور المدنية السالفة

وليم جارستن

وكيل نظارة الاشغال العمومية

في مصر

مصر في ٢١ مارس سنة ١٩٠٤



الملحقات

الملحق الاول

أقترح عليّ اولو الامر وضع بيان عام شامل لمشاريع الري الكبرى (في مصر والسودان معاً) التي أرى ان اجراءها في المستقبل يكون من الحزم والصواب. ولي قبل الخوض في هذا البحث كلمة اقولها وهي انه اذا انحصرت ملاحظاتي في الالماع الى تلك المشاريع التي تكون عندي مستوجبة الدرس المعجل فلا يكون في ذلك صعوبة كبرى ولكن اذا كان ينتظر مني ابداء رأي في نفقات تلك المشاريع ولو بوجه التقريب فقد انقلبت المسئلة لان المقاييسات العمومية المبنية على المعلومات القاصرة لاشان لها خطير. والخلاصة التي يمكن استخراجها من التقدير باعثة على التفرير والتضليل وزد على ما تقدم ان الاختبار قد علمنا ان المقاييسات التي تعمل بهذه الكيفية لا بد وان تتعدى صحيح مقاديرها. ولهذا اود ان يعلم اولو الامر بان الارقام التي وضعتها في ذيل هذه المذكرة ليست إلا ارقاماً تقريبية قد بني اكثرها على تقديرات سطحية ولذلك فانها لا تعد شيئاً كبيراً

فلو سلم ولاية الامور بعموم مقترحاتي ووقع الاختيار على بعض تلك المشاريع لتدقيق البحث فيها لامكنت الحال في مدة وجيزة من اعداد مقاييسات نهائية يتحصل منها معلومات مدققة عن نفقات المشاريع المتعددة من جهاتها النسبية. وقبل الدخول في هذا المبحث اكرر هنا ما قلته ولا سيما فيما يختص بالديار المصرية وهو انه ليس من عمل من هذه الاعمال الكبرى اجراؤه مستعجل جداً ما خلا عملاً واحداً وهو اعداد قوة تصريف لمياه النيل في ايام الفيض المفرط. وسأعود الى البحث في هذه المسئلة بعد حين

اما بقية المشاريع فانها وان كانت ولا ريب مطلوبة أو كان اجراؤها يزيد في ثروة مصر زيادة كبرى فلا يستطيع احد ان يزعم بأن قوام مالية

هذه البلاد موقوف على اجرائها العاجل . والفضل في وجود مصر اليوم بأمن من الآفات الزراعية عائد الى الاعمال التي أنشئت فيما مضى . وكل ما ينفق في المستقبل في سبيل اعمال الريّ ينفق فقط بقصد ازدياد خيرات وادي النيل . ومعلوم ان مثل هذا الامر مستحب جداً واذا توفر المال اللازم في المستقبل فيجب بذل ما في الوسع للوصول اليه . وأعود هنا وأكرر ما قلته وهو أن هذه المشاريع ليست جوهرية لقوام مالية البلاد المصرية

وسيتضح ان خطة هذه المشاريع ستكون شاملة عميمة بعيدة الغاية . وما على الحكومة المصرية إلا ان تختار من بين هذه المشاريع المتعددة المشاريع التي تتوسم منها اغزر الموارد وتقوم باجرائها على قدر ما تسمح به أحوال ماليتها فانها تنفق سنوياً مبلغاً لا يقل عن سبعمائة الف جنيه في سبيل أعمال جديدة للري في مصر . اذاً لا يصح ان يقال ان تقديمها قد توقف او انه لم يعمل شيء لتحسين الري يقصد منه إنجاح حالها وتوسيع نطاق زراعتها ومن ثم فقد سبق لي وأبنت في تقريرى ان تراكض الناس في مصر لاقتناء الاراضي أصبح عمومياً وهو في كل يوم تزداد الرغبة فيه . ومعلوم ان بازدياد الاراضي الزراعية زيادة الموارد المالية فاذا كانت حكومة مصر مستعدة للقيام بالنفقات الكثيرة فلايس هنالك من باعث على تأخير اجراء المشاريع الأوفر أهمية من غيرها ولا ريب عندي بان مؤدّى ما يكون من فوائد هاهو تحقيق هذا المطلب اذا تسنى الأخذ به

اما السودان فاحواله على عكس ما تقدم لانه لو اتفق وانقلب العجز السنوي الهائل الى زيادة لا يكون ذلك إلا بواسطة إقامة اعمال للري في تلك الاقطار ومع هذا فاني لست واثقاً من الفائدة الممثلة التي تتأتى من إتفاق المبالغ الاصلية وأرى انه يجب الشروع في العمل والّا فلايس هنالك من أمل بالاصلاح الصحيح . وكل ما يمكنني ان اطلبه واشدد به في مثل هذه الاحوال هو

إعطاء الوقت الكافي لأعداد ودرس كل مشروع على حدة درساً مدققاً .
وانني اشرع الآن في ايضاح وجوه المشاريع المدوّنة في البيانات باحثاً في كل
واحد منها على وجه الاختصار مبتدئاً بالنظر في المشاريع التي تتعلق بمصر فقط
فاقول . معلوم انه لا يتيسر استكمال التنقيب عن الطرق المتعددة التي يمكن
بواسطتها تحسين إيراد المياه للديار المصرية بدون إتمام النظر والبحث في تلك
المشاريع التي اقترحها السير وليم ولكوكس^(١) لهذا الغرض . لانها من الاهمية
بمكان ولهذا اُحييت تقديمها على غيرها من المشاريع الاخرى وعددها ثلاثة
(أولها) اعلاء حبس اصوان حتى يتيسر زيادة مقدار المياه التي تحتزن فيه
(ثانيها) استخدام الغور المعروف بوادي الريان لجعله خزاناً آخر يزداد
به ايراد مياه الوجه البحري في زمن الصيف

(ثالثها) تعديل فرع رشيد ليتمكن به تصريف مياه الفيض
وليس المشروع الاول والثاني بجديدين . واما بناء حبس باصوان يكون
اعلى من المشار به الآن فقد اقترحه جناب السير وليم ولكوكس وقد نشر
هذا الاقتراح في تقريره الاصيل في اختزان مياه النيل^(٢) وانما فكرة استخدام
وادي الريان لجعله خزاناً للمياه فمزوة الى المستركوب هو يتهوس وقد ظل
هذا اعواماً وهو يستفز الحكومة لاجراء هذا المشروع
واما فكرة جعل المشروع الواحد تكملة للآخر كالمراد الآن فهي فكرة
جديدة . وسيأتي الكلام على كل واحد من هذه المشاريع الثلاثة

(١) نشرت ابحاث هذه المشاريع سنة ١٩٠٠ في نبذة عنوانها خزان اصوان
وبحيرة موديس بقلم جناب السير وليم ولكوكس . لندن سنة ١٩٠٤
(٢) موضوع هذا التقرير الريّ المستديم ووقاية مصر من غوائل الفيض وقد
نشر في القاهرة سنة ١٨٩٤

نبذة في تعلية حبس اصوان

اقترح السير وليم ولكوكس بان يُعلَى هذا الحبس حتى يكون اقصى منسوب المياه بالخزان في المستقبل اعلى مما هو الآن بستة امتار اي انه يصير مائة واثنى عشر متراً بدلاً من مائة وستة امتار كما هو الآن^(١) وبذلك يضاعف مستوعاه حتى يصير الى مليارى متر مكعب . وانا استدرك على هذا الاقتراح بانى لا ازال حتى الساعة معارضاً في مباشرة هذا العمل بالماجل . وسأبدي فيما بعد الاسباب التي حملتني على ذلك واما الآن فاقول انه اذا اعتبر هذا المشروع جزءاً من المشاريع النهائية المطلوب الاخذ بها ونفذ مع بقية المشاريع التي سأذكرها في مثل هذه الحال لا يسعني الا العدول عن المعارضة واشير بوجوب الاخذ به لا بل ازيد على ذلك واقول اني اعتده مشروعاً مستحباً يعود لا محالة بنفع لا ريب فيه على مصر وله مزية كبرى على غيره وهي انه منتظر منه الخير العاجل وتنفقات انشائه غير باهظة ومن المستطاع استخدام المياه الملاوة المخزنة للوجه البحري في اقرب الاوقات بدون انتظاره النجاز من تعديل منطقة الحياض في الوجه القبلي . وكذا اشترطت للعدول عن معارضة هذا المشروع بان ينفذ مع مشروعين آخرين أحدهما يراد منه اصلاح احوال النيل الأعلى حتى يتيسر زيادة مياه الايراد الصيفي الى مصر والآخر يكون مصرفاً عظيماً لمياه النيل اِبان الفيض وأرى ان لا مندوحة عن اجراء هذين المشروعين . فاذا أقرت الحكومة المصرية على إعلاء

(١) ان اعلاؤه عن منسوبه الحالي سيكون على التحقيق اربعة امتار ونصفاً فقط ومن المستطاع ابلاغ منسوب مياهه الآن الى ١٠٧ امتار ونصف بدون بذل نفقة عليه اي جمل منسوبه اعلى من منسوبه المقرر وهو ٢٠٦ امتار بقدر متر ونصف وذلك من دون بذل نفقة عليه

الحبس يترتب عليها إجراء المشروعين في آن واحد وهالك اسباب اعتراضى
على إعلاء خزان إصوان

(اولاً) ليس هنالك ضرورة موجبة لمثل هذا الامر

(ثانياً) لا يُرجى الحصول فيما ارى على المبالغ التى يستدعيها هذان

المشروعان إلا متى تمت اعمال الخزانات

(ثالثاً) أن إملاء خزان يكون مستوعاهُ عظيماً بدون اجراء علاوة

ايراد للنيل لا بد وان يضرّ ضرراً جسيماً بالملاحة في اشهر الشتاء في
السنين القليلة الفيض

(رابعاً) لا توجد الآن وسائل لتصريف مياه الفيض فعند الغاء الري

الحوضى بتاتاً في الوجه القبلى سيزيد اعتراضى هذا قوة

(خامساً) ان إعلاء الحبس لا بد وان يزيد غمر الآثار التاريخية القائمة

على جزيرة أنس الوجود

اما اعتراضى الاول فقد سبق لي الكلام عليه وقد اتيت بملاحظاتى .
وانا اتكلم الآن على افتراض انه قد تقرر الشروع في اعمال معينة في القريب
العاجل . وهذا الفرض يتناول ايضاً اعتراضى الثانى . اما ما يتعلق بالاعتراضين
الثالث والرابع فعندي انه اذا بُوشر العمل في المشاريع التى اقترحتها مع اعلاء
قائم الحبس في آن واحد سقط الاعتراضان . ولهذا فقد بقي لدينا الاعتراض
الخامس والاخير وهو مسألة آثار جزيرة أنس الوجود التاريخية وسأوفى
هذه المسئلة حقها من البحث فيما بعد مع علمى بانى في تناولى هذا الموضوع
لم اطا سهلاً

وفى ما مضى لم تكن ظواهر ناطقة يُعلم منها ما لفعل المياه في تلك الآثار
والابنية من الاثر وما مقدار التلف الذى يلحق بها من اعلاء المناسيب . اما
الآن وقد أدت الحال الى انقمار جزء من هذه الهياكل في غضون فصل تام من

فصول الفيض فمن المستطاع لي استنباط نتائج تتعلق بوجهي هذه المسئلة .
اقول ان الطريقة القويمة التي اتخذها اولو الشأن في توطيد الاساسات قد ابعدت
خطر تداعي تلك الابنية والامل وثيق في انه لا يحدث شي من هذا القبيل
في مستقبل الزمن وقد تايد هذا الامل بافضل شهادة شهدها احد الثقات الذين
لا نزاع في فضلهم وهذا الرجل الثقة هو المسيو إدوار ناقليل الاثرى المشهور
فقد تعهد آخرآ تلك المعالم وعند عودته الى أوروبا نشر رأيه بمبارات
الاستحسان في جريدة مشهورة اسمها جنيف وذلك في ١٧ دسمبر سنة ١٩٠٣
واني مورد لك هنا عبارتين من مقالة المسيو المذكور وهذا مؤدى اولها
« ما اعظم التغيير الذي حصل في هذه الايام في مبنى انس الوجود
بالقياس الى ماضيه فلا يكاد هذا الهيكل يعد أثراً من الآثار القديمة فلقد
اصبح الآن يشاكل أي بناء من المباني الحديثة العهد »
وهاك مؤدى العبارة الاخرى .

« ويصح ايضاً ان يقال ان حالة هذا الهيكل من بعض الوجوه تفضل
حالة اكثر المباني القديمة القائمة في ديار الفراعنة . »
ولا يخفى ان المسيو ناقليل قد تعهد هيكل أنس الوجود بعد انحسار
الماء وكان رأيه فيها يفضل رأي غيره لانه كان بادی بدءاً أشد احتياجاً من
غيره على انقمار الهيكل . ثم ان لدينا شهادة المسيو ماسبرو مدير عموم
العاديات المصرية فانه تقصى حالة هذه الآثار بكل تدقيق في الشتاء الماضي
ونشر رأيه بالنظر الى متانة بنائها في كراس عبارات الاطراء يشوبها بعض
التحفظ والاحتراس في البيان وهذا نص عبارته الأولى

« ان المعلومات في هذا الشأن باعثة على الاطمئنان وتبين لنا بان الاعمال
التي بوشرت لجمل ذلك الهيكل في مأمن من طفيان الماء عليه لم تكن عبثاً وقد
مضى العام الاول بسلام ورجائي ان لا يأتينا العام الآتي بما يتوقع منه الشر »

وهاك مؤدَى عبارته الثانية

« يلوح لي ان خطر السقوط الناشئ عن تأثير المياه في البناء قد زال والفضل في ذلك للاعمال التي أجريت آخرًا واصبح التيار ككلاً تيار حتى في ازمته الانهار حتى انه يصح لنا اعتبار أثر فعله شيئاً لا يُعتدّ به ولا يلتفت اليه »
ولهذا يمكنني ان اقول اذاً وأنا في قولي على بعض اليقين ان انهار جزيرة أنس الوجود بالماء لم يعمل حتى الساعة شيئاً في متانة ذلك الهيكل . وانما يجب هنا اعتبار مسألة أخرى في هذا الامر ألا وهي أثر فعل المياه في وجهة البناء والذي يظهر هو انه لم يحدث في احواله تغيير تحت منسوب الماء أعني في الجزء المنفرد لان جميع الثقبات قد اجمعوا رأياً على انه لغاية الحد الذي بلغتته المياه لم يزل كما كان من قبل ولكن الأمر على خلاف ذلك في الجزء الذي فوق سطح الماء لان في طول هذا الحيز من البناء هناك نطاق حجره مشرب ماء سمكه من ٦٠ الى ٨٠ سنتيمتراً وهذا التشرب ناشئ عن الجاذبية الشعرية وقد ظهرت في هذا النطاق أملاح متلفة للبناء وأخصها ظاهرة منتشرة على النقط التي طليت بالملاط (السمينتو) عند اصلاح البناء . وجميع أولئك الذين عاينوا تلك الآثار وكتبوا عنها قد استلقتوا النظر الى هذا الامر الذي هو في الحقيقة ظاهر لكل من تعهد ذلك المكان . ولتدارك هذا الضرر فالطريقة المثلى بعين السواد الاعظم من القوم هي ان يغسل البناء بالماء جيداً في النقط التي ينحسر عنها الماء حتي تزول عنها الأملاح . ويقال أنها آخذة في الانكشاف وريداً ويستحيل القطع في ما اذا كان هذا الاحتياط يقي الحجر من الاندثار والتفتت . ويرى المسيو ماسبروان ليس في الامكان القطع في هذه المسئلة في مدة تقل عن اربعة او خمسة أعوام . ولعله يكون مصيباً في ظنه لانه يظهر بأن مواضع التلف محصورة في النطاق المتضايق السمة الواقع فوق معظم منسوب مياه الخزان وليس من اثر للاملاح تحت خط الماء فاذا ازيد الماء ارتفاعاً فينتد

لا يكون لذلك اثر الا بأنه يعسلي منسوب ذلك النطاق الملحي فوق ارض الهيكل أكثر مما هو عليه الآن ولا اقول بان مثل هذا الاثر لا يعد شراً ووجه اعتراضه هو انه على قدر ما يكون هذا التلف لاحقاً بالمباني المذكورة فعلاوة ارتفاع المياه لا يجعل فرقاً محسوساً ومع كل فاني ارى بان غسل الاملاح عن الحجر في كل عام يدفع عنه كل تلف وانما اقول انه اذا بذلت العناية في الاحتياط لمثل هذا الامر فقد يتيسر وقاية تلك العاديات الجليلة الى مدة بعيدة المدى

اماً من الوجهة الفنية فاني آسف ان ليس عندي ما اقوله مما يضعف الاقتراح بتعليق المناسيب ثم ان انهار بناء ذلك الهيكل الى ما فوق ستة امتار لا بد وان يذهب بشيء كثير من بهائه ورونقه ويمحو جمال منظرته وكذلك لا يستطيع أحد ان يدعي قولاً آخر غير ما ذكرت . ويسؤني ان اقول بان مرآة هذا الهيكل ومظهره سوف يتبينان للسياح الذين يتعهدون آثاره واذا اقتضت الحال ان يكون الأمر كما ذكر فتلك قضية فيها تأس ولكن مظنة مثل هذه لا يصح ان تبعد الفوائد التي تنجم لزراع الاراضي المصرية من استزادة كمية الماء التي تزيد في سعة خزان اصوان ولا ازال محجاً عن المشورة باتخاذ طريقة ما من الطرائق التي قد يكون من شأنها تشويه جمال ذلك الاثر الفريد واني مقتنع بان إعلاء الحبس ضرورة متحتمة لمصر ولا بد يوماً من اجرائه . وقصاري الكلام انني ارى ان من الشطط إرجاء ذلك الى أمد ليس بذي جدوى فاذا أمكن الحصول على النقود الكافية للعمل وتسنى تناول المشروعين الآخرين الذين اقترحتهما فاني أحض ولاية الامور على إعلاء حبس أصوان حتى يحجز به الماء الى منسوب مائة واثنى عشر متراً وينبغي ان لا تزيد نفقة هذا العمل على نصف مليون جنيه وهذا مبلغ زهيد بالنسبة الى النفع الذي ينجم عنه لمصر بزيادة مليار من الامتار المكعبة

من الماء . وهاك كلامي في ما يأتي على مشروع السير ولليم ولكوكس الثاني وهو

(مشروع وادي الريان)

ان هذا المشروع يختلف اختلافاً كبيراً عن المشروع الذي عرضه المستركوب هويتهوس في سنة ١٨٩٤ فان خزان أصوان لم يكن له فيه ذكرٌ وحبس اسيوط لم يكن في حيز الوجود وكان قد تقرر ان يملأ غور وادي الريان مباشرة من النيل عند ما تسمح احوال المناسيب بذلك وكان الغرض من اختزان الماء رفد وامداد النيل بالماء في اوان اقصى الفيض . وقد تبين في هذا المشروع نقص كبير فان الزمن الذي يكون فيه معظم الاحتياج الى الماء قليل وصول مياه الفيض يكون منسوب مائه قد تناقص تناقصاً عظيماً باستدرار نهر النيل منه مقداراً جماً حتى يقل ميل التربة الخارجة منه فيقل التصرف ايضاً على نسبة هذه القلة . فاذا لم تدرك مياه الفيض مياه الخزان في اوان الشدة فلا مشاحة في وقوع القحط المؤذي الى التلف في الوجه البحري . اما مشروع السير ولليم ولكوكس فليس فيه مثل هذا النقص لان من رأيه استخدام خزان وادي الريان ليكون تكمة لخزان اصوان فينتفع به في اوائل الفصل ويستمد من خزان أصوان عند انخفاض الماء وقلة الميل وانتقاص التصرف في التربة الاخذة منه ولا أرى في هذا المقام أفضل من ايراد كلام السير ولليم ولكوكس المشار اليه اذ فيه وصف مشروعه وصفاً تاماً وهاك ما قاله بهذا الصدد :

« حينما يكون قد تمّ اعلاء حبس اصوان عندئذ نكون قد وصلنا الى معرفة ما يكون من وراء اعلائه فمشروع خزان وادي الريان المعروف اليوم بحيرة موريس سيكفي لتوريد الملياري متر مكعب الباقيين باشتراكه مع

خزان أصوان ويظهر من عجز هذه البحيرة المراد جعلها خزاناً للنيل ان تصرفها يكون غزيراً في شهري ابريل ومايو ولكنه يكون قليلاً في شهر يونيو وقليلاً جداً في يوليو ولهذا السبب أحجمت في تقريرى الذي رفعتُه سنة ١٨٩٤ الى الحكومة المصرية عن الاشارة باجراء هذا المشروع ولكن عندما يتيسر استيراد الملياري متر مكعب من خزان اصوان فينثذِ يستطيع استخدام بحيرة موريس الى اقصى وسعها . وبما ان خزان اصوان اعلى من مياه النيل فيتيسر بذلك استيراد المياه منه في اوائل الصيف أو اواخره اما دفقاً او تدريجاً ومن حيث ان البحيرة تفضي مباشرة الى النيل وهي على ارتفاع طفيف عن منسوب أقصى الفيض فستدرها يتوقف تماماً على اختلاف المنسوب بينها وبين النيل وكلما تدرج فصل الصيف تهبط مياهها ولا يكون في وسعها ان تدرّ في اواخر الصيف ربع ما تدرّهُ في اوائله . ولكن لنفرض ان الخزان والبحيرة قد تمّ إنشاؤهما وامتلاء ماءً في اوائل ابريل وأجري ماء بحيرة موريس الى النيل بالمقدار المطلوب في مدة الشهر المذكور ويكون خزان اصوان في معظم منسوبه . وفي شهر مايو يخرج من البحيرة جميع الايراد تقريباً والخزان لا يعطي الا شيئاً طفيفاً . وفي شهر يونيو يقل ماؤها ويكثر ماء الخزان وفي شهر يوليو لا تكاد البحيرة تؤدي شيئاً والخزان يؤدي جميع الايراد فاذا عملاً معاً على هذا الاسلوب فيكون كل منهما متمماً للآخر وبهذه الكيفية يتيسر امداد الديار المصرية^(١) بكل ما تحتاجه من الماء . انتهى

ولا يسعني بعد هذا البيان إلا ان اقول بان هذا المشروع على ما بيناه لأمرٌ آخرى واجدر بالنظر وارى انه اذا كان عمله مستطاعاً لتوصلنا به الى افضل طريقة تتخذ لزيادة ايراد مياه القطر المصري ومع ذلك فاني وجدت عند

(١) اطلب الكتاب الذي وردت فيه هذه الفقرة في الصفحتين العاشرة والحادية عشرة المطبوع في لندن سنة ١٩٠٤ وعنوانه « خزان اصوان وبحيرة موريس »

امعان النظر ان هذه المسئلة ليست بسيطة كما يتوهم فيها لأول وهلة كما يلوح لي منها اذ هي تنطوي على عدة مواضع للنظر تتطلب إمعاناً كثيراً قبل الجزم في اصلحتها لإدراك الغاية المقصودة . وقد أثبت في ذيل هذا الملحق ملحقاتاً آخر كتبه جناب المستر وب مفتش عموم ري الوجه القبلي حينئذ وفيه انتقد هذا المشروع انتقاداً موجزاً وضمنه مقايضة نفقات هذا العمل بصفة تقريرية . وأعود فأقول انه سبق لي أن تناقشت في هذا المشروع تكراراً ممة ومع المستر فرسكويل مفتش عموم ري الوجه البحري واجمعت اراءنا على هذا الموضوع من جميع اطرافه

وقبل التوسع في البيان يتعين عليّ ان استلفت النظر الى الأرقام التي جاءت في مذكرة المستر وب التي ورد فيها ان مقدار مياه النيل في فصل الشتاء يختلف عن المقدار الذي بتي السير ولیم ولكوكس تقديراته عليه وهذا الاختلاف ناشئ عن مقدار ما قدرته من المياه لإرواء السودان الشرقي وبالإطلاع على الفصل الذي اوردته في كتابي عن استخدام إيراد مياه النيل يتبين بانني اقترحت استيراد مائي متر مكعب في الثانية من مياه النهر في اشهر الشتاء للعرض الذي تقدم ذكره ولذا فاني سأبين الاسباب التي دعيتني الى عرض هذا الاقتراح واني مصرّ على وجوب استيراد مثل هذا القدر من الماء حتى اذا لم يكن في النية اتخاذ التدابير اللازمة لزيادة إيراد النيل عند الخرطوم . ومعلوم انه عندما كتب السير ولیم ولكوكس مقاله لم يكن ليديري باقتراح هذا وبالطبع انه قدّر مجموع تصرف النيل الشتوي الوارد الى اصوان بغير انتقاص في مقداره كما هو اليوم . ونحن نرى ان هذا الانتقاص لا بد ان يوهن مشروعه

وقد بحث المستر وب في مذكرته الملحقة بهذا الكتاب في المشروعين النديين اللذين اقترحهما السير ولیم ولكوكس واتخذ الارقام التي استخرجها

المستر فرسكويل عما يتعلق بالتصرفات المذكورة وقال فيما يختص بالمشروع الأصغر^(١) انه اذا حبس المقدار المطلوب للسودان فلا يستطيع في سنة قل ايراد الماء فيها إملاء خزان وادي الريان بواسطة بحر يوسف في اشهر الشتاء لابل يقع ذلك ايضاً في الفيض المعتدل ويضر بالملاحة في النيل ضرراً جسيماً في مدة الملء. ثم قال انه اذا اقتضى إمداد بحر يوسف من الضرورة حجز المياه بقدر اربعة امتار ونصف على حبس (قناطر) اسيوط ومثل هذا العمل يستلزم انشاء حبس رافد أي مساعد خلف القناطر المذكورة يماثل الأحباس التي أنشئت حديثاً لقناطر الدلتا ومن ثم يقتضي أيضاً تعديل بحر يوسف والحصص العليا من ترعة الابراهيمية تعديلاً أكبر لكي يتيسر ارسال المقدار اللازم من المياه في سنة يكون فيها الفيض مقللاً. ثم لكي يتسنى أيضاً العمل بالمشروع الأصغر يقتضي زيادة الإيراد الآتي من أصوان في مدة الشتاء أو صرف النظر بتأعن توجيه الفكرة الى امداد اقاليم النيل الأزرق. اما ما يتعلق بالمشروع الثاني وهو المشروع الأكبر^(٢) فقد برهن المستروب ان انشاء ميسور إذ يستطيع إملاء الخزان سنوياً من مياه الفيض حتى في الفيوض المتناهية في القلة كفيضي سنة ١٨٩٩ وسنة ١٩٠٢ لكان هذا الامر مستطاعاً بشرط أن يكون المجرى الممدد ذا قطاع كبير كافٍ وعلى هذا مدار العمل لانه اذا لم يتيسر توسيع الممدات توسيعاً كافياً فقد يتعذر املاء الخزان في زمن الفيض الى الارتفاع

(١) يُراد بهذا المشروع انشاء خزان يسع ملياري متر مكعب وشق ترعة واحدة للاملاء والتفريغ يستورد لها الماء في اشهر الشتاء من بحر يوسف والنفقة المقدرة لهذا المشروع تبلغ مليوني جنيه

(٢) الغرض من العمل بهذا المشروع انشاء خزان يسع ثلاثة مليارات من الامتار المكعبة يكون له مجريان احدهما صاب والآخر مفرغ يأخذان من النيل تواتر ونفقة هذا المشروع تقدر بمليونين وستمائة الف جنيه

المطلوب له في سنة يقصر فيضها . وهنا موضع اختلاف الآراء بين جناب السير وليم ولكوكس من الطرف الواحد وبين المستر وب والمستر فرسكويل من الطرف الآخر ذلك ان السير وليم يبين في المذكرة التي كتبها الابعاد التقريبية للممدات والمأخذ وبنى مقايساته عليها . اما المستر وب والمستر فرسكويل فلا يريان ان هذه الابعاد هي وافية بالغرض وانا اوافقهما على هذا الرأي . ثم انه قد اتضح من المقايسة التي وضعها المستر وب زيادة كبرى في مكعبات العمل التي يقتضي بحسب رأيه تفاذها^(١) فزاد فيات النفقات التي يتطلبها العمل وبنى مقايساته على مجرد اختباره الامر في الوجه القبلي . وتنج من ذلك ان مجموع مقايسته وقدره خمسة ملايين وسبعمائة الف جنيه قد نيف على مقايسة السير وليم ولكوكس بقدر ثلاثة ملايين ومئة الف جنيه . ولا اعلم كيف تأتى للسير وليم ولكوكس أن يقدر النفقات المطلوبة تقديراً مثل هذا يقصر عما يستلزمه العمل المشار اليه وقد وافق أعضاء اللجنة الفنية^(٢) على المقايسة التي قدرت بثلاثة ملايين وسبعمائة وسبعة آلاف وثمانمائة وثمانين جنيهاً في المشروع الاصيل الذي عرض على الحكومة سنة ١٨٩٤ وقدّرت فيه نفقات العمل المذكور^(٣) . والمقايسة عملت لترعة واحدة فقط تكون بمثابة ممدّ ومأخذ في آن واحد . ومشروع السير وليم ولكوكس وضع لترعتين الواحدة منهما لامداد الخزان والاخرى للاخذ منه . نعم ان الترعتين تلتقيان

(١) معلوم ان كلتا المقايستين تقريبية ولكن بما انهما بُنيتا على معلومات متماثلة فلذا استطاع قياس احدهما الى الاخرى

(٢) قد كانت هذه اللجنة مؤلفة من السير بنيامين بيكر والمسيو اوغست بوله والسنيور تورشلي

(٣) اطلب المادة الثانية والعشرين من تقرير اللجنة الفنية عن خزان النيل المنشور في ١٠ ابريل سنة ١٨٩٤ الصفحة الثامنة

عند نقطة معينة وانما جملة مسافة التربة تفضل كثيراً المسافة المفروضة في المشروع الاصيل . فاذا نظرنا الى هذه القضية والى زيادة قطاع التربة المطلوب في حالة ما اذا كان الخزان يملأ كل سنة في مدة الفيض نرى بان مكعبات الحفر التي قدرها المستر وب في مقايسته تقارب الحقيقة . أما ما يتعلق بمفردات الاثمان المقررة للعمل فهناك خلاف آخر في الرأي فالمستر وب قد أسند تقديره هذه المفردات الى اختبار أعمال الحفر والردم الكثيرة في الوجه القبلي فاذا فرض ان الفية تكون ثلاثة قروش صاغ بدلاً من خمسة قروش للمتر المكعب ينتقص التقدير بقدر نصف مليون جنيه من مجموع النفقة ومع ذلك تبقى النفقة متجاوزة كثيراً القيمة التي قدرها السر وليم ولكس . ويوجد ايضاً فرق آخر بين المقايستين وهو المدة التي تلزم ملل الخزانات . فالمستر وب يؤيد رأيه من حيث المدة التي قدرت في المقايسة الاصلية وهي سبع سنين بينما ان السير وليم ولكوكس يجعل تلك المدة اربع سنين فقط ومثل هذا الفرق في المدة قليل الاهمية لا يعتد به . اذ في الوسم تمشية المشروع وتنفيذه على مناح وقواعد اخرى لان مدة ثلاثة اعوام في البداية لا يجب ان تعيق اتمامه الى النهاية

وهناك أيضاً وجه آخر للمسئلة يقتضي اعتباره ويلوح لي انه أشد أهمية من سائر الوجوه وأعني به الخوف مما لو امتلأ الخزان ان يسبب ثبات منسوب المياه على درجة عالية نزاً ورشحاً في باطن الروابي الفاصلة بين وادي الريان والفيوم فينشأ عنها تلف جسيم لأراضي هذا الاقليم الزراعية

ولابد من ان تتباين الاراء في هذه المسئلة حتى لا يتيسر لاصحابها الوقوف على حقيقة . والأدلة على ذلك كثيرة لا يحيط بها حصر من كلا طرفي الاختلاف وقبل أن يتم ملل الخزان في سنين عديدة متوالية لا يستطيع احد أن يجزم بحدوث النز . فلكي يتسنى لنا الوصول الى حقيقة ما بشأن هذه المسئلة

يقتضي اتمام العمل وتوقع نتيجته . وبما ان هذه التجربة تستدعي نفقة نصف مليون جنيه على الأقل فلا تمدُّ الا تجربة طائلة النفقة وأنى موردٌ هنا تضارب الاراء في هذه المسئلة فاقول ان السيروليم ولكوكس قد جزم في مقاله الاخير الذي كتبه بهذا الصدد بأنه لا يحدث نز في بواطن الروابي المشار اليها . وأسند ما ارتآه أنه حينما كانت بحيرة موريس ملاءً بالماء لم يكن حينئذٍ في البال أن تتطرق المياه من الفيوم الى وادي الريان ولهذا يتعين عليّ أن أكل هذه القضية الى علماء بواطن الارض ليبينوا ما اذا كان هذا الرأي هو بمثابة برهان مقنع^(١) . وقد خشي السير بنيامين باكر ورصفأؤه في اللجنة الفنية من حدوث نز في الروابي المذكورة وهالك ما قالوه في هذا الصدد

« من رأي اللجنة ان املاء الغور (ومنسوبه من بين ٤٢,٠٠ و ٧,٠٠٠ واقليم الفيوم بين ٢٥,٠٠ و ٤٢,٠٠) ربما نشأ عنه فوارات ومناقع في منخفضات ذلك الاقليم ومثل هذه الفوارات تستلزم انشاء أعمال صرف خصوصية لتخفيف الضرر عن الاراضي الزراعية ثم ان ضياع الماء بالنز يؤخر زمن إملاء الخزان وينقص مقدار المياه اللازمة سنوياً للري . واللجنة لا يتسنى لها تقدير كمية المياه التي تذهب هدرًا وضياعًا بالتدقيق فهي ترى انها تكون في بادىء الامر جسيمة ثم تقل عامًا فعامًا بالنظر الى انسداد الفوارات الصغرى بمياه الفيض العكرة ولكن اذا وجد هنالك بثوق كبيرة كما هو المرجح فلا سبيل الى تقليلها^(٢) .

(١) اطلب الفقرة الثامنة عشرة من الفصل الاول الصفحة السابعة من تقرير

اللجنة الفنية عن خزان النيل الذي نشر في القاهرة سنة ١٨٩٤

(٢) ارتأى الاستاذ شوينفورس في النبذة التي نشرت في التقرير الموضوع

لاري المستديم ووقاية الديار المصرية من الغرق في الملحق الثالث عشر بأنه لا بد أن يفيض شيء من مياه خزان وادي الريان في الارض نظراً الى الشقوق او القلوع الكائنة في قاع ذلك الغور

قال اعضاء اللجنة وفي الختام انهم لا يستطيعون ان يشيروا على الحكومة بتحويل وادي الريان الى خزان لانه ربما يكون علة خطر لاقليم الفيوم اذا حدث عنه نثرٌ يعتد به وتكونت منه بشوق^(١) وفجرٌ ومنايع وقد اتفقت آراء اعضاء اللجنة الفنية على ما تقدم ذكره. ولا يخفى ان ما قاله هؤلاء الاعضاء هو من الخطورة بمكان لانه كلام جاء به عن ثلاثة رجال مشاهير وأرى أنه لا يتسنى لأحد ان ينبري لمعارضتهم ويشير على الحكومة باجراء هذا المشروع حتى يكون قد نقّب عن هذه القضية تمام التنقيب^(٢)

واذا تصفّحنا خريطة تلك البقعة تبين ان بين وادي الريان وغور الفرق بالفيوم هضبة سمعتها نحو كيلومتر لكن هناك هضبة أخرى عرضها نحو اربعة كيلومترات تفصل الفرق عن سائر اقليم الفيوم وبعيدٌ عليّ الاعتقاد (ولو كانت المناسيب كبيرة التخالف) بأن مياه النر تحترق هذه الهضبة ولو فرضنا انه قد يمكن انهار الفرق بالماء. قال السير وليم ولكوكس انه لو حدث مثل هذا الأمر فقد يتيسر اوائد نرح الماء واستخدامه لترعة النزلة. ولقد يتفق ان يكون ذلك وانما الخزان يفقد هذا المقدار في اشهر الشتاء مع مقدار ما يتصاعد منه بخاراً وقد يكون من الاقتضاء حينئذ التعويض من البحر اليوسفي فيعود بنا هذا الامر الى الحال الأولى والاعتراضات التي أقيمت في وجه المشروع الاصغر. فاذا استوعبنا كل ما قيل في هذا الموضوع نجد ان كل ذلك يؤدي الى انه يجب استطلاع

(١) راجع تقرير اللجنة الفنية. النبعة الثانية عشرة الصفحة العاشرة

(٢) ان عامة مناسيب اقليم الفيوم هي كما يأتي :

عند اللاهون اربعة وعشرون متراً

عند مدينة الفيوم عشرون متراً

عند بركة قارون اربعة واربعون متراً واحط نقطة في فوهه صفر

طبقات الارض وربما اقتضى لذلك حفر ابور والتنقيب الواسع عن الابعاد التي يجب اتخاذها لترعتي الصب والأخذ . وقبل اتمام ذلك لا نقول الا ان المشروع هو لأول وهلة مرغوب فيه لكنه كثير الغوامض وان اتخاذ لا يكون الا على سبيل التجربة والتجربة باهظة النفقة . وقد لا تنكشف خبايا الظنون التي تتعلق بالتلف التخميني الذي يلم باقليم الفيوم الا متى انفقت الاموال في هذا السبيل ونفذ المشروع . ويحسن بنا ان نبقى الحكم بهذا الامر الى ان نحصل على معلومات واسعة في هذا الشأن . وعندنا في كل حال ان مشروع اصلاح بحر الجبل يفضل مشروع وادي الريان لاني مقيم على انه اذا تملى حبس اصوان يقتضي اتخاذ التدابير لزيادة مقدار المياه عند اصوان ، فاذا قرر ذلك ارى افيد وانفع ان يباشر بالعمل على نمط متسع النطاق تتحقق به منفعة زيادة الايراد ليس للديار المصرية فقط بل لعامة وادي النيل فيما دون الخرطوم شمالاً . هذا ولو ان نفقة اصلاح النيل الأعلى ستكون اعظم من نفقة مشروع وادي الريان فاني لا احول عن المشورة باصلاح بحر الجبل بالافضلية على مشروع وادي الريان وذلك للاسباب الآتية وهي :

(أولاً) لان مساحة الأرض التي توفق باصلاح البحر هي اوسع جداً من مساحة الأراضي المنتظر إروائها بمياه وادي الريان

(ثانياً) لانه يقتضي على اية حال من الأحوال اتخاذ التدابير لزيادة مياه النيل فيما لو جزم بتعليق حبس اصوان

(ثالثاً) لانه ليس فيه عند اتمامه مخاطرة اورية . فالذي اراه اذا انما

هو جعل مشروع وادي الريان ثاني مشروع بحر الجبل في الفضل وعند ما تصبح مسألة احياء الاراضي بالبحيرات الواقعة في الشمال عن الدلتا كما هو منتظر في المستقبل الآتي حينئذ قد يكون مشروع وادي الريان الوسيلة الفضلى لاكثر ايراد المياه

وقبل اختتام الكلام على مشروع وادي الريان يتعين عليّ ان ابين بكلمات قليلة نعمة من حيثية تصريف مياه الفيض . اذ يرى ان هذا الفور يكون من حيثيات كثيرة مغيضاً نظرياً لهذا الغرض ولكن المستر وب يقول انه لكي تكون ترعة الانجلاب نافعة حق النفع في تقليل ارتفاع ماء الفيض يقتضي ان تكون اوسع من التربة اللازمة للملء فقط . قال الكولونل روس مفتش الري بالديار المصرية سابقاً « ان اقل تصرف يفرض لترعة تصريف مياه الفيض يقتضي ان يكون عشرة ملايين متر مكعب في اليوم وهذا التصرف يستلزم ترعة عظيمة القطاع واحداث مثل هذه التربة يستدعي نفقات باهظة يجوز الترخيص بها لولا وجود وسائل اخرى يتيسر بها تصريف مياه الفيض » انتهى . اقول وهذه الوسائل هي كما يأتي :

مشروع فرع رشيد

حضّ السير وليم ولكوكس في مذكرته الاخيرة على وجوب الاحتياط لفرعي النيل حتى يتيسر تقليل الخطر من غوائل الفيض وواجب ايضاً جعل سعة فرع رشيد واحدة وذلك باقامة رؤوس ونقل جروفه الى الورا حيثما يرى ضرورة ذلك حتى يصير في وسع مسيله ان يؤدي تصرفاً اكثر مما هو عليه الآن بدون ان يحدث خطراً في الارض ومن ثمّ تعدل مياه فيضه على حبس فرع دمياط ويكون هو بمثابة ترعة كبرى . ثم تحويل المياه العالوة اليه . اما تعديل المياه على ذلك الحبس في اوان الفيض الطافح فقد تبين انه امر ضروري في الاحوال الاستثنائية . ومن الضرورة تعديل مسيله حتى لا يزيد مقدار التصرف منه على تصرف فيض اعتيادي وهذا المقدار يحمله الحبس كما نراه منه اليوم وليس على البلاد خطر جسيم من بشوق تحدث في حروفه

(جسوره) ولا سيما اذا امكن بذل نفقة كافية لتقويتها وتدير أمر هذه المياه .
واما ما يتعلق بفرع رشيد فاذا كان الغرض جملة مصرفاً لمياه الفيض فاني
أوافق السيروليم ولكوكس في ذلك لانه ارتأى لزوم انتظامه وتعديله تعديلاً
كلياً . وارى انه من العبث اسهاب الكلام عن الخطر الذي يلحق الوجه
البحري في الازمنة التي يكون الفيض في خلالها مجتازاً قناطر الدلتا بمقادير
متجاوزة . ولا يخفى ان هذه المسئلة هي من الخطورة بمكان . وقد خلت
عدة اعوام منذ وقوع فيض غامر وقل من رأى من عمال مصلحة الري الآن
شبيهاً لهذا الفيض . ولا بد من حدوث فيض آخر مثله ولعله يقع عاجلاً لان
الاختبار دلنا على ان الفترات التي بين الفيوض المتجاوزة لا تكون اعواماً
طوالاً والتلف الذي ينشأ عن صدع في جرف النيل لا بد ان يكون اعظم
كثيراً مما كان منذ عشرين سنة لا بل منذ خمس عشرة سنة . ومعلوم ان
تقدم الزراعة واتساع نطاقها وزيادة السكان وارتفاع اثمان الاراضي كلها بواعث
على تحقيق هذا الامر . ومن ثم فاني أشير بوجوب تخصيص مقدار من المال
لإصلاح كلا فرعي النيل شمال قناطر الدلتا لاسيما اصلاح فرع رشيد حتى يعي
علاوة مياه الفيض الغامر بدون ان يحدث ذلك ضرراً للقطر . ويقدر السير
وليم ولكوكس نفقة هذه الاعمال بتسعمائة الف جنيه . فاذا امكنا اعداد مجرى
صرف لمياه الفيض الغامر بهذا المبلغ نكون قد بلغنا الغرض المقصود بنفقة قليلة
ويرى مما تقدم اني أشير باعلاء حبس اصوان واصلاح فرع رشيد
ولكنني لا أشير باستخدام وادي الريات في الوقت الحاضر خزاناً للمياه
للاسباب التي بينتها آنفاً . ولا ازال أحض ولاية الامور على الشروع في
اصلاح بحر الجبل فوق المشروعين المتقدم ذكرهما وعلى زيادة ايراد المياه
المهبطه الى ديار مصر شتاءً وصيفاً باحدى الطريقتين اللتين اقترحتهما في
كتابي . وهذه الاعمال الثلاثة ليست كل البرنامج العمومي بل هي جزء

منه فقط فان استيراد مقدار من الماء يكون وافياً بحاجات الديار المصرية يستلزم انشاء اعمال كثيرة مرتبط بعضها ببعض على مثل ترع ومصارف الخ حتى يضمن الانتفاع التام بالمياه العلاوة . ولا يخفى ان امثال هذه الاعمال تتطلب نفقة عظيمة وانما لا تقتضي ان تكون معجلة في الامكان توزيعها على سنين عديدة ولذا يجب القيام باعبائها عاجلاً أو آجلاً لانه اذا لم يتيسر نفاذها الى التمام لا يمكن اجتناء الفوائد المنتظرة منها . وبناءً على هذا ينبغي للحكومة المصرية ان تعلم بانها اذا خطت الخطوة الاولى في هذا السبيل وهو مباشرة اعلاء حبس اصوان تكون قد عرضت نفسها لاعمال تستغرق نفقات باهظة المقدار . في الوجه القبلي بين اسيوط وقنا يوجد نحو ٧٥٠ الف فدان من الارض التي تروى بالحياض والمنتظر تحويل ريةها في مستقبل الوقت الى ري مستديم . وقد دلت تجربة مثل ذلك في مصر الوسطى على انه لا يستطيع تحويل ري الفدان الواحد من الارض بأقل من اربعة جنيهات . وايضاً اذا أريد انشاء أية ترعة من الترع التوزيعية الكبرى او تعديلها اقتضى زيادة النفقة^(١) زيادة كبرى . هذا ولرفع منسوب المياه في النهر يقتضي انشاء حبس (قناطر) بين المكانين على شكل حبس اسيوط . ثم لكي لا يضطر الى انشاء ترع كبرى طويلة متوازية الامتداد نقيم من هذه الاحباس اثنين ذلك بلا ريب اوفى بالغرض وربما كان اكثر اقتصاداً . فاذا قدرنا الصفة التي عليها النيل والمناسيب وإمكان الاحتياج الى اقامة احباس مساعدة فبالجهد يمكن انشاء كل واحد منها بنفقة أقل من مليون جنيه وهاك مقايضة نفقة الأعمال المذكورة

(١) اذا اضيفت نفقة توسيع ترعة الابراهيمية في مصر الوسطى الى نفقة تحويل ري الحياض الى ري مستديم تبلغ نفقة الفدان الواحد سبعة جنيهات في عامة مساحة الارض المطلوب تحويل ريةها

٢٠٠٠٠٠٠ جنية	نفقة الحبسين
٣٠٠٠٠٠٠ جنية	نفقة تحويل ري ٥٧٠ الف فدان باعتبار نفقة الواحد ٤ جنيهاً
٥٠٠٠٠٠٠ جنية	المجموع

ثم لكي يُستخدم الايراد الملاوة في الوجه البحري تماماً يقتضي اجراء اعمال كثيرة لتعديل وتوسيع نطاق الترع وانشاء مصارف جديدة ايضاً . ومن المستصعب تقدير مجموع نفقة هذه الاعمال بدون بيانات اجلى من التي لدينا اليوم وارى اني لو قدرتها بـ ١٠ مليون جنية لا اكون قد بالغت . وبالجملة فان اتمام اعمال التحويل في مصر الوسطى التي لها علاقة بخزان أصوان يقتضي في خلال المامين أو الثلاثة الاعوام القادمة اتفاق مبلغ آخر يكون نحو مليون جنية وهو جزء من البرنامج المعروض على الحكومة وقد ذكرته هنا لانه يشمل على مبلغ جسيم في ضمن النفقات المطلوبة في المستقبل ولكن بما اني في قياسي النفقات بالايادات المنتظرة لم احتسب الدخول الممكن استيراده من الاراضي المحولة في مصر الوسطى فقد أغفلت هذا المبلغ من جدول المقارنة . هذا واما الأموال التي تنفق في سبيل توسيع نطاق الري في الاقطار السودانية فغير محدودة وقد حاولت في كتابي ان أصف باختصار المشاريع المتنوعة التي هي خليقة بالبحث والتنقيب . وبما ان الواضح انه يتعذر بل لا يستصوب على الاطلاق الخروج عليها كلها دفعة واحدة أو مباشرة أكثرها في مدة تكون وجيزة فـ ما علينا إلا أن نتخير من بينها المشاريع المرغوب في مباشرتها بالاولوية . اما فيما يتعلق بمقاييسات هذه الاعمال فاكرر هنا ما قلته في فاتحة هذا الملحق وهو انه لا ينبغي اعتبار تقدير النفقات إلا تقريباً ولو اني تساهلت فتركت براحاً فسيحاً للنفقات غير المنظورة لكل عمل من تلك الاعمال مع ذلك أراني غير كافٍ قطعاً ان النفقات الصحيحة لا تربو على التقديرات التي قدرتها لها . اما الاعمال المطلوبة للسودان

وهي جديرة بالعناية والاهتمام فهي الآتي ببيانها. وسيكون في الاول والآخير منها
نفع لمصر أكثر مما يكون للسودان عدا ما يخص وادي النيل شمالي مدينة
الخرطوم والاعمال الاخرى سيكون نفعها قاصراً على البلاد السودانية وحدها.
وهاك بيانها

- (١) تعديل بحر الجبل
 - (٢) اقامة حبس في النيل الازرق
 - (٣) انشاء نظام ترع لبلاد الجزيرة بالتبعية لهذا الحبس
 - (٤) موازنة مياه نهر قاش
 - (٥) إنشاء خزّان في نقطة من السودان قبلي الروصيرص
 - (٦) موازنة المياه ببجرتي فكتوريا والبرت
- وسأبحث بالايجاز في نفقة كل عمل من هذه الاعمال على وجه التقريب
فأقول فيما يختص بالعمل الاول

ان لذلك طريقتين بين الخيارين الاولى منهما أن يشقّ مسيل جديد
للنيل بين محلة بور وسباط والثانية اصلاح بحر الزراف لجعله صالحاً لحمل
الايراد الملاوة من الماء . ولا مشاحة في ان نفقة الطريقة الاولى ستكون
باهظة جداً وقد قلتُ انه اذا أنشئ هذا المسيل يجب ان يكون مسيلاً كبيراً
كافياً لان يحمل تصرفاً مقداره ألف متر مكعب في الثانية . ومن الآن الى
مدى سنين كثيرة (يوم يشرع في موازنة مياه البحيرتين) اذا شق المسيل ليعي
تصرفاً قدره سبعمائة متر مكعب في الثانية لوفى بالمطالب . فتقديري الآن هو
اذا لمسيل هذا حجمه ولا يكون في تكبيره صعوبة فيما بعد . وبما انه سيكون
ايضاً صالحاً للملاحة فمن باب الضرورة جعل سرعة تياره في حدود مضبوطة .
ولقد فرضتُ أشد جريته مترين في الثانية^(١) والقطاع اللازم لمرار مثل هذا
التصرف يستلزم اعمال حفر وردم تبلغ نحو ١١٩ مليوناً من الامتار المكعبة

تباشر كلها بالآلات البخارية . وبما ان مقدار المكعبات جسيم متجاوز فلعله يتيسر الوصول الى مقاولين يقومون بانجازه بفيّة لا تزيد على فيّة التجريف بالجرافات في الوجه القبلي اي ثلاثة قروش وسبعة مليات عن كل متر مكعب . وعليه فيكون مجموع نفقة الحفر اربعة ملايين واربعمئة الف جنيه مصري . ولعلّ اعمال الموازنة تباع نفقتها ما يونا آخر فيكون مجموع النفقة المطلوبة خمسة ملايين وخمسمائة الف جنيه^(١)

اما الطريقة الاخرى وهي اصلاح بحر الزراف فنفتها اقل كثيراً من الطريقة الأولى لان مكعبات الحفر والردم فيها اقل جداً ولهذا فان مجموع ما يقتضيه هذا العمل (باحتساب نفس السرعة بالطريقة الاولى لمسيل النهر الحالي) يبلغ نحو ٧٥ مليون متر مكعب . فاذا حسبنا أجرة المتر المكعب ثلاثة قروش وثمانين وعشرين بارة اي سبعة وثلاثين ملياً تبلغ النفقة المطلوبة للعمل ثلاثة ملايين ومائة وخمسة واربعين جنيهاً . واذا حسبنا نفقة قنطرة الفم مائتي الف جنيه تكون جملة النفقة ثلاثة ملايين وثلاثمائة وخمسة واربعين الف جنيه او ثلاثة ملايين واربعمئة الف جنيه فهذا يكون اقل كثيراً من نفقة المشروع الاكبر

(١) اذا اعتبرنا مصير الملاحة الى القلة في هذه الحصة من النهر (ويوجد اليوم بخاريتان في كل شهر ذهاباً اياباً) رأينا أن لا ضرورة لانقاص السرعة عن المقدار المذكور آنفاً اذ انها تساوي جرية سبعة كيلومترات ومائتي متر أو اربعة أميال ونصفاً فقط في الساعة . أما في أوان الفيض فتكون أعظم من ذلك بكثير . وأما في النيل الازرق فهي بقدر ثلاثة أمتار في الثانية ومع هذا فالملاحة مستسهلة

(٢) ولعل الأولى من باب الأقتصاد جعل المسيل الجديد بحيث يحمل تصرفاً قدره أربعمئة متر مكعب في الثانية فقط . وجعل الكمية الباقية وهي ثلاثمائة متر مكعب أن تنزل الى بحر الجبل كما هو في ايامنا وبهذه الكيفية تنقص نفقة العمل الى ما دون ثلاثة ملايين جنيه غير ان هذا المشروع لا يكون تاماً كالأخر لان جزءاً من ايراد مياه الصيف يظل يجري في المستنقعات . ومع ذلك فالعمل جدير بالبحث والتنقيب .

اذا افلح امر اجرائه فلا مشاحة في ان فوائدهُ تفوق كثيراً المنافع التي تنجم
عن المشروع الا صغر حتى لا يسعني والحالة هذه الا ان أشير بوجوب اجرائه
اذا تيسر له المال . هذا ولا شك في ان المسائح التفصيلية والميزانيات ستدعو
الى تعديل نفقات المشروعين تعديلاً عظيماً

اما المشروع الثاني فهو انشاء حبس للمياه في النيل الازرق على طراز
حبس اسيوط وتبلغ نفقاته باعتبار الصعوبة في حشد العملة واستحضار
مهمات البناء مليوناً من الجنيهات اما المشروع الثالث المختص باحداث نظام
من الترع فقد قدرت له مبلغ مليوني جنيه . ولا مشاحة في انه يمثل هذه
النفقة تعمل اعمال جسيمة ولكن يتعذر عليّ الآن تعرف مقدارها من دون
معرفة ميزانية الارض

والمشروع الرابع يراد منه ضبط مياه نهر قاش وفيه ما في المشروع الذي
قبله من الصعوبة بسبب جهل ميزانية الارض وقد قدر بمبلغ نصف
مليون جنيه

والمشروع الخامس المراد التنقيب عنه يراد به انشاء خزان للمياه قبالة
الروصيرس او في مكان قريب منها . وقد يتعذر تقدير نفقات هذا العمل
بالضبط وجل ما اقول به هذا الصدد هو انها لا تزيد مطلقاً على نفقات حبس
اصوان اي مليونين ومائتي الف جنيه وربما صارت الى اقل من ذلك

والمشروع السادس وهو موازنة المياه ببحرتي فكتوريا والبرت لا ارى
نفقاته تنيف على مليوني جنيه مع تمادي الشقة وبعد الموقع اعني انها تكون
مليون جنيه لكل واحدة منهما وهاك نفقة الاعمال المطلوبة للديار
السودانية بحسب المقادير المتقدم ذكرها وبحسب المقايسة التي تكون قد
اتخذت لبحر الجبل

المشــــــــــــــــاريع	التقدير الاول	التقدير الثاني
	جنيه	جنيه
بحر الجبل	٥٥٠٠٠٠٠	٣٤٠٠٠٠٠
خزان عند الروصيرص	٣٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠٠
حبس البحر الازرق	١٠٠٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠٠
نظام ترع لاراضي الجزيرة	٢٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠٠
تعديل مياه نهر قاش	٥٠٠٠٠٠٠	٥٠٠٠٠٠٠
موازنة بحيرتي فيكتوريا والبرت	٢٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠٠
المجموع	١٠٩٠٠٠٠٠	١٣٠٠٠٠٠٠

فاذا أُضيفت النفقات المقدرة للأعمال المطلوب انشاؤها للديار المصرية

وهي كما يأتي :

المشــــــــــــــــاريع	نفقه
	جنيه
اعلاء خزان اصوان	٥٠٠٠٠٠٠
تعديل فرعي رشيد ودمياط	٩٠٠٠٠٠٠
تحويل الري الحوضي في الوجه القبلي الى ري مستديم	٥٠٠٠٠٠٠
اقامة احباس بين اسيوط وقنا	٢٠٠٠٠٠٠
المجموع	٨٤٠٠٠٠٠ (١)

فيكون مجموع النفقات في القطرين السوداني والمصري كما يأتي :

(١) ان مبلغ المليون جنيه المطلوب لاتمام تحويل الري الحوضي في الاقاليم الوسطى الى ري مستديم لم يدرج في هذا المجموع لانه خاص بتقدير آخر

التقدير الاول	التقدير الثاني	النققات
جنيه	جنيه	
١٣٠٠٠٠٠٠	١٠٩٠٠٠٠٠	نققة مشاريع السودان
٨٤٠٠٠٠٠	٨٤٠٠٠٠٠	نققة مشاريع مصر
٢١٤٠٠٠٠٠	١٩٣٠٠٠٠٠	المجموع

ولا مشاحة في ان نفقات هذه المشاريع في كلا القطرين هائلة المقدار .
ولا خفاء ان ليس القصد اجراءها في برهة من الدهر قصيرة حتى لو توفر
المال لها فلقد يتمدّد اجراؤها الا في مدى عشرة الى خمسة عشر عاماً مما كانت
الظروف مساعداً على ذلك على انه لم يحن الوقت للقيام بكثير منها فلو سئلت
اليوم تعيين الاعمال الممثلة والتي يستطيع اجراؤها في مدة هي في القياس
قصيرة لأشرتُ بالاعمال الآتية :

النققات	
جنيه	
٥٠٠٠٠٠	اعلاء خزّان اصوان
٩٠٠٠٠٠	تعديل فرعي رشيد ودمياط
٥٥٠٠٠٠٠	تعديل بحر الجبل
٥٠٠٠٠٠	قسم من نظام ترع الوجه البحري
٢,٥٠٠٠٠٠	قسم من نظام ترع الوجه القبلي
١,٠٠٠٠٠٠	اقامة حبس في النيل فيما بين اسيوط وقنا
١,٠٠٠٠٠٠	اقامة حبس في النيل الأ زرق
٥٠٠٠٠٠	قسم من نظام ترع الجزيرة في السودان
٥٠٠٠٠٠	مشروع نهر قاش
١٢٩٠٠٠٠٠	المجموع

ولو تخيرنا من المشروع الثالث اصغره لانتقصت هذه المقايضة بقدر

مليونين ومائة الف جنيه فصارت عشرة ملايين وثمانمائة الف جنيه فقط^(١)
والاعمال الباقية ونفقتها ثمانية ملايين وخمسمائة الف جنيه يستطيع اجراؤها
بعد انجاز القسم الاول من هذه اللائحة . هذا وليس لنا الآن الا ان ننظر في
الموارد التي ترجى من وراء النفقات المذكورة فعند ذلك اقول انه ليس سهلاً
تقدير تلك الموارد ولا سيما فيما يختص بالسودان يتعذر علينا نعين الزمن الذي
يتوقع فيه بلوغ تلك الموارد اقصاها . ولكن بما ان كلامنا الآن في هذه النبذة
يتناول النفقات التقديرية فهو يتناول الموارد من وجه التقدير ايضاً . اما زمن
جدواها فلا يعلمه الا علام الغيوب

ففي الوجه القبلي تقوم الاراضي التي يتحول ربيها الى ري مستديم بالضريبة
الملاوة التي تقرر فرضها على اراضي مصر الوسطى التي من هذا القبيل وقدرها
خمسون غرساً للفدان الواحد . هذا ولا مندوحة عن انقاص هذه الضريبة
الى ٣٠ قرشاً للاراضي الواقعة الى ما فوق قنا حيث يكون الري مطلقاً على
الآلات الرافعة . واما الوجه البحري فاذا اصبح نظام التصرف فيه فلا ارى
مانعاً من جعل الضريبة مائة قرش للارض التي يحجى مواتها فتصلح للزراعة
ولو انها في عدة سنين آتية لا تزيد هذه الضريبة عن ٥٠ قرشاً عن كل فدان
في مثل هذا الاستدراك يصح فيما يختص بالسودان ولو ان الزمن الذي تصل
فيه تلك البلاد الى اقصى ضريبتها سيكون اطول جداً من ذلك^(٢) . وهالك بيان
الموارد السنوية التقريبية وهي من الضرائب التي تستجنى ثمانية بالمائة من

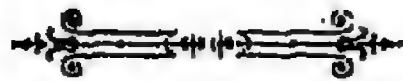
(١) والذي اراه هو ان اجمال الاعمال الواجب اجراؤها المشاريع الثلاثة

الاول وهي تستدعي ستة ملايين وتسعمائة الف جنيه

(٢) قد قدرت أقل التقدير في هذه المقايسة

جنيته	مقدار الضريبة	قيمة الضريبة للفدان	المساحة	مصاريف الايراد
	جنيته	غرش	فدادين	الوجه القبلي
	٣٧٥٠٠٠	٥٠	٧٥٠٠٠٠	الحياض المحول ربيها الى ري مستديم
	٣٠٠٠٠	٣٠	١٠٠٠٠٠	الاراضي التي تروى بالطلعات
				الوجه البحري
١٢٠٥٠٠٠	٨٠٠٠٠٠	١٠٠	٨٠٠٠٠٠	الاراضي التي احيا مواتها
				السودان
	٣٥٠٠٠٠	٥٠	٧٠٠٠٠٠	اراضي الجزيرة
	٥٠٠٠٠	٥٠	١٠٠٠٠٠	اراضي نهر قاش
٥٠٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠	٥٠	٢٠٠٠٠٠	اراضي وادي النيل الى الشمال عن الخرطوم
١٧٠٥٠٠٠	الجملة الكلية			

اصل النفقات بحسب كبرى المقايستين وفي هذا البيان لم يلتفت الى مسألة
اثمان الاراضي التي يُحْيى مواتها وهي تبلغ في الوجه البحري والسودان مساحات
واسعة الاطراف وعلاوة على ذلك زيادة دخل الحكومة من السكك الحديدية
والجمارك زيادة وافرة جداً
الامضاء
وليم جارستن



ردف الملحق الاول

(بقلم جناب المستروب مفتش عموم الري في الوجه القبلي سابقاً)

(في خزان وادي الريان المقترح انشاؤه)

ان اتمام حبس اصوان قد أنعش الآمال لجعل وادي الريان العظيم الشأن خزاناً لحفظ المياه لإمداد الايراد الصيفي في الوجه البحري . وقد اوضح اخيراً السير ويلككس باجلى بيان كيف يمكن سدّ حاجة الوجه البحري بواسطة استعمال خزان وادي الريان مع خزان آخر يقام عند اصوان وقد كان خزان وادي الريان من جملة المشروعات التي عرضت على اللجنة الفنية في سنة ١٨٩٤ وقد وقّته التقادير التي وُضعت عن الخزانات حقه في البحث والوصف الدقيق فلم يبقَ علينا سوى التصريح بان رفض هذا المشروع ناشي عن النفقات المتجاوزة التي يحتاج اليها ولا تعود فائدته الا على الوجه البحري والآن بما ان خزان اصوان وسد اسيوط قد تم انشاؤهما فقد تغيرت الحال وصار من الضروري اجتزاء البحث فيما اقترحه جناب السير وليم ويلككس للقيام بمشروعين وهما :

(ا) خزان يسع مليارين من الامتار المكعبة له ترعة واحدة ملئه وتفريغه وقد تقدرت نفقاته بمليونين جنيه مصري

(ب) خزان يسع ثلاثة مليارات من الامتار المكعبة له ترعة ملئه واخرى لتفريغه وقد تقدرت نفقاته بمليونين وستماية الف جنيه .

واذا صرفنا النظر الآن عن صحة تقدير النفقات وعدمها يجيء معنا البحث باختصار في المشروعين المذكورين وامكان تنفيذهما وعدمه فنقول المشروع (ا) خزان له ترعة واحدة ملئه ثم لتفريغه عند امتلائه ومن ثم يستخدم بحر يوسف لإمداد الايراد على معدل تصرف متوسطه ٢٣٠ متراً مكعباً في

الثانية وذلك من ١٥ أكتوبر لآخر فبراير
وقد اورد المستر فرسكويل مفتش عموم الري في الوجه البحري
الكشفين الآتي بيانهما بشأن الايراد الممكن استخدامهُ لاملأه وادي الريان
من بحر يوسف .

متوسط واقل تصرفات النيل في اصوان

شهر	متوسط التصرف		أقل تصرف	
	بداية الشهر	نهاية الشهر	بداية الشهر	نهاية الشهر
أكتوبر	٧,٤٠٠	٤,٦٥٠	٥,١٠٠	٣,١٠٠
نوفمبر	٤,٦٥٠	٢,٧٠٠	٣,١٠٠	١,٨٨٠
دسمبر	٢,٧٠٠	١,٨٨٠	١,٨٨٠	١,٣٩٠
يناير	١,٨٨٠	١,٣٩٠	١,٣٩٠	٩٣٠
فبراير	١,٣٩٠	٩٨٠	٩٣٠	٦١٠

مقدار الماء اللازم استيراده من النيل

أكتوبر	نوفمبر	دسمبر	يناير	فبراير	المكان
٢٠٠	٢٠٠	٢٠٠	٢٠٠	٢٠٠	السودان
٣٠٠	٢٥٠	٢٠٠	١٥٠	١٠٠	خزان اصوان
٥٠٠	٥٠٠	٤١٦	١٧٠	٢٧٧	وجه قبلي
٩٠٠	٩٠٠	٧٥٠	٣٠٥	٥٠٥	وجه بحري
١,٩٠٠	١,٨٥٠	١,٥٦٦	٨٢٥	١,٠٨٢	المجموع

ويعلم من مقارنة الكشفين المذكورين ان في سنة معتدلة الفيضان لا
يمكن الحصول على مياه بعد ٢٠ فبراير وفي سنة فيضانها قليل بعد آخر يناير
وعليه يتعسر امتلاء وادي الريان بواسطة بحر يوسف في السنين المعتدلة
الفيضان ويستحيل في السنين التي يكون الفيضان مقللاً . وباحتساب التصرف

المار قبالة اسيوط لوجدنا الارقام الآتي بيانها بعد تنزيل ٢٣٠ متراً مكعباً
لوادي الريان

سنة معتدلة الفيضان	سنة قليلة الفيضان	
٨٣٤ متراً مكعباً في الثانية	٣٤٤ متراً مكعباً في الثانية	في آخر ديسمبر
٦٤٠ " " " "	١٨٠ " " " "	يناير
١٧٠ " " " "	لا شيء	فبراير

ويستدل مما ذكر ان في السنين المتوسطة الفيضان تصبح الملاحة
مستصعبة في اواخر ديسمبر وفي السنين القليلة الفيضان تستمر الصعوبة مدى
فصل الشتاء والخلاصة اننا لو شئنا استيراد الماء لبحر يوسف لوجب علينا رفع
المياه اربعة امتار على قناطر اسيوط وهذا يستدعي بناء سد وهو ليس بالإمداد
خلف تلك القناطر بنفقة نصف مليون جنيه
والنتيجة ان المشروع (١) غير مستطاع اجراؤه

مشروع (ب)

هو ترعتان منفردتان الواحدة لإملاء الخزان والاخرى لتفريغه فلو
فرضنا ان فم ترعة الامتلاء يكون بالقرب من الشراهنه فاننا نجد ان البحث
الذي اجراه المستر فرسكويل عن مناسيب الفيضان في الخمس السنين الاخيرة
يدل على ما يأتي

(١) في كل فيضان قليل كالذي حصل في سنتي ١٨٩٩ وسنة ١٩٠٢
يكون الخزان قد امتلأ على منسوب ٢٨ متراً

(ب) في الفيضانات الاعتيادي كالذي حصل في سنة ١٩٠٠ و ١٩٠١ و
١٩٠٣ يكون امتلاؤه على منسوب ٢٩ متراً ثم اذا قدرنا عمق متر ونصف

للتبخر عندما يكون الخزان ملاً نأولنفرض عدم حدوث نشع فيقتضي ان يكون ملؤه الى منسوب سنتنتر متر لكي يستدر منه ملياران من الامتار المكعبة . وفي السنين القليلة الفيضان كسنتي ١٨٩٩ و ١٩٠٢ يلزم بحر يوسف تمويض فرق النصف متر وذلك ممكن بين ١٥ اكتوبر و آخر ديسمبر

النتيجة اذاً ان مشروع (ب) يفي بالغرض اذا كانت سعة ترعة املائه كافية . وبحسب التصميم المرسوم يكون عرض قاع الترعة المذكورة ٤٠ متراً . ولكن يجب مضاعفة هذا العرض فبدلاً من جعله اربعين متراً في الارض الطفالية و ٢٥ متراً في الارض الحجرية يجب ان يكون في الطفالية ثمانين متراً وفي الحجرية ستين . وقد ذكر في التقارير السابقة انه يجب ان يكون عرض قاع ترعة التفريغ ٦٠ بدلاً من ٤٠ متراً

فلو اعتبرنا وادي الريان مصرفاً لمياه الفيضان فيجدر بنا ان نزيد سعة ترعة املائه باكثر مما ذكر ولكننا نضرب صفحاً عن ذلك الآن

اما المدة اللازمة لاملأء الخزان فليس من داع للظن بانها تكون اقل مما ذكر في التقارير السابقة اي سبع سنين وليس ثلاثاً ونصفاً

وقبل البحث في مقدار النفقات اللازمة للخزان المذكور بفرض سعة الترعتين على قدر ما تقدم نقول ان المصروفات المقدرة في التقارير الاصلية يسيرة جداً وهاك تقدير تقريبياً .

بيان الاعمال	مقدار المكعبات	القيمة غروش	النفقة جنيه
حفر وردم	٢٥٥٠٠٠٠٠	٥	١٢٧٥٠٠٠
حفر في الكدّان	١٥٠٠٠٠٠٠	٨	١٢٠٠٠٠٠
صخر	١٦٠٠٠٠٠٠	١٢	١٩٢٠٠٠٠
رمل	١٠٠٠٠٠٠٠	٢	٢٠٠٠٠
بناء	٤٣٦٠٠٠
تحويل بحر يوسف	١٨٠٠٠٠٠٠	٥	٩٠٠٠٠
ردم الهبطات	١٠٠٠٠
ثمن اراضٍ	٤٠٠٠ فدان	٥	٢٥٠٠٠٠
			٥١٥١٠٠٠
اعمال غير منظورة (احتياطي)			٥١٥٠٠٠
المجموع			٥٦٦٦٠٨٠

اما المشروع المعدّل الذي له ترعنا اخذ وصرف بسمة وافية يتيسر بها استعمال وادي الريان خزانا ومصرفاً لمياه الفيضان تبلغ نفقته على الاقل خمسة ملايين ونصفاً من الجنيهات . ولا شك انه يكون خزانا هائلاً خلواً من الصعوبات الهندسية لكن له عيوب فهو كثير النفقة ويستغرق انتظام امره عشرًا من السنين ولا يدري احد من الناس ما اذا كان يعي شيئاً من الماء وليس من وسيلة لتحقيق ذلك

الامضاء

ا . ل . وب .

مفتش عموم الري في الوجه القبلي

القاهرة في ٢١ مارس سنة ١٩٠٤

الملحق الثاني

تقدير النفقات التي تستدعيها اقامة مصلحة ري في السودان
الخططة العامة لذلك

يكون كبار الموظفين كما يأتي :

(اولاً) مفتش عموم ري يكون مركز ديوانه في الخرطوم
مدير اول للاعمال يكون في عهده قسم النيل الابيض . وهو ينوب عن
مفتش العموم مدة غيابه في الاجازة

مدير ثانٍ للاعمال يكون في عهده قسم النيل الازرق
مساعد مهندس انكليزي (من درجة ملاحظي الاعمال) توكل اليه
الاشغال الوقتية والمأموريات الخصوصية ويقوم مقام من يتغيب بالاجازة او
بالمرض ويتدرب بالعمل للترشح للوظائف التملية التي تخلو
(ثانياً) يكون اواسط الموظفين في الادارة العمومية ستة مهندسين
وطنيين (من درجة مهندسين مساعدين) في تراتيب خدمة الحكومة
المصرية ويلحقون بالقسمين المذكورين ويكون في كل قسم اثنان واحد لمركز
الادارة والاخر للقيام بمهام الوظائف الخالية
(ثالثاً) الكتبة في مركز الادارة

رئيس حسابات

وكاتب (يتكلم الانكليزية والعربية) وله الملم في الحسابات . ثم كاتب
مساعد له دراية بأعمال الرسم
(رابعاً) مكاتب الاقسام

كاتبان للتحريرات ينتقلان مع مديري الاعمال
(خامساً) خدمة سماعة وما اشبه يكونون تابعين للمهندسين ورئيس
الحسابات ولباقي المكاتب ويكون عددهم نحو ١٥

تقدير النفقات			
اولاً النفقات السنوية الثابتة			
رواتب			
الوظائف	الراتب السنوي	الجملة الصغرى	الجملة الكبرى
مفتش ري عام	١٥٠٠	١٥٠٠	٥٨٢٠
مدير اعمال البحر الابيض	٨٠٠	٨٠٠	
مدير اعمال البحر الازرق	٦٠٠	٦٠٠	
مساعد مهندس انكليزي	٤٠٠	٤٠٠	
سبعة مهندسين وطنيين	٢٤٠	١٤٤٠	
كاتب حسابات	٢٤٠	٢٤٠	
اربعة كتبة	١٢٠	٤٨٠	
خمسة عشر ساع	٢٤	٣٦٠	
بدل سفرية ومصاريف انتقال			
بدل سفرية على التقريب		١٠٠٠	٢٥٠٠
مصاريف انتقال على التقريب		١٥٠٠	
مصاريف اعتيادية			١٥٠٠ ٦٨٠ ١٠٥٠٠
اجرة مكتب		١٠٠	
ادوات كتابة		١٠٠	
تلفرات		١٠٠	
اصلاح الات وادوات ومفروشات		١٠٠	
صيانة البخاريات وتشغيلها ومصاريف النوتية		١٠٠٠	
نفقات صغرى متنوعة		١٠٠	
مصاريف عارضة (طارئة) لا تُخص بالذکر			
		الجملة الكبرى	

ثانياً نفقات خصوصية اولية		
٦٠٠٠	٢٥٠	١٠٠
٥٠	١٠٠	
٦٥٠٠		
مصاريف المساحة الابتدائية		
نفقات ركاب الميزانيات يكون عددهم زهاء ستة يعمالون وصلاً بغير انقطاع ومصاريف عارضة من نحو اجرة سعاة وكراء جمال وخلافه		
١٠٠٠		
١٠٠٠		
الجملة		
٨٥٠٠		

ثالثاً اعتماد خصوصي		
يكون هذا الاعتماد للقيام باعمال التجارب الاولى فيما يختص بتدبير مياه النيل واقامة مآوي وحفر آبار وعمل رزوس واقامة مقاييس وقطع ادغال وكشف غابات وما شا كل ذلك		
٥٠٠٠		
خلاصة الميزانية المطلوبة للسنة الاولى		
١٠٥٠٠	٨٥٠٠	٥٠٠٠
٢٤٠٠٠		
القاهرة في ٢٤ مارس سنة ١٩٠٤		
(امضاء) جارسطن		

الملحق الثالث

« في اختلاف المناسيب ببخيرة فكتوريا »

تشتمل هذه البحيرة على القسم الأسفل من غور قريب القرار يقع في ما بين المفجرة الشرقية والمفجرة الغربية في شرق افريقية ومساحة سطح مائها يبلغ ثمانية وستين ألف كيلومتر مربع وارتفاعها عن سطح البحر الملح بقدر ألف ومائة وتسعة وعشرين متراً^(١) ويظن انها بالقياس الى غيرها قريبة الغور ولقربها من خط الاستواء تتناولها الامطار الدورية وتجلبها السحب في الحصاة الكبرى من السنة فلا ينفك غيها هاطلاً مدراراً . وكما طغى ماؤها ينصرف عنها الى شلالات ريبون ومنها الى نيل فكتوريا والمقدار الذي ينصرف منها بهذه الكيفية يتوقف على منسوب مياهها . وهذا المنسوب مثل بقية البحيرات يختلف في الأحيان على نمط مقارب الانتظام وما غرضنا من هذه النبذة الا استجماع المعلومات المستطاعة لنستدل بها على تراوح مناسيب هذه البحيرة ومغايراتها في خلال العشرين او الثلاثين سنة الخالية . وقد رأينا في المناسيب التي دُوِّنت الى الآن تضارباً يقلل الفائدة التي ترجى منها^(٢) ولكننا لو حذفنا اغلاطاً وقعت بها لجأتنا بالفائدة المطلوبة

طبقات الارض المطيفة ببخيرة

لقد بوشرت استكشافات عديدة في السنين الاخيرة حول بحيرة فكتوريا . وقد تفحص دانتز وغيره في براح الشقة الجرمانية طبقات الارض

(١) هذا الارتفاع أخذ عن مسايح استخراجها مصلحة سكة حديد أوغنده

(٢) لقد أخذت هذه المناسيب عن راقنشتين وبوكلي والجريدة الجغرافية

في الجزء الحادي والعشرين منها صفحة ٣٥٩ وعن برون في تقريره السنوي لنظارة

الاشغال العمومية المصرية سنة ١٩٠٢ صفحة ١٧٢

في بقاع واسعة الرحاب واتضح لهم ان في ريف البحيرة الغربي والبلاد الواقعة الى غربها حجر الطلق واللؤلؤ وماشا كلهما. والانحاء القصية من حاشيتها الشرقية ملأى بحجر المرو والطلق ايضا وذلك الى الشمال عن خليج سبيك . قال استلمن وعلى الشاطئ الغربي من البحيرة سطر من المهاوي يمتد الى مصب نهر كاجيرا ويحاذيها سطر آخر منها بإزاء الجزر يقال أنه يمر في سمت الشمال حتى يصل بشاطئ البحيرة الشمالي. قال أن مهاوي أخرى تسير خليج أمين باشا وخور سميت وخليج سبيك . وقد وصف هذا الرحالة المهاوي الواقعة على جانبها الغربي عند محلة كراجوى حيث تغوص جروف الآكام في عمق الماء بلصق الشاطئ . وإلى ما وراءها سطر أو مصف من المهاوي المتوازية تتشكل بمدرجات أو مراق . يتضح من ذلك ان هذه البحيرة ولو انها قريبة القرار فهي غور ربما كانت أكبر خلجانها واخوارها ناشئة عن تكوين تلك المهاوي وبعضها لا محالة ناشئ عنها . أقول وليس في صوب الشمال عن هذه البحيرة مثل هذه المهاوي والظاهر انه لم تستكشف طبقات ارض الاوغنده الى الآن استكشافاً جيولوجياً استقرائياً . وتربة هذه الارض عامتها طلق براق يغلب ان يغشاها طبقة صلصالية وقد تقع فيه رواسب حثات الصخور^(١) وكثيراً ما ينتابها الزلازل ويستدل من وجهة مسيل مياه الصبب في سمت الشمال بعيداً عن البحيرة

(١) طالع كتاب « مع امين باشا في صميم افريقية » صفحة ٧٢٨ المطبوع في

برلين سنة ١٨٩٤

(٢) انظر كتاب « أمالي مهاجر الالمان بافريقية الفصل الخامس والعشرون .

برلين سنة ١٩٠٢

(٣) طالع كتاب ما تجريات الجمعية الملكية الجغرافية سنة ١٨٩٢ صفحة ٣٢٢

(٤) اطلب كتاب سكوت اليوت وعنوانه «طبيعي رحالة في اواسط افريقية»

لندن سنة ١٩٠٦ صفحة ١٦٤

احتمال حصول مفاجر وحيود في جوار تلك الارض . واذا تصفحت خريطة قسم البحيرة الاعلى التي نشرتها نظارة البحرية أخذاً عن المساحة التي استخرجها الضابط هو يتهوس ترى ان تنسيق الجون والجزر في بعض المواقع شيء يستلفت الانظار. ولا خفاء ان القوم لم يأتوا على تفحص تلك الانحاء (على ما نعهده) تفحصاً باطنياً يستدل منه على ماهية خلقتها وكيانها ولذلك لا يسعنا الا القول ان جواهر بنيتها قد انكشفت الى حد واسع بصدوع مادت بها الارض ميذاً

هذا ومضاجع حائر البحيرة تماثل اقليم المناطق الاستوائية ولها في السنة فصل غيث وفصل جفاف. وازمنة سقوط الامطار تصاقب على التقريب ازمنة الاعتدالين وازمنة الجفاف تصاقب زمن الانقلابين غير ان دور الامطار الثاني وهو المقلث يتأخر شهراً او شهرين عن ميقات الاعتدال الخريفي. ويتضح جلياً من مطالعة جداول طريقة أنجوت^(١) مقدار زيادة الامطار النسبية قلت ان محله عنابي تقع على شاطئ بحيرة فكتوريا الشمالي ومحلة كيسومو في الشط الشرقي عند رأس خليج كاثير وندو . واما محلة مومياس فهي من البحيرة على خمسين كيلومتراً في سمت الشمال الشرقي عنها . وتقع محلة بيكوبا في ضفير البحيرة الغربي . ومحلة طابورا الى الجنوب عنها على مئتين وثمانين كيلومتراً

(١) بحسب هذه الطريقة يعبر ابتداء عن مقدار الامطار في الشهر باجزاء من الف من مجموع الامطار في السنة كما لو كان مقدار المطر موزعاً على عامة السنة بالتساوي . والفرق بين هذا ومقدار الامطار الحقيقي لكل شهر ايضاً باجزاء من الف من المجموع يساوي الزيادة النسبية لامطار الشهر . اما معلم اشهر الغيث فعلمة الايجاب (+) ومعلم اشهر الجفاف علامة السلب (-) والامطار اشدّها يقع في الانحاء الغربية والقبلية من البحيرة . اما في الجانب الشرقي . فالامطار بالقياس قليلة

الجدول الاول - زيادة الامطار النسبية بالمليمتر

مح	فبراير	مارس	ابريل	مايو	يونيو	يوليو	اغسطس	سبتمبر	اكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	مح
٣	٢٦-	٥١-	٤٤+	٣٢+	٢٩+	١١+	٨-	٢٣+	٢-	٢-	٣٤-	موميا
٤*	٣-	٥+	١١٥+	٢٠+	٢٢-	٥١-	٤٠-	١٨	١٣-	٣٥+	١٣+	عنتي
١	٢٩+	٤+	٥٥+	١٥+	٨-	٥٠-	٥٧-	٢٣-	٣-	٣١+	٢٢+	كيسو
٤*	٣+	٤٥+	١٨٤+	١٠٢+	٥٧-	٧٢-	٥٩-	٥٣-	٤٢-	١٥+	٢٨-	بكو
١٢	١١٦+	١١٦+	٨٣+	٤٤-	٧٣-	٨٣-	٨٣-	٦٦-	٥٥-	٧٩+	١٧٠+	طابور

وقد رُصدت مقادير الامطار في الاماكن الآتية الواقعة على شاطئ البحيرة

الشاطئ	سنو الرصد	متوسط الامطار السنوية (بالمليمتر)	محلة
الشمالي	٧ ١/٢	١٢٠٠	ناتق
«	٧ (١)	١٣٣٠	عنتي
«	٢ (٢)	١٢٠٠ بالتقريب	جنگا
الشمالي الشرقي	٥	١٢٤٢	كيسومو
الجنوبي	٣ (٢)	٢٠٠٠ بالتقريب	موانزا
الغربي	٤ (٢)	٢١٥٠	بكو با

وتوجد مراصد أخرى خلاف ما ذكر وذلك في مفيض البحيرة ولكن الارصاد التي استخرجت عنها لا تشمل الا سنين قلائل ومن هذه المراصد ما يأتي

موقع	سنو الرصد	متوسط الامطار السنوية (بالمليمتر)	محلة
الى الشمال الشرقي عن البحيرة	٩٧ - ٠٣	١٨٣٢	مومياس
الى الجنوب عنها	٥ سنين (٢)	٦٦٢	ثابورا
الى الغرب ..	سنتين (٢)	٨٠٠ (٤)	امباوارا
الى الغرب ..	سنة واحدة (٢)	١٠٠٠ (٣)	مساكا

(١) وفي ضمن ذلك سنة واحدة في ناثيرمبو

(٢) هذه الارقام تدل على عدد السنين بالتقريب لان غير نظامية الارصاد التي دوّنت

(٣) و ٩٤٩ مليمترًا من مارس الى ديسمبر سنة ١٩٠٣

(٤) و ٦١١ مليمترًا من مارس الى اكتوبر سنة ١٩٠٣ و ٩١٥ مليمترًا في فبراير

ومايو الى ديسمبر سنة ١٩٠٣

وقد يصعب تقدير الامطار السنوية الواقعة في البحيرة أو في مفيض حائر مائها
تقديراً صحيحاً لأنها كما سبق القول تختلف باختلاف الأماكن . والارصاد عن
مقادير الامطار ليست مدونة عن سنين عديدة وفضلاً عن ذلك فهي ناقصة
حتى انه ليس من السهل استخراج معلومات وافية عنها . ومع ذلك ففي
الامكان ان نستنتج من هذه المعلومات الناقصة ان معدل الامطار في البحيرة
قد يكون اقل من الف وخمسمائة مليمتر في السنة ما دام الجانب الشرقي معروفاً
بأنه بالقياس قليل الامطار كما تقدم . وأغرض من ذلك تقدير الامطار
الواقعة في مفيض حائر مائها . ويقال ان الامطار تهطل مدراراً في الانحاء
الواقعة جنوبي وغربي كاجيرا ولكن ليس لذلك من أرصاد . واذا استخرجنا
لكل سنة الفرق الشهري عن متوسط مقدار الامطار يمكننا ان نتصور العجز
أو الزيادة في مختلف السنين اكثر مما لو اعتدنا بمقادير الامطار الصحيحة
المدونة (انظر الجدول الثاني) وهذه ايضاً تدل على اختلاف طبيعة الامطار
في كل موقع من المواقع كما في شهر ابريل مثلاً ومايو من سنة ١٨٩٧ . ففي
شهر ابريل بلغت الأمطار في عنبي ٨٩ مليمتر فوق المتوسط وفي مايو ١٢٧
مليمتر فوقه مع انه في بكوبا قد قصر عن المتوسط فكان في ابريل اقل منه
بمقدار ١٨٠ مليمتر وفي مايو بمقدار ٢٣٥ مليمتر . فنرى مما تقدم ان حالة
المطر اذا كانت استثنائية في موقع واحد لا تستلزم مثلها في سائر
انحاء البحيرة

الجدول الثاني - متوسط الامطار وفرقها عنه (بالمليمتر)

يناير	فبراير	مارس	ابريل	مايو	يونيو	يوليو	اغسطس	سبتمبر	اكتوبر	نوفمبر	دسمبر
٦٠	١١٠	١١٤	١٨٧	١٢٢	٧٢	٨٥	٨٥	٩٨	١٣٣	٩٢	٤٢

الفرق عن المتوسط

٤٧+	٣٨-										
٣-	٨-	٤٤-	٤٣+	٥٦-	٧٦-	٢٠-	٨١+	٤٣-	٢٠+	١٧-	٨٢+
									٢٣+	٥٠+	٥٥-
١٨+	٢٧+	٤٣-	٢١-	٣+	١٨-	٦-	١٤-	١٥٨+	٥٤+	١٣+	٢٥+
١٦-	٢١-	٦٠+	٢١+	٦-	١١-	٢٤-	٢٤-	٢٧+	٦٠+	١٦+	٢٠-
٢٢-	٨+	٧٦-	٢٧-	٣٥+	١٥+	٣+	٢٢-	٧-	٣٩-	٤٤-	٥٢+
٣٤-	١٨+	١٠٢+	١٢+	٤٩-	٦+	٢٧+	٦٠-	٧٧-	٣٨-	٢٦-	٤٧-
١٠+	١٦+	٢+	٢٠-	٢+	٤٨+	٦٠+	١٨+	٤٢-	٥٤-	١٨+	٣٠-
					٨-	٩٩+	٣٩+	١٦-	١٢-	٨-	

محلة عنتي

يناير	فبراير	مارس	ابريل	مايو	يونيو	يوليو	اغسطس	سبتمبر	اكتوبر	نوفمبر	دسمبر
٥٦	٩٨	١٠٥	٢٦٠	١٤٠	٨٠	٤٥	٦٠	٨٥	٩٠	١٥٥	١٣٠

الفرق عن المتوسط

٧٦-	٨٦-	٣١+	٤١+	٤٣-	١٩-	١٩-	٤٠-	٣٣-			
١١-	١٥١+	٢٧+	٢٥-	٤٤+	٣٧-	١+	٢٧-	٤٣-			
					٢٨+	١+	١٢٧+	٨٩+	٥-	٣٤-	١٢-
١٨٨+	٣-	٥١-	٢+	١٤+	٣٤-	٦٨+	٧٢-	٨٥+	٤٩+	١٠+	٤+
٢٥-	٩٧-	٤١-	٦٨-	٥٥-	٥٧+		٥٩+	٦١-	٢٨+	٢٧+	٢٨+
	٤٢+	٢٤+	٣٧+	٤١+	١٢+	٥٢-	٣٥-	١٣١-	٣٢-	٧٩+	١٨+
٩+	٦٠-	٧-	٢٨+	٣٠-	٨٨+	١٨٠+	٣٥+	٣٩-	٢٣٠+	٨٠-	١١١+

الرياح

للبحيرة رياح ناشئة بالحصر عن انفساح سطح مائها انفساحاً مفرطاً وهي رياح تهب منها ذاهبة نحو شواطئها صباح مساء وصلاً فتتلوها رياح مخالفة المهب أي من البر اليها تقيم من المساء حتى الصباح^(١) ذلك ظاهر من الارصاد المستخرجة عند موانزا على الضفير الجنوبي وعند بكوبا على الضفير الغربي وهناك تكون هذه الرياح البرية والبحرية صادّة مفاعيل تقلبات الريح التجارية التي تداوم على الهبوب ايضاً في اماكن بعيدة عن البحيرة كمحلة تابورا^(٢) الواقعة الى الجنوب وهناك تغلب الرياح الشرقية والجنوبية الشرقية في مدار السنة ويكون الرائد في هذه المحطة عن المنطقة الاستوائية الى الجنوب منها اذ ليس هناك إلا فصل واحد للامطار يقع في ديسمبر الى ابريل وتكاد بقية حصة السنة تكون قاحلة والرطوبة حينئذ قليلة جداً . وفي ازمئة الصيف عند ما تكون مضاجع الغيث في الانحاء الشمالية فلا بد ان تهب الرياح الحارة الجنوبية والجنوبية الشرقية الى عبر مطارح السيل ولو ان هذه الرياح لا يكون لها حكم على الرياح اليومية المتخالفة المهاب في البحيرة فتريد التبخر فيها زيادة كبرى . ويرى من تفحص مراقي المقاييس ان ذلك موقع الحقيقة بدليل انتقاص المياه انتقاصاً بيناً في خلال الحصة الكبرى من الفصل وذلك ناشئ في الاصل عن ازدياد البخار المتصاعد من سطح البحيرة

(١) طالع كتاب مورر . في طبائع الاقليم في المستعمرة الالمانية الشرقية بافريقية (محمولات المرصد الالمانى البحرى سنة ١٩٠١)

(٢) آمالي في المهاجر الالمانية

(٣) طالع كتاب اختلاف طبائع الاقليم . (مطبوع بفيينا سنة ١٨٩٠)

اختلاف المناسيب

ينقسم اختلاف مناسيب بحيرة فكتوريا كما هو مذهب في غيرها من البحيرات بفروع شتى متباينة الدرجات
(أولاً) يوجد ازدياد أو انتقاص في جرم المياه ناشي عن تقلبات الهواء أو تغيرات أخرى تعمل في تلك المناسيب إلى فترات طويلة المدى
(ثانياً) تغيرات المناسيب الناشئة عن تقلبات الأحداث الجوية القصيرة المدى كالتي استقصاها بروكتر وقدرها خمس وثلاثون سنة ومنها تبين له أن
ازمنة الارتفاع في المناسيب يتلوها ازمنة انخفاض
(ثالثاً) أن هناك تغيرات سنوية في بحيرة فكتوريا عند وقوع الأمطار في شهري أبريل ونوفمبر

(رابعاً) أن اختلاف رياح البر والبحر ينجم عنه تغيرات يومية في مناسيب المياه تظهر في الخلجان الكبرى المحصورة بين برّين كخليج كافرندو (كيسومو) أجلى ممّا في المواقع المكشوفة كما هو ظاهر عند محلة عنتبي
(خامساً) يوجد تغيرات صغرى غير قياسية نذكرها هنا بالإيجاز لأن الشواهد عليها غير كافية لإثباتها ووضعها موضع الجدل . أمّا الفرع الأول فالدلائل في عامة جوانب البحيرة بيّنة على أن منسوب مياهها في الأزمنة الخوالي كان أعلى مما هو عليه الآن . ويقول سكوت أليوت^(١) أن البسائط الغريالية التي تفعم الأودية على منسوب أعلى من منسوبها الحالي إنّه هي إلا أجراف استأقمتها المجاري الروافد وأقرتها في رواكد يمّ البحيرة . وقد جعل الحد الأعلى لتلك البسائط على منسوب ثلاثين متراً فوق منسوب

(١) طالع كتاب عنوانه « طبيعيّ في اواسط افريقيه » لندن سنة ١٨٩٦

البحيرة الحالي وقال انه يظهر ان هذه البحيرة ثبتت زماناً طويلاً على منسوب ثلاثة عشر متراً فوق منسوبها الحالي. واذا نظرنا الى معلم فارق الماء على شاطئ البحيرة الشمالي وتأملنا في قلة ارتفاعه لوجدنا ان ازديادها لم يكن مفرطاً منذ حصول ارتفاعات الارض التي حولت مياه الصبب الى نيل فكتوريا

اما الفرع الثاني فهو داه تراوح مناسيب البحيرة الدورية شي في اقيم عليه الدليل من وجهين الوجه الأول ما شاهدته الرواد والذين تعهدوا البحيرة او اقاموا بجوارها وجناباتها والوجه الثاني ما يتضح من مراقبي المقاييس المستخرجة في ثلاثة مواقع على شاطئ البحيرة الشمالي منذ سنة ١٨٩٦ . قلت ان عند ديار البعث الفرنسي في بكومي عند خور سمث في الشاطئ الجنوبي سجلت لأرصاء المناسيب يتناول سنين كثيرة لكن المتعارف انه قد مع ادوات علمية بفرق أحد الزوارق في البحيرة . واذا بحثنا في ارصاء الرواد عن التغيرات التي حدثت في منسوب المياه في خلال عدة سنين خلت لداخلنا ريب في صحة ما دونوه من ارتفاع وانخفاض . ففي بحيرة فكتوريا (ومتوسط المنسوب السنوي من سنة ١٨٩٦ الى سنة ١٩٠٣ ستة وستون سنتيمتراً كما تري في الجدول الخامس) لا يعلم علم اليقين عند ذكر زيادة ثلاث اقدام ما اذا كانت هذه الزيادة هي بدرجة اعلى من المعتاد او اذا كان القصد من ذكرها الدلالة على زيادة حقيقية في متوسط منسوب البحيرة . وفي السنين التي لها ارصاء مناسيب اختلف منسوب البحيرة من بين ٤٦ سنتيمتراً الى ٨٩ سنتيمتراً واختلاف المنسوب يوضح للسياح انه دال على ارتفاع او هبوط بمناسيب ماء البحيرة . مع انه يمكن ان تكون وقتية فيلزم اذا الانتباه عند تأويل الارصاد المنفردة . ولناخذ الارصاد التي من الدرجة الاولى نرى ما يأتي: في شهر مارس سنة ١٨٧٥ وصف ستانلي^(١) جزيرة اوكري كأنها مفصولة عن البر ببرزخ ضيق يكون

عرضه ٦ اقدام فقط في احدى النقط وعمقه ثلاث اقدام وعبره في شهر يونيو من تلك السنة في قارب^(١)

قال ولسن^(٢) انه في شهر فبراير سنة ١٨٧٧ حدث مطر غزير غير اعتيادي الى جنوبي بحيرة اويوي أدّى الى ارتفاع غير اعتيادي بمنسوب البحيرة في هذا الوقت وبلغ نحو قدمين

وهتشنصن^(٣) يقول ان ولسن لاحظ بعد وصوله الى الشط الجنوبي من كاجيهي في اواسط فبراير سنة ١٨٧٧ ان منسوب البحيرة كان يرتفع على مهل وفي شهر مايو بعد انقطاع المطر بعشرة ايام كان سطح البحيرة في معظم ارتفاع منسوبه وبعدئذ اخذ يهبط وكان جملة الارتفاع (مأخوذاً من معلم على صخر هناك في شهر فبراير) قدمين . وعند بلوغه ثمانية محلة كاجيهي في ١٢ يناير ١٨٧٨ وجد معظم منسوب سطح الماء في تلك البحيرة متراوحاً بين قيراط الى قيراط ونصف فيما دون ذلك المعلم في شهر مايو السابق . ويدل ذلك على ان امطار شهري نوفمبر وديسمبر كانت بنوع خصوصي كثيرة . وعند عودته الى كاجيهي في ١٥ مارس سنة ١٨٧٨ وجد ان منسوب البحيرة كان كما كان في ١٢ يناير تماماً . وبعد ذلك ببضعة ايام عرف في اغندا ايضاً ان ارتفاع منسوب البحيرة كان غير اعتيادي . وروى فلكن^(٤) ان البحيرة ارتفعت ثلاث اقدام فوق منسوبها الاعتيادي في شهري اوغسطس وسبتمبر سنة ١٨٧٨ بسبب الامطار الغزيرة على غير المعتاد . وهنا غير واضح ما اذا كانت ارتفعت ثلاثة اقدام فوق معظم ارتفاعها

(١) اطلب الكتاب المذكور صفحة ٢٥٧

(٢) في مقالة له في مجلة الجمعية الجغرافية الملكية سنة ١٨٨٠ صفحة ٦١٦

(٣) في المجلة المذكورة سنة ١٨٧٩ صفحة ٣٦

(٤) في كتاب « اغندا والسودان » جزء اول صفحة ٤٩٦

الاعتيادي في شهر يونيو او شهر يناير . وفي هذه السنة على الخصوص كان منسوب الماء في شهر يناير مساوياً لمنسوب شهر مايو السالف كما ذكرناه وفِشر^(١) يقول ان الامطار في الشمال الشرقي من البحيرة قرب كيسومو كانت قليلة جداً في اوائل سنة ١٨٨٦ وانه قبل ذلك بسنتين جاءت الامطار قليلة ايضاً واخذت البحيرة حينئذٍ بالهبوط

ويقول ستانلي^(٢) عند تعهده البحيرة ثانيةً بعد نجاة امين باشا انه في شهر سبتمبر سنة ١٨٨٩ حقق المرسلون الفرنسيون في بوكي بالمراقبة ان منسوب البحيرة هبط ثلاث اقدام في الاحدى عشرة سنة السابقة . وهنا ايضاً يوجد ابهام والتباس فانه يلزم ان يكون المراد من ذلك هبوط في متوسط المنسوب السنوي ولكن ربما اشير بذلك الى معظم الارتفاع في سنين متفرقة . وقيل له ان يوكروي ليست اليوم بجزيرة^(٣)

ولاحظ دَرْمَط في شهر ابريل سنة ١٨٩١ عند جزيرة كتارو جنوبي جزيرة يوكروي ان البحيرة كان منسوبها أحطَّ من المعلم الذي على الصخر بقدر ست أو سبع اقدام وهو ايضاً يذكر ان بوغاز اللوجيشي (الروجيزي) بين جزيرة يوكروي والبر لا يمكن عبوره لان غوره لا يكون الا بمض قراريط من الماء . وبما ان البحيرة كانت عادةً ترتفع مياهها في شهر ابريل فهذه الملاحظة تؤيد اخبار ستانلي انها كانت وطيدة خلاف عاداتها بنوع خصوصي من سنة ١٨٨٩ - ١٨٩١

واخبر لوجارد^(٤) انه في شهر يونيو سنة ١٨٩٢ حدث مطر غزير غير

(١) آمال المانية لسنة ١٨٩٥ صفحة ٦٧

(٢) في كتابه « مجاهد افريقيا » الجزء الثاني صفحة ٣٩٦

(٣) في مقالة له في مجلة الجمعية الجغرافية الملكية سنة ١٨٩٢ صفحة ١٢٠

(٤) في المقالة نفسها سنة ١٨٩٢ صفحة ٨٢٧

اعتيادي فسبب ارتفاعاً بيناً في منسوب مياه البحيرة قدره نحو ست اقدام فوق منسوب المياه المعتاد . وهذا ناشئ عن الامطار الغامرة التي هطلت فيما بين نوفمبر وفبراير من قبله

ووجد بومان ^(١) سنة ١٨٩٢ ان يوكروي جزيرة ولكن بوغاز (وجيزي) يخاض وهي مرسومة في الخرائط الحديثه كجزيرة . وعلى ذلك يكون قد حدث ارتفاع مهم في البحيرة مسبب عن الامطار التي هطلت في سنة ١٨٩١ بعد زيارة درمط لها

وجمع بومان كل ما وصل اليه من الاخبار في هذا الموضوع باذلاً جهده في تحقيقها وكان رأيه ان منسوب مياه البحيرة هبط منذ سنة ١٨٨٠ أكثر من متر ولكن عند زيارته في سنة ١٨٩٢ و٩٣ كان مرتفعاً . وهذا لم يكن بداية زمن التعاضم كما يظهر جلياً ولكنه كان مسبباً عن الامطار الطافحة التي سقطت من نوفمبر الى فبراير سنة ١٨٩٢ أمطار تسبب عنها ارتفاع في متوسط منسوب البحيرة في سنة ١٨٩٢

وقال الأب برارد ^(٢) ان منسوب مياه البحيرة على الشاطئ الجنوبي ارتفع في سنة ١٨٩٥ متراً ونصفاً بسبب كثرة الامطار كثرة اتلفت المزروعات في مسافة قدرها مئتا متر على الشاطئ الجنوبي . وقال الاهالي انهم لم يشاهدوا ارتفاعاً مثله منذ ٣٠ سنة الا الارتفاع الذي حدث سنة ١٨٧٨ فانه كان بلا ريب مثله ان لم يكن اعلى منه

وفي هذه الحالة يظهر ان المراد هو المنسوب الاعلى لان الامطار الغزيرة ابتدأت في شهر مارس وكانت شديدة جداً في محلي موانزا وبوكوبا في شهري ابريل ومايو . ومن المعلومات التي استطلعها السير وليم جارستن في يناير

(١) في رحلته الى اقليم مسيلاند لاستكشاف ينابيع النيل صفحة ١٤٣

(٢) امال لسنة ١٨٩٧ صفحة ٦٦

سنة ١٩٠٣ ما يأتي

(١) ان الأب برسون من المرسلين الفرنسيين في عنتي يقول انه حدث هبوط عظيم في منسوب ماء البحيرة بقرب كيسيدو فيما بين عنتي وخليج مركيصن

(ب) يقول الاهالي ان هبوطاً عظيماً حدث في مياه البحيرة

(ج) يقول المستر بوداج ان جروف البحيرة مقابل عنتي كانت مغمورة بالمياه سنة ١٨٩٦ ولكن في شهر فبراير سنة ١٩٠٣ صارت مكشوفة وان متوسط منسوب البحيرة كان منخفضاً بقدر ستة سنتيمترات بين هاتين السنتين بحسب ارساد المقياس (انظر الجدول الرابع صفحة ٢٩)

(د) قال المستر ولسن انه منذ سنة ١٨٩٤ كان معظم الارتفاع في البحيرة ثلاث اقدام في سنة ١٨٩٥

(هـ) يقول المستر مارتن انه منذ ١٨٨٩ لما تفقد البحيرة لأول مره كان الهبوط ظاهراً في منسوب مياهها اذ بلغ اربماً الى خمس اقدام في سنة ١٨٩٦ وفي كيسومو يوجد الآن قرى ومراعٍ مع انه في سنة ١٨٨٩ لم يكن في تلك النقطة الا مياه غامرة . وهو يظن انها هبطت مياهها من اربع الى ست اقدام . وعند المخاضة الى ما فوق شلالات ريبون كانت المياه اكثر امتداداً مما هي في الوقت الحاضر بقدر ثلاثين قدماً . وفي جزائر سيدي مجار قليلة العمق وكل ما كان من البحيرة قبلاً جزائر متفاصلة اصبح الآن متصلاً بالبر . وفضلاً عن كل هذه الدلائل توجد آثار دالة على ارتفاع وهبوط في ازمئة معينة بمنسوب مياه البحيرة له مدة تكون من ٢٥ الى ثلاثين سنة . قال استلمن^(١) انه التقى بشيخ من الاهالي قرب موانزا وهو فيما بين الستين والسبعين من العمر اخبره ان في وسعه حينئذٍ العود الى تلييت شجر الموز كما سبق لأبيه من قبل

ولكن ذلك قد تُورك قهراً واضطراً إذ كان هو صيباً فتياً وكان ذلك من جرّة
ارتفاع مياه البحيرة . ويقول جدج^(١) نقلاً عن اهالي تلك الاصقاع المقيمين
بأنحاء شمال البحيرة انه يوجد ارتفاع وهبوط في منسوب مياهها حدث في
خلال ٢٥ سنة وفي ذلك الوقت أي نحو سنة ١٨٩١ كان منسوب المياه بين
ثمانى وتسع اقدام تحت اعلى علامة الارتفاع وقد اشاروا الى زرع كانت حينئذٍ
نامية وقالوا يومئذٍ انها تدركها مياه الفيض فتغمرها . هذا وان تكن هذه
الروايات المتعددة متضاربة فاستلمن^(٢) يقول ان الاوروبيين والاهالي متفقون
على ان منسوب مياه البحيرة هبط حديثاً وخصوصاً من سنة ١٩٧٨ الى سنة
١٨٩٢ وبعد ذلك كان بحسب اقوال بومن مائلاً الى الارتفاع ومع ذلك يظهر
ان هذا الارتفاع كان محصوراً في سنة ١٨٩٢ الى سنة ١٨٩٥ اللتين كانتا سنتي
امطار غزيرة . ومن ذلك الوقت استمر الهبوط الى نهاية سنة ١٩٠٢ كما يستدل
من مقياس البحيرة وهذه المعلومات تدوّن كما يأتي

سنة ١٨٧٨ مفرط الارتفاع في اغسطس وسبتمبر

سنة ١٨٨٤ جفاف على الشاطئ الشمالي الشرقي

سنة ١٨٨٦ جفاف « «

سنة ١٨٧٨ { هبوط عام على الشاطئ الجنوبي

سنة ١٨٩١ هبوط

سنة ١٨٩٢ ارتفاع عظيم والامطار غزيرة والميل للصمود

سنة ١٨٩٥ ارتفاع عظيم

ومن مقابلة هذا الجدول بارصاد المطر التي تكاد تكون تامة كاملة
في محاتي ناينني وعنتي سنة ١٨٨٤ وسنة ١٨٨٦ يظهر ان المطر لم يكن مقللاً

(١) ورد في مجلة الجمعية الملكية الجيولوجية سنة ١٨٩٢ صفحة ٣٢٣

(٢) ورد ذلك في كتاب « مع أمين باشا في مجاهل افريقيا » صفحة ٧٢٩

في سنتي ١٨٨٤ و ١٨٨٦ وفي سنة ١٨٨٤ بلغ مقدار مطرها ١٠٣٤ مليمترًا يقابله ١١٩٧ مليمترًا وهو متوسط ثماني سنين . والاشهر الاولى في سنة ١٨٨٦ بلغت المتوسط المذكور . اما المطر في الشاطيء الشرقي فكان اقل كثيرا مما ذكر وقد ثبت ان نزول الامطار في مدار حائر البحيرة يختلف كثيرا في مسافات قصيرة منها . وبعد ان اعاد سيجر^(١) النظر في ادلة تراوح المنسوب في بحيرات اواسط افريقية لخص نتائج ابحاثه في الجدول الآتي

تراوح	المدة	البحيرة
	القرن الثامن عشر	
احط درجة	١٨٤٠ - ١٨٥٠	تشاد وطفنিকা
انحطاط	١٨٥٣ - ١٨٥٥	تشاد
ارتفاع سريع	قبل سنة ١٨٦٦	تشاد
هبوط	١٨٧٥ - ٧٨ و ٧٦	تشاد
ارتفاع سريع	١٨٧٥ - ١٨٨٦	تشاد ونياسا
هبوط	-	نياسا وطفنিকা و كلوى

وبالاجمال كانت المدة من ١٨٥٠ الى ١٨٧٨ اعوام امطار . والاعوام من ١٨٧٩ الى ١٨٨٦ كان فيها جفاف في عامة اواسط افريقيا . واذا التفتنا الآن الى ارقام المناسيب المدونة نجد ثلاثة مقاييس عند بحيرة فيكتوريا كل منها واقع على الشاطيء الشمالي والشمالي الشرقي من البحيرة ولا يوجد في املاك المانيا مقياس الى الآن^(٢) ومنها واحد في عنتي على الشاطيء الشمالي للبحيرة والثاني في جنجا فوق شلالات ريبون تولا حيثما يخرج نهر النيل من البحيرة والثالث في كيسومو قرب نهاية السكة الحديدية على الشاطيء الشمالي الشرقي للبحيرة وفي رأس خليج كافرندو الداخل في البر وكل هذه المقاييس نقلت حينما

(١) رسالة الجمعية الجغرافية لثلاث عشرة سنة نشرتها جامعة مدينة فيينا سنة ١٨٨٧

(٢) والآن شرع في وضع مقياس ولكن لم يعلم محله

ابتدى بأخذ مناسب يومية لمياه البحيرة في سنة ١٨٩٦ على انه حدث نقص مهم في تدوين الارصاد المذكورة ولكن اذا صرفنا النظر عن هذا النقص الموجب لاختلال الارصاد يبقى عندنا جملة معلومات مهمة منها تتحصل على كثير من الادلة . وقد اقام المستر ما كليستر المقاييس في آخر سنة ١٨٩٥^(١) واعتنى بتثبيت اساساتها بقدر ما يمكن ليمنع سقوطها وابتدىء بالارصاد في اول يناير سنة ١٨٩٦ في بورت اليس وهي قرية جداً من موقع مقياس عندي الحالي وفي مقياس لوبا وهو بقرب حصن لوبا شرقي خليج نابوليون على شمال البحيرة بالقرب من شلالات ريبون . والمقياس الثالث في سنة ١٨٩٦ كان في بورت فكتوريا في الطرف الجنوبي الغربي من جون بركلي في خور معتدل الاتساع على الشاطئ الشمالي الشرقي من البحيرة . أقول ولا بد من ذكر التغيرات التي حدثت في المقاييس منذ ذلك الحين مع ما يوجب هذا التغير من الريب في ضبط الارصاد . والثلاثة المقاييس في بورت اليس ولوبا وبورت فكتوريا رُصدت بالضبط الوافي الى آخر يوليو سنة ١٨٩٧ . واذ ذاك قامت الثورة السودانية فحالت دون أخذ تلك الارصاد . اما ارصاد بورت اليس وبورت فكتوريا فأعيد أخذها في اول سبتمبر ١٨٩٨ وارصاد لوبا من اول مايو ١٨٩٨ . وفي خلال هذه الفترة يظهر انه لم يحصل تغير في هذه المقاييس ولكن ليس الأمر أهمية تذكر . وفي اول اكتوبر ١٨٩٨ عدّل الكابتن فولر^(١) المقاييس الثلاثة المذكورة وفي ٣٠ سبتمبر سنة ١٨٩٨ كانت كما يأتي

الاماكن	المقياس	
	قيراط	قدم
بورت اليس	١	٤
بورت لوبا	١	$٧\frac{1}{4}$
بورت فكتوريا	٢	٣

(١) ورد في الجريدة الجغرافية شهر اكتوبر سنة ١٩٠١ صحيفة ٤٠٣

ومنسوب ماء البحيرة كان ثابتاً في كل شهر سبتمبر وكانت الدرجة قيراطين ونصفاً أو اقل . ويتضح مما تقدم ان مقياس بورت فكتوريا أخذ اساساً لتعديل بقية المقاييس وقد كتب الكبتن فولر جواباً على استفسارهم في هذا الموضوع ما يأتي :

« وفي سنة ١٨٩٨ استشارني المستر ارنست بركلي المندوب عن جلالة ملكة الانكليز لتعيين صفر في اماكن المقاييس على البحيرة . فكانت نتيجة ذلك كما يأتي : - بعد تعيين الصفر في مقياس عنتبي وبورت اليس خرجنا في السفينة البخارية « فكتوريا » بأسرع ما يمكن الى محلة لوبا ولبثنا نحو ساعتين ونصف ووضعنا الصفر على مقياس تلك المحلة على درجة من العمق مماثلة الدرجة التي دونت على مقياس محلة عنتبي ولم يكن في تلك الانحاء اسلاك برقية يستعان بها على معرفة الارصاد في اوقاتها . وكان الجو رائقاً مدة رحلتنا . اما طريقة اخذ هذه الارصاد فكانت على الاسلوب القديم وهي الوحيدة في عرف الاهالي في ذلك الحين » . انتهى

وظهر من المراقبات اليومية انه في اليوم التالي كانت المقاييس الثلاثة متساوية ومتفقة معاً وكانت درجة مقياس واحد منها منحطة . وبناء عليه يكون مقياس بورت فكتوريا هو الذي طوبق عليه المقياسان الآخران ولو ان الكبتن فولر لا يجزم بذلك

وهاك جدول المناسب في المحطات المذكورة

التاريخ	بورت اليس		لوبا		بورت فكتوريا	
	قدم	قيراط	قدم	قيراط	قدم	قيراط
٣٠ سبتمبر سنة ١٨٩٨	٢	٤	١	$٧ \frac{1}{4}$	٣	٣
تطبيق	-	١٠ +	١ +	٦	-	-
في اول اكتوبر سنة ١٨٩٨	٣	٢	٣	$١ \frac{1}{4}$	٣	$\frac{1}{4}$ (١)

(١) اعني هبوط بقدر نصف قيراط

وبعد ذلك بقي مقياس بورت اليس حتى ٣١ مارس سنة ١٩٠٠ ومن ثم نُقل الى عنّتي والمحلّتان متجاورتان وهذا النقل لم يحدث خطأ ظاهراً في سلسلة الأرصاد لان مقياس بورت اليس كان رقمة قدمين وثمانية قراريط وذلك من ١٩ الى ٣١ مارس وأقيم المقياس في محلة عنّتي في أول ابريل على درجة مترين وسبعة قراريط واستمرّ على هذه الدرجة كل ايام ذلك الشهر وعليه يكون منسوب البحيرة في الواقع مكثياً ثابتاً مدة حركة المقياس كما يرى من الأرصاد الآتية المستخرجة عن المقاييس الأخرى سنة ١٩٠٠

سنة ١٩٠٠	كيسومو		لوبا	
	قدم	قيراط	قدم	قيراط
٣٠ مارس	٢	—	١	٢
« ٣١	٢	—	١	٥
اول ابريل	٢	٢	١	٤
٢ ابريل	٢	٢	١	٣- $\frac{1}{4}$

وهذا المقياس تحطّم او قذفته المياه في ٣١ مايو سنة ١٩٠١ ولم يوضع ثانية الى عشرين اكتوبر من تلك السنة ولذلك لم يدوّن مقدار هبوط المياه في هذا الموقع عن معظم الارتفاع . وبعدها طوبق مقياس لوبا على المقياسين الآخرين (وذلك بتخفيض الصفر بقدر قدم وستة قراريط في أول اكتوبر سنة ١٨٩٨) اخذت الارصاد عنه اضطراراً الى ٣١ يوليو سنة ١٩٠١ . وفي اول اغسطس من تلك السنة نُقل المقياس الى جنجا بالقرب من رأس شلالات ريبون وهي محلة تبعد عن لوبا نحو ١٦ كيلو متراً الى الشمال الغربي وهنا ايضاً يقع غلط في سلسلة الأرصاد لانه اذا اتخذنا الأرصاد اليومية في ذلك الوقت ينتج لنا الجدول الآتي

المقياس	قيراط	قدم
مقياس لوبا	٢	٢٩ يوليو سنة ١٩٠١
	٢	٣٠ يوليو سنة ١٩٠١
	١	٣١ يوليو سنة ١٩٠١
مقياس جنجا	١	٢ و ٣ و ١ اغسطس سنة ١٩٠١

ودل مقياس كيسومو على ما يأتي :

التاريخ	قدم	قيراط
٢٩ يوليو ١٩٠١	٢	٦
٣٠ " "	٢	٨
٣١ " "	٢	٦
١ اغسطس "	٢	٨
٢ " "	٢	٨
٢ " "	٢	٦

وهكذا يكون من مقياس لوبا جنجا سلسلة ارساد متواصلة من
اول اكتوبر سنة ١٨٩٨ الى يومنا

ومع ذلك فقد تغير المقياس في شهر ديسمبر سنة ١٩٠١ اذا نزل صفه
١١ قيراطاً وكان ذلك طبقاً لرأي المستر بكلي بناءً على ما ورد من القسم العلمي
في الاغندا تلغرافياً ردّاً على سؤال في هذا الصدد وهذا نصه : « عبارة
الصف في منسوب البحيرة عند جنجا قد رُفع » يجب ان تقرأ قد خُفض ١١
قيراطاً في ٢١ ديسمبر سنة ١٩٠١ بناءً على منشور بكلي »

ففي ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٠١ كان رقم المقياس قدماً واحدة وثلاثة قراريط
وفي ٢١ منه من تلك السنة قدمين وقيراطاً ويكون الفرق بينهما عشرة قراريط.
وقال ان التعبير في المقياس لم يكن الا محلياً

التاريخ	كيسومو		عتبي	
	قدم	قيراط	قدم	قيراط
٢٠ ديسمبر	٣	٦	١	٣
٢١ ديسمبر	٣	٦	١	٣

وقد طرأت تغييرات كثيرة على المقياس الثالث وأعيد أخذ الارصاد في سبتمبر سنة ١٨٩٨ في بورت فكتوريا ودام رصدها الى ٣١ يوليو سنة ١٨٩٩ وعند ذلك أ بطل المقياس ونقل الى بورت اوجوي (بورت فلورنس) وذلك في ٢٣ اغسطس من تلك السنة . وكان انتقاله من مكان مكشوف بالقرب من الطرف الجنوبي لخليج بركلي الى خليج كاثير وندو وأقيم في مكان يكاد يكون جونا . ثم ان مقدار الاصلاح اللازم الذي يقتضي ان يتناول الارصاد التالية بمقياس كيسومو بقصد جعلها سويةً بارصاد مقياس بورت فكتوريا يكون بمقابلة الارصاد بدرجات مقياس لوبا قبل شهر اغسطس وبعده من سنة ١٨٩٨ اما الارصاد الاخيرة المستخرجة بمقياس بورت فكتوريا فكانت كما يأتي

تاريخ	قدم	قيراط
٢٩ يوليو سنة ١٨٩٩	٢	$5 \frac{1}{2}$
« « « ٣٠	٢	$4 \frac{1}{2}$
« « « ٣١	٢	٤

واما الارصاد الاولى في مقياس بورت اوجوي فكانت كما يأتي

تاريخ	قدم	قيراط
في ٢٣ اغسطس سنة ١٨٩٩	٢	٦
« « « ٢٤	٢	٦
« « « ٢٥	٢	٥

وعندي ان الفترة بين الارصاد المتقدم ذكرها وهي ٢٣ يوماً حصة طويلة

المدى نجد في خلالها ان في مقياس لوبا بالنظر الى المنسوين الاخيرين هبوطاً قدره عشرة قراريط ونصف . وفي مقياس بورت اليس هبوط قدره خمسة قراريط . وكان مقياس بورت أليس في ذلك الزمن غير معتمد عليه في استكشاف مناسيب البحيرة كما ترى فيما يأتي . هذا وعندما طوبقت المقاييس في غرة اكتوبر سنة ١٨٩٨ كان متوسط الارصاد في ذلك الشهر بالسنتيمترات كما ترى في الجدول الخامس وهي ٩٩ سنتيمتراً عند بورت فكتوريا و ٩٥ سنتيمتراً عند لوبا فيكون الفرق + ٤ سنتيمترات وفي سنة ١٨٩٩ نجد بالمقابلة ان متوسط الارصاد الشهرية بالسنتيمترات كان كما يأتي

بورت فكتوريا	لوبا	الفرق	التاريخ
٨٩	٨٤	٥+	ابريل
٩٩	٩٤	٥+	يناير
٩٩	٩٣	٦+	يونيو
٨٢	٨٦	٤-	يوليو
٧٤ (١)	٥٨	١٦+	اغسطس ٢٣ - ٣١
٦٩	٤٨	٢١+	سبتمبر
٥٩	٣٨	٢١+	اكتوبر
٥٨	٣٥	٢٣+	نوفمبر

وبذلك يجب اسقاط ١٧ سنتيمتراً من متوسط مناسيب البحيرة الشهرية المأخوذة عن مقياس كيسومو من ٢٣ اغسطس سنة ١٨٩٩ لكي تطابق المناسيب المستخرجه قبل ذلك التاريخ . وفي ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٠٠ كانت ارصاد المقياس في بورت اوجوي (بورت فلورنس) قدماً واحدةً وأحد عشر قيراطاً وكذا في ٣٠ منه . وفي اول اكتوبر من تلك السنة قدماً واحدةً وثمانية

(١) من هذا التاريخ عند بورت اوجوي (كيسومو)

قراريط وفي الثاني منه قدماً واحدة وسبعة قراريط . على انه من اول اكتوبر كانت الارصاد تستخرج بمقياس كيسومو و بقيت على ذلك الى عهدنا اما محلة كيسومو فواقعة على خليج كافيروندو ولكن موقع المقياس لم يتغير بتغير الموقع . ومن هذا المقياس الثالث تستخرج سلسلة ارصاد متواصلة الا في الاثنين والعشرين يوماً الواقعة فيما بين الرصد الأخير عند بورت فكتوريا والرصد الاول عند بورت أدجوي ، ويجب ان يكون مقدار الاصلاح وهو ١٧ سنتيمتراً كما تقدم متناولاً جميع الارصاد منذ الثالث والعشرين من شهر اغسطس سنة ١٨٩٣ وذلك لكي تكون مطابقة للأرصاد السابقة

هذا وبما اننا قد بينا باختصار التغييرات المتباعدة يجب الآن ان نقابل ارصاد الثلاثة المقاييس بعضها على البعض وذلك بترتيب متوسط الارصاد الشهرية لكل مقياس (اطلب الرسم الثالث) فيكون لنا من ذلك الموجز الآتي في مدى سنتي ١٨٩٦ و ١٨٩٧ كانت منحنيات الثلاثة المقاييس في بورت اليس وبورت فكتوريا ولوبا متوازية في ثلاثين سبتمبر واول اكتوبر سنة ١٨٩٨ كانت ارقامها كما يأتي

بورت اليس	بورت فكتوريا		لوبا		التاريخ
	قيراط	قدم	قيراط	قدم	
٢	٤	٣	$٧ \frac{1}{4}$	١	٣٠ سبتمبر
٣	٣	$٢ \frac{1}{4}$	$١ \frac{1}{4}$	٣	١ اكتوبر

فهي اذاً متطابقة ومع ذلك فقد كان متوسط مقياس بورت اليس في شهر ديسمبر أعلى من مقياس لوبا بثلاثة عشر سنتيمتراً وأعلى من مقياس بورت فكتوريا بثمانية سنتيمترات . وما برح الفرق السابق مستمراً بوجه التقريب الى شهر اغسطس اذ ازداد سريعاً حتى صار الى ٢٩ سنتيمتراً . وفي شهر يناير سنة ١٩٠٠

بلغ ٢٨ سنتيمتراً ولكن الوقت الذي ظهر فيه هذا الفرق ثانيةً هو نفس الوقت الذي نقل فيه مقياس بورت فكتوريا الى بورت أجوي على انه يُرى ان إنقاص ١٧ سنتيمتراً من أرصاد مقياسي أجوي وكيسوموكا تقدم بيانه هو مما يخفّض المتوسط الشهري حتى يكون بقدر ارصاد بورت فكتوريا ولا يكون الخطأ فيه الا سنتيمتراً أو سنتيمترين وبذا يحدث منحني يمكننا ان نقابل عليه تراوح المقياس في بورت ألس (عنتي) وهذه الارقام المصححة بمقياس كيسومو أدرجت في الرسم الثالث ومنها يُرى انها تتابع منحني جنجا من اغسطس سنة ١٨٩٩ الى نوفمبر سنة ١٩٠١ وصلاً

وفي خلال هذه المدة الى الوقت الذي تهدّم فيه مقياس عنتي في شهر يونيو سنة ١٩٠١ حدث اختلاف عظيم بينه وبين المقياسين الآخرين فكان الفرق من شهر سبتمبر سنة ١٨٩٩ الى اكتوبر سنة ١٩٠٠ نحو ٣٥ سنتيمتراً وفيما بعد صار الى اقل من ذلك حتى شهر فبراير سنة ١٩٠١ .

والسبب الذي يعلل به هذا الفرق هو ان الارض في محلة عنتي خسفت قليلاً في شهر اكتوبر سنة ١٨٩٨ أو قبل ذلك الحين فكانت الفرق بين متوسط أرقام مقياس بورت ألس الشهرية ومقياس لوبا ٢٣ سنتيمتراً في شهر سبتمبر سنة ١٨٩٨ مع انه في كل المدة بين ١٨٩٦ و ١٨٩٧ لم يكن إلا خمسة الى ١٠ سنتيمترات . وفي سنة ١٨٩٩ دام الخسوف وكان واضحاً بين شهري اغسطس واكتوبر ولكنه لم يلتفت اليه لحدوثه في مدة هبوط المقياس . وفي اواخر سنة ١٩٠٠ واول سنة ١٩٠١ حدث ارتفاع قليل مع ان المظنون حصول انخساف في شهر مايو (وربما كان في شهر يونيو ايضاً) لكن لا يمكن اثبات ذلك لانهدام المقياس

ويلوح ان قد حدث ارتجاج في بطن الارض بالقرب من محلة عنتي في سنة ١٨٩٨ وسنة ١٨٩٩ لكنه لم يؤثر بخليج نابوليون أو شاطئ البحيرة

الشمالي الشرقي . والمرجح ان حادثاً غير ممتاد وقع في محلة عنتي في ابريل
ومايو سنة ١٩٠١ اذ وردت الاخبار البرقية منها الى القاهرة بارتفاع ثلاث
اقدام وثلاثة قراريط في منسوب البحيرة في ستة أشهر^(١) مع ان المقياسين
الآخرين دلاً على ارتفاع قدمين على التقريب

واذا نظرنا الى المتوسط الشهري في الجدول الخامس نرى الأرقام الآتية

بالسنتيمترات

عنتي	كيسومو	لوبا	عنتي	كيسومو	لوبا	١٩٠١
س	س	س	س	س	س	
٥٨	٣٢	٣٥	٢٦	٢٣	٢٣	يناير
٦١	٣٧	٣٦	٢٤	٢٥	٢٥	فبراير
٧٧	٤٣	٤٨	٣٤	٢٩	٢٩	مارس
١١٦	٦٨	٦٦	٤٨	٥٠	٥٠	ابريل
١٥٣	٩٥	٨٩	٥٨	٦٤	٦٤	مايو

وفي هذه النقطة تدمر مقياس عنتي . أقول وقد اقام الكومندور هويتوس
دليلاً آخر على أن الارتفاع الذي دوّن في المحلة المذكورة لا يدلّ على ارتفاع
مياه البحيرة وهو انكر في مقالة له بهذا الصدد أن كان منسوب البحيرة^(٢)
مرتفعاً في مايو سنة ١٩٠١ ارتفاعاً فوق المعتاد . قال ان رقم المقياس كان
في نوفمبر سنة ١٨٩٨ ست عشرة قدماً تحت نقطة ثابتة في بورت فلورنس
وكان منسوبها في يناير سنة ١٩٠٠ منخفضاً اذ بلغ ١٨ قدماً وقيراً واحداً
تحت النقطة المذكورة . وقد تبين من الأسبار التي استخرجت عند مدخل

(١) ورد في تقرير نظارة الاشغال العمومية المصرية لسنة ١٩٠١ صفحة ١٧٠

(٢) انظر الصفحة ٣٥ في الملحق الثالث

المينا وان الانخفاض كان معادلاً لما تقدم ذكره

وفي مايو سنة ١٩٠١ صار المنسوب الى ثلاث اقدام واربعة قراريط
فعاد المقياس بهذا الارتفاع الى ما كان عليه في نوفمبر من سنة ١٨٩٨ .
وكانت درجة مقياس عنتي فقط مرتفعة جداً . وقد حدثت هذه المرة هزة
في باطن الارض في خلال ارتفاع المنسوب المعتاد بالبحيرة ولذلك تحولت
الانظار اليها ولكن الهزة التي حصلت في خريف سنة ١٨٩٩ (انظر صفحة
٥٠٢) كانت في مدة هبوط المقياس فلم يلتفت اليها مع انها كانت اشد من تلك
وهذه الاختلافات في مقياس عنتي تشمل عدة شهور ولذا لا يمكن
تعليمها بحركة الرياح المحلية . والفروق الآتية الذكر هي الواقعة بين المتوسط
الشهري لاشهر مختلفة ولا يمكن ان يكون سببها ارتجاجات عارضة في باطن
الارض . ويرى مما تقدم ان واحداً من الثلاثة المقاييس وهو مقياس بورت
الس (عنتي) قد ظهرت فيه اختلافات غير اعتيادية في منسوب البحيرة
لا تطابق ارساد المقاييس الأخرى ولذا نرى ان البرهان على تراوح مناسيب
البحيرة السنوي لا يقوم الا اذا كان مبنياً على ارساد دوّنت بأحد المقاييس
الآخرين . اما مقياس بورت فكتوريا (كيسومو) فهو (كما تقدم القول)
المقياس الذي طوبقت عليه المقاييس الأخرى في اكتوبر سنة ١٨٩٨ . وبعد
اغسطس سنة ١٨٩٩ دعت الحاجة الى تصحيح قدره نحو ١٧ سنتيمتراً
في الارصاد وبذا تطابقت ارساد جنجا تماماً في سنتي ١٩٠٠ و ١٩٠١ . وفي
سنتي ١٩٠٢ و ١٩٠٣ اختلفت فيهما درجة مقياسي كيسومو وجنجا فكان
الفرق بينهما في يونيو سنة ١٩٠٢ ثلاثين سنتيمتراً مع انه في يناير
١٩٠٣ لم يتجاوز خمسة سنتيمترات ولكن منحنيات مقياس كيسومو في كل
تلك المدة كانت مطابقة بالتمام لمنحنيات مقياس عنتي . فبناءً عليه نرى ان
نسيق ارساد البحيرة في بورت فكتوريا (كيسومو) هي الأرساد التي يعول

عليها في ثلاثة مقاييس ولذا يستصوب إستجلاء تراوح المناسيب السنوية
لا سيما وارصاد هويتهوس تدل على ان هذا المقياس لم يبطل الاستدلال
منه مدة سنتين ونصف على الاقل . ومن الأمور المستغربة وجود فروق في
احداثية مقياس جنجا . واذا افترضنا وقوع اهتزازات ارضية في محلة عنتي
فلا بد من تطبيق هذا الفرض على مقياس جنجا من آخر سنة ١٩٠١ الى
سنة ١٩٠٣ . ويرى ان احداثيات مقياس جنجا كانت بالعموم في ارتفاع
من نوفمبر سنة ١٩٠١ الى فبراير سنة ١٩٠٢ . على ان احداثيات مقياسي
عنتي وكيسومو كانت الى هبوط مستديم . وزد على ذلك ان مقياس جنجا
كان في ديسمبر سنة ١٩٠٢ على وتيرة واحدة وكان مقياسا عنتي وكيسومو
في ارتفاع ثم انعكس الامر في فبراير ١٩٠٣ ومع ذلك لم يكن واضحاً كوضوحه
في مقياس عنتي من سنة ١٨٩٧ الى ١٩٠١ . ويتضح مما تقدم ان تراوح
منسوب البحيرة السنوي يختلف بين قدم واحدة وثلاث مع ان المعدل في
خلال السبع السنين الاخيرة كان ثلاث اقدام وتسعة قراريط . وهو فرق
جسيم بين المقادير العظمى التي دونها الرواد وغيرهم ومرّ ذكرها في صفحة ٤٩٥ .
اما متوسط مناسيب البحيرة لكل سنة بمقياس بورت فكتوريا (كيسومو)
المصححة فهي كما يأتي في الجدول الثالث

الجدول الثالث - متوسط منسوب البحيرة

السنة	الهبوط المتوسط المنسوب من سنة ١٨٩٦	السنة	العدل بالسنة امتاراً	السنة	قرار يبط	اقدام	امتار	السنة
١٨٩٦	—	١٨٩٦	٠,٠٦٥ X	١٨٩٦-٩٩	٠,٦	٣	٠,٩٢٨	١٨٩٦
١٨٩٧	—	١٨٩٧	—	—	—	—	غير تام	١٨٩٧
١٨٩٨	—	١٨٩٨	—	—	—	—	«	١٨٩٨
١٨٩٩	٠,١٩٥	١٨٩٩	٠,٣٤٢ —	١٨٩٩-٩٠	٤,٩	٢	٠,٧٣٣	١٨٩٩
١٩٠٠	٠,٥٣٧	١٩٠٠	٠,١١٧ +	١٩٠٠-٠١	٣,٤	١	٠,٣٩١	١٩٠٠
١٩٠١	٠,٤٢٠	١٩٠١	٠,٣٣٦ —	١٩٠١-٠٢	٨,٠	١	٠,٥٠٨	١٩٠١
١٩٠٢	٠,٧٥٦	١٩٠٢	٠,٥٥٩ —	١٩٠٢-٠٣	٦,٨	٠	٠,١٧٢	١٩٠٢
١٩٠٣	٠,١٩٧	١٩٠٣	—	—	٤,٨	٢	٠,٧٣١	١٩٠٣

ولنا من هذا الجدول متوسط المنسوب عن كل سنة استوفت المراقبة فيها . امّا ارضاد شهري ابريل ومايو سنة ١٩٠٢ — في كيسومو فقد فقدت لكن مقياسي عنتي وجنجا في هذين الشهرين دلاً على ارتفاع بطيء خفيف فلم يحدث من ذلك خطأ في النتيجة

ومن الحق اذاً انه قد حدث هبوط متوال في معدل منسوب البحيرة بلغ نحو ٧٦ سنتيمتراً خلال سبع سنين من سنة ١٨٩٦ الى سنة ١٩٠٢ ثم عقبه ارتفاع قدره ٥٦ سنتيمتراً ابتداءً سنة ١٩٠٣ ودرجة كل سنة مع مجموع المدّة هي كما يأتي

الجدول الرابع - مقياس كيسومو

السنة	ارصاد		تاريخ النهاية الكبرى	ارصاد		تاريخ النهاية الصغرى	الفرق بين النهايتين			ملاحظات
	قيراط	قدم		قيراط	قدم		قيراط	قدم	متر	
١٨٩٦	٨ $\frac{٢}{٤}$	٣	١٤ يناير	٢ $\frac{١}{٢}$	٢	٢٢ - ١٢٩ أكتوبر	٦ $\frac{١}{٢}$	١	٠,٤٦	توقفت الارصاد في ٣١ يوليو
١٨٩٧	٨	٣	١٤ - ١١ يونيو	*	*	*	—	—	—	(لم تباشر الارصاد قبل سبتمبر)
١٨٩٨										
١٨٩٩	٧	٣	٢١ مايو	١١ $\frac{٢}{٤}$	٠	٢٩ ديسمبر	٧ $\frac{١}{٢}$	٢	٠,٧٩	اصلاح نحو ٦ $\frac{٣}{٤}$ أدخل
١٩٠٠	٢ $\frac{١}{٢}$	٢	١٠ مايو	٠ $\frac{٢}{٤}$	٠	٤ - ٣ نوفمبر	٣	٢	٠,٦٩	على الارصاد المستخرجة من
١٩٠١	٥ $\frac{١}{٢}$	٣	١٣ مايو	٦ $\frac{١}{٤}$	٠	٥ فبراير و ١٢ مارس	—	٢	٠,٨٩	٢٣ اغسطس سنة ١٨٩٩
١٩٠٢	—	—	—	٠ $\frac{٢}{٤}$	٠	٢٢ يوليو	١١	—	—	النهاية الكبرى وقعت في مايو
(جنجا)	١١ $\frac{١}{٢}$	١	٢٣ مايو	١١	٠	٢٨, ٢٧, ٢٤ ديسمبر	—	١	٠,٣٢	ولكن ارصاد مقياس كيسومو
١٩٠٣	٥ $\frac{١}{٢}$	٣	١٧ يونيو و ١٨	٩ $\frac{١}{٢}$	٠	١ - ٢ يناير	١ $\frac{١}{٢}$	٢	٠,٨١	لهذا الشهر فقدت. وهكذا
مطلق	—	—	يوليو و ٣ اغسطس	—	—	٤ - ٣ نوفمبر ١٩٠٠	٨	٠٠	—	النهاية الكبرى والنهاية الصغرى
٨ سين	٨ $\frac{٢}{٤}$	٣	١٤ يناير ١٨٩٦	٠ $\frac{٢}{٤}$	٠	٢٢ يوليو ١٩٠٢	٩ $\frac{١}{٢}$	٣	١,١٦	عند جنجا تبينت ايضاً

فيستنتج من تراوح هذا الجدول ما يأتي

(اولاً) ان الارصاد التي دوتت يعول عليها في الاحوال التي صححت

فيها كما تقدم بيانه

(ثانياً) مقياس عنتي ولو انه من الاهمية بمكان لتعيين درجة غير

اعتيادية في منسوب المياه ناشئة كما يظن من هزات متقاطعات في الارض ليس

من الارصاد الصحيحة لتعيين تراوح المنسوب في البحيرة

(ثالثاً) مقياس كيسومو يبين بالضبط تراوح المنسوب البحيرة ولكن

مقياس جنجا فيه بعض الشك

(رابعاً) يكون التراوح السنوي من ٣٠ الى ٩٠ سنتيمتراً

(خامساً) مدة التراوح « الدورية » لا يمكن تقريرها او تعيينها لان

الجدول الخامس متوسط منسوب مياه بحيرة فكتوريا الشهري (محوياً بالانوار)

[illegible]

الأرصاء المتناسبة قليلة

(سادساً) ان بين سنة ١٨٩٦ و ١٩٠٢ هبوطاً في متوسط البحيرة قدره ٧٦ سنتيمتراً ومن ثم تلاه ارتفاع قدره ٥٦ سنتيمتراً

(سابعاً) كان المنسوب في عام ١٨٧٨ مرتفعاً وفي ١٨٨٠ - ١٨٩٠ منخفضاً ومن ١٨٩٢ - ١٨٩٥ مرتفعاً مؤقتاً ومن ١٨٩٦ - ١٩٠٢ منخفضاً وفي ١٩٠٣ كان المنسوب مرتفعاً

فالتراوح اليومي ذو مراقي قصيرة جداً فكل الجروم المائية تفعل بها جاذبية الشمس والقمر ولكن تأثير المد على البحيرات الواقعة في داخله البرطيفية جداً حتى لا يعتد به إلا في البحيرات الكبرى ولا يكون ذلك إلا بمقاسات مضبوطة تباشر لذلك . فان بحيرة مشيغان بأمركا مساحتها بقدر مساحة بحيرة فكتوريا وربعها وقد رسمت على خريطة مساحة البحيرات وجعل جزرها الكامل بقدر قيراط ونصف ومدتها الكامل ثلاثة قراريط^(١) .

اما مدّ وجزر بحيرة فكتوريا فلم يعلم مدّرجها تماماً لان البحث فيه لم يتم الى الآن . ولا ريب في ان التراوح بين هبوط وصعود تخفيه خطرات نسيم البحيرة أطراف النهار ونسيم البرّ اثناء الليل وذلك يظهر جلياً في خليج قليل السعة كخليج كافرندو عند كيسومو . هنالك بين المقياس تراوحاً يومياً ظاهراً للعيان ويظهر ذلك التراوح ايضاً في الاحاين في المتوسط الشهري

(١) (كتاب) بحيرات شمالي اميركا للمستر رسل (بوسطن سنة ١٩٠٠

كيسومو^(١)

الساعة	يونيو ١٩٠٣	مايو	ابريل	مارس	فبراير	يناير	دسمبر ١٩٠٢
٧ صباحاً	١,٠٨	٠,٩٠	٠,٩٩	٠,٦١	٠,٦٠	٠,٥٤	٠,٤٤
٤ مساءً	١,٠٧	٠,٨٩	٠,٧٠	٠,٦٩	٠,٦٧	٠,٥٥	٠,٤٦
الفرق	-٠,١٠	-٠,١٠	-٠,١٠	+٠,٨٠	+٠,٧٠	+٠,١٠	+٠,٢٠

وحيث انه لا يتيسر الحصول على معلومات كافية عما ذكر عند كتابة هذا السفر فلم يمكن الوقوف على سبب انحطاط المناسيب بالمقياس بعد الزوال فيما بعد شهر ابريل . قال برنجل^(٢) خرجاً قوله عن اناسي تلك الانحاء ان النهاية الكبرى في يوم ما ناشئة عن شدة الرياح وغمورة المطر كانت نحو قدمين قال جديج^(٣) انه حدث ارتفاع جزئي وقتي في البحيرة في فترات متخالفة تكون مدتها ساعة او اكثر . ويقول^(٤) انه رأى مدًا وجزراً قدره نحو ١٥ سنتيمتراً في خليج كفيرونندو ولعل ذلك ناشيء عن فعل الرياح . وهذه الظواهر الطبيعية بيئة جليلة في الخلجات والجون . وقد اختلفت ارساد المتوسط الشهري فيما بين الساعة السادسة صباحاً والساعة السادسة مساءً في عنتي وذلك من شهر يونيو الى دسمبر سنة ١٩٠٣ فكان مقدار

(١) ان التصحيح وقدره ١٧ سنتيمتراً في الجدول يجب اسقاطه من رقم الساعة ٧ صباحاً ليكون المقياسان مطابقين لارقام الجدول الخامس

(٢) وود في الجريدة الجغرافية في شهر اغسطس سنة ١٨٩٣ صفحة ١٣٧

(٣) ورد في مجلة الجمعية الملوكية الجغرافية سنة ١٨٩٢ صفحة ٣٣٣

(٤) ورد في الجريدة الجغرافية في شهر اغسطس سنة ١٨٩٣ صفحة ١٨٩ و ١٣٧

الفرق من متر — ٠.٠٠٤ الى + ٠.٠٠٣ فقط
وقال بومن ايضاً^(١) بمحدوث صدمات وهبوطات يومية قدرها ثلاثون سنتيمتراً
في محلة موانزاوان المياه في مجرى روجيزي كانت منحنى في الصباح بقدر خمسين
سنتيمتراً عنها عند الهاجرة مع ان هذا الاختلاف ليس بظاهر في بكوبا
اما تراوح المنسوب ناشئاً عن ارتجاج الارض فلا شك انه يحدث في
بحيرة فكتوريا ولم يتمكن بعد من البحث في شأنه بحثاً دقيقاً . ومن
المعلوم ان مياه البحيرات يؤثر فيها ضغط الهواء الجوي وقد شوهد ان
بعض الاختلافات في المناسيب تكون اقدماً تقع اثناء صفاء الجو . وقد
اثبت فورل^(٢) ارتفاعاً في المنسوب قدره متر وسبعة وثمانون سنتيمتراً في
بحيرة جنيفا وقد شوهد اشد من هذا الارتفاع في البحيرات الاميركانية^(٣)
وقد تحدث نبضات اخف من ذلك لا يعلم لها الى اليوم من سبب . ومن المحتمل
ان الاختلافات الوقعية التي تظهر في الاحايين في بعض المقاييس ببحيرة
فكتوريا هي من طرز هذا الارتجاج . ولكن ليس في الامكان اليوم استطراد
البحث فيه لان محلة عنتي هي النقطة الفردية في الاغنداء التي اقيم فيها بارومتر
وقد اجمع الرواة على ان عواصف شديدة وانواء تقوم في البحيرة وربما
صحبها تفجر السحب . كل ذلك دال على اختلاف كلي فجائي في ضغط الهواء
الجوي في تلك الاصقاع فلا عجب اذاً ان اختل نظام المقاييس في الاحايين
اختلالاً عظيماً .

وقد هبط المنسوب في مقياس كيسومو في اول اكتوبر سنة ١٩٠٣

(١) في رحلته الى اقليم مسيلاند لاستكشاف ينابيع النيل صفحة ٤٢

(٢) مفكرات في « البحيرات » صفحة ٨٠ سنة ١٩٠١

(٣) انظر مقالة بركنز في « الاهتزازات بالبحيرات الاميركية » الواردة في

جريدة الارصاد الجوية — اكتوبر سنة ١٨٩٣

هبوطاً على بقة واستقر منحنياً سبعة ايام والمقاييس الاخرى لم يطرأ عليها شيء^(١). وبما انه لم يرد علينا الا رصد واحد استخرج في الساعة السابعة صباحاً فلا علم لنا بما اذا كان المنسوب قد اعتراه اختلاف ايضاً اثناء النهار . وقد أثر انخفاض المناسيب بمتوسط اكتوبر في ذلك الاسبوع كما ترى في الجدول الثالث .

التاريخ	عتبي		جنگا		كيسومو	
	قدم	قيراط	قدم	قيراط	قدم	قيراط
٣٠ سبتمبر	٥	١٠	٤	٣	٣	٨
١ اكتوبر	٥	٩ $\frac{1}{2}$	٤	٣	١	٨
٢ اكتوبر	٥	٩	٤	٢	١	١٠
٣ اكتوبر	٥	٩	٤	٢	١	٨
٤ اكتوبر	٥	٩	٤	٢ $\frac{1}{2}$	١	١٠
٥ اكتوبر	٥	٩	٤	٢ $\frac{1}{2}$	١	١٠
٦ اكتوبر	٥	١١	٤	٢ $\frac{2}{3}$	٢	١
٧ اكتوبر	٥	١٠	٤	٢ $\frac{1}{2}$	٢	٠٠
٨ اكتوبر	٥	٩	٤	٢ $\frac{1}{3}$	٣	٠٠

ولنا من هذا البحث الوجيه في تراوح مناسيب البحيرة امور ذات فائدة نذكرها هنا فنقول . ولو ان الارتفاع قد بلغ نهاء درجة مايو ويونيو ظاهر أكثر من الارتفاع الحادث عن امطار نوفمبر مع ذلك ترى عمل هذا الارتفاع (اي ارتفاع نوفمبر) من الأهمية بمكان . فاذا جاءت امطار نوفمبر خسيصة يداوم منسوب البحيرة على الانحطاط شيئاً فشيئاً حتى ابريل . حينئذ يتبدىء الامطار وتعالى مياه البحيرة بسرعة . على ان هذا الارتفاع يعقبه هبوط حثيث سريع لان معظم

(١) وقد سبق تعليل ذلك منذ مايو ١٩٠٤ بأن قد وقع خطأ في استخراج الارصاد التي أرسلت . اذاً لم يحدث هبوط غير معتاد في مقياس كيسومو

التبخر يكون في يوليو واغسطس وسبتمبر . اما منطقة الامطار الاستوائية فطارحها تكون الى الشمال والرياح الموسمية اليابسة تهب من الجنوب الشرقي على منطقة حائر البحيرة .

واعلم ان كل سنة تكون امطار نوفمبر فيها وافية فتزايد بها مياه البحيرة كما حدث في سنة ١٩٠٠ وسنة ١٩٠٢ يكون متوسط منسوب البحيرة في السنة اللاحقة مرتفعاً مع انه في سنتي ١٨٩٩ و ١٩٠١ (وهما سنتان استمر هبوط مياه البحيرة فيهما الى السنة التالية) عقبهما هبوط في متوسط المناسيب والسبب في ذلك ان نسبة المياه التي تبعد بالتبخر من المقدار الذاهب الى البحيرة في نوفمبر وديسمبر ويناير اقل جداً من الماء الذي يتبخر في ازمة الامطار الغامرة في شهري ابريل ومايو وهما شهران يتلوها شهور الجفاف والقيظ . وقد عدّ لوجارد ذلك بمثابة ما حصل في شتاء سنة ١٨٩١ اذ عقبه ارتفاع بمناسيب البحيرة في سنة ١٨٩٢ ارتفاعاً بالغاً . وحيث ان المطر في اواخر فصل الشتاء في سنة ١٩٠٣ كان متجاوزاً في اقاليم اوغندا النيلية وفي منطقة حائر بحيرة البرت فالمرجح ان تكون امطار نوفمبر عند بحيرة فكتوريا مفرطة ايضاً فيكون متوسط منسوب البحيرة في سنة ١٩٠٤ اعلى منه في سنة ١٩٠٣ ما لم تقط الامطار في شهر ابريل . فلو فرضنا ان متوسط تصرف الماء عند شلالات ريبون ٥٧٥ متراً مكعباً في الثانية فيكون تصرف اليوم الواحد ٤٩٧ مليوناً من الامتار المكعبة و ١٤٩١ مليوناً في الشهر و ١٧٩٢٥ مليوناً في السنة . فلو قدرنا مساحة سطح البحيرة بخمسة وستين الفاً من الكيلومترات المربعة فيكون التصرف المتقدم ذكره معادلاً هبوطاً في سطح ماء البحيرة قدره ٢٢,٥ مليمتر في الشهر . وإذا اتخذنا معظم التصرف عند شلالات ريبون ستمائة وخمسين متراً مكعباً في الثانية وذلك يعادل معظم منسوب مياه البحيرة في سنة ١٩٠٣ يكون الهبوط الناشئ عن التصرف وحده ٢٥,٦ مليمتر في الشهر .

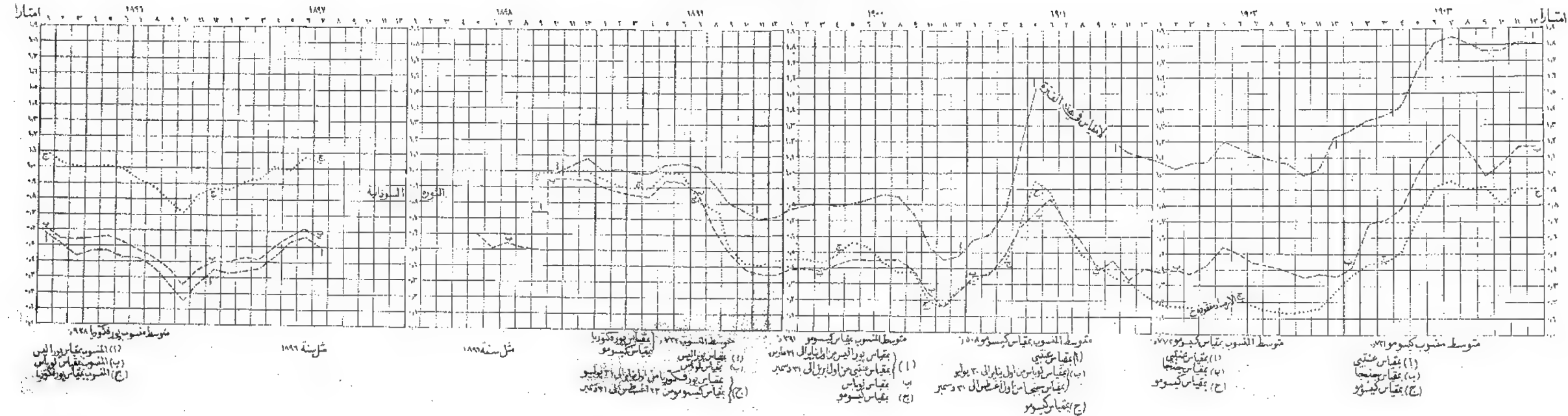
فاذا قسنا هذا الهبوط الشهري الى هبوط منحنيات المقياس بعد معظم الارتفاع في شهر يونيو (انظر الجدول الثالث) يتبين لنا عظمة فعل التبخر في يوليو واغسطس وسبتمبر اذ ينجم عنه هبوط منسوب البحيرة في بعض السنين بأسرع مما ذكر رغماً عن زيادة مادة البحيرة بالامطار العارضة أو بالماء الذي تستاقه الانهار الصابة الى البحيرة . فاذا كان حرف (ا) يمثل معدل الامطار في البحيرة في برهة سنة وحرف (ب) يمثل مقدار الماء الذي تلقيه الممدات الى البحيرة وحرف (ج) يمثل مقدار ما يتصعد من الماء نجاراً وحرف (د) يمثل مقدار التصرف عند شلالات ريبون نرى ان في فترة ما بين سنة ١٨٩٦ وسنة ١٩٠٣ منذ هبوط متوسط المنسوب بالبحيرة من ٩٢٨ الى ٧٣١ و ٠ او ١٩٧ . كانت الاعراض العامة في هذه العبارة الجبرية - ا + ب - ت + ث . ولما كان متوسط التصرف السنوي عند شلالات ريبون ١٧,٩ كيلومتراً مكعباً وان تنزّل ١٩٧ و ٠ من مقدار منسوب البحيرة في ثماني سنين يعادل ضياع ١٢,٨ كيلومتراً مكعباً أو متوسط انخفاض سنوي قدره ١,٦ كيلومتراً . وعليه فاذا كان متوسط الامطار السنوي في البحيرة يقدر بمليمتر واحد ومائتين وخمسين جزءاً من المليمتر في السنة الواحدة فلك ما يأتي

$$١٠٦ + ١٧,٩ + ت = ب + ٨١,٣$$

$$أوت - ث = ٦١,٨ كيلومتراً مكعباً$$

وهو مقدار تفاضل التبخر على مقدار الماء الذي تفرغه المدود ويضح منها فعل هذا التبخر العظيم بالبحيرة . وفي السنين التي يكون الهبوط فيها سريعاً يتعاضد هذا التفاضل كثيراً

(امضا) ه . ج . ليونس



الملحق الثالث

شلالات ريون

اجابةً لما طلبتموه مني بالامس ها انا مرسل اليكم بمذكرة تختص بمنسوب بحيرة فكتوريا تشتمل على رسوم شمسية^(١) تلقيتها في سنة ١٩٠٠ عند شلالات ريون والنقط المثلثية وغير ذلك . ذكر السروليم جارستن في تقريره الثاني سنة ١٩٠١ بشأن مشروعات الري في اعالي النيل صفحة ٤٩ ان متوسط منسوب البحيرة يكون (عن ثقة) اقل من متوسط عشرين سنة من قبل يونيو سنة ١٨٩٧ بقدر ثمانى اقدام . وكان منسوب البحيرة في نوفمبر سنة ١٨٩٨ مرتفعاً اذ بلغ ١٦ قدماً تحت النقطة الثابتة التي عينتها في بورت فلورنس وكان المنسوب منخفضاً في يناير ١٩٠٠ اذ بلغ ١٨ قدماً وقيراطاً تحت النقطة الثابتة المذكورة . ولا ريب في ان هذه المناسيب صحيحة لانها استخرجت بدقة في قطعة قصيرة جداً في حين ان الانخفاض قد تبين بالمجاس عند مدخل الميناء وكان المنسوب في نوفمبر سنة ١٨٩٨ احدى عشرة قدماً وفي سنة ١٩٠٠ تسماً فقط على ذلك المدخل . وقد حدث هبوط آخر قدره قدم واربعه قراريط في سنة ١٩٠١ عرف من النهاية الصغرى في منسوب بورت فلورنس . وقد ارتفع ذلك المنسوب في مايو سنة ١٩٠١ ثلاث اقدام واربعه قراريط على المقياس غينه (وهو لم ينقل في خلال تلك المدة) فعاد المنسوب الى ما كان عليه في نوفمبر سنة ١٨٩٨ بالتام . وقد نشر في جريدة التيمس الاسبوعية في ٣١ مايو مقال مفاده ان منسوب البحيرة كان زائداً عما كان عليه في مايو سنة ١٩٠١ بقدر قدمين ولكن هذا البناء كان خطأً لان المنسوب في مايو

(١) هذه الرسوم لم تدرج في التقرير

سنة ١٩٠١ كان كما تقدم البيان معادلاً لمنسوب نوفمبر سنة ١٨٩٨ . وظهر لي مما رأيته في البحيرة ان انخفاض ثماني اقدام بمتوسط منسوب يونيو سنة ١٨٧٧ فيه ريب وتشكيك

اما الرسم الشمسي الذي تلقاه السر هنري ستانلي في شلالات ريبون سنة ١٨٧٥ فاختلف قليلاً جداً عن رسم^(١) ذلك المكاتب الذي تلقيته بنفسه في يونيو سنة ١٩٠٠ من الجانب الغربي للنيل . وفي يونيو سنة ١٩٠٠ كان منسوب البحيرة ولا ريب هابطاً للغاية وكان ذلك معلوماً لجميع اناسي تلك الاصقاع حتى الأوروبيين . ولو فرضنا ان هبوطاً قدره ثماني اقدام في عشرين سنة صحيح (وهو هبوط بقدر خمسة قراريط في السنة) نجد ان في سنة رصد ستانلي كان منسوب المياه أعلى من منسوب ما رصدته بقدر ثماني اقدام وعشرة قراريط . وقد اثبت ان منسوب المياه في سنة ١٨٩٨ كان مثل المنسوب في سنة ١٩٠١ . وذلك لا يدل على ان الانحطاط كان مستمراً في تلك الفترة ولكن حينما تلقيت الرسم الشمسي كانت مياه البحيرة منخفضة جداً . ويصح اضافة قدمين الى الثماني اقدام وعشرة قراريط فيكون مجموع الفرق بين رصد ستانلي ورصدي عشر اقدام وعشرة قراريط وقد قدرت ارتفاع الشلالات باربع عشرة قدماً فقط . والذي ينظر الى رسومي يعلم بانه لو وجد هذا الارتفاع لظهرت تلك الشلالات على الآلة الشمسية بمظهر يختلف جداً عما رسمه . وكانت زيادة عشر اقدام وعشرة قراريط في مياه البحيرة دالة على حدوث هبوط مستمر في مدة ما دل عليه رسماً اليمين فتتغير لذلك سماء المنظر تغيراً كلياً . هذا وفي الرسم الثاني منظر الشلالات مأخوذاً من مظلة المرسلين على عدوة النيل الشرقية ويرى من هذا المنظر ايضاً الفرق العظيم في هيئة الشلالات لو حدث ارتفاع قدره عشر اقدام وعشرة قراريط في منسوب البحيرة

ويظهر من الرسوم الثالث والرابع والخامس ان الشلالات قليلة السمك مع انه يمكن استخراج قوة عظيمة منها والانتفاع بها . اما المسارع والجنادل فتمتد الى مدى بعيد ولكنني لا اعلم بالتحقيق مقدار طولها لانني لم اتباعد عن تلك الشلالات الا بقدر ثلاثة أميال . وفي جزيرة بوجوزي (وهي جزيرة وطيئة جداً تكون جنادل ريبون عنها على نحو خمسة وثلاثين ميلاً . انظر الرسم السادس) شجرة كبيرة قد قدّرت ان يكون جذرها مرتفعاً عن سطح الماء بقدر خمس اقدام ويعرف حجمها من الرجل الواقف الى جانبها شمالاً وتعلم تطامن ارض الجزيرة من صاري المركب القائم على يمين الشجرة وارتفاعه يكون نحو ١٦ قدماً والمركب عن البر على مسافة قصيرة . وبما ان ارتفاع الجزيرة لم يكن الا خمس اقدام فوق احط منسوب البحيرة في سنة ١٩٠٠ فلا اعلم كيف قامت شجرة كبيرة مثل هذه في حين ان منسوب البحيرة على هبوط مستمر بمعدل خمسة قراريط في السنة . ولست اعلم كيف يمكن حدوث هذا الهبوط اذا لم يكن قد حدث ارتفاع معادل له بين عامي ١٨٧٥ و ١٨٧٧ (الامر الذي هو بعيد الاحتمال) . واذا كان هذا الهبوط مستمراً فلم انقطع بين عامي ١٨٩٨ و ١٩٠١ حينما استخرجت المناسيب على نقط ثابتة

ب . هويتهوس

كومندور في البحرية الملكية المكلف بمسح البحيرات
وبأعمال سكة حديد اغندا

نيروبي في ٣١ مايو سنة ١٩٠٢

الملحق الرابع

حسابات التصرف وانحدارات المياه

تختص هذه المذكرة بالحسابات التي استخرجت لوضع جداول التصرف في بعض مواقع المقاييس التي استسلمت فيها التصرفات في اقليم بحر الجبل وهذه المواقع هي جنجاونيل فكتوريا تحت شلالات مركي صن ووادلاي وكندوكرو اما الطرائق التي اتخذت في رصد هذه المواقع فتخالفة في بعض الوجوه ولكنها بالعموم مبنية على قوانين ادروليكية معلومة مطبقة على مقاسات التصرفات الدقيقة التي وصلت اليها . ولي ملاحظات ابيها فيما يختص بحسابات التصرف في كل موقع يتبين منها مقدار الاعتماد على ما ورد في جداول التصرفات فأقول . اولاً موقع جنجا - لم يتيسر الحصول إلا على رصدتين لتصرف المياه احدهما استخرجه المستر ورينج والثاني استخرجه السروليم جارستن في ٢٢ يناير سنة ١٩٠٣ ولكنني أهملت الاول لانه مبني على ارساد قليلة جداً لسرعة المياه . ويتضمن الرصد الثاني معلومات للتوسع في الحسابات يتضح منه تصرف ٥٤٩ متراً مكعباً في الثانية وكان المقياس هناك ٥١ سنتيمتراً^(١) . وقد قدرت تصرفات المياه اولاً بأنها توافق النهاية الكبرى والنهاية الصغرى بمقياس جنجا وذلك على فرضين منفردين الاول وجود خزان حفظت مياهه على منسوب دائم تنصرف على مصب مطلق . فالقانون المستعمل في ذلك هو هكذا $k = m \cdot b^{\frac{3}{4}}$. فحرف (ك) يمثل كمية المياه التي تنحدر من فوق المصب امتاراً في الثانية وحرف (م) يمثل العامل الثابت وحرف (ب) يمثل سعة المصب الصحيحة . اذاً يعد حرف (ب) كمية مجهولة يجب تبيانها من

مقدار التصرف المفروض . ثم ان ارتفاع المياه عند المصب مقدّر بأن يكون مساوياً لمتوسط الارتفاع في قطاع استخراج المستورينج امام جنادل ريبون بقدرستين متراً . يضاف الى ما ذكر الارتفاع فيما بين الشلالات المذكورة الى جنادل بحيرة فكتوريا فيكون مجموع الارتفاعين اذاً هو ارتفاع سطح البحيرة عن عتب المصب . وذلك يختلف بالمقدار نفسه كما يختلف مقياس جنجا عن رقه المرصود في التاريخ الذي استخرج المستورينج مقاساته فيه . وليعلم ان متوسط العمق المذكور هو سبعة امتار ونصف وارتفاع سطح البحيرة يبلغ ١٧ سنتيمتراً

ومن ثم نرى انه عندما كان المقياس بدرجة واحد واربعين سنتيمتراً وذلك في ١٢ يناير سنة ١٩٠٣ كان فرق ارتفاع الماء سبعة امتار وسبعة وستين سنتيمتراً (وهو حرف هـ) وعلى ذلك نرى انه عندما كان المقياس بدرجة واحد وخمسين سنتيمتراً في ٢٢ يناير من تلك السنة كان فرق الارتفاع سبعة امتار وسبعة وسبعين سنتيمتراً . وفي ذلك اليوم استخرج السروليم جارسن تصريف الماء فكان ٥٤٩ متراً مكعباً في الثانية . وبالنتيجة يكون مقدار حاصل ضرب م × ب في القانون المتقدم ذكره ٢٥ متراً و٣٥ سنتيمتراً . وبذلك نستخرج مقدار التصرفات التي تطابق رقم اي مقياس من المقاييس . اما ما يختص بالنهاية الكبرى والنهاية الصغرى من ارصاء المقاييس فقد وجدنا انه عندما بلغ المقياس متراً و٣٦ سنتيمتراً في يوليو سنة ١٩٠٣ كان التصرف حينئذٍ بقدر ٦٤٣ متراً مكعباً في الثانية . ولما بلغ رقه ١٦ سنتيمتراً في نوفمبر سنة ١٩٠٠ حينئذٍ صار التصرف الى ٥١٢ متراً مكعباً في الثانية . واعلم ان ضبط هذه التقديرات يتوقف على امكان استخدام القانون المتقدم ذكره مستخلصاً من ملاحظات نظرية وقد يستخدم في الاحوال العملية الاكثر تعقيداً واشكالاً مثل التي نحن اليوم بصدد ها . وتمضيذاً لاستخدامه نقول انه يعرف بدلالته على

التصرفات الحقيقية في مجارٍ عظيمة السعة بعيدة الغور بأكثر ضبط مما لو استخدم للمصاب المتضايقة السعة القريبة الغور اذ يكون للاحتكاك على جانبي مجراها وعتبها تأثير عظيم على سرعة المياه . وايضاً تمثل بالضبط مقدار حرف (هـ) ويمكن التمويل عليه في هذا الحرف بدون الاعتماد عن المقدار الاساسي

ثم ولو ان حاصل ضرب (م ب) مقدار ثابت مطلق كما فرض فيما تقدم فانه يتغير تغيراً طفيفاً جداً عن فرق الارتفاع في القطاع الذي نحن بصددده . ويرى مما تقدم ان الادلة كثيرة على صلاحية استخدام القانون المذكور في التصرفات المطابقة للنهاية الكبرى والنهاية الصغرى اللتين اوردناهما قبلاً . ففي النهاية الكبرى تكون القيمة بقدر عشرة بالمائة من الحقيقة لكنها في النهاية الصغرى تكون القيمة اقرب من ذلك الى الحقيقة . الفرض الثاني - قد حسب التصرف على تقدير ان السرعة المتوسطة تبقى ثابتة وان جانبي القطاع رأسيان . فزيادة التصرف تكون ناشئة عن زيادة المياه المارة في اثناء تعالي درجات المقياس . هذا وكان القطاع العرضي في ٢٢ يناير ١٩٠٣ ٢٢٧٥ متراً مربعاً وسعته ٤١٧ متراً . فزيادة متر واحد على رصد المقياس في ذلك اليوم يتأتى عنه زيادة ٤١٧ متراً مربعاً على مساحة القطاع . وبما ان متوسط الجرية هو ٢٤ سنتيمتراً في الثانية فهذا الارتفاع يحدث تصرفاً اضافياً قدره مائة متر مكعب في الثانية وتختلف الزيادة او النقصان بالتصرف المطابق للارتفاع والهبوط اختلافاً نسبياً اما الارصاد في النهاية الكبرى والنهاية الصغرى فتكون كما يأتي في هذا الجدول

التصرف	زيادة التصرف	الارتفاع فوق صفر المقياس + الهبوط تحت صفر المقياس -	درجة المقياس
٦٣٤ متراً مكعباً في الثانية	+ ٨٥ متراً مكعباً في الثانية	+ ٠, ٠٨٥	٣٦ ١
٥١٤ " " " "	- ٣٥ " " " "	- ٠, ٠٣٥	١٦ ٠

وهذه المقادير تطابق المقادير المحسوبة في الفرض الاول وتزيد الميل الى الاعتماد على الارقام المدرجة في الجدول المذكور . وقد وضع الجدول الاول على اساس هذا التقدير

ثانياً موقع نيل فكتوريا تحت جنادل مركيصن - في هذا الموقع تختلف المسألة اختلافاً كلياً عما سبق حتى كأنها على عكس ما عند جنجا . هنا تنصرف المياه طلاقاً الى خزان يكون منسوبه ثابتاً . وعليه فيكون كل تغيير في متوسط السرعة عند موقع التصرف (وهو على نحو ثلاث المسافة من الجنادل الى بحيرة ألبرت) ناشئاً عن زيادة الانحدار الذي يتأتى من زيادة اندفاع الماء من فوق الشلالات في ايام الفيض وما ينتج من ذلك من تراكم الماء في ذلك المسيل الضيق السعة

ولقد تبين لي ان قانون كُتر المشهور الموضوع لحساب متوسط السرعة يصح استخدامه ويعمل به في مفروضات السر ولیم جارستن لاستخلاص مقدار الانحدار عند استخراج ذلك التصرف وهذا هو القانون

$$ف = ث \sqrt{ارس}$$

$$ث = ١ + ن + ٢٣ + س ٠,٠٠١٥٥$$

$$١ + ن (٢٣ + ٠,٠٠١٥٥ ارس) + ارس$$

فحرف (ف) يمثل متوسط السرعة امتاراً في الثانية وحرف (س) يدل على الانحدار وحرف (ر) يشير الى نصف القطر الايدروليكي امتاراً وحرف (ن) هو عدد متعلق على خشونة القاع . وقد دلت القياسات التي عملت لمعرفة التصرف على المعلومات الآتي ذكرها وهي ان عرض القطاع ٣٠٩ امتار ومساحته ٨٩٤ متراً مربعاً والمحيط المغمور ٣١٣ متراً والتصرف ٥٧٦,٦ متراً مكعباً في الثانية

$$اذاً (ف) = ٥٧٦,٦ / ٨٩٤ = ٠,٦٤٥ امتاراً في الثانية$$

$$و (ر) = ٨٩٤ / ٣١٣ = ٢,٨٥ امتاراً$$

وعلى قياس تصرف الماء، قبالة وادلاي نقدر حرف (ن) بأن يكون ٠,٠٢٥ وهي في الحقيقة كالقدر الذي فرضه كُتْر للترع والأنهار الخالية من الاحجار والاعشاب. تلك صفة تنطبق تمام الانطباق على القطاع الذي نحن بصددده. وببدال الحروف بمقاديرها في القانون السابق يكون لنا ما يأتي

$$\frac{٦٣ + ٠,٠٠١٥٥ \text{ س} \times \text{ص}}{١ + ٠,٠٠١٤٨ (٢٣ + ٠,٠٠١٥٥ \text{ س})} = ٠,٣٨٢$$

ولنا بالتعاقب التقريبي جذر صحيح لهذه المعادلة قدره $\frac{١}{١٨٥٠٠} =$ ثم ان في أبان الفيض ترتفع مياه النيل هناك نحو متريننا يكون الارتفاع المطابق له في بحيرة البرت ٨٤ سنتيمتراً بمعنى انه يكون زائداً على مياه البحيرة عند موقع استخراج التصرف بقدر ستة عشر سنتيمتراً والمسافة الى البحيرة تكون اثنين وعشرين كيلومتراً ونصفاً ويكون الارتفاع في هذه الشقة متراً واثنين وعشرين سنتيمتراً ولها الانحدار قدره $\frac{١}{١٨٥٠٠}$ فيكون الارتفاع في ازمنة الفيض في تلك الطية متراً وثمانية وثلاثين سنتيمتر ذلك يجعل الانحدار نحو $\frac{١}{١٦٣٠٠}$. قلت ان الانحدار يختلف بالقياس بين هذه الحدود باختلاف درجة المياه بالزيادة وقد استخرجت مقدار القطاعات والمحيط المغمور ونصف القطر الإدروليكي الموافق لزيادات المياه فوق صفر المقياس الذي اتخذناه ارتفاعاً لسطح الماء يوم استخرجنا التصرف. ولما كان الميل مختلف المقادير كان في الامكان تعرف متوسط الجرية وهي اذا ضربت بمساحة القطاع يكون الحاصل مقدار التصرف. انظر الجدول الثاني يتبين لك ذلك

ثالثاً موقع وادلاي — اقول ان حالة النهر في تلك النقطة قياسية لا يمتريها تغيير من جرأء طفات المياه الفجائية. ولذلك نرى ان قانون كُتْر يعتد به في مثل هذه الحال ايضاً وعلى هذا الاسلوب وضع جدول التصرف. وقد اشتملت الارصاد التي استخرجها السير وليم جارسن في ٢٣ مارس سنة

١٩٠٣ على مقدار التصرف ومساحة القطاع وامور اخرى فيما يختص بالقطاعات بينان الانحدار قد اقتطف من الملاحظات الآتي بيانها . ذلك أن قد استخرجت اربعة ارصاد متطابقة تطابقاً كلياً بمقياس الهبسومتر وذلك في عدة نقط تقع فيما بين بحيرة البرت ومحلة نيمولي وحوالت بمقابلتها بارصاد البارومتر عند عنتي وهذه الارصاد قد تفضل بها علينا جناب المستر ماهون مدير حدائق النبات هناك . هذا وبما ان خلقة النيل وقطاعه فيما بين الموقعين المذكورين يكادان لا يتخالفان فقد عدنا انحداراً متعادلاً يغلب ان يكون مقداره (بحسب الارصاد) $\frac{1}{27}$. والمعلومات التي تبينت لنا من الاسبار هي ان التصرف بالغ ٦٤٦ متراً مكعباً في الثانية وكانت مساحة القطاع ٧٧٠ متراً مربعاً ونصف القطر الايدروليكي اربعة امتار وثمانين سنيمتراً فيكون متوسط الجرية اذاً ٨٤ سنيمتراً في الثانية . واذا ابدلنا هذه الارقام في القانون يكون لنا ما يأتي

$$\frac{٦٤,٨٥ + ١}{٢٩,٦ + ١} = ٦٢,٩٣$$

وهي معادلة مربعة لحرف (ن) يكون جذرها الايجابي مولداً هذه

$$\text{العبارة } ن = \frac{1}{22,22} = 0,02369$$

ومما تقدم في الكلام على مقدار التصرف خلف جنادل مركيصل يكون ذلك مطابقاً لمقدار حرف (ن) كما قدره المستر كترلسيل مثل هذا . ومن هذا المقدار يتبين لنا عدة مقادير لحرف (ث) في القانون نحسبها مطابقة لارصاد المقياس المختلفة . اما الانحدار فعد انحداراً ثابتاً . ولنا من هذا التقدير دليل على ان فرق النهايتين في بحيرة البرت لا يختلف كثيراً عنه قبالة وادلاي . وربما كان اقل لا اكثر ومعدل الانحدار في ازمة الفيض اقل مما في ازمة الفيض . ولا يبعد مع ذلك ان تكون اخص عوامل الفيض في بحيرة البرت

هو تمديد فساحتها في صوب الشمال بحيث ان القسم الذي يعد مستوى يتقارب من وادلاي والانحدار يوزع على مدى اقصر . ولما كانت المعلومات غير وافية فمن الصواب اعتبار الانحدار مستقلا عن ارساد المقياس . وبما ان مقدار الانحدار المار ذكره يختلف اختلافاً كلياً عن المقدار المعتد به الى الآن فلا بأس من ايراد الاسباب التي دعنا الى اتخاذه فنقول . ان ارساد الهيسومتر ولو انها قليلة فهي مما يعتد بها كثيراً لانها الارصاد الاولى التي تحولت بالمقابلة مع ارساد البارومتر واستخرجت ممّا في آن واحد عند موقع معلوم الارتفاع مستقرب وهو محلة عتبي فانها لا تبعد الا بقدر ٢٥٠ الى ٤٠٠ كيلومتر . ثم ان جملة الانحدار من حد بحيرة البرت عند بوتيابو الى نيمولي تكون ثلاثة عشر متراً وهي اكثر مطابقة لسته امتار (وهو المقدار الذي اخرجته زايرتس عن ارساد امين باشا) من مقدار ٣٣ متراً التي اوردها هن . واما شابان^(١) فانكر على زايرتس المقدار الذي اورده منحازاً الى ما اخرجته هنّ لاسباب ليست الا من باب ابداء الراي لا غير

ثالثاً ان المقدار قد تأيد فيما بعد بالمقدار الذي يستخدم من قانون كُتر (وهو حرف ن) لقطاع مثل القطاع الذي نحن بصدد بيان ذلك تراه في الجدول الثالث

الموقع الرابع كندكرو - لهذا الموقع الارصاد الآتي ذكرها في هذا

الجدول

مقدار	٢٨ مارس	٩ سبتمبر	١ ابريل	٨ سبتمبر
	١٩٠١	١٩٠٢	١٩٠٣	١٩٠٣
ارصاد المقياس	٠,٠٨	٠,٨٣	٠,٥٠	٢,٣٣
تصرفات	٦٢٣	١٠٧٩	٦٩٣	١٩٨٥

(١) طالع كتاب شابان في «انهار وجداول افريقيا» صفحة ٣٨ المطبوع في مدينة فينا

واعلم ان وضع جدول مفيد لارصاد هذا الموقع يؤدي الى تطابق هذه المعلومات قد كان فيه صعوبة اعظم من الصعوبات التي صادفناها في امر القطاعات الثلاثة التي سبقت وذلك لاسباب . الاول ان مقياس تلك النقطة قد تغير اربع مرات وقد وقع التغير في برهة من الزمن كان المقياس في خلالها قد تحطم ثم اقيم آخر غيره ولذلك كان يتعذر تحويل الارصاد السابقة في مقياس واحد الى ارصاد المقياس الحالي بالضبط والدقة . والثاني ان الخريطة الرابعة الملحقة بهذا تدل على ان مياه النهر هناك تتراوح على غير قياس بين هبوط وصعود ولا سيما في ازمة منتهى الفيض . والثالث ان في خلقة القطاع قبالة المقياس شذوذاً وندوراً فهو يختلف شكاه عن قطاعات مواقع الاربعة التصرفات اذ هي متفازة بعضها عن بعض مثلاً من الامتار اضطراداً . ثم ان ما توصلنا اليه من الارصاد يتبين منه ايضاً ان القطاع لا يصح ان يعد قطاعاً مستديماً سواء كان في مواقع التصرف او عند المحلة . وانه لا بد من ان يكون في قرار النهر تجريف مستديم وتراكم مادة في مواقع اخرى وهاتان الحقيقتان تجعلان تطبيق القوانين الحقيقية الايدروليكية لاجل التصرفات شيئاً مستصعباً جداً . ولقد جهدت بتوفيق المعلومات على التقديرات المختلفة . ولكن في كل مرة نزعنا الى ذلك وجدت النتيجة تطابق على نوع ما التصرفين الثالث والرابع ولكنها لا تطابق الاول والثاني إلا اذا فرضنا انحداراً قدره عشرون الى ثلاثين سنيمتراً في منسوب النهر فيما بين ١٢ نوفمبر و١٨ منه سنة ١٩٠٢ وهي فترة انقطاع الارصاد . والمعلوم^(١) ان تصرف نهر من الانهار يصح ان يمثله هذا القانون بالتقريب وهو $a = (q + b)^{\frac{3}{2}}$ فيكون (ك) التصرف و(ا) و(ب) عاملين ثابتين و(ق) رصد مقياس رأسي . والسبب المتقدم ذكره افترض حرف (ي) انحداراً بمنسوب المياه

(١) انظر كتاب لمبارديني في الكلام على موارد النيل سنة ١٨٦٥ صفحة ١٥

وقع فيما بين الثاني عشر من نوفمبر والثامن عشر منه ١٩٠٢ . وعلى ذلك خذ هذا الحرف اصلاحاً لارصاد المقياس قبيل الثاني عشر من ذلك الشهر فيكون الاصلاح كما يأتي

متر	متر	متر	متر	متر
٢,٣٣	٠,٥٠	٠,٨٣ + ي	٠,٠٨ + ي	الارصاد
متر مكعب	متر مكعب	متر مكعب	متر مكعب	التصرفات
١٩٨٥ بالثانية	٩٦٣ بالثانية	١٠٧٩ بالثانية	٦٢٣ بالثانية	

ولقد حسبنا مع ذلك العوامل الدائمة فوجدنا مقدار اولها ٢٨٤ متراً و ٨٠ سنتيمتراً وثانيها متراً واحداً و ٣١٥ مليمتراً وثالثها ٢٨٧ مليمتراً وكون كمية (ي) تقع بين النهايات التي يبتها التقديرات السالفة يجعلنا ان نتخذ تلك الكمية مقدار هبوط مياه النهر في الفترة المشار اليها وان اتخذها اصلاحاً لارصاد المقياس قبيل الثاني عشر من نوفمبر سنة ١٩٠٢ لاخطاً فيه . وهاك جدولاً يتبين منه ما يؤدي اليه القانون من التقارب اللصقي الى النتائج المرصودة

متر	متر	متر	متر	ارصاد المقياس
٢,٣٣	٠,٥٠	١,١١٧	٠,٣٦٧	التصرفات المقاسة
متر مكعب	متر مكعب	متر مكعب	متر مكعب	
١٩٨٥ بس	٦٩٣ بس	١٠٧٩ بس	٦٢٣ بس	التصرفات المحسوبة
متر مكعب	متر مكعب	متر مكعب	متر مكعب	
١٩٨٢ بالثانية	٦٩٦ بالثانية	١٠٨٠ بالثانية	٦٢١ بالثانية	

وليعلم اننا وضعنا الجدول الرابع بحسب القانون كما ترى ك = ٨ و ٢٨٤ (ق + ١٣٥ و ١) $\frac{3}{4}$ فحرف (ق) فيها يكون دالاً على رصد المقياس امتاراً . ومن المعلوم ان منحني التصرف عند اي مواقع من موقع المقياس في نهر من

الانهار هو منحني ينشعب على شكل عقدة مماسة اذا كانت الارصاد احداثيات راسيه تكون هي مقعرة . اذا يكون الفرع الادنى للمنحنى مبيناً مقاييس نهر في ابان الفيض . اما تصرفات كندوكرو فقد استخرجت ايام كانت المياه اخذة في هبوط وربما كانت التصرفات الواردة في الجدول اقل من الحقيقة فيما لو استخرجت ايام تكون المياه آخذة في الارتفاع ولكن بما انه لا دليل على مقدار التخالف والتباين بين فروع المنحنى فلم ندخل على هذه الارقام اصلاحاً ما من اجل استعمالها في مدار فيض النهر . وهاك جدولاً يتبين لك من مقدار التصرف ملايين من الامتار المكعبة قبالة جنجا ووادلاي وكندوكرو في غضون ١٩٠٢ و ١٩٠٣ مخرجةً عن ارصاد المقياس وجداول التصرفات

الموقع	١٩٠٢	١٩٠٣
جنجا	١٧٤٠٠	٩١٢٠٠
وادلاي	١٩٠٠٠	٢٤٢٠٠
كندوكرو	٣٢٣٠٠ (١)	٣٩٢٠٠

اقول ومنطقة حائر الماء الصاب الى النهر عند جنجا تبلغ فساتها زهاء ١٩٠٠٠٠ كيلو متر مربع اذا فرشت بها مياه الامطار كان منها صحيف من الماء بعد غوره قرابة متر وعشر . وبلغ التصرف عند تلك المحلة ثمانية بالمائة من مجموع الامطار في سنة ١٩٠٢ و ٩ في المائة في سنة ١٩٠٣ . وتكون منطقة حائر الماء في الشقة المندرجة فيما بين جنجا ووادلاي زهاء ١٣٢٠٠٠ كيلو متر مربع وغور الامطار الدورية متراً واحداً وعشراً . ففي سنة ١٩٠٨ انساق من هذه المنطقة الى النهر نحو واحد بالمائة من جهة الامطار ونحو ٣ بالمائة في

(١) الاصلاح الاضافي وهو + ٢٨٧٠ قد استعمل لارصاد مقياس كندوكرو

وذلك قبل عمل حساب هذا التصرف

١٩٠٨. اما منطقة حائر الماء في طية ماين وادلای وکندوکرو فمساحتها ٧٢٠٠٠ كيلومتر مربع على التقريب وغور امطارها نحو من متر واحد وعشر. وكان متوسط ما انساح من هذه المياه في تلك المنطقة بقدر ١٧ بالمائة في سنة ١٩٠٢ و ١٩ بالمائة في السنة التالية. ومما يصح ذكره دليلاً على بعض الهبوط بمياه النهر عند کندوکرو بين التاريخين المتقدم ذكرهما هو انه اذا لم نقدر تقديرًا مثل هذا التقدير لكانت التصرفات عند وادلای في بعض اشهر السيل اعظم منها في کندکرو مع ان تصرفات وادلای بعد الذي افترضناه تنتقص عن تصرفات کندکرو كما هو منتظر بالطبع. ثم اننا قد اردنا بهذه المذكرة رسم مقاييس وادلای وکندکرو في حصة من سنة ١٩٠٣ (انظر الرسم الرابع) وذلك لكي نبين الامرين الآتين وهما فعل التحكم في مياه البحيرة بمقياس وادلای وعدم انتظام الارتفاع والهبوط عند کندکرو ومن هذا الموقع يتضح السبب المحلي الاصلی للفيض الغامر

في حساب الانحدار

لقد جهدنا مراراً بان نحسب انحدار النهر في الاماكن التي استخرجت التصرفات قبالتها فكانت الاجراءات في جميع المزار متشابهة وقد تيسر لنا بالمقايير المعلومة التي لدينا ان نستطلع الكميات عن نصف القطر الادروايكي ومتوسط السرعة. وقد عوضنا عن حرف ن في قانون كُتْر برقم ٠.٢٥. واستخرجنا مقدار س (وهو الانحدار) بالمعادلة الناتجة بالتقريب المتعاقب. هذا واني ارى مانعاً واحداً يمنع اتخاذ قوانين كُتْر بهذه الطريقة لان المشهور عنها انها تجعل للانحدارات الصغيرة سرعة عظيمة والعكس بالعكس اي انه اذا كانت السرعة قليلة فهي تجعل للانحدارات مقادير قليلة. بناءً عليه ترى ان الانحدارات التي جاء بها الحساب لا يمكن التسليم بتمام صحتها لكنها تمكننا

(بالمقابلة مع غيرها) من استجلاء المنحدر الحقيقي. هذا وفي بعض الظروف (كأن يكون البحر الأزرق في طور الفيض والبحر الأبيض في طور الفيض عند الدويم وفوق سباط وكذا بحر الجبل على مقربة من بطيحة نو) ترى ان مقدار الانحدار يكون قليلاً جداً. وفي يقيني ان ذلك ناشئ عن ان المياه الفرعية الصابة الى النهر من ممداته تصد ماءه عند تلك النقطة حتى لقد ترى الانحدار معكوساً اي في اقبالة الجرية. ولراجعة مقدار الانحدار قد حسبنا فرق المنسوب بين كدك (فشوده) ولادو فكان كما يأتي

الانحدار	فرق المنسوب
٥,٥	من كدك الى بحيرة نو
١٨,٩	من بحيرة نو الى غابة شمبي
١٥,٨	من غابة شمبي الى بور
١٦,٠	من بور الى لادو

والمنسوب المشهور لمحطة لادو يكون فوق مستوى بحر الملح بقدر ٤٦٥ متراً. واعتماداً على ذلك تكون المناسيب في تلك النقطة كما في هذا الجدول

المواقع	المناسيب المحسوبة	المناسيب المشهورة (١)
كدك	٤٠٩	٤٠٤
بطيحة نو	٤١٤	—
غابة شمبي	٤٣٣	٤٢٤
بور	٤٤٩	٤٤١
لادو	٤٦٥	٤٦٥

ونجد هنا تطابقاً بين المناسيب المستخرجة عن ارساد ايدروليكية وبين

المناسيب المستخلصة من ارساد بارومترية ذلك مما يؤيد صحة استعمال قانون
كُتِر في هذا العمل

مقياس النيل عند كندوكرو

ابتدأ استخراج الارصاد عند هذا الموقع في ٦ ديسمبر سنة ١٩٠٠ وكان
قد بطل عند حصن بركلي من غرة ستمبر سنة ١٨٩٩ الى ٢ ديسمبر سنة
١٩٠٠ . اقول وكان المقياس مصنوعاً من قدة من الخشب السخيف مرقومة
مراقبه اقداماً وقراريط وقد سميناه بمقياس (١) ولكن في ٢٧ مارس سنة
١٩٠١ اقيم مقياس امتن منه صنع من مستطيل من حديد مثبت على عمود
من خشب بمسامير لوليه وهو مشدود الى البر باسلاك . وكان ذلك عند ذهاب
السروليم جارستن الى تلك الاصقاع^(١) وقد سميناه بمقياس (ب) وكانت
مراقبه امتاراً وسنتيمترات غير انه قد فُقد في ١٣ نوفمبر سنة ١٩٠٢ ليلاً فأقيم
بديلاً له سميناه بمقياس (ج) وجعلت اشراطه اقداماً وقراريط وذلك في ١٨
نوفمبر سنة ١٩٠٢

ولما كان تبديل المقاييس على التوالي يجلب الى الارصاد خللاً بيناً اقام
الكبتن لينز جذعاً من خشب الساج على ميل الجرف وثبته به لحاً بحيث
يكون بعيداً عن طرائق المراكب ومجالات فرس البحر . وعلمه امتاراً وجعل
لكل خمسة سنتيمترات علامة . ويكون ميله ستين درجة ولذلك يجب ضرب
ارصاده بعدد ٨٨٦ . لتحويلها الى امتار راسية وبعدد ٤ , ٣٩ × ٨٨٦ و ١
و ٣٤ لتحويلها الى قراريط راسية وهذه التغيرات مبينة في الجدول الآتي

(١) عن كتاب شافان صفحة ٥٢

(٢) انظر تقرير نظارة الاشغال العمومية المصرية سنة ١٩٠١ صفحة ١٩

المقياس	المقياس المستعمل		ارصاد
	الى	من	
ا	٢٧ مارس سنة ١٩٠١	٦ ديسمبر سنة ١٩٠٠	اقدام وقراريط
ب	١٢ نوفمبر سنة ١٩٠٢	٢٨ مارس سنة ١٩٠١	امتار
ج	٨ ابريل سنة ١٩٠٣	١٨ نوفمبر سنة ١٩٠٢	اقدام وقراريط
د	الى اليوم	٨ ابريل سنة ١٩٠٣	امتار

ونرى مما تقدم ان الارصاد استمر استخراجها وصالاً بدون انقطاع الا في فترة ما بين ١٣ و ١٨ نوفمبر سنة ١٩٠٢ وان ارتباطها ببعضها ببعض هو في غاية الضرورة قلت وقد اقيم مقياس (د) في ٩ ابريل وكان رقمه ثمانية واربعين سنتيمتراً اي قدماً واحدة وسبعة قراريط . اما مقياس (ج) الذي قبله فكان رقمه اربعة قراريط ، وعليه يجب ان تضيف ثمانية وثلاثين سنتيمتراً الى ارصاد مقياس (ج) لكي توافق مقياس (د) . ولكن في توفيق مقياس (ب) على مقياس (ج) صعوبة لحدوث فترة كانت خمسة ايام من يوم فقدان مقياس (ب) الى يوم اقامة مقياس (ج) واما ما تأتى من تحويل الارصاد الى امتار فهو كما يأتي

التاريخ	متر	سنتيمتر
١٠ نوفمبر سنة ١٩٠٢	١	٣٧
" " "	١	٤٢
" " "	١	٥٠
" " "	—	—
" " "	—	—
" " "	—	—
" " "	—	—
" " "	—	—
" " "	—	٨٦
" " "	—	٨٤
" " "	—	٨٤

واذا حولنا ارساد مقياس (ب) الى ارساد مقياس (ج) يكون التصحيح ٦٤ سنتيمتراً (هذا اذا لم يكن قد حدث ارتفاع او هبوط في مياه النهر في برهة ما بين ١٢ و ١٨ نوفمبر) . في ذلك الحين كان المستر وستري يراقب تراوح المنسوب وفي اعتقاده انه لم يحدث ارتفاع او هبوط في ايام الانقطاع المذكورة ولكنه لم يدون ايامئذٍ مفكرة بذلك . ولقد اقيم مقياس (ب) في ٢٨ مارس سنة ١٩٠١ وكانت درجته ثلاثين سنتيمتراً يوم كانت درجة مقياس (ا) قد ما واحدة وستة قراريط ونصف . وعليه فيكون التصحيح الواجب احداثه لتحويل ارساده وتطبيقها على مقياس (ب) - ١٦ سنتيمتراً . وهاك جدولاً بذلك التصحيح : -

مقياس	تصحيحات لتحويل الارصاد الى			
	ا	ب	ج	د
	متر	متر	متر	متر
ا	..	٠,١٦ -	٠,٨٠ -	٠,٤٢ -
ب	٠,١٦ +	..	٠,٦٤ -	٠,٢٦ -
ج	٠,٨٠ +	٠,٦٤ +	..	٠,٣٨ +
د	٠,٤٢ +	٠,٢٦ +	٠,٣٨ -	..

ومع ذلك فانك ترى (كما تقدم) انه يوجد داعٍ للاعتقاد بان النيل هبط ماؤه في الفترة الواقعة بين سقوط مقياس (ب) واقامة مقياس (ج) . ولكي تتناسب التصرفات يجب فرض ذلك الهبوط بقدر ٢٨٧ .٠٠ ثم ان جدول التصرف ومجموع التصرف السنوي معاً عند كندكرو في سنة ١٩٠٢ موضوعان على فرض ان هذا المقدار قد اتخذ تصحيحاً اضافياً لارصاد مقياسي (ا) و (ب) . وبما ان النهر يكون في هبوط في عامة شهر نوفمبر فيرجح ان منسوب النهر لم يكن مستقراً على حال فيما بين مقياسي (ب) و (ج) . اما الارصاد التي تبينها

السفر الذي تعين في سنة ١٩٠٣ لاستخراج التصرفات عند منجلا ولادو وكوند كرو فانها تدل على ان فرق المنسوب بين فيض ١٩٠٢ وفيض ١٩٠٣ بلغ نحو تسعين سنتيمتراً مع ان الفرق بين المقياسين بلغ متراً واربعاً وعشرين سنتيمتراً. وعليه فقد أضيف تصحيح قدره زهاء ثلاثين سنتيمتراً الى ارساد مقياس (ب) وبذلك تصبح ارساد مقياس (ا) صحيحة

ج . ي . كريج

الجدول الاول

جنجا

الارساد المقياس	التصرف	الارساد المقياس	التصرف
امتار	امتار مكعبة في الثانية	امتار	امتار مكعبة في الثانية
٠, ٠	٤٩٥	٠, ٨	٥٨٣
٠, ١	٥٠٦	٠, ٩	٥٩٤
٠, ٢	٥١٧	١, ٠	٦٠٥
٠, ٣	٥٢٨	١, ١	٦١٦
٠, ٤	٥٣٩	١, ٢	٦٢٧
٠, ٥	٥٥٠	١, ٣	٦٣٨
٠, ٦	٥٦١	١, ٤	٦٤٩
٠, ٧	٥٧٢	١, ٥	٦٦٠

﴿ الجدول الثاني ﴾

نيل فكتور يا تحت شلالات مركيكن

الارتفاع فوق صفر المقياس	مساحة القطاع	السرعة	التصرف
امتار	امتار مربعة	امتار في الثانية	مكعبة في الثانية
٠,٠	٨٩٤	٠,٦٤٥	٥٧٧
٠,١	٩٢٥	٠,٦٦٤	٦١٤
٠,٢	٩٥٦	٠,٦٨٣	٦٥٣
٠,٣	٩٨٧	٠,٧٠٢	٦٩٣
٠,٤	١٠١٨	٠,٧٢١	٧٣٤
٠,٥	١٠٤٨	٠,٧٤٠	٧٧٦
٠,٦	١٠٧٩	٠,٧٥٩	٨١٩
٠,٧	١١١٠	٠,٧٧٨	٨٦٤
٠,٨	١١٤١	٠,٧٩٧	٩٠٩
٠,٩	١١٧٢	٠,٨١٦	٩٥٦
١,٠	١٢٠٣	٠,٨٣٥	١٠٠٥
١,١	١٢٣٤	٠,٨٥٤	١٠٥٤
١,٢	١٢٦٥	٠,٨٧٣	١١٠٤

صفر المقياس هو منسوب سطح يوم قياس التصرف الذي بإشره السروليم
جاستن

الجدول الثالث

وادلاي

المقياس	مسطح القطاع	السرعة	التصرف
امتار	امتار مربعة	امتار مكعبة في الثانية	امتار مكعبة في الثانية
٠, ٥	٦٨٩, ٥	٠, ٧٨١	٥٣٨
٠, ١	٦٩٧, ١	٠, ٧٨٧	٥٤٩
٠, ٢	٧١٣, ٣	٠, ٧٩٩	٥٧٠
٠, ٣	٧٢٩, ٥	٠, ٨١١	٥٩١
٠, ٤	٧٤٥, ٧	٠, ٨٢٢	٦١٣
٠, ٥	٧٦١, ٩	٠, ٨٣٣	٦٣٥
٠, ٦	٧٧٨, ١	٠, ٨٤٤	٦٥٧
٠, ٧	٧٩٤, ٣	٠, ٨٥٦	٦٨٠
٠, ٨	٨١٠, ٥	٠, ٨٦٧	٧٠٣
٠, ٩	٨٢٦, ٧	٠, ٨٧٨	٧٢٦
١, ٠	٨٤٢, ٩	٠, ٨٨٩	٧٤٩
١, ١	٨٥٩, ١	٠, ٩٠٠	٧٧٣
١, ٢	٨٧٥, ٣	٠, ٩١١	٧٩٧
١, ٣	٨٩١, ٥	٠, ٩٢٢	٨٢٢
١, ٤	٩٠٧, ٧	٠, ٩٣٣	٦٤٧
١, ٥	٩٢٣, ٩	٠, ٩٤٣	٨٧١
١, ٦	٩٤٠, ١	٠, ٩٥٣	٨٩٦
١, ٧	٩٥٦, ٣	٠, ٩٦٤	٩٢٢
١, ٨	٩٧٢, ٥	٠, ٩٧٤	٩٤٨
١, ٩	٩٨٨, ٧	٠, ٩٨٥	٩٧٤
٢, ٠	١٠٠٤, ٩	٠, ٩٩٥	١٠٠٠

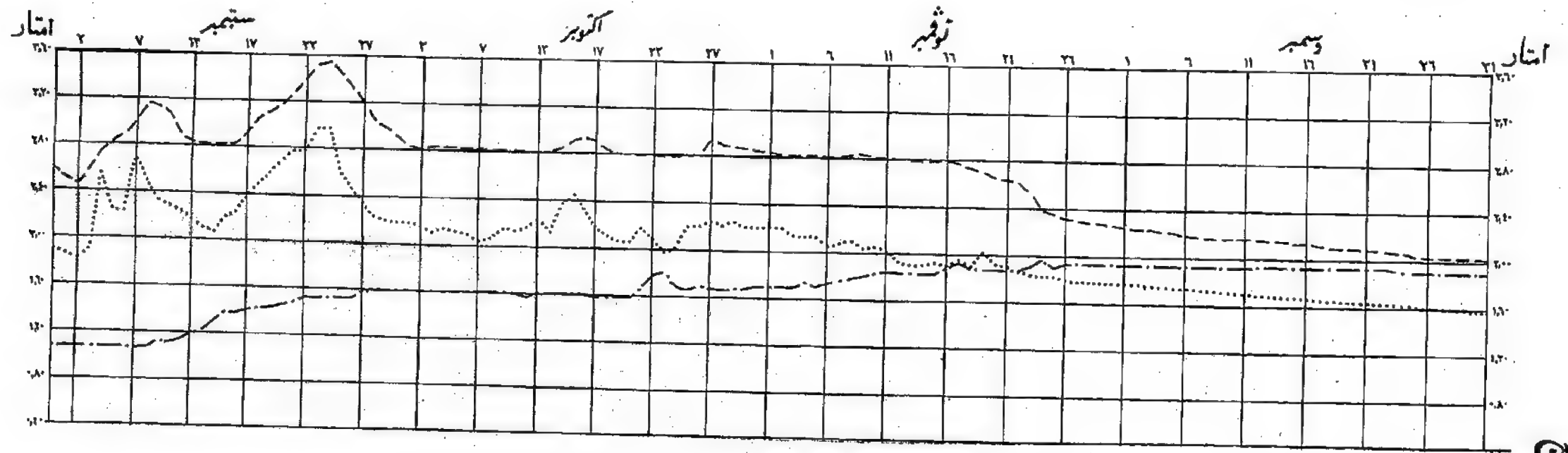
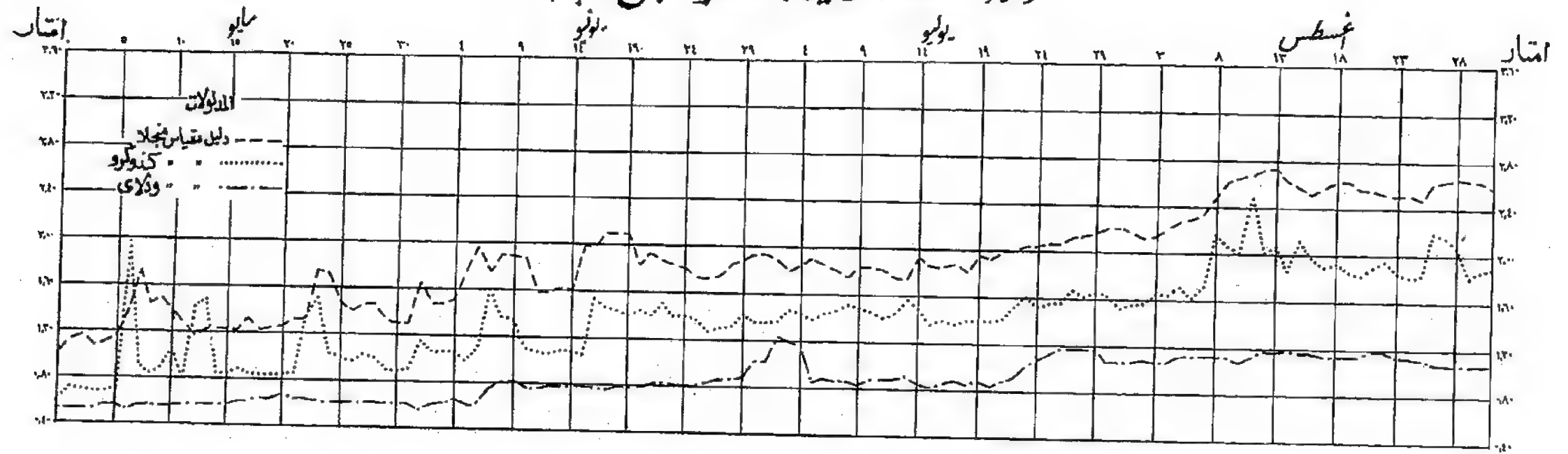
(*) اخط رصدي استخرج في شهر ابريل سنة ١٩٠٢

الجدول الرابع

موقع كندكرو

التصرف	ارصاد المقياس	التصرف	ارصاد المقياس
امطار مكعبة في الثانية	امطار	امطار مكعبة في الثانية	امطار
١٢٧٤	١, ٤	٤٢٩	٠, ٠
١٣٤٤	١, ٥	٤٧٩	٠, ١
١٤١٧	١, ٦	٥٣١	٠, ٢
١٤٩١	١, ٧	٥٨٥	٠, ٣
١٥٦٦	١, ٨	٦٤٠	٠, ٤
١٦٤٢	١, ٩	٦٩٧	٠, ٥
١٧١٨	٢, ٠	٧٥٥	٠, ٦
١٧٩٦	٢, ١	٨١٥	٠, ٧
١٨٧٦	٢, ٢	٨٧٦	٠, ٨
١٩٥٧	٢, ٣	٩٣٩	٠, ٩
٢٠٣٩	٢, ٤	١٠٠٣	١, ٠
٢١٢٢	٢, ٥	١٠٦٩	١, ١
٢٢٠٥	٢, ٦	١١٣٦	١, ٢
٢٢٩٠	٢, ٧	١٢٠٥	١, ٣

ارصاد اتمقاپيس في بحر سبل لسنة ١٩٠٣



جسم الارصاد

الملحق الخامس

تصرفات النيل الأعلى والفروع الممددة

استخرجت بمقياس بريس لقياس الجرية (السرعة)

الراصدون	الراصدون	الراصدون
الكبتن وود	المستر بارون	السير وليم جارستن
الكبتن ولسن	المستر لدل	الكبتن لينز
المستر اسلباخ	الدكتور هيوم	المستر كريج

تصرفات بحر الجبل

المسافة من بحيرة البرت كيلومترات	التاريخ	الصرفات	استخراج	ملاحظات
		امتار مكعبة في الثانية		
٦٤	٢٣ مارس ١٩٠٣	٦٤٦	كريج	
٤٠٤	٢٨ مارس ١٩٠١	٥٦٦	جارستن	
«	٩ سبتمبر ١٢٩٠	٩٦٠ *	كريج	
«	١ أبريل ١٩٠٣	٦٤١ *	لينز	
«	٩ سبتمبر ١٣٩٠	١٧٦١ *	كريج	
٤١٠	٢٩ مارس ١٩٠١	٥٧ *	جارستن	فرع
«	١٣ سبتمبر ١٩٠٢	١١٩ *	كريج	«
«	١ أبريل ١٩٠٣	٥٢ *	لينز	«
«	٨ سبتمبر ١٩٠٣	٢٢٤ *	كريج	«
٤٣٧	١٤ » ١٩٠٣	٢٠٤٦	«	«
٥٦١	١٦ » ١٩٠٣	٨٨٨	«	«
٨٢٠	٤ » ١٩٠٢	٣٩٨	«	«
«	١٨ » ١٩٠٣	٥٣٢	«	«
٨٨٣	٨ أبريل ١٩٠٠	١٨٠	جارستن	فرع
٩٤٢	٢٠ مارس ١٩٠١	٢٢	«	«
«	٣ سبتمبر ١٩٠٢	٤١	كريج	«
٩٣٣	١ سبتمبر ١٩٠٣	٣٧٥	«	«
٩٤٧	١٣ أبريل ١٩٠٢	٣٣١	جارستن	«
١٠٠٣	١ أبريل ١٩٠١	٢٦٢	جارستن	«
«	٢ سبتمبر ١٩٠٢	٣٣٣	كريج	«
١١٤٢	١٤ أبريل ١٩٠٠	٢١٩	جارستن	«
١١٤٦	١٤ أبريل ١٩٠٣	٢٨٥	«	«
١١٤٧	٣١ اغسطس ١٩٠٣	٣١٨	كريج	«

(*) مجموع التصرفات قبالة لادو

التاريخ	التصرفات امتار مكعبة
٢٨ مارس ١٩٠١	٦٢٣
اول ابريل ١٩٠٣	٦٩٣
٩ سبتمبر ١٩٠٢	١٠٧٩
٩ » ١٩٠٣	١٩٨٥

تصرف بحر الغزال

المسافة من بحيرة نو	التاريخ	التصرف	استخراج	ملاحظات
كيلومترات		امطار مكعبة في الثانية		
٥١	١١ ابريل ١٩٠٠	٣٤	جارستن	
٥٠	١٥ » ١٩٠٣	٢٣	»	
٣٣	٢ » ١٩٠١	٢٧	»	
٣٢	٣١ اغسطس ١٩٠٢	١٥	كريج	
٣٢	٢١ سبتمبر ١٩٠٣	٢٠	»	
٢٨	٣٠ اكتوبر ١٩٠٣	١٢	»	

تصرف بحر الزراف

المسافة من المصب	التاريخ	التصرف	استخراج	ملاحظات
كيلومترات		متر مكعب في الثانية		
٩٦	١ مارس ١٩٠٠	٣٤	جارستن	
١٠	١٦ ابريل ١٩٠٣	٥٠	»	
٢٠	٢٢ سبتمبر ١٩٠٣	١٥٨	كريج	
١٠٨	٢ مايو ١٩٠٣	٦١	ولسن	
١٤	٢٩ اكتوبر ١٩٠٣	١١٠	كريج	
٨	٢٢ سبتمبر ١٩٠٢	٩٧	»	
٢٠	٣٠ اكتوبر ١٩٠٢	٨١	»	

تصرف نهر سباط

المسافة من المصب	التاريخ	التصرف	استخراج	ملاحظات
كيلومترات		امطار مكعبة في الثانية		
٤٥	٦ ابريل ١٩٠١	٨٧*	جارستن	
٤٠	١٧ » ١٩٠٣	٤٥	»	
٢٥	١٢٨ اكتوبر ١٩٠٢	٥٧٢	كريج	
٢٥	٢٣ سبتمبر ١٩٠٢	٧٧١	»	
٢٥	١٢٦ اكتوبر ١٩٠٣	٧٦٩	»	
٢٥	٢٦ سبتمبر ١٩٠٣	٨٩٥	»	

(*) الفرق بين تصرفات النيل الابيض فوق مصب نهر سباط

تصرفات النيل الابيض

التاريخ	التصرفات	استخراج	ملاحظات
فوق نهر سباط			
٣٠ أكتوبر ١٩٠٢	٣٣٦	كرج	٧ كيلومترات تحت بحر الزراف
٢٢ سبتمبر ١٩٠٢	٤١٩	»	٦,٥ كيلومتر
٢٢ » ١٩٠٢	٤٥٠	»	٢١ كيلومتر فوق نهر لل
١٦ ابريل ١٩٠٣	٣٤٩	جاستن	تحت نهر الى تماماً
تحت نهر سباط			
٦ ابريل ١٩٠١	٣٨١	جاستن	٢٤ كيلومتراً تحت نهر سباط
١٧ » ١٩٠٣	٣٦٤	»	» » التوفيقية
٢٦ أكتوبر ١٩٠٣	١٠٤٦	كرج	» » » ١٤
٢٥ سبتمبر ١٩٠٢	١٢٧٢	»	» » » ١٣
٢٥ » ١٩٠٣	١٣٠٤	»	» » » ١٣

تصرفات النيل الابيض

استخرجت عند الدويم على مسافة ٣٢٠ كيلومتراً عن الخرطوم جنوباً

التاريخ	التصرفات	استخراج	التاريخ	التصرفات	استخراج
١٩٠٢	امطار مكعبة في الثانية		١٩٠٣	امطار مكعبة في الثانية	
١٣ مايو	٣٤٧	بارون	٤ اغسطس	٧٦٨	بارون
١١ يونيو	٦٥٠	»	١١ اغسطس	٥٧٩	»
٨ يوليو	٧٨٨	»	١٨ اغسطس	٥٣٤	»
٥ اغسطس	٨٦٧	بيدتل	٢٣ اغسطس	٦٥٤	»
٢ سبتمبر	٣٣٠	»	٢٨ اغسطس	٧١٠	»
١ اكتوبر	٨٧٠	هيوم	٢ سبتمبر	٥٧١	»
٢٨ اكتوبر	٨٠٢	»	٧ سبتمبر	٧٣٧	»
١ ديسمبر	٩٣٠	»	١٢ سبتمبر	٦٥٣	»
٢٩ ديسمبر	١٥١٨	»	١٨ سبتمبر	٨٤٠	»
١٩٠٣			٢٤ سبتمبر	٧٦٣	»
٢٧ يناير	٦٦٣	بارون	٧ اكتوبر	١٥٨٨	هيوم
٢٤ فبراير	٤٦٢	»	٣ نوفمبر	١٥٦٣	بيدتل
٢٤ مارس	٥٥٩	»	٢٤ نوفمبر	١٦٦٥	»
٢١ ابريل	٤١٥	»	٨ ديسمبر	١٤٦٢	اسلباخ
١٩ مايو	٤٤٧	بيدتل	٢٢ ديسمبر	١٤٠٣	»
١٦ يونيو	٦٥٨	»	١٩٠٤		
١ يوليو	٨٨٤	»	٦ يناير	١٥٠٨	»
١٤ يوليو	٨٣٥	»	٢٠ يناير	١٤٦٦	»

تصرفات نهر المطيرة

التاريخ	التصرفات	استخراج	التاريخ	التصرفات	استخراج
١٩٠٢ (١)	امتار مكعبة في الثانية	١٩٠٣	١٣ يوليو	٣٣٤	بارون
٢٠	"	١٤	"	٦٠٠	"
٢٧	"	١٥	"	٦٢٥	"
١٠ اغسطس	٢٦٣٢	٢٧	بيدئل	٩٩٠	"
٢٤	٣٠٨٨	٣٠	"	١٤٢٠	"
٨ سبتمبر	٢٨٢٢	٥ سبتمبر	"	٢٠٢٠	"
٢٢	٢٠٩١	١٢	"	٦٩٠	"
٦ أكتوبر	١٦٧٢	١٨	أسلباخ	١٥٢	"
١٩٠٣	١٢٦٧	٢٥	"	"	"
١٦ يوليو	٩٠٢	٢٨	وود	٣٨١	"
٢٣	٩٢٥	٢ أكتوبر	"	٥٣٨	"
٢٧	٧٥٢	٤	"	٧٨٠	"
٢ اغسطس	٧٠٣	٥	"	٧٥٨	"

(١) استخراج تصرفات هذه السنة على مقربة من كوبري سكة حديد المطيرة . اما تصرفات ١٩٠٣ فقد استخرجت عند محطة ابادار على بعد ٣٩ كيلومتراً فوق مصب المطيرة

تصرفات النيل الازرق (١)

مرصودة قبالة الخرطوم على بعد ٧ كيلومترات عن مقترنه بالنيل الابيض

التاريخ	التصرفات	استخراج	التاريخ	التصرفات	استخراج
١٩٠٢	امطار مكعبة في الثانية	١٩٠٣	١٩٠٢	امطار مكعبة في الثانية	١٩٠٣
٩ مايو	١٨٤	٢٠ مارس	٩ مايو	١٨٤	بارون
٢٣ مايو	١٩٤	٣ ابريل	٢٣ مايو	١٩٤	«
٦ يونيو	٦٠٤	١٧ ابريل	٦ يونيو	٦٠٤	«
٢٠ يونيو	٦٩٥	١ مايو	٢٠ يونيو	٦٩٥	«
٢٧ يونيو	٨٢٧	٨ مايو	٢٧ يونيو	٨٢٧	«
٤ يوليو	١٠٣٢	١٥ مايو	٤ يوليو	١٠٣٢	«
١١ يوليو	١٤٥٣	٢٢ مايو	١١ يوليو	١٤٥٣	«
١٨ يوليو	١٦١٢	٢٨ مايو (*)	١٨ يوليو	١٦١٢	«
٢٥ يوليو	١٨٨٥	٦ يونيو	٢٥ يوليو	١٨٨٥	«
١ اغسطس	٣٤٢٠	١٩ يونيو	١ اغسطس	٣٤٢٠	«
٨ اغسطس	٤٨٨٥	٢٦ يونيو	٨ اغسطس	٤٨٨٥	بيدتل
١٥ اغسطس	٤٧٢٠	٣ يوليو	١٥ اغسطس	٤٧٢٠	«
٢٢ اغسطس	٥٥٤٠	١٠ يوليو	٢٢ اغسطس	٥٥٤٠	«
٢٩ اغسطس	٧١٨٠	١٧ يوليو	٢٩ اغسطس	٧١٨٠	«
٥ سبتمبر	٦٥٨٠	٢٤ يوليو	٥ سبتمبر	٦٥٨٠	«
١٢ سبتمبر	٥٨٠٠	٣١ يوليو	١٢ سبتمبر	٥٨٠٠	«
١٩ سبتمبر	٥٧٦٠	٥ اغسطس	١٩ سبتمبر	٥٧٦٠	«
٢٦ سبتمبر	٤٨٦٠	١٠ اغسطس	٢٦ سبتمبر	٤٨٦٠	«
٣ اكتوبر	٤٨٨٠	١٤ اغسطس	٣ اكتوبر	٤٨٨٠	«
١٠ اكتوبر	٣٢٥٠	٢١ اغسطس	١٠ اكتوبر	٣٢٥٠	«
١٧ اكتوبر	٢٤٦٠	٢٨ اغسطس	١٧ اكتوبر	٢٤٦٠	«
٢٤ اكتوبر	٢٠٣٠	٤ سبتمبر	٢٤ اكتوبر	٢٠٣٠	«
٣١ اكتوبر	١٢٤٤	١١ سبتمبر	٣١ اكتوبر	١٢٤٤	«
٧ نوفمبر	١٢٧٢	١٨ سبتمبر	٧ نوفمبر	١٢٧٢	«
١٤ نوفمبر	١٠٣٥	٢٥ سبتمبر	١٤ نوفمبر	١٠٣٥	«
٢١ نوفمبر	٨٠٢	٢ اكتوبر	٢١ نوفمبر	٨٠٢	«
٢٨ نوفمبر	٧٨٧	٩ اكتوبر	٢٨ نوفمبر	٧٨٧	«
٥ ديسمبر	٦٥٤	١٦ اكتوبر	٥ ديسمبر	٦٥٤	«
١٢ ديسمبر	٤٨٦	٢٣ اكتوبر	١٢ ديسمبر	٤٨٦	هيوم
٢٣ ديسمبر	٤٧٦	٣٠ اكتوبر	٢٣ ديسمبر	٤٧٦	«
١٩٠٣		٦ نوفمبر	١٩٠٣		
٢ يناير	٣٤٨	١٣ نوفمبر	٢ يناير	٣٤٨	«
٩ يناير	٢٧٠	٢٠ نوفمبر	٩ يناير	٢٧٠	«
١٦ يناير	٢٤٨	٤ ديسمبر	١٦ يناير	٢٤٨	«
٢٣ يناير	٢٥٠	١٨ ديسمبر	٢٣ يناير	٢٥٠	بارون
٦ فبراير	٢٢٦	٢٥ ديسمبر	٦ فبراير	٢٢٦	«
٢٠ فبراير	١٥٢	١٩٠٤	٢٠ فبراير	١٥٢	«
٦ مارس	٢٠٢	١ يناير	٦ مارس	٢٠٢	«
		١٥ يناير			«
		٤٨٨			«

(١) استخراج القطاع على مسافة ٥٠٠ متر عن الموقع الاول . قابل الرسين المشار اليهما بحرفي (ب ا) و (ت ب)

الملحق السادس

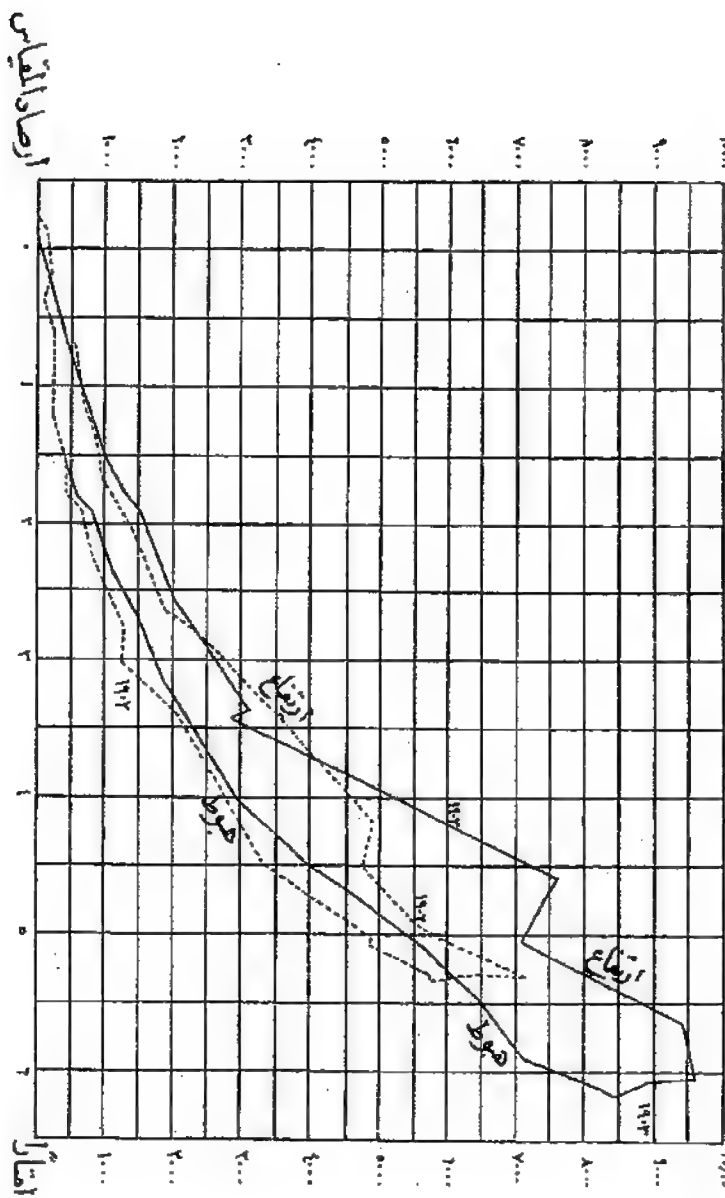
بعد ترقيم كتابي عن موارد النيل الاعلى عاودت الرحلة الى تلك الاصقاع وظللتُ سافراً صعباً فيه حتى صرتُ الى الجنوب عن كندكرو وجمعتُ في اثناء تجوالي انباء شتى تتعلق بمطالب يينتها في ذلك الكتاب . وقد ادرجت هذه الانباء في هذا الملحق بالايجاز اذ هي لا تخلو من الفائدة . اقول اني وجهت افكاري يوم تمعدتُ الرحلة الى ثلاثة امور الاول تكثير مقاسات التصرف في الانحاء الجنوبية القصوى واستخراج مقدار ما يتبدد من المياه بالمناقع في صميم الحرّ يوم تكون مناسيب النيل في احط انحطاطها . والثاني استكشاف المجاري الكبرى الفرعية التي يقال انها تقع الى الشرق عن البحر الاعظم فيما بين بور وغابة شمي والبحث في امرها . والثالث تعهد حصّة من بحر الجبل تعرف بالمسالك الخامس عشر وهي القطعة التي فكّك اللفتنت دروري (من البحرية الملكية الانجليزية) والمستر بُول (من موظفي حكومة السودان) مساكنها . ولكل من هذه المطالب الثلاثة عندي كلام على ذات حدته فأقول اولاً تصرفات بحر الجبل والبحر الابيض في شهر مايو سنة ١٩٠٤ — قلت في الصفحة الثلاثمائة والخمسين من كتابي ان تبدد المياه فيما بين لادو وبور في ازمان اقاصي الفيض لم يزل سببه غامضاً اذ لم تستخرج تصرفات المياه في تلك الحصّة عند بور وكان من ضمن اغراضني في هذه الرحلة تدارك هذا الإغفال والتثبت بالارصاد من مقدار الماء المتبدد بين هاتين النقطتين . ويسوّني ان تكون هذه السنة غير ملائمة مطلقاً للوصول الى ذلك الغرض لان مناسيب بحر الجبل المرصودة في جنوب بور خلال دوري الشتاء والربيع دلّت على ارتفاع متواصل . وبعد فيض السنة الخالية (وكان فيضاً مكثراً) لم تهبط المياه هبوطاً عظيماً مثل هبوطها في السنين التي سلفت

الرسم الخامس (ب)

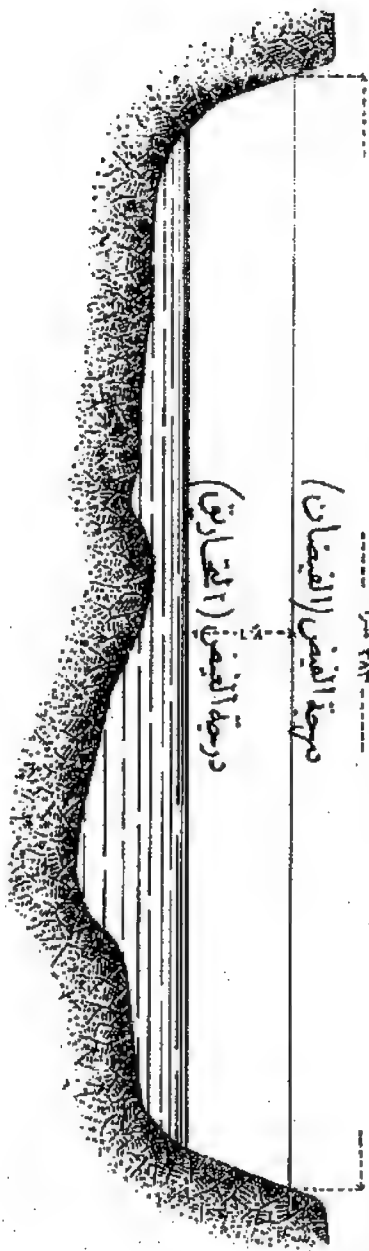
إحداثيات المكنة
والثانية الواحدة

حدود التصرف بمقياس الخسطوم

إحداثيات المكنة
والثانية الواحدة



قطاع عام للنيل الأزرق ويجو والمخطوم
مقياس رأسى - مقياس أفقى - مقياس رأسى



قطاع عام للنيل الأزرق ويجو والمخطوم
مقياس رأسى - مقياس أفقى - مقياس رأسى



ففي اول مايو سنة ١٩٠٤ كانت درجة مقياس كندكرو اعلى منها في سنة ١٩٠٣ بقدر اربعين سنتيمتراً وفي ١٤ من ذلك الشهر يوم استخرجت المقاييس كان الفرق بين مناسيب العامين المذكورين مفرطاً اذ بلغ ٥٠ سنتيمتراً وقد بقيت المناسيب على ما هي عليه في خلال الاشهر الاول من سنة ١٩٠٤ وبلغت من الدرجة اقصاها في ١٦ و ١٧ و ١٨ ابريل فكانت في الاول ٩٤ سنتيمتراً وفي الثاني ٩٨ وفي الثالث ٩٦^(١). وسبب هذا الارتفاع في شهر ابريل هو سقوط امطار غامرة في عامة وادي النيل الاعلى ويحيى بعقب هذه الايام فترة طويلة حبست السماء فيها امطارها وكان مرقوم المقياس في ١٤ مايو ثلاثة وثمانين سنتيمتراً فقط ، ومع ذلك كان هذا المنسوب ارقى من متوسط المناسيب في السنين السالفة في مثل هذا اليوم^(٢). وبما ان مياه النهر كانت متعاطمة كانت التصرفات القربى التي تطلعتها لا تدل على تبدد الماء في جهة مدّه لكنها تدل عليه لحصة يكون منسوب الماء فيها متوسطاً وبذلك تكون ذات فائدة تذكر فقد بلغ التصرف في ١٢ مايو سنة ١٩٠٤ قبالة بور ٨١٣ متراً مكعباً في الثانية يشمل ذلك نهير اليااب وكان في الرابع عشر منه تجاه لادو^(٣) ١١٣٨ متراً مكعباً في الثانية

وقد استبان بمقياس كندكرو فيما بين ١٢ و ١٤ مايو ارتفاع طفيف بقدر ١٦ سنتيمتراً وهو ارتفاع يحط قليلاً من مقدار التصرف عند لادو في اليوم القرين

(١) كانت مراقي المقياس في تلك الايام من سنة ١٩٠٣ ستة وخمسين سنتيمتراً في الاول و ٥٣ سنتيمتراً في الثاني ومثلها في الثالث
(٢) يستدل من مقياس كندكرو انه منذ فيض ١٩٠٣ لم يهبط المقياس الى ما دون ٦٢ سنتيمتراً

(٣) يرى مما تقدم (فصل التصرفات صفحة ٣٣٩) ان هذا المقدار اكثر من مقدار اقصى الفيض في سبتمبر سنة ١٩٠٢ يوم كان عند محلة لادو ١٠٧٩ متراً مكعباً في الثانية

اليوم الذي قيست فيه المياه وجازت موقع تصرفها الجنوبي . وكان الفرق زهيداً حتى لم اعتد به لكنني حسبت المناسب ثابتة — وعليه يكون تبدد المياه في ما بين لادو وبور كما يأتي

المتصفات	متر مكعب في الثانية
عند محطة لادو	١١٣٨
عند محطة بور	٨١٣
الفرق	٣٢٥

وذلك يعادل تبدداً قدره نحو ٢٨ بالمائة . — اقول وقد ورد في كتابي ان المياه المارة قبالة لادو في عالية الفيض ينفرط نصفها قبل بلوغها الى بور . وقد سبق ان سبب هذا التبدد ناشئ في الاغلب عن انسياب المياه مستبحرة في الوادي محدثة بذلك غدراناً وبطائح . على ان تبيان اسباب التبدد في شهر مايو الماضي ليس بالامر اليسير لان الارض التي يتفجر اليها الماء على هذه الطريقة قليلة الانفساح . ولا ريب في ان شيئاً من الماء يتصاعد بخاراً من المجاري الضحلة المستبطحة التي ينشعب بها لكنني اقول ان السماء كانت ايامئذ غائمة مضيئة جوها مرطوب الى حد الافراط . وفي زعمي ان مقداراً جسيماً من الماء تترشقه الانبات المنساب هو من بينها ولا بد للمقاصب الملتفة المتشابكة القائمة على جوانب تلك المجاري ان تمتص مقداراً عظيماً من المياه وفي يقيني ان هذا هو السبب الأكبر لضياع الماء هدرًا وقد يقل مقدار ما يضيع في السنين ذات الفيوض المقلّة ولكن لا بد من التبدد على قدر في كل سنة اضطراراً . والعلاج الناجع يكون بأن يجعل النهر مسيلاً فرداً وتسد جميع المجاري الاخرى بمصانع واحباس وافية بالغرض كالتي عرضتها في كتابي المتقدم ذكره ولا صعوبة كبرى في اقامة هذه

المصانع في الجنوب عن بور فاذا أنشئت قلّ بها تبديد المياه جداً^(١) . وقد استعملت مقدار التصرف في البحر الأبيض الى الشرق عن مقترن بحر الزراف والى الغرب عن مجتمع نهر سباط وكان قصدي بذلك استكمال نسيق ارضادي لسنة ١٩٠٤ . وقد استخرجت ايضاً التصرفات في بحر الجبل وبحر الزراف في مواقع التصرفات المعلومة على مسافة بعض الكيلومترات من مصابها . وتعمدت ايضاً بحر الغزال لأتبيّن تصرفه ولكنني لم اجد له جرية عند موقع التصرف المعلوم وفوق خور دليب . فلم يدل مقياس الجرية على شيء من السرعة في جميع الاعماق التي ارسلناه اليها في اجواف النهر . وعليه فقد اغفلنا تصرفه واتخذنا تصرف بحر الأبيض في شهر مايو سنة ١٩٠٤ فكان تصرف بحر الجبل في ٢٢ مايو سنة ١٩٠٤ عند الكيلومتر ١١٤٧ ثلاثمائة ومترين مكعبين في الثانية . وتصرف بحر الزراف في ٢٣ مايو سنة ١٩٠٤ مائة واربعة وعشرين متراً مكعباً فيكون تصرف البحر الأبيض إذاً اربعمائة وستة وعشرين متراً مكعباً في الثانية . فيعلم من ذلك ان ما يتبدد من الماء متبطحاً في المناقع فيما بين لادو والبحر المذكور يكون ٧١٢ متراً مكعباً أي زهاء ٦٢ بالمائة من مجموع جرم الماء الصاب من مهب الجنوب . ويكون فيما بين بور والبحر الأبيض ٣٨٧ متراً مكعباً في الثانية . ويكون مقدار المفقود في بُعد ما بين الموقعين قريب ٤٧ في المائة . واعلم ان هذه الارقام قد جاءت مؤيدة لما كنا قد بيناه من قبل لكنها مع ذلك تستحق الاعتداد بها لاجل انها تدل على جرم المياه الهائل الذي يتبدد في كل عام ودور على التوالي وان فيض النيل ولو يكون وافياً كما في السنة التي نحن فيها لا يزيد مقدار المياه الذاهبة في البحر الأبيض الى مقترن نهر سباط . وقصاري القول ان ارضاد هذا العام يؤخذ منها ما يأتي

(١) اشير بذلك الى زمن الفيض اماً في زمن الفيض فلا بد من حدوث التبديد

لكنه في ذلك الحين لا يكون ذا شأن يلتفت اليه

(اولاً) ان تصرف بحر الجبل عند لادو خلال شهر مايو سنة ١٩٠٤ جاء
ينيف على معظم تصرف الفيض في سبتمبر سنة ١٩٠٢
(ثانياً) ان مقدار ما اجتاز من الماء قبالة لادو قاصداً الى بور كان عند بلوغه
اليها قد تبدد منه ٢٨ بالمائة من مقدار حجمه (والمسافة فيما بين المحلتين
١٧٨ كيلومتراً) . ولم يبلغ مقترن بحر الزراف بالنيل الابيض حتى تناقص بقدر
اثنين وستين بالمائة

(ثالثاً) ان تصرف بحر الزراف في شهر مايو سنة ١٩٠٤ كان يفضل
متوسط التصرف في تلك السنة بكثير^(١)

(رابعاً) انه مع تعاضم المياه ببحر الجبل فوق المساكن لم يكن جرم المياه
التي اجتازت الى الشرق عن بحيرة نوقط باعظم منه في السنين السالفة اذ
كانت التصرفات في الاصقاع القبلية اقل من ذلك بكثير . ذلك مما يؤيد
ما ورد في كتابي وهو ان تصرف بحر الجبل عند منفذه يكون دواماً من بين
ثلثمائة الى خمسمائة متر مكعب في الثانية . ولم ينحط قط الى ما دون التصرف
المتقدم ذكره ولم يرق الى ما فوق خمسمائة متر مكعب مهما كانت اطوار النهر
في جوار محلي كوندرو ولادو

اما المطلب الثاني وهو استكشاف فروع بحر الجبل الشرقية فيما بين بور
وغابة شمي ففيه اقول ان المستر كروجن قد استلقت الانظار في كتاب له^(٢)
حديث العهد^(٢) الى مسيل عظيم يقع الى الشرق عن النهر وقد أتى فيه على
طبائع ذلك المسيل وسماه بنيل جرتود ثم تتبع ضفيره الايمن في مسافة باسطة
بعيدة فسار من محلة بور الى بحر الزراف . ولا ريب في انه قد وقعت له في

(١) ان هذه الزيادة ربما كانت ناشئة عن تعاضم الفيض في سنة ١٩٠٣ اذ استاقت

مياهه المساك الى المجاري الرافدة الواقعة في هذا البحر

(٢) عنوان الكتاب « من الراس الى القاهرة » طبع في لندن سنة ١٩٠٠

رحلته الناصبة مشاق كثيرة في مباشرة الارصاد ومع ذلك فان ما جاء في رسمه وتخطيطه هو غاية في الدقة يتبين منه وجهة مذرج النهر العامة ويعلم منه مطارحة . واما المجاري الفرعية الواقعة على الجانب الايسر فلم يتيسر له تعهدا ولا تمكن من متابعة جريته بعد انقلابه عن الانحاد والمرتفعات وهيامه في بطون المناقع . ولما ان حاول الكبتن لدل مدير تفرافات السودان منذ عهد قريب استطلاع مدب موافق لاقامة الاسلاك فيه اصاب مسيلاً عظيماً السمة يقع الى الشرق عن محلة ابو كيكا . وقد تأتى لي ايضاً يوم كنت ابشر مقاسات بحر الجبل (بموازرة الكبتن لينز) ان ألمح ببصري اونة بعد اخرى من ظهر البخارية مسيلاً مستوسماً حاشيته غاصة بسامق القصب وهو يساير النهر من شرقيه يكاد يكون على موازاته . وقد رأيت اصابة الرأي في استقصاء هذا الفرع لعل استقصاءه يؤدي الى مشروع من المشاريع الممكنة الاجراء لاصلاح بحر الزراف ولذا تعهدته في شهر مايو الغابر فاستكشفتة انا والكبتن لدل على قدر ما وصل اليه جهدنا وخططنا المجاري العديدة التي قصدنا اليها في تلك الانحاء^(١)

قلت ونيل جرتود معروف عند أمم الدنيا بمسيل العظم وسائبر على هذه التسمية في سياق هذه النبذة . أقول ان مأخذ هذا المسيل غامض من حد محلة بور ولذلك كان رسم المستر كروجن من هذه الحيثية مغلوطاً فيه لان المسيل ينشأ من نقطة تكون الى الشمال عن بور^(٢) على مسافة

(١) تدل الخريطة الملحقه بهذه النبذة (وهي منقولة عن خريطة أخرى كانت قد ادرجت في تقريرى الذى نشرته سنة ١٩٠١) على مسایل هذا النهر الكثيرة كما رسمها الكبتن لدل عن المسامح العرضية التى باشرها حديثاً

(٢) ان تعذر الوصول الى وقود لاجراء البخارية وانسدام النهر بالمساكن من الجانبين قد صدنا عن متابعة هذا المسيل حتى عدوته القصوى

شاسعة ومادته محوثة من عدة مهارب ونواشط تنساب من الجروف الشرقية لبحر الجبل خلف محلة بور وهذه المهارب عديدة جداً ويتعذر تعيين مأخذها لانه ليس من هذه المهارب ما هو وافي السعة فيعد مصدراً كبيراً للإيراد^(١). والمرجح ان مادة نهر العظم هي من مزاج تلك المهارب وهي تحترق المساكات والمناقع وتتضام معاً فتكون مسيلاً واحداً عظيم الحجم يذهب في سمت الشمال مكاناً للانجاد التي الى شرق وادي النهر. اما نقطة انفصاله عن بحر الجبل ففيها ريب ولكن نقطة تلاقيه بعد انشعابه فلا ريب فيها فهو يصب فيه عند الكيلومتر السبعائة من خورين كبيرين متقاربين تكون سعة كل منهما من ٢٠ الى ٢٥ متراً. وعند الكيلومتر السبعائة والخامس والخمسين خور ثالث^(٢)

تقدم ان نهر العظم يسير في مدى طويل من مسيله حزون الارض الى الشرق عن وادي النيل فاذا بلغت من طوله مسافة ٥٠ أو ٦٠ كيلومتراً عن المحلة تراه غير صالح للملاحة لان المساكات تحول دونها في حصصه العليا وانما تراه الى الشمال عن هذه النقطة مكشوفاً ومجرأً وسيماً انيقاً يكون

(١) لم يتمكن من العثور على منفذ وسيع في بحر الجبل لاجراء البخارية فيه ولكننا وجدنا بين الكيلومتر ٥٩٠ و ٦٠٠ مجريين لو اكتسحا بالتنقية والتطهير لصلحا للملاحة ولعلهما كانا في ما مضى مدخلاً للنهر لأن امم الدنيا كافة يقولون أن أمير الدراويش عرابي ضاف الله دخل مرة إليه من هذا الممر ببخاريته وحدرها به شمالاً الى نقطة انشعابه بشعبتين اما اليوم فيتعذر مثل هذا المسلك

(٢) حدث في عامي ١٩٠٢ و ١٩٠٣ ان المياه كانت تجري في هذه المسائل متراجعة من بحر الجبل جارية الى نهر العظم والعامان المذكوران كان فيضهما مقللاً وربما كان سبب ذلك ان نهر العظم يكون في مثل هذه الظروف احط من بحر الجبل فيسيل البحر اليه يينا تكون الحال على عكس ذلك في الفيض المكثر مثل فيض هذا العام

متوسط سعته من ٦٠ الى ٨٠ متراً وقد يكون أكثر من ذلك لكنه في مواقع أخرى يصير الى ٢٠ متراً أو أقل . ويرى لأول وهلة انه نهر أكبر شأنًا من بحر الجبل لان جريته أشد وعامة مسيله أقوم واعدل ويقدر ان يكون غوره في انحاء مسيله العليا ابعد من مترين الى مترين وخمسة سنتيمترات ومادته هناك ليست بكثيرة^(١) وهو يسير هذب الغابة الى منتصف طوله . والغابة اشرف ما رأيته الى الآن من الغابات في ارض السودان مع ان المياه طفت عليها في سنة ١٩٠٤ فاغرقتها في مسافة باسطة عن جرف النهر فهي غاصة بصنوف الاشجار الكبيرة جميلة المنظر كثيرها يختلف عما تبيته من جنسها في أماكن أخرى . والارض تكون في مواقع منها انشازاً قائمة وكثيراً ما يصادف الزائد هناك شيئاً من عمارة الدنكا . ولا بد من وجود الخلق الكثير ايضاً على مسافة ليست قصية عن النهر اذ مادي القوم بنجر اقتراب السفينة الى البر حتى تجمهروا على الشاطئ ، جمّاً غفيراً قد نزعوا في بادىء الأمر الى الجفول والنفار لكنهم مالبثوا أن انسوا بنا ومالوا الى ارتقاء السفينة . وذكر جمهورهم محيى عرابي ضاف الله الى ارضهم وبعضهم اشار الى محيى المستركروجن الى تلك الاصقاع ولقد يلوح لي ان قطعة من هذا المسيل لم يسبق ان تعهد لها أحد من البيض قبلنا . وقد اخرجوا ان الماء طما في هذه السنة الى مسافة عدة كيلومترات عن النهر وانه عندما مر كروجن به كان في مفرط الفيض والبر يومئذ ييس^(٢) ويوجد فيما بين نهر العظم وبحر الجبل غمر من المنافع فسيحة الاقطار لا يجتازها سوى الفيل وفرس الماء ويندر ان ترى

(١) قست في ١٩ مايو تصرف نهر العظم عند انشعابه بفرعين فوجدت تصرفه

١٤٩ متراً مكعباً في الثانية يقابله ٨١٣ متراً في بحر الجبل عند محلة بور

(٢) ذلك هو الواقع فان النيل الأعلى كان هابط المنسوب في شتاء ١٩٠١

شيء لم يعهد له مثيل والآن لما تهياً لانسان متابعة ضفته

البردي في تلك البقعة . واخص القصب النابت في ذلك الصقع انما هو قصب
ام صوف . ويتخلل هذه المناقع كثير من « الميات » . ثم يشاهد الرائد آونةً
بطائح مستعرضة . وقد يكون في تلك المناقع جزر ارضها يابسة منسوبها ارفع
من سطح المناقع بنصف متر الى متر وبعضها وسيع النطاق يطيف بها جمعاء
غدير بعيد الغور جداً . وفي اديم الارض قرى النمل وطوائف متفرقات من
النخيل او الشجر المعروف عندهم بابي صدر^(١) واناسي تلك الارض شراذم من
قوم الدنكا فهم وحدهم يختلفون الى تلك الجزر للقنص والصيد . اقول والنهر
ينفسح في عدة مواضع فيكون منه نسيق من الغدارن الفسيحة القريبة الغور
ملأى بمواد المساك وفي اماكن أخرى تراه ينشعب بمسيلين او اكثر تنساب بين
الاعشاب وتلتقي بعد هجر فتكون نهراً واحداً . والارض ما خلا المكان الذي
يلاز فيه نهر العظم الغابة موحشة تنقبض من سيمائها النفوس ولكنها حافلة
بالحيوان . ويشرع في اجواف النهر فرس الماء وهي من الكثرة بحيث لا يحيط
بها عد في كل جون وغدير وهي أجراً في تحرشها للبخاريات من سائر دواب
الماء في ما تعهدته من اصقاع السودان والفيله هناك جمة وجماعاتها منتشرة في
كل مكان على ضفتي النهر وهي تصيب رزقها بالغالب في المناقع العميقة . والجزر
ارباض مستحبة للايل وهو نادر فيها^(٢) . وعند الكيلومتر الخامس والتسعين
الى الشمال عن محلة بور ينشعب النهر بشعبتين تعرف اليسرى اي الغربية
منها بشعبة او اي والشعبة اليمنى يطلق قوم الدنكا عليها اسم شعبة ميدانج . وها
انا واصف لك هذه الشعبة فاقول . تراها حيث المنشعب نهراً معجباً للعين

(١) تكثر هذه الشجر في اقليم الاغندا وتعرف عند أمم تلك البلاد بشجر
الكركدن والمريس ويطلق عليه الأعراب اسم ابو صدر لان جرم ثمره يشبه نهد الفتاة
(٢) عرفته السيدة كراي بوعل الجبل

فسيح السمة شديد المضي مذهبهُ سمت الشمال الشرقي لكنه في مواضع يسير الى الشرق تَوًّا وتكون سمته على مسافة عن منقسمه من بين ٦٠ الى ٧٠ متراً وغوره مترين وخمسة سنتيمترات الى ثلاثة امتار . ومن ثم تنقص ابعاده فتقل سمته ويقرب غوره فوراً في عدة كيلومترات من طوله فيكون منفرجه على تسعة كيلومترات عن نقطة انفصاله عشرين متراً فقط^(١) ومن ثم يتضايق جداً في الشمال عن هذه النقطة ويسير متعوجاً في اديم المناقع ثم تسدده المساكات ولا بد ان تتطرق مياهاهُ رامية الى بحر الزراف او هي تسقط في الغدران فيكون عليها مدار ايراده كذلك يقول امم الدنكا . والنهر مشهور بكثرة نخيل الدلب متفارق الجماعات نضرة المنظر متباعدة عن المناقع الحافة بها . ولولا هذا الغرس لكان البر الذي يشق فيه هذا الفرع مناقع لا يؤمل بها . والنزول الى البر متعذر حيثما كان (الا عند مشرع نوي) اذ ليس للنهر هنالك جروف البتة فانت لا ترى في سمت الشرق معالم تدل على تواصل المرتفعات . واذا تعهدت هذا النهر يتبين لك انفساح مناقع بحر الجبل . اما فرع أواي عند انشعابه من نهر العظم فهو في العيان أصغر كثيراً من فرع ميدنج . يكون مجراه هناك متضايق السمة متعوج الجرية فلا تليف سمته في مواضع منه على خمسة امتار حتي اننا لم نتمكن من اجراء بخاريتنا من بين ثناياه ومقاطعه العديدة الا بالجهد والعناء لكنه بعد ذلك بكيلومترين أو ثلاثة يستوسع فتكون فرجته من ٢٠ الى ٣٠ متراً وغوره من ثلاثة الى اربعة امتار وهو سريع المضي شديد الجرية وعامة سيره في سمت الشمال الغربي ومسيله معتدل الاستقامة . والى ما وراء مجراه الضيق

(٢) على نحو كيلومتر من نقطة انشعابه (وهي نقطة منظورة بشجرة فردة من شجر ابو صدر) هناك مشرع اي موردة قسم توي والنزول الى البر غير مستطاع الا في زورق محوَّف بالمناقير يشق في المنقع في طول كيلومتر ونصف الى كيلومترين

بعد مأخذه تكون الملاحة مستسهلة حتى مقترنه ببحر الجبل . اقول واذا اخذت الى الكيلومتر التاسع هناك تمرُّ بجزيرة فجاج وهي قطعة من اليبس وطيفة الصخيف قد تكون اعلى من سطح المناقع بقدر اربعين سنتيمتراً فقط ومساحتها من ستة الى سبعة كيلومترات مربعة قليلة الادغال كثيرة قرى النمل يطيف بها مستنقعات مترامية الاطراف^(١) . وفي هبوطنا الى الكيلومتر العاشر مررنا بجزيرة أخرى ابلغ من تلك حجماً مشهورة بجزيرة اكويت تقع على جانب النهر الايمن لها طول يكون نحو ستة كيلومترات وعرضها من ثلاثة الى اربعة . والى ما وراءها شرقاً تكون المناقع برأى العين منبسطة متباعدة وفي مواضع ترى اديمها يماسّ جرف النهر ويختلف الى هذه الجزيرة جماعات الصيادين من أم الدنكا وهي اشبه بجزيرة فجاج مفترشة بقرى النمل ومنابت الادغال المديدة الطول وبعض نخيل الدلب على قلة . ويشاهد في جوارها طوائف الفيلة على كثرة . والى الشمال عنها يستبحر مجرى النهر فيصير مسيلاً منيفاً تختلف سعته من ٦٠ الى مئة متر مربع ويبلغ غوره من ثلاثة الى اربعة امتار يصنع له فجّة في منابت البردي ويكاف الغدران او يشق فيها بسماطٍ من مستعرض الغدران قد انعقدت فيها جميعاً مادة المساكات تكون مساحتها عدة كيلومترات مربعة وهي كبيرة الحجم حتى لقد يصح ان تعدّ بحيراتٍ ويرمي اليها من كلا الجانبين عدة مجارٍ جالبة اليها ماء هو مستحلب المناقع المجاورة . ولا اخال سعة المناقع الواقعة الى شرق بحر الجبل تجاه محلاتي الكنيسة وشمبي الاّ عدة كيلومترات ولا اظنها اوسع من ذلك في اية حصّة من مسافة طولها^(٢) . واذا كنت من منشعب نهر العظم على ستة

(١) يقال ان هنالك خوراً صالحاً لتسيار الزوارق تجري فيه من حد هذه الجزيرة

الى بحر الجبل قبالة ابو كيك

(٢) لقد ارتكب مكتب الرسم خطأً ممقوتاً في رسم خريطة هذه الحصّة من

وثلاثين كيلو متراً في سمت الشمال تقع الى مسارب نهر اوامي المفضية الى بحر الجبل . هناك يتقارب المجران حتى لا تكون بُعداً ما بينهما غير مثني متر . وتكون جرية الماء من احدهما الى الاخر شديدة لا تطاق . والى ما بعد هذه المسارب ييسر يكون نهر اواي في سمت الشمال منتقص المقدار . ومن ثم تتضايق سمته تدريجاً حتى تصير الى ثلاثين او اربعين متراً ويقرب غوره حتى يكون من مترين الى ثلاثة امتار . وعند الكيلومتر السادس والاربعين هناك يقرنه مسيل آخر يجر الجبل فيفقد ايضاً شيئاً من تصرفه . وعلى نحو خمسة كيلومترات عن تلك النقطة الى الخلف عنها اي على واحد وخمسين كيلومتراً عن نقطة انشعاب نهر المعطم تصعب فيه الملاحة جداً لاجل انه يسقط في بطيحة او غدير يكون مخرجه الفرد الى الشمال مجرى قريب السعة والغور^(١) . وقد كان يتمذر علينا اجراء السفينة فيه

وقصارى الكلام ان مياه نهر اواي هي على حد مياه ميدنج بحيث تترامى الى بحر الزراف . اما الارتفاق بهذين الفرعين الشرقيين او استخدامهما

النهر ويسوّني أن لم يتبين لنا هذا الخطأ الا بعد ما فات زمن الاصلاح . وقد تبين في الصحيفة الحادية عشرة من خريطة بحر الجبل العامة الملحقة بكتابي ما ظاهره ان غابات متفازة الجامع او انشازاً من الارض تكون الى الشرق عن النهر وهي ليست على مسافة بعيدة عنه تجاه الكيلومتر السبعائة وهو خطأ ارتكبه الرسام اذ ليس هنالك من نجد ولا نشر وفي الخريطة التي انشأتها في سنة ١٩٠١ بينت تلك الغابات الواردة في ذلك الرسم انها غدير او بطيحة وهي كذلك بالحق . والمنقع الواقع الى جهة الشرق هو غاية في الاتساع ولا ترى حزوناً او نواتى في مسافة شاسعة عند بحر الجبل . هذا وقد اُصلح الخطأ في الخريطة الملحقة بهذه النبعة واستبان المناقع على صحتها

(١) لا بد ان يكون هذا المسيل على ما ارى المسيل الشريد الذي ركة الميجر بيك والفتنت دروري في عام ١٩٠١ واخترقا لهما منفذاً في مساهه يفضى الى النيل الاعلى وهو في الواقع مأخذ من مأخذ بحر الزراف الكثيرة

فلا ارى شيئاً يعضد هذا المطلب لانهما ولا مشاحة يستوردان مياههما من
مهارب بحر الجبل . ثم ان مقداراً جسيماً من مائهما يتراجع الى ذلك البحر
ولكن كمية كبرى (في سنة مثل السنة التي نحن فيها) تكون رفقاً لبحر
الزراف . واني لعلى يقين من ان بحر الجبل يمد اسافل نهر أواي بمهاربه
ومساربه عند الكيلومتر السبعمئة في السنين التي يكون فيضها مقصراً . هذا
ولو ان نهرى المينج واواي يصح حسب انهما مصدرين لبحر الزراف في الجنوب
الاقصى فاني بما شاهدته من اطوارهما وطبائعهما لا اشير باستخدامهما فيما لو قضى
الامر بتعديل خطة ذلك البحر فان المناقع التي هما يشقان فيها مفرطة الاتساع
متواصلة الامتداد بحيث يكون منع تبدد الماء شاقاً باهظ النفقات .
واني ارى الامر أيسر تناولاً واقل نفقة في مثل هذه الاحوال بشق خليج
لبحر الزراف يرتشف من بحر الجبل وتقام له جروف ويكون سيره مطرداً
على طريق قصدٍ مستقيم الى الشمال عن محلة شمبي حتى النقطة التي يذهب
مجرأه فيها بين جروف يابسة . واذا أريد اكتساح القطع المتضايقة السعة في
نهرى اواي والمطم وتطهيرهن حتى تيسر الملاحة من حدة محلة شمبي الى
نقطة لا تبعد كثيراً عن محلة بور الى الشمال عنها فالامر مستسهل لاصعاب فيه .
وشق مثل هذا المجرى له مازية وفضل اذ يكون طريقاً اقوم واخصر من
الطريق التي تتبعها البخاريات اليوم . ثم ان فتح هذه الطريق يقرب السفين
في سيرها من الغابة الشرقية فيتيسر لقومها احتطاب الوقود لها منها قناطير
مقنطرة . اقول وقد عاينت هذا المجرى في سنة افراط فيضها . واني لا اظن
بأحد هذه الفروع صالحاً للملاحة في الاصيف نزيرة الماء خسيسته كاصيف
سني ١٩٠٠ و ١٩٠١ و ١٩٠٢ و ١٩٠٣ . فلا تكون الفائدة اذا من كسح هذين
النهرين وتنقيتهما الا الوصول الى محط يخطب به وتمكن مأموري الاقسام من
التعامل مع أمم الدنكا في تلك الانحاء . فاذا نزع الى تعديل بحر الزراف كان

من الوجوب العدول عن اتخاذ هذا المطلب لانه يوسع أعراض التبخر . اذا يقتضي بذل الجهد في ردم المهارب التي تنساب من بحر الجبل في طية ما بين محلي بور وشمي وحصر مادة النهر عامتها في مسيل واحد . اقول ولقد أيدت رحلي الأخيرة الى تلك المناقع سابق خاطري وهو انه اذا دلت المناسيب على ان العمل مستطاع فمسألة ايراد مياه النيل الأعلى تحل بشق الخليج المطلوب شقة من حد محلة بور الى نهر سباط حتى تعزل المناقع فتصير الى الغرب عنه . فقد دلت الانباء التي استمكنت منها على ان ما اندرج من الارضين فيما بين هذين المكانين الى الشرق عن المناقع بقاعٌ واسعة مستوية الطبقة حافلة بالعشب يغمرها الماء في ازمة السيل الى مسافة بعيدة عن تلك المناقع لكن الماء فيها يكون ضحلاً قريب الغور . واذا اوغل السافر في المشرق يمتنع هذا الطفيان . وفي الطرف الجنوبي سواجن عديدة كبيرة قعيرة ليس منها ما يعد نهراً . تصب من مهب الشرق وما هي الا صحافٌ ناقعة تنصرف اليها مياه البسائط تسيل الى النهر نضيباً فلو حبستها جروف الخليج المنوي فلا اظن في ذلك ضرراً يذكر اذ يتاح لها ان تنصرف فيه من فتحات تبني لهذا الغرض في تلك الجروف . وليعلم ان مياه الخليج لا توازن عند مفترعه اي منشأه وتكون في اقصى انحطاطها الا في ابان الامطار يوم تكون السواجن طافحة بالماء . ولقد تعهدت المرتفع القائم عند محلة بور لعلي التخير مكاناً ينشأ فيه الخليج فرأيت انه يستطاع اختيار البقعة الواقعة بين المحلة ودم الدراويش (اي معسكرهم) ووجدت ان هذا الخليج ينسلخ من النهر شاقاً في اخدود محفور تلك فائدة كبرى كثيرة الجدوى

اما ابتناء المصانع والاحباس في ذلك البحر فامر عسير لقلة العملة ونذرة ادوات البناء لكنه مع ذلك ليس بمتنع فان سعة النهر عند محلة بور تبلغ نحو ١٤٦ متراً ومتوسط غوره مترين وخمسين سنتيمتراً وقنطرة

الموازنة عند مأخذ الخليج يكون تصميمها بان تتحمل ضغطاً عظيماً اذ قد تستدعي الحال في الاحايين تحويل جميع الايراد اليه بمعنى ان يكون النهر خلف القنطرة ناشفاً جافاً. واقامة جرف مستطيل في عرض الوادي يجعل فيه فتحة لها قنطرة موازنة من اجل خليج الياب الى غرب البحر الاعظم . وللتمكن من ذلك يحوّل النهر عن مجراه وتقام القنطرة في الخليج الحالي . ولست ادّعي السهولة في اجراء مثل هذه الاعمال ووبالة الاقليم تزيد الامر تعقيداً . ولكني مقيم على ان اجراء هذا المشروع يكون منه منافع جليلة جداً حتى لا يجوز ان يحول دونه امر من الامور غير الموانع الخلقية الطبيعية او النفقات الباهظة الى جدّ لا يطاق . اما وجهة مجرى الخليج فتكون في سمت الشمال على سريره وقصده من نقطة مأخذه عند محلة بور وخطة سيره بجانب الجزء الاكبر من مياه المناقع ولعل الطريقة الاكثر اقتصاداً تكون في مسaire حصّة من مجراه للخور الاكبر الرامي الى نهر سباط عند نهر مصبه آتياً من مهب الجنوب وهو الساجنة المشهورة بنخور فيلوس . ومهما يكن من الامر فان من العبث التخرص والحدس في هذا الموضوع قبل عمل ميزانيات هذا الخليج واستخراج المناسيب . هذا وفي الختام اقص بالايجاز نبأ رحلتي الى بحر الجبل الى الموقع الذي فككت مساكاته في الشتاء^(١) الماضي فاقول



كتلة المساك الخامس عشر

في بحر الجبل

ان المسيل الذي بعثر دروري وپول مساكاته من عهد قريب عاد

(١) في فصل الشتاء يكثر البعوض في الغابات قبالة محلة بور في سمت الجنوب عنها وهو اخبث ما رأيت منه في الاماكن التي تعهدتها في جهات وادي النيل الاعلى فقد رأيت منه طائفة صغيرة سامة شغلها في النهار اجهد منه في الليل فاذا لم يتفق ان تعثر به ريح زعرع تبدد شمائه فالاقامة بالمكان تكاد تكون غير مطابقة

فارتدم بها في ثلاثة مواضع . ويوم تمهدت تلك الانحاء كان المساكان الاولان صغيرين واهيين ولم يحل دون البخارية حائل يصدها عن اختراق نسيجهما . واما المساك الثالث فكان هائلاً ضخماً ولذا اُصرفنا زوال يوم وشطراً من الصبيحة في ان نخترق لنا مجازاً فيه وكان لتلك الكتلة طول بقدر مائة وخمسين متراً وكان سمكها عظيماً وكيانها من افلاذ المساكات المتخلعة من البطائح الكبرى الواقعة على الجانب الشرقي . وقد انكشف لي وانجلي ان كتل المساك التي فككناها انسابت طافية في النهر واعترضت مجراه واستقرت في نقطة منه هي عطفة حادة المنحنى . وليس بالبعيد ان يكون في ذلك اليوم مراكوماً بالمساك في عدة مواضع منه . ولا عجب فان اعتلال اللفتنت دروري اوجب الاضراب عن العمل ومتاركة قبل نجاذه ولو لم يعثره المرض لتمكن بلا ريب من اتمامه فانكشف البحر وذهب عنه كل ما يعوق سير مياهه . اقول والذي يقتضي اجراؤه في الفصل الآتي هو في اعتقادي الشروع بالعمل من العدو الشمالية ومتابعة توسيعه الى جمام سمته في جميع طوله . لا اقول ان يُقدّر في احشاء المساكات منفذ ضيق بل ان يتابع العمل في اقبالة الجرية اي من العدو الشمالية فتخلع مساكاته تخليعاً . فاذا تم ذلك على هذه الصفة فلا صعوبة في تسير مادة تلك المساكات على وجه الماء بغير ما انسداد في المجرى لان له الآن جرية تستاق ما دتها . وأرى الواجب الاوجب ان يؤتى على كشف هذا المسيل الى التمام في الشتاء الآتي فان انتزاع قسم منه قد بدّل أحوال البحيرات الضحلة الماء المجمولة الآن للملاحة . والدلائل بيّنة على ان مناسيدها تخطط تدريجاً . وربما بالغت ايضاً في الانحطاط . واذا لم يكن مجرى النهر العميد يومئذٍ مخلصاً مكشوفاً تنقطع الصلة فيما بين الخرطوم ومواقع النيل الأعلى . اقول واذا انتزع المساك الخامس عشر بالطريقة التي اقترحتها فلا مشاق ناصبة تحول دون ذلك

ويتيسر الفراغ من العمل في فصل الشتاء

واقول ان أتحاء بحر الجبل الواقعة الى الجنوب عن محلة بور قد تغيرت
حالتها تغيراً عظيماً منذ فيض السنة الخالية المكثراذ قامت به جزر وانشقت
مجار صيرت الملاحة فيه شيئاً يحار بأمره الربان وعاد المسيل الأعظم الغربي
الضاجع فيما بين الكيلومتريين الاربعمئة والسبعين والخسمائة والثلاثين الذي
كان المجرى الأكبر يوم تتبعه بيكر ثم غوردون في سفرهما الى محلة كندكرو
وكان مردوماً سنين عديدات فانفتح طلاقاً وركبناه في شهر مايو الماضي بغير
ما عناء كبير. وانا اوجب على نفسي في هذا المقام الشكر الخالص للسررجينلد
ونجيت لجوده باحدى سفينه فجعلها بامرتي أثناء رحلتي . واثنى الشاء الجميل
على الكبتن لدل والمستركرولي لاجل انهما آزراني مؤازرة جلي كما آزراني
ايضاً في عامة سفرتي الاخيرة

الامضاء

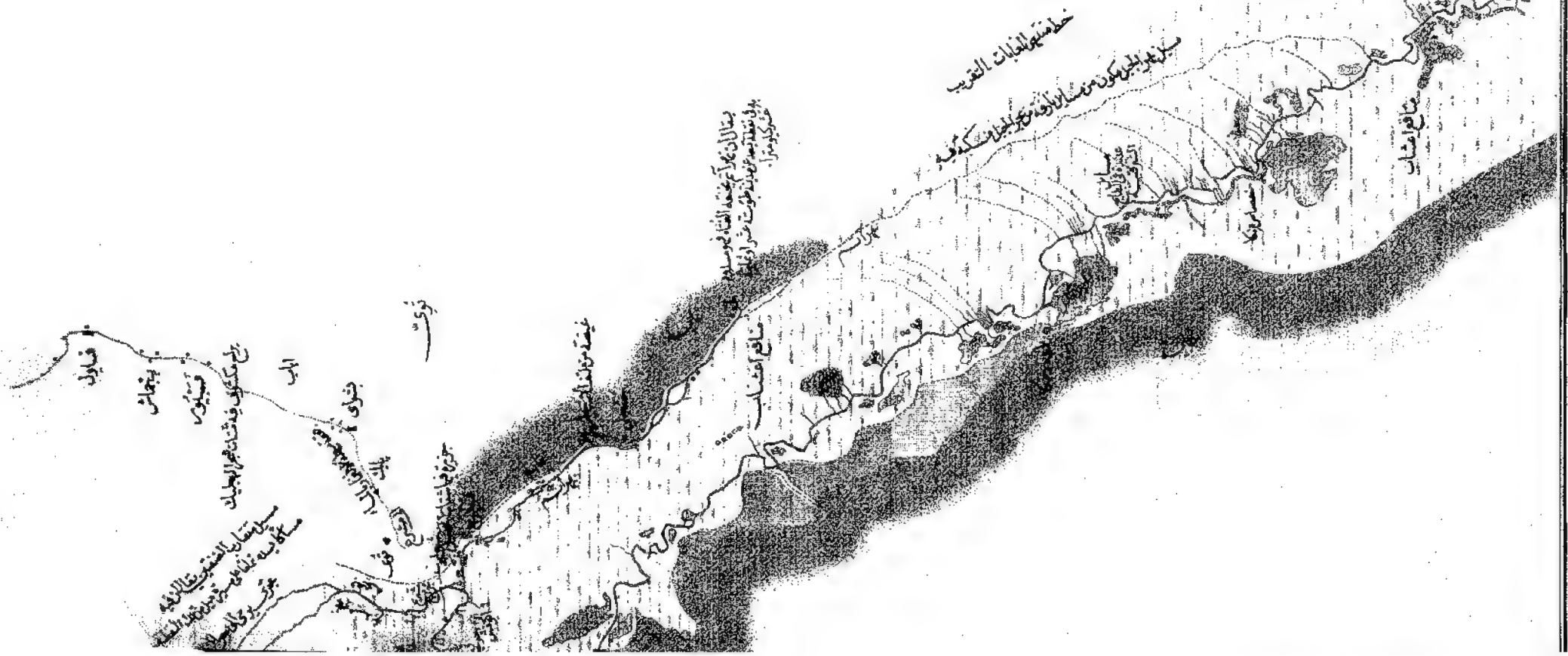
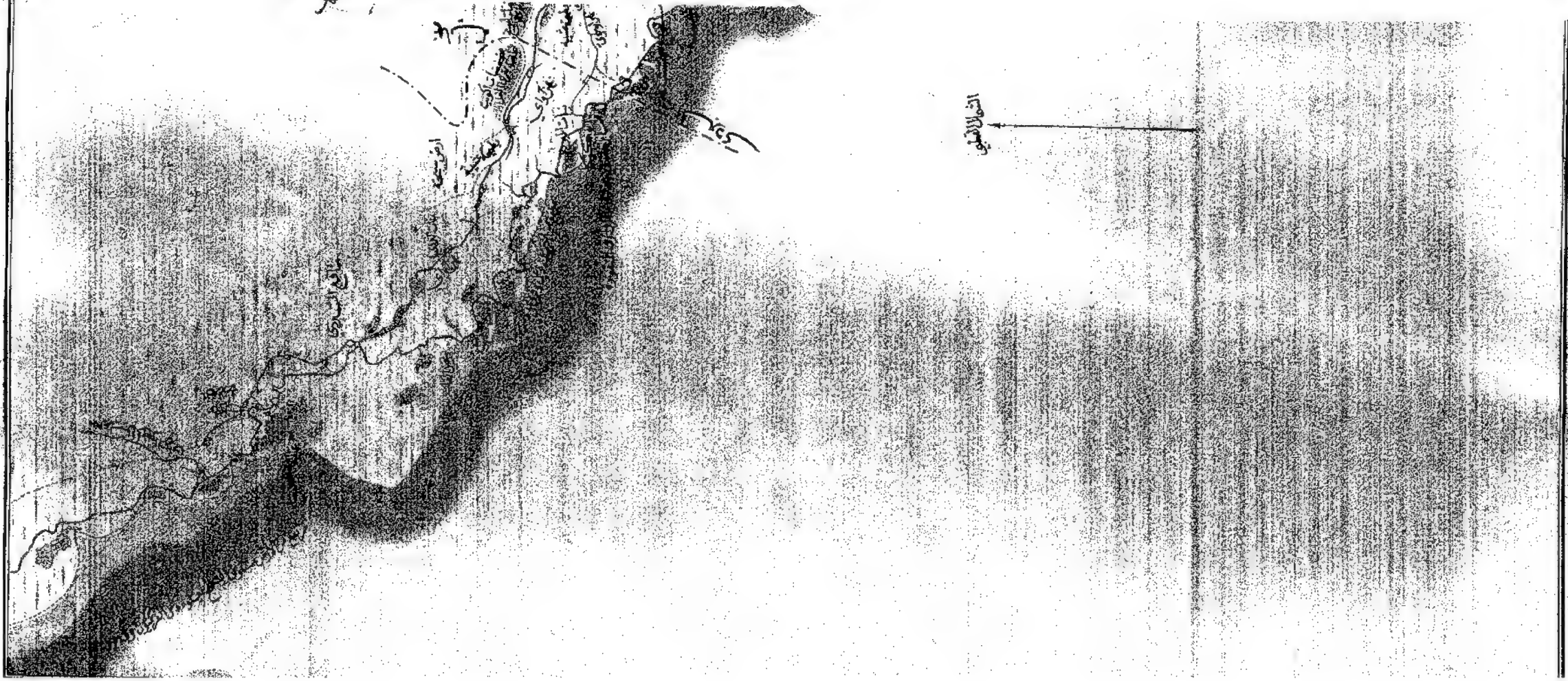
وليم جارستن

القاهرة في ١٠ يونيو سنة ١٩٠٤



ردف المسلسل

وتم ضمهم ببحر الجبل في ايام نور محمد قنبري من جوار الناقع الشرقية

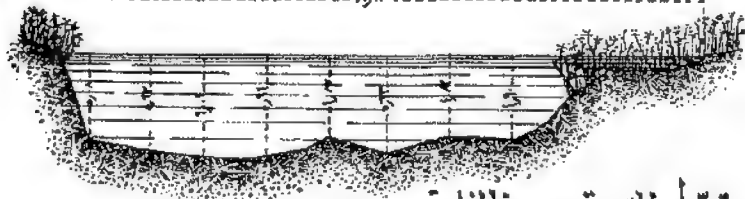


كيلومتر

كيلومتر

نهر كاجير

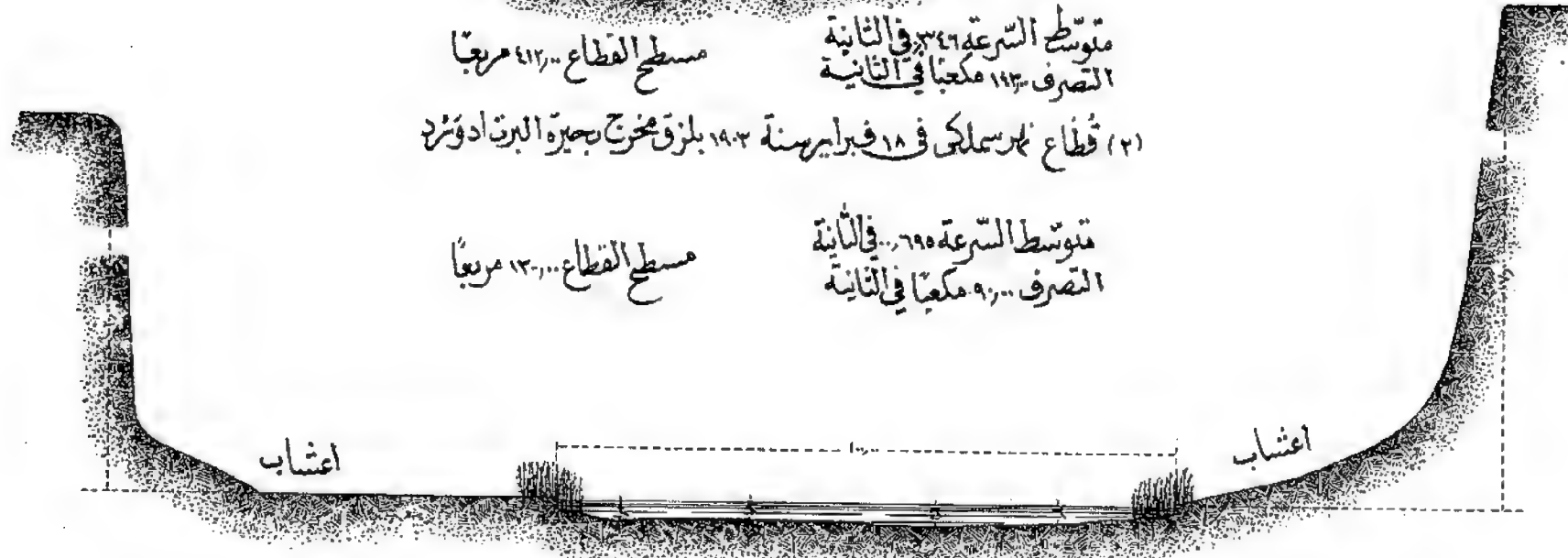
(١) قطاعه في ٢٦ فبراير سنة ١٩٠٣ على بُعد عشرة كيلومترات عن مصبه



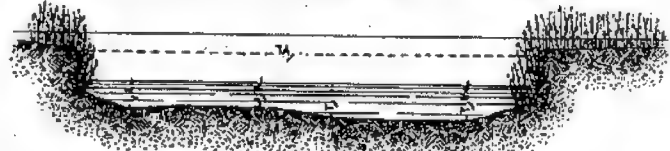
متوسط السرعة ٣.٤٦ في الثانية
التصرف ١٩٣٠ مكعباً في الثانية
مسطح القطاع ٤١٢٠٠ مربعا

(٢) قطاع نهر سملكي في ١٨ فبراير سنة ١٩٠٣ بلزق مخرج بحيرة البرتادون

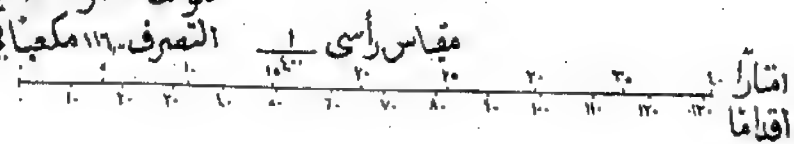
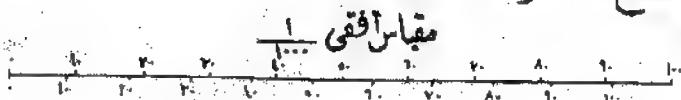
متوسط السرعة ٠.٦٩٥ في الثانية
التصرف ٩٠٠٠ مكعباً في الثانية
مسطح القطاع ١٣٠٠٠ مربعا



(٣) قطاعه على بُعد نحو خمسين كيلومتراً عن البحيرة جنوباً



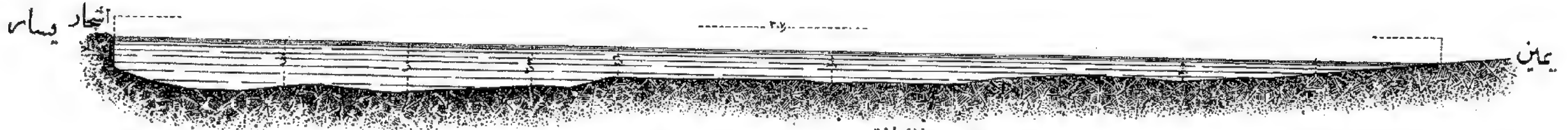
متوسط السرعة ٠.٩٦ في الثانية
التصرف ١١٦٠٠ مكعباً في الثانية
مسطح القطاع ١٢١٠٠ مربعا



البرك الثاني (١١)

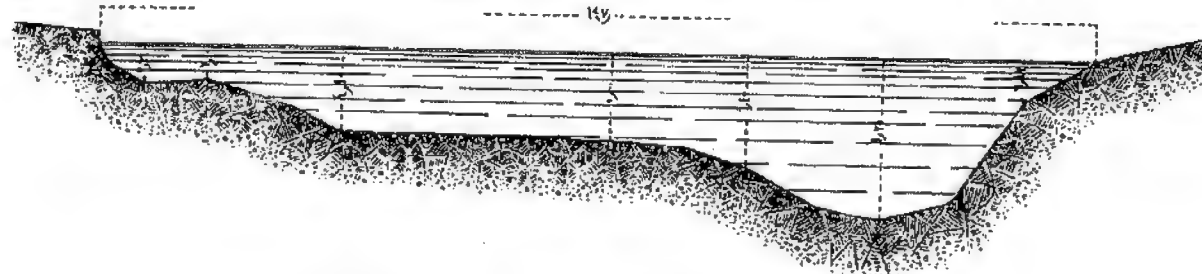
بحر فستوريا

قطاعه في ٢٠ مارس سنة ١٩٠٣ على نحو ١٥ كيلومترًا خلف جبال فر كينسن

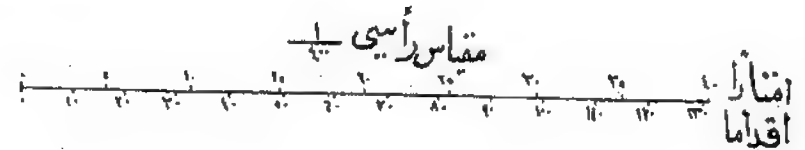
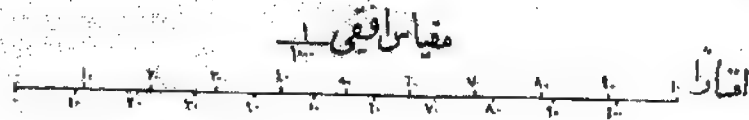


متوسط السرعة ٦٤ في الثانية
التصرف ٥٧٧٠٠ مكعباً في الثانية
مسطح القطاع ٨٩٤٣٨ مربعاً
بحر الجبيل

(٥١) قطاعه في ١٢ مارس سنة ١٩٠٣ عند واد لاى على مسافة ٤٦ كيلومترًا عن بحيرة البرت



متوسط السرعة ٨٣٨ في الثانية
التصرف ٦٩٦٠٠ مكعباً في الثانية
مسطح القطاع ٧٧٠٨٨ مربعاً



البرلمان (١٢)

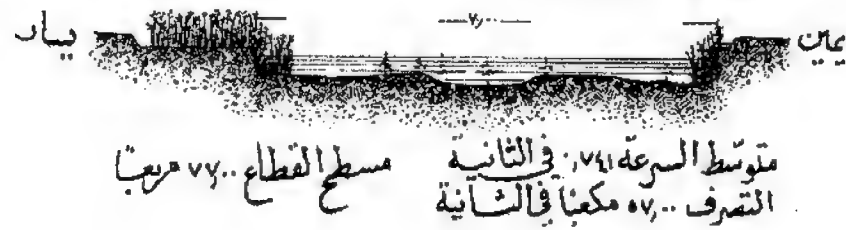
بحر الجبل

الرسم الثامن (ج)

(٦) قطاعه في ٢٨ مارس سنة ١٩٠١ على بعد ٤٠ كيلومترا من بحيرة البرت



(٧) قطاع الفرع الشرقي في ٢٩ مارس سنة ١٩٠١ على بعد ٤٠ كيلومترا من بحيرة البرت



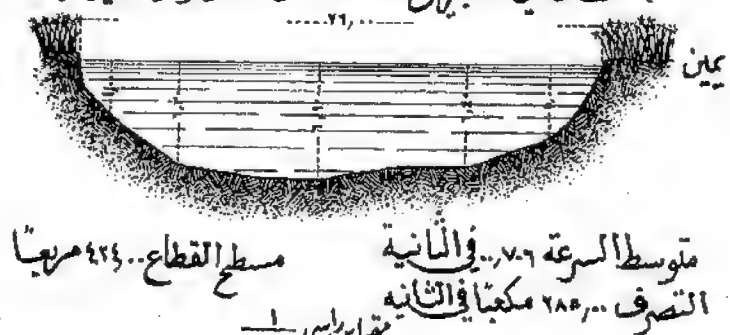
(٨) قطاع بحر الجبل في ٨ أبريل سنة ١٩٠٠ على بعد ٨٠ كيلومترا من بحيرة البرت



(٩) قطاعه في ١٤ أبريل سنة ١٩٠٣ على ١١٤٦ كيلومترا من بحيرة البرت



مقياس القياس ١:١٠٠٠٠
اتسار

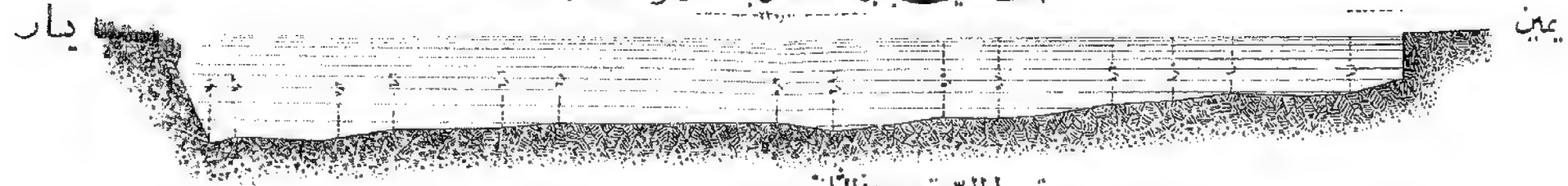


مقياس القياس ١:١٠٠٠٠
اتسار

الرسم الثامن (١٥)

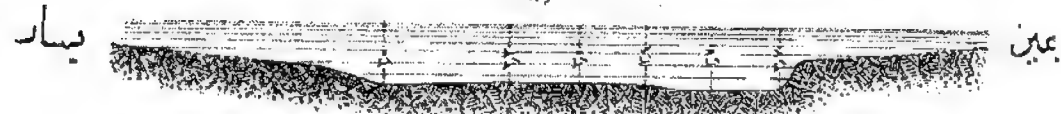
بحر الجبل

(١١) قطاعه في ٩ سبتمبر سنة ١٩٠٣ على بعد ٤٠ كيلومترا عن بحيرة البرت



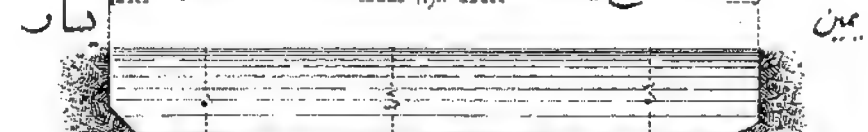
متوسط السرعة ٣٧٢ في الثانية
التصرف ١٨٤٧٠٠ مكعبا في الثانية
مسطح القطاع ١٣٤٧٠٠ مربعا

(١٢) قطاع الفرع الشرقي في ٨ سبتمبر سنة ١٩٠٢ على بعد ٤١ كيلومترا عن بحيرة البرت



متوسط السرعة ٩٨٢ في الثانية
التصرف ٢٢٤٩٠٠ مكعبا في الثانية
مسطح القطاع ٢٢٨٠٠٠ مربعا

(١٤) القطاع في اول سبتمبر سنة ١٩٠٣ على بعد ٩٤ كيلومترا عن بحيرة البرت

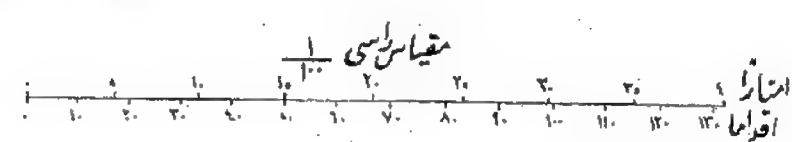
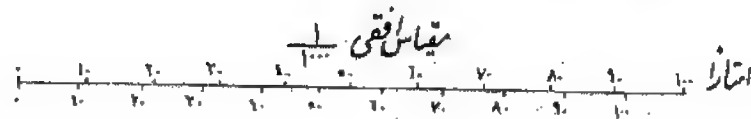


متوسط السرعة ٧١٤ في الثانية
التصرف ٣٧٥٠٠٠ مكعبا في الثانية
مسطح القطاع ٤٧٨٠٠٠ مربعا

(١٣) قطاعه في ١٨ سبتمبر سنة ١٩٠٢ على بعد ٨٠ كيلومترا عن بحيرة البرت



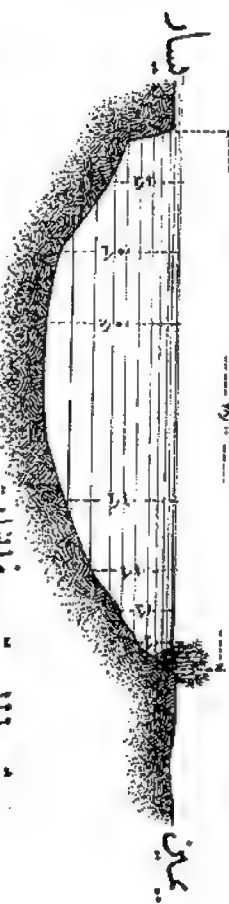
متوسط السرعة ٧٩٦ في الثانية
التصرف ٥٣٢٠٠٠ مكعبا في الثانية
مسطح القطاع ٦٦٩٠٠٠ مربعا



بحر الجبل

السرعة الثمن (هـ)

(١٥) قطاعه في ٣١ أغسطس سنة ١٩٠٣ على بعد ١٨٨ كيلو متر عن بحيرة ألبرت

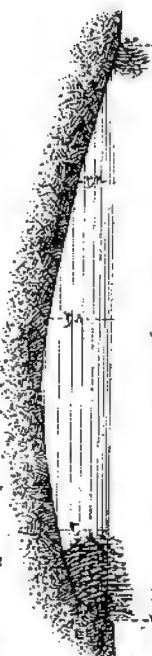


مسطح القطاع ٤٠٤٠٠ مربعاً

متوسط السرعة ٧٢٢ في الثانية
التصرف ٣١٨٠٠ مكعباً في الثانية

بحر العرش

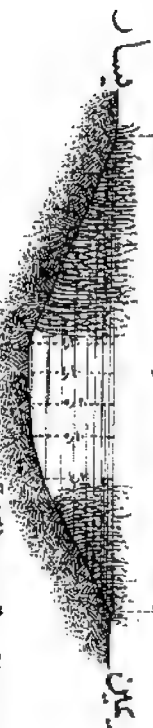
(١٦) قطاعه في ١٥ أبريل سنة ١٩٠٣ على بعد تسعين كيلو متر عن مصبه



مسطح القطاع ٢٠٠٠٠ مربعاً

متوسط السرعة ١٩٥ في الثانية
التصرف ٢٢٠٠٠ مكعباً في الثانية

(١٧) قطاعه في ٢١ سبتمبر سنة ١٩٠٣ على بعد ٣٢ كيلو متر عن مصبه



مسطح القطاع ١٠٩٠٠ مربعاً

متوسط السرعة ١١٢ في الثانية
التصرف ٢٠٠٠ مكعباً في الثانية

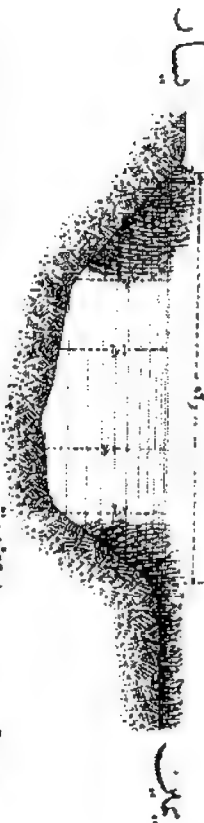
(١٨) قطاعه في ٢٥ مارس سنة ١٩٠٣ على بعد ٩١ كيلو متر عن مصبه



مسطح القطاع ٩١٠٠٠ مربعاً

متوسط السرعة ٢٥٣ في الثانية
التصرف ٢٢٠٠٠ مكعباً في الثانية

(١٩) قطاعه في ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٠٣ على بعد ٢٠ كيلو متر عن مصبه



مسطح القطاع ٢٢٢٠٠ مربعاً

متوسط السرعة ٢٥٨ في الثانية
التصرف ١٥٥٠٠ مكعباً في الثانية



قياس في الكيلو متر



الرسم الثامن (و)

نهر سباط

يسار

(١٢) قطاعه في ٦ ابريل سنة ١٩٠١ على بُعد ٤ كيلومتر من مصبه

يمين

بحر الزراف

(٢٠) قطاعه في ٢٩ أغسطس سنة ١٩٠٣ على بُعد أربعة عشر كيلومتر من مصبه

يسار

يمين

نهر سباط

مسطح القطاع ٤٠١٠٠ مربعا

متوسط السرعة ٢٢ في الثانية
التصرف ٨٧٠٠٠ مكعبا في الثانية

(٢٢) قطاعه في ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٠٣ على بُعد ٢٠ كيلومتر من مصبه

يسار

يمين

مسطح القطاع ١٨٠٠٠ مربعا

متوسط السرعة ١١ في الثانية
التصرف ١١٠٠٠ مكعبا في الثانية

مسطح القطاع ١٠٣٠٠ مربعا

متوسط السرعة ٨٦٨ في الثانية
التصرف ٨٩٠٠٠ مكعبا في الثانية

البحر الابيض

(٢٣) قطاعه في ٢٢ سبتمبر ١٩٠٣ بعد تلاقفه ببحر الزراف ستة كيلومتر ونصف كيلومتر

يسار

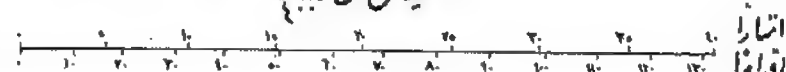
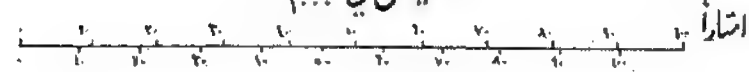
يمين

مسطح القطاع ١٠٥٩٠٠ مربعا

متوسط السرعة ٣٩٨ في الثانية
التصرف ٤١٩٠٠٠ مكعبا في الثانية

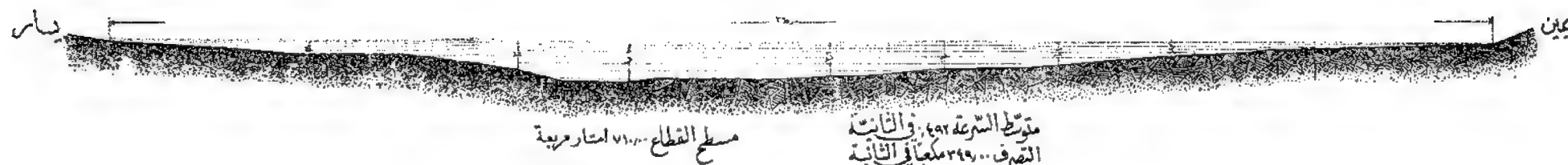
مقياس تقعي ١/١٠٠٠٠

مقياس رأسي ١/١٠٠٠



البحر الأبيض

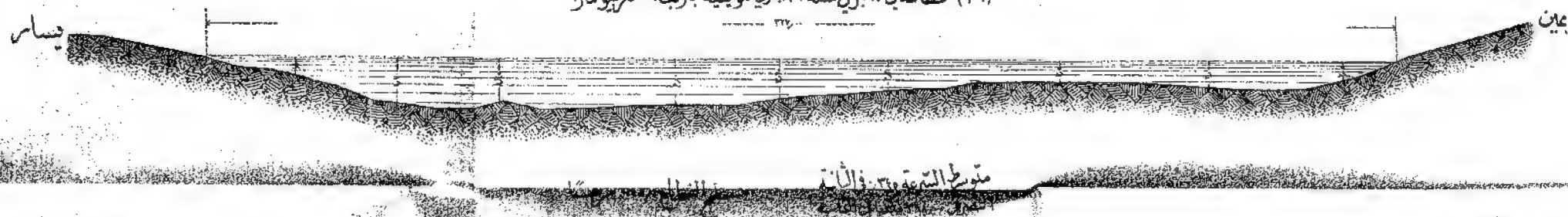
(٢٤) قطاعه في ١٦ أبريل سنة ١٩٠٢ في تلاقيه بنهر سباط باربعة كيلومترات



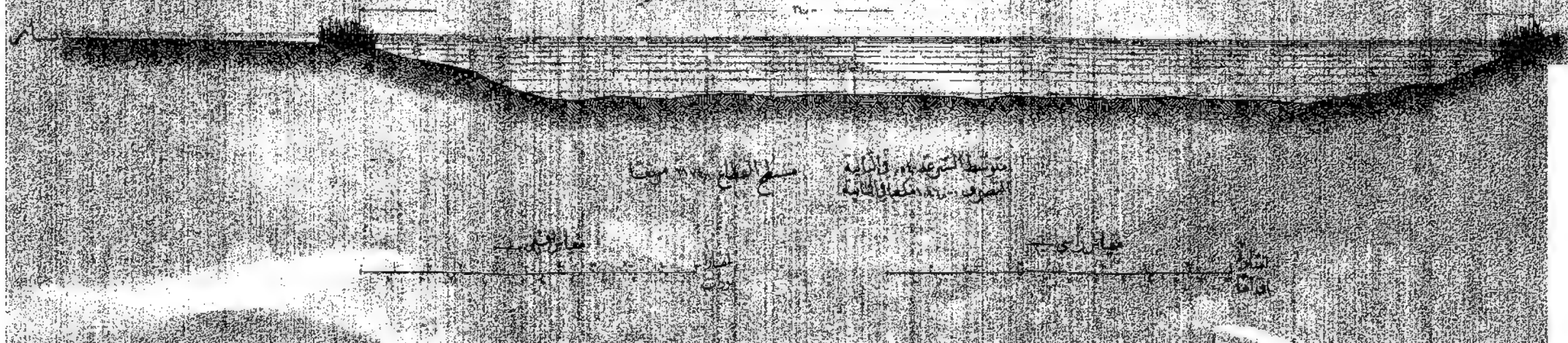
(٢٥) قطاعه في ٦ أبريل سنة ١٩٠١ بحري تلاقيه ببحر سباط باربعة وعشرين كيلومتراً



(٢٦) قطاعه في ١٧ أبريل سنة ١٩٠٢ بحري التوقيه باربعة عشر كيلومتراً

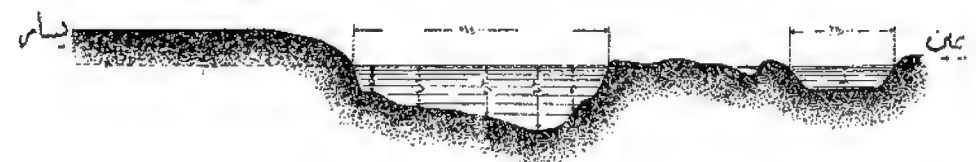


(٢٧) قطاعه في ٢٦ أغسطس سنة ١٩٠٢ بحري التوقيه باربعة عشر كيلومتراً

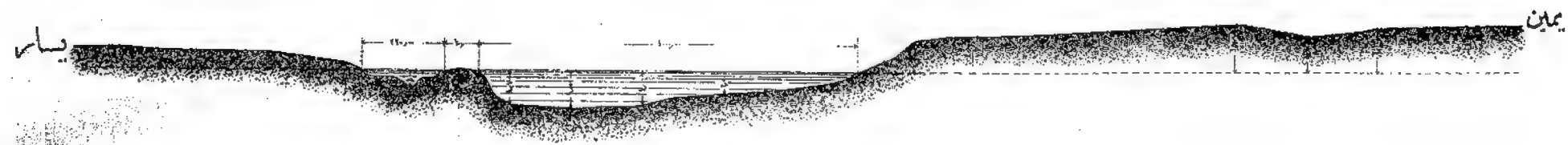


الرسم التاسع

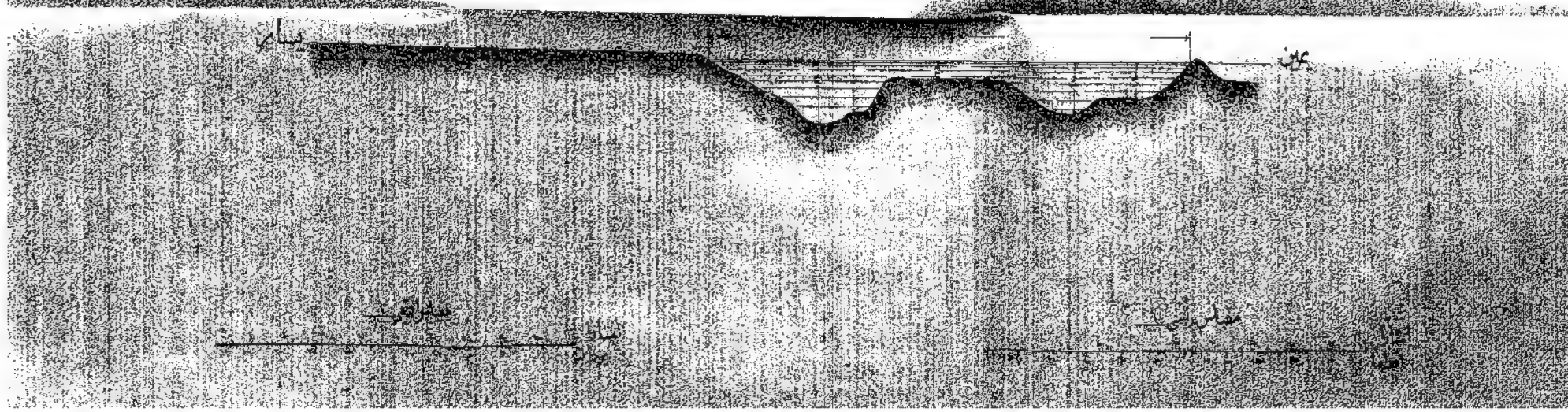
قطاعات غرضية لروبي النيل
قُطَاع البحر الأبيض في ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٠٣ عند جبل أحمد أغا



قُطَاعه في ١٨ أغسطس سنة ١٩٠٣ عند حلة عباس



قُطَاعه في ١٢ سبتمبر سنة ١٩٠٣ عند الدويس



الفصل الثالث

« مقال المستر ديوي في بحيرة تسانا وانهار السودان الشرقي »

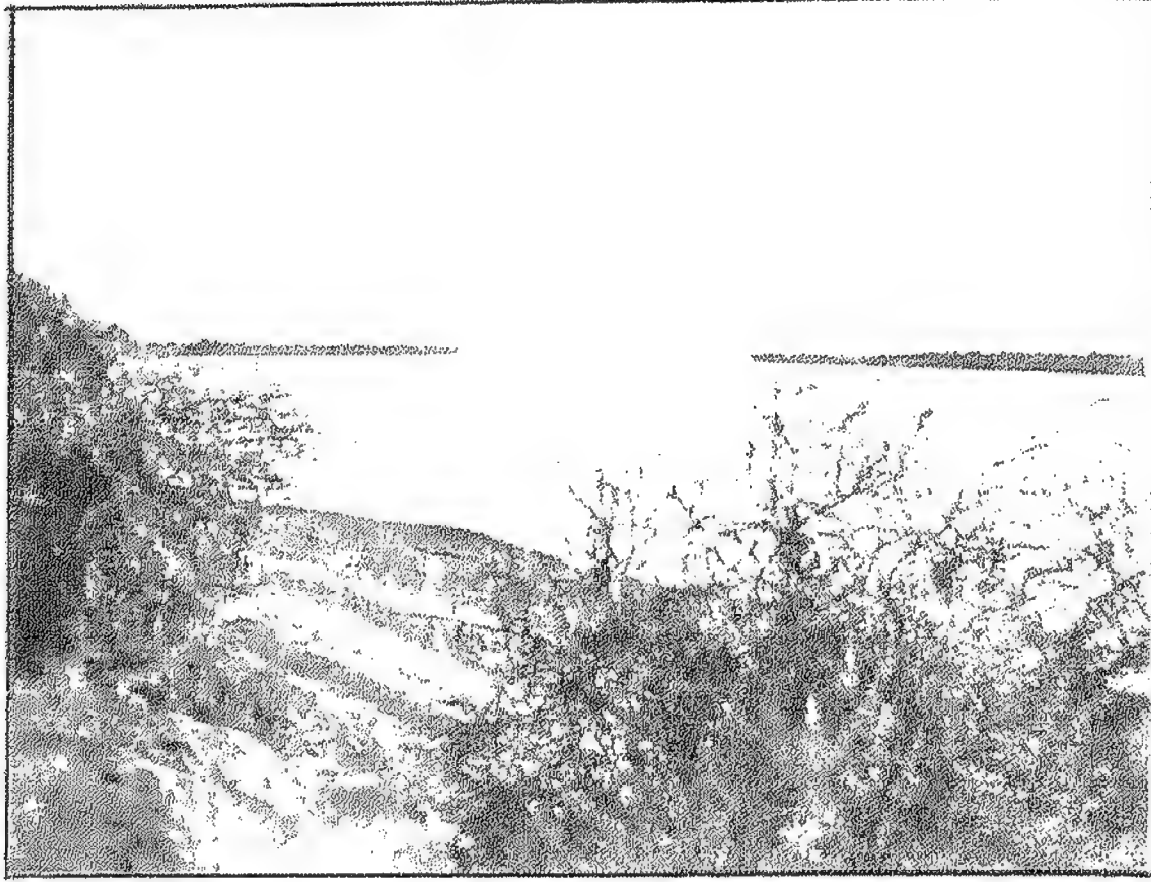
جاءني الامر ان اخذ للسفرا هبته في شهر اكتوبر سنة ١٩٠٢ وضرب اليوم الخامس عشر من شهر ديسمبر ميقاتا لبلوغ الركب الى تخوم الحبشة . وكان المراد بهذه السفرة (كما شرحة لي جناب السر وليم جارستن) خمسة امور الاول ارتياد بحيرة تسانا في ديار الاحباش والتقاط كل ما يكون في الوسع التقاطه من الانباء عنها للعلم بما اذا كان يستطاع استخدامها خزاناً لمياه النيل فيما لو نوي ذلك واريد اخراجه الى حيز العمل . والثاني تطلع انهار المطيرة وستيت وسلام بقدر ما يبلغه الجهد واجتلاء ارضاء التصرفات ومساحات القطاعات المرضية اينما تيسر ذلك للعلم بطبائع هذه الانهر وشؤونها الحاضرة وتبين ما اذا كان في الامكان استخدام مياهها . والثالث البحث عن اطوار نهر القاش عند كسله والطرائق التي يستطاع اتخاذها للري . والرابع ارتياد مواقع الموات من الاراضي الواقعة بالقرب من النيل ونهر المطيرة بجوار بربر وترقيم كتاب باخبارها وشؤونها الحالية يكشف عما اذا كان في الامكان انشاء اعمال صناعية للري فيها . والخامس اتخاذ ما يمكن من الوسائل لاقامة مقياس ومراقبة على نهر المطيرة بمعدى خط التفراف المقام بين القصارف وكسله بمقربة من الفاشر . فكنت انا عميد الركب الفرنجي يؤازرني في مهمتي المستر كرولي ويصحبنا طبيب وهو المستر هايز . ولما ان تبطأت المكاتب مع الكولونل هازنكتون فيما يختص بالاستئذان لنا من النجاشي منليك لم يتمكن الركب من مغادرة القاهرة قبل ٢٦ نوفمبر فبلغ الخرطوم في ٣ ديسمبر من تلك السنة . وقضينا فيها ثلاثة ايام نعد هبة السفر . ثم برحناها في السادس من شهر ديسمبر ولازمنا في سيرنا صغير البحر الازرق من جانبه

الايمان فصرنا الى محلة ابو حراز في ستة ايام اجتبتنا فيها مسافة مئة وعشرين ميلا كان ميسورا لنا ان نقطعها بالبخرية لكن ظنونا وريبا خامرت اولي الامر في القاهرة بامكان ركوب البحر وكنا حينئذ قد اكثرنا الجمال واخذنا عدة السفر فلم يكن لنا بعد ذلك من محيص . وقد تمكنا في مسيرنا على هذا السياق من تعرف رقعة الاراضي واطواع البقاع وكان ذلك ابين لنا مما لو استجايناها من متن البخرية . ولا خفاء ان استخبارنا كان قاصرا على نطاق ضيق من البر على جانب واحد من البحر ولم يكن ما استوعبناه عن اراضي الجزيرة الا نقليا مخرجاً عن اناسي تلك الارض . وانت تعلم انها ارض لها شأن قد اجمع القوم على انها اكرم الاراضي واطيبها في ذلك الصقع . ويرجح ان ستكون مجالا فسيحا لاعمال الري التي يكون من ورائها الخير الكثير . قلت وقد استبان لي مما تلقيته من الاحاديث عن تلك الارض ان في الامكان شق الترع الكثيرة فيها بغير عناء ونصب لاجل ان الارض اهل وأعمار من غيرها فهي كثيرة الرزاديق كبيرة القرى ولها ابار وفساحة زروع متباعدة الاطراف حتى يؤمل بالترع اذا شقت فيها اذ هي تمتد مياه الامطار الضعيفة الطفيفة التي تقع في تلك البقعة او تحمل محلها للري حتى يتأتى عنها اتساع دائرة الري اتساعاً عجيباً مدهشاً . وقد يستحيل علي تخمين المصاعب او النفقات التي يستلزمها مثل هذا المشروع بغير مسح الارض مسحا يكون غاية في الضبط والاحكام يندرج تحته شيء كثير من اعمال الميزانيات وربما تيسر انشاء ترعة كبيرة بنفقة معتدلة تستدر ماءها من البحر الازرق على مقربة من سنار واجراء تلك التربة في صميم ارض الجزيرة الى الخرطوم تستخدم للري في مدى ستة اشهر من السنة وذلك من اول يوليو الى آخر ديسمبر بغير ان يحجف ذلك بمصلحة الديار المصرية وتكون التربة ذات نفع كبير للارض التي هي سترويتها . واعلم ان مسألة الري المستديم هي في هذه الايام خارجة عن الموضوع

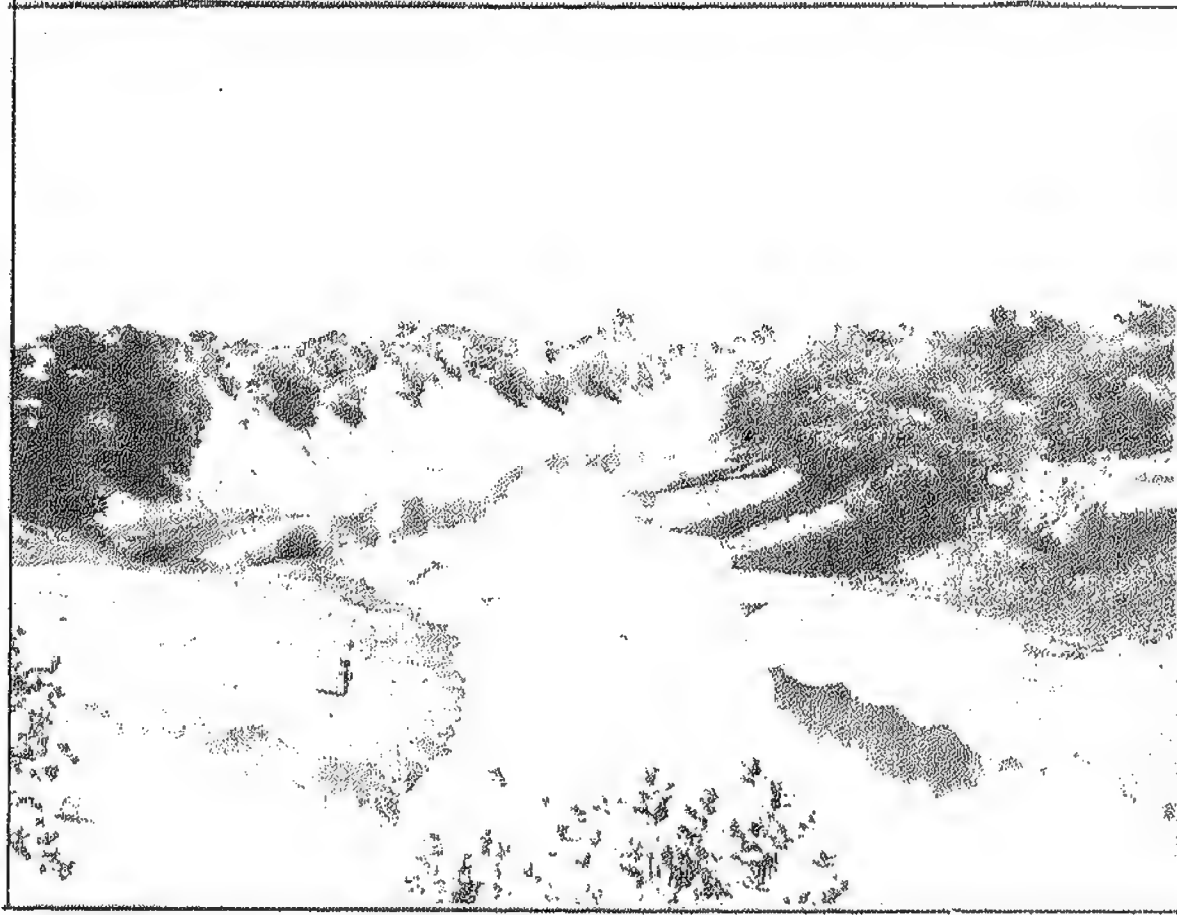
على انه مطلب من مطالب الاصلاح يستدعي اعمالاً اخرى أكثر نفقة ولا بأس من تأجيله

اما الاراضي المجاورة للنيل الازرق لزازاً وهي على الجانب الايمن وكانت لنا في سيرنا مسلكاً فهي قطعة من اقليم الجزيرة مرصودة للشؤون الادارية وهي ولئن كانت غير ذات شأن يذكر بالقياس الى بقعة الجزيرة نفسها التي هي اطيب منها تربة واخصب فهي كما يتبادر الى ذهني أهلة بالخلق الجسم ذوي السمة واليسار وأوجه الاصلاح وطرق العمار كثيرة ممكنة وقد رأيت الاراضي الحافة بمحلة الحلفاية صحراء قفرة ولكن الارض على ما تبينته بالبحث ليست عقيمة لا يؤمل بها . وكان كلما اغربنا في سمت الجنوب رأيناها اخصب واجود ورأينا ضفير البحر الازرق اي مسطاحه غير سوي ولا وسيع يحاذي منسوبه منسوب الفيض كالتي في مواضع اخرى على ضفاف النيل الصالحة لتصويرها حياضاً . هذا والبحر له جرية ساحية جرافة وحاشيته ذات كسور واخاديد تشوبها العواسج والجنب ولها سمة ميل على الجانبين . وهذه الاخاديد قريبة القرار غامضة التختم الى بسيط مستوٍ مترامي الاطراف على قدر مسرح البصر ويكون صحيف هذا البسيط اعلى من منسوب الفيض بقدر خمسة عشر متراً وانت ترى انحاء منه كبيرة المنفسح مزروعة ذرة (ويعرف عندهم بالصرغم) ومعول ربيها وسقيها على مياه الامطار التي لا قياس لها . واما في هذه السنة فقد كان محصول هذا الزرع جيداً في ذلك الأقليم . اقول والبسيط يقع فوق رووس السواجن اي الاخوار وهو يكاد يكون أجرد وفي مواضع منه اعشاب قليلة وجنب فكلما اوغلت في الجنوب ترى الأغراس والأنبات تتكاثر والارض تكاد تكون سوداء مفلعة وهي مكرمة لشجر القطر تكون في العيان ارضاً ذات خصب مفرط في تلك الأماكن . ولا ترى في الارض ممدات يئنة ترمي الى البحر

الأزرق فيما بين الحلفاية وفوهة (أي مصب) نهر رحد عند ابو حراز ما خلا تلك السواجن. ولكن واحدة أو اثنتين منهن ترى كأن تذهب مسافة شاسعة الى نهديات العليا وهي يتأدّى فيها مقدار جسيم من المياه في أبان السيل المفعم المفرط. والقرى في تلك النواحي جمّة قائمة بماليات السواجن في طافة البسيط على نحو ميل عن البحر وأكبرها جرماً محلة رفاعه وهي اليوم حاضرة اقليم الجزيرة. وزروع الشتاء فيها لها فساحة بعيدة البر من بلدة الرفاعة الى ابو حراز متشاكلة الخلقة وانما توجد القرى هناك على قلة الارض اكثر ادغالا واقل عمارة بالحروث والزروع وقد تمكّشنا في محلة ابو حراز يوماً واحداً ومن ثم شخصنا الى القضارف في ١٣ دسمبر فنزلناها في ١٩ منه وكانت مسافة ما قطعناه من البر الى تلك المحلة قريب مئة وخمسين ميلاً في الاربعين ميلاً الاولى كانت جادتنا بجذاء بهر رحد في طية متشابهة الخلق وانما رأينا العمارة في الزروع في قربتين أو ثلاث نزيرة قليلة وكان النهر يومئذ ناضباً جافاً غير ما تراه من الظلال والترائك المتفارزة في قراره وهو نهر مزاجه من سيل وله اتساع قاع يكون نحواً من ثلاثين متراً ومنفرج سطح مائه خمسون وعمقه في زمن الفيض خمسة امتار وجريته تقيم ثلاثة أو أربعة اشهر في السنة أي انه يمدّ في يوليو ويحف في نوفمبر وهو نهر متعوج ومسحّته بينة وقطاعه سوي ويحف به من الضفتين سياق من الاخوار القريبة الغور تفشاها الاعشاب والأدغال تتصاعد تدريجاً الى البسائط وتكون عن منسوب الفيض بقدر خمسة عشر متراً أو ازيد وهذه الأخاديد حافلة بالاحجار الجيرية وفي اماكن منها توجد الحصباء وترتّبها في الأغلب سمينة طفالية تفشاها طبقة من تربة مفلّعة صالحة لزراعة القطن في البسائط العليا ولم نكد نثر على شيء من الأنشاز أو النواتي الحجرية الا في موقع واحد منه على مقربة من ملتقاه بالنيل الأزرق. وتفصيل الطريق عن نهر الرحد بعد مسيرة



النيل الازرق عند صوبا على عشرين كيلومتراً جنوبى الخرطوم



نهر را حاد عند الشريف يعقوب



خور أروب على مقربة من القلابات

اربعين ميلاً من ابي حراز عند عين اللويجه منحرفة نحو الطرف الشمالي الشرقي للهضاب المديدة السياق المعروفة بجبل الأرنج . وتراها على مسافة ميل خلواً من الاخاديد وهناك يكون مضجعا الى ما وراء سهيل مستوي الطبقة مكشوف الصخيف غاص بالكلاء اليابس الطويل الساق تتخلله العواسج وهذا السهل لا عمارة ولا اهل . واذا صرت من القضارف على ميل او ميلين تكون مسافة السير مئة ميل واكثر هناك يكون البر رقعة واحدة متشاكله الطبيعة وهو سهل متسع كثير الخصب صالح جداً لزراعة القطن تتخلله رواب من الحجر السماقي متهاجرة تكون قترات ما بينها طويلة المدى مكسوّة بالجنب والاعشاب . ويوجد في طوار هذه الروابي شي كثير من الانبات الشائكة يتعذر النفوذ فيها من جانبي الطريق وانما معظم السهل فلاة عشبية متفرقة الادغال ولا تبصر العين في تلك الشقة شيئاً من مجاري الصرف الا خُدداً صغيرة بجنابات الهضاب ولا تكاد ترى مصرفاً واحداً حتى تكون على قيد اميال عن القضارف اي عند استوائك الى خور فراكا . وليس في الارض هناك الا بر واحد يصح الاعتماد عليها واقعة في محلة الفاو هناك تجتاز الطريق في شعب وطى من شعاب جبل الارنج بجوار طرفها الشمالي الشرقي . ولا ريب في ان كانت هناك من قبل آبار اخرى اذ كان البلد فيما مضى معموراً بضياح وقرى صغيرة لها بعض الزروع تكون مضاجعها في الغالب في حُجران تلك الهضاب ولا مشاحة في امكان نبش الآبار العميدة وحفر اخرى في مواضع من تلك البقاع فيما لو تقرر اجراء ذلك . والارض فيما بين الفاو والقضارف مسافة سبعين ميلاً تكون مهامه لا ماء فيها جملةً والطريق هنالك تشق في ذلك السهل المتراحي الاطراف شاسع البعدة السمين التربة هضابه صغيرة تكون بمراى من جميع الجهات فلو تأتى حشد الاهل في هذه البقعة الواسعة لكان من الهين السهل حفر آبار

في عدة مواضع وابتناء القرى والمصانع للزروع المظمائية العثريّة اي الشاربة ماء المطر والمشهور انه يمكن الإعتماد على الامطار وانما انعدام المياه الجارية يجعل تلك الاصقاع غير ذات عمارة في برهة من السنة لا تكون فيما دون ستة اشهر وقد تبين ان منسوب البسائط بحسب ارساد الانيرويد فيه صعود تدريجي في سمت القضايف وهي ارفع من الخرطوم بقدر ستمائة قدم فلو شُقَّت ترع للري في تلك البقاع يكون المؤمل بها خيراً وافراً لا حذاً له. ولا يخفى ان مثل هذا الامر الخطير يتطلب (قبل عرض المطالب النهائية المختصة به للنظر فيها) استخراج الكثير من الميزانيات ولكن يلوح لي ان منسوب تلك البقاع لا يمكن اولى الامر من انشاء ترعة تأخذ من البحر الازرق عند ابي حراز كما تراءى ذلك لهم من تصفح الخريطة على ذات حدتها. وقد يستطيع شق ترعة تستمد ماءً من نهر رحد على خمسين ميلاً فوق ملتقاه بالبحر الازرق عند جبل الأرانج الغربي ويكون سير هذه التربة على محاذاة النيل وقد تكون عنه على مسافٍ من طوله فيكون من شأنها وقاية البقعة الواقعة فيما بينهما وازكاء تربتها فتكون القرى والبقاع المزدرة بازاء جروف النهر بؤرة يؤمل بها انتشار العمارة واتساع نطاقها. ومن المعلوم ان نهر رحد لا يؤدّي ماءً الا في حصةٍ من السنة تكون عدتها ثلاثة اشهر فقط ولكن ولو ان هذه المدة قصيرة فهو مع ذلك يكفل ريّ المزروعات المظمائية رياً واسعاً وعلاوة على ما ذكر فان رطوبة الارض المتجاوزة تكثّر مياه الآبار حتى يصح الاعتماد عليها ويستطاع الارتفاق بها لزروع الصيف والشتاء. اقول ويزداد ايراد رحد بمحشد مائه بخزانات في اعالي مسيله او بتطريق الماء اليه من نهر دندر أو من البحر الازرق الى ما فوق ذلك ايضاً. ومهما يكن من الأمر فمسألة أحداث ريّ مستديم في الترع التي يستطيع انشاؤها مسألة لا يمكن النظر فيها الآن. ثم ان ترع الفيض التي تكفل حاصلات الزروع المظمائية وتقيض مياهها

في الارض فتكثر مياه الآبار وربما اقبلت بها الزرع الشتوية والصيفية على
السواء تفضل وسائل الري الحالية التي لا قياس لها حتى تسد به حاجات
الاهالي الى زمن آتٍ

وعلى ما يتبين لي ان الجزء الأعلى من بسيط القصارف قد لا تدركه
ترعة ما من جانب نهر رحد واذا صحَّ ان يعالج بشيء فلا احسن من ان يوثق
اليه بترعة من نهر المطبره ذلك بحث عانيتُه فيما يأتي في الكلام على ذلك
النهر على ان هذه الوسيلة تكاد تكون في نظري عقيمة . ثم ان هذا البسيط
ينقطع في مكان يكون عن القصارف على عدة أميال فتصير الارض متعادية
الصحييف حجرية الاديم وتكون محلة القصارف منفسح المفجرة تكتنفه هضاب
جرداء من دُجج الاحجار . هذا وقد ادركنا القصارف في زوال ١٩ دسمبر
وتمكننا بها يومين راحة للجمال شاهدنا في خلالها كل ما امكنا مشاهدته في
جناباتها . والمحلة عبارة عن محتفل من المزارع واقعة في وادٍ فسيح المفجرة غير
متشابهة في الخلقة وتربتها كريمة وكل غرس فيها جيد النمو وفي الظاهر ان
المياه هناك قليلة فان عدد الآبار يكاد يكون محدوداً وهي لا تورد الا مقداراً
يسيراً من الماء يسد به حاجات الاهالي بالاقتصاد

ومما يتبين لي ان بلدة القصارف قد بُلغ في شهرتها حتى انهم لقبوها
باهرء السودان كما انه ولا ريب في ان تلك البقاع هي في غاية الجودة
والخصب وهكذا الحال في جميع السودان الشرقي . ويظهر ان اسبقية القصارف
في هذا الامر معزوة الى وجود بضع آبار غزيرة المياه ولذا كانت صالحة
المثوى وغيرها خلوة من الاهل . ثم ان طريقة ري الاراضي الواقعة في طافة
البلدة المذكورة بشق الترع غير مستطاعة وذلك ناشئ عن تعادي سطح
الارض وكسورها واقول ان تكثير الآبار مع التحسين الممكن في هذه
البقاع وغيرها هو في غاية الضرورة واذا سُدَّت مساليل بعض الاخوار الكبرى

حتى صار من ذلك غدران لآتى ذلك بفائدة عظمى للاراضي المجاورة
وسهل سقي المواشي وامور اخرى تلزمها كثرة المياه . وكذلك تخفيف اخذ
المياه من الآبار التي كثيراً ما تنضب في اوائل الفصل . والذي اوكد نفعه هو
اقامة خزانات صغيرة في جوار بلدة القصارف وذلك بسد مجاري الاخوار
الطبيعية وحفر آبار هنالك والامر الذي هو افضل الوسائل لتحسين الزراعة
واصلاح حروثها وطبيعة تلك البقاع تجعل انشاء مثل هذه الخزانات امراً
هيناً سهلاً . ومما لا ريب فيه هو ان امتلاء هذه الخزانات في فصل المطر
ميسور فيما لو انشئت في اماكن ملائمة الا اذا جاءت الأمطار على قلة مفرطة
ومعلوم انه من اللازم انشاء مثل هذه المصانع على أسلوب علمي والا فلا بد
من تطرق الخلل ووقوع الموارض الكثيرة ويرجح عندي بان صعوبة انشاء
مثل هذه الاعمال بدون القواعد الفنية هو سبب عدم وجودها في تلك
البلاد التي هي في اشد الافتقار اليها فان صفات الارض واحوالها مشابهة
اشد المشابهة لاراضي « بندلكند » ومواقع اخرى من سهل الهند الكبير
الايوسط حيث تلك الحياض قائمة هنالك وهي احدى المعالم الخطيرة في
تلك البلاد

وقد غادر السفر القصارف في ٢٢ دسمبر وبلغ القلابات في ٢٦ منه
وكان معدل المسافة التي قطعها ٩٤ ميلاً فبلغ مجموع المسافة كلها من الخرطوم
٣٦٤ ميلاً اما شكل رقعة هذه البقاع طويلاً فمختلفة كل الاختلاف لان
السكة فيها مسيرة على نوع ما خط مجرى المياه قاطعة ملتقى مساحة نهري
المطبرة ورحد ولهذا ترى رقعة تلك البقاع متقطعة وحجرية في بعض
المواقع ولا سيما في جهة « دوكا » وعلى مقربة من القلابات . وترى اعالي
التلال مرتفعة بضعة مئات من الاقدام فوق منسوب السهول المجاورة لتلك
الاماكن وحيث تفارق الطريق مصب المياه هناك تجد الارض قد انبسطت ممتدة

الى سهل متسع ذي تربة سوداء صالحة لزراعة القطن وفيها اخوار محدودة
تحديداً منتظماً منفصلة على مسافة ميلين او ثلاثة بعضها عن بعض وبعد مغادرة
القضارف تجد الارض على مسافة ١٥ ميلاً متكسرة جرداء ذات هضاب
حجرية واودية مؤلفة من مساحات كبيرة كثيرة الجودة والخصب تتخللها قرى
صغيرة ذات آبار وارض زراعية متسعة . ومن ثم تبتدي الارض الشجرة
وتستمر على سنن غير منقطع فوق عامة الارض التي تنصرف منها المياه العالية
التي في نهري رحى والمطبرة وفي الحقيقة انها تمتد حول عامة بحيرة تسانا
وان كان شكلها الطبيعي يختلف كثيراً من مكان الى آخر

وعلى الغالب ترى غابات هذه البقعة من اشجار ضئيلة يقرب شكلها من
شكل الادغال اما اكثر الاشجار النابتة في منبسطات السودان فهي من انواع
مختلفة كاليموسا والسنت و يغلب فيها العضاة وشجر السنت ذو اللحاء الابيض
والاحمر ومتوسط علوه يبلغ نحو ٢٠ قدماً وقطر ساقه ستة قراريط الى حد
قدم ومع انه يستخدم وقوداً فلا يصلح البتة للبناء وعدا ذلك فقد يجمع من
هذه الغابات مقدار كبير من الصمغ ويصدر الى الجهات الواقعة بين القضارف
والقلابات وعلاوة على ما تقدم من اصناف هذه الاشجار فانه يوجد على الغالب
اعشاب اجمية كثيفة متشابكة يحرقون اكثرها في فصل الشتاء وحيث
يقل احراقها ترى الارض هناك قد اكتست بها فسدت المسالك والمعابر حتى
ان الناظر اليها يتسنى له الحكم فقط على البقعة التي يحترق طريقه منها
والارض التي احرق عشها تستوقف النظر الى حد الادغال القائمة حولها في
جميع الجهات على مسافة قصيرة جداً وهذه الموانع التي تحول دون نظر الرائد
هي من معالم تلك الاصقاع . وهي مشهورة بكونها شاقة متعبة . والامر
المستغرب في هذه الغابة التي لا ماء فيها كثرة النحل الهائله فانه مؤذٍ هناك
ومضايق ولا سيما عند الوقوف اوان الظهيرة اذ انه في حدة طيرانه وسعيه في

تطلب الأماكن الرطبة يستقر كالضباب في كل مكان رطب فيقع على أيدي
ووجوه المسافرين حتى يصبح كل وعاء للماء عبارة عن خلية فيفقد المسافر
راحته ولا يسلم من لسمها مراراً . ولحسن الحظ ان أذاه خفيف . وليس في
الغابة بين القضارف والقلابات إلا قريتان صغيرتان أو ثلاث وبعض رقاع
من أرض الزراعة . وإنما يرى المسافر آثاراً في اطلال القرى الخربة تدل على
عمران تلك الأماكن في الأزمنة الخالية وآباراً قديمة لم تبقى منها إلا الأسماء
وكما تقدم الانسان جنوباً رأى دلائل ظاهرة على ازدياد الأمطار في تلك
النواحي ولكنه يجد ان الآبار قليلة وبعيدة عن بعضها والمياه هناك قليلة
ومتقطعة . والماء أيضاً قليل عند خور « أترُب » على خمسة أميال عن القلابات
وفي أرض المجري ترّطبي . ومن هذا المكان فصاعداً يندر وجود المياه في
المجاري الكبرى ولكن يغلب وجوده فقط في الترائك والينابيع الصغيرة . أما
وسائل تقدم الزراعة في هذه البقعة فهي ولا ريب عظيمة جداً ولكن ليس
فيها مجال لأعمال الري الكبيرة بل يمكن حفر آبار فيها احسن واتقن من
الآبار القديمة زيادة عن الموجود في تلك الجهة وكما استطاع عمله على ما أرى
هو انشاء خزانات بسد مجاري المصارف الطبيعية وهذه هي الخطة المثلى في
نظري التي تعوض عن المال الذي ينفق من اجلها وفي هذه البقعة قطمان
وفيرة العدد من الضان والماعز ولكنها ليست شيئاً بالنسبة الى ما تقوم به الغابة
من موارد المرعى لولا ان الجزء الأكبر من الأرض عديم النفع بالنظر لعدم
وجود المياه

وحيثما توجد الآبار فهي على الغالب صغيرة جداً ومياهها قليلة وسريعة
النضوب وسقي عدد وافر من الماشية بها امرٌ شاق جداً ويستغرق زمناً
طويلاً والعدد الممكن سقيه بها قليل جداً . والفائدة في انشاء حياض كبيرة
مكشوفة حيث يمكن سقي عدد من الماشية بها في بضع دقائق ظاهرة لا

تحتاج الى دليل . وحياض كهنه على فرض انها لا تسمع المياه المطلوبة في
خلال السنة كلها فانها ولا شك تقوم بخزن مقدار كافٍ من المياه بمد الآبار
التي في جوارها ويستجلب اليها العمران بالناس فتكون مطرقاً لاقدامهم
ووسطاً لاحتشادهم فيها وربما تكون في بادئ الامر مرغى لماشيتهم فيها جرون
اليها وبذا تصبح بعد حين من الزمن موطناً لماشيتهم فتعمر وتصير قري ثابتة
تكتنفها اراضٍ زراعية . وقد شاهدت حقولاً عديدة مفروسة قطناً في جوار
القلابات نامية بغير وسائل الري الصناعية ومعلوم انها كانت تخرج في السابق
مقداراً كبيراً من القطن ينقل الى الحبشة . وشجرة القطن الذي رأته في
هذا المكان قصيرة ولكنها نضرة ونوع القطن على ما قيل حسن وقد اعطانا
الكولونيل هنري مدير كسله مثلاً مختلفة زرعت في مديرية كسله على سبيل
التجربة فاتينا بها الى مصر

ومما لا ريب فيه ان الحاجة الى ازدياد عدد السكان في تلك الاصقاع
وغيرها امرٌ عليه مدار حركة الاعمال في كل بلاد وهذه مشكلة لا بد ان
تحل من نفسها مع الزمن ويظهر لي انها سائرة سيراً حثيثاً باكثر مما يتظر .
اما بلدة القلابات فانها واقعة على هضبة في بقعة حسنة حيث تندمج سهول
السودان في جبال الحبشة ومع وجود اراضٍ كثيرة حجرية متعادية على
مسافة بضعة اميال من القلابات فهي مع ذلك تعدّ برّاً مستوياً لان المساحة
المنبسطة فيها والارض ذات التضاريس الخفيفة هي اوسع جداً من ذات
الهضاب والتلال . اما ما وراء القلابات فالارض بحكم موقعها اكية وان يكن
في بعضها قطعٌ كبير منبسطة من الارض صالحة للزراعة لكنها تصبح شيئاً
فشيئاً وعرة حجرية . وحصن القلابات القديم الذي صار الآن داراً للحكومة
واقع على رابية ويرتفع نحو ١٥٠ قدماً عن القرية وهو موقع لطيف صحي
مكشوف يشرف على مناظر متسمة الاكفاف وهو في رقعة كبيرة من التلال الغبية

والبلدة واقعة الى الشرق عن مضاجع سيل المطبرة والرحد .
واما نهر المطبرة هذا فواقع على مسافة خمسة اميال شمالاً بشرق وهو احط
منها بثلاثمائة قدم ولا يمكن معرفة عامة جريته من « الحصن » المذكور
بالتمام لان هناك منخفضاً متسعاً من الارض المتعادية مستتراً في ظلال الغاب
الكثيف . وقد شاهدنا يوماً هذا النهر فوجدناه ينساب كالسيل وله سمة
تزيد على مئة متر ويكون عمقه نحو خمسة امتار في زمن الفيض وله قاع فيه
سياق من الغدران الكبيرة العميقة ونوائى حجرية ورقارق كثيرة الدماليج
اما الادغال القائمة حذاء مجراه فملتفة وقد كان اختراقها للوصول اليه عسيراً
جداً وشاقاً للغاية في يوم شديد الحرارة . ولم يكن تصرفه في آخر شهر ديسمبر
الأمم مكملاً في الثانية وهو آخذٌ حينئذٍ بالانتقاص السريع . وفي آخر شهر
قبرير انقطع ماؤه جملةً

وقد جاءنا في القلابات الخواجا يؤنس الترجمان الذي اوفده الكولونيل
هارنجتون من اديس ابابا لملاقاة فيها حاملاً رسالة من الملك يأذن بها للركب
بالدخول الى الحبشة وقد جاء الخواجا المذكور ببضعة بغال ونفر من الاحباش .
وقد وجدنا هناك السبعين حملاً التي بيعت لنا من القضايف وحامية
من العربات لمرافقتنا يبلغ عددها احد عشر رجلاً وكنا قد استأجرنا ١٧
رجلاً من القضايف لسوق الحمير واتينا بهم فبلغ مجموع الركب نحو خمسة
واربعين رجلاً

وبعد ان قضينا ثلاثة أيام لاعداد الأهبة لنقلها على الحمير واستكمال اشياء
أخرى من المؤونة برحنا القضايف في ٣٠ ديسمبر ودخلنا بلاد الحبشة فوصلنا
بحيرة تسانا فاستوينا الى دليبي بعد مسيرة ٩ ايام سرنا فيها الهويننا وقد بلغ
متوسط المسافة التي قطعناها من القلابات الى دليبي الواقعة في منتهى طرف
البحيرة شمالاً بغرب نحو ٩٢ ميلاً

وقد سرنا في طريقنا متجهين جنوباً بشرق متتبعين مجرى نهر
غندواها أحد ممدّات نهر العطبرة الكبرى ان لم نقل مجراه العميد وذلك
يبلغ نحو ثلثي المسافة . ومن ثم ينحرف الطريق قليلاً الى الجنوب فيمر في جبال
مضاجع سيل العطبرة والرحد ثم ينحدر هابطاً وادي جيرا وهو على ما
تبين لنا منشأ نهر شمفا وقد أخذنا من ذلك العجب اذ كنا تبيناً من الخرائط
ان مرورنا يكون على منشأ اعالي نهر جوانج الأعلى الجاري الى الشمال الغربي
حتى نهر العطبرة اما نهر جيرا المتقدم الذكر فهو مثال الانهار الجبلية ووقوعه
في بقعة تكاد تكون كلها من صخور سوداء بسلتية صماء محببة . ولا بد ان يكون
سيلاً جارفاً بعد المطر ثم يجف ولكن يبقى فيه نزراً احياناً وهو يجري في وادٍ
ضيق بعيد الغور كنين كثير الحرارة قليل الهواء وربما كان وخيم الاقليم وقطاعه
كثير الاختلاف ومتوسط عرض قاعه يبلغ نحو ١٥ متراً وغوره ثلاثة امتار
في زمن الفيض وله ميل هوي ولا بد ان يكون مقدار تصرف مياهه في
معظم الفيض عظيماً جداً وكل ما يرى في هذه البقعة يدل اقوى دلالة على
نزول الامطار الاستوائية الغزيرة والذي يلاحظ عند النظر الى القطاع الطولي
لهذا القسم من الطريق ان نهر جيرا واقع في نقطة منسوبها أحط من
منسوب نهر غندواها بمعنى ان اعالي مياه الرحد اكثر انحداراً وصرفها أسرع
من مياه نهر العطبرة

وعلى مقربة من المكان الذي بلغنا عنده نهر جيرا بعض ينابيع حارة
واقعة على جرف النهر المشار اليه ولها شهرة بان فيها شفاء للأمراض ولذا
يقصدها اهالي ذلك القسم القليلي العدد . وليس لهذا الماء طعم أو رائحة
بل هي صافية جداً خفيفة . وتنفجر من ينابيعها حارة جداً بحيث لا
تطيقها اليد . ثم تتبعنا السير في وادي الجيرا فرأينا الطريق تذهب صعداً
بسرعة والهضاب تماس ضفاف النهر ذاهبة علواً وفي النهاية تفارق الوادي

صاعدةً مخترةً طنفاً بين اخاديد غائرة وهذه الاخاديد أو بالحري المسالك الضيقة ترتفع كلما تقدم الرائد في المسير حتى تغيب جملةً عند اندماج الطريق في مرتفعات مكشوفة ملأى بالاعشاب وهناك انقلاب كبير في طبيعة الأرض والاقليم . وفي هذه النقطة لا يرى الناظر الى هذه البقاع تغييراً في طبيعة الأرض في القلايات اي انها بقاع أجمية كثيرة الغابات والحراج المتواصلة ملأى بالعشب المتراكب والاشجار القصيرة تملأ براً مغضن السطح . وميل الأرض عند بلوغ الملاية يتغير فينحدر نحو الشرق سائراً سيراً حثيثاً ومن ثم ترى بحيرة تسانا على مسافة بضعة أميال من محطة خمس مئة او ست مئة قدم عن الأرض المذكورة . اما الطريق فانها تنحدر في بادئ الأمر إنحداراً شديداً ثم يقل إنحدارها سائرةً في بسائط متعادية مكسوّة بالأعشاب العالية وترى رقاعاً منها منزرعة الى حدّ ضفة البحيرة

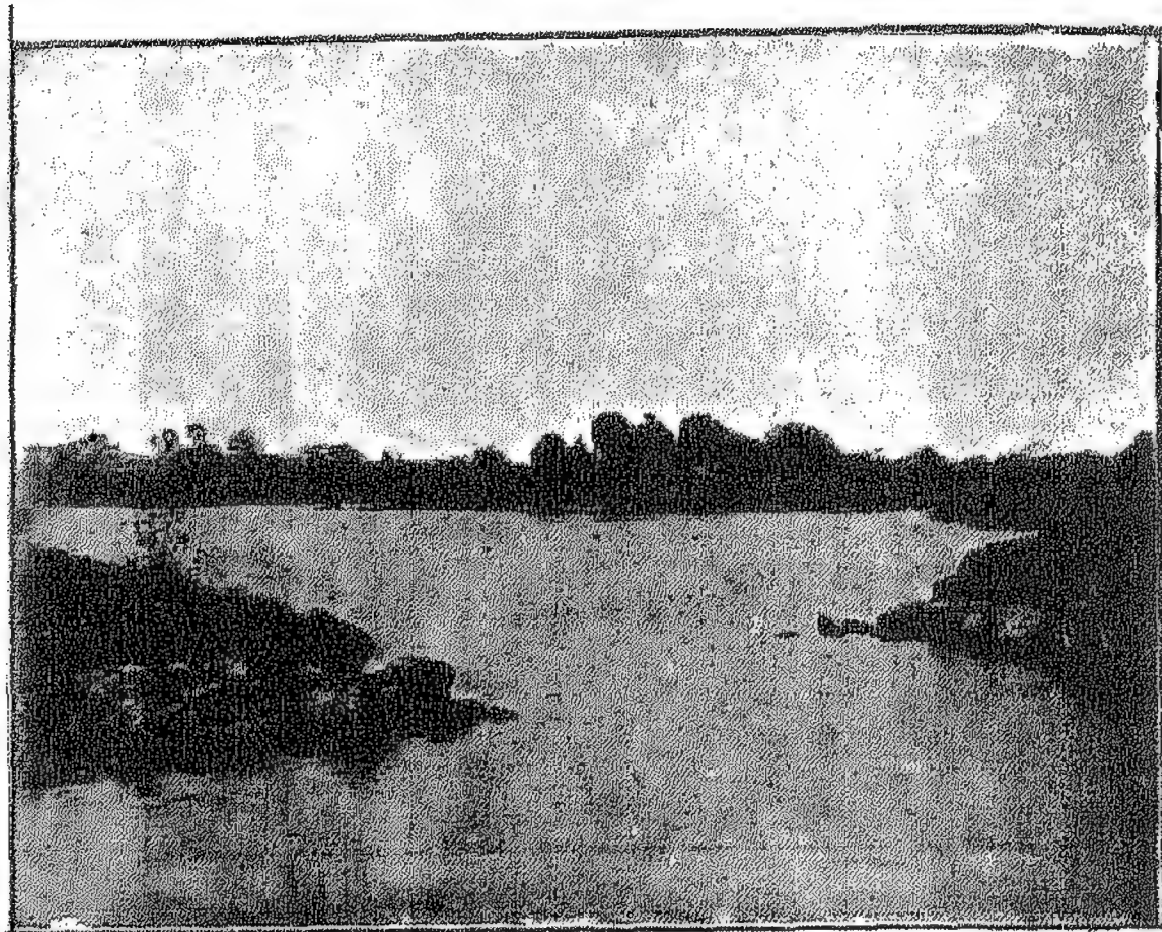
والأرض من القلايات الى طرف الملاية اعني مسافة سبعة اميال من البحيرة غير مأهولة ولا ترى اثرّاً للناس الا ما تصادفه من جماعات التجار في الطريق الذين ينقلون البن وهذه البقعة رديئة السمعة لانها مأوى للصيادين وقطاع الطريق وقد تحققت بانها حرة بهذه السمعة . ومما هو جدير بالذكر ايضاً انه يوجد في وسط مشبكات الهضاب والودية بضع قرى صغيرة مستترة في غابة وهي عبارة عن مكان للصيادين الذين يعيشون من سلب القوافل المارة في ذلك المكان

ولا شك ان هذه الطريق كثيرة المهالك والاعطال لا أمن فيها الا للجماعات الكبيرة المدججة بالسلاح . ولا شك ان فقدان الامن فيها يجرّ ضرراً بليفاً بتقدم التجارة بين السودان والحبشة والطريق نفسها ركوب وقت الصحو ولكنها رديئة وعرة في بعض الاماكن وما يضايق فيها هو ان الحمير والبغال لا تتمكن من حمل اثقالها في مرورها من بين الاشجار والصخور

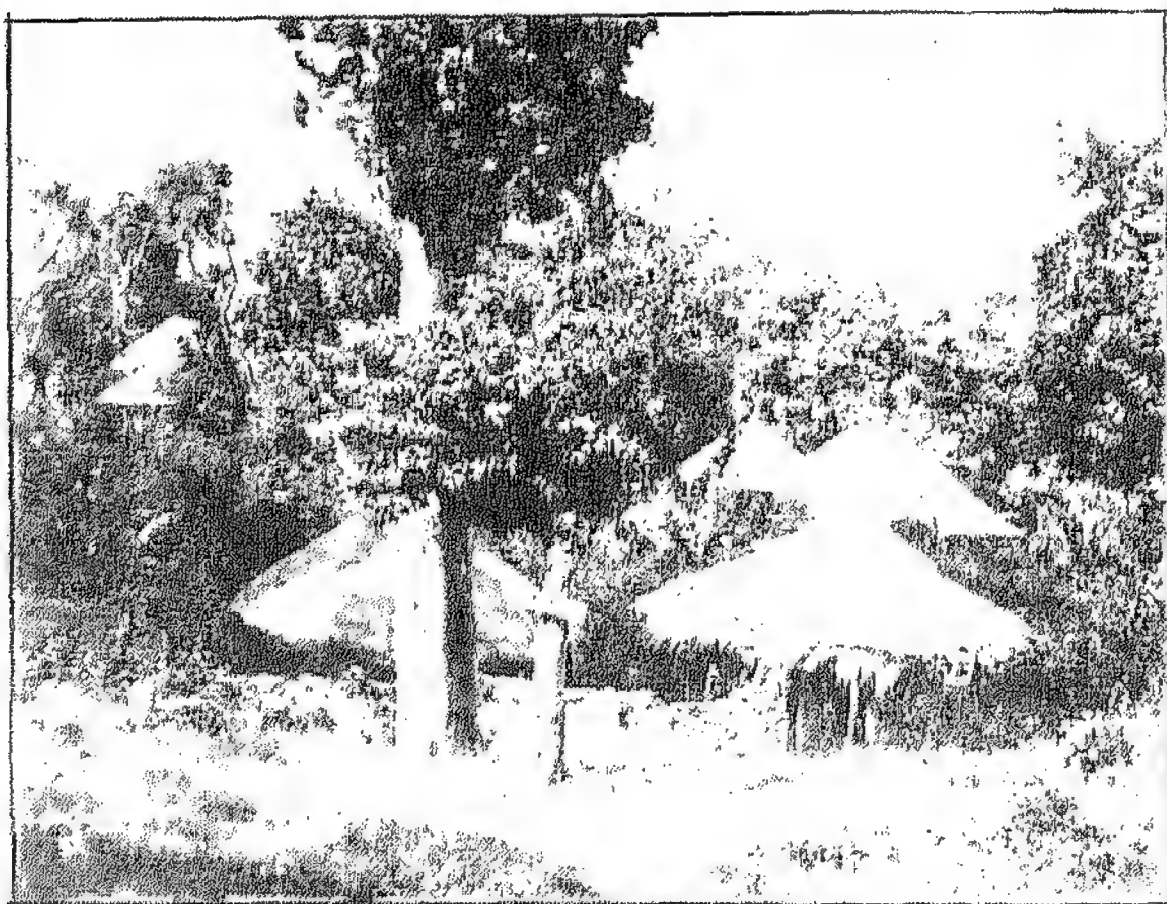
وهي سائرة تسير جنباً الى جنب متزاخمة في مواضع ضيقة حيث ينقطع عليها
خط السير اذ تنخفض الارض فتصير غوراً عميقاً يكون شكله شكل رقم ٧
هابطاً في ارض طفالية ذات سطوح مائلة . والصخر هناك زلق وقع لنا به
حادثان ولكن بغير اذى يذكر . ومن المستطاع اصلاح هذه الطريق
إصلاحاً كبيراً بنفقة يسيرة وهو ان تقطع الاشجار والادغال الصادرة السير
وترحزح الاحجار عن الطريق وانما قد يستدعي الامر نفقات طائلة اذا اريد
إصلاح الاكناف الوعرة منها لكن هذه الاكناف لا تكون سوى بضعة
اميال فقط والمسافة كلها تبلغ مئة ميل . وبما ان الانهار تكون جافة ناضبة فلا
تعب من هذا القبيل الا في فصل المطر ولكن التصعيد والتحديد في
الاخاديد الضيقة المستطيلة هو في الغالب ردي جداً ولم يعترض سيرنا احدٌ
من الاحباش في تلك الانحاء حتى وصلنا الى حد العلاية وهناك قالوا لنا
بخشونة ان نتوقف عن المسير الى حين نفوذ الامر اليها من الرأس قوقسا .
وعند تغيب الزعيم المحلي عن ذلك المكان عانينا تعباً قليلاً في التغلب على معارضة
العامل في حين اننا اطلعناه على كتاب نجاشي الحبشة ولكننا تمكنا من
متابعة سيرنا الى شواطئ البحيرة حيث عزمنا ان نقيم يوماً او يومين
ولقد كان سلوك اولئك الناس مريباً عدائياً الى ان اتانا في اليوم التالي
رجل كان قد اتدبه الرأس قوقسا لملاقاتنا ومراقبتنا ولكنه لبث ينتظرنا في
مكان آخر ولم يتمكن من مقابلتنا في ذلك الحين ولما جاءنا هان العسير وتيسر لنا
كل ما رغبناه

اما دلجي فهي نقطة الترحال والاقبال بين بحيرة تسانا والقلابات
وهذه القرية واقعة على انف بارز حجري قليل الارتفاع وهي فرضة صغيرة
يجلب اليها البن الذي يرتفع من ساحل البحيرة الجنوبي الشرقي وينقل الى
السودان في ارمات مصنوعة من ورق البردي وهي سريعة المطب . ويطلع

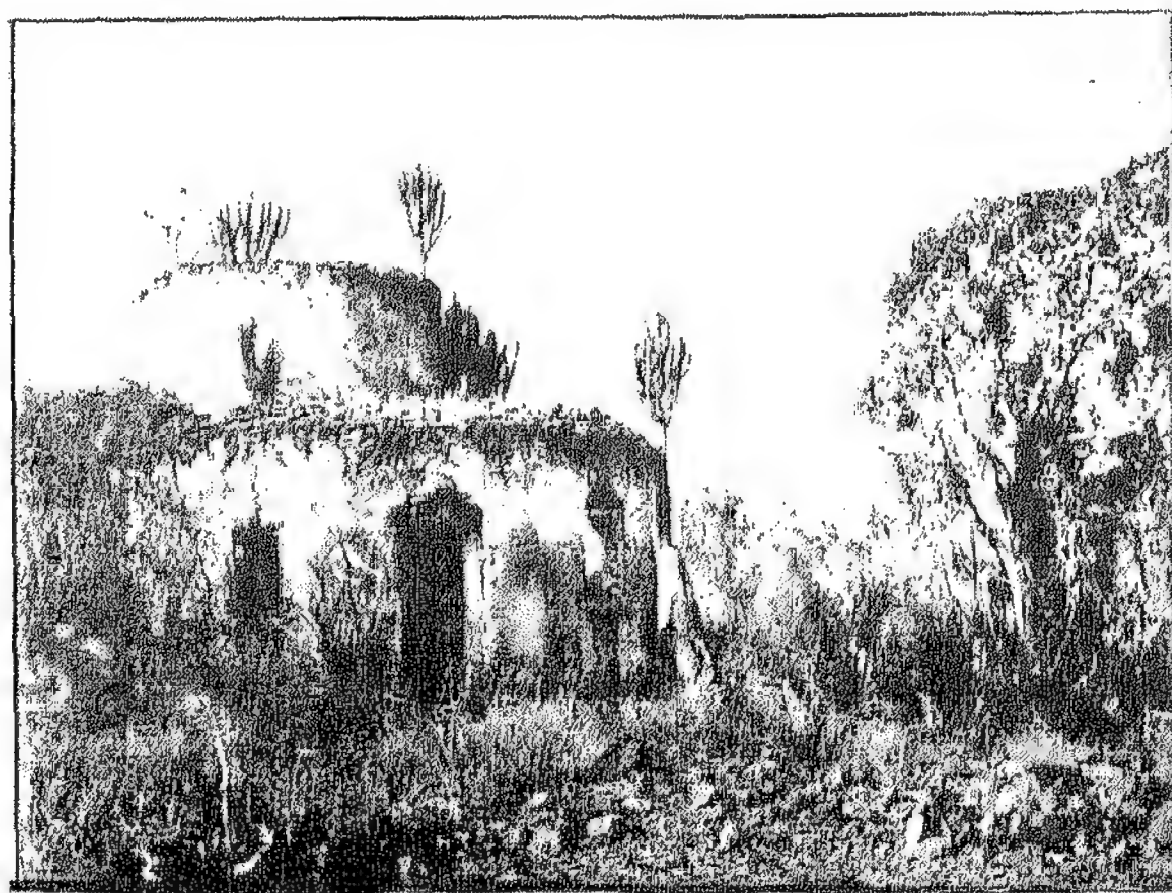
من الانف على البحيرة والمنظر بهيج فريد وامامها جبال شبه جزيرة جورجورا وجزرها . والبحيرة على مَدَّ البصر الى ان تتصل بالافق من الشرق الى الجنوب وترى الجبال البعيدة في سمت الشمال والشرق وايضاً في سمت الجنوب والغرب ولا يرى الراي من الجنوب الشرقي الاً خيالاً للهضبة المخروطية الشكل الواقعة في جزيرة ديمجا ولا يكاد يراها الرائد الاً في يوم صفت سماؤه . ويخال للمسافر ان البحيرة اكبر مما تبصره العين والبرحوله اجباله اقل مما يرى على الخريطة والنور الذي تشمله البحيرة هو على ما اراهُ بشكل قصعة والارض ترتفع من حافة المياه بسائط متعادية تتزايد وعورة في صعودها حتى تنتهي الى هضاب مرتفعة أوجبال كبيرة . والتلال تتراعى متقاربة في عدة مواضع كما هي الحال في شبه جزيره جورجورا من ناحية الشمال ومتراهها وكوراتا من جهة الشرق وزدجي من ناحية الجنوب ودنكير من جهة الغرب وتتراعى الى البحيرة بانحدار وعر . والغالب انها تكون منها على بعض المسافة وطبقات الارض الجيولوجية تقرب ان تكون في كل مكان نفس خلقه الارض الفطرية التي على ما يظهر لي انها عامة في السودان الشرقي فالظُرَّان والطلق البراق واللعل يتخللها رقاع الحمم والاحجار الدُّجُج البركانية وقد روى بعض السياح انه رأى الحجر الرمي وقيل ايضاً ان الحصص يوجد قرب غوندار ولكني لم أر شيئاً منه . اقول وهذه الاراضي المتسعة هي بسائط تربتها طيبة غرييلة صالحة لزراعة القطن تخالطها في الغالب صخور بركانية . ويوجد عند مصاب جميع الانهار الكبرى التي ترمي في البحيرة بسائط متسعة التخوم ملأى بالرواسب الصلصالية قوامها تربة سوداء وهي ذات خصب مع ان مساحة هذه الاراضي تسعة اعشارها لا تنبت غير العشب الغليظ . ومن مميزات هذا الصقع من الحبشة وفرة الاعشاب في عامة الارض لا اعني بذلك الحلفاء الغليظة القصبية التي تنبت في جهات السودان الحارة بل العشب طويل



جُزَيْرَات في مَخْرَج بحيرة تسانا



قرية كُورْتَسَا



آثار كنيسة سيديفر

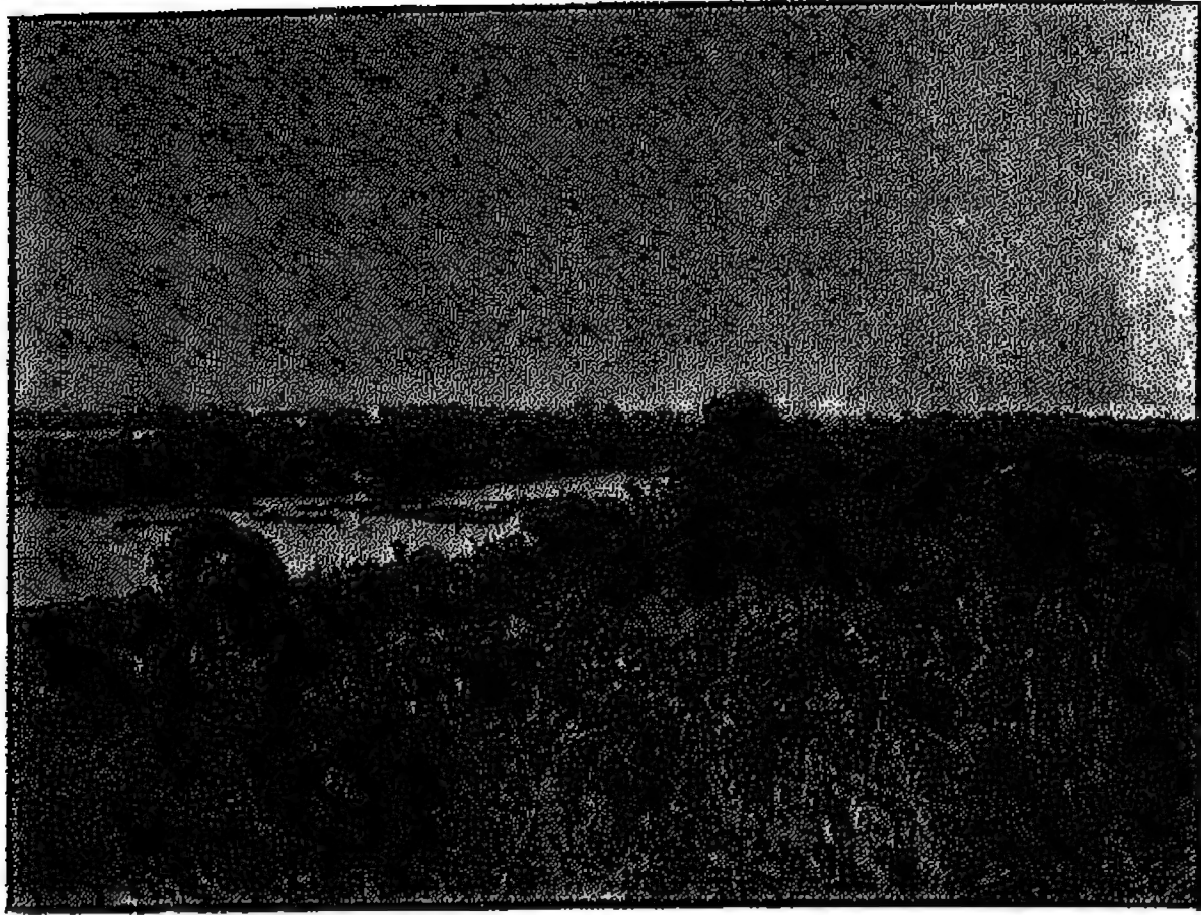
الساق سوي النبت تعلو ساقه بقدر ست الى ثمانى اقدام وقد ينيف على ذلك ولا سيما في الاراضي المظمثة. ومع انك تراه ناشفاً فهو ليس بصوفاني القوام كالذي ينبت في المنبسطات السفلى فهو اذاً غير محروق في عامته وهو عقبه عظيمة في طريق المسافر. وغالب المستويات في هذه الاصقاع عراء الا النزر اليسير من الشجر كثيرها شجر السنط معتدلة الحجم منسطة العوالي تشبه في نموها وارتفاعها شجر الأرز ومنظرها على بعض المسافة اشبه بمنظر حديقة غناء وعند الدنو اليها يزول هذا المنظر وتقوم في وجه الرائد عقبه شاقة في اختراق العشب المتلبد الكثيف وفي الارض الغليظة تكون الادغال واما الروابي فكسوة بقصير الساق من الشجر

وكنا اينما سبرنا البحيرة نجدها قرية الغور على مسافة بعيدة عن الشاطئ وحوضها مطنف مدرج بميلٍ قدره واحد الى مئة وقراره رملي متماسك الحبيبات ويستدير بضميرها حاشية من القصب نابتاً في الماء ويكاد يكون في عامتها. ووراء تلك الحاشية رقعة من الارض مكسوة بالعشب القصير وهو غرض ندي يتعالى نبتة بميل خفيف حتى يتصل بحرف صغير هو ضمير البحيرة في ايام فورة مائها وفوق هذا الجرف ترى البسائط المتعادية الغاصة بالاعشاب الى مدى بعيد

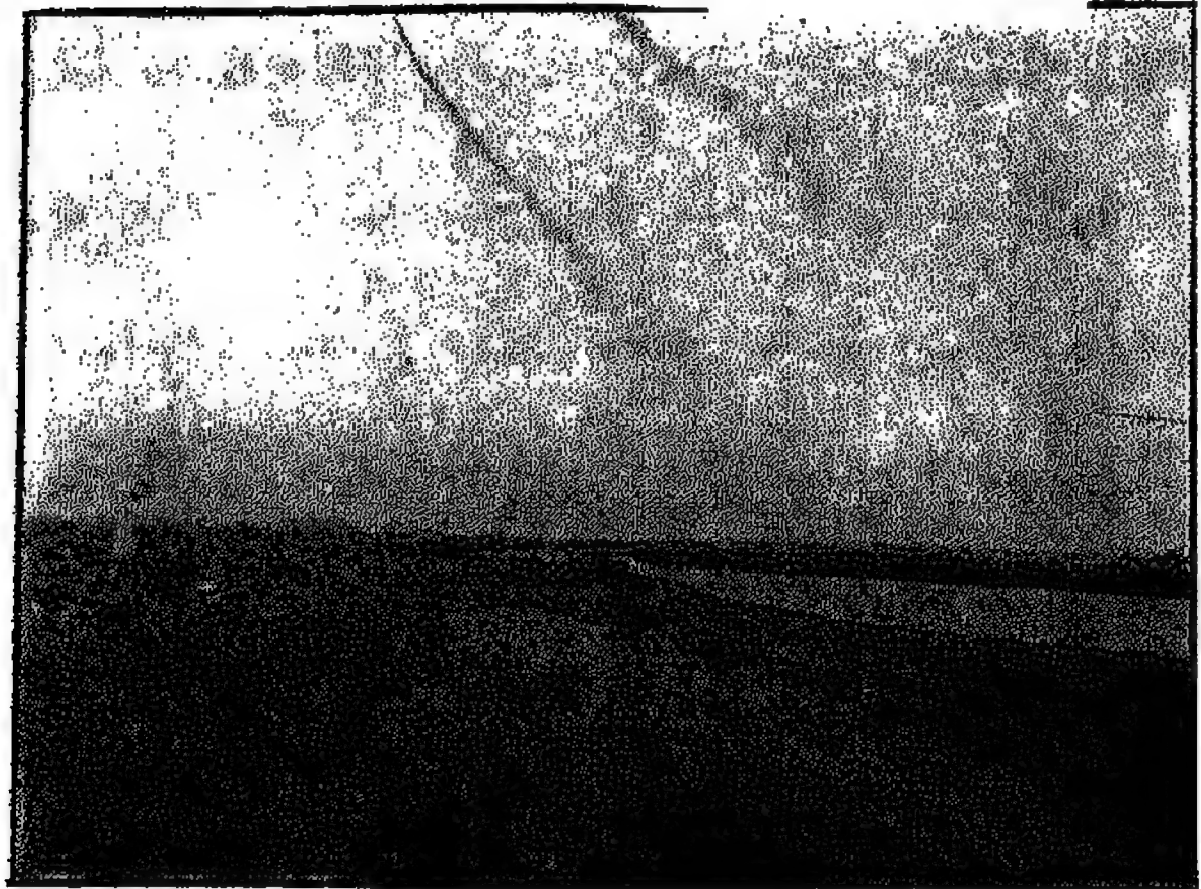
اما مزايا هذه البحيرة وما يتعلق بصفاتها فقد كان الكلام عليها مفصلاً في المذكرة الخاصة بهذا الموضوع وتزيد على ذلك بوجه عام ان ضميرها مكشوف بين المرأى ما عدا ما تراه في طرفها الجنوبي مغموراً بمستنقعات البردي. وترى الارض المحيطة بها مشقة جافة والعشب يفرشها في مسافة تكون نحو مائة متر من ضفة المياه. وترى افواه المجاري التي ترمي الى البحيرة معلمها منافع موحلة قصباء ولذا يتعذر في اغلب الاحيان عبورها ولكن في غير هذه المجاري تكون سهول الوادي في الشتاء تربتها صلبة متماسكة

الى ان تصل الى ضفة البحيرة ومما يحتمل لابل يرجح ان تكون الحال على خلاف ذلك في ايام الامطار اذا جاءت غزيرة وطغت المجاري والانهار وازداد صرف المياه من الاراضي العالية فلا بد حينئذ ان يتحول جزء كبير من الارض الوطيئة قرب ضفة البحيرة الى مستنقعات ولكن المساحة التي تغمرها مياه البحيرة عند ارتفاعها ليست بالنسبة كبيرة وقد ازمعنا ان نسير حول البحيرة من جهة الشمال والشرق لاننا بسيرنا على هذا النحو نتخذ طريقاً واضحاً في درك راس قوقسا لنباغ مخرج البحيرة ولكون عامله كان مرافقاً لنا لم نخش معارضة احد او مقابلة عدائية فبرحنا دلجي في العاشر من شهر يناير وقصدنا ان نسير بقدر الامكان على محاذاة ضفة البحيرة . ولكن عدم انتظام شاطئها وضرورة اجتناب مستنقعات مصاب النهر اجبرتنا الحال على التباعد عن ضفتها في عدة مواضع . والطريق هنالك ضيقة في كل مكان كنيئة في العشب الكثيف وهي على الدوام متشعبة متخالفة الاتجاه ولذلك يتمذر السير فيها بغير دليل

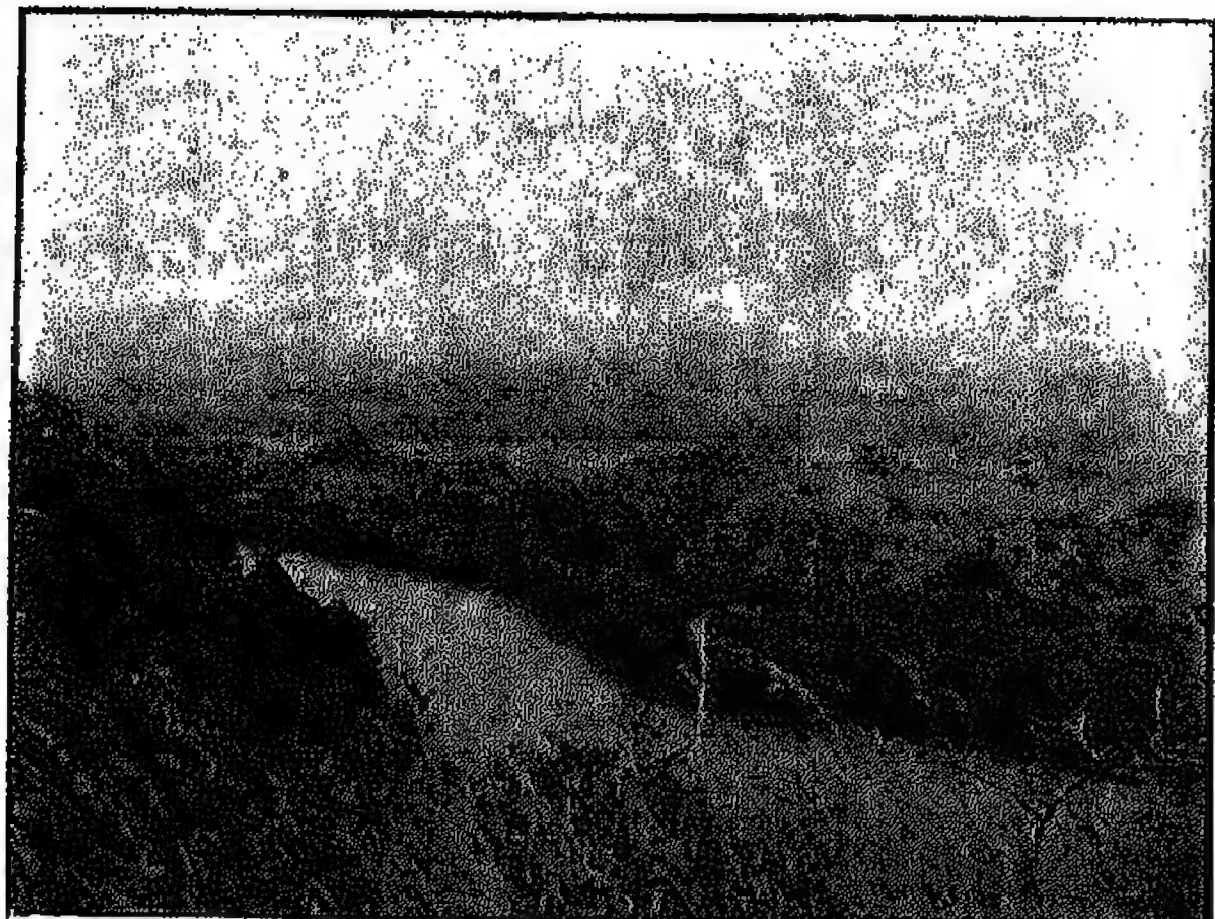
واصعب العقبات التي قامت في وجهنا هي مجارٍ مملأ بالالوحال التي كانت تغوص فيها العير وقد اضنكتها الاثقال وكثيراً ما كانت تعلق ارجلها فيها . وهذه المجاري ضيقة جداً ويسهل اجتيازها بوضع معبر عليها من فروع الشجر والاعشاب . وقد حططنا في محلة متراحة الواقعة على الشاطئ الشرقي يوماً كاملاً لنستريح ونعد مؤونتنا . والمحلة جميلة البقعة وهناك رأينا الجزيرة وشهدنا الكنيسة الخربة التي تدل على الحد الذي هو آخر ما وصل اليه الدراويش في غاراتهم على هذه الجهة من الحبشة . ولقد كابدنا عناء كثيراً في اجتيازنا نهر رب وهو النهر الذي ليس فيه مادة تذكر ولكن اتساعه يزيد على خمسين متراً وعمقه متر ونصف في المواضع التي تخاض منه وقد عبرناه بغير اذى واستخدمنا في ذلك زورقنا « برتن » وقد وضعنا فيه كل امتعتنا واستقنا



١. نهر - الطوف الحنه في الشرقى بحيرة تسانا



نهر ريب



نهر أبای على سبعة كيلومترات من بحيرة تسانا

حيرنا اليه . ومما يجب ملاحظته هنا الامر المتعب في عبورنا النهر المذكور وهو ما وقع لنا بعد زوال ذلك اليوم ثم ما تبعه من برد الليل القارس المعتاد حصوله في تلك النواحي وزد على ذلك عدم وجود وقود للاصطلاء لان كل تلك البقعة عبارة عن فلاة غاصة بالاعشاب

وكانت الحرارة في جوار البحيرة تهبط اضطراداً ليلاً الى ما يقرب من درجة الصفر وقد لاحظت ان احطها بلغ ٢٩ درجة بمقياس فاهرنهيت . ووضعت مقياس الحرارة على المقعد خارج الخيمة فرأيت انه كان يرتفع الى نحو ٨٠ درجة في الظل بعد الزوال وقد اثر هذا البرد الشديد باجسام اتباعنا اذ ان ملابسهم كانت خفيفة . واكثر ما عاينته من ارتفاع درجة الحرارة وهبوطها كان في صحاري السودان فان المقياس صعدت درجته من ٤٥ الى ١٠٤ في يوم واحد وهذه احدى خواص هذه المنطقة في عامتها في فصل الشتاء القليل المطر . هذا وقد عبرنا نهر جومارا الذي يقارب نهر ربّ في كبره واهميته بلا صعوبة اذ اننا وجدنا مخاضة هيئة الاجتياز فيها سد من الكنكر الغليظ وقدّر متوسط تصرفه بمترين مكعبين في الثانية . اما تصرف نهر ربّ فلم يتيسر تقديره اذ انه لم يكن ظاهراً في القطاع الكبير وانما النهران متشابهان في طبيعتهما ومساحة صرفهما مما يرجح انهما على مقدار واحد

ومن هذه الجهة عزمنا على الذهاب الى دبراطابور لنشكر للرأس قوقسا الحبشي مساعدته التي سهلت رحلتنا . فعهدنا الى الدكتور هايزان يتولى امر معسكرنا وذهبت انا والمستركرولي يصحبنا نفر من اتباعنا الى دبراطابور فوصلناها في يومين . وقد اضطررنا في هذه الرحلة ان نسير صعوداً فان دبراطابور يكون ارتفاعها عن سطح البحر (كما يقدرها المارفون) ٨٨٢٩ قدماً لكن الميزان تجاوز منتهى الدرجات فلم اعد قادراً على معرفه درجتها تماماً . ومما يجدر ذكره ان جميع اراضي هذه الجهات هي من احجار

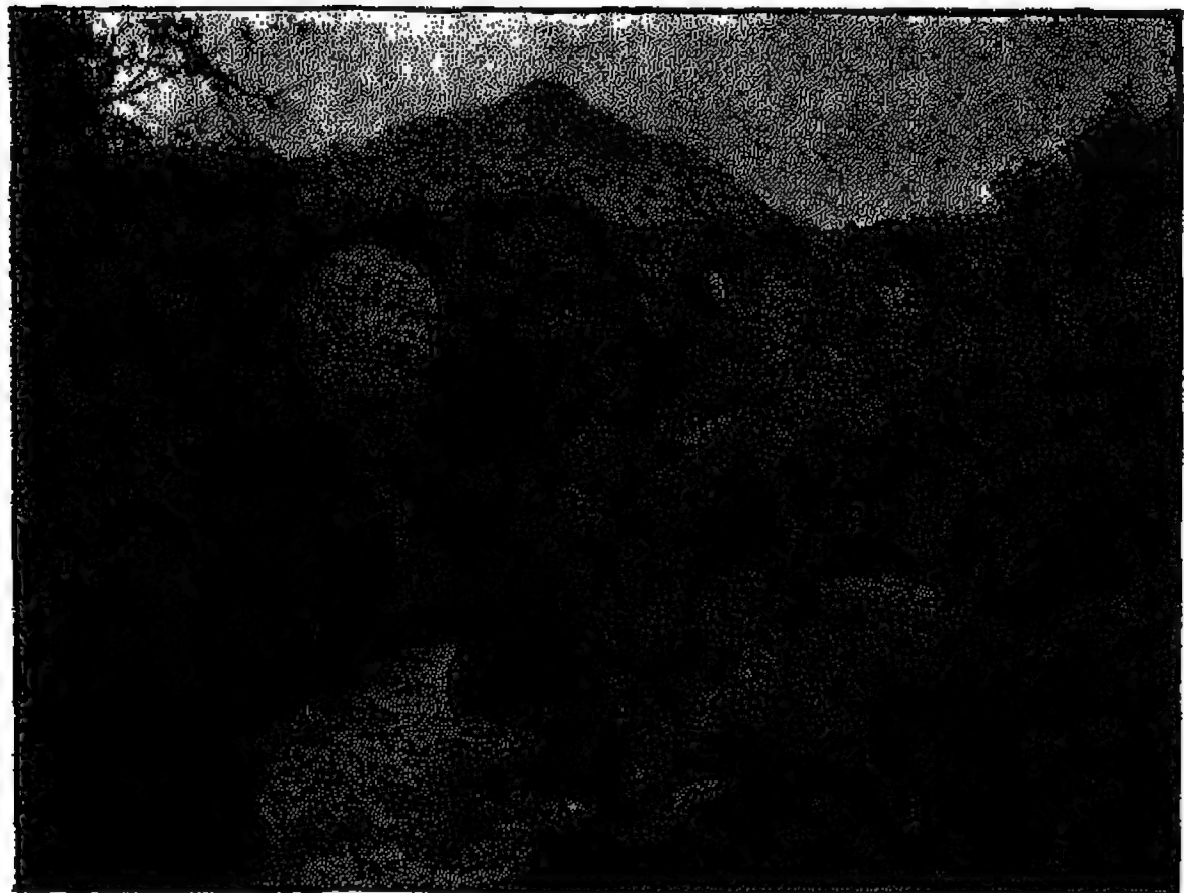
صوانية وضروب اخرى من الصخور المتبلورة يخالطها اتربة ضاربة الى الصفرة .
بقرب الروابي والاراضي الصالحة لزراعة القطن . وقد فقدنا في هذه الرحلة
احد اتباعنا اصاب بداء بالدوسنتاريا الحادة وتوفي بعد ست وثلاثين ساعة .
ولما رأينا انه يعتمد علينا حمله الى دبراطابور تركناه في كبس الى جانب الطريق
حيث اعتذت به امرأتان حبشيتان الى ان قضى نحبه في اليوم التالي
وقد احتفى راس قوقسا بنا احتفاءً لاثقاً لان الملك منليك كتب له عن
قدومنا لتلك البلاد ولذا اهتم في امر رحلتنا اهتماماً عظيماً . على اننا لم نلبث
في دبراطابور الا يوماً واحداً ثم قضينا يومين في العودة الى مقر الركب
وقد رأينا في كوراتا غروس البن التي اشتهرت بها سواحل البحيرة
الجنوبية الشرقية ورأينا ايضاً بداية نبات البردي الذي يكثر جداً في جهة
الجنوب ولكنه غير موجود في جانب البحيرة الشمالي . ولمدم تحققنا الاخبار
واختلاف الاراء في المسلك الذي يجب اتخاذه للوصول الى نهر اباي
وكيفية اجتيازه صادفنا صعوبات كبرى في هذا الشأن . واخيراً ضربنا خيامنا
في مكان يسمى ووريب يكون عن النهر المذكور بقدر ميلين او ثلاثة اميال
واخذنا في الطواف يومياً بتلك الجهة قصد الاستكشاف ومسح الاراضي
الواقعة حول ذلك النهر . وكذلك فان تلك البقاع الوعرة المتعادية جعلت
اسلوب العمل بطيئاً لجمع الانباء لاننا اعتمدنا في ذلك على المراقبات الشخصية
وانما عملنا عملاً يذكر وقد استوعبنا طبيعة تلك البلاد
ثم اننا قد عبرنا النهر في ٣٠ يناير بغير اذى وخيمنا على ضفة البحيرة عند
بلدة بهردار جورجيس . ومن ثم شرعنا في ٣١ يناير باستخراج ارساد التصرف
عند منفذ البحيرة فوجدناه ٤٢ متراً مكعباً في الثانية او نحو ثلاثة ملايين
متر مكعب ونصف في اليوم وهذا على ظني اجلي واهم نتيجة استخراجها في
هذه الرحلة . وأراني في ارتياح للتدقيق الشافي في ضبط الارصاد المذكورة وذلك



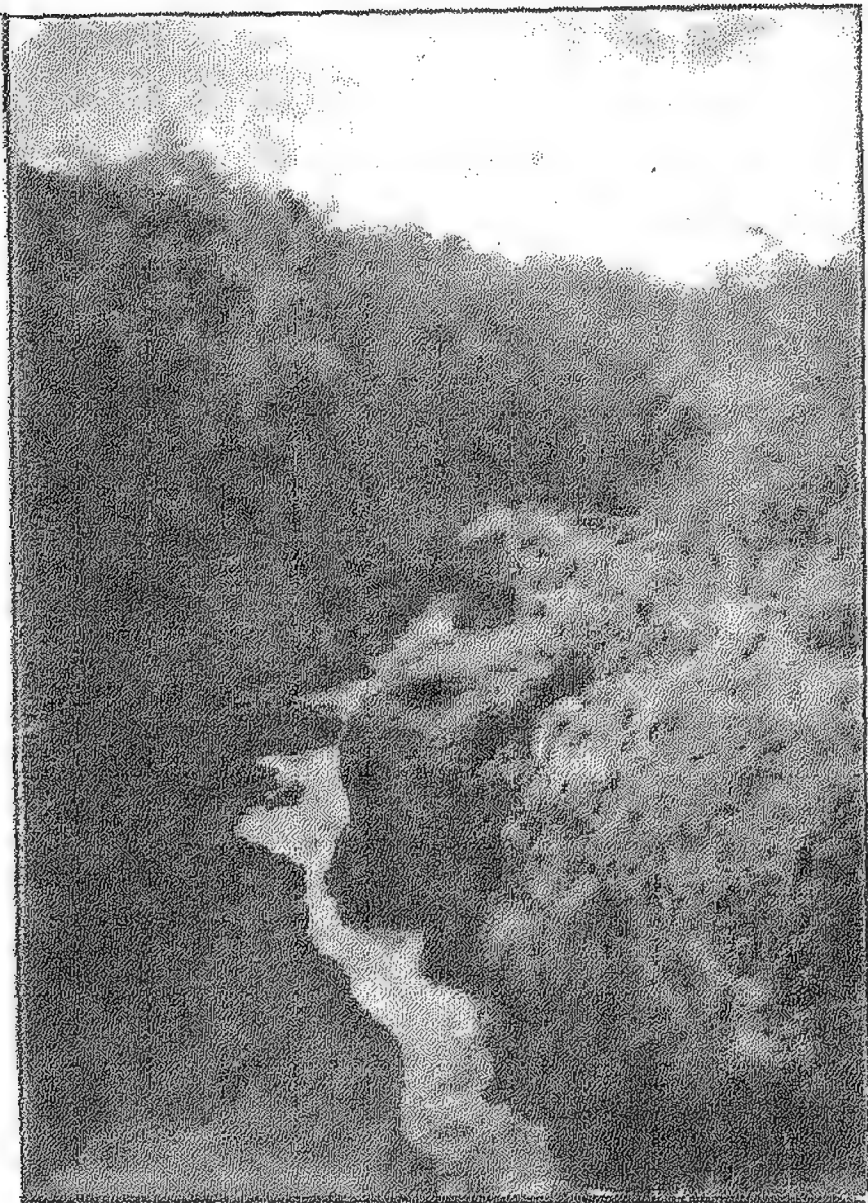
جنادل مخاضة أبای



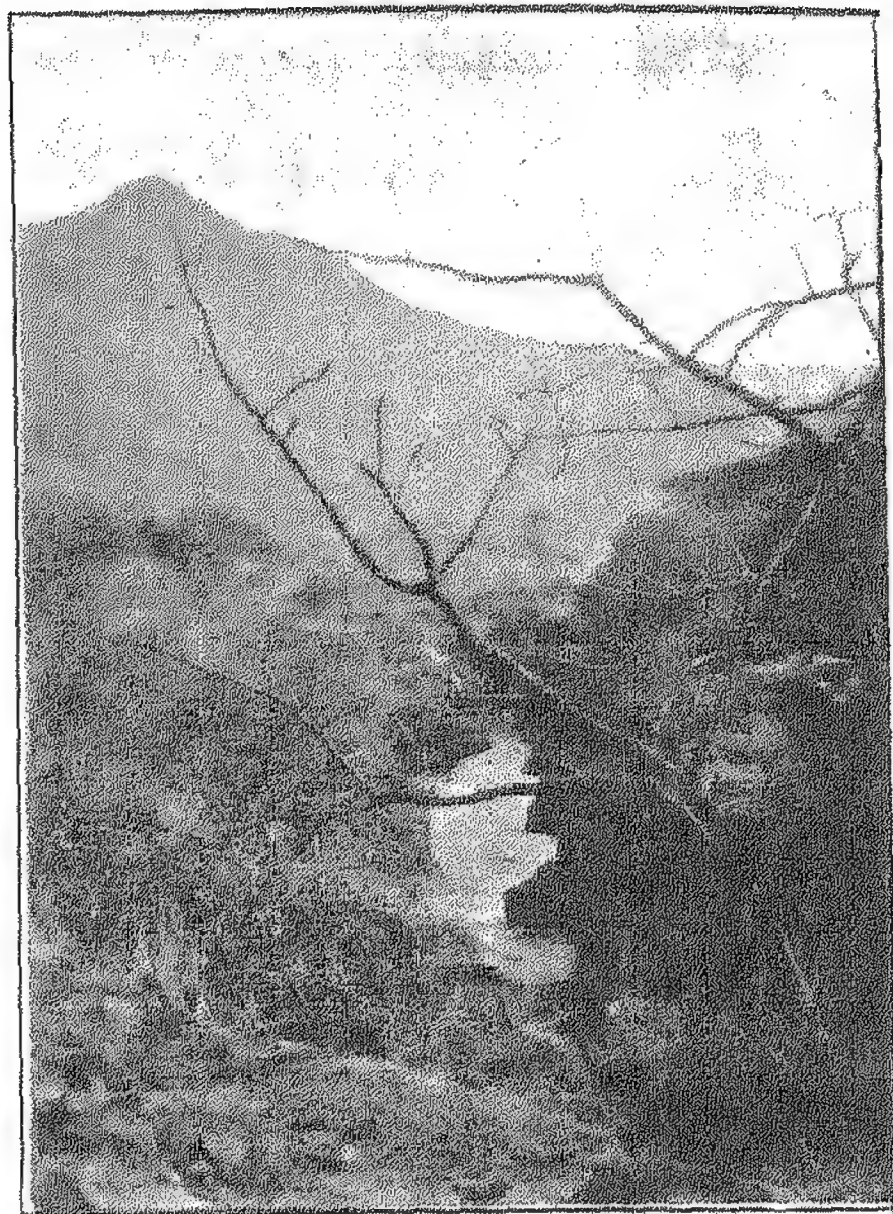
مخاضة نهر أبای على عشرة كيلومترات من البحيرة



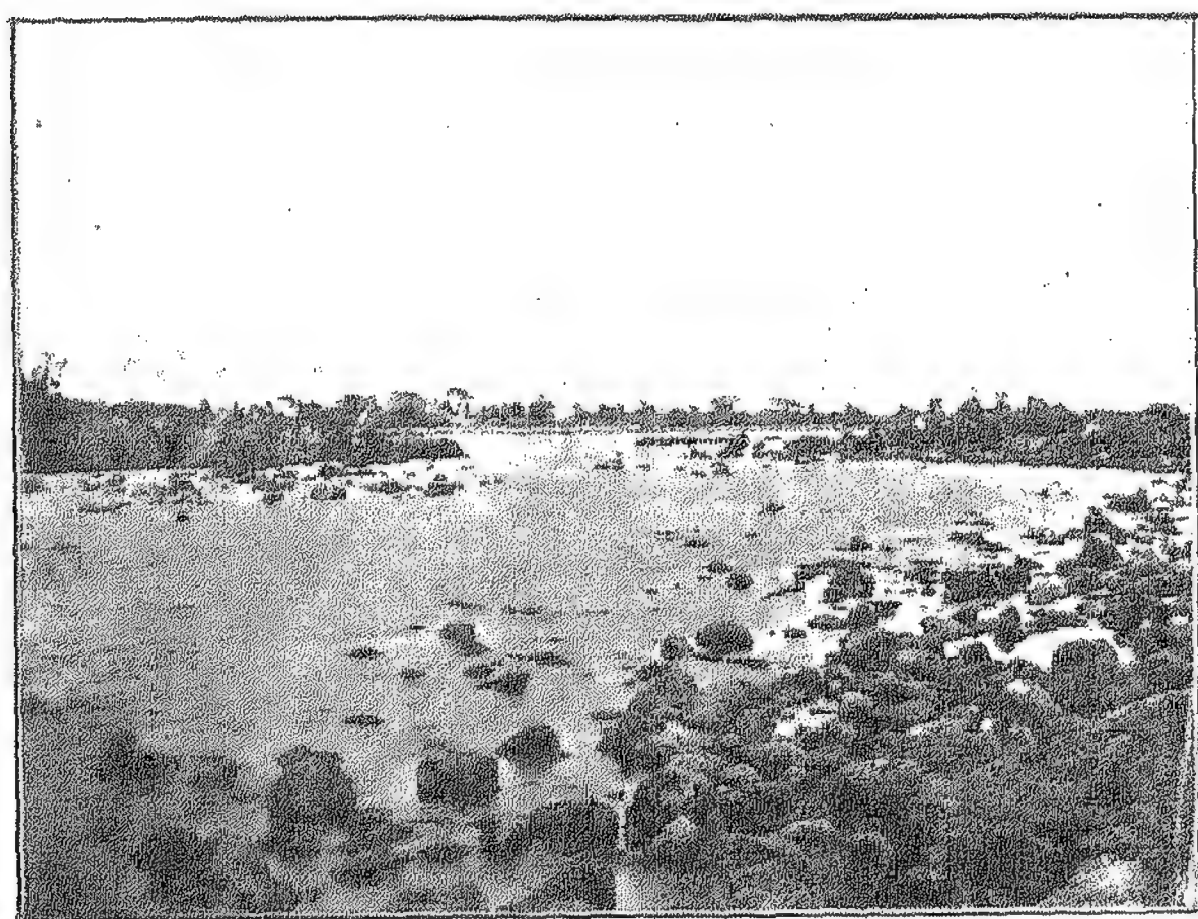
مناظر عجم دلدی على نهر أبای على ثلاثين كيلومتراً من البحيرة



نهر أبای من امامه عن قناطر عجم دلدی



نهر أبای من خلفه عن قناطر عجم دلدی

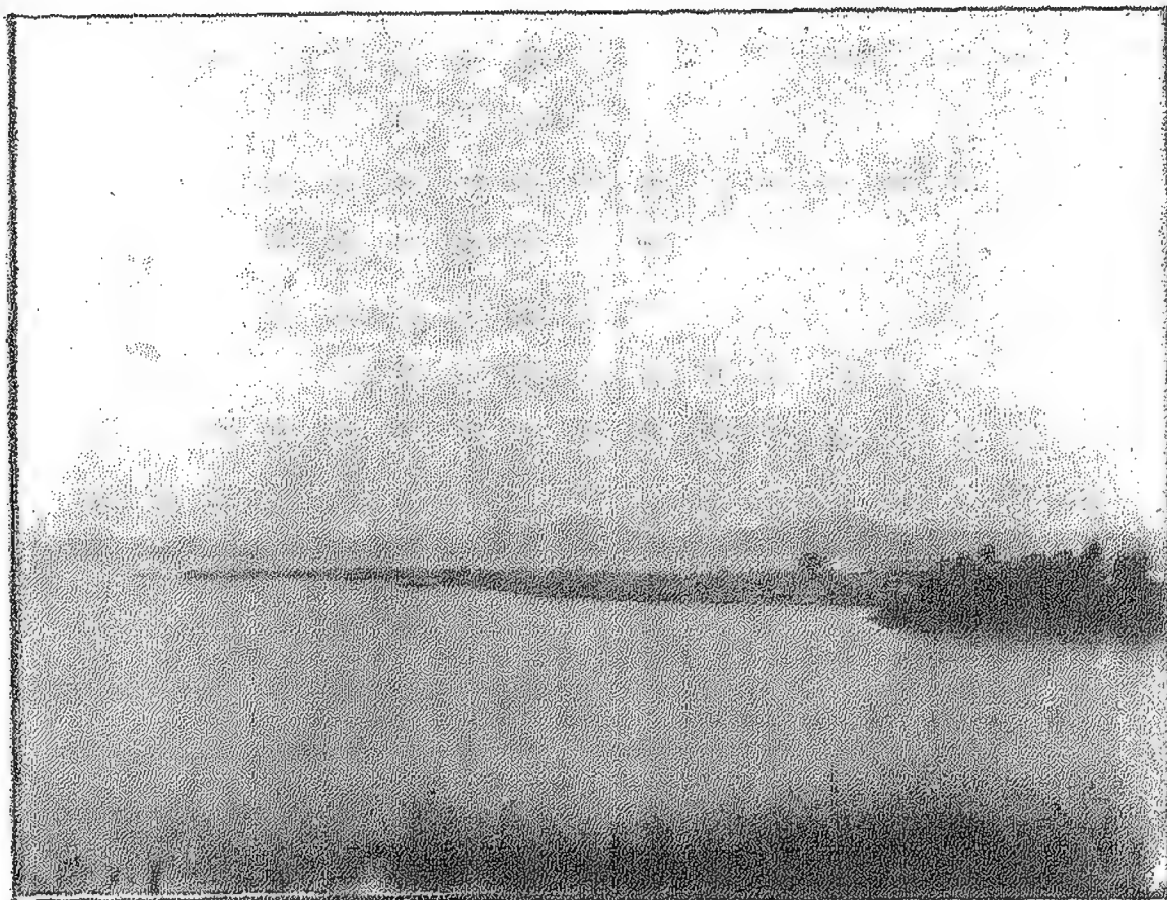


جندل نهر أبای الاول أثر خروجه من البحيرة

يؤيد الريب الذي خامر الازدهان في ان تصرف مياه تلك البحيرة اقل مما قدره له الرحالون الذين تعهدوها في السابق . ومما يجدر ذكره في هذا المقام هو ان سنة ١٩٠٢ جاءت امطارها قليلة جداً ويرجح عندي ان هذا التصرف اقل بكثير من المتوسط ولا شك في انه نظراً لاتساع سطح البحيرة وبالنسبة الى منطقة حائر مائها (كما سبق البيان بالتفصيل في مذكرة كتبت في هذا الشأن) فالتبخر اذاً هو العامل الاهم في توازن منسوبها اكثر من تصرفها . ثم ان فائدة هذه البحيرة باعتبارها خزاناً للماء تتوقف جملةً على مقدار ما ينصرف اليها من الانهار المعدة لها في غضون السنة وذلك يتوقف بالاخص على مقدار النصرف في المدة القصيرة التي يكون الماء فيها على منسوب عال . ثم يتوقف قليلاً على مقدار النصرف في باقي السنة ولا بد ان يكون النصرف في ٣١ يناير اقل كثيراً من متوسط تصرف السنة اليومي الذي لا يكاد يكون اقل من خمسة ملايين متر مكعب . فاذا علمنا ان سنة ١٩٠٢ كانت سنة جفاف فلا يتأتى ان يكون متوسط النصرف السنوي اقل من النفي مليون متر مكعب وربما صار الى اكثر من ذلك ويكون بتقديري نحواً من ثلاثة آلاف مليون متر مكعب وهو منتهى ايّ خزانٍ يمكن انشاؤه لمثل هذا الغرض

اما نهر أباي فانه ينفصل عن البحيرة بمجارٍ غير نظيمة . فيها مسارع خفيفة الانحدار تنصب من فوق حواجز حجرية وهذه المجاري تجتمع في مجرى واحد متسع انيق معجب للعين يبلغ اتساعه نحو مئتي متر وانحداره معتدل غير متناسب المقادير في مسافة بضعة كيلومترات ومن ثم يتضايق ويكون سريع الجرية . وقد خرجت انا والمستر كرولي من بردار جورجيس الى الكوبري البرتغالي القديم القائم على نهر اباي (في النيل الازرق) عند أجمدلي وشلالات تسينات وطوقنا في تلك الجهة مدة قصيرة كانت يومين كاملين ذهاباً وإياباً مسافتها ٣١ ميلاً . وكل ما تليناه من

الكوبري والشلالات وما استطلعناه من اعالي وادي البحر الازرق كان
ذا بال لاننا الفينا ذلك الكوبري قائماً بهندام وهو متداعٍ ومشهور لانه
الكوبري الوحيد على البحر الازرق والخالق الذي يقطعه عجيب اعجب من
الكوبري نفسه لان صبرة ماء النهر محصورة في مجرى لا يتعدى على الرجل
النشيط ان يعبره وثباً . والمياه في اسافل هذا المكان مزبدة هدّارة تنصب
كالسيل الجارف . فما ابهج واشهى هذه الشلالات بتراى العين قائمة على
رأس المضيق . والنهر ينحدر في هوة يكون سمكها ١٥٠ قدماً ويتعدى على
الرائد ان يجد اليها سبيلاً . فلذا قد فاتنا تطلّعها وتحقق مشاهدتها . وقد رأى
القوم ان المضيق الواقع تحت الشلالات يصلح لأن يجعل فيه سد للتحكم بمياه
البحيرة . على ان هذه الفكرة خارجة عن دائرة هذا البحث لان ناصية الشلالات
تكون احطّ من مياه البحيرة بضع مئة قدم واقعة في وادٍ فسيح مكشوف
اما ما يتعلق بوادي البحر الازرق وامكان حبس مياهه او تحويلها
فلا اقول الا اني قد رأيت الوادي الى ما وراء ذلك المكان من اقرب مكان
بلغته من الكوبري صدعاً متسع الفجرة تكتنفه جبال شاهقة من الجانبين
ويظهر للعين انه ينحدر في اطواها بمهواة عميقة ويكون عن قم تلك الجبال
بقدر ثلاثة آلاف قدم من كلا جانبيه وفكرة تحويل مثل هذا المجرى
الكبير برمته عن واديه الطبيعي لمن الترهات . ولما كان غرضنا ان تتم طوافنا
حول البحيرة كان لا بد لنا ان نمرّ بديار راس منغاشا ولم يكن حينئذ قد
ورده كتاب من النجاشي بشأن رحلتنا فاضطرت ان ابعث رسلاً الى بوري
عاصمة بلاده وهي تبعد عنا ٦٠ ميلاً الى الجنوب الغربي ودفعت اليهم كتاب
النجاشي فوردني منه رسائل ودية مع مكتوب منه الى عماله في البلاد يوصيهم
بنا خيراً وبعث الينا برجل يقوم بخفارتنا ومؤازرتنا وقد وجدنا ذلك ضرورياً
لانه ظهر لنا بعد ذلك قبل عودة رؤسنا ان العامل المقيم ببلدة زجي لم يكن



الخور الجنوبي الشرقي من كورة زيجي على بحيرة تسانا



ضفة بحيرة تسانا الغربية من سيد يشر



ضفة بحيرة تسانا الغربية من سيد يشر

ميالاً لمولاتنا فلماذا غادرنا بهردار جرجيس في ٤ فبراير وكانت اقامتنا في تلك المحلة يومئذ في انتظار عودة الرُّسل . اما المحلة فهي مركز مزارع البن وهي زاهية زاهرة بالاهل والعمران من اكثر المواضع الواقعة على حاشية البحيرة على ان قسماً اكبر من الاراضي المطيفة بها مكسوّة بالاعشاب والغابات وعامة تلك البقعة ذات الهضاب شبه جزيرة تكون مزارع لبن واسعة الاطراف وقد يكون حوالي شجره عواسج وادغال نامية في ظل ما كان من شجره رائعاً نظراً . وعلاوة على ما ذكر فان هنالك منافذ عديدة متعاطفة قليلة السعة تطوّف بالتلال من قرية الى اختها . وسحناء ذلك المكان تبين سحناء الاراضي الموحشة الخافة ببجيرة تسانا

وبعد ان غادرنا محلة زجي في ٧ فبراير عدنا بعد اربعة ايام الى دلجي وكان اهم ما رأيناه في هذه السفرة نهر أباي وجدناه (كما توقعناه) اكبر واهم نهر يمد البحيرة وهو أنيق المنظر بهيج الرؤيا له قطاع مكشوف ظاهر التخم عرضه ثمانون متراً ومتوسط عمقه لا يكون اقل من اربعة امتار يشق في وادٍ قريب القرار تكاد تكون فرجته ميلاً واحداً ويقال ان الماء يفعمه في فصل المطر مدة ثلاثة اشهر فيصل الى البحيرة من منافع واسعة يكثر فيها البردي وقد عبرناه عند مخاضة هيئة المبر تكون عن مصبته على بضعة اميال وهناك يسير بسرعة كلية تناسب مياهه من بين رضاريض ماؤها قريب الغور ومتوسط المياه التي تنصرف منه تبلغ تقريباً مليون متر مكعب في اليوم . وليس من الانهار الصابة في البحيرة من طرفها الغربي ما يأتي بتصرف وافٍ في عامة السنة وكلها يكاد ينضب ماؤها في معظم السنة . والراجح ان مساحة الارض التي هي مضاجع السيل في هذه الجهة قد بولغ في تقديرها وان الفوارق اي منطقة مضاجع السيل هي اقرب الى البحيرة مما تراه مرسومًا على الخرائط والارض تزداد انحداراً في هذه البقعة تجاه البحيرة اكثر مما في

اغلب الاماكن . وعامة الروابي والخلجان والجزر المطيفة بارض دنكابر نضرة المنظر . اما دنكابر هذه فقد كانت آخر تخوم غارات الدراويش على جانب البحيرة الغربي وبعد ان تمكثنا في محلة دلجي يومين عدنا في نفس الطريق التي اتخذناها الى القلابات فوصلناها في ٢٠ فبراير

وقد تمكنا في غضون طوافنا حول البحيرة من شراء اغنام ومواشٍ وحبوب من اكثر الاماكن التي مررنا بها باثمان معتدلة اما الدقيق فكان اكثر امتناعاً علينا ولذا كنا في اغلب الاحايين نضطر الى التمسك يوماً كاملاً تطحنه النسوة لنا في البيوت وإنما كنا نتدبر لمثل هذا الأمر في القرى الكبيرة . وكان يستصعب علينا ايضاً شراء الخضر واما البطاطس والبصل فكانت ميسوراً في محلة زجي فقط . واهم الحاصلات التي تستخرج في ساحل البحيرة هي الذرة والتف والحمص والشعير وقد رأيت شيئاً قليلاً من القطن في موضع او موضعين على ما اذكر ولكنني رأيتُه قصيراً هزياً ودقيق التف هو عمدة اقوات القوم يهيئونهُ رُقاقاً ليناً يكون له قوام الطلعة الانكليزية المعروفة عند اهل الانجليز بالكرميت وكثيراً ما قدموا لها منه وجاؤنا باللبن والدجاج وخمر العسل من قبل مشايخ القرى المجاورة عند وصولنا الى قسم من اقسام البلاد . اقول وقد لقينا صعوبة في دفع شيء من الثمن ولم نعلم لمن يجب دفع ذلك الثمن لان العامل كان يؤكد لنا ان هذه الحاجات انما هي هدايا مقدمة لنا من رأس قوقسا مع انها ربما كانت قد جمعت من اهل القرى انفسهم بالاحاح ولولا رهبة نائب هذا الرأس لما كنا تحصلنا على شيء من ذلك ولما كان مستطاعاً لنا ابتياع هذه الحاجات بسهولة . والذي رأيتُه في هذه الاصقاع هو ان جماعات كثيرة من السائمة ترعى حول البحيرة ولا ريب في ان تريبتها والاتجار بها امران يستجلبان ربحاً عظيماً وكذا التجارة مع السودان تأتي بالخير عندما تنصلح طرق المواصلات اما الحمير والبغال فكثيرة في الحبشة

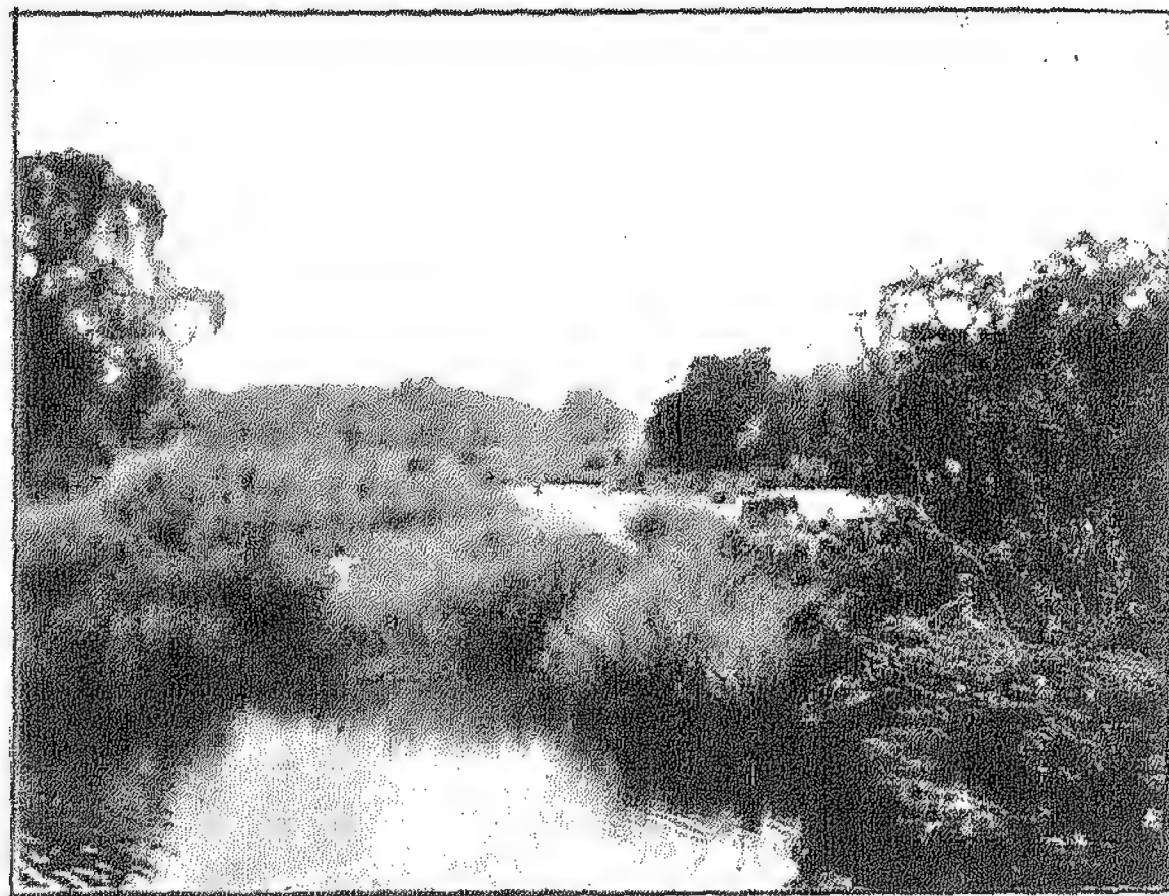
وهي رخيصة وشديدة ولكنها صغيرة الجسوم. ومن المستطاع الاتجار بهذه الحيوانات ونقل قسم كبير منها الى الخارج. وعند عودتنا الى القلابات لم نلق في طريقنا ما يستحق ذكره من المشاهد وانما في غضون سيرنا في هذه الأماكن فقدنا الثلاثة الحمير التي لم نحضرها معنا الى القلابات. وفي هذا المكان انفصل عنا الترجمان وفارقنا الاحباش الذين كانوا معنا ونحن صرفنا ساقه الحمير الذين كانوا معنا ورددنا الحمير وقسمنا من بغالنا الى القضايف لتصرفها بالطريقة المفيدة

وفي ٢٣ فبراير اخذنا في المسير ركوباً على ظهور الجمال وسرنا والنهر في الطريق الجديد وهذا الطريق في صوب الشمال تواءم مسافة اربعين ميلاً وبينه وبين النهر مسافة ميل او ميلين والارض هناك وعرة متعادية تفشاها الادغال والجنب وهي حافلة بالطير وسعة النهر هناك تكون من بين مائة الى مائة وعشرين متراً وقاعة كثير الدماليج عدا ما يعرض فيه من الجنادل والشواخص الصوانية. ولما مررنا به لم نر له جرية بل غدراناً وتراثك كبيرة متباعدة عن بعضها مسافات قصيرة المدى. وقد دلت علائم فيض السنة التي خلت على ان غور مائه كان ارفع من اقصى غيضة بقدر اربعة امتار بالتقريب. واما في السنين التي تيجي، امطارها غامرة فلا بد ان تكون فورته بقدر مترين. وينحرف النهر عند محلة شرافه عن وعر الارض في صوب الشرق مستديراً بسلسلة هضاب واقعة عند دمكا. هناك تنفصل عنه الطريق وتذهب شمالاً الى محلة تبراخلاً وسيمتها اكمة صغيرة مخروطة وصدع في سياق الهضاب. اقول وهناك بئر صغيرة قليلة الماء ومن ثم تنقطع الطريق فلم نهتد اليها الا بارشاد الدليل فسرنا في طريق حائرة حتى هبطنا الى جوريشا وهي قرية كبيرة عامرة وفيها بئر صالحة تقع في ارض عراء متعادية وانفصلنا عن هذه القرية في اول شهر مارس لاستكشاف مقترن نهر سلام بنهر المطبره

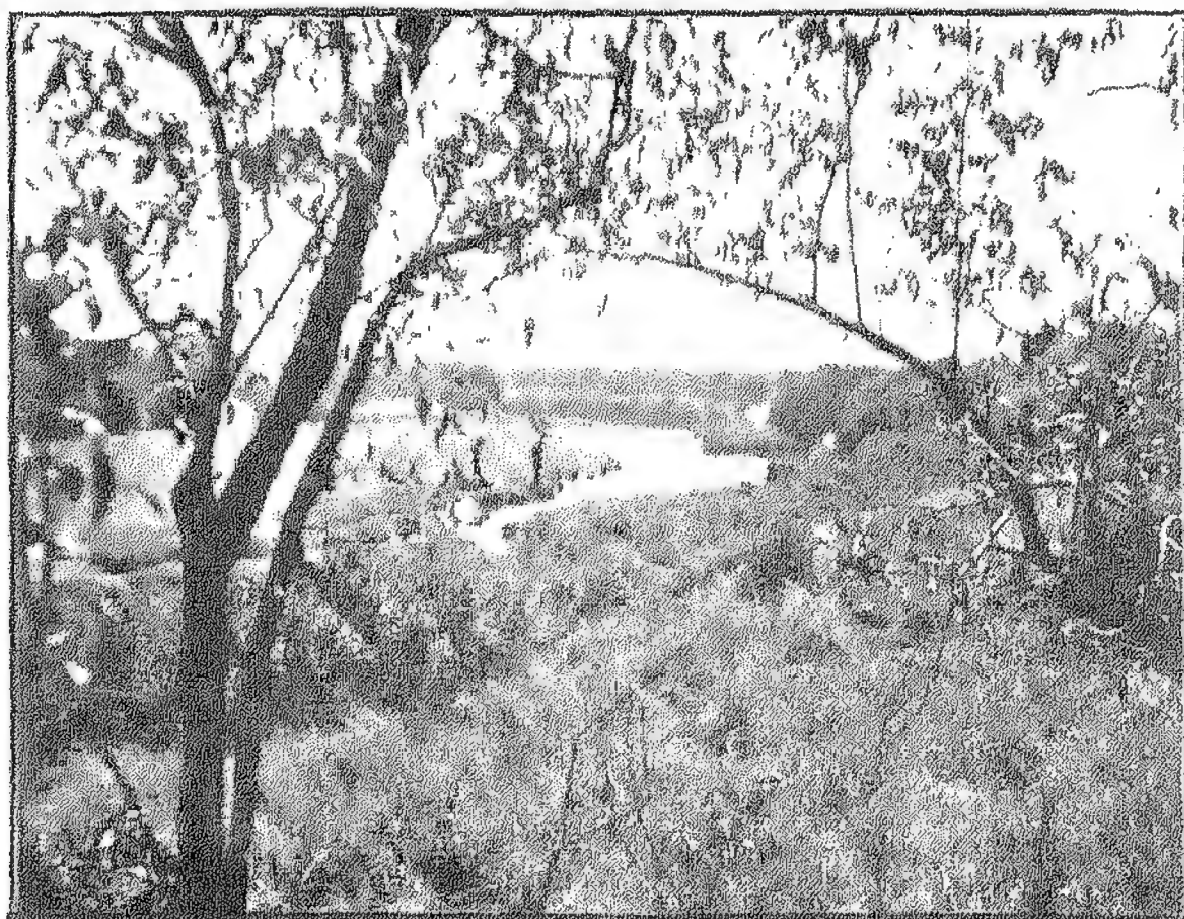
فسرنا سيراً طويلاً شاقاً في صميم الادغال التي لم تطئها الأرجل على
ارض كثيرة الفلوع والشقوق وافضينا الى العطبرة الى موضع ربما كان فوق
ذلك المقترن في قفرٍ موحش وقد علمنا ان ادلاًّنا ضلوا سبيلاً . والمكان
اشبه بمضيق حجره رملي غليظ الحبيبات وهناك يخرق النهر مسيلاً في
شق ضيق تبلغ سمته نحو عشرين متراً ويكون سيره فيما بين صخور
ناهضة عمودياً عن غدير بعيد الغور . فضربنا خيامنا في تلك الليلة مفترشين
ضفة النهر وفي الصباح اخذنا في البحث عن المقترن المذكور ولكننا لم
نتمكن من العثور عليه وفي اثناء تغيبنا وجدنا ان اسداً اقترب احد جمالنا على
مقربة من المضرب . ومن ثم عدنا الى محلة جوريشا وتتبعنا مسيرنا في
محلي عرادب وصوفي حتى بلغنا مقترن نهري العطبرة وستيت

وقد صادفنا في طريقنا قرى لها مزارع بعيدة التخوم وعليها آثار ظاهرة
تدل على انها كانت متسعة الزروع في الازمنة الغابرة . وقد وقع في معظم
اراضي اقليم كسله واراضي القصارف والقلابات وخصوصاً في تلك السنة محل
في حاصلات الذرة . والقوم يسمون آفة شجرة الذره بالعسل لانها تتجمع على
اوراقها مادة لزجة شبيهة بالعسل واهم زروع جوريشا واراديب وصوفي تلفت
بتاتاً فاصاب الاهالي من ذلك شدة وضنك

اقول ويسير نهر العطبرة الى الجنوب عن محلة تبراخلاً في وادي وعراً له
اخاديد يكون احط من سطح البسيط بقدر مئة قدم . واما البسيط نفسه
فدو غضون وتضاريس لكنه يكون في الشمال عن محلة تبراخلاً سوي السطح
في عامته والنهر يذهب في شق قصير يكون احط من البسيط بقدر مئة
وخمسين قدماً وفي حاشيته اخوار تمتد على جانبيه مسافة ميل او اكثر بينة
المجرى . ولا بد ان يكون غور النهر عند مقترن نهر ستيت الى طية بعيدة
شمالاً الوادي نحو مئتي قدم وعرض طنف الاخدود نحو ميلين من كل جانب .



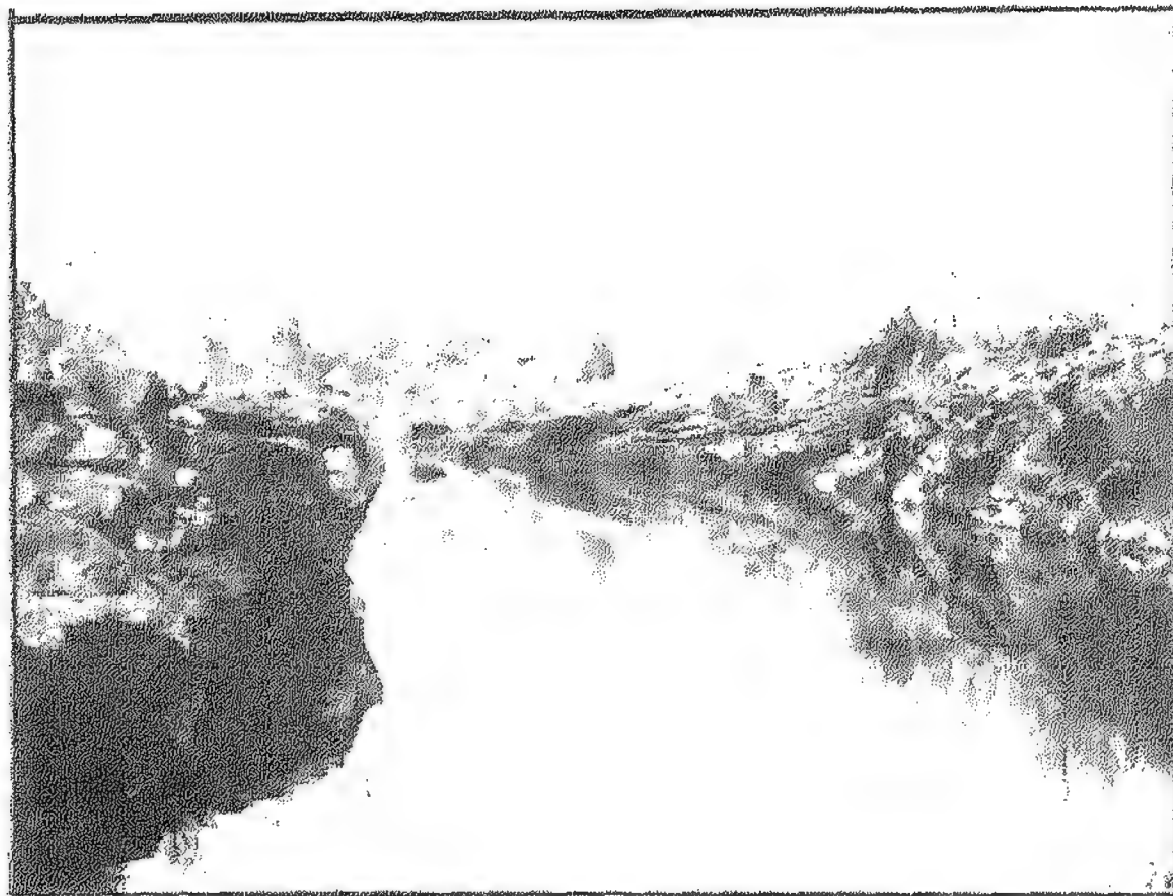
نهر غندواها على ثلاثين كيلومتراً من مخرجه



نهر العتبرة على مقربة من القلابات



نهر العتبرة عند وادي البوسيمان



مضيق نهر العترة في تلاقيه بنهر سلم



تلاقي نهر العترة بنهر ستيت



تلاقي نهر العترة بالنيل الابيض

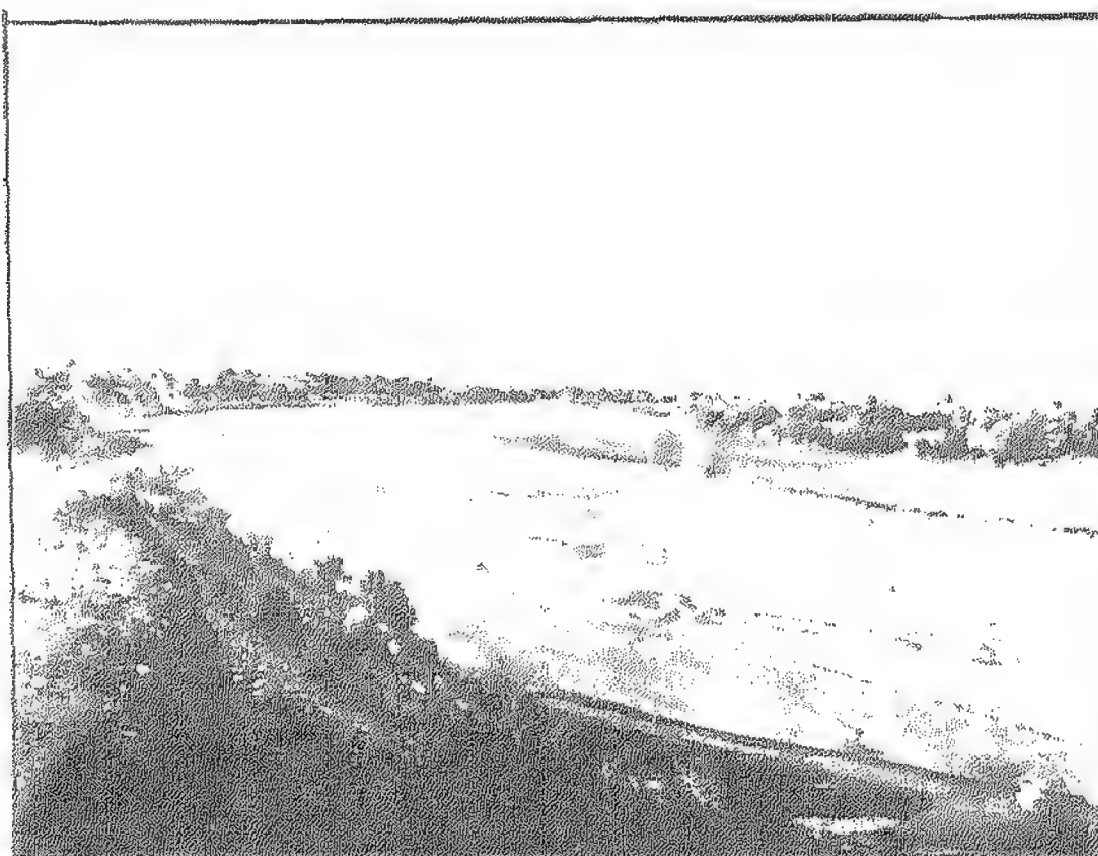
اما ما فوق هذه الأخاديد فهو بسيط مستو مكسو بالأدغال ذو تربة هي مكرمة لنبات القطن والغاب شمال جوريشا يتضايق تدريجاً ثم تتلوه بقاع متسعة مكسوة بالاعشاب والراجع انها كانت فيما سبق كثيرة الزروع ولكن الجزء الاكبر منها اليوم لا ماء فيه وهي غير مأهولة وقد يرى هناك اخوار كبيرة يسير ماؤها الى المطبرة ساقطة من المنخفضات الكائنة هنالك ذاهبة في سمت الغرب ولا ريب في ان تكون في هذه المنخفضات مواقع موافقة لإنشاء خزانات من الطرز الذي يناسب هذه الجهة . اقول ويقدر متوسط سعة نهر المطبرة عند محاذي أراذيب وصوفي بنحو ١٥٠ متراً وقد كان متوسط غور مياهه في فيض سنة ١٩٠٢ نحو ستة امتار وقد بقي فيه نثر يتحلب من بركة الى اخرى في غرة شهر مارس سنة ١٩٠٣ وهو يسير في قاع غاص بالحصى جارياً على دماليج رملية يكون منها صخور معجبة وكثير من الشواخص الصخرية والحواجز ولكنها من مادة ضعيفة المبتى فلا يصح ان تكون اساساً لعمل ما من الاعمال الصناعية وهذه الطبقة المكوّنة من الحجر الرملي تمتد الى مسافة قدرها ثلثا ارتفاع الاخاديد المشار اليها والثلث الأعلى تربة عادية سوداء وهي مكرمة لنبات القطن

وقد رأينا نهر المطبرة عند اقترانه بنهر ستيت اكثر سعة وعرضاً ولكنه اقرب غوراً وقد تضاربت الاراء في ايهما هو النهر الاعظم وانا ارجح ان نهر ستيت هو اعظمها واثبتهما في مجراه ولو ان المطبرة اغزر فيضاً منه . وقد كان تصرف ستيت في ٨ مارس سنة ١٩٠٢ خفيفاً وكان المطبرة يجري نضاً وبمجموع تصرف مياه النهرين يبلغ فقط ربع متر مكعب في الثانية وفوق هذا الموضع ينقطع ممدن الحجر الرملي وقوام الصخور التي تكون في قاع النهر قرب نقطة اقترانهما هي من النوع الصواني ، والطريق التي تسير النهر من هذا المكان تلازمه الى مسافة ميلين او نحوها الى الغرب ذاهبة

الى حد البسيط الاعلى متباعدة عن الاخاديد الوعرة ومن هناك لا ترى
النهر حتى تصل الى محلة خشم القربة . وهذه بقعة تستوقف الانظار وربما
كانت في مستقبل الايام ارضاً تشق فيها ترع كبيرة اذا كان في العزم شقها .
وفوق المشرع يسير المطبره في مجرى ضيق بعيد الغور مستقيم الجرية
الى مسافه ميلين او نحوها وسعته هناك اكثر من مئة متر وقراره عشرة امتار
يجتاز الغدير يوم يكون في منسوبه الصيفي وجوانب هذا الشق مهاو عمودية
من الصوان الصلد علوها ٢٠ متراً او اكثر عن منسوب المياه . وعند المشرع
يتسع هذا الشق فجأة فيصبح ترعة متسعة قريبة الغور . وهنا ينتهي الغدير
ثم ينشعب النهر بثلاث او اربع شعب منفصلة عن بعضها يقوم في وسطها
جملة جزر وتحد في مسيل واحد بعد سيرها عدة اميال والطبقة الحجرية
التحتانية التي اخترق النهر فيها مجراه لا تدل على ان له اثاراً في مستويات
البر فهي لا تزال على حالتها الاولى وهي بسيط مستوي مكسو بالادغال ذو
تربة سوداء في مسافة ميلين عن النهر هناك يتحول فجأة الى مضائق
واخاديد . اما سلك التفراف الممدود من كسله الى القضارف فيقطع النهر
عند المضيق وقد اتخذت التداير في هذا المكان لإنشاء مقياس ومراقبة
لاستخراج الارصاد والطريق الى كسله تقطع النهر بعد ذلك ببضعة اميال
الى حد بلدة الفاشر وهناك يصير قطاع النهر متسعاً قريب الغور منتظم الخلقة
قاعه غاص بالحصى . وقد بقي فيه شيء من المياه يكون تصرفه بقدر عشر متر
في الثانية ينحدر من فوق الحجارة في وسط التربة . وكان النهر عند جوز رجب
(على مسافة ثمانين ميلاً شمالاً) منقطع الجرية . والطريق من الفاشر الى كسله لا
ماء فيها في مسيرة اربعين ميلاً وهي تذهب في سهل مستوي تغشاه الادغال
تربته طيبة كريمة وقد يجد الرائد قرب بلدة الفاشر بعض اكباس للعرب الرحل
ومركزاً للبوليس عند محلة مجكستا ولم نكد نرى امكنة مأهولة من حد ملتقى



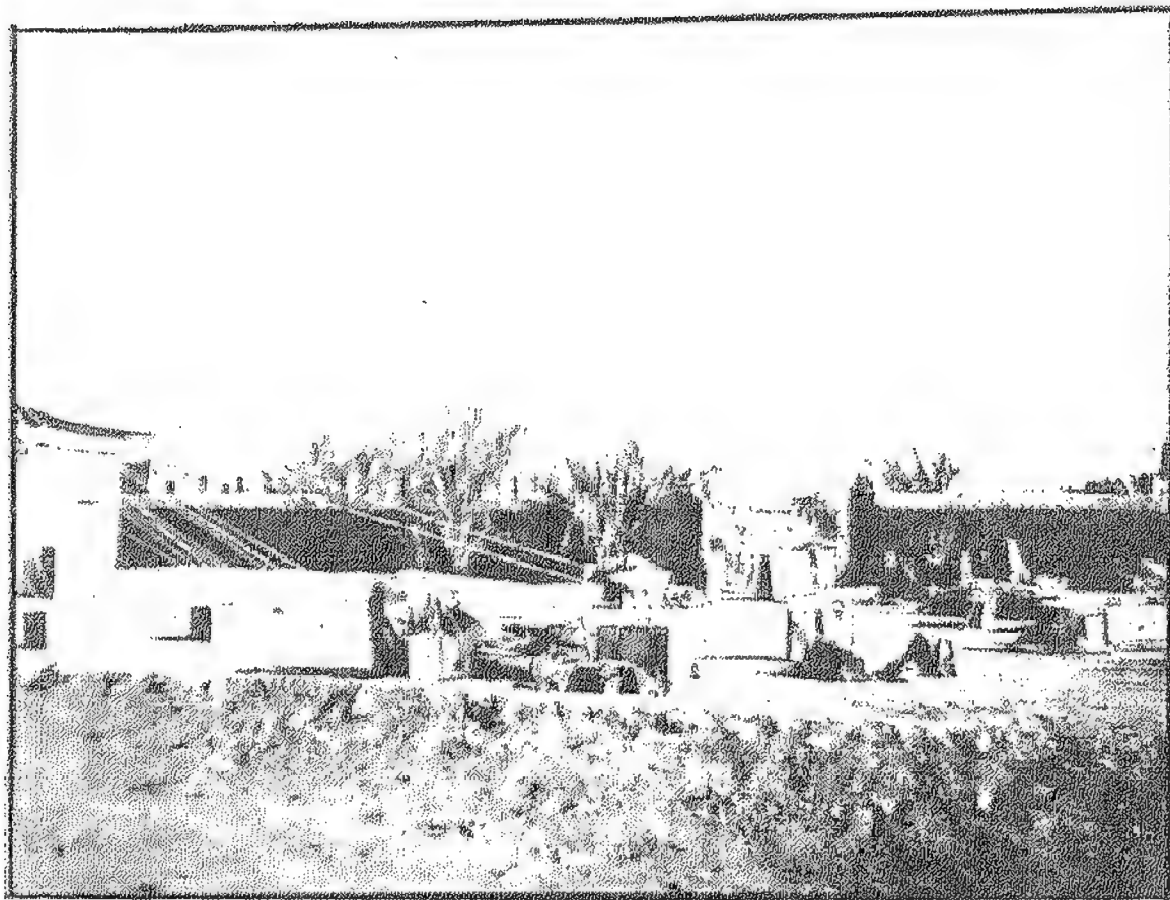
مضيق نهر القنبرة على مقربة من نقطة تلاقيه بنهر سلقم



نهر القنبرة من خلفه عند الفاشر



جُلود صغرى في جبل عرنبات عند جوز رجب



جبل كسلا من المديرية



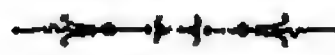
نهر جاش عند مجاز سكة بربر

نهر ستيت الى كسله وكل هذه البقعة الطيبة ذات الاراضي الزكية ما خلا بلقما
لا أنيس فيها ولا ديار تكثر فيها الطير والاسود على مدى مسيل النهر
وفي كسله جملة آبار وكلها تستمد مياهها من نهر قاش وهو يجري على مقربة
من البلدة في مسيل رملي قريب القرار على موازاة الصحراء وهذا النهر ينضب
جملة تسعة اشهر في السنة . وقد بلغنا كسله في مساء الخامس عشر من مارس
واقننا بها اربعة ايام وقد سررنا بما لقيناه من احتفاء الكولونل هنري مديرها
والماجور دواير بنا فانهمسا تكرما باخبارنا باطوار نهر قاش وطوقا بنا اغلب
الاماكن التي تستحق المشاهدة وتمهدنا معها الاعمال المشروع فيها في ذلك
الاقليم . وفي ٢٠ مارس برحنا كسله واتخذنا طريقا الى شمال الطريق المؤدية
توا الى جوز رجب متتبعين فرع نهر قاش الغربي الى مسافة ٣٠ ميلا عن
كسله . وقد رافقنا الكولونل هنري والماجور دواير الى تلك الانحاء واما
الطريق المؤدية توا الى جوز رجب لاما فيها في مسافة منها قدرها سبعةون
ميلا . وقد رأينا هنالك آبارا على مسافة ٢٥ و ٥٠ ميلا عن كسله وفي الامكان
حفر آبار اخرى مثلها في المواضع التي تتخلل هذه الشقة . اما فوائد الري التي
تجيم عن استخدام نهر قاش فقد علق عليها مذكرة خصوصية وهي ولا ريب
مفيدة جدا . والطريق من جوز رجب الى مسافة بضعة اميال من بربر
تساير نهر المطبره والنهر لا تكاد العين ترمقه في بعض المواقع . وقطاعه
مكشوف نظيم تباع سمته من ثلاث مئة وخمسين الى اربعمائة متر وقاعه رملي
مستوي وشفافه صلصالية ترتفع عن منسوب مياه الفيض بقدر ستة الى ثمانية
امتار . وقد ارتفع فيض سنة ١٩٠٢ نحو خمسة امتار فقط والغدران تكون في
قطع كثيرة من قاعه وبعضها يتسع اتساعا مفرطا تكون بعيدة الغور ويبلغ
طول الغدير نحو كيلو متر وعرضه يقرب من مئة متر وهي يسبح فيها كثير
من الاسماك العظيمة الحجم والتماشيح ولكن افراس النهر التي كانت كثيرة

فما تقدم من الزمن تكاد تكون معدومة . وفي حاشية النهر من المدوتين
اخاديد وتصعيد الارض الى العلاية في تلك الجهة هو اقل مما في الجنوب
والراجع انه لا يزيد في اي مكان منه على مئة قدم فوق منسوب الفيض ولذا
تصبح الارض هناك اسرع جفافاً كلما تقدم الرائد شمالاً وتصير الكشبان
الرملية معالم للبساط ولكنها تبقى مكسوة بالجنب وهي اشبه بصحراء
الى حد خمسين ميلاً عن بربر وهناك تبدئ حدود الاراضي الخراب الحصباء
الرمالية . ولهذا النهر حاشية قليلة السمة تربتها طيبة واقعة في المئة ميل الاخيرة
من مسيله وعلى ضفته مستطيل من الارض تقوم فيه شجر الدوم متشابكة
الاغصان يتمذر على الرائد اختراقها وفي بعض المواضع يتسع هذا المستطيل
فيصير رقاعاً كبرى ويستطاع اقامة حياض للزراعة في هذه الارض ولكن
اذا لم يعمل لها رسوم مضبوطة وتستخرج المناسب اللازمة فلا فائدة من
الكلام عليها واما الفوائد التي تتأتى من استخدام نهر العطبره في جميع اطواره
وشؤونه فسيأتي تفصيلها على ذات حديثها ولكن لا يرجى من هذا المشروع
فائدة كبرى لان من مزايا هذا النهر اندفاعه في مجراه كالسيل الجارف
والمواضع التي يجري فيها هي اشبه بمضايق واخاديد مفرطة في بعد غورها
ولذلك لا يتيسر انشاء عمل من الاعمال فيه للارتفاق بمياهه لان تلك الاعمال
تستدعي نفقات عظيمة . ومن وجه آخر فاني لا اظن ان الطين الذي يجلبه
النهر يكون عائقاً يعوق انشاء خزانات في مجراه كما كان يظن . نعم ان هذا
النهر يكون كدرآ جداً في زمن الفيض ولكن يخيل لي انه خلواً من الرواسب
الثقيلة التي تستقر في قاعه كالمسحولات الحجرية والحصباء والرمل الغليظ لان
الطبقة الجيولوجية التي يجري فيها متماسكة القوام . اما بساط مديرية كسله
وبقاعها الواسعة فهي من اطيب الاراضي الصالحة لنبات القطن وكلها ضحية
الخلة تقريباً ولا تتخط تربة الارض الا في شمال جوز رجب في مديرية

بربر وفي هذه الجهة على ما اعلم جزء كبير من الاراضي الطيبة المتفازة بين
الرمضاوات والرمال والحصباء ولا سيما في لسان الارض الواقع بين نهر العطبرة
والنيل . واذا شق فيها ترعة يسهل الوصول اليها . وقد بلغنا بربر في ٢ ابريل
وبرحناها في اليوم الرابع فوصلنا القاهرة في صباح اليوم التاسع منه .
اما صحة ركبها فكانت دواءاً على غاية ما يرام وقد سلمنا من
الاعراض ولم تحدث لنا عراقيل ومكاره ويحق لنا ان ننهي انفسنا بنجاح
هذه الرحلة واما ما يتعلق بالخمسة المسائل التي توجه اليها فكري خصوصاً
فقد دقت فيها النظر وكتبت في موضوع كل واحدة منها على ذات حدته
المذكرات التالية

وانا اشكر لجناب المستر كرولي مؤازرته لنا في هذه الرحلة واخص بالشناء
جناب الدكتور هايز فانه ولو اننا لم نحتاج الى عظيم مؤاساته ولكنه كان على
الدوام مستعداً للقيام بمعالجة المرضى الكثيرين الذين ليسوا من الركب وكان
ذلك داعياً لاستقبالنا بالتودد والاحتفاء من اناسي الحبشة . وفي هذا المقام
نبدي شكرنا لكثيرين من موظفي السودان الذين تعرفناهم وكانوا جميعهم لنا
اعضاداً مناصرين ولم يدخروا في سبيل اسعافنا مشقة ولا تعباً



مذكرة خصوصية

عن بحيرة تسانا

وامكان استخدامها خزاناً للنيل

رأيت ان الخرائط المتداولة عن بحيرة تسانا صحيحة متقنة من جميع
وجوهها المهمة . وما عمل منها اعتماداً على مشاهدات الدكتور انطون ستكير
في خلال رحلاته في سنة ١٨٨١ خريطة هي على الخصوص من أوضح ما

رُسم لبيان تلك البحيرة وهي التي أعتد عليها ركبنا في كل مكان مع انها ربما كانت تحتاج الى بعض التصحيح في دقائقها ولا سيما بما يتعلق بجهات البحيرة الجنوبية والجنوبية الشرقية ولورجعنا الى المقاصد العملية في ما يتعلق باختزان المياه فانها تعتبر صحيحة مضبوطة . واذا التفتنا الى الاراضي التي تحف بالبحيرة رأينا ان عامة الارصاد قد ايدت صفات اراضي الجهات التي رسمت على افضل خرائط تلك الارض مع انه ربما بولغ في تقدير مساحة مفيض البحيرة من جهة الغرب والجنوب الشرقي . ويتضح مما سبق من احوال هذه الخرائط ان مساحة البحيرة تكون ثلاثة آلاف كيلومتر مربع تقريباً ومساحة حائر حوضها الذي يغمره الفيض اربعة عشر الف كيلومتر مربع هذا ما عدا مساحة البحيرة نفسها . ويستدل من تقارير برؤوس سنة ١٧٧٠ وسنة ١٧٧١ وأبادي سنة ١٨٣٨ ان نزول المطر في قنذار هو بين ٩٠ سنتيمتراً ومتر . ويتبين لي مما شاهدته من طبيعة تلك الاصقاع وآثار مجاري المياه فيها وما وقفت عليه من مرويآت اهل تلك الاقاليم ان المطر الذي ينزل في جنوب وشرق البحيرة هو اغزر كثيراً مما ينزل في شمالها وغربها والراجح عندي ان متوسط نزول المطر في منطقة المفيض اكثر من نزوله في قنذار ومتوسط ما ينزل منه في حوض حائرهما يصح تقديره بمتر في السنة يهطل تقريباً في اربعة اشهر هي يونيو ويوليو واغسطس وسبتمبر . والجزء الاعظم من الارض المغمورة بالمياه التي ترفد البحيرة تربته مفلّعة سوداء في الاراضي المنبسطة الصالحة لزراعة القطن . وانما يوجد ايضاً اراضٍ صلصالية واسعة وركام كبيرة من الصخر والحجر في جهات الهضاب الواقعة بالقرب من البحيرة والطبقة الحجرية كلها مكونة على ما يظهر من المواد المصهورة والاحجار الصوانية السوداء والصخور الفطارية المتبلورة ومثل هذا النظام الطبيعي غير ملائم ابداً لانفجار الينابيع ومن طبعه ان يزيد في تكييف احوال الفصول بما لها من

التأثير على مجاري الأنهار التي تندفع في مجراها كالسيول الجارفة في السنة التي يكون فيها المطر خفيف الهطل منتشراً في جميع الأماكن تمتص الأرض الماء وتعيدها بخاراً في خلال انهمار الشآبيب . وفي السنة التي يكون فيها المطر غزيراً مدراراً تصبح طبقة التربة الرخفة الرقيقة الكاثنة على صعيد لا تحترق المياه وكلها مشبعة بالمياه ولذا يسيل مقدار كبير جداً من تلك المياه . واعتقاد الباحثين في ذلك هو ان منطقة ماء البحيرة لا تعتبر مجتمعاً صالحاً لاختزان المياه فان ما يسيل من مياهها لا بد ان تختلف كميته اختلافاً كبيراً ولا يمكن تقديره بأكثر من ٢٥ بالمائة من متوسط المطر الذي يهطل في سنين يكون فيضها مقللاً فاذا فرضنا هذا المقدار ومتوسط امطار قدره متر واحد فالتقدير الآتي بيانه يدلنا على معدل اول تقدير تقريبي لمجموع مقدار المياه الذي يصل البحيرة ونظراً الى اتساع مساحتها بالنسبة الى مجموع منطقة حائر الماء تستدعي الحال البحث عن الأرض والمياه كل منهما على حدة وبذا يجتمع لدينا ما يأتي وهو ان زيادة مياهها بقدر متر واحد في مساحتها البالغة ٣٠٠٠ كيلو متر مربع تساوي ٣٠٠٠ مليون متر مكعب يضاف اليه خمسة وعشرون بالمائة من مقدار الامطار بمعدل متر واحد كما تقدم فوق منطقة حائر الماء التي تبلغ مساحتها اربعة عشر الف كيلومتر مربع فيكون لنا ٣٥٠٠ مليون متر مكعب ويكون مجموع الماء الصائب في البحيرة ٦٥٠٠ مليون متر مكعب في سني الفيض المقل وقد يزيد كثيراً عن هذا المقدار في السنين الغزيرة الامطار . واذا اعتبرنا هذه المسئلة من وجهة اخرى باتخاذ الارصاد التي استخرجت في البحيرة نفسها نجد ان الارصاد العديدة والمباحث التي عملت حول ضفافها تحقق لنا ان اعلى منسوب البحيرة كان في خريف سنة ١٩٠٢ اعلى مما في آخر يناير سنة ١٩٠٣ بقدر ٧٥ سنتيمتراً . وكان ادنى منسوبها في مايو سنة ١٩٠٣ خمسين سنتيمتراً تقريباً . وفي هذا الفصل بلغ

فرق النهايتين متراً وربما . وقد اتفقت الروايات على ان مطر سنة ١٩٠٢ كان مقللاً ودلت المعالم في هذه السنة على ان الفيض فيها جاء اقل من متوسط منسوبه . ويصعب الحكم تماماً بمقدار منسوب ذلك الفيض ولكني اخاله اعلى من منسوب سنة ١٩٠٢ بقدر ٢٥ سنتيمتراً واقل متوسطه السنوي متر ونصف لان احط منسوب مياه الصيف في جميع الفصول لا بد ان يكون على درجة واحدة تقريباً . ورؤي ان منسوب البحيرة يرتفع الى درجة عالية جداً في الاعوام الغزيرة الامطار فيبلغ نحو ٥٠ سنتيمتراً على التقريب ولذا اقول ان معدل فرق النهايتين السنوي في منسوب البحيرة يبلغ نحو متر ونصف وفي الاحوال الغير العادية قد تبلغ النهاية الصغرى متراً وربما والنهاية الكبرى قد تصير الى مترين . وقد تبين من الارصاد التي استخرجت عن تصرف نهر أبي (اي البحر الازرق) عند منفصله عن البحيرة ان ذلك التصرف صار الى ٤٢ متراً مكعباً في الثانية في ٣١ يناير سنة ١٩٠٣ فاذا هبط المنسوب خمسين سنتيمتراً يصير ذلك التصرف الى اقل من نصفه فيكون مجموع التصرف بين ذلك التاريخ ومنتصف مايو (يوم يبطل هبوط مياه البحيرة) غير كافٍ لتخفيض منسوبها الى اكثر من عشرة سنتيمترات حتى لو فرضنا ان لا ماء يجري هابطاً اليها . فمن الواضح اذاً ان الفاعل الأعظم في انتقاص منسوب البحيرة انما هو التبخر ذلك ما تصوّرته واقعياً لأن الهواء جاف والنسيمات الخفيفة تهب من الشمال والغرب والسماء دائمة صفاء الجلد ويعلم جفاف الهواء من الفرق الهائل بين النهايتين في مقياس فهرنهايت فانه في الشتاء يتدرّج في مراقبه عند الشروق من نقطة تكاد تكون درجة الجليد حتى يبلغ ثمانين درجة بعد الزوال في الظل ويقع في عامة الصقع ندى ثقيل في ساحل البحيرة وذلك يدل على ان الجفاف ليس بمطلق ولذلك يحدث تبخر كل يوم مقداره نحو

تصف سنتيمتر ويتبدد من ماء البحيرة ١٥ مليون متر مكعب في اليوم او اكثر من تصرف النهر الخارج منها باربع مرّات ومما يؤيد التعديل التقريبي المار ذكره الملاحظات الآتي بيانها وهي انه قد لوحظ ان منسوب البحيرة هبط عند محلة دلجي نحو ١٥ سنتيمتراً في خلال ٣٣ يوماً بين سفرتينا الاولى والثانية الى ذلك المكان . اما الارصاد التي استخرجت لمعرفة تصرف نهر أباي في نحو منتصف المدّة لا بد ان تدل بوجه التقريب على متوسط تصرف النهر يومئذٍ وذلك يعادل ثلاثة ملايين متر مكعب ونصفاً في اليوم . وتعلم كمية تصرفات الانهر الواردة الى البحيرة من الارصاد التقريبية الآتية . تصرف نهر اباي يكون تسعة امتار مكعبة في الثانية ونهر رب مترين وجومارا مثله وما كيتش ثلاثة سنتيمترات مكعبة وأرنو كارنو مثله وجلدا خمسة سنتيمترات وانفراز متراً وسنتيمترين ويتلوها عدة مجار صغيرة تكون تصرفاتها نحو متر وسبعة سنتيمترات مكعبة فيبلغ مجموع الكل ١٧ متراً مكعباً في الثانية او مليوناً ونصفاً من الامتار المكعبة في اليوم . فيعلم من زيادة تصرف الانهار الآخذة من البحيرة على تصرف الانهار الممدة لها ان مقدار ما يتبدد من ماء البحيرة يبلغ مليوني متر مكعب في اليوم اي ٦٦ مليون متر مكعب في الثلاثة والثلاثين يوماً التي تقدم ذكرها ولهذا كان هبوط منسوب البحيرة بقدر ١٥ سنتيمتراً يعادل تبدداً قدره اربعمائة وخمسون مليون متر مكعب من مياهها ولا بد ان يكون التبخر والامتصاص (وهما على الأرجح جزئيان) ينشأ عنهما تبدد قدره ٤٥٠ مليوناً يستنزله منها ٦٦ مليوناً ويكون الباقي ٣٨٤ مليوناً من الامتار المكعبة وذلك يساوي هبوطاً قدره ١٢٨ مليمتراً من المياه الموجودة في عامة البحيرة في ٣٣ يوماً (وهو عبارة عن اربعة مليمترات في اليوم . ولو اعتبرنا هبوط خمسين سنتيمتراً وهو المنتظر حدوثه في منسوب البحيرة بين آخر يناير ومنتصف شهر مايو اعني مدة مئة يوم تماماً كما تقدم) نجد

انه لو صرفنا النظر عن المقدار الداخل فتصرف النهر الخارج من البحيرة لا يعادل عشرة سنتيمترات من ذلك واذا حسبنا مقدار المياه الواردة الى البحيرة نرى ان ذلك الهبوط لا يزيد على خمسة سنتيمترات وعليه فالتبخر يعمل حدوث هبوط قدره ٤٥ سنتيمتراً في مائة يوم أو اربعة مليمترات ونصف في اليوم . والذي ارجحه (واخالي قريب الصواب) ان متوسط التبخر يكون اربعة مليمترات في اليوم اثناء ثمانية اشهر الجفاف اي من أول اكتوبر لغاية ٣١ مايو . ولإتمام حساب هذا التقدير يمكننا القول بأن متوسط التبخر يكون مليمتين في اليوم خلال اربعة اشهر المطر (وهي من اول يونيو حتى ٣٠ سبتمبر) وليس ذلك الاً بالفرض والتقدير ثم اتنا على هذا القياس نستطيع تقدير اطوار الارتفاع والهبوط في البحيرة وتصرفها كما يأتي . لنفرض ان البحيرة تكون مملأة من اول اكتوبر الى ٣١ مايو يوم تكون في منتهى هبوطها وهي ٢٤٣ يوماً فيكون متوسطه متراً ونصفاً ويكون ٩٧٢ مليمتراً من ذلك ناشئة عن التبخر والخمسة والثمانية والعشرون مليمتراً الاخرى تعادل جرماً من الماء قدره ١٥٨٤ مليون متر مكعب مضافاً اليها تصرف الانهار الممدة وقدرها ٣٦٤ مليوناً على معدل مليون ونصف في اليوم فيكون المجموع ١٩٤٨ مليوناً من الامتار المكعبة يصرفها النهر في ٢٤٣ يوماً . فينتج من هذا التقدير أن متوسط التصرف يبلغ ثمانية ملايين متر مكعب في اليوم وفي مدة ما بين اول يونيو و٣٠ سبتمبر وهي ١٢٢ يوماً ترتفع مياه البحيرة متراً ونصفاً . وتحرير العبارة ان مقدار مياهها يزيد ٤٥٠٠ مليون متر مكعب لا يدخل في ذلك تبخر مليمتين اي ستة ملايين متر مكعب في اليوم . وبالاقتراض ان متوسط تصرف النهر يعادل هذا المقدار في اربعة اشهر الفيض كما يحدث اثناء ثمانية اشهر الغيض ولنا من ذلك ما يأتي

امطار مكعبة بالملايين	
٦٥٧٢	مقدار المياه الواردة الى البحيرة في السنة
٣٦٤٨	مقدار المياه المتبخرة في السنة
٢٩٢٤	مقدار تصرف النهر في السنة

ويعجبني ان هذه الارقام تطابق تماماً الارقام التي استخرجت من فرضيات محضة تتعلق بنزول الامطار وما ينصرف منها وما يتبخر وهي فرضيات مبنية على اساس عام . ومما هو حري بالذكر ايضاً ان تصرف ثلاثة ملايين ونصف متر مكعب من المياه التي تنصرف الى النهر في ٣١ يناير بعد فصل يكون مطره مقللاً جداً ويكون منسوب البحيرة اعلى منه في زمن الهبوط الصيفي بقدر خمسين سنتيمتراً وذلك لا يكاد يعادل متوسط تصرف يومي اقل بكثير من ثمانية ملايين متر مكعب في السنين الاعتيادية . ومن الجهة الاخرى فان معدل ثمانية ملايين يقضي باتخاذ تصرف النهر خلال الفترة القصيرة يوم يكون منسوب البحيرة مرتفعاً ازيد مما كنت اقدره لها بمجرد نظري الى ذلك المجري وانما مثل هذا التقدير يعتبر من قبيل الحدس والتخمين . وعلى ما اظن انه ينبغي اعتبار مستوعى البحيرة الحقيقي بنحو ثلاثة آلاف مليون متر مكعب في سنة يكون مطرها مقدراً معتدلاً مع انه يستحيل اختزان اكثر من الفي مليون متر مكعب في السنة التي يكون مطرها مقللاً . وربما يتسنى اختزان اكثر من خمسة آلاف مليون متر مكعب في سنة غزيرة الامطار ذلك فيما لو تيسرت وسائل اختزانها . وكل ما يمكن اجراؤه من قبيل التحكم بمياه البحيرة لموازنتها انما هو جمع هذا المقدار في مدة الفيض القصيرة المدى وحينئذ يسد منفذ البحيرة في ما بقي من السنة . ثم لنفرض ان الخزان المراد انشاؤه يسع ثلاثة آلاف مليون متر مكعب في معظم ارتفاعه الذي هو الآن اعلى المنسوب الاعتيادي . ولنفرض انه اقتضى صرف هذا الايراد كله

في اثناء المائة يوم التي تجي قبل اول شهر يونيو يوم يتبدى الارتفاع المعتاد
ففعل هذا التحكم في مياه البحيرة يكون حين امتلاء الخزان في اول اكتوبر كما
هي الحال الآن . عندئذ يهبط منسوبه بسبب التبخر بدرجة ابطأ من الدرجة
الحالية الى ان يتبدى استدرار المياه في اخر شهر فبراير فيصبح انخفاض
المنسوب أسرع من ذي قبل . وفي آخر مايو عندما تسد عيون الحاجز ويكون
منسوب البحيرة أحط بدرجة من الدرجة الحالية بقدر اثنين وثلاثين
سنتيمتراً حينئذ يرتفع منسوبها في خلال فصل الامطار حيث يكون منفذها
مقفلاً وارتفاعه يحدث بأسرع مما هو عليه الآن فيبلغ أعلى المنسوب في
٣٠ سبتمبر ومبلغ فعل هذا التحكم لا يكون من ورائه إلا زيادة فرق النهايتين
في مناسيب البحيرة (وهو اثنان وثلاثون سنتيمتراً) وبذا يملو منسوبها قليلاً
من اكتوبر الى مارس ويهبط كذلك من ابريل الى سبتمبر . ومثل هذه
التدابير لا تحدث تغييراً محسوساً في الاحوال الحاضرة . ولا خفاء انها تعوض
عما تكلفه من النفقات وذلك بانها تسهل حفظ المنسوب على درجة منخفضة
في سني الفيض المفرط . والعمل المطلوب لضبط مياهها الى هذا الحد ليس
هو من الوجهة الهندسية امراً بسيطاً سهل المآتي لان فرق النهايتين (وهي
دون مترين) قليل والتصرف الحالي مع كونه غزير المادة يبلغ ثلاثين مليون
متر مكعب في اليوم فليس هو متجاوزاً . ولا ريب في ان هذا العمل
مستطاع . اما ما يختص بموقع العمل فنقول ان فرق النهايتين المعدل يقضي
بان تهبط المياه عن الدرجة المعتاد بلوغ المنسوب اليها بقدر ٣٢ سنتيمتراً
وعندما تكون البحيرة على ذلك المنسوب ينبغي ان تكون قنطرة الموازنة كافية
لصرف ثلاثين مليون متر مكعب يومياً وهو مقدار التصرف المعتاد بأكمله
وذلك يستدعي تخفيض قاع المسيل الذي تمر فيه مياه البحيرة وبذا تصبح
مزايا هذه البقعة التي تنفجر منها مياه البحيرة ذات اهمية كبرى . اما نهر اباي

فقد اعتبرناه منفصلاً عن البحيرة في اول قطع منه يكون مسيله متضائفاً او محجوزاً حتى يحدث سرعة بيّنة في جريته وعلامة الموقع واضحة بمسرع شديد الاندفاع ينصب من فوق حاجز من الحجر البركاني يبلغ هوئيه متراً ونصفاً على قيد كيلومترين عن البحيرة وقد عثرت على هذا المكان بجهد ومشقة وليس الوصول اليه بالامر الهين لوجود مجارٍ معترضة على الجانبين ومناقع وبطاح وشمي من الاعشاب والقصب والاشجار الملتفة . ولا يكاد البصر يستجلى عامة المسارع والمساييل كل منها على ذات حدته ويستحيل ارسال نظرة عامة دفعة واحدة الى هذه المسارع والمساييل . ولو توسعنا في البيان لقلنا بأن زائد مياه البحيرة يسير اولاً في مسيل او مسيابين كبيرين ثم نجتاز المياه حاجزاً ضيقاً حجرياً رامياً الى بطيحة متسعة بعيدة الغوريكاد يكون منفصلاً عن البحيرة بالسد المذكور ويستمر ذاهباً من هذه البطيحة الى بداية نهر اباي بالذات بمسرعين أو ثلاثة مسارع غزيرة المياه ظاهرة للعين يبلغ هوئيهما نحو مترونصف عندما تكون مياه البحيرة في هبوط . اما المياه المارة في هذه المسارع فمصدرها عدة مجارٍ وترائك متفارقة وهي تضم بأطوائها جزراً يخرج منها نهر بين الخلطة في مسافة من طوله قدرها كيلومتر واحد او اثنين ثم يواصل السيل ومتوسط سمته نحو مئتي متر وقطاعه متباين غير متناسب يجمع نسيقاً من المسارع الخفيفة وترائك حواشيتها من البردي وهوي كل منها قليل وقد يصير الى ٥٠ سنتيمتراً وتقع هذه المسارع على ابعاد غير متناسبة فمنها ما يكون على بعد بضعة مئات من الامتار الى كيلومترين أو ثلاثة . اما جرية النهر في القطاعات المتسعة البعيدة الغور فلا ترمقها العين . وفي مساحة الثمانية او العشرة الكيلومترات الاولى من طوله تصير هذه المسارع اكثر عدداً واكبر ثم تنقطع الترائك الكبرى ويذهب النهر في جريته مسافة ٢٥ كيلومتراً في القطاع الضيق وهو اشبه بمسيل سريع يلاصق سفوح الهضاب ويتأخم الجانب

الشمالي من وادٍ متسع منبسط وبعده ثقل سعة الوادي وينساب النهر في مساقط (شلالات) تيس ايست ويندفع في مضيق غامض فيجتاز من كوبري قديم عند محلة اجملدلي ويسير متجهاً نحو الجنوب الشرقي في شق قصير يقع في ارض جبالية . اقول والذي يهمنا في هذا الصدد انما هو بعض الامتار من طول النهر بعد خروجه من البحيرة وعليه فالت وجود مسرع كبير عند منفذ البحيرة يتسبب سداً من الصخر تغمره المياه من رأسه الى حضيضه وهو من المزايا الخبيصة بذلك المكان ولا بد من قطع او نسف هذا الحاجز وبذلك يتسيرا جراء ماء البحيرة الى غور لا يكون اقل من نصف متر تحت منسوبها الاعتيادي الحالي . ولكي ينصرف في النهر مقدار ثلاثين مليون متر مكعب والماء على ذلك المنسوب يقتضي له عمل شاق لاكتساح مجراه تحت ذلك المسرع وفوقه وليس من المستطاع تقدير النفقة بالضبط والاحكام بغير مسامحة تفصيلية مدققة تباشر لذلك ويرجح انه اذا نسفت الشواخص الحجرية التي تتكون المسارع منها واقتلعت الجزر الصغرى والصخور والداليك الضخمة المستقرة في تلك الرقارق يتغير مقدار التصرف تغيراً كلياً بنفقة معتدلة . اما الحاجز الذي هو اول شلال فهو من الحجر البركاني المتحات قطعاً مثلثة الشكل يشبه رصيفاً مصنوعاً بالدبش والماء يجري طلاقاً من فوقه ومن خلاله ومثل هذه الاحجار قد يسهل ازالتها وانما لا تصلح ان تكون اساساً لبناء من الابنية . ولنفترض ان قد تقرر انشاء عمل للتحكم فيما يخرج من مياه البحيرة فالاصوب التباعد قليلاً عن منشأ النهر وإقامة قنطرة موازنة على احد تلك المسارع ومثل هذه القنطرة يستطاع إقامتها على الحجر الصلد ولا شيء يعترض اعمال التطهير والاكتساح في موقع تلك القنطرة وربما أمكن اختيار موقع ملائم على مقربة من المخاضة التي هي عن البحيرة على نحو عشرة كيلومترات . وأرى انه يناسب ايضاً بناء قنطرة موازنة باربعين فتحة طول

كل واحدة منهم ثلاثة امتار وفرشها على اربعة امتار تحت منسوب الفيض الاعتيادي والقنطرة يتيسر انشاؤها بالحجر وهو موجود في تلك المجاورات ويحرق الطوب في المكان عينه اما الجير فمعدوم في تلك الجهة فقد رأيت ثلاثة او اربعة ابنية في الحبشة مصنوعة بمونة جير. واخبرني اناس تلك الانحاء ان الجير الذي استخدموه لبناء الكنيسة المقامة في بلدة متراها الواقعة على ضفة البحيرة الشرقية استجابوه من جوار بلدة غوندار واما جير الكنيسة التي اقيمت في بهردار جرجيس بقرب منفذ البحيرة فقد استجاب من مكان قصي بين الجبال الواقعة في مهب الجنوب وهو على ما يقال كثير الوجود هنالك . ولا ريب في ان الجير الذي استخدم في بناء الكبارى البورتغالية القديمة فوق نهر اباي استحضرت ايضاً من تلك الجنابات ولم أر حجر الجير في تلك الاقطار ولا أثراً له حول البحيرة ويرجح انه موجود في جهة الجنوب وربما وجد ايضاً على مقربة من بلدة غوندار ويكثر هناك الكنكر في اخوار واخاديد نهرى المطهرة وجيرا على ٣٠ او اربعين كيلومتراً عن البحيرة ولكني لم أر شيئاً من هذا النوع حوالي البحيرة نفسها الا انني رأيت حاجزاً من هذه المادة قائماً في مخاضة نهر جيومارا ولكنه من النوع الغليظ الخسيس وقد يعثر على تلك المادة بالبحث . وعندي من الصواب عمل تصميم للقنطرة بحيث ان المهمات العسرة الاستجلاب لا تستخدم الا بمقدار . ولهذا السبب أشير ببناء قنطرة تكون فتحاتها صغيرة بالنسبة لجرمها تعدل مياهها بالايدي بواسطة ابواب غما . ومن الممكن نقر الدروندات في الحجر الصلد وفي الامكان ايضاً استحضار خشب لابواب الغما من تلك الجهة ولكن في ذلك ريباً وتشكيكاً . وعلى هذا القياس يصح افتراض ان معدل منسوب الفيض الحالي في البحيرة يكون درجة أعلى منسوب الخزان في المستقبل . ولا مشاحة في ان من الصواب اتخاذ منفذ البحيرة على علته كما هو عليه اليوم من الوجهة الهندسية

واستعداد التصرف المطلوب برفع منسوب البحيرة ولكن من الضروري الالتفات الى صفة سواحلها وما ينجم عن رفع منسوبها من الفعل الذي يحدثه في الاراضي المحيطة بها . اما حاشيتها فخافلة بالقصب تبلغ سمعتها ٢٠ الى ٥٠ متراً والى ما وراءها نطاق من الارض ذو ميل زهيد يكون غاصاً بالاعشاب والجنب الملتفة وهي من اطيب المراعي للماشية . وهذه المنطقة المتسعة تكون للبحيرة ساحلاً محشواً بالاعشاب يقبها صدمات الامواج ونسيق القصب المالي القام امامها ممتد الى ان يصل بسفح جرف صغير منحدر علوه نحو متر وقدمه هذا الجرف هي على منسوب اعلى الفيض الاعتيادي والجرف المذكور هو الضفة الصحيحة للبحيرة فينا تراه حافلاً باعشاب رطبة وقصبه غص تراه يتغير فجأة فيرتدي حلة من العشب اليابس المديد والجنب وهي تكثر في تلك البقاع وقد اوردت هذا الوصف هنا تمثيلاً لمناظر تلك الجهات وخلقة البر هناك على وجه العموم . وقد يختلف عرض المقاصب والمراعي في مكان دون آخر اختلافاً كلياً فهي تغيب جملة حينما تتحدر الهضاب الى المياه ثم تظهر منافع واسعة قرب افواه بعض الانهر ولا سيما قرب نهر أبي . وبالاجمال نقول ان ضفة البحيرة بيّنة التخوم ولكن يوجد هنالك نطاق من البر له ميل خفيف معتدل الاتساع عامته مراعي طيبة تارة تغمرها مياه البحيرة عند مداها وطوراً تغادرها في ابان غيضاها اما البر من ضفاف البحيرة فمختلف الارتفاع . ثم ان هذا الارتفاع سريع التدرج حتى تكون مساحة ما تغمره مياه البحيرة من الارض في ابان فورتها قليلة الا في البسائط الدلتائية في الانهار الكبيرة وبما انها غاصة بالمواسج والادغال فهي ليست بذات اهمية . ومما يلوح لي ان انحدار الارض في البسائط الدلتائية لا يمكن ان يكون اكثر من بلب في مسافة بضعة اميال عن البحيرة وهنالك ترى رقاعاً من الارض كثيرة الزرع وقرى

صغيرة تكون معرضة لفعل المياه عند ارتفاعها وعليه فإن تغيير الحالة الراهنة ينشأ عنه استياء اهالي الشواطىء وعندي انه ليس من الصواب تعقيد هذه المسألة وزيادتها حرجاً في الظروف الحالية واثارة حقد الاهالي ومما اراه واني لعلى يقين انه اذا عمل شيء من هذا القبيل يجب ان لاتمس ظروف الحالة الراهنة الا قليلاً بقدر الامكان . قلت ان البحيرة يتيسر جعلها خزاناً للمياه بدون تبديل ولا تغيير ظاهر وذلك بتمديد منفذ مائها تعديلاً ملائماً . ولا خفاء ان الثلاثة الآلاف مايون متر مكعب هو مقدار جسيم جداً ويمكن الذي يرتاب فيه هو ما اذا كان خزان يسع هذا المقدار يفي بالغرض المطلوب مع النظر الى بعد الشقة وتبدد الماء متطايرة في الجو بخاراً في اثناء مسيره فيصح انشاؤه ليكون لمصلحة مصر وحدها مع كون ذلك يجر المصاعب والمشاكل السياسية هذا ولا مشاحة في ان موافقة بحيرة تسانا لتكون خزاناً للبحر الأزرق تستمد منه ترع الري التي تسقي اراضي الجزيرة والاراضي الطيبة الواقعة الى شرق ذلك النهر في ارض السودان لأمر بين واضح فهو لا بد منه في مستقبل السنين يوم تذال العقبات السياسية ويحتجى النفع من ورائها . ولا ريب في ان الاقطار السودانية لم تدرك من التقدم شأواً يذكر يمكنها من الانتفاع بعمل مثل هذا . ولكن يكون الأمر موجباً للأسف العظيم ان تخصص مصر لنفسها وسائل طبيعية يكون من ورائها احياء اراضي السودان الذي يهمل مصر كثيراً بدون الاستفادة من هذه الوسائل حق الفائدة . ومما اراه الآن ان ارض الجزيرة هي في حاجة كلية الى شق ترعة كبيرة لإرواء ارضها في القريب العاجل . اما معدل التصريف من منفذ البحيرة في عهدنا فلا يكاد يبلغ بين غرة يناير وثلاثين يونيو خمسة ملايين متر مكعب في اليوم . وقد بلغ في ٣١ يناير من هذه السنة ثلاثة ملايين ونصفاً قدر له ان ينحط الى ما دون مليوني متر مكعب في مايو .

ولنفترض ان المشاكل السياسية انحلت وصارت بحيرة تسانا خزاناً فهي حينئذٍ تدرّ تصرفاً قدره خمسة عشر مليوناً من الامتار المكعبة في اليوم في مدى ستة اشهر تبدئ من اول يناير الى نهاية يونيو بمعنى ان البحيرة تسع ٢٧١٥ مليون متر مكعب خمسة ملايين منها يكون اكثر من المقدار الطبيعي الحالي الذي تتطلبه مصر واسافل النيل والعشرة ملايين تستعملها ترع الجزيرة وبقية ترع السودان في فصل الربيع واولائل الصيف وفي ما بقي من السنة تستمد هذه الترع ماءها من النهر ولا محذور . هذا واستخدام بحيرة تسانا خزاناً يحتفل فيها خمسة عشر مليوناً من الامتار المكعبة في اليوم في مدى ١٨١ يوماً بدلاً من ٣٠ مليوناً في مدى مائة يوم كما كان مقدراً لها امرٌ يسهل علينا الاعمال المراد انشاؤها . ثم ان زيادة فرق النهايتين في مناسيب البحيرة سينتقص من ٣٢ الى ٢٦ سنتيمتراً ولهذا يكفي بانشاء قنطرة موازنة صغيرة ولا يحتاج الامر إلا الى اعمال طفيفة في مسيل منفذ البحيرة . وعلى ذلك يتبين لي انه وان كانت بحيرة تسانا صالحة لان تصير خزاناً صناعياً فالمنافع التي تنجم عن مثل هذا العمل تكاد لا تزكي اجراء المشروع لمصلحة الديار المصرية وحدها . فاذا فعلنا نكون قد حررنا السودان أكبر أمانيه في مستقبل تقدمه . ومع ذلك فان الديار السودانية لا تزال غير مستعدة لاستخدام المياه التي يدرها الخزانات ولكن لو كان العمل بسيطاً لجاء تلك البلاد بالنفع الكبير وافاد الديار المصرية بعض الفائدة . اقول فلو صحّ ان ينشأ مثل هذا العمل فينبغي الاحتراس فيه من مساس الحالة الحاضرة في السودان الاً قليلاً بقدر الامكان وبذل الجهد الكلي في اجتناب كل ما يستدعي استخدام المهات الضخمة . وفي الختام اقول ان بحيرة تسانا كبيرة جداً بالنسبة الى مساحة حائرها حتى لا تكون خزاناً وافياً بالغرض . اما الابخرة المتصاعدة منها فتقدّر باكثر من نصف ما يرد اليها من المياه في السنين الاعتيادية فلو ضوعفت مساحتها فربما لا يكون من

مائها فيض وانصراف على الاطلاق ولو صح شطرها بشطرين لزادت
سمتها بقدر خمسين في المئة . ومن التبعض في موقعها الخصوصي يرى انه
يستطاع استنزاف مائها فينتقص بقدر ما يراد انتقاصه وذلك بحفر نفق
تحت مطرح سيلها الغربي يكون طوله سبعة او ثمانية اميال في الاقل وتكون
نفقته باهظة جداً لكن يكون من شأنه ان يذهب بمياه البحيرة الى
اخاديد نهر جيرا وهو احد مدود نهر رحد . غير ان تصريف ماء البحيرة
وتحويله على هذه الصورة امر ليس من الحزم وليس من المحقق ان يكون
منه فائدة عظيمة . ولكنني اقول ان هذا العمل ممكن الاجراء ويفضل غيره
من الوجهة الفنية

ثم اننا قد المعنا في هذه المذكرة من وجه التعميم الى المشا كل السياسية
التي تعرض في سبيل إقامة وصيانة عمل من الاعمال يراد منه إدارة او تحكم في
استخدام مياه البحيرة والارتفاق بها وعند التخصيص والتفصيل يقتضي التيقظ
والانتباه الكلي لئلا تباهر مثل هذه الاعمال قبل تسوية المعارضات التي تقوم
في سبيل اجرائها تسوية سياسية . ولا اظن انه يصح الاعتماد والتعويل على موالات
الاهالي وامياهم ولا يؤمل بمؤازرتهم ولا خفاء ان تلك الاصقاع قليلة العمارة
واهلها ذوو استقلال وانفة لا يحفلون بالنزلاء اذ ينظرون اليهم بعين ملوؤها
الريب والظنون اما الحاجيات من الميرة والمؤونة اذا كانت بمقادير جزئية فهي
رخيصة متى اراد القوم ان يبيعوها واما جلب عملة فقد يكون غير ميسور في
تلك الأرجاء وبغير مؤازرة النجاشي ودياً ومناصرة الرؤوس المحليين وتأيد
ذلك بشيء من القوة يكون العمل مستحيلاً على الاطلاق ولا يكون من
الحزم والسداد النزوع اليه الا بعد الاتفاق على الأمر من جميع وجوهه ونواحيه

مبحث خاص

في نهر العطبرة

ان الطريق التي سار فيها الراكب في ذهابه وإيابه من ديار الحبشة كانت موافقة للوقوف على اهم معالم وطبائع اصقاع السودان الشرقي . وقد تبين لي من ذلك ان عامة الاراضي الممتدة من نهر قاش الى حد الرّاحد (وربما شملت نهر دندر والنيل ايضاً) ذات بسائط متسعة سوداء الطينة طيبة التربة منحدره قليلاً الى صوب الشمال الغربي من سفح هضاب الحبشة الواقعة الى جهة الجنوب الشرقي المصاحبة تقريباً لتخوم الحبشة وهذه البسائط يتخللها على أبعاد غير متناسبة روابٍ مادتها حجر الصوان ولكن أغلب هذه الروابي صغير منعزل بعضه عن بعض وليس لها فعل يذكر في مناسيب تلك الاراضي واطوارها العامة . وقد يرى الرائد في تلك الاصقاع ان المطر الذي يتوقف عليه خصائص النبات وسحنة البر يكون غزيراً في الانحاء الجنوبية الشرقية منها حيث ترى تلك البقاع مكسوة بغابات متواصلة ويكون خفيفاً في الانحاء الوسطى وهي بسائط عشبية تتخللها رقاع من الارض تكثر فيها الادغال والاشواك التي ينقطع وجودها تقريباً على ضفاف النيل من جهة الشمال الغربي حيث ينذر نزول الامطار ونزولها غير كافٍ لا يقوم بحاجة الانبات إلا في بعض رقع متزرعة ممتدة على جانب النيل . اما بقية الارض فهي تقريباً صحراء قفر وترى في وسط تلك البقعة الواسعة ما خلا جزءاً يسيراً منها بضع قرى عادمة الزروع ولا اهل فيها على الاطلاق لان الماء معدوم منها جملةً . وكل من هذه البقاع الواسعة الاقطار بالنظر الى خصبتها المفرط وانتظام استوائها يستلقت الفكر بحاجتها الى انشاء ترع لاهياء مواتها . ومن البين ان انحدار تلك الارض متجه على الدوام نحو النيل إلا في قطعة منها واقعة الى

الناحية الغربية من تلك البقاع وهذه البسائط لا يحتمل ارواؤها بمياه ذلك النهر .
واما الثلاثة الانهر الاخرى وهي القاش والرحد والمطبرة فان الاولين منها
نهران صغيران مدثهما بمياه السيول ونهر قاش قد يعول عليه في ري الارض
المجاورة له . ومن الممكن الارتفاق بمياه رحد ايضاً ولكن مقدار مياه اثنيهما
لا يكفي لارواء جزء كبير من الارض المذكورة . وزيادة على ذلك فان موقعهما
لا يمكن من الارتفاق بمياههما الا في منطقة صغيرة على حاشية البقعة الكبرى
واما نهر المطبرة فانه اكبر منهما بكثير ومسيله يكون مجاوراً لمعظم قطعة من
ذلك البسيط المتسع في الجهة العليا منه ويظهر لأول وهلة انه نهر يرجى به
النفع والفائدة . ولنبحث الآن بالتفصيل في اطوار ذلك النهر انرى الدرجة
مقدار الارتفاق بمياهه فنقول انه يستفاد من افضل الخرائط ان المطبرة مؤلف
من ثلاثة انهار كبرى وهي جوانغ وبلوينا وغنداواها واقعة فوق القلابات
بالقرب من تخوم الحبشة . على اننا لم نر في ترحالنا سوى نهر غنداواها وقد
تبعنا مجراها الى مسافة خمسين ميلاً من مفجرتة ولم نشاهد خصائص الارض
في اعاليه الا من مواقع مختلفة متباعدة عنه . والراجح انه هو النهر العميد ونهرا
جوانغ وبلوينا ليسا الا ممددين له . والمطبرة بازاء القلابات قطاع سبعة مائة وعشرون
متراً وغوره نحو خمسة امتار في زمن الفيض وتكثر في قاعه الدماليك والحصى .
الفليظة يتخللها نواتي حجرية وضافه ذات تربة طيبة متماسكة الاجزاء وعامة
هذه الاحجار هي من المادة المتبلورة والطلق البراق والباسلت وانواع اخرى
مختلطة بها وقد وجدنا في هذا المكان مجرى ماء فقد رنا جريته في آخر شهر
دسمبر سنة ١٩٠٢ بمترواحد مكعب في الثانية ولكنه بعد شهرين نضب ماؤه
بتاتاً . وفي اكثر مسيله ظلال وترائك كبرى بعيدة الفور ينبت على حواشيه
العشب والادغال من صنف الصفصاف تفره مياه الفيض تماماً . والنهر على
مقربة من القلابات بقدر ميل الى الشمال عنها لا تغير في ماهيته وسعته حتى

يدنو الى ملتقى نهر سلام . ووجود طباق الحجر الرملي الحريش في الوادي قد جعله يشق له مجرى في نسيق من المضائق البعيدة الغور جعلت قطاعه متخالف السعة والشكل . اما نهر سلام فلم يتيسر لنا ان نراه وهو من جميع الوجوه يقرب ان يكون حجمه بقدر المطبرة اهمية وجرماً على ان جريته في زمن الفيض طفيفة ولم تكن في هذه السنة سوى قطرات ناضئة . اما المطبرة فسعته من نهر سلام الى مقترنه بنهر ستيت تكون من مئة وخمسين الى مئتي متر وبعد غوره في ايام الفيض نحو ستة امتار وقطاعه في مواضع يختلف اختلافاً عظيماً وفي الاماكن التي يكون قاعه فيها مكشوفاً ظاهراً هنالك يكون مفترشاً بالهوادي والحصباء الغليظة تعترضها في الاحايين القوادم والصخور ومسيله في هذه المسافة يكون طبقة سفلى من الحجر الرملي وهناك يستبين نهر ستيت عند مقترنه بالمطبرة عديلاً له في الاهمية والجرم وربما كان اعظم منه واثبت جرية لانه يستاق تصرفاً متوالياً ولكنه طفيف المقدار بلغ في الثامن من شهر مارس نحو ربع متر مكعب في الثانية . اقول وتحت ملتقى نهر ستيت يشق النهر وادياً بعيد القرار متسع الضفير ارضه غليظة مخددة صعبة المرتقى ولكن حينما يرى هذا المسيل دفعة اخرى عند محلة خشم القرية فهناك هو يتحول الى اخدود بعيد الدرك يكون في اسافل ارضه طبقة من حجر الصوان وهو تريكة من الماء مستطيلة الشكل بعيدة الغور يبلغ اتساعها نحو ١٢٥ متراً وبعد غورها في زمن الفيض نحو ١٥ متراً في جميع عرضيه . وعند محلة خشم القرية ينشعب النهر بعدة مجارٍ تشق جملة جزر حجرية فينشأ عن ذلك في زمن الفيض شلال منصلت وعلى بضعة اميال تجد تحت المكان الذي تلتقي عنده تلك المجاري فتصير مسيلاً واحداً مخاضة القاش المهمة هناك تقطع الطريق المؤدية من القصارف الى كسله . وفي هذا المكان تبلغ سعة مسيل النهر نحو اربعمائة متر وقطاعه قليل السمك يكاد غوره يبلغ ستة امتار في

منتصفه في الفيوض المعتادة ولا يزال قرار النهر هناك حافلاً بالحصباء
والدماليك وهو يحمل تصرفاً طفيفاً بالغ في الرابع عشر من مارس نحو عشر
متر مكعب في الثانية وعلى بعد ثمانين ميلاً يراه الناظر عند محلة جوز رجب
قد تبدلت ماهيته بدلاً عظيماً فصار نهراً يشق البساتين وأصبح قراره مرملاً
سوي الأرض تبلغ سمته نحو ثلاثمائة وخمسين متراً وجروفه وعرة طفالية
التربة وبعد غوره نحو سبعة امتار إلا ما تراه من قوادم حجارة الكنكر
الغليظة . ومن محلة جوز رجب فصاعداً لم ير أثر للصخر جملة وقد انقطعت
مياه الفيض ومسيل النهر لم يتبدل شكاً من جوز رجب الى النيل وهو
بهذه المثابة يشبه مسيل فرع دمياط وان يكن ليس بعميق ولكنه
هناك دائم الانحدار في زمن الفيض . ومن الخريطة الملحقة بهذا المبحث
تبين مواضع القطاعات العرضية في أنحاء متعددة من مجراه . وقد أعد قطاع
طولي للنهر استخرجناه بمقياس الانيرويد وهذا القطاع غير مضبوط تمام
الضبط لكن الارصاد المأخوذة عنه تحملنا على الاعتقاد بان المناسيب
المستخرجة بنسبة بعضها الى بعض هي على نوع ما مضبوطة تعلم منها بالتقريب
ارتفاعات الأماكن المختلفة وايضاً فان مناسيب بعض الأماكن الواقعة في
المستوى على بعض المسافة عن النهر مرقومة على القطاع حتى لقد يرى الناظر
اليها لأول وهلة ما يستطاع اجراؤه وما لا يستطاع من طرائق الري في تلك
المواضع بالنظر الى تلك المناسيب

ومن المعلوم ان مدّ نهر العطبرة هو من مياه السيل ومما تقدم يعلم انه
ليس للنهر تصرف البتة في اي مكان من طوله في عدة اشهر من السنة .
ويبتدىء نزول الامطار في اعالي مسيله في اواخر شهر مايو وفي مستهل يونيو
تبدو علامات الفيض فتظهر في النهر عند صوفي وطومات على مقربة من ملتقى
نهر ستيت ويعبر امم تلك الاصقاع عن تنفس النهر « بتفجر الميرون » بمعنى

ان تدفق الينابيع بالمياه الزلال مالكة البرك الواقعة على جانبيه آتية من ناديات مياه الفيض الصابة اليه من الروابي المجاورة لمسيه . ثم ان زيادة المياه الصافية يتلوها بعد ايام قلائل ورود المياه المعركة الحمراء فتزيد مياه الفيض سريعاً ويقال ان مياه نهر ستيت تصل قبل نهر المطبرة بأيام قلائل وعليه فان تدفق الامطار منتشرة في انحاء الشمال الى ان تم مساحة كبيرة من منطقة مغيضه فيكون الدفقة الاولى من دفقات الفيض تنساب شيئاً فشيئاً في مسيله جارية من تريكه الى اخرى ثم يتلوها تدفق متواتر حتى تستجم مياه الفيض في بعض السنين في اسافل النهر فتتراكم امواجاً عالية وتسري مترامية في المسيل الجاف و يظهر ان اول فيض مياه المطبرة يبلغ النيل في الاسبوع الأخير من يونيو اضطراداً ومتى استتب الفيض على هذا السن فالمطبرة يكون عالي المنسوب حتى يبلغ معظمه في اوغسطس وفي ذلك الحين يقدر تصرفه الاعتيادي في الاماكن السفلى بألفين وخمس مئة متر مكعب في الثانية على الاقل . وفي خلال سبتمبر ينحط سريعاً فيخاض في عدة مواضع وفي منتهى نوفمبر ينضب ماؤه ويتضح مما تقدم ان المطبرة ليس نهرأ يسهل استخدام مائه للري الابشق ترع لمياه الفيض او بانشاء حياض . فاذا اريد الري المستديم (المظماي) فيجب إقامة خزانات كثيرة وهو نهر مده بالسيل وله صفة اخرى وهي ان مائه يلزم المسير في وادٍ ضيق السعة او في اخدود بعيد القرار قد شقه في البسيط الذي اتخذ له فيه مجرى ولا ريب في ان هذا البسيط قد نشأ في الاصل عن هذا النهر وذلك بتساقط الاجراف اليه من جبال الحبشة وانما نظراً الى تغير حدث فيه ربما يكون ناجماً عن تحات الحواجز الصخرية التي تكوّن منها شلالات النيل انخفض قراره تدريجاً منذ امد طويل فشقق له مسيلاً في الركام الذي كان اتي هو به من قبل وربما اتصل صدعة بالصخر من تحت وصار اليوم في وادٍ ضيق بعيد الدرك كثير التآكل حاشيته منطقة ذات أخاديد متناهية في الوعورة

قائمة بتدرج الى البسيط من على الجانبين . اما ميل قرار النهر وميل العلوية فيكادان يتوازيان ولذا ترى فرق المنسوب بينهما عند القضارف مثني قدم ثم يقل تدريجاً في سمت الشمال . وقد تتخالف سعة منطقة الاخدود المشار اليه فتكون مسافته نحو ميل ونصف الى ميلين من كلا جانبي النهر . ويرى من قطاع النهر الطولي ان انحدار قاعه يقدر بنحو ١:١٠ في مسافة بعيدة فوق ملتقى نهر ستيت وتحتة بمعنى ان سرعة لها ميل طولي وقدره ١:١٠ آخذة من النهر على منسوبه الطبيعي يجب ان يكون طولها نحو مئة ميل في عرض البر مسطرة للاخاديد حتى تبلغ المائتي متر اللازمة لدخولها في بسيط الارض . ويكون ميله اكثر انحداراً عند ما يداني تخوم الحبشة والبر هناك غليظ وجرم النهر طفيف وتكون القضارف عن تخم الحبشة على مئة ميل وعندها يتبين حد الغابة والارض هناك متعادية بين انخفاض وارتفاع وهي بداية بسائط الارض المتسعة العشبية والى ما وراء القضارف هناك ينصب المطر الغامر ولا ضرورة لإقامة اعمال ري كبرى ولو كان في الامكان إقامتها فاذا نوي شق ترعة من المطبرة يقتضي اجراء مياهها الى البسائط الواسعة المطيفة بالقضارف ولكن التربة التي تشق آخذة من النهر متخذة خطة على الطريقة المعتادة يكون انشاؤها مستصعباً كثير النفقات فالطريقة الوحيدة التي تفي بالغرض المطلوب هي ان يُبنى في النهر حبس متسع الابعاد يكون معظم ارتفاعه منيع البنية ترتفع به مياهه الى ما فوق منسوبه الحالي بكثير حتى يستتب شق ترعة تستدر الماء من علو فيقل طول التربة ونفقاتها وتخفف صعوبة انشائها ولا سيما اذا اُعلي هذا الحبس لاختزان الماء تمدد به التربة في خلال اشهر الصيف ولا غرو ان تكون نفقات هذا الحبس باهظة على ان وادي النهر ملائم كل الملازمة لإقامة خزان فيه واف بالغرض يكون مستوعاه من الماء كبيراً . ولا فائدة كبيرة من اقامة هذا الحبس فوق ملتقى نهر سلام لان البر هناك وعر غليظ

حتى يستصعب انشاؤه ولا تكون سعة الخزان في ذلك الموقع وافيةً وايضاً فان
ايراد النهر مشكوكاً في كفاءته وافضل موقع لمثل هذا الحبس يكون فيما وراء
مقترن نهر سلام شمالاً غير ان الصخر هناك من رديء الحجر الرملي الحارث
وقد تبين ايضاً ان شق التربة يكون شاقاً. اما ايراد المياه الى ما وراء نهر ستيت
شمالاً فغزير طفاف والمشهور انه يوجد مكان موافق عند محلة خشم القرية
ولكنه بعيد جداً عن تلك النقطة فاذا شقت الترع من نقط تكون تحت
مقترن نهر ستيت فيها يتيسر ارواء مساحة عظمى من الارض والبر الذي
في اسفل النهر له مزية على البر الذي في اعاليه في انفراج سحنائه وخلوه من
ذباب السروط . اما من جهة إمكان بناء خزانات كبيرة على المطهرة بالنظر الى
المقدار الجسيم الذي يستاقه من الطفال فاقول ان قد تضافت الروايات بلامراء
في هذا الأمر على ان المطهرة نهر لا عدل له في جلب القرارة^(١) والاحوال
وما العامل الاكبر بلاريب في زمن الفيض الا نهر ستيت فان المادة السوداء
الهشة المجترقة منتشرة في مائه ووجود الاخوار الساجنة المنصبة فيه توأ هي
السبب في ذلك ويتحدّر فيه مقدار كبير من نثاره الاعشاب الأمر الذي لا
بدّ من توقّعه لأن عامة مضاجع السيل مكسوّة بالغابات المتواصلة الشجر
ولا بدّ ان تكون الرذاغ اي القرارة السابحة في اجواف الماء من خالص
الابليز الرقيق القوام لان وجود رقاع الاعشاب والاذغال التي طال عليها
الأمد وهي قائمة في حواشي الترائك الكائنة في قرار النهر بالمواضع التي لا بدّ
ان تكون فيها معرضة لفعل جما الفيض ونُهاؤه فيغمرها الماء اياماً لا بل اسابيع
ثم ان مكوث الترائك نفسها تدل كلها دلالة واضحة على ان ليس هناك الا النثر
القليل من الحصى التي تغشى قرار النهر او تراكم انواع الرمال الغليظة ورواسب
أخرى فيه . ولهذا السبب أرى ان وجود هذه المواد لا يصح ان تكون

(١) القرارة ما استقرّ في الماء من اقدار وحطام وغيرها (المعرب)

مانعاً من القيام بالعمل المطلوب ولا سيما اذا أنشئت خزانات شبيهة بخزان
اصوان تجيز القدر العكر الآتي في اوائل الفيض وتخزن المياه الصافية في
الواخر . ثم ان تصرف النهر السنوي يقدر بعشرين الف مليون متر مكعب على
الأقل . وليعلم ان جزءاً طفيفاً من هذا المقدار مما يختزن من المياه الصافية يكفي
لإملاء الخزانات التي يمكن انشاؤها . هذا والنهر في مسافة المئة ميل الأخيرة
من مسيله يكون له اكناف على جانبيه على منسوب اعلى الفيض المعتاد .
ولا مشاحة في ان ارض هذه الاكناف او البسائط هي ذات تربة طيبة جداً
وموقعها صالح للزراعة ولكنها في كثير من المواقع غاصة بصغار الأنجم
ونخيل الدوم ويعوزها كثيراً ان تكون مكشوفة من الانبات حتى تصير كثيرة
الزروع . اما اتساع الحاشية المذكورة فيختلف اختلافاً كبيراً يصعب تقديره
لكثرة الانبات لكنها تبدو للعين متواصلة بلا انقطاع حتى تنيف سمعتها في بعض
الامكنة على كيلومتر لكن عامتها اقل من ذلك وفي الاحايين تكون ضيقة السعة
والى ما وراء هذه الحواشي الخصيبة تقوم ارض الاخاديد المكافئة لمسيل
المطربة في كل قطع منه لكنها هناك قريبة القرار وغير بيئة التخم والاعالي
مفاوز قاحلة . ولا يعلم ما يجب عمله في هذه الانحاء وفي الانحاء الاخرى
الا اذا مسحت الارض مسحاً اصولياً واستخرجت ميزانياتها . ولكن الواضح
انه يصح احداث منطقة صفري للري الحوضي تمتد على الجانب الايمن بعد
مقترن المطربة الى ما وراء بربر . هناك جملة اراض صالحة للزراعة وهي مرتفعة
المناسيب تندمج فيها اراضي الحصة التي سيأتي الكلام عليها في مبحث
خاص . ولهذه الاراضي (التي تغمرها مياه الامطار الغزيرة او مياه الفيض
الطافح) عند اناسي بربر قدر كبير . فهم لا يتباضعون بالارتفاع باراضي
الحياض السمينية التي تروى سنوياً على ذات حدتها . ثم ان احداث نظام
حياض ضيق النطاق هو الوسيلة الفردة لاستخدام مياه المطربة وهي عندي

بالظروف الحالية تستحق النظر فيها ولكن لا يصح مباشرتها قبل ان تستقصى تلك الارض استقصاءً اضبط وادق مما فعلت . قلت ويستبان مما تقدم ان المطبرة نهر لا يعتد به من حيث الري لانه فضلاً عن ان مدته من مياه الغيث فهو بلا مرء قصير الفائدة لان جريته تكون في وادٍ ضيق بعيد الغور أحط كثيراً من منسوب البر المطيف به وليس في ظواهر موضع من مسيله ما يدل على امكان شق الخللجان منه لان انحدار قاعه طفيف جداً حتى لا تملك الترع اذا اشتقت منه في الشمال ناصية البر المراد ارواؤه وكبير جداً لا يمكن من انشاء خزان الا باجراء اعمال عديدة . هذا والنهر يشق في صميم ارض لها تربة سميكة زكية هي من امرع الاراضي لكنها تكاد تكون خراباً لقلة الماء ، فلو مسحت الارض مسحاً مفصلاً مضبوطاً ربما تبين من ذلك غير ما تبين من موافقتها وملائمتها وان وادي النهر ومسيله خليقان بالبحث الدقيق لان الحاجة الى الماء شديدة ولا بد يوماً من بذل الاموال الطائلة للحصول عليه . على انه يتبين من اختبار تلك الاصقاع اختباراً عاجلاً ان الطريقة لاستخدام مياه المطبرة تكون باقامة احباس وسدود كبيرة ضخمة لتحويل قطعات كبيرة من الاودية الواقعة الى الجنوب عن النهر الى بطائح يخصص شيء قليل منها للاختزان وتكون الترع آخذةً ماءها على منسوب مرتفع وينبغي ان تتحمل هذه الخزانات فيوض نهر المطبرة منصبةً من فوقها مندفعةً في مسقط عميق المهوى ولذا يجب ان يكون بناؤها متيناً خصباً لمثل هذا الغرض كما في خزان بريار في مدارس (من اعمال الهند) . وعندي ان افضل موقع موافق لبناء هذا الحبس يكون على مقربة من مقترن نهري المطبرة وسلام شمالاً ثم يبنى خزان آخر اصغر منه ويقام نظام من الترع تحت مقترن نهر ستيت . وعلى ما ارى الآن ان لاجدوى من البحث في هذه المشاريع والاقطار السودانية

على احوالها الحاضرة

واما ما يتعلق بانشاء الخزانات في وادي المطبرة لمصلحة مصر فارى ان ذلك في الامكان ولكن يلوح لي ان وادي النيل افضل منه فهو اوسع عرضاً واقرب شقاً . هذا واذا سلمنا باستحالة القيام بعمل شيء من الترع لمنفعة الجزء الاكبر من بسائط السودان الشرقي فلا اقل من اتخاذ الوسائل في الحاضر لتكثير مياه الآبار وانشاء حياض في كل مكان يكون انشاؤها فيه مستطاعاً واذا اقيمت قرى الى جوانب آبار لا ينقطع ماؤها ولا ينضب يتيسر بذلك للناس الاستيساع بالزراعات المظائية على كثرة فيتسع نطاق تربية المواشي عما هو عليه الآن فاذا اتفق قدر يسير من المال لحفر الآبار المذكورة واصطناع بضعة حياض لان سكان تلك الأنحاء قليلو الخبرة في حفر الآبار . ونظراً الى اهمية هذه المسألة عندهم فقد يكون من السداد استجلاب بضعة نفر من الهنود المتدربين على فن حفر الآبار وفي اعتقادي ان الماء يوجد في غالب تلك الجهات بمقادير تفوق الحاجة اكثر مما يظن ويقل الافتقار الى عدد كثير منها لو اعتاد الاهالي على حفرها واسعة عميقة

مبحث في نهر قاش

ينشأ نهر القاش او مارب من هضاب الجبشة ذاهباً في مجراه الى بسائط السودان ويكون اشبه بمسيل متسع قريب الغور ارضه رملية يقرب منسوبه كثيراً من منسوب البسائط وله عند النقطة التي يستدير فيها بجبل كسله من جهة الجنوب على خمسة اميال الى الجنوب عن بلدة كسله مجرى متوسط سعته نحو ١٥٠ متراً وغوره يبلغ متراً واحداً سائراً من بين جرفين مستويين والنهر في فيضيه الغامر يرتفع حتى يركب المسطاح المجاور فينفسح الماء في مدى مائة متر على الجانبين فينسب من بين الاعشاب والادغال

القائمة هنالك وتخذ هذه المساطيح وتشقها مسايل تهاجره ثم ترجع اليه . والى ما وراء هذه المساطيح ويخذ النهر ذات اليمين قوادم من الصخر بارزة من جبل كسله وذات اليسار صعيد من الارض ناهض عنه بارتفاع قليل لا يبلغ اكثر من مترين او ثلاثة ويليهما لصقاً انحدار خفيف في مهب الغرب والشمال الغربي عن النهر ثم يشق مندجاً في منبسط سوي الصحيف ممتد الى ما يلي نهر المطبرة الى مسافة اربعين ميلاً وقطاعه مثلث دلتائي . والبرك هنالك خلو من الزراعات تغشاه الاشجار والادغال الملتفة وهذه الطبائع مطردة في تلك البقاع حتى كسلة الواقعة على ارض مطمئنة على الضفة الشرقية تكون أعلى من ماء النهر بقليل قبالة غور في الهضاب على قاب ميلين أو ثلاثة بين جبل كسله وجبل موكران ثم يصبح قطاع النهر تحت كسله مثلثاً دلتائياً وفي هذا المكان يتسنى ضفافه من الجانبين ويأخذ مجراه العميد ان يضيق سعة ويبعد غوراً وعلى ضفافه سطور من شجر الطرفاء معتدلة القد يتخللها بقاع حافلة بالزروع في وسطها ومن ورائها . وتعدد المهاب متوالية ومنها ما يكون كبير الحجم بين التخم وبعدئذ تتناقص سعة على التوالي حتى يغيب جملة على ستة او سبعة أميال عن كسله . وعامة هذه الارض التي تغمرها مياه المهاب مفترشة بالرداغ الطفالية مستقرة فيها منذ سابق الفيض تكون فساحة كبيرة منها مزدرة ذرة واما الارض الخالية عن الزراعة فمكسوة بالطرفاء وضروب من السنط والانجم الكثيرة ويتلو تلك المزارع والأجمة الملتفة الاشجار منطقة غير سوية متقطعة حافلة بالاعشاب الغضة المديدة وفي ثناياها بضع اشجار وادغال تشقها عدة مجاري مختلطة التخوم تنزع الى التضام فتكون مجاري ابد غوراً من ذي قبل ومن ثم قد يكون منها ثلاثة مصارف كبيرة ذاهبة في سمت الشمال والشمال الغربي وهي مبيّنة في الخرائط بانها فروع متشعبة من نهر قاش . وتكون مسافة جريتها من ٥٠ الى ١٠٠ ميل فتروي

اراضي فسيحة ذات مراعي عليها شرب جملة قرى صغيرة اهلها رُحَّل بنو قلمة تكتنفها اراضٍ زراعية . ويظهر ان اكبر هذه الفروع يجري تَوَّاً نحو الشمال مجتازاً قرية فيليك وهي قرية لها بعض الشأن ومن هناك يغوص في صحراء رملية الى الشمال عن تلك القرية ولكنني لم أرَ ذلك بعيني

وبعدُ فان المياه ميسورة الاستنباط في عامة تلك الانحاء في جميع الفساحة التي هي على نهر قاش بآبار تحفر لهذا الغرض وقد بلغ غور بعضها بين ٦ و ٧ امتار الى حدِّ سطح المياه وبلغ قطرها نحو متر وغالبها يكون موقوتاً الى حين وهي تتفجر من قرار النهر او من احد المهاب في كل سنة اضطراداً فلا يكون قرارها احط من منسوب الينابيع الا قليلاً . اما ايراد الآبار الأخرى فانه عرضة للانتقاص في فصل الصيف . اقول ونهر قاش لا يجري الا مدة ثمانين يوماً في السنة فيمدُّ في اوائل شهر يوليو وينضب في اواخر سبتمبر وفي بقية السنة تجفُّ ارضه جملةً وفي اوان الفيض يستمرّ جارياً في ارتفاع وهبوط بغير قياس ويندر هبوطه بالمرّة ولكن يغلب ان تكون جريته شديدة المضي حتى يكون خوضه تجاه بلدة كسلة مستصباً منيماً وقد لا يخاض البتة في مدى يومين او ثلاثة ويبلغ عرض مسيل النهر عند المخاضة نحو ٢٥٠ يرداً ويرجح ان يكون متوسط غور مياهه اثناء الفيض نحو ٥٠ سنتيمتراً وجريته شديدة وتصرف فيضه المعتاد نحو ١٠ متر مكعب في الثانية او ثمانية ملايين متر مكعب في اليوم والراجع عندي ان يكون اقل من ذلك ولا ينيف على خمسة ملايين متر مكعب في اليوم ولا ادري كيف يخاض مسيل كبير الجرم مثل هذا المسيل في ابان الفيض ولا ريب في ان الفيوض الغامرة واستمرار ارتفاع المياه في اكثر الفصول مما يدل على تصرفات اوفر مقداراً . وربما كان بذلك السبب الاكبر في بلوغ نهر قاش فيضاً مكثراً

ومهما يكن من الأمر فقد يتبين لي ان هذا النهر هو بالقياس الى غيره

صغير لا يضمن ارواء جميع الاراضي الواسعة الاطراف الواقعة عليه .
والأولى الاقتصاد في ايراده . ولا يخفى ان مقداراً جماً من المطر يقع في انحاء
كسله في ابان فيض قاش وقد بلغ مقداره في سنة ١٩٠٢ سبعة قراريط
وثمانية اعشار القيراط وهي سنة جاء مطرها قاحطاً وكان متوسط درجتها
بين ٩ و ١٠ قراريط للسنين الثلاث الاخيرة

وقد اتفقت اكثر الخرائط على جعل نهر قاش ممداً من ممدات المطيرة
ومما استطلعت وتكشفت في هذا الشأن يعلم ان مياه القاش لا تبلغ مياه المطيرة
الا في السنين التي يكون مطرها غريزاً الى الغاية الامر الذي يندر حدوثه
جداً . فلو جعل نظام اولي لموازنة المياه وتعديلها فلا يتبدد حينئذ شيء من هذه
المياه الكبيرة المنفعة . اما مفيض نهر قاش الى المطيرة فالمظنون انه يقع
الى الشمال عن قرية ادماراما في منتصف الجادة فيما انطوى من الارض بين
جوز رجب وبربر وهنالك منخفض هابط مستوي القرار في ارض طيبة
يكون عرضها زهاء ميل تغشاها الادغال الملتفة تتراعى الى المطيرة عند تلك
النقطة . واما علاقتها بالقاش ففيه ريب وتشكيك . وليس من اثر فيها دال
على اندفاع المياه في قسم من تلك الارض . اقول والزراعة في جوار كسلة
تقع في ثلاثة انواع وهي :

اولاً - الزراعة المظائية وهي التي تسقى بالامطار كالذرة البيضاء البدرية
تزرع في صعيد الارض ويتوقف نموها على صفة الاقليم واطواره في ازمة
الامطار . وازدراعتها يكون بالمادة في شهر يوليو وتحصد في اكتوبر وقد
أحل محصولها جملة في سنة ١٩٠٢

ثانياً - زراعات فيض قاش منها الذرة البيضاء المتأخرة (الوخريه)
تزرع في الخريف في اراض تكون قد تروّت جيداً بمياه فيض القاش وهم
يحصدونها عادة في مارس . قلت وفي سنة ١٩٠٢ الى سنة ١٩٠٣ كانت آمال

الأهل بحاصل هذه الزراعة عظيمة جداً لكنها قد اتلفتها الندادة التي يسمونها في تلك الاصقاع بآفة العسل

ثالثاً - حاصلات البساتين وينطوي تحتها كل مسقي بالسيح من مياه الآبار . والى هذا العهد هي محصورة ببساتين كسله تزرع خضراً وكانت في ماضي الايام منتشرة في فساحة عظيمة من الارض تزرع قطناً وزروعاً اخرى شريفة . وفيما خلا هذه الحاصلات القصيرة الآجال القليلة الشأن فان اقبال الزراعة في تلك الرقعة الزكية المطيفة بكسله يتوقف بكليته على القاش لانه الرافد لمياه الينابيع التي تمتد الآبار وينبسط مأؤه على قسم كبير من اجود المراعي فيذعشها ويكون الري منه على طريقة ضحية بطريقة الحياض بغير تعديل ولا تحكم وكثيراً ما تسقى به اراضٍ واسعة الاقطار قابلة الاتساع يرتفع منها شيء كثير من الذرة النضرة الجيدة . ومن اللازم الضروري ان لا يصرف النظر في اي مشروع يوضع لتدبير مياه هذا النهر عن واحدة ما من المزايا الكبرى المتوفرة فيه ولا يفرض بتلك المزايا فتستخدم في غير وجهتها لامور اخرى . ولا مشاحة في ان الحالة التي عليها نهر القاش اليوم لا ضابط لها ولا حاكم ولذلك كان لا يعمل عمله الصحيح . أقول ولا يتمذر استنباط طريقة يكون من ورائها توسيع نطاق الزراعة بغير اذى للمراعي او مساس بمياه الآبار الكبيرة الشأن في تلك البقاع . ثم ان اطوار نهر القاش في الحالة الحاضرة هي (كالانهار الدلتائية التي لا ضابط لها) مدعاة الى اظانين واوهام لان اراضي الزراعات واجود اراضي المراعي تتغير مواقعها بتقلب مياه الفيض في الوجهة التي تتخذها مياهه وتسوئ حال الآبار من جراء ذلك ويقضى على القوم بدوام الرحلة والقلعة من مكان الى آخر وهم لذلك قلقون لا يجرأون على انفاق الدرهم للاصلاح والتعديل . هذا عدا ما هنالك من المشقة والارتباك في ادارة تلك الاقاليم وزد على ما ذكر فان مياه القاش تتبسط

مفترشة فضاءً رحيباً من الارض يكاد يكون سويّ السطح رقيق الطبقة
فيفرط تصاعد الانبخرة من تلك المنطقة واسعة الاطراف وهي في الغالب تعمُّ
شطراً عظيماً من موات الارض الصلبة التربة اللاقوام لها على امتصاص الماء
لتمد به النباتات ولا هي تنبت كلاً المرعى الطيب للماشية وفي الاحايين لا
يتيسر للاهالي تأدية المياه الى الاماكن القصية من مزارعهم الا اذا اطبقوا
ارضاً واسعة بالماء بعد ريها رياً وافياً وامكثوه عليها مع ما يهتريه من التبخر
ولا مرء في ان ما تستلزمه تلك البقاع انما هو حفر ترع وإقامة
حياض يتيسر بها ارواء اجزاء معينة تسير اليها المياه في ازمته يراد ارواؤها
فيها على قدر ما يمكن التصرف به من المياه الموجودة سواء كان ذلك لزراعة
الذرة او للمراعي اولفد النباتات . اقول ونهر قاش تقتله حماته على بضعة اميال
عن كسله شمالاً وذلك من الغرابة بمكان وهو امر يقضي بلزوم الاحتراس
الشديد في شق الخلجان منه اذ الراجح ان هذه المياه الكدرة اذا اجريت في
خليج صناعي البنية لا يكون فعلها اقل منه في مسيلها الطبيعي الكبير البين
الحدود . اقول والنهر يبلغ في سيره ما يسمونه راس الدلتا حاملاً في اجوافه
رملاً وطفالاً وعند ما يخف انحدار الارض حتى لا يكون له جرية تتقاذف
تلك المواد حينئذ تستقر الحماة في القاع وتسد مجرى النهر جملةً في قطع
وجيز منه فتبدد شمله وينساح في كل جهة وصوب فاذا خلص من اكشف
تلك المواد السابحة في مائه يجري وماؤه اقرب الى الصفاء مجرفاً لا راكماً
جامعاً لا مفرقاً ذلك يستبان من النظر نظراً عاماً الى ذلك القطع من مجراه .
وايضاً فالارض الحافة براس الدلتا اذا ركة عظيمة تكون تربتها سمينة طيبة .
هناك موقع اجود الاراضي لزراعة الذرة غير انها لا تدرع الا عقيب فيض
القاش لانها معرضة للانغمار بالماء ولذا يتأخر ادراكها فان آفة العسل
اعترتها سنة ١٩٠٢ ولم تسلم منها الا الزراعات الباكرة . والذي يلوح لي

ان اللازم الضروري وضع طريقة للتحكم بمياه النهر لكي تداوم على القاء
طينها الكثيف على جزء من الارض بقرب رأس الدلتا ثم تتابع سيرها وهي
رائقة في شعاب تسيل في جهات مختلفة . ذلك يدل دلالة واضحة على اتخاذ
طريقة الحياض في انحاء رأس الدلتا عند الركة الدلتائية تستمد منها الترع وتسير
مياهاها في عدة جهات بقناطر موازنة تكون في الجسور ومع ذلك فالحكومة
تقوم اليوم باعمال كثيرة تحت سيطرتها في كل سنة مثل انشاء وصيانة السدود
في مبدأ بعض المهابر الكبرى عند رأس الركة الدلتائية بما ان هذه المجاري
تنزع الى الانتشار والاتساع الى ان تصير فروعاً ذات شأن فتحمل في طريقها
مقداراً جماً من الماء الى جهات اخرى فتعطل الطرائق الزراعية المألوفة في
تلك الانحاء والمرافق على المجاري القديمة وهي تخفض ايضاً منسوب نهر قاش
فتصبح الزراعات الطيبة المطيفة برأس الركة الدلتائية ناقصة الارتواء . والسعي
مستمر لبقاء الشؤون على ما هي عليه ومنع النهر من احتقار مجاري جديدة وترك
القديمة بعد انسدادها بالطين ولكن لعدم وجود خطة بيّنة للوصول الى هذا
الغرض والمال الكافي لذلك فلا فائدة من السير في هذا السبيل ولكن مهما
يكن من الامر فلا بد ان يتغلب النهر آجلاً او عاجلاً بالقوة الطبيعية محدثاً
قلقاً وتلفاً وقتين يزولان شيئاً فشيئاً كلما ارتكمت المسيل الجديد منعماً . فاذا
أريد اجراء شيء من الاعمال في هذا الصدد فلا احسن من إقامة حوض
مستدير يشمل الارض التي بجوار رأس الركة وبذلك يستطيع جرّ مياه النهر
اليه مارة من بين جسور صغيرة ممتدة الى مسافة من طوله على الجانبين وبهذه
الطريقة ينصب النهر في ذلك الحوض فيفيض طافحاً على تلك الارض ملقياً
بمعظم طينه في قرارها كما في عهدنا اليوم ويتصرف من عدة قناطر قائمة على
الجسر المحيط . وقبل نهاية الفيض لا تستخدم هذه القناطر الا قليلاً وذلك
بتوزيع المياه على قدر الحاجة حتى لا يحدث الا تغيير طفيف في الشؤون

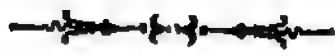
الحاضرة . وفي نهاية الفيض عند شروع النهر بالانحطاط تقفل القناطر ويرسل الى الحوض بدفقة الماء الاخيرة اللازمة لاروائه بتاتاً ومن ثم تطلق المياه المخزنة فترتفع بها الاراضي السفلى . والقناطر المذكورة تكون بمثابة افواه للترع او هي تمد منطقة حياض تكون مستديرة بالحوض الاول او تستخدم واحدة او اكثر من هذه القناطر لصرف مايزيد من الماء عن الحاجة فيسير الى مجاري الفيض وربما كان ذلك اعظم مهمة تقوم بها هذه القناطر . ومن البين ان الجسر ذا الدائرة الفردة تضبط به مياه النهر ضبطاً مطلقاً ولا يحدث ذلك الاّ تغييراً يسيراً في الحالة الحاضرة ولذا يتيسر اشتقاق ترع وافية السعة سديدة التخطيط او اصلاح بعض مجاري الفيض القديمة فتصير ترعاً ولو ان الواجب ابقاء اكبرها الى مدة من الزمن تكون فيها بمثابة مصارف . هذا ويستحيل القطع بالحجم الذي يجعل للحوض الاول وسمك المياه التي تحملها الجسر وبعده القناطر اللازمة ومواقعها لم توضع لذلك الرسوم وتستخرج المناسب وربما كان الافضل إقامة قناطر صغيرة كثيرة العدد لا قناطر كبيرة قليلة . وبما ان تصرف النهر معتدل المقدار فهذه القناطر الصغيرة لا يكون انشاؤها ذا نفقة باهظة . ومع ذلك يصح ان يكون تدريجاً اذا لم يتيسر احراز المال لها جميعاً دفعة واحدة وقبل اعداد اي مشروع نهائي في هذا الصدد يجب استزادة العلم بشؤون هذه المطالب . وايضاً فقد يتعذر تصوير هذا النهر الغريب الاطوار ونظام مجاريه تصويراً صحيحاً من مجرد الاشراف على قطعة صغيرة من الارض هناك دفعة او دفعتين سلوكاً في ممرات متعوجة بين الادغال الملتفة والزراعات النامية طويلاً . وحرى بالذكر ان الجسر المراد إقامته للحوض سيكون وسيلة لعبور القاش في زمن الفيض على مسافة ليست بعيدة عن الطريق المؤدية من كسله الى بربر ولا تخفى فائدة هذه الوسيلة لأن خوض النهر يكون في الاحياء شاقاً محفوفاً بالمخاطر ولا سيما عدم ملائمته لنظام البريد . وتكون الترع التي توزع بها المياه قائمة

مقام الهبطات والأخوار والأغوار غير نظيمة التخوم . والمياه تكون حينئذ محصورة في فساتح مختارة وبذلك لا يكون التبخر عظيماً ويستطاع ري اراضي المراعي على نظام وترتيب وذلك باطلاق المياه دفقاتٍ بالسيح بدلاً من ان تكون كما هي اليوم عرضة لمياه المناقع . والقرى القاصية يكون ارواؤها بالمناوبات القانونية بدلاً من اعتمادها على مياه الفيض الذي يجيئها دفقات فتدوِّض ما يتبدّد من المياه بالامتصاص والتبخر الحاصلين في نسيق من المناقع . والاراضي المغمورة بمياه الفيض قليلة الغور فتصلها في غير اوانها بمقادير غير معلومة . اما الأراضي المطيفة بالآبار الكبرى فيطلق عليها ماء كثير يمكث بها زمناً طويلاً وله عمق قاع . وتوسع تلك الآبار ويزاد بعد غورها . فاذا سارت الامور على هذه الصورة فلا ريب في تقدم تلك الاصقاع تقدماً حثيثاً سريعاً ويكون اجراء الأعمال فيها تدريجاً كلما زاد عدد سكانها واتسع نطاق الزراعة فيها . وخلف منطقة الري الدلتائية الكبرى في تلك الانحاء كانت هناك ترعة تستمدّ ماءها من القاش عند سفح جبل كسله الجنوبي وكانت تروي مساحة متسعة من السهل الاكبر الواقع الى غرب النهر تجاه تلك البلدة . وكان يزرع فيها شيء كثير من القطن . هناك ايضاً عدّة سواق (داليات) تشغل بالبواقيل وبساتين مزروعة واما الآن فقد صارت تلك البقعة مواتاً تكسوه الأدغال لا انيس بها ولا ديار

وقد تعهدت منشأ تلك التربة العهيدة وشاهدت المجاري والجروف القديمة فألفيتها سالمة تكاد تكون غير ممسوسة ثم استوعبت انباء كثيرة عن ذلك الموقع اخرجتها عن كاتب مسنّ مقيم بكسله وتبين لي ان التربة يبلغ عمرها زهاء ستين سنة وقد هجرت منذ ثلاثين سنة ورأيت القاش مسدوداً تحت المأخذ وذلك قبيل بلوغ مياه الفيض وقد تحوّل كل ايراد النهر الى التربة في مدّة ثلاثين يوماً وكان يُحتفل بازالة السدّ رسمياً فتعود المياه الى مجراها في بقية

زمن الفيض . اما التربة القديمة واطراف الجسر القديم فمن السهل اصلاحها والارتفاق بمياههما وهذه طريقة من الطرائق التي تؤدي الى استعادة ماضي العمران في هذه الجهة ولو انني غير ميال الى الطرائق القديمة ومع ذلك لم ينجل لي سبب ترك التربة ولعله يكون الرداغ (الطمي) التي كانت تجلبه المياه او اضرار ذلك الرداغ بالانحاء الأوسع اقطاراً في اسفل النهر . ولا يخفى ما في منطقة القاش باقليم كسله من المرافق الزراعية التي يعجب لها كل من تهمة المسائل الزراعية فان جودة تربتها لا تنكر ولا ريب في سابق عمران تلك الاصقاع . ومما يسؤنا ان نرى شؤون الزراعة ساقطة ركيكة بالنظر الى الماضي ولكن نطاقها آخذ اليوم بالاتساع في السنتين او الثلاث الخالية . والحاجة الآن الى زيادة عدد السكان وهو ليس بمستصعب في جوار كسله كما هو في سائر انحاء هذه المديرية وقد ازدادت الاراضي الزراعية ولا تزال في ازدياد متوال وتوجد الآن اسراب وافرة من الضأن والماعز سائمة في المنطقة المذكورة والحاجة ماسة ايضاً الى زيادة الآبار وتحسين صنعها في كل مكان ويقتضي توسيع نطاق الزراعة البساتين وهو امر ينبغي الالتفات اليه ولا دافع اكبر لاستعادة عمران تلك الجهات الا انشاء الاعمال لتدير مياه القاش في مده فبذلك تستتب الحال لجملة بقاع من تلك الاصقاع . واذا نفذت هذه المطالب فلا يتعذر استجلاب الزراعة يحرثون فيها ويزرعون . قلت ولا يتوقع العمران السريع في هذه الجهة ولا في غيرها من ارجاء السودان لكن الظواهر على ان البلد صالح اصلح من كثير من بلاد السودان للعمران بنفقة معتدلة المقدار تبذل في اقامة الاعمال للري فيه . وقبل الشروع في شيء من هذا القليل يقتضي إعداد رسم تقريبي وخريطة مناسبة لهذه الانحاء وانتداب مهندس بارع او مساح يستطلع اخبارها لتعرض على خبير ماهر باعمال الري فييدي فيها اراءه النهائية بالتفصيل المطلوب . وهذه الاخبار

سريعة النوال وذلك بمد خط اساسي مفرد يذهب شمالاً من كسسه الى مسافة
عشرين كيلو متراً عنها تستخرج به المناسيب والقطاعات المرصية بزوايا قائمة
على ذلك الخط في كل كيلومتر. والفائدة تكون باديء بدء بإنشاء اعمال تحتكم
بها المياه وهي جروف اي جسور صغيرة القطاع يكون طولها ثلاثة او اربعة
كيلومترات واقامة قنطري موازنة او ثلاث لا يستلزم بناؤها الا بعض الآلاف
من الجنيهات على انه لا يتسنى لي الكلام في هذا الشأن بالتدقيق قبل عمل المساحة
اللازمة. واذا لم يكن المال ميسوراً في المستقبل العاجل فمن الضروري استطلاع
حقائق الامر بالتدقيق فيستخلص منها الخطة التي يجب اتباعها في تدبير نهر
القاش. اما نفقات المساحة واستخراج المناسيب فتعوض قيمتها اضعافاً في
السنة الاولى. وعلى هذه الصفة يتيسر التوسع في اعمال الري الثابتة كاقامة
الجسور ويكون ذلك بالتدرج شيئاً فشيئاً بالكيفية التي تباشر بها اليوم اعمال
التحكم الوقتية



مبحث

في اراضي الحصا في بربر

ان سعة وادي النيل وعامة طباع البقاع المطيفة ببربر مشابهة في خلقها
سعة وادي النيل في الوجه القبلي في اضيق انحاء وطباع ارضه. على ان بين
البلادين تبايناً طفيفاً في بعض الاماكن واخص هذا التباين هو ان اراضي
الزراعة غير ضحية الخلقة ولا مستوية سواء كان في سطحها. وصفتها في السودان
ليست على قياس فهي متعادية السطح مختلفة الصفة وهي تقع في منطقة غزيرة
الامطار هطالتها تنفجر الى الاخوار والمنخفضات التي تنصرف مياه الفاو
اليها. وهذان الامر ان يجب الالتفات اليهما عند البحث في اي مشروع من
مشاريع الري لانهما لا بد ان يزيدا في مصاعب انشاء الاعمال اللازمة للري

ونفقات تلك الاعمال بالنسبة الى الاعمال في الديار المصرية . ولا يخفى ان للنهر في اكثر الاماكن ضفائر طفالية بينة التخم والوضع حديثة في نشوؤها مختلفة السعة اختلافاً كلياً قد تصير الى كيلومترين وعامة ارضها تكون بموازاة اعلى منسوب الفيض . واكثر هذه الضفائر او المساطيح مزروع ذرة وحنطة وشعيراً ولوبياء (دُجُر) وما شاكل واعتماد ربيها على سواقي البواقي والشواذيف مقامة في حفافي النهر . اما الارض المهجورة الغير المنزرعة فاكثرها مكسوٌ بالعشب المتشابك والجنب وكثيراً ما تزدري الريح الرمال فتشيرها الى تلك الارض وتجعل صخيفها غير سوي . والى ما وراء هذه الحواشي في مواضع كثيرة منها حواشٍ اخرى مشابهة الاولى ولكنها اقدم عهداً في نشوئها واليوم لا يدركها الفيض الغامر وهي اعلى من تلك الحواشي بمترين او ثلاثة امتار وتكون بمثابة طنف بسيط مختلف السعة الى الغاية وهذه الحواشي العليا تكون في اماكن منها حجارة وفي اخرى يكون اديمها مطبقاً بالرمال حتى يتعذر تمييزها عن الصحراء الاصلية المندمجة هي بها . وهي عامتها موشوم جنباً وادغلاً مهجورة لا حرث ولا زرع لكن فيها رقاعاً كبرى تزرع ذرة في السنين الكثيرة الغيث وتكون غلتها وافرة المقادير . وفي بعض الانحاء ترى الاراضي الصالحة للزراعة متسعة جداً وترتبطها طيبة سمينة ومنها اراضي الحصا تبلغ مساحتها ستة آلاف فدان واقعة على قيد عشرة كيلومترات الى الشمال عن بربر وهي خير مثال للزكاء اما القلاة الاصلية فاكثرت تربتها صرار اي الحصى الكبيرة وهي مرتفعة بتصعيد خفيف الى مدى بعيد وهي ارض لا يؤمل بها على الاطلاق . ثم ان السكة الحديدية تداني في سيرها طرف القلاة مارة على الحد الفاصل بين الاراضي المحروثة وارضى الموات على مسافة قصيرة من النهر . واما بلدة بربر فواقعة على قيد اربعين كيلومتراً في الشمال عن مصب المطبرة والنيل في مدى هذه المسافة ميلٌ وعمر لوجود الرضراض

معترضاً في مجراهُ وسياق من مسارع خفيفة الهوي واقعة تحت مقترن
المطربة على مسافة قليلة منه وقد دلت بعض المناسيب التي استخرجت
للمشروع الاساسي المتعلق باحياء اراضي الحصا على هبوط قدره تسعة الى
عشرة امتار في منسوب النهر من مصب المطربة الى حد بربر . وقد عزز
هذا المنسوب بعض مناسيب رأيتها فيما يتعلق في مشروع انشاء الحياض
الصغيرة على الضفة الغربية للنهر في هذه الشقة . واما اقامة طلبات على
طرائق واسعة النطاق لري هذه الاراضي رياً مستديماً هو مشروع يجب
صرف النظر عنه لكثرة نفقاته والريبة في كون تلك الديار هي الآن اهل لتلك
الاعمال والضرر الذي يلحق مصر من جراء ذلك . وقد يكون الاصول
على ما اراه في هذه المسئلة وفي المسائل الاخرى الشبيهة بها اتباع طرائق
الاصلاح المتبعة الآن في الديار المصرية بمعنى ان يبتدأ بانشاء حياض بسيطة
قليلة النفقة يتيسر ملؤها بدون التعرض لمشكلة الايراد الصيفي وعند ما يتبين
من ذلك فائدة وجدوى حينئذٍ يشرع بتحويل الري الحوضي الى ري مستديم
فيما اذا انحلت عقد المشكلة المتعلقة بتوزيع المياه . اما اهالي بربر وما جاورها
فهم مقدرون هذه الاراضي حق قدرها عند انهارها بمياه الامطار الغزيرة
(الامر النادر الحدوث) او بمياه الفيض الطافح تزرع منها اراض كثيرة يستوسع
اهلها بحاصلاتها الوافرة المقادير اراض يكاد لا يكون بينها وبين الفلوات المحيطة
بها فرق يذكر . ولا ريب في انهم ينزعون لطبيعتهم الى استثمار تلك الاراضي
متى كان ارواؤها متوفراً بالوسائل والطرائق الصناعية على نظام الري الحوضي .
والذي اتصل بي ان الاقتراح الذي وضع بادئ بدء لارواء اراضي الحصا قد
اشار الى شق ترعة آخذة من النيل عند مقترن المطربة تمشي النهر كالمعتاد
بميل اقل من ميل النهر حتى تتسلط على الاراضي المراد ارواؤها وكذا اقامة
طلبات كبيرة الحجم لإمداد التربة يوم يكون منسوب النهر غير كافٍ لذلك .

اما التربة فانشاؤها في حيز الامكان ويكون مسافة طولها نحو ٥٠ كيلومتراً وميل
النهر فيها يبلغ عشرة امتار ويكفي التربة ان يكون لها ميل خمسة امتار قتركب
الاراضي المرتفعة عن منسوب النهر بقدر خمسة امتار قترويها وكذا تروي قسماً
كبيراً من الارض المنحطة المنسوب على بعد . وايضاً فان مشاق حفر التربة
ليست بكبيرة ولا عقبة في سبيل ذلك الا لوجود عدة قرى في طريقها وفي
جملتها بلدة بربر المضافة للحاشية العليا التي لا بد لاية تربة من هذا القبيل
ان تجاريها وتسايرها . ولا مشاحة في ان هذه عقبات هائلة اخصها وجود
بلدة بربر فان اشرف عماراتها قائم على جرف هائل يكون مسقطها هويّاً الى
المسيل المنشعب من النهر ولعدم وجود ميزانيات تفصيلية بهذا الشأن فلا
يتيسر البحث في مسألة لا علاقة لها الا بالمناسيب . وعندي ان هذه الصعاب
عظيمة جداً ولا يدلها الا النفقات الطائلة . ويجوز في بلدة بربر ايضاً خور
كبير له كوبري تمرّ عليه منذ سنتين او ثلاث السكة الحديد وسمة فتحته
عدة امتار عند مسيل جارف ولا بد ان يكون وجود هذا المجرى عقبة كؤود
للتربة في عدة مواضع ما لم يجعل له سحارة نفقتها كبيرة او ينشأ له بدالة .
اما التربة فطويلة جداً ومكعبات الحفر والردم فيها ستكون جسيمة وتستلزم
الحال ان يقام عليها عدة كباري لان القرى المطيفة بها كثيرة عديدة .
هذا وقد تمهدت اراضي الحصا على عجل وقد اخرجت عن اناسي تلك الاصقاع
ان جزءاً كبيراً من هذه الارض ذو تربة طيبة لكن ما عاينته بنفسي يكاد
لا يؤيد ذلك . اقول ان الطريقة التي يستتب بها تدبير امر البقعة فيجتنى
منها نفع مادي في برهة وجيزة تتوقف بالاكثر على مساحة الاراضي التي
تدخل في حيز ترع الري ومقدار ما يمكن ان تشتمل عليه التربة من الحياض
القريبة الغور التي لا تستدعي الا اعمالاً طفيفة من الحفر والردم في اقامة
حبس (جرف) لحفظ المياه في النهر . وافضل خطة لانشاء مثل هذا العمل

ان هي الا حفر ترعة واقامة حياض تنشأ على بعض مسافة عن ضفة المطبرة
اليمنى الى ان تتعدى مقترنه بالنيل على ضفته اليمنى وبذلك يتيسر جلب التربة
بمنسوب مرتفع متبعة في سيرها خط السكة الحديدية على قدر الاستطاعة فتمر
من وراء بربر وسائر القرى المعترضة في سبيل إنشاء التربة على الخطة التي كانت
مرسومة لها في الاصل . فاذا استوفيت الاستقصاءات واستخرجت المسايح
بالتفصيل ودلت على ان ذلك ممكن الاجراء وهو حريّ بذلك فلا بأس من
انشاء نظام ترع او إقامه نسيق من حياض ممتدة الى اسفل نهر المطبرة الى
مسافة بعيدة عن بربر على جانب النيل . فان لم تعمل المساحة المذكورة يتعذر
ادراك فساحة الارض التي يستطيع جعلها ضمن هذا المشروع ثم تبيان مقدار
النفقات التي يستحقها هذا العمل . ولا مشاحة في ان قطعة الارض الصالحة
للزراعة هي بالعموم ضيقة السعة ويوجد في بعض هذه الارض المرتفعة اما كن
وعرة قصيرة المدى يجب اختراقها وهي أنشاز وشواخص مترامية من الصحراء
الى حد النهر وما خلا ذلك لا صعوبة مطلقاً في انشاء التربة . هذا ومهما يكن
من الامر فان اول الامور شأناً هو عمل رسم مضبوط واستخراج عدة مناسب .
ولو تيسرت النقود لمثل هذا العمل فلا احسن من اتفاقها بادئ بدء في
عمل مساحة تقريبية وجداول مناسب لاية ارض من الاراضي التي تصلح
(بحسب الارصاد المستخرجة او الانباء المحلية) لأعمال الري فيها تكون
مستهلة يسيرة النفقة . هذا ولا يتيسر اجراء شيء من هذا القبيل ما لم
تنشأ مصلحة ري في السودان وتقام ادارة لأعمال المساحة المذكورة ومراقبتها
الا اذا ترع الى اجراء اعمال مستصغرة محلية على سبيل التجربة تكون
غير وافية بالغرض لا تقضي الى فائدة ولا عائدة . وعلى التعميم نقول ان
افضل شيء يعمل في اراضي الحصا وسائر الاراضي الشبيهة بها باقليم بربر انما
هو في الظروف الحالية اقامة نظام حياض يضاهي نظام الانحاء القبلية في

صعيد مصر وأرى ان ليس من صعوبة كبرى في احداث هذا النظام في اراضي
الحصا . وقبل وضع مشروع بين واضح في هذا الصدد تستلزم الحال الوقوف
على انباء وافية دقيقة ولا يتأتى بلوغ هذه الغاية الا بارسال ركب مساحة
يكون تحت ادارة احد الثقات يشتغل بالبحث والتنقيب في هذا العمل برهة
طويلة من الزمن

نبذة في مقياس المطبرة

تدبرت اقامة مقياس للمطبرة قريب الفاشر وذلك بناء على التعليمات
الصادرة اليّ بهذا الشأن وقد تحققت قبل وصولي الى هناك بان السلك
البرقي المقام بين كسله والقضارف يعبر نهر العطبره عند محطة خشم القرية على
قيد سبعة اميال فوق الفاشر هناك ينساب النهر في مضيق حجري . وقد
تفضل الكولونل هنري مدير كسله فأوفد اليّ بناء من تلك البلدة بالعدة
اللازمة لنقر مقياس في الصخر فوصلنا قبل الموعد المضروب لحجى البناء بيوم
وانتهزت النهضة لتعليم درجة المقياس بالقلم الاحمر على صفحة من صخر قائم .
ولما انتهى البناء الينا وجدنا عدده غير وافية للنقر في الحجر الصلد ورأينا ان
ليس في كسله ادوات تفضل ادواته . ثم اكملنا الاشراف (العلامات) على
الصخر ووالينا السير طالين الى كسله وهناك ارسلنا بتلغراف الى القاهرة
بطلب عدد اميز من الاولى . اما الصخر الذي رسمنا عليه درجة المقياس
فناهض من بركة بعيدة الغور يكون عن محطة خشم القرية بقدر ربع ميل
وهناك تكاف طريق كسله الى القضارف نهر العطبره . والبقة في ذلك البر
معجبة جدا وقد جعلنا هذا المقياس بتقدير ان منسوب مياه الفيض المعتاد
هو عشرة امتار يقابلها تصرف نازة نضيداً من البركة القائم فيها ذلك المقياس
وقد جعلنا مراقي المقياس الى عشرين متراً مع ان الفيوض المعتادة لا تمتد الى
ما فوق ستة الى سبعة امتار وقد دلت علامت فيض سنة ١٩٠١ على ارتفاع

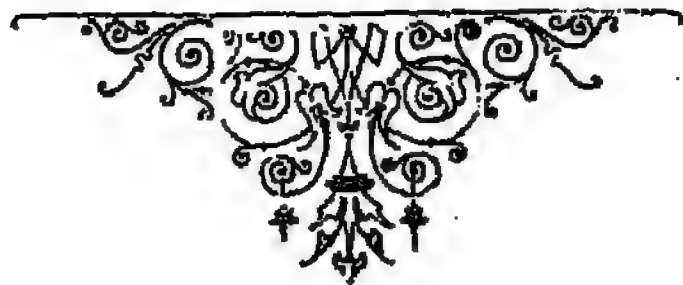
يفوق خمسة امتار شيئاً طفيفاً . والسلك التلغرافي يقطع النهر على قيد ميل فوق موقع المقياس . وقد اتفقت مع الكبتن لدل مدير عموم تلغرافات السودان بمؤازرة الكولونل هنري ان ينشئ فرعاً تلغرافياً ينشعب من الخط الاصيلي الى مرقبة تقام بجانب الطريق تكون من المقياس على ٢٠٠ او ٣٠٠ متر . وقد وعدني جناب الكولونل هنري ان يتخذ التدابير لاقامة هذه المرقبة بشرط ان لا تتعدى نفقتها عشرة جنيهات . وقد تدبرت اقامة مقاييس للمطر في القلابات والقضارف وخشم القرية ووافق على ذلك جناب المستر وب يومئذ نائب وكيل نظارة الاشغال العمومية . ولما صرت الى القاهرة طارحة الحديث في هذه المسئلة . وبما ان ادوات البناء ومقاييس المطر لم تكن حينئذ قد وصلت كسله فقد عمدت الى احضار بناء من اصوان مجهزاً بالعدة اللازمة فكتبت في ذلك عدة كتب الى عدة اشخاص وترون جنابكم مع هذه النبذة تلك الكتب لحفظها والرجوع اليها عند الحاجة وبالجملة نقول اننا قد اقمنا مقياساً مؤقتاً في مكان موافق على العطبرة عند محلة خشم القرية . وارسلنا الى كسله بناءً ماهراً بعدد كاملة لنقر المقياس في الحجر فتم ذلك في آخر شهر مايو . واقامت مرقبة على الطريق المؤدية من كسله الى القضارف بجوار المقياس ووُصل بها فرع من خط التلغراف الموجود هناك . ثم طلبنا الى الكبتن لدل استكمال معدات المرقبة لتكون محطة تلغرافية وتعيين عامل لاستلامها اذا امكن من اول يونيو ثم ينشئنا بشروط التعيين فأجاب جنابه طلبنا بكامله وقد رت المصاريف الشهرية فاذا هي عشرة جنيهات تضاف الى نفقة الاعمال الاولى وهي زهيدة . وبذلك كملت التدابير في هذا الشأن والارصاد تستخرج الآن يومياً وتبلغ ولكن التفاصيل غير معروفة حتى الآن وقد انفذت ايضاً ثلاثة مقاييس لرصد مياه المطر يُنصب احدها في القلابات والثاني في القضارف والآخر في خشم القرية اما مقياس خشم القرية فيبلغه

العامل المعين للتبليغ بالاشارة يومياً وقد صار ذلك من ضمن مهمته الرسمية
ثم اجاز جنابه لعامل الاشارات المقيم بالقلابات رصد مقياس المطر هناك
بمكافأة قدرها جنيه واحد في الشهر . وقد سئل جناب الكولونل هنري
والدكتور إيسر رئيس اطباء مديرية كسله فيما اذا كانت عندهما مانع يمنع
طبيب الصحة المقيم بالقضارف من رصد مقياس المطر هناك وابلاغ
مرسومه بالمكافأة عينها فاجابه لا بأس من ذلك . وتكرّم الدكتور إيسر
بمراقبة هذه المقاييس بنفسه اثناء تجوله حتى تكون في مواقع ملائمة
ويكون العمال القائمين عليها يحكمون الرصد بها . هذا ولم يتصل بنا الى الآن
بأبوصول مقاييس الامطار . ولعلّ التداير التي اتخذت لإستعمال المقاييس
لم تستكمل بعد وما اظنها مهيأة للرصد في بداية هذا الشتاء على ان الجهد
مبدول في ذلك ولا ريب في ان الانباء التي تستخرج عن تلك المقاييس
ستكون ذات فائدة جلي وتقع شامل

الامضاء

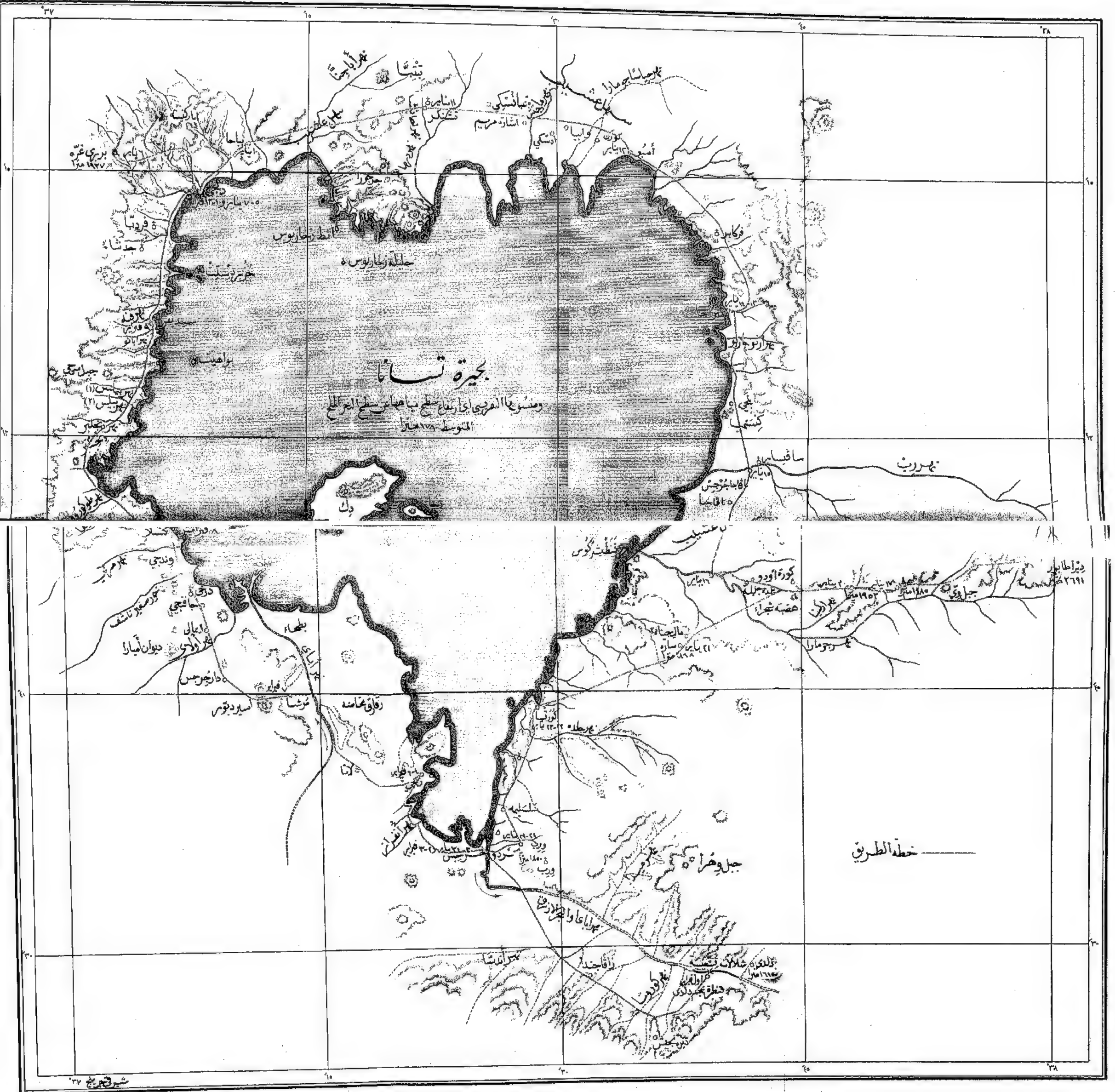
١٥ يونيو سنة ١٩٠٣

تشارلس ديوي

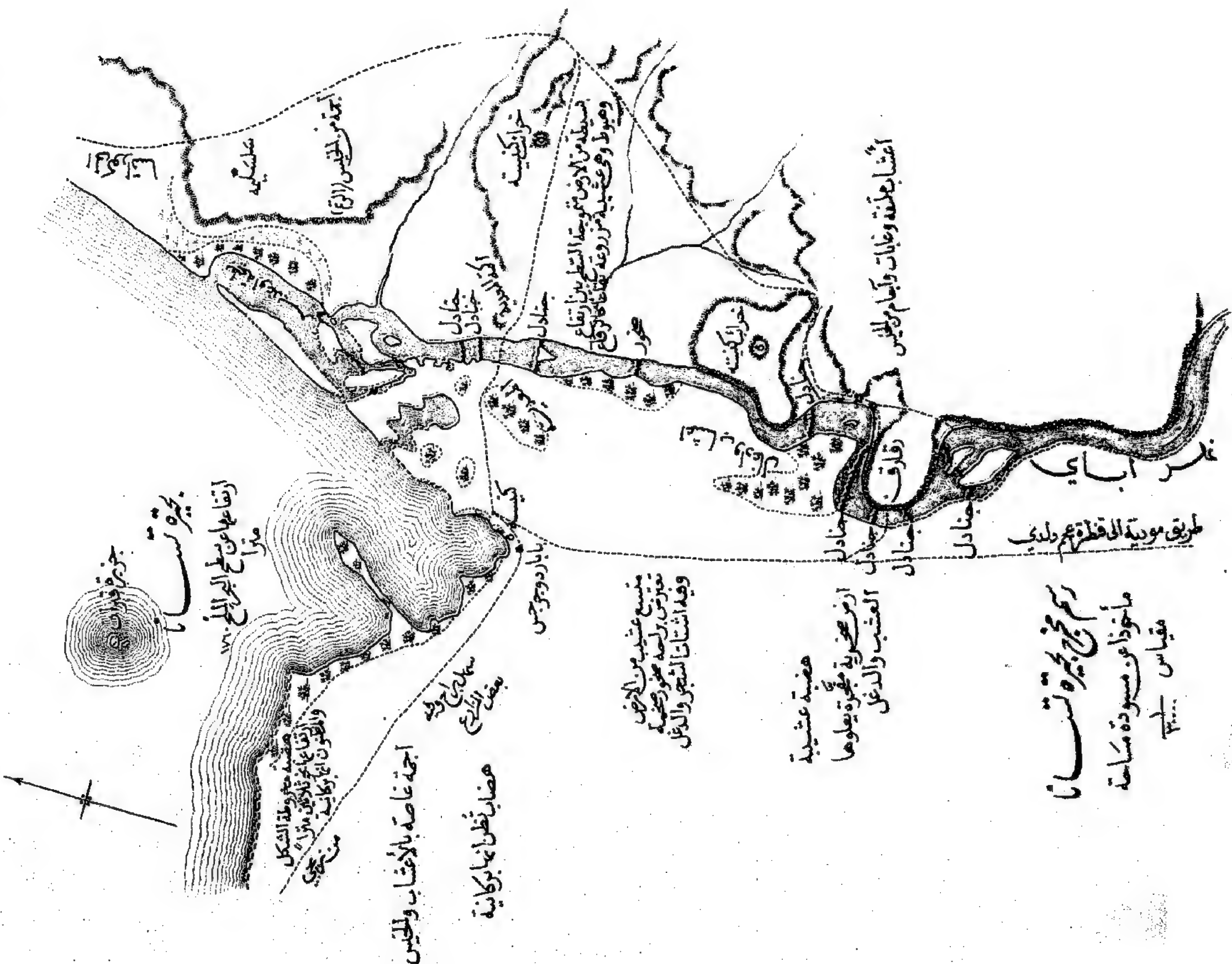


بحيرة تسانا

بحسب رسم العلامة أنطون استيكروف في بعض إضافات
المقياس ١/٣٠٠٠٠



الشمال



رسم خريطة بحرية
مأخوذة من مسودة مساحة
مقياس ١:١٠٠٠٠

هضبة عشبية
أرض صخرية مغطاة بنباتاتها
العشب والدغل

منبس عشبية من الأرض
تحتوي على شجيرات صغيرة
وفيها أشجار الشجر والدغل

هضبة تطل على البحر
أجزة غاصة بالأعشاب والحشيش

هضبة مخروطية الشكل
والتي عليها أشجار دائرية
من نخيل

ارتفاعها من سطح البحر الملح ١٧٠٠ مترًا
بحيرة تسبانا

جبل قنوت

طريق مودية إلى قلعة عم دلي

غمر اباب

أعشاب ملحة وغابات وأيام من الحشيش

جبل كين

جبل كين

أجزة من الحشيش (البحر)

صليبيه

البحر

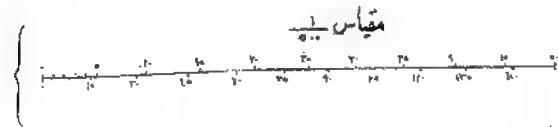
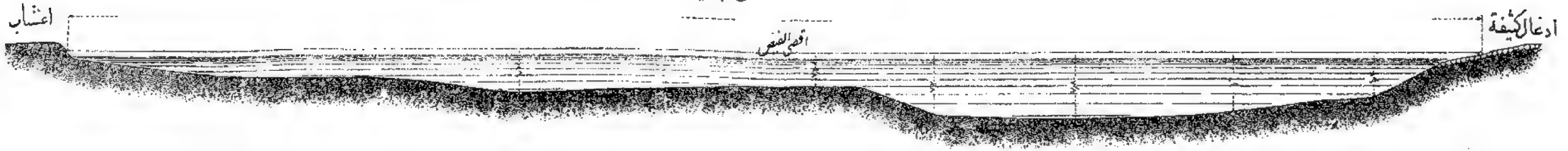
الرسم الثاني عشر (١)

الجنوب

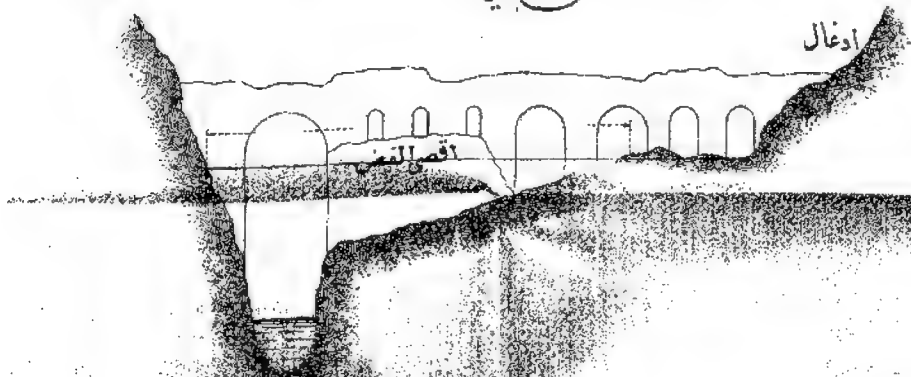
نهر أبابى

(١) قطاعه في ٢٩ يناير سنة ١٩٠٢ عند المدينة على مسافة خمسة كيلومترات عن البحيرة

الشمال



(٢) قطاعه في ٢ فبراير سنة ١٩٠٢ عند القطرة على بعد ثلاثين كيلومتراً عن البحيرة



نهر القنبرة

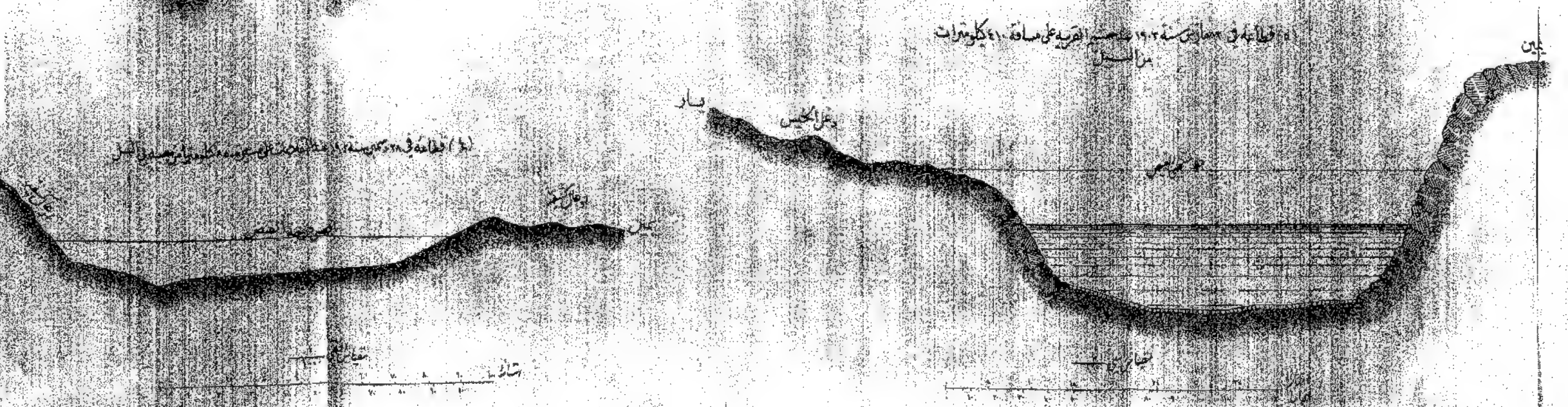
(٣) قطاعه في ٢ يناير سنة ١٩٠٢ عند مخرجها على مسافة ٨٥٠ كيلومتراً من نقطة اقترابه بالنيل



(٤) قطاعه في ٢٠ مارس سنة ١٩٠٢ عند حوض القصب على مسافة ٤١ كيلومتراً من السيل

دار
وعلى الحيس

(٥) قطاعه في ٢٠ مارس سنة ١٩٠٢ عند القصب على مسافة ٤١ كيلومتراً من السيل



الرسم الثاني عشر (ب)

نهر العتبر

قطاعه في الابل سنة ١١٣ عند ربابا دار على مسافة ١٠ كيلومتر من النيل
خط منتهى فيضه

تخيل الدم

عجرا (مقاز)

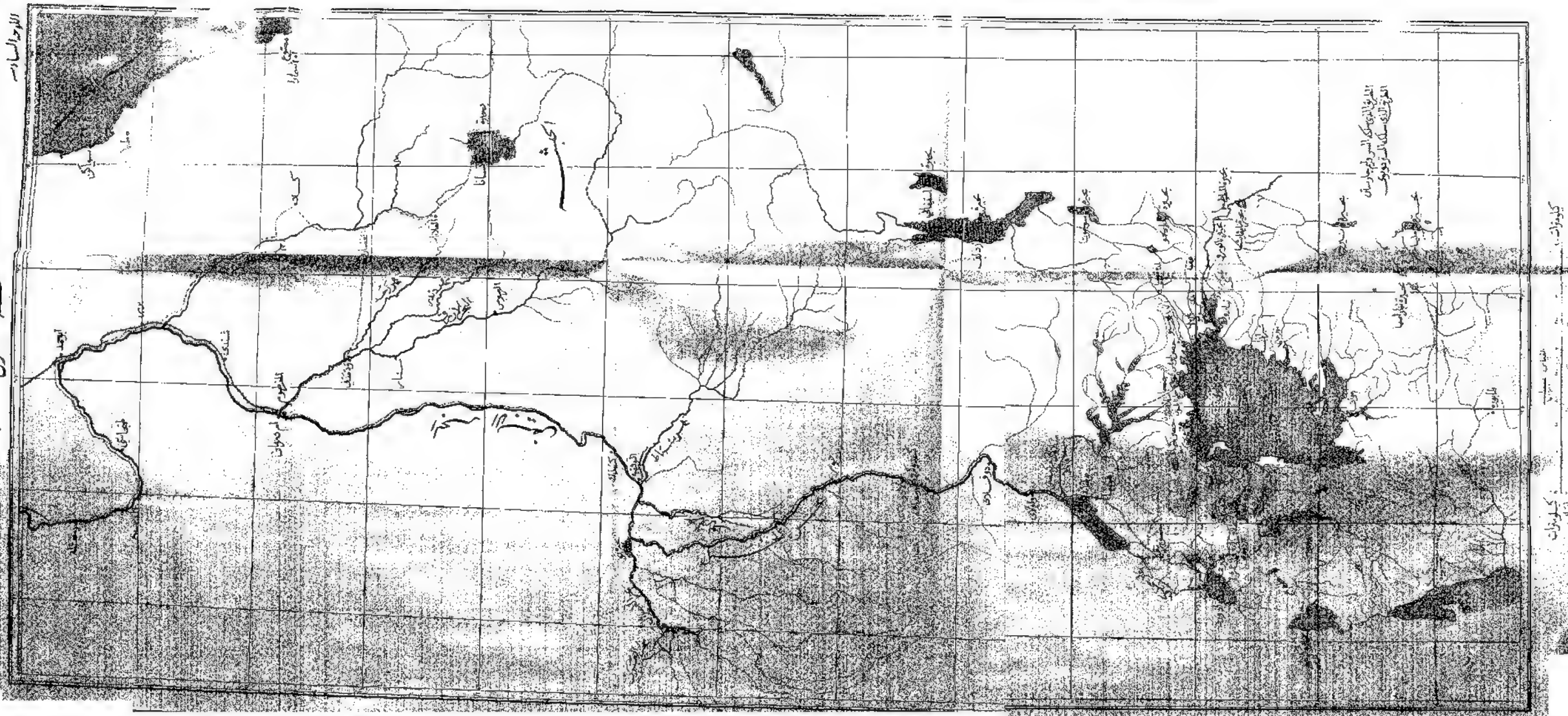
تخيل الدم

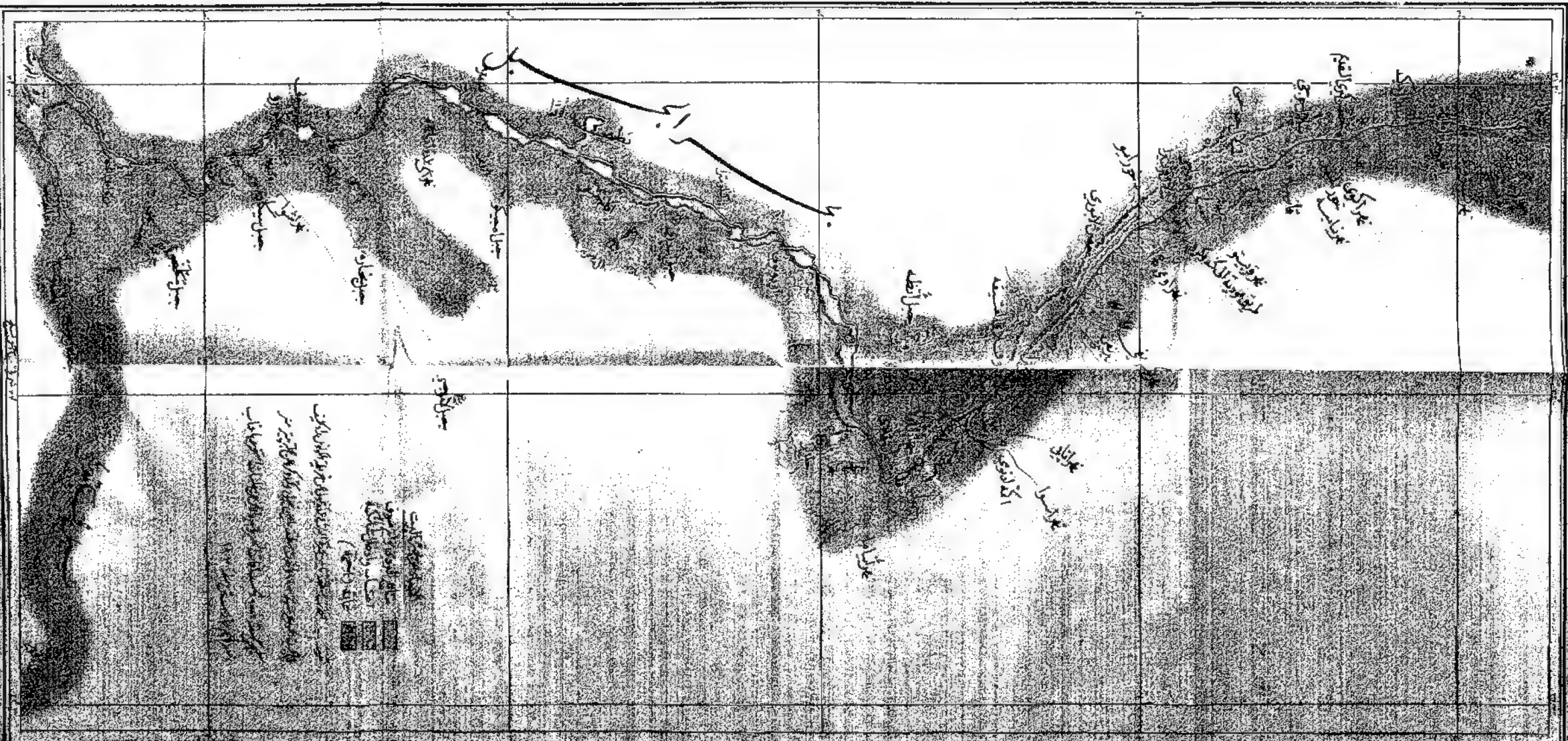
نهر رجب

قطاعه في الابل سنة ١١٣ عند ربابا دار على مسافة ١٠ كيلومتر من النيل
خط منتهى فيضه

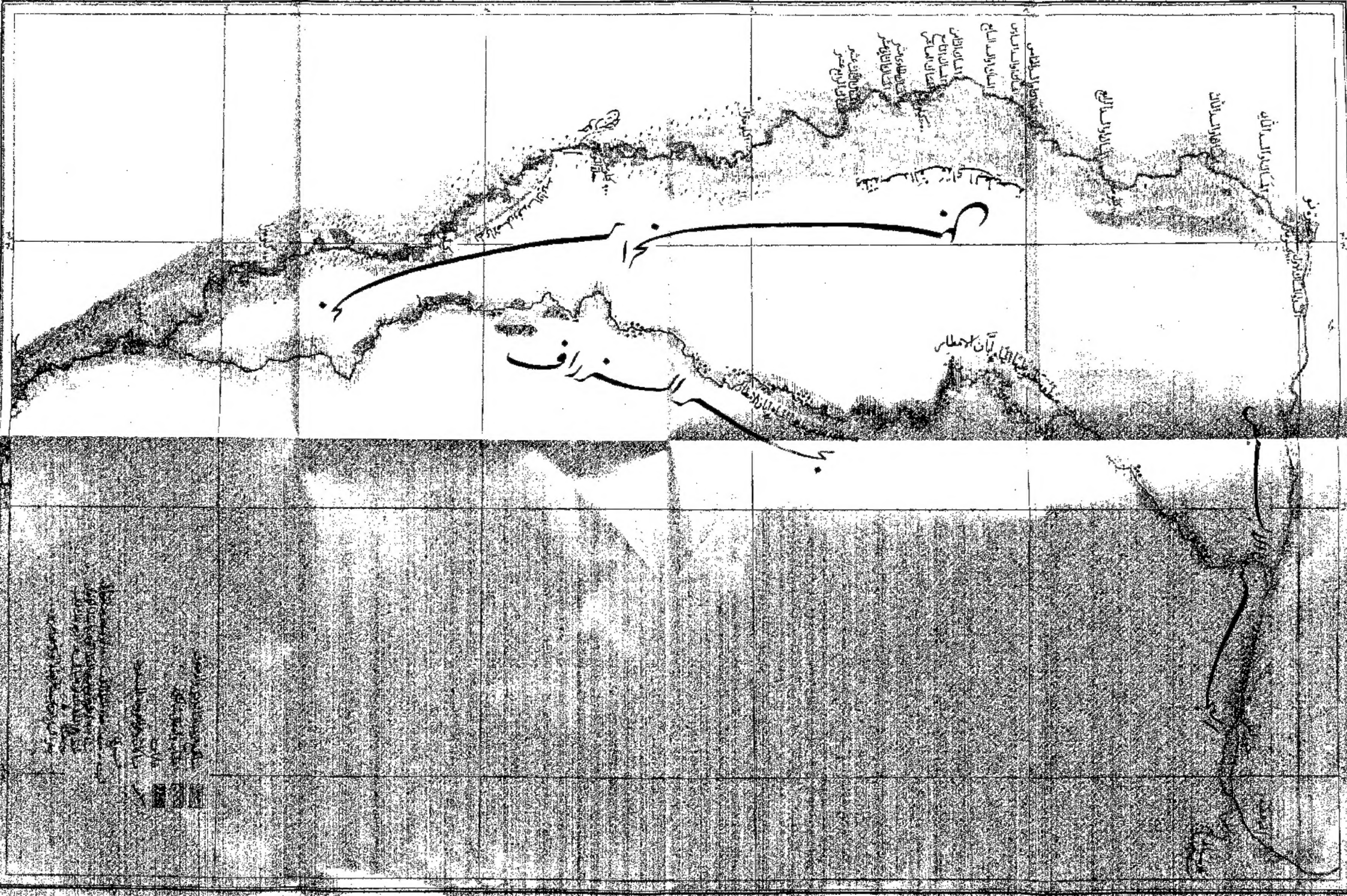
نهر رجب

قطاعه في الابل سنة ١١٣ عند ربابا دار على مسافة ١٠ كيلومتر من النيل
خط منتهى فيضه









البحر الفارسي

البحر الاحمر

